

أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد

محاورة حول الإمامة والخلافة

تأليف:
مقاتل بن عطية

شرح وتحقيق
العلامة الحجة الشيخ محمد جميل حمود

منشورات



أبهى المراد في شرح مؤتمر علماء بغداد

٢


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



محاورة حول الإمامة والخلافة

تأليف

مقاتل بن عطية

شرح وتحقيق:

العلامة الحجة الشيخ محمد جميل حمود

تقديم:

قدوة الفقهاء والمجتهدين العلامة الحجة

السيد شهاب الدين المرعشي النجفي

الجزء الثاني

منشورات

مركز العترة للدراسات والبحوث — مؤسسة الاعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

وتمتاز بالتحقيقات العلمية والشروح الوافية

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة
مفرق سنتر زعرور - ص ب : ١١/٧١٢٠
هاتف: ٤٥٠٤٢٦ - ٤٥٠٤٢٧ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧



Published by Alaalami Library
Beirut- Lebanon po. Box 7120
Tel – Fax: 450427
E-mail: alaalami@yahoo.com.

إذن: الخليفة الشرعي لرسول الله ﷺ هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال الملك (موجّهاً كلامه إلى الوزير): هل صحيح ما يذكره العلوي؟

قال الوزير: نعم، هكذا ذكر المؤرخون والمفسّرون.

قال الملك: دعوا هذا الكلام، وتكلّموا حول موضوع آخر.

قال العباسي: إن الشيعة يقولون بتحريف القرآن.

قال العلوي: بل المشهور[1] عندكم ـ أيّها السُنّة ـ أنكم تقولون بتحريف القرآن.

---

(١) من المشهور عند الإمامية عدم القول بتحريف القرآن، وأنّ الموجود بأيدينا هو ما نزل على النبيّ محمّد ﷺ، ومن قال منهم بالنقيصة (أمثال الكليني والقمي علي بن إبراهيم والنوري الطبرسي والمحقّق القمي والآخوند الخراساني) فله رأيه ودليله ولكنه لا يعبّر عن المشهور بين علماء الشيعة، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف، وما ذهب إليه بعض المحدثين من الشيعة يُفرض بحكمة العقول أن لا يجر الحكم على عامتهم، بل أن اعتقاد بعضنا بالتحريف لا يستلزم اعتقاد الطائفة بأسرها بذلك، والأعجب أن العامة يلصقون بالشيعة الإمامية القول بالتحريف، مع أن بعضهم يقول به بل أن المشهور عندهم هو القول بالتحريف حسبما أفاد العلويّ وذلك لاعتقادهم القول بنسخ التلاوة وهو بعينه القول بالتحريف، وعليه فاشتهار القول بوقوع النسخ في التلاوة ـ عند علماء العامة ـ يستلزم اشتهار القول بالتحريف.

قال الرافعي وهو أحد أكابر علماء العامة: «ذهب جماعة من أهل الكلام ممن لا صناعة لهم إلاّ الظن والتأويل، واستخراج الأساليب الجدلية من كل حكم وكل قول إلى جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيء، حملاً على ما وصفوا من كيفية جمعه»[1].

وهنا يجدر بنا أن نبحث في نقطتين:

النقطة الأولى: في صنوف النَّسخ في القرآن.

وقبل بيانها، نعيد مجملاً ما قلناه سابقاً[2] في معنى التحريف وأقسامه، فنقول: إن التحريف لغة:

«هو إمالة الشيء والعدول عن موضعه إلى جانب آخر» وهو بهذا واقع على ستة معانٍ على سبيل الاشتراك، خمسة صحيحة وواقعة، وواحدة وقع الخلاف فيها.

(الأول): تفسير القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه، وهذا من أبرز مصاديق التحريف، وقد أبدع فيه كثير من أهل الضلالة والمذاهب الفاسدة حيث حرّفوا القرآن بتأويل آياته على آرائهم وأهوائهم، لا سيّما الآيات المتعلقة بإمامة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين عليهم السلام، وهو بهذا نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غير وجهته الحقيقية ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4].

---

(١) إعجاز القرآن للرافعي ص٤١.

(٢) مرّ في بحوث هذا الكتاب، وفي كتابنا الفوائد البهية ج١/ ٥٣٥ الطبعة الثانية.

(٣) سورة النساء: ٤٦.

(٤) سورة آل عمران: ٧٨.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾[1].

ولا ريب أن المورد لا يخصص الوارد، فالآية وإن كان مورد نزولها اليهود إلا أنّها واردة على كل من إتصف بصفاتهم وتقمّص شمائلهم، فلا يقتصر التحريف عليهم بل يعم النصارى والمسلمين ممن انحرف عن جادة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.

فهذا المعنى من التحريف ورد المنع عنه كما في ظاهر الآيات المتقدمة لكونه كذباً على الله تعالى، وقد ذم فاعله أيضاً في عدة من أخبارنا، منها: ما رواه الكليني (قدّس سره) بإسناده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير:

«وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية»[2].

(الثاني): النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات، ويشمل في زماننا هذا التجويد بشكل مجمل حيث إني أعتبر إدغام حرف بحرف نوع تحريف للقرآن الكريم باعتبار حذف بعض الحروف ليتلائم مع قواعد التجويد التي هي في الواقع من مبتدعات أعداء آل البيت، وليس عليه شاهد من آية أو رواية.

وهذا التحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعاً وذلك لوجود قراءات سبعة بل أكثر من سبعة، وقد ثبت عدم تواتر القراءات عن النبيّ والعترة الطاهرة بل ولا عن القراء أنفسهم، فأكثرها اجتهادات من القراء أنفسهم، ومعلوم عدم حجية هذه الاجتهادات مهما أوتي أصحابها من الاحتياط والورع، فلا تصلح أن يُستدل بها على الحكم الشرعي، والدليل على ذلك أن كل واحد من هؤلاء القرّاء يحتمل فيه

---

(١) سورة المائدة: ٤١.

(٢) الوافي آخر كتاب الصلاة: ص٢٧٤.

الغلط والاشتباه، ولم يرد دليل من العقل، ولا من الشرع على وجوب إتّباع قارىء منهم بالخصوص، وقد استقل العقل، وحكم الشرع بالمنع عن إتّباع غير العلم.

ودعوى أن القراءات ـ وإن لم تكن متواترة ـ إلا أنها منقولة عن النبيّ بخبر الواحد «فتشملها الأدلة القطعية الدالة على جواز الأخذ بأخبار الآحاد، فيخرج الاستناد إليها عن العمل بالظن بالورود أو الحكومة أو التخصيص» مردودة وذلك:

أولاً: إن القراءات لم يثبت كونها رواية، لتشملها هذه الأدلة، بل هي اجتهادات من القرّاء، ويؤيد هذا ما ورد عن ثلة من محققي علماء العامة، منهم القرطبي، فقال:

«قال كثير من علمائنا كالداودي، وابن أبي سفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القرّاء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحّاس وغيره، وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القرّاء»[1].

وقال الزركشي في البرهان:

«للقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمّد للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد غيرهما، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة، والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبيّ ففيه نظر، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد»[2].

وقال الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن محمّد في الشافي:

---

(١) تفسير القرطبي ج١/ ٤٦.

(٢) الإتقان: ج١/ ١٧٤ ط/ دار الكتب العلمية.

«التمسُّك بقراءة سبعة من القرّاء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سُنّة، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين، لم يكن قرأ بأكثر من السبع، فصنّف كتاباً وسمّاه كتاب السبعة، فانتشر ذلك في العامة. .»[1].

وقال الجزائري في موضع آخر:

«لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها، حتى قام الإمام أبو بكر أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد ـ وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد ـ فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام وهم: نافع، وعبدالله ابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعبدالله بن عامر، وعاصم وحمزة، وعلي الكسائي، وقد توهم بعض أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، وليس الأمر كذلك. . وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيه من الإيهام. . قال أحمد بن عمار المهدوي: لقد فعل مسبّع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قلّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة. .»[2].

بل إذا لاحظنا السبب الذي من أجله اختلف القرّاء في قراءاتهم ـ وهو خلو المصاحف المرسلة إلى الجهات من النقط والشكل ـ يقوى هذا الاحتمال جداً.

قال ابن أبي هاشم: «إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها، إن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة، بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط، فمن ثمّ نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار»[3].

---

(١) التبيان للجزائري: ص٨٢، وورد مثله في الإتقان ج١/ ١٧٦.

(٢) التبيان ص٨٢، والبيان في تفسير القرآن ص١٦٠.

(٣) البيان للخوئي ص١٦٥ والتبيان للجزائري ص٨٦.

ويذكر الزرقاني السبب في عدم تنقيط القرآن قبل إرساله إلى الجهات فقال: «كان العلماء في الصدر الأول يرون كراهة نقط المصحف وشكله مبالغة منهم في المحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف، وخوفاً من أن يؤدي ذلك إلى التغيير فيه.. ولكنّ الزمان تغيّر، فاضطر المسلمون إلى إعجام المصحف وشكله لنفس ذلك السبب، أي للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف، وخوفاً من أن يؤدي تجرّده من النقط والشكل إلى التغيير فيه»[1].

ثانياً: إن رواة كل قراءة من هذه القراءات، لم تثبت وثاقتهم أجمع، فلا تشمل أدلة حجية خبر الثقة روايتهم.

ثالثاً: إنّا لو سلّمنا أن القراءات كلها تستند إلى الرواية، وأن جميع رواتها ثقات، إلاّ أنّا نعلم علماً إجمالياً أن بعض هذه القراءات لم تصدر عن النبيّ قطعاً، ومن الواضح أن مثل هذا العلم يوجب التعارض بين تلك الروايات وتكون كل واحدة منها مكذّبة للأخرى، فتسقط جميعها عن الحجية، فإن تخصيص بعضها بالاعتبار ترجيح بلا مرجح، فلا بدّ من الرجوع إلى مرجحات باب المعارضة، وبدونه لا يجوز الاحتجاج على الحكم الشرعي بواحدة من تلك القراءات[2].

إشكال:

لمّا كانت القراءات اجتهادات من نفس القرّاء، فإنه يدل على عدم حجيتها، في حين ورد الأمر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بالقراءة كما يقرأ الناس وقد كانت هذه القراءات شائعة في عهودهم عليهم السلام، فكيف الخلاص؟

والجواب:

١ ـ أن أمرهم لشيعتهم أن يقرأوا كما يقرأ الناس ـ أي العامة ـ محمولٌ على التقية، وذلك لشيوع تلك القراءات في عهودهم بحيث يعتبر المتخلّف عنها بحكم

---

(١) مناهل العرفان ص٤٠٢ ط/٢.

(٢) البيان للخوئي ص١٦٦.

الكافر آنذاك، وصدور الأحكام منهم عليهم السلام تقية حفاظاً على قواعدهم الشعبية من الاستئصال والإبادة.

٢ ـ وصدور الأمر بالقراءة كما يقرأ الناس لعلّه يُحمل على القراءة المشهورة بين المسلمين يومذاك، التي قد تكون موافقة لنظرهم الشريف.

وبهذا يندفع ما أفاده المحقّق الخوئي حيث قال:

«وأما بالنظر إلى ما ثبت قطعياً من تقرير المعصومين عليهم السلام شيعتهم على القراءة بأية واحدة من القراءات في زمانهم، **فلا شك في كفاية كل واحدة منها**، فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم، ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها، ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر ولا أقل من نقله بالآحاد، بل ورد عنهم عليهم السلام إمضاء هذه القراءات بقولهم «اقرأ كما يقرأ الناس، اقرؤا كما عُلمتم» وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر، نعم يعتبر في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة، غير ثابتة بنقل الثقات عند علماء السنة، ولا موضوعة.. ثم قال:

وصفوة القول: إنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت عليهم السلام»[1].

ذيل كلامه الأخير حق، لكنه ينقض صدره حيث جوّز القراءة بكل واحدة منها مما يستلزم ـ بحسب هذه الدعوى ـ صحة القراءة حتى بالشاذة منها، كما يستلزم هذا، الحكم على كل القراءات السبعة أو العشرة بالصحة، واشتراطه «في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة غير ثابتة بنقل الثقات عند علماء السنّة ولا موضوعة» أول الكلام، إذ من أين يثبت لنا أن جلّ هذه القراءات ليست شاذة، وهل المعيار في شذوذ القراءة عدم نقل علماء العامة لها وعدم اعتقادهم بها؟ وإذا كان كذلك فما الدليل عليه؟ وهل نقْل الخصم لهذه القراءات يعتبر عنده نقلاً صحيحاً يجوز العمل على طبقه؟ لا أدري إن كان يعتقد بهذا رحمه الله؟!

---

(١) البيان، ص١٦٧.

هذا مضافاً إلى أنه إنْ كان يقصد بأنّ كل هذه القراءات كانت متواترة في عهودهم عليهم السلام فيعني أنها ممضاة من قبلهم، فتصبح كلها حجة في حين أن أكثرها فاسدٌ، وقد اعترف هو في كتابه البيان بأنها من اجتهادات القرّاء أنفسهم ولا حجية في اجتهاداتهم، ولا ملازمة بين تواترها وحجيتها، فكونها معروفة مع سكوتهم وعدم إنكارهم على بعضها لا يدل على حجيتها كلها، إذ من الواضح أن تقرير المعصوم عليه السلام يعتبر حجة إذا لم يكن هناك مانع عن الكشف عن الحكم الشرعي، وفي مثل تلك الأجواء العصيبة التي عاشها أئمة آل البيت عليهم السلام كيف يمكن تصوُّر حجية تقريرهم لهذه المسألة آنذاك، وهي كبعضها من الأحكام التي صدرت منهم تقية خوفاً من سلاطين زمانهم.

هذا مع التأكيد على أنه قد صدر ردع من الأئمة عن أغلب تلك القراءات بما رواه هو عن الأئمة عليهم السلام بقولهم: «اقرأ كما يقرأ الناس، اقرؤوا كما عُلمتم»[1] أي اقرأوا كما علّمناكم، ومن لم يصله علمنا فليقرأ كما يقرأ المشهور من الناس. ويشهد لما قلتُ ما ذكر في نفس الحديث الذي رواه السيّد المذكور حيث يشهد صدره وذيله على أن المأمور به هو القراءة المشهورة بين الناس حتى يقوم القائم عليه السلام مما دل على أن حكم الإمام الصادق عليه السلام بالقراءة المشهورة إنما هو آنيٌّ ومرحليٌّ حتى لا يُتهم الشيعة بالكفر والزندقة لو قراؤوا بالقراءة المخالفة لطريقة الناس آنذاك، وكان ينبغي على السيّد رحمه الله أن يذكر الحديث بتمامه حتى لا يخفى الحق على ذي حجى، وإلى القارىء العزيز الحديث بتمامه:

فعن سالم بن سلمة قال:

قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

كفّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم عليه السلام، فإذا قام

---

(١) قوله: «اقرأ..» «واقرؤوا كما علمتم» روايتان رواهما الكافي ج٢ حديث ١٥ وح٢٣.

القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عزّ وجلّ على حدّه وأخرج المصحف الذي كتبه عليٌّ عليه السلام وقال: أخرجه عليٌّ عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال لهم: هذا كتاب الله عزّ وجل كما أنزله الله على محمّد صلى الله عليه وآله وقد جمعته من اللّوحين فقالوا: هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليٌّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه[1].

ولو كان كما ادّعاه المحقّق الخوئي(ره) صحيحاً لم يكن لتكذيب الإمام الصادق للقراءات أي معنىً كما ورد في حسنة الفضل بن يسار قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يقولون إن القرآن نزل على سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد[2].

إنْ قيل:

إن المراد من نزوله على سبعة أحرف أي على سبع لغات من لغات العرب بمعنى أنها متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوازن.

قلنا:

١ ـ إن قوله عليه السلام: «نزل على حرف واحد..» لا يلائم هذا التفسير بل إنما يناسب اختلاف القراءة من الفتح والجر وأمثال ذلك بحيث يتغير المعنى بتغير القراءة كما هو شاهد الحال بين العامة والخاصة حيث اختلفوا على كلمة «وأرجلكم» في آية الوضوء، فنصبها العامة عطفاً لها على غسل الوجه واليدين، بعكس الخاصة حيث عطفوها على مسح الرأس. ففرق واضح بين القراءتين، لذا كذّب الإمام عليه السلام الذين نسبوا إلى الله تعالى إنزال القرآن باختلاف القراءات لكونه سبباً حينئذٍ لإغراء المكلّفين بالجهل والخطأ هو قبيح صدوره من المولى عزّ وجلّ.

---

(١) أصول الكافي ج٢/ ٦٣٣، ح٢٣.

(٢) أصول الكافي ج٢/ ٦٣٠، ح١٣.

ويؤكد ما قلنا ما روي أيضاً في خبر زرارة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «إن القرآن واحد نزل من عند واحد ولكنّ الاختلاف يجيىء من قبل الرواة»[1].

٢ ـ إن تلاوة القرآن وقراءته يجب فيها وفي تحققها أن تتبع ما أوحي إلى الرسول وخوطب به عند نزوله عليه وهو واحد، فعلى قارىء القرآن أن يتحرى ما أنزله عليه ﷺ، وليست قراءة القرآن عبارة عن درس معاجم اللغة[2].

٣ ـ رواية السبعة أحرف المروية في كتب العامة معارضة لروايات أخرى، فتسقط الأولى عن الحجية، إذ بعضهم يؤوّل السبعة أحرف بمعاني القرآن كما ورد في مستدرك الحاكم على شرط البخاري ومسلم عن ابن مسعود عن النبيّ قال: نزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجراً وآمراً وحلالاً وحراماً ومحكماً ومتشابهاً وأمثالاً فأحلوا حلاله، وروى ابن جرير مرسلاً عن أبي قلابة عن النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف: آمر وزاجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل.

هذه الأخبار معارضة بأخبار أخر، مثل ما رواه ابن جرير والسنجري وابن المنذر وابن الأنباري عن ابن عبّاس عنه ﷺ: إن القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام. وعن الإمام عليّ عليه السلام: أنزل القرآن على عشرة أحرف: بشير ونذير وناسخ ومنسوخ وعظة ومثل ومحكم ومتشابه وحلال وحرام.

وفي رواية أحمد من حديث أبي بكر أن النبيّ ﷺ استزاد من جبرائيل في أحرف القراءة حتى بلغ سبعة أحرف، قال يعني جبرائيل: كلها شاف كافٍ ما لم تختم آية عذاب برحمة وآية رحمة بعذاب.

وزاد في حديث آخر قولك: تعال واقبل وهلم واذهب واسرع وعجّل. ونحوه في رواية الطبراني عن أبي بكرة.

---

(١) أصول الكافي ج٢/ ٦٣٠، ح١٢.

(٢) آلاء الرحمان في تفسير القرآن، محمد جواد بلاغي ص٣٠.

وفي الإتقان أخرج نحوه أحمد والطبراني عن ابن مسعود، وأخرج أبو داود في سننه عن أبي عن رسول الله قوله حتى بلغ سبعة أحرف، ثم قال: ليس منها إلاّ شاف كافٍ إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب.

وعن أبي هريرة عنه ﷺ: إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف فاقرأوا ولا حرج ولكن لا تجمعوا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة. وأخرج أحمد من حديث عمر. القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذاباً أو عذاباً مغفرة.

انظر إلى هذه الروايات المفسرة للسبعة أحرف كيف قد رخصت في التلاعب في تلاوة القرآن الكريم حسبما يشتهيه التالي ما لم يختم آية الرحمة بالعذاب وبالعكس[1].

الثالث: الإخلال بترتيب الآيات والسور كما أنزلها الله تعالى، بمعنى إثبات السور أو الآيات على خلاف ترتيب نزولها، وهذا ملحوظ في المصاحف اليوم من اختلاط المدني بالمكي وبالعكس لا سيّما في عامة السور، أما الآيات فقليل أمثال آية الإكمال والتطهير.

الرابع: النقص والزيادة في الآية والسورة.

والتحريف لهذا المعنى أيضاً واقع في القرآن قطعاً، فالبسملة ـ مثلاً ـ مما تسالم المسلمون على أن النبيّ قرأها قبل كلّ سورة غير سورة التوبة، وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن بين علماء السنّة، فاختار جمع منهم أنها ليست من القرآن، بل ذهبت المالكية إلى كراهة الإتيان بها قبل قراءة الفاتحة في الصلاة المفروضة، إلا إذا نوى به المصلي الخروج من الخلاف، وذهب جماعة أخرى إلى أن البسملة من القرآن. وأما الشيعة فهم متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة، واختار هذا القول جماعة من علماء السنة أيضاً، إذن

---

(١) آلاء الرحمان، ص٣١.

فالقرآن المنزل من السماء قد وقع فيه التحريف يقيناً بالزيادة أو بالنقيصة[1].

الخامس: التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل.

والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين، بل هو مما علم بطلانه بالضرورة.

السادس: التحريف بالنقيصة، بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس.

والتحريف بهذا المعنى هو ما وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون.

● رأي المسلمين الشيعة:

المشهور بين علماء الشيعة الإمامية، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف بالمعنى السادس، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام، منهم رئيس المحدثين الشيخ الصدوق محمد بن بابويه في كتاب الاعتقاد فقال: اعتقادنا أن القرآن الذي أنزل الله على نبيّه ﷺ هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك، ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي في مقدمة تفسيره التبيان، وثلة من المتقدمين والمتأخرين.

وذهب جمع من الشيعة والعامة إلى وقوع التحريف، وقد نسب الرازي القول بالتحريف إلى الظاهريين منهم، بل ما عليه التحقيق أن أول من قال بالتحريف هو جماعة من الصحابة، على رأسهم عمر بن الخطّاب، والعجب من العامة كيف أثاروا على المسلمين الشيعة حملة إعلامية مكثّفة ينسبون إليهم القول بالتحريف، في حين يتناسون ما ذكرته مصادرهم من نسبة التحريف إلى جماعة منهم.

وها هو أبو الفضل جلال الدين السيوطي يذكر لنا الكثير من اعتقاد بعض الصحابة في القرآن.

---

(١) البيان للخوئي، ص١٩٩.

١ ـ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر[١].

٢ ـ وروى عن ابن أبي مريم عن أبي لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبيّ مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن[٢].

٣ ـ وعن اسماعيل بن جعفر بسند معنعن عن ذر بن حبيش: قال لي أُبي بن كعب: كأين تعد سورة الأحزاب؟

قلت: اثنتين وسبعين آية أو ثلاثة وسبعين آية، قال: إن كانت لتعدل سورة البقرة، وإن كنا لنقرأ فيها آية الرجم، قلت: وما آية الرجم قال: إذا زنا الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم[٣].

٤ ـ حدثنا عبد الله بن صالح . . . عن أبي أمامة بن سهل أن خالته قالت: لقد أقرأنا رسول الله آية الرجم: الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة[٤].

٥ ـ وقال حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ عليَّ أبي ـ وهو ابن ثمانين سنة ـ في مصحف عائشة: إن الله وملائكته يصلّون على النبيّ، يا أيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسملوا تسليماً وعلى الذين يصلون الصفوف الأول. قالت: قبل أن يغيّر عثمان المصاحف[٥].

٦ ـ وحدثنا عبد الله بن صالح بسند معنعن إلى أبي واقد الليثي قال:

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ج٢/ ٥٢.
(٢) نفس المصدر ج٢/ ٥٣.
(٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) نفس المصدر، وآلاء الرحمان ص٢٠.
(٥) نفس المصدر السابق.

« كان رسول الله إذا أوحي إليه أتيناه فعلمنا مما أوحي إليه، قال: فجئت ذات يوم فقال: إن الله يقول: «إنّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً لأحبّ أن يكون إليه الثاني، ولو كان إليه الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب، ويتوب الله على من تاب»[1].

٧ ـ وأخرج الحاكم في المستدرك عن أبيّ بن كعب قال:

قال لي رسول الله إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2] ومن بقيتها «لو أنّ ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً، وإن سأل ثانياً فأعطيه سأل ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية، ومن يعمل خيراً فلن يكفره»[3].

٨ ـ وقال أبو عبيدة حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي موسى الأشعري قال: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: «إن الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، ولو ان لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاّ التراب، ويتوب الله على من تاب»[4].

٩ ـ وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال: كنا نقرأ سورة نشبهها بإحدى المسبحات ما نسيناها، غير أني حفظت منها: «يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»[5].

١٠ ـ وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن

---

(١) نفس المصدر، وآلاء الرحمان ص٢٠.
(٢) سورة البيّنة: ١.
(٣) نفس المصدر، وآلاء الرحمان ص١٩.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر، وصحيح مسلم ج٣/ ١٠٠.

عديّ بن عديّ قال: قال عمر: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم. ثم قال لزيد بن ثابت: أكذلك؟ قال: نعم. وقال: حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عمر الجمحي، حدّثني ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: قال عمر لعبد الرحمان بن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة فإنا لا نجدها قال: سقطت فيما أسقط من القرآن[1].

١١ ـ وقال: حدّثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم: أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال: ابن مسلمة: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي له من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون[2].

١٢ ـ وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله(ص) فكانا يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله(ص) فذكرا ذلك له فقال: إنها مما نسخ فالهوا عنها[3].

١٣ ـ وفي الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع: أن بلغوا عنّا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. وفي المستدرك عن حذيفة قال: ما تقرؤون ربعها: يعني براءة. قال الحسين بن المناري في كتابه «الناسخ والمنسوخ»: ومما

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد[1].

١٤ ـ وقال في البرهان في قول عمر: لولا أن تقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: يعني آية الرجم[2].

١٥ ـ وأخرج الحاكم من طريق كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرّا على هذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله(ص) يقول: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فقال عمر: لمّا نزلت أتيت النبي(ص) فقلت: أكتبها، فكأنه كره ذلك، فقال عمر ألا ترى أن الشيخ إذا زنى ولم يحصن جلد، وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رجم؟[3].

١٦ ـ وأخرج النسائي أن مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت: «ألا تكتبها في المصحف؟ فقال: ألا ترى أن الشابين الثيبين يرجمان، ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر: أنا أكفيكم فقال: يا رسول الله اكتب لي آية الرجم، فقال: لا تستطيع. قوله اكتب لي: أي ائذن في كتابتها ومكني من ذلك[4].

١٧ ـ وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد بن أسلم أن عمر خطب الناس فقال: لا تشكوا في الرجم فإنه حقّ، ولقد هممت أن أكتبه في المصحف، فسألت أبيّ بن كعب فقال: أليس أتيتني وأنا أستقرئها رسول الله(ص)؟ فدفعت في صدري وقلت: تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر؟[5].

١٨ ـ روى ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال فيما قال، وهو على المنبر:

---

(١) نفس المصدر.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.
(٥) نفس المصدر.

«إن الله بعث محمداً بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله على من زنى إذا أحصن من الرجال... ثم إنّا كنا نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو: إنّ كُفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم..»[1].

وذكر السيوطي: أخرج ابن اشته في المصاحف عن الليث بن سعد، قال: «أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد... وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده»[2].

فآية الرجم ـ بنظر الصحابي عمر بن الخطّاب ـ قد سقطت من القرآن لا محالة.

١٩ ـ أخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً:

«القرآن الف الف وسبعة وعشرون الف حرف»[3].

بينما القرآن الذي بين أيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار، وعليه فقد سقط من القرآن أكثر من ثلثيه.

٢٠ ـ وروى زرّ، قال: قال أُبي بن كعب يا زرّ:

«كأيّن تقرأ سورة الأحزاب، قلت: ثلاث وسبعين آية، قال: إن كانت لتضاهي سورة البقرة، أو هي أطول من سورة البقرة..»[4].

٢١ ـ وروى ابن أبي داود وابن الأنباري عن ابن شهاب، قال:

---

(١) صحيح البخاري ج٨/ ٣٤١ وصحيح مسلم ج١٠/ ٢٦ ومسند أحمد ج١/ ٤٧.

(٢) الاتقان ج١/ ١٢٩.

(٣) الاتقان ج١/ ١٥٢.

(٤) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٢/ ٤٣.

«بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب. . .»[1].

٢٢ ـ وروى عمرة عن عائشة أنها قالت:

«كان فيما أنزل من القرآن: «عشرُ رضعاتٍ معلومات يُحرّمن» ثم نسخن بـ: «خمسٍ معلومات»، فتوفى رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن[2].

٢٣ ـ وروى المسور بن مخرمة، قال:

قال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة. فإنّا لا نجدها، قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن[3].

٢٤ ـ وروى أبو سفيان الكلاعي: أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم: «أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف، فلم يخبروه، وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال ابن مسلمة:

«إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم اولئك لا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون»[4].

وقد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخلع والحفد في مصحف ابن عباس وأُبي بن كعب: «اللهم إنّا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك، اللّهم إيّاك نعبد ولك نصلّي ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين ملحق»[5].

---

(١) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٢/ ٥٠.
(٢) صحيح مسلم ج٤/ ١٦٧.
(٣) الاتقان ج٢/ ٤٢.
(٤) الاتقان ج٢/ ٤٢.
(٥) الاتقان ج١/ ١٤٣.

وهناك آيات أخر زعم ابن الخطّاب أنها من القرآن ثم أسقطت منه، هي آية الجهاد، قال عمر لابن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة» فإنّا لا نجدها؟ قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن[1].

وآية الفراش «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فقد ورد أنه خاطب أبي بن كعب: أوليس كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله «أن انتفاءكم من آباءكم كفر بكم»؟ فقال: بلى.. ثم قال: أوليس كنّا نقرأ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فيما فقدنا من كتاب الله؟ فقال أبي: بلى[2].

«الولد للفراش» حديث مروي عن النبيّ ﷺ ظنه ابن الخطّاب آيةً قرآنية.

وهناك العديد من هذه الروايات، ذكرها السيوطي في الأتقان وغيره عن مفسري العامة، حيث ادّعوا أن القرآن الكريم ذهب منه كثير بذهاب حملته يوم اليمامة.

وغير خفي أن القسم الأخير من أقسام التحريف هو نفسه ما يسميه جمهور العامة «بنسخ التلاوة» وهو بعينه القول بالتحريف والإسقاط، فتسميته بنسخ التلاوة تمويهاً على السذج حتى لا يُقدح بعمر بن الخطاب وعائشة وأمثالهما ممن يحسن العامة بهم الظن، وهذه التسمية لا تُخرجه عن أقسام التحريف، وعليه يمكن أن يدّعي أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء العامة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة.

ومن العجيب أن جماعة من علماء العامة أنكروا نسبة القول بالتحريف إلى أحد من علمائهم حتى أن الألوسي كذّب الطبرسي في نسبة القول بالتحريف إلى الحشوية، وقال: «إن أحداً من علماء السنّة لم يذهب إلى ذلك» وأعجب من ذلك أنه ذكر أن قول الطبرسي بعدم التحريف نشأ من ظهور فساد أصحابه بالتحريف،

---

(١) الدر المنثور ج١/ ١٠٦، الاتقان ج٢/ ٥٤.

(٢) الدر المنثور ج١/ ١٠٦.

فالتجأ هو إلى إنكاره»[1] مع أنك قد عرفت أن القول بعدم التحريف هو المشهور، بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة.

وبالجملة: إنّ نسخ التلاوة باطل وذلك:

لأنه إما أن يكون قد وقع من رسول الله ﷺ، وإما أن يكون ممن تصدّى للزعامة من بعده، فإن أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله فهو أمر يحتاج إلى إثبات، وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، منهم أبو إسحاق الشاطبي[2]، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه، والمشهور عند الظاهريين بإمتناع نسخ الكتاب بالسنَّة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل، بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه[3]، وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبيّ بأخبار هؤلاء الرواة؟ مع أن نسبة النسخ إلى النبيّ ﷺ تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أن الإسقاط قد وقع بعده، وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدّوا للزعامة بعد النبي فهو عين القول بالتحريف الذي يقول به أكثر علماء أهل السنّة[4].

انتهينا هنا من بيان معنى التحريف وأقسامه، والآن نشرع في النقطة التي وعدنا البحث فيها وهي:

صنوف النسخ في القرآن

تمهيد:

طبيعة كل تشريع يهدف الخير لأتباعه أنْ يكون مرناً وسهلاً ليتكيّف أفراده بأجكامه ودساتيره بحيث لا يجعل منهم آلة صمّاء لا شعور لها ولا اختيار، ولأن الصعوبة في التشريعات تستلزم النفور والإعراض، لذا ما من طبيعة أية حركة

---

(١) تفسير روح المعاني ج١/ ٢٤.

(٢) الموافقات للشاطبي ج٣/ ١٠٦.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣/ ٢١٧.

(٤) البيان ص٢٠٦ بتصرف بسيط.

إصلاحية آخذة إلى التقدم وتريد الخير لأتباعها إلاّ ويتوارد على تشريعاتها نسخ متتابع، حسب تدرجها التصاعدي نحو قمة الكمال، تلك طبيعة محتمة لكل حركة إصلاحية أو نظام يبتغي الرفاه الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والسياسي وغير ذلك، فكيف إذا كانت تلك الحركة أو ذاك النظام هو خاتم الحركات الإصلاحية في العالم، ودساتيره أشمل الدساتير المتقدمة عليه، أعني الإسلام حيث استوعب بقوانينه ودساتيره وأحكامه كل الأزمنة، وراعى كل الظروف والأمكنة، وغيّر كثيراً من المفاهيم المعوّجة التي تأصلت في واقع المجتمع الجاهلي آنذاك، وكانت عملية التغيير لتلك الأمة المتوغلة في الضلال، والبعيدة عن معالم الحضارة إلى حدّ كبير، تستلزم التدرج في إصدار الأحكام ليتم انتشالها من واقعها السحيق والانسجام مع سجيتها المتوحشة، إلى واقع جديد سهل سمح، يتعامل بمرونة مع الآخرين ويتأقلم مع مجتمعات ليست من سنخه وعلى منواله.

وطبيعة التدرُّج بالأحكام تستلزم أيضاً طي عقبات ومراحل متلاحقة، بحيث يشمل هذا الطي إلغاء بعض العادات والأحكام التي كانت سائدة في عصر ما قبل الإسلام، أسوة بمن تقدم من الشرائع السابقة على الإسلام، حيث جرت الطريقة الإلهية أن تلغي الشريعة اللاحقة بعض أحكامٍ كانت سائدة في الشريعة السابقة لمصالح اقتضت الظروف إيجادها.

وهكذا استدعت التشريعات الإسلامية نسخاً متتالياً منذ أن ظهرت الدعوة في مكة، وحتى إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة، وقد انتهت شريعة النسخ بوفاة النبيّ ﷺ حيث انقطاع الوحي.

وكانت ظاهرة النسخ أمراً لا بد منه في كل تشريع يحاول تركيز معالمه في الأعماق، والأخذ بيد أمةٍ جاهلة إلى مستوى عالٍ من الحضارة الراقية، الأمر الذي لا يتناسب مع الطفرة المستحيلة، لولا الأناة والسير التدريجي المستمر خطوة بعد خطوة.

وعليه فإن النسخ ضرورة واقعية تتطلبها مصلحة الأمة ذاتها، ولم يكد ينكر ما لهذه الظاهرة الدينية من فائدة وعوائد تعود على الأمّة، وأعظم بها من حكمة إلهية بالغة.

التعريف بالنسخ:

أمّا لغةً: هو تبديل الشيء من الشيء وهو غيره، وبمعنى النقل والتحويل من مكان إلى مكان، ونسخ الشيء بالشيء ينسخه وانتسخه: أزاله به وأداله، والشيء ينسخ الشيء نسخاً أي يزيله ويكون مكانه، ويقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته، ونسخت الكتاب أي نقلته، ونسخ الآية بالآية: إزالة حكمها بها، وفي التنزيل: ﴿۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[1] والآية الثانية ناسخة والأولى منسوخة.

وأمّا اصطلاحاً: هو رفع ثابت في الشريعة بإرتفاع أمره وزمانه، سواء أكان الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية وغير ذلك، والسر في تقييد الرفع بالأمر الثابت في الشريعة ليخرج به ارتفاع الحكم بسبب ارتفاع موضوعه خارجاً كإرتفاع وجوب الصوم بانتهاء شهر رمضان، وارتفاع وجوب الصلاة بخروج وقتها، وارتفاع مالكية شخص لماله بسبب موته، فإن هذا النوع من ارتفاع الحكم لا يسمى نسخاً، ولا إشكال في إمكانه ووقوعه.

أو بعبارة: إن النسخ هو رفع الحكم الثابت السابق الظاهر في الدوام بتشريع لاحق بحيث لولاه لكان ثابتاً ويُظن أبديته مطلقاً سواء أكان الحكم الناسخ والمنسوخ في شريعة واحدة أم في شرائع عدة، كما أن كل شريعة لاحقة تنسخ الشريعة السابقة عليها[2].

فرفع التشريع السابق الذي كان بحسب منظور المكلفين يقتضي الدوام

---

(١) سورة البقرة: ١٠٦.

(٢) الفوائد البهية ج١/ ٣٦٠ الطبعة الثانية.

والاستمرار بتشريع حكمٍ لاحقٍ كان معلوماً عند الله عزّ وجل من أول الأمر، فمثلاً حينما رفع تشريع الاتجاه من بيت المقدس إلى اتجاه الكعبة المشرفة، هذا التحويل كان معلوماً من أول الأمر عنده سبحانه، وإنما شرّع الصلاة إلى بيت المقدس لفترة زمنية معينة امتحاناً للعباد واختياراً لهم حسبما تقتضيه المصلحة، وهذا تماماً كما لو رأى الطبيب أن من مصلحة المريض الامتناع عن شرب الدخان لمدة أسبوع واحد، وأيضاً رأى أن من المصلحة أن لا يعلم المريض بتحديد الوقت، فنهاه عن شرب الدخان على هذا الأساس من غير قيدٍ، وبعد مضي اسبوع أذن له في شرب الدخان، فالمصلحة حينئذٍ تقتضي أن يُرفع المنع من شرب الدخان.

وعلى هذا الأساس ينحصر معنى النسخ في إمحاء ما ظهر من إرادة الدوام، لا إمحاء الإرادة الواقعية مما يستلزم البداء المستحيل عليه تعالى، لأن النسخ بمعناه الباطل أي «الإزالة» الناتجة عن حالة التبدل في الرأي، ونشوء رأي جديد مستحيل عليه تعالى، لأنه على هذا القول يعني أن المشرّع عندما بدّل رأيه السابق إلى رأي جديد ينتج عنه ظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق عثر عليه متأخراً فأبدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للأول.

هذا المعنى للنسخ إنما يختص ويقتصر على المشرعين القانونيين الآدميين ولا يشمل ربّ العالمين الذي كله علم وقدرة ولطف وحكمة، فطبيعة الآدمي الناقص أن يتبدل رأيه لعدم إحاطته بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأمور، كل ذلك يستدعي أن تتبدل معلوماته بين الحين والآخر، وهذا بخلاف الباري العليم الحكيم المحيط بالسرائر والضمائر والظواهر والبواطن، فلديه عزّ وجلّ الإحاطة الحضورية التامة بالواقعيات في طول الزمن وعرضه على حدّ سواء، فمثل هذا يمتنع عليه الخطأ، لأن وقوعه في حقه تعالى دليل نقص وعجز يتنزّه عنهما الباري عزّ وجلّ.

فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخٌ في ظاهره، أما الواقع فلا نسخ فيه أصلاً، وإنما هو حكم مؤقت وتشريع محدود من أول الأمر، وأنه تعالى لم يشرّعه حين

شرّعه إلاّ وهو يعلم أن له أمداً ينتهي إليه، وإنما المصلحة الواقعية اقتضت هذا التشريع المؤقت، وقد شرّعه عزّ وجلّ وفقاً لتلك المصحلة المحدودة من أول الأمر.

من هنا نعرف سرّ علاقة النسخ بالبداء، فإنه لا فرق بينهما سوى أن الأول خاص بالتشريع، والثاني خاص بالتكوين، فالنسخ والبداء بمعناهما الباطل أعني تبدل الرأي أو نشأة رأي جديد ممتنع بالقياس إلى علمه الأزلي، وأما بمعناهما الثاني الصحيح وهو إخفاء الأمر على المكلفين اختباراً وامتحاناً ومصلحة لهم ولطفاً بهم ورحمة، هذا المفهوم لا غبار عليه في الشريعة الإسلامية المقدّسة وضرورة العقل، إذ إنه ظهور شيء بعد خفائه على الناس، حيث يتميّز النسخ عن البداء، أن النسخ عبارة عن ظهور أمد الحكم كان معلوماً عنده تعالى، خافياً على الناس، والبداء ظهور أمرٍ أو أجلٍ من حياة كائن أو موته وما إلى ذلك كان محتّماً عنده تعالى بعلمه الذاتي، ولكنه كان خافياً على الناس، ثم بدا لهم أي ظهرت لهم الحقيقة بعد خفائها عليهم.

ويفترق النسخ عن البداء، أن النسخ شامل للأحكام التشريعية التقنينية من دون استثناء إذا اقتضت المصلحة ذلك، أما البداء فلا يشمل المحتوم وما في اللوح المحفوظ.

وبعبارة: إنّ البداء يقتصر على ما في لوح المحو والإثبات «القدر» دون القضاء المبرم المحتوم أو ما يسمّى بـ«اللوح المحفوظ».

والخلاصة: إن للبداء في التكوين ـ كالنسخ في التشريع ـ معنيين، يكون بأحدهما مستحيلاً بشأنه تعالى، وجائزاً بالمعنى الآخر، وبذلك يفسر قوله تعالى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[1] وغيرها من الآيات. والبداء الذي تقول به الشيعة ـ مستنداً إلى الآية الكريمة ـ هو بذلك المعنى الجائز، نظير النسخ من غير فرق.

---

(١) سورة الرعد: ٣٩.

وما نسبه علماء العامة إلى الشيعة الإمامية من إضافة البداء بمعنى تبدل الرأي ونشوء رأي جديد إنما هو من افتراءاتهم على الشيعة، وليتهم إذ لم يعرفوا مراد الشيعة من البداء تثبّتوا أو توقّفوا كما تفرضه الأمانة في النقل، وكما تقتضيه الحيطة في الحكم، والورع في الدين، وهذه كتب الإمامية الكلامية وغيرها من كتب التفسير والحديث، كلها متفقة على تفسير البداء ـ المسند إلى الله ـ بمعناه الجائز، وهو الظهور للناس بعد خفاء.

ونحن إذ لا نستغرب افتراءات السلف الموجّهة إلى الشيعة، حيث البيئة الغاشمة هي التي وجّهتهم ذاك التوجيه الخاطىء، لكنّا نستغرب جداً من متابعة الخلف ونسجهم على نفس ذلك المنوال المعوّج كالأستاذ الزرقاني والعريضي والرازي ومن لف لفّهم، مشوا على نفس المنهاج الخاطىء من غير تحقيق عن جلي الأمر، وهذه كتب الشيعة مبثوثة بين أيديهم يغفلونها، ويقتصرون على نقل تلكم الافتراءات الظالمة التي سجلها أسلافهم على أثر ضغط من حكومات غاشمة لا تفسح المجال لجلاء الحقيقة التي كانت تعاكس أهدافهم في سياسة الاغتصاب[1].

إذن نحن الإمامية نبرأ إلى الله تعالى ممن نسب إلينا البداء المستحيل على الله تعالى، لذا ورد عن أئمتنا عليهم السلام العديد من النصوص تشير إلى ما ذكرنا، منها ما رواه الصدوق في «إكمال الدين» بإسناده عن أبي بصير وسماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

من زعم أن الله عزّ وجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرأوا منه»[2].

وروى العياشي عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: إن الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب، وقال:

---

(١) نحيل القارىء على كتابنا الفوائد البهية ج١/ ٣٥٤ وما بعدها حيث عرضنا فيه «مسألة البداء» بتفاصيلها الفلسفية الدقيقة فليراجع.

(٢) نقلاً عن البحار، باب البداء والنسخ.

فكل أمر يريده الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، أن الله لا يبدو له من جهل[1].

وروى الطوسي في كتاب «الغيبة» بإسناده عن البزنطي، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال علي بن الحسين، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب قبله، ومحمّد بن علي وجعفر بن محمّد.

«كيف لنا بالحديث مع هذه الآية ﴿يمحو الله ما يشاء﴾ فأما من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشيء إلاّ بعد كونه فقد كفر وخرج عن التوحيد»[2].

والروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام أن الله لم يزل عالماً قبل أن يخلق الخلق، هي فوق حدّ الإحصاء، وقد اتفقت على ذلك كلمة الشيعة الإمامية طبقاً لكتاب الله وسنة رسوله، جرياً على ما يقتضيه حكم العقل الفطري الصحيح.

الفرق بين النسخ والتخصيص:

إطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً على ألسنة الصحابة والتابعين، فكانوا يطلقون على المخصّص والمقيّد لفظ الناسخ، لذا أكثروا القول في عدد الآي المنسوخة، لذا فمن الضروري التفرقة بين النسخ والتخصيص بالقول: إن الأول قطعٌ لإستمرار التشريع السابق بالمرة، بعد أن عمل به المسلمون في فترة من الزمن طويلة أم قصيرة، أما التخصيص فهو قصر الحكم العام على بعض أفراد الموضوع وإخراج البقية عن الشمول، قبل أن يعمل المكلفون بعموم التكليف. فالنسخ اختصاص للحكم ببضع الأزمان، والتخصيص اختصاصه ببعض الأفراد، ذاك تخصيص أزماني، وهذا تخصيص أفرادي ولا يشتبه أحدهما بالآخر. نعم هما يشتركان في جامع هو: ارتكاب خلاف ظاهر كل منهما، حيث كان التشريع الأول ظاهراً بطبعه في الاستمرار، فجاء الناسخ ليزيل هذا التوهم، ويبيّن أن الحكم كان محدوداً من الأول، وإن كان لا يعلم به الناس، وهكذا التخصيص بيان للمراد

---

(١) نقلاً عن نفس المصدر.

(٢) نقلاً عن البحار، باب البداء والنسخ.

الحقيقي من اللفظة الظاهرة بطبعها في العموم، فجاء المخصص كاشفاً عن الواقع المقصود، فكان كل من النسخ والتخصيص أداة كشف عن المراد الحقيقي للمشرّع الأول الحكيم.

شروط النسخ:

حتى نميّز النسخ عن غيره لا بدّ له من شروط هي:

أولاً: كما لو تحقق التنافي بين تشريعين وقعا في القرآن، بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمر، تنافياً ذاتياً، كما في آيات وجوب الصفح مع آيات القتال، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[1].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[2].

أمرت الآية الأولى بالصفح عن المشركين في مكة، حيث كان فيها المؤمنون ضعافاً، بينما أمرت الآية الثانية بالصفح عن أهل الكتاب في بدء الهجرة النبوية حيث لم تلتئم بعد عرى شوكة المسلمين.

فنُسِخَتْ الأولى بالأذن في القتال أولاً ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[3] ثم التحريض عليه ثانياً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ﴾[4] وأخيراً باستئصال المشركين عامة: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[5] وكذا نسخت الآية الثانية بمنابذة أهل الكتاب ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[6].

---

(١) سورة الجاثية: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ١٠٩.

(٣) سورة الحج: ٣٩.

(٤) سورة الأنفال: ٦٥.

(٥) سورة التوبة: ٥.

(٦) سورة التوبة: ٢٩.

لكنّ بعضهم قال: «إن هاتين الآيتين محكمتان، غير منسوختين: أما الأولى فإن مفادها حكم تهذيبي أخلاقي وهو غير مقتصر على المشركين بل يعم المسلمين الذين لا يبالون بدينهم، فالجزاء منهم موكول إلى الله الذي لا يفوته ظلم الظالمين وتفريط المفرطين»[1].

وأما الثانية: «فلا علاقة لها ـ بنظره ـ بالنسخ المصطلح، حيث فيها تلميح بالتوقيت، ولأن أهل الكتاب لا يجوز مقاتلتهم لمجرد أنهم أهل الكتاب إلا مع ضمّ موجب آخر من إقدامهم على حرب المسلمين أو إلقاء الفتنة بينهم أو امتناعهم عن دفع الجزية»[2].

أورد عليه:

«متى كان الإغضاء عن اعتداء معتدٍ غشوم أدباً رفيعاً وخلقاً كريماً؟! وهل كان سكوت المؤمن أمام تجاوز الكافر الملحد صفحاً مجيداً؟

هذا وذاك ضعف ووهن وجبن، الأمر الذي يتنافى وعزة الإيمان، ولا سيّما وكان المصفوح عنهم في الآية «من لا يرجون أيام الله» فكيف يكون الصفح عن مثل هؤلاء الظالمين أدباً وخلقاً إسلامياً نبيلاً! نعم كان سكوت الضعيف أمام القوي والغض عن تعدياته الغاشمة ـ اضطراراً ـ حفظاً على نفسه وعلى إخوانه المؤمنين عن الإبادة والهلاك، الأمر الذي يتناسب مع الأيام التي كان المسلمون في مكة ضعفاء لا يستطيعون المقاومة تجاه المشركين، وكذلك في بدء هجرتهم إلى المدينة، أما بعد قوتهم وازدياد شوكتهم فقد جاء الأمر بمعاملة المعتدين مثلاً بمثل ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3] وفي ذلك تتمثل شوكة المسلمين وعزة جانبهم.

---

(١) الخوئي في البيان ص٣٦٤.

(٢) البيان للخوئي ص٢٨٩.

(٣) سورة البقرة: ١٩٤.

وأما قضية الإشارة إلى التوقيت فلا تنافي النسخ، بعد أن كان الحكم بطبعه صالحاً للبقاء والاستمرار ما لم يأت بيان جديد، وهذا هو النسخ بعينه»[1].

وعليه فالفرق بين المنسوخ والمحدود، أن الثاني ما كان ينتهي بنفس التحديد الذي كان فيه، من غير حاجة إلى بيان جديد، أما إذا كان محتاجاً إلى ذلك، بحيث يبقى مع الأبد ما لم يأت البيان فهو من المنسوخ لا محالة[2].

وأما الأمر بشأن أهل الكتاب فواضح، إذ أمر المسلمون في بادي الأمر بالصفح عنهم رأساً كما ورد في سورة البقرة/ ١٠٩، وهذا الحكم ارتفع بعد ذلك نهائياً بفرض مقاتلتهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون كما في التوبة / ٢٩.

ومن الآيات الناسخة والمنسوخة قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

روى المفسّرون لهذه الآية:

إن عدة المتوفى عنها زوجها في الجاهلية كانت سنة كاملة، وكان إذا مات الرجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئاً ـ بعرة أو ما شاكلها ـ فتقول: البعل (تريد المتجدّد) أهون عليّ من هذه، فلا تكتحل ولا تمشط ولا تتطيب ولا تتزوج إلى سنة، وكان ورثة الميّت لا يخرجونها من بيتها، وكانوا يجرون عليها من تركة زوجها طول تلك السنة، فكان ذلك هو إرثها من مال زوجها المتوفى[4].

وهذه الآية نزلت تقرّر جانباً من هذه العادة إلى أن نُسخت بآية العدد بقوله

---

(١) التمهيد في علوم القرآن ج٢/ ٣١٣ بتصرف بسيط.

(٢) نفس المصدر السابق نقلاً عن مجمع البيان ج٣/ ٢١.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٠ وتسمى بآية الإمتاع.

(٤) بحار الأنوار ج٩٣/ ٧٦ نقلاً عن رسالة أصناف القرآن للنعماني.

تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] وآية المواريث[2] في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾.

قال السيّد عبد الله شبر رحمه الله: هذه الآية ـ أي الامتاع ـ منسوخة بالإجماع[3]. وأقوى دليل على تحقق هذا الإجماع: إن أحداً من فقهاء الأمة سلفاً وخلفاً لم يأخذ بمفاد آية الإمتاع ولم يفت بمضمونها لا فرضاً ولا ندباً، الأمر الذي يدل دلالة واضحة على اتفاقهم أن الآية منسوخة بلا ريب. وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام [4] وعن الإمامين الصادقين عليهما السلام في روايات متضافرة: إنّها منسوخة، نسختها آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشراً.

كل ما تقدم مبنيٌّ على ما لو تحقق التنافي بين تشريعين، وأما في صورة عدم التنافي فلا نسخ حينئذٍ كما في آية الإنفاق ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾[5] وآية الزكاة ﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾[6] فلا

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٤.
(٢) سورة النساء: ١٢.
(٣) تفسيره المختصر، ص٧٦.
(٤) تفسير الصافي ج١/ ٢٠٤.
(٥) سورة البقرة: ٢١٥.
(٦) سورة التوبة: ٦٠.

منافاة بين الآيتين، حيث كانت الأولى ندباً في مطلق الصدقات المستحبة، وكانت الثانية فرضاً في الزكاة الواجبة خاصة.

ثانياً: من شروط النسخ أن يكون التنافي كلياً على الإطلاق، لا جزئياً وفي بعض الجوانب، فإن هذا الثاني تخصيص في الحكم العام، وليس من النسخ في شيء، فآية القواعد من النساء[1]، لا تصلح ناسخة لآية[2] الغض، بعد أن كانت الأولى أخص من الثانية، والخاص لا ينسخ العام، بل يخصصه بما عداه من أفراد الموضوع، وكما في تحليل السمك والجراد لا يكون نسخاً لآية تحريم الميتة[3] حتى ولو فرضنا صدق الميتة على السمك الذي أخرج من الماء حياً فمات، والجراد المأخوذ حياً ثم يموت، فإن هذا تخصيص في الآية على الفرض لا نسخ، أو أنه من باب الحكومة بمعنى أن حلية أكل الجراد والسمك شرعاً من باب حكومة دليليهما على أصل الحرمة.

ثالثاً: أن لا يكون الحكم السابق محدداً بأمد صريح، حيث الحكم بنفسه يرتفع عند انتهاء أمده، من غير حاجة إلى نسخ. فمثل قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[4] لا يصدق عليه النسخ عندما تفيء الباغية وترجع إلى رشدها، والتسليم لحكم الله.

نعم في مثل قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾[5] يصدق النسخ عندما يأتي البيان، لأن التلميح إلى تحديد الحكم معلّقاً على بيان جديد، لا يوجب ارتفاع الحكم إلا بعد أن يأتي حكم جديد، وما لم يأت البيان فالحكم الأول ثابت ومستمر على أحكامه.

---

(١) سورة النور: ٦٠.

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) سورة البقرة: ١٧٣.

(٤) سورة الحجرات: ٩.

(٥) سورة النساء: ١٥.

فالتحديد الذي يتنافى مع النسخ هو ما إذا كان الحكم بنفسه يرتفع بانقضاء الأمد المضروب له من الأول.

رابعاً: أن يتعلق النسخ بالتشريعات أي الفروع والأحكام الشرعية ولا يتناول الأصول والعقيدة كما لا يتعلق بآيات الإخبار فقوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[1] لا يصلح ناسخاً لقوله: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾[2] لأن الآية إخبار عن واقعية لا تتغير بالوجوه والاعتبار. فما توهمه[3] مقاتل بن سليمان يعتبر باطلاً حيث جعل الآية الثانية منسوخة بالأولى.

يرد عليه:

مضافاً إلى ما قلنا آنفاً من أنّه لا نسخ في الأخبار، وإنما هو في الأحكام فإن موضوع الآية الأولى رقم ١٣ هم السابقون المقربون، وموضوع الآية الثانية رقم ٣٩ هو المؤمنون إطلاقاً الذين هم أصحاب اليمين بإزاء أصحاب الشمال.

فإذا ما قيس مؤمنوا هذه الأمة عبر العصور أبدياً حتى قيام الساعة مع مؤمني الأمم السالفة، فقد تكون الفئتان متساويتين من حيث الكم والمقدار أو متقاربتين، ويصح إطلاق «كمية كبيرة» على كلتا الفئتين، وأما إذا قيس حواريوا الأنبياء والأوصياء الماضين ـ وهم السابقون المقربون إلى حواريي نبينا وأوصيائه ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فأولئك عدد جم وهؤلاء عدد ضئيل.

وهكذا الإباحة الأصلية ترتفع بحدوث التشريع من غير أن يكون ذلك نسخاً، حيث تلك الإباحة لم تكن بتشريع، وإنما كانت بحكم العقل الفطري (البراءة العقلية) والتي موضوعها: عدم التشريع، فترتفع بالتشريع.

---

(١) سورة الواقعة: ١٣.

(٢) سورة الواقعة: ٣٩.

(٣) بهامش الجلالين ج٢/ ١٩٧.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[1] لا يصلح ناسخاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[2] لأن جواز القعود مع المشركين قبل نزول آية النساء لم يكن مستفاداً من آية الأنعام، بل كان وفق الإباحة الأصلية، ونزلت آية الأنعام دفعاً لتوهم المسلمين الحظر عليهم، حيث إنّ الذي يكتسبه هؤلاء الخائضون من الإثم لا يحمل إلاّ على أنفسهم ولا يتعداهم إلى غيرهم إلا أن يماثلوهم ويشاركوهم في العمل أو يرضوا بعملهم فلا يحاسب بعمل إلا عامله ولكن نذكّرهم ذكرى لعلهم يتقون، فإن الإنسان إذا حضر مجلسهم وإن أمكنه أن لا يجاريهم فيما يخوضون ولا يرضى بقلبه بعملهم وأمكن أن لا يعد حضوره عندهم إعانة لهم على ظلمهم تأييداً لهم في قولهم لكن مشاهدة الخلاف ومعاينة المعصية تهوّن أمر المعصية عند النفس وتصغّر الخطيئة في عين المشاهد المعاين، وإذا هان أمرها أوشك أن يقع الإنسان فيها، فإن للنفس في كل معصية هوى، ومن الواجب على المتقي بما عنده من التقوى والورع عن محارم الله أن يجتنب مخالفة أهل الهتك والاجتراء على الله كما يجب على المبتلين بذلك الخائضين في آيات الله لئلا تهون عليه الجرأة على الله وآياته، فتقربه ذلك من المعصية فيشرف على الهلكة، ومن يحم حول الحمى أوشك أن يقع فيها.

ومن هذا البيان يظهر:

أولاً: إن نفي الاشتراك في الحساب مع الخائضين عن الذين يتقون فحسب مع أن غير العامل لا يشارك العامل في جزاء عمله إنما هو للإيحاء إلى أن من شاركهم في مجلسهم وقعد إليهم لا يؤمن من مشاركتهم في جزاء عملهم والمؤاخذة بما يؤاخذون به، فالكلام في تقدير قولنا: وما على غير الخائضين في حسابهم من شيء إذا كانوا يتّقون الخوض معهم ولكن إنما ننهاهم على القعود

---

(1) سورة النساء: ١٤٠.

(2) سورة الأنعام: ٦٩.

معهم ليستمرّوا على تقواهم من الخوض أو ليَتِمَّ لهم التقوى والورع عن محارم الله سبحانه.

وثانياً: إنّ المراد بالتقوى في قوله: ﴿وما على الذين يتقون﴾ التقوى العام وهو الاجتناب والتوقّي عن مطلق ما لا يرتضيه الله تعالى، وفي قوله: ﴿لعلّهم يتّقون﴾ التقوى من خصوص معصية الخوض في آيات الله، أو المراد بالتقوى الأول أصل التقوى، وبالثاني تمامه، أو الأول إجمال التقوى والثاني تفصيله بفعلية الانطباق على كل مورد ومنها مورد الخوض في آيات الله، أو أن يكون المراد بالأول تقوى المؤمنين وبالتقوى الثاني تقوى الخائضين، وتقدير الكلام: ولكن ذكّروا الخائضين ذكرى لعلهم يتقون الخوض[1].

وعليه فإن قوله ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾[2] هو ما يريده في سورة الأنعام ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3] فإن سورة الأنعام مكية، وسورة النساء مدنية فيستفاد من إشارة الآية إلى آية الأنعام أن بعض الخطابات وجّه إلى النبيّ خاصة، والمراد بها ما يعم الأمة[4]، من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

خامساً: التحفظ على نفس الموضوع، إذ عندما يتبدل موضوع حكم إلى غيره، فإن الحكم يتغير لا محالة حيث الحكم قيد موضوعه، وليس هذا نسخاً، فكل استثناء أو تخصيص ورد على حكم عام لا يسمى نسخاً.

ومن هذا الباب أيضاً إذا ما طرأ عنوان ثانوي (كالاضطرار والحرج والتقيّة...) يختلف حكمه عن العنوان الذاتي الأولى بحيث يعرّض ـ أي العنوان

---

(١) تفسير الميزان ج٧/ ١٤١.

(٢) سورة النساء: ١٤٠.

(٣) سورة الأنعام: ٦٨.

(٤) تفسير الميزان ج٥/ ١١٥ وج٧/ ١٤٠ـ ١٤١.

الثانوي ـ العنوان الأوّلي كحرمة شرب الخمر مثلاً فيجعله جائزاً بعد أنْ كان بعنوانه الذاتي محرّماً وذلك للاضطرار إلى شربه، وهذا لا يسمّى نسخاً في الاصطلاح نظراً لأن الحكم الأول ثابت للخمر بعنوانها الذاتي ولا يزال، وأما الحكم الثاني العارض فهو طارىء بعنوان الاضطرار، ويرتفع برفع الاضطرار، وهذا من قبيل تبدل الموضوع بالنسبة إلى حالاته الطارئة التي يختلف الحكم الشرعي بحسبها، وعليه فقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[1] ليس ناسخاً لقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[2].

صنوف النسخ في القرآن:

لا خلاف بين المسلمين في وقوع النسخ، سواء أكان في أحكام الشرائع السابقة حيث نسخت بأحكام الشريعة الإسلامية، أم في جملة من أحكام هذه الشريعة حيث نسخت بأحكام أخرى من هذه الشريعة نفسها. بل من المعلوم والمتسالم عليه عند الشرائع السابقة على الإسلام، إن كل شريعة لاحقة كانت تنسخ جملة من أحكام الشريعة السابقة عليها، وها هي صحاح اليهود والنصارى تثبت وقوع النسخ في شريعة موسى وعيسى عليهما السلام، ومن الغريب جداً إصرار اليهود على استحالة النسخ في شريعة موسى، مع أن النسخ قد وقع في موارد كثيرة من كتب العهدين:

١ ـ فقد جاء في الإصحاح الرابع من سفر العدد «عدد ٢، ٣»:

«خذ عدد بني قهات من بين بني لاوي حسب عشائرهم، وبيوت آبائهم من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة، كل داخلٍ في الجند ليعمل عملاً في خيمة الاجتماع».

وقد نسخ هذا الحكم، وجعل مبدأ زمان قبول الخدمة بلوغ خمس وعشرين

---

(١) سورة البقرة: ١٧٣.

(٢) نفس السورة والآية.

سنة بما في الإصحاح الثامن من هذا السفر «عدد ۲۳، ۲٤»: «وكلّم الرب موسى قائلاً هذا ما للاويين من ابن خمس وعشرين سنة فصاعداً، يأتون ليتجندوا جناداً في خدمة خيمة الاجتماع».

ثم نسخ ثانياً: فجعل مبدأ زمان قبول الخدمة بلوغ عشرين سنة بما جاء في الإصحاح الثالث والعشرين من أخبار الأيام الأول «عدد ٢٤، ٣٢»: «هؤلاء بنو لاوي حسب بيوت آبائهم رؤوس الآباء حسب إحصائهم في عدد الأسماء، حسب رؤوسهم عامل العمل لخدمة بيت الرب من ابن عشرين سنة فما فوق . . وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع، وحراسة القدس».

٢ ـ وجاء في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد «عدد ٣ ـ ٧»: «وقل لهم هذا هو الوقود الذي تقرّبون للرّب، خروفان حوليّان صحيحان لكلّ يوم محرقة دائمة، الخروف الواحد تعمله صباحاً والخروف الثاني تعمله بين العشاءين، وعشر الايفة من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرّضّ تقدمة، محرقة دائمة هي المعمولة في جبل سيناء لرائحة سرور وقوداً للرب، وسكيبها ربع الهين للخروف الواحد، في القدس اسكب سكيب مسكر للرب».

وقد نسخ هذا الحكم: وجعلت محرقة كل يوم حمل واحد حولي في كل صباح، وجعلت تقدمته سدس الايفة من الدقيق، وثلث الهين من الزيت، بما جاء في الإصحاح السادس والأربعين من كتاب حزقيال «عدد ١٣ ـ ١٥»: «وتعمل كل يوم محرقة للرب حملاً حولياً صحيحاً صباحاً صباحاً تعمله، وتعمل عليه تقدمة صباحاً صباحاً سدس الايفة، وزيتاً ثلث الهين لرشّ الدقيق تقدمة للرب فريضة أبدية دائمة، ويعملون الحمل والتقدمة والزيت صباحاً صباحاً محرقة دائمة».

٣ ـ وجاء في الإصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد أيضاً: «عدد ٩، ١٠»: «وفي يوم السبت خروفان حوليّان صحيحان، وعُشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمة مع سكيبه، محرقة كل سبت فضلاً عن المحرقة الدائمة وسكيبها».

وقد نسخ هذا الحكم بما جاء في الإصحاح السادس والأربعين من كتاب حزقيال أيضاً «عدد ٤ ـ ٥»: «والمحرقة التي يقرّبها الرئيس للرب في يوم السبت ستة حملان صحيحة، وكبش صحيح، والتقدمة ايفة للكبش، وللحملان تقدمة عطية يده، وهي زيت للايفة».

٤ ـ وجاء في الإصحاح الثلاثين من سفر العدد «عدد٢»: «إذا نذر رجل نذراً للرب، أو أقسم أن يلزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه، حسب كل ما خرج من فمه يفعل».

وقد نسخ جواز الحلف الثابت بحكم التوراة بما جاء في الإصحاح الخامس من إنجيل متى «العهد الجديد عند المسيحيين» عدد ٣٣ ـ ٣٤: «أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث، بل أوفِ للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة».

٥ ـ وجاء في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج «عدد ٢٣ ـ ٢٥»: «وإن حصلت أذية تعطي نفساً بنفس، وعيناً بعين وسناً بسنّ، ويداً بيد ورجلاً برجل، وكيّاً بكيّ وجرحاً بجرح ورضّاً برضّ».

وقد نُسخ هذا الحكم بالنهي عن القصاص في شريعة عيسى بما جاء في الإصحاح الخامس من إنجيل متى «عدد ٣٨»: «سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً».

٦ ـ وجاء في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين «عدد ١٠» في قول الله لإبراهيم: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك، يختن منكم كل ذكر».

وقد جاء في شريعة موسى إمضاء ذلك. ففي الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج «عدد ٤٨ ـ ٤٩»: «وإذا نزل عندك نزيل، وصنع فصحاً للرب فليختن منه

كل ذكر، ثم يتقدم ليصنعه فيكون كمولود الأرض، وأما كل أغلف فلا يأكل منه، تكون شريعة واحدة لمولود الأرض، وللنزيل النازل بينكم».

وجاء في الإصحاح الثاني عشر من سفر اللاويين «عدد ٢ ـ ٣»: «إذا حبلت امرأة، وولدت ذكراً تكون نجسة سبعة أيام كما في أيام طمث علتها تكون نجسة، وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته».

وقد نسخ هذا الحكم، ووضع ثقل الختان عن الأمة المسيحية بما جاء في الإصحاح الخامس عشر من أعمال الرسل «عدد ٢٤ ـ ٣٠»: «وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلّمون الإخوة أنه إنْ لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلُصوا، فلمّا حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتّبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناسٌ آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة. . وكتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايخ والأخوة يهدون سلاماً إلى الأخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسوريّة وكيليكيّة، إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مصلّبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة، لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عمّا ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمّا تفعلون، كونوا معافين».

٧ ـ وجاء في الإصحاح الرابع والعشرين من التثنية «عدد ١ ـ ٣»: «إذا أخذ رجل امرأة وتزوّج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه، لأنّه وجد فيها عيبَ شيء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر، فإن أبغضها الرجلُ الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجلُ الأخيرُ الذي اتخذها له زوجةً، لا يقدر زوجها الأول الذي طلّقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجةً بعد أن تنجست، لأن ذلك رجسٌ لدى الربّ، فلا تجلب خطيّة على الأرض. .».

وقد نسخ الإنجيل ذلك، وحرّم الطلاق بما جاء في الإصحاح الخامس من متى «عدد ٣١ ـ ٣٢»: «وقيل من طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم إن من طلّق امرأته إلاّ لعلة الزنا يجعلها تزني، ومن يتزوّج مطلّقة فإنه يزني».

وجاء مثل ذلك في الإصحاح العاشر من مرقس: «عدد ١١ ـ ١٢»: «فقال لهم من طلّق امرأته وتزوّج بأخرى يزني عليها، وإن طلّقت امرأةٌ زوجها وتزوجت بآخر تزني».

وفي الإصحاح السادس عشر من لوقا «عدد ١٨»: «كلُّ من يطلّق امرأته ويتزوّج بأخرى يزني، وكُلُّ من يتزوّج بمطلّقة من رجل يزني».

هذه نبذة مما ذكره التوراة والإنجيل على صحة وقوع النسخ فيهما، وهناك الكثير أعرضنا عن ذكرها رؤماً للاختصار.

والنسخ في القرآن يتصور على أنواع، نعرضها مع التعقيب على كل نوع بما تقتضيه أداة النقد والتمحيص:

١ ـ نسخ الحكم والتلاوة معاً

وماهيته أن يسقط أو يُحذف من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعي، وكان المسلمون في عهد الرسالة يتداولونها ويقرؤونها ويتعاطون حكمها، ثم نسخت وبطل حكمها ومحيت من صفحة الوجود رأساً.

هذا النوع من النسخ مرفوض عندنا نحن الشيعة الإمامية لا سيّما على مسلك المشهور كما قلنا سابقاً. نعم هو مقبول عند جمهور العامة وإن كانوا يتظاهرون بخلافه، فها هو السيوطي[١] ومعه عبد العظيم الزرقاني[٢] يثبتان هذا النوع من النسخ في القرآن، بحجة مجيئه في حديث صحيح الإسناد إلى عائشة أنها قالت:

---

(١) راجع الاتقان ج٢/ ٤٦.

(٢) مناهل العرفان ج٢/ ٢١٤.

كان فيما أُنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحرِّمن ثم نُسخن: بخمسٍ معلومات، فتوفى رسول الله وهُنّ فيما يُقرأ من القرآن[1].

ليت شعري كيف يلتزم بالتحريف من يتهم الشيعة به، لأن إثبات هذا النوع من النسخ يرجع في واقعه إلى القول بالتحريف بأن تكون آية ذات حكم تشريعي، وكانت تتلى حتى وفاة رسول الله ثم نُسيت، وليس ذلك سوى إسقاط آية بعد وفاته ﷺ، في حين أن الأمر عكس ذلك عند جمهور المسلمين.

نعم استنكر على هذا النوع من النسخ بعض علماء العامة كالزركشي والقاضي أبو بكر في الانتصار. قال الأول: «وقد تكلّموا في قول عائشة: «وهن مما يقرأ» فإن ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك، فمنهم من أجاب بأن المراد قارب الوفاة، والأظهر أن التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاته ﷺ فتوفى وبعض الناس يقرؤها».

وحكى الزركشي عن الثاني ـ أي القاضي أبي بكر ـ إن قوماً أنكروا هذا القسم، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها»[2].

وأنكر السرخسي هذا النوع من النسخ في القرآن، معترضاً على من اعتقد به، راداً الحديث المروي عن عائشة عاداً له من أخبار الآحاد التي لا يعوّل عليها، مع أن الواحدي ممن يعتقد[3] بوقوع هذا النوع من النسخ مستدلاً بما روي عن أبي بكر قال: كنا نقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر» وكذا الشافعي فإنه صحّح ما يروى عن عائشة بشأن عدد الرضعات، قال النووي الدمشقي في هامش صحيح مسلم: «وأما الشافعي وموافقوه فأخذوا بحديث عائشة خمس رضعات معلومات..

---

(١) صحيح مسلم ج١٠/٢٦ كتاب الرضاع، باب ٦. والاتقان ج٢/٤٦ وسنن الترمذي ج٣/٤٥٦.

(٢) البرهان ج٢/٣٩ ـ ٤٠.

(٣) البرهان للزركشي ج٢/٣٩ وأصول السرخسي ج٢/٧٨.

واعترض أصحاب مالك على الشافعية بأن حديث عائشة هذا لا يحتج به..»[1].

وهكذا أبو محمد ابن حزم استدل على هذا النوع من النسخ بما روي عن عائشة أيضاً[2].

قال السرخسي: «وحديث عائشة لا يكاد يصح لأن الراوي قال في ذلك الحديث: وكانت الصحيفة تحت السرير فاشتغلنا بدفن رسول الله فدخل داجن البيت فأكله، ومعلوم أن بهذا لا ينعدم حفظه من القلوب، ولا يتعذر عليهم إثباته في صحيفة أخرى، فعرفنا أنه لا أصل لهذا الحديث»[3].

لكنَّ ذيل حديثه ينقض صدره من حيث نفيه لأصل الحديث تبرئةً منه لساحة عائشة من نسبتها النقص للقرآن، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فحيثما يأتِ الحديث عن كبرائه وساداته كغيره من علماء العامة فإنه يخار بتوجيه كلماتهم ولكنّه وأمثاله عندما تصل النوبة إلى أهل بيت محمّد تراهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا﴾[4].

وهذا النوع مجمع على بطلانه لكونه ثابتاً بأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فكما أن القرآن لا يثبت الخبر الواحد، كذا لا يثبت النسخ بخبر الواحد أيضاً: «لأنّ الأمور المهمة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس ـ لا سيّما كهذه المسألة ـ وانتشار الخبر عنها على فرض وجودها لا تثبت بخبر الواحد، فإن اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على كذب الراوي أو خطئه، وعليه فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم وأمثالها من القرآن، وأنها قد نسخت تلاوتها وبقي حكمها»[5] أو نسخت تلاوتها وحكمها معاً؟!

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٠/٢٦.
(2) المحلى لابن حزم ج١٠/١٥.
(3) أصول السرخسي ج٢/٧٨.
(4) سورة نوح: ٧.
(5) البيان ص٢٨٥.

وحتى ننزه كتاب الله تعالى عن شبهة الحذف والزيادة بأخبار الآحاد، فما لم يتواتر في شأن القرآن إثباتاً وحذفاً لا اعتداد به، ومن هذا الباب نسخ القرآن بأخبار الآحاد.

٢ ـ نسخ التلاوة دون الحكم.

معناه: أن تسقط آية من القرآن الحكيم، كانت تقرأ في عهد النص، وكانت ذات حكم تشريعي، ثم نسيت ومحيت عن صفحة الوجود، لكن حكمها بقي مستمراً غير منسوخ. ومثلوا لذلك بآية الرجم فقالوا: إن هذه الآية كانت من القرآن ثم نسخت تلاوتها وبقي حكمها، أو «كما ادعت عائشة أن خمسة رضعات نسخن العشرة»[١].

وهذا النوع من النسخ أيضاً مرفوض عند الإمامية على غرار النوع الأول بلا فرق، لأن القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف، ومستند هذا القول أخبار آحاد، وأن أخبار الآحاد لا أثر لها في أمثال هذا المقام، وأخبار الآحاد لا تفيد سوى الظن، وأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً.

هذا فضلاً عن منافاته لمصلحة نزول نفس الآية أو الآيات، إذ لو كانت المصلحة التي كانت تقتضي نزولها هي اشتمالها على حكمٍ تشريعي ثابت، فلماذا ترفع الآية وحدها، في حين اقتضاء المصلحة بقاءها لتكون سنداً للحكم الشرعي المذكور. ومن ثمّ فإن الاعتقاد بمثل هذا استدعى تشنيع أعداء الإسلام وتعييرهم على المسلمين في كتابهم المجيد.

لذا فإن هذا القول باطل عندنا ـ معاشر الإمامية ـ رأساً لا مبرر له إطلاقاً، فضلاً عن مساسه بقداسة القرآن الحكيم.

وخالفنا في ذلك جلُّ علماء العامة بما فيهم فقهاء كبار، التزموا بهذا القول

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٠/٢٦.

المستند إلى لفيفٍ من أخبار آحاد زعموها صحيحة الإسناد، وهذا إيثار لكرامة القرآن على حساب روايات لا حجية فيها في هذا المجال، وإن فُرِضَتْ صحيحة الإسناد في مصطلحهم، إذ صحة السند إنما تجدي من فروع مسائل فقهية، لا إذا كانت تمسّ كرامة القرآن وتمهّد السبيل لإدخال الشكوك على كتاب المسلمين.

فها هو الشيخ السرخسي أحد أكابر علماء العامة والمحقّق الأصولي الفقيه عندهم، بينما يشدّد النكير على القائل بالنسخ من النوع الأول، إذا هو يلتزم به في هذا النوع، في حين لا يوجد فرق بينهما فيما ذكره من استدلال لبطلان الأول.

قال: «وأما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فبيانه فيما قال علماؤنا: إن صوم كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابعة، بقراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات» وقد كانت هذه قراءة مشهورة إلى زمن أبي حنيفة، ولكن لم يوجد فيها النقل المتواتر الذي يثبت بمثله القرآن، وابن مسعود لا يشك في عدالته وإتقانه، فلا وجه لذلك إلاّ أن نقول: كان ذلك مما يتلى في القرآن ـ كما حفظه ابن مسعود ـ ثم انتسخت تلاوته في حياة رسول الله بصرف القلوب عن حفظها إلا قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله، فإن خبر الواحد موجب للعمل به، وقراءته لا تكون دون روايته، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق»[1].

وقد وافقه الرأي ثلة من محققي العامة كإبن حزم الأندلسي فقال: «فأما قول من لا يرى الرجم أصلاً فقول مرغوب عنه، لأنه خلاف الثابت عن رسول الله وقد كان نزل به قرآن، ولكنه نُسخ لفظه وبقي حكمه، ـ ثم يروى عن سفيان عن عاصم عن زرـ قال: قال لي أُبي بن كعب: كم تعدون سورة الأحزاب؟ قلت: أما ثلاثاً وسبعين آية أو أربعاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتقارن سورة البقرة أو لهي أطول منها، وإن كان فيها لآية الرجم. قلت: أبا المنذر، وما آية الرجم؟ قال: [إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم].

---

(١) أصول السرخسي ج٢/ ٨١.

قال: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه.

ثم روى بطريق آخر عن منصور عن عاصم عن زر، وقال: فهذا سفيان الثوري ومنصور شهدا على عاصم، وما كذبا، فهما الثقتان الإمامان البدران، وما كذب عاصم على زر، ولا كذب زر على أبي.

قال أبو محمّد: ولكنّها نسخ لفظها وبقي حكمها، ولو لم ينسخ لفظها لاقرأها أبيّ بن كعب زراً بلا شك، ولكنّه أخبره بأنها كانت تعدل سورة البقرة ولم يقل له: إنها تعدل الآن، فصحّ نسخ لفظها.

ثم يروي آية الرجم عن زيد وابن الخطاب ويقول: إسناد جيد. ويروي عن عائشة، قالت: لقد نزلت آية الرجم والرضاعة، فكانتا في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها. قال: وهذا حديث صحيح. وليس هو على ما ظنّوا، لأنّ آية الرجم إذ نزلت حفظت وعرفت وعمل بها رسول الله صلى الله عليه [وآله] إلاّ أنّه لم يكتبها نساخ القرآن في المصاحف، ولا أثبتوا لفظها في القرآن، وقد سأله عمر بن الخطاب ذلك فلم يجبه. فصحّ نسخ لفظها، وبقيت الصحيفة التي كتبت فيها كما قالت عائشة، فأكلها الدّاجن ولا حاجة بأحد إليها[1].

والذي غرّ هؤلاء: إنها أحاديث رويت في الصحاح[2] الستة وغيرها، ولا بدّ لهم ـ وهم متعبدون بما جاء فيها، بل هي بعد كتاب الله عندهم ـ أن يتقبّلوها على علاّتها مهما خالفت أساليب النقد والتحقيق.

قال النووي في تعليقته على قول عمر بن الخطّاب (فكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها..).

---

(١) المحلّى ج١١/٢٣٤.

(٢) صحيح مسلم ج١١/١٥٩ ح١٤٥٢، وصحيح البخاري ج٨/٣٤١ ح٦٨٣٠، والمستدرك ج٤/٣٥٩، مسند أحمد ج١/٢٣ وج٢/٤٣، وسنن الترمذي ج٤/٣٩ وج٣/٤٥٦.

«أراد بآية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، وهذا مما نُسخ لفظه وبقي حكمه، وقد نسخ حكم دون اللفظ وقد وقع نسخهما جميعاً، فما نسخ لفظه ليس له حكم القرآن في تحريمه على الجنب ونحو ذلك، وفي ترك الصحابة كتابة هذه الآية دلالة ظاهرة أن المنسوخ لا يكتب في المصحف وفي إعلان عمر بالرجم وهو على المنبر وسكوت الصحابة وغيرهم من الحاضرين عن مخالفته بالإنكار دليل على ثبوت الرجم، وقد يستدل به على أنه لا يجلد مع الرجم وقد تمتنع دلالته لأنه لم يتعرض للجلد وقد ثبت في القرآن والسنة»[1].

حتى أنه ـ أي النووي ـ عدّ ذلك من كرامات عمر بن الخطاب[2].

هذا.. وقد أكثر جلال الدين السيوطي[3] الأمثلة على النوع واستشهد بروايات ساقطة لإثبات صحة مدّعاه وقد نقلنا فيما تقدّم شيئاً منها؛ وكذا من قبله شيخه بدر الدين الزركشي، وقد أخذها بعض الكتّاب المحدثين أدلة قاطعة من غير تحقيق أمثال الزرقاني في مناهل العرفان حيث عدّ وقوع هذين النوعين من الواضحات لأن الوقوع أعظم دليل على الجواز كما هو مقرر، كما أنه عدّ عدم القول بوقوعهما من مخترعات المعتزلة القائلين بحجية العقل في مسائل كهذه.

وبالجملة: فما تقدّم عن عمر بن الخطاب من زعمه أن آية الرجم كانت موجودة، ثم نُسخت تلاوتها وبقي حكمها، لا يصلح للدليلية على صحة النسخ القرآني لكونه أحد أبرز مصاديق التحريف الذي يتظاهر علماء العامة بعدمه، ثم ينسبونه إلى الإمامية، والإمامية منه براء.

نعم قد تقدّم أن عمر بن الخطّاب أتى بآية الرجم وادّعى أنها من القرآن فلم يقبل قوله المسلمون، لأن نقل هذه الآية المزعومة كان منحصراً به، ولم يثبتوها

---

(١) شرح النووي في هامش صحيح مسلم ج١١/ ١٥٩.

(٢) نفس المصدر ص١٦٠.

(٣) راجع: الاتقان ج٢/ ٥٢ ـ ٥٣.

في المصاحف، فالتزم المتأخرون منهم بل والمتقدمون ـ صوناً لعمر عن التكذيب ـ بأنها آية منسوخة التلاوة باقية الحكم.

٣ ـ نسخ الحكم دون التلاوة

ومعناه أن تبقى الآية ثابتة في الكتاب يقرؤها المسلمون عبر العصور، سوى أنها من ناحية مفادها التشريعي منسوخة، لا يجوز العمل بها بعد مجيء الناسخ القاطع لحكمها.

هذا النوع من النسخ هو المشهور بين العلماء والمفسرين، وكثُر التأليف فيه، وهو في الحقيقة قليل، وإن أكثَرَ بعضُ المؤلفين من تعداد الآيات فيه، وعليه فإن هذا النوع من النسخ متفق على جوازه إمكاناً، وعلى تحققه بالفعل أيضاً حيث توجد في القرآن الكريم آيات منسوخة وآيات ناسخة، ولهذا النوع من النسخ أنحاء ثلاثة، وقع الكلام في إمكان بعضها:

الأول: أن ينسخ الحكم الثابت بالقرآن، بسنةٍ متواترة، أو بإجماع قطعي كاشف عن صدور النسخ عن المعصوم عليه السلام، نظير آية الإمتاع إلى الحول بشأن المتوفى عنها زوجها، فإنها ـ بظاهرها ـ لا تتنافى وآية العدد والمواريث، غير أن السنَّة القطعية وإجماع المسلمين أثبتا نسخها بآية العدد والمواريث، وقد تقدّم الكلام فيها.

إن قيل: كيف ينسخ القرآن بالسنّة والإجماع، مع أنهما ظنيان، والقرآن قطعي؟

قلنا: أن القرآن ينسخ بالسنّة المتواترة لأن العمل بالمتواتر تماماً كالعمل بالخبر الواحد، فإذا جاز أن يكون الخبر الواحد مخصصاً لعموم الكتاب، يسوغ للمتواتر بطريق أولى أن يكون ناسخاً، لأن كلاً منهما بيان وطريق للكشف عن إرادة الشارع المقدّس.

وأما الإجماع فهو كالنصوص، ومرادنا من الإجماع، القطعي منه لا كل

إجماع، لأن الإجماع اجتماع آراء، ولا مجال للرأي في معرفة ملاكات الأحكام، أو نهاية وقت الحسن والقبح. فالإجماع عندنا معشر الإمامية ليس بحجة ما لم يكشف عن رأي المعصوم عليه السلام، ومعنى هذا أن مجرد الاحتمال بخطأ الإجماع يسقطه عن الاعتبار.

الثاني: أن ينسخ مفاد آية بآية أخرى، بحيث تكون الثانية ناظرة إلى مفاد الأولى ورافعة لحكمها بالتنصيص، ولولا ذلك لم يكن موقع لنزول الثانية، وهذا كآية النجوى[1] أوجبت التصدق بين يدي مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله، ونسختها آية الإشفاق ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾[2].

وهذا النحو من النسخ أيضاً لا إشكال فيه.

الثالث: أن تنسخ آية بأخرى من غير أن تكون إحداهما ناظرة إلى الأخرى سوى وجود التنافي بين الآيتين، بحيث لم يمكن الجمع بينهما تشريعاً، فكانت الثانية المتأخرة نزولاً ناسخة للأولى.

ويجب أن يكون التنافي بين الآيتين كلياً ـ على وجه التباين الكلي ـ لا جزئياً وفي بعض الوجوه، لأن الأخير أشبه بالتخصيص منه إلى النسخ المصطلح.

والتنافي ـ على الوجه الكلي ـ لا يمكن القطع به بين آيتين قرآنيتين سوى عن نص معصوم، لأن للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً، وليس من السهل الوقوف على كنه آية مهما كانت محكمة.

وقد أنكر المحقق السيّد الخوئي «رحمه الله تعالى» هذا النحو من النسخ فقال: «والتحقيق أن هذا القسم من النسخ غير واقع في القرآن، كيف وقد قال الله عزّ وجلّ **﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** ولكنّ كثيراً من المفسرين وغيرهم لم يتأملوا حق التأمل في معاني الآيات الكريمة،

---

(١) سورة المجادلة: ١٢.

(٢) سورة المجادلة: ١٣.

فتوهموا وقوع التنافي بين كثير من الآيات، والتزموا لأجله بأن الآية المتأخرة ناسخة لحكم الآية المتقدمة»[1].

يرد عليه:

١ ـ إن الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة، هو ما إذا كان حقيقياً في ظرف الواقع، أما إذا كان شكلياً وفي ظاهر الأمر ـ كما بين الناسخ والمنسوخ ـ فلا تناقضه الآية إطلاقاً. مثلاً يشترط في الاختلاف الحقيقي (التناقض) أمور ثمانية منها: وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلّف أحدها فلا تنافي ولا اختلاف، كما في الناسخ، ظرفه متأخر، وملاكه مصلحة أخرى، تبدلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ[2].

إذن فالتنافي بين الناسخ والمنسوخ بدوي ظاهري، أما بعد التعمق وملاحظة فترتي نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الأولى ثم الثانية، فإن هذا التنافي والاختلاف يرتفع نهائياً.

فالحكم المنسوخ هو في الحقيقة حكم محدود في علم الله من أول تشريعه، غير أن ظاهره الدوام، ومن ثمّ كان التنافي بينه وبين الناسخ المتأخر شكلياً محضاً.

٢ ـ فكما لا يصدق الاختلاف بنظرة على القسم الثاني[3] من النسخ الثابت في القرآن، كذا لا يصدق على القسم الثالث الذي ادّعى السيد الخوئي(قده) عدم وجوده في القرآن الحكيم، مستدلاً على ذلك بالآية[4] الدالة على عدم وجود اختلاف في القرآن، ليت شعري أليس في القرآن متشابه ومحكم، وهما مختلفان من حيث الخصوصيات والحيثيات؟! ومن البديهي أن وجود متشابه ومحكم في القرآن لا ينفي حجيته والعمل به، فكذا وجود الناسخ لا ينفي حجية المنسوخ

---

(١) البيان ص٢٨٧.
(٢) التمهيد في علوم القرآن ج٢/ ٢٩٦.
(٣) البيان ص٢٨٦.
(٤) سورة النساء: ٨٢.

القرآني، إذ رفع الآية الناسخة لحكم الآية المنسوخة لا يلغي كل الخصوصيات المتعلقة بالمنسوخ.

فالنسخ لا يوجب زوال نفس الآية من الوجود وبطلان تحققها، وبالنسخ يزول أثر الشيء من تكليف أو غيره مع بقاء أصله، فالآية المنسوخة ربما كانت ذات جهة واحدة، وربما كانت ذات جهات كثيرة، ونسخها وإزالتها كما يتصور بجهته الواحدة كإهلاكها كذلك يتصور ببعض جهاتها دون بعض إذا كانت ذات جهات كثيرة، فالآية من القرآن تنسخ من حيث حكمها الشرعي وتبقى من حيث بلاغتها وإعجازها ونحو ذلك.

«فالناسخ ينافي المنسوخ بحسب صورته، وإنما يرتفع التناقض بينهما من جهة إشتمال كليهما على المصلحة المشتركة، فإذا توفى نبي وبعث نبي آخر وهما آيتان من آيات الله تعالى أحدهما ناسخ للآخر، كان ذلك جرياناً على ما يقتضيه ناموس الطبيعة من الحياة والموت والرزق والأجل وما يقتضيه اختلاف مصالح العباد بحسب اختلاف الأعصار وتكامل الأفراد من الإنسان، وإذا نسخ حكم ديني بحكم ديني كان الجميع مشتملاً على مصلحة الدين وكل من الحكمين أطبق على مصلحة الوقت، أصلح لحال المؤمنين كحكم العفو في أول الدعوة وليس للمسلمين بعد عدة ولا عدة، وحكم الجهاد بعد ذلك حينما قوي الإسلام، وأعد فيهم ما استطاعوا من قوة وركز الرعب في قلوب الكفار والمشركين، والآيات المنسوخة مع ذلك لا تخلو من إيماء وتلويح إلى النسخ كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[1] المنسوخ بآية القتال، وقوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[2] المنسوخ بآية الجلد فقوله: حتى يأتي الله بأمره، وقوله: **﴿أو يجعل الله لهنّ سبيلاً﴾** لا يخلو عن

(١) سورة البقرة: ١٠٩.
(٢) سورة النساء: ١٥.

إشعار بأن الحكم مؤقت مؤجل سيلحقه نسخ»[1].

النقطة الثانية: شبهات حول النسخ في القرآن الحكيم

هناك شبهات أوردها ناكروا النسخ، فزعموا عدم إمكان النسخ في شريعة الله، وبالتالي عدم وقوعه في القرآن الكريم، وهي شبهات متنوعة، ومختلفة المستوى، أهمها:

الشبهة الأولى:

إن النسخ التشريعي مستحيل بشأنه تعالى كالبداء التكويني، لأنهما عبارة عن نشأة رأي جديد، وعثور على مصلحة كانت خافية في بدء الأمر، والحال أن علمه تعالى أزلي، لا يتبدل له رأي ولا يتجدد له علم، فلا يعقل وقوفه تعالى على خطأ في تشريع قديم لينسخه بتشريع جديد.

والجواب:

إن النسخ كالبداء لكن ليس على معناه الحقيقي الذي هو عبارة عن نشأة رأي جديد، وإنما هو ظهور للناس بعد خفاء عليهم، لمصلحةٍ في هذا الإخفاء في بدء الأمر، فالنتيجة فيهما واحدة وهي الإظهار للناس بعد الخفاء عنهم، وأين هذا من تبدُّل رأيه عزّ وجلّ أو تجدد علمه حسبما أفادت الشبهة؟

فالشارع المقدّس حينما ينشيء حكماً يكون بظاهره دائماً ومستمراً، حسبما ألفه الناس من دوام الأحكام المطلقة، لكنه في الواقع كان من الأول محدوداً بأمد معلوم لديه تعالى، ولم يظهره للناس إلاّ بعد انتهاء الأمد المذكور، لمصلحة في ذلك الإخفاء، وفي هذا الإظهار المتأخر.

قد يقال: لماذا كان تحديدٌ في الأحكام، فإذا كانت في أصل تشريع الحكم مصلحة فلتقضِ الدوام، وإن لم تكن مصلحة فلا مقتضى لأصل التشريع.

---

(١) تفسير الطباطبائي ج١/ ٢٥٣.

جوابه: إن المصالح تختلف حسب الظروف والأحوال، كوصفات طبيب حاذق تختلف حسب اعتوار أحوال المريض واختلاف بيئته والمحيط الذي يعيش فيه، فربّ مصلحة تستدعي تشريعاً متناسباً مع بيئة خاصة وفي مستوى خاص، فإذا تغيرت الواقعية فإن المصلحة تستدعي تبديل تشريع سابق إلى تشريع لاحق يلتئم مع هذا الأخير.

أما لماذا لم ينبّه الشارع تعالى على هذا التحديد من أول الأمر؟

فلعلّ هناك مصلحة مستدعية لهذا الإخفاء، منها توطين نفوس مؤمنة وترويضها على الطاعة والانقياد، ولا سيّما إذا كان التشريع الأول أشد وأصعب، فيتبدل إلى تشريع أسهل وأخف، تسهيلاً على الأمة وتخفيفاً عليهم رحمة من الله تعالى.

الشبهة الثانية:

إن وجود آية منسوخة في القرآن ربما يسبّب اشتباه المكلفين، فيظنونها آية محكمة يعملون بها أو يلتزمون بمفادها، الأمر الذي يكون إغراءً بالجهل، وهو قبيح.

الجواب:

إن خلط الأمر على المكلّفين ليس مبرراً لرفض النسخ من أساسه وإلاّ لأدى وجود المتشابه القرآني وكذا العام والمطلق إلى إنكار المحكم والخاص والمقيّد، مع أنّ أحداً من الفقهاء لم يقل به أبداً.

هذا مضافاً إلى أن مضاعفات جهل كل إنسان تعود إلى نفسه، ولم يكن الجهل يوماً ما عذراً مقبولاً لدى العقلاء، فإذا كانت المصلحة تستدعي نسخ تشريع سابق بتشريع لاحق، فعلى المكلّفين أن ينبّهوا أنفسهم على هذا الاحتمال في التشريع، ولا سيّما إذا كان التشريع في بدء حركة إصلاحية آخذة في التدرُّج نحو الكمال.

وهكذا كان في القرآن ناسخ ومنسوخ وعام وخاص، وإطلاق وتقييد ومحكم ومتشابه، وليس لأحد التسرع إلى الأخذ بآية حتى يعرف نوعيتها، كما ورد التنبيه على ذلك في أحاديث مستفيضة عن أئمة الدين عليهم السلام، قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام لقاضٍ مرّ عليه: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟

فقال القاضي: لا، فقال عليه السلام: إذن هلكت وأهلكت[1].

الشبهة الثالثة:

ما هي الفائدة المتوخاة وراء ثبت آية في المصحف، هي منسوخة الحكم، لتبقى مجرد ألفاظ يلوكها القرّاء عبر القرون؟

الجواب:

١ ـ لا تنحصر فائدة آية قرآنية في الحكم التشريعي فحسب، بل التشريع هدف واحد من أهداف كثيرة ومتنوعة نزل لأجلها القرآن الكريم، فنزول آية في حكم ثم نسخه بآية أخرى لا يلغي ـ حسبما قدّمنا سابقاً ـ كل الخصوصيات الأخرى لا سيّما أن للقرآن ظهوراً وبطوناً متعددة، فإذا انتفى ظهر لا يعني إنتفاء بقية الظهور والبطون.

٢ ـ آيات كثيرة نزلت في ظروف معيّنة، ولمناسبات خاصة وأحداثٍ وقتية لا تعم الأجيال والأعصار، ولا أثر لها ـ فيما عدا الإعجاز والتحدي ـ سوى الدلالة على مراحل اجتازتها الدعوة الإسلامية، والأحداث التي مرت عليها، وهي من أكبر الفوائد الباقية كنصوص تاريخية ثابتة تعيّن لنا مراحل اجتازها سير الزمن في الغابر لتكون عبرة للحاضر والآتي، وهذه الآيات نظير الآيات التي تحدثت عن قصص الماضين وأبلت أخبارهم، ليأخذ المؤمن منها العبرة والعظة.

فالتأمل في مراحل التشريع الإسلامي من مرحلة إلى مرحلة حسب استعداد

---

(١) بحار الأنوار ج٩٢/ ٩٥ والاتقان ج٢/ ٤٤ في «ناسخه ومنسوخه».

الأمة من ضعفٍ إلى قوة، بحيث يشحذ الهمم ويقوّي الأفئدة إلى التسليم والطاعة، وهو من أعظم الفوائد المترتبة على هذه الآيات كما لا يخفى.

الشبهة الرابعة:

وهي أن الالتزام بوجود آيات ناسخة وأخرى منسوخة يستدعي وجود تنافٍ بين آياته الكريمة، الأمر الذي يناقضه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[1]، وبهذه الشبهة تمسّك صاحب البيان[2] لنكران وجود نسخ كهذا في القرآن الكريم.

وقد تقدمت الإجابة عنها ولله الحمد.

فالصحيح ـ إذن ـ أن المشهور عند العامة هو القول بالتحريف لأن نسخ التلاوة هو نفسه القول بالتحريف، وعليه فاشتهار القول بوقوع النسخ في التلاوة ـ عند علماء العامة ـ يستلزم اشتهار القول بالتحريف.

---

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) السيد الخوئي.

قال العبّاسي: هذا كذب صريح.

قال العلويّ: ألم تروا في كتبكم أنه نزلت على رسول الله آيات حول «الغرانيق» ثم نسخت تلك الآيات وحذفت من القرآن؟

قال الملك للوزير: وهل صحيح ما يدّعيه العلوي؟

قال الوزير: نعم هكذا ذكر المفسرون[١].

---

(١) ذكر ثلةٌ من مفسري العامة ومؤرخيهم قصة «الغرانيق»[١] منهم الطبري والسيوطي والزمخشري والرازي، وها نحن نعرض هذه الأسطورة من كتب العامة حيث يغضون الطرف عن مساوىء نسبوها إلى رسول الله ﷺ، بينما يتعمّقون ببهت الشيعة وتكفيرهم، بل يتعمّد بعض رعاعهم ـ ممن ينسبون للعلم وهم في الواقع أدعياؤه ـ إلى الافتراء علينا نحن معشر الإمامية بما منه برآء مع أنّ تنزيه نبيّنا محمّد عن كل نقصٍ وسيئة هو من صلب عقيدتنا الدينية، ونحاول جاهدين أن نقنع الآخرين بها، لكننا لا نجد آذاناً صاغية إلا قليلاً ممن ألقى السمع وهو شهيد، وكيف يمكننا أن نصلح ما أفسده الدهر وصدق الشاعر إذ يقول:

عجوز تمنت أن تكون فتية ... وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر

فجاءت إلى العطّار تبغي شبابها ... وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وجذور هذه الأسطورة هم اليهود، حيث عمد فريقٌ منهم أمثال كعب الأحبار

---

(١) «الغرانيق» جمع، مفرده «غرنوق» وهو طائر مائي من فصيلة الكُركيات، عريض الجناح طويل الساق، أو الشاب الأبيض الناعم الجميل، قال ابن الأنباري: «الغرانيق»: الذكور من الطير، واحدها غرنوق، سمي به لبياضه، وقيل: هو الكُرْكي كانوا يزعمون أن الأصنام تقرّبهم من الله عز وجل وتشفع لهم إليه، فشبّهت بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء. لاحظ لسان العرب ج١٠/ ٢٨٧ مادة غرنق.

إذ تظاهروا باعتناق الإسلام ليحرّفوا الحقائق باختلاق الأكاذيب والافتراء على الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

ولقد أدرج بعض علماء العامة هذه المفتريات في مؤلفاتهم، وجعلوها في عداد الحديث والتاريخ الصحيح من دون تمحيص وتدقيق وتحقق، ثقة بكل من أظهر الإسلام، وتظاهر بالإيمان وانضم إلى صفوف المسلمين، فوثقوا بالشارد والوارد إلا بالشيعة الإمامية لم يثقوا بهم ولم يطمأنوا إلى مروياتهم، وكل ذنبنا أننا موالون لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعترته الطاهرة. وهناك سبب آخر جعل العامة يثقون بأحاديث كعب وأمثاله هو أن الأشاعرة لا يعتقدون بالحسن والقبح العقليين[1]، بل الحسن ـ عندهم ـ ما أمر به الشارع المقدّس، والقبيح ما نهى عنه. وها نحن نذكر ما رواه هؤلاء:

١ ـ قال الطبري: لقي الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمية ابن خلف رسول الله فقالوا يا محمّد هلمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيراً مما في أيدينا كنا قد شركناك فيه.. فأنزل الله عزّ وجلّ: قل يا أيُّها الكافرون حتى انقضت السورة فكان رسول الله حريصاً على صلاح قومه، محبّاً مقاربتهم بما وجد إليه السبيل، قد ذكر أنه تمنّى السبيل إلى مقاربتهم فكان من أمره في ذلك، ما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، قال حدثني محمّد بن إسحاق عن يزيد بن زياد المدني، عن محمّد بن كعب القرظي قال:

لما رأى رسول الله تولي قومه عنه، وشق عليه ما يرى من مباعدتهم ما جاءهم به من الله تمنّى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه، وكان يسره مع حبه قومه وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم حتى حدّث بذلك نفسه وتمناه وأحبه فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**والنجم إذا هوى ما ضل**

(١) فصّلنا ذلك في كتاب «الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية» فليراجع.

صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ـ فلما انتهى إلى قوله ـ أفرأيتم اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدّث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهنّ ترتضى، فلما سمعت ذلك قريش فرحوا وسرّهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم فأصاخوا له، والمؤمنون مصدقون نبيّهم فيما جاءهم به عن ربهم ولا يتهمونه على خطأ ولا وهْم ولا زلل فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة سجد فيها فسجد المسلمون بسجود نبيهم تصديقاً لما جاء به واتباعاً لأمره، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم لمّا سمعوا من ذكر آلهتهم فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلاّ سجد إلاّ الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً فلم يستطع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ثم تفرق الناس من المسجد، وخرجت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم يقولون قد ذكر محمّد آلهتنا بأحسن الذكر قد زعم فيما يتلو إنها الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتضى، وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله وقيل أسلمت قريش فنهض منهم رجال وتخلّف آخرون وأتى جبريل رسول الله فقال: يا محمّد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عزّ وجلّ وقلت ما لم يقل لك، فحزن رسول الله عند ذلك حزناً شديداً وخاف من الله خوفاً كثيراً فأنزل الله عزّ وجلّ وكان به رحيماً يُعزّيه ويخفّض عليه الأمر ويخبره أنه لم يك قبله نبي ولا رسول تمنى كما تمنّى ولا أحب كما أحب إلاّ والشيطان قد ألقى في أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه [وآله] وسلّم فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته أي فإنما أنت كبعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾[1] فأذهب الله عزّ وجلّ عن نبيّه الحزن وآمنه من الذي كان يخاف ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق العلى وإن شفاعتهن

---

(١) سورة الحج: ٥٢.

ترتضى بقول الله عزّ وجلّ حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى**﴾ أي عوجاء ﴿**إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ـ إلى قوله ـ لمن يشاء ويرضى**﴾ أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده فلما جاء من الله ما نسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه، قالت قريش ندم محمّد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله فغيّر ذلك بغيره وكان ذانك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه . . »[1].

٢ ـ وقال أيضاً حدثني القاسم بن الحسن قال: حدثنا الحسين بن داود، قال حدثني حجاج عن أبي معشر عن محمّد بن كعب القرظي ومحمّد بن قيس قالا: جلس رسول الله في ناد من أندية قريش كثير أهله فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ فقرأها رسول الله حتى إذا بلغ ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**﴾ ألقى الشيطان عليه كلمتين تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهنّ لتُرجى فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد في آخر السورة وسجد القوم معه جميعاً، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود فرضوا بما تكلم به، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت وهو الذي يخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإذا جعلت لها نصيباً فنحن معك، قالا فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة فلمّا بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره ـ إلى قوله ـ ثم لا تجد لك علينا نصيراً**﴾ فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ـ إلى قوله ـ والله عليم حكيم**﴾ قال فسمع من

(١) تاريخ الطبري ج٢/ ٧٥ـ٧٦.

كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ثم قام . . »[1].

٣ ـ وقال الشيخ جلال الدين السيوطي: وأخرج عبد بن حميد من طريق السدي، عن أبي صالح قال: قام رسول الله فقال المشركون: إن ذكر آلهتنا بخير، ذكرنا إلهه بخير فـ **﴿ألقى الشيطان في أمنيته﴾ ﴿أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى﴾** [إنهن لفي الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى]. قال: فأنزل الله **﴿وما أرسلناك من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾** فقال ابن عباس: إن أمنيته أن يسلم قومه[2].

٤ ـ وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال:

إنّ رسول الله قرأ **﴿أفرأيتم اللاّت والعزّى ومناة الثالثة الأخرى﴾** «تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى» ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل فقال: إقرأ عليّ ما جئتك به، فقرأ **﴿أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى﴾** تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهنّ لترتجى، فقال: ما أتيتك بهذا! هذا من الشيطان، فأنزل الله **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلاّ إذا تمنى﴾**[3] إلى آخر الآية.

٥ ـ وأخرج ابن جرير، عن الضحاك: أن النبيّ ﷺ وهو بمكة أنزل عليه في آلهة العرب، فجعل يتلو اللات والعزّى ويكثر ترديدها، فسمعه أهل مكة وهو يذكر آلهتهم، ففرحوا بذلك ودنوا يسمعون، فألقى الشيطان في تلاوته: تلك الغرانيق

(١) تاريخ الطبري ج٢/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) تفسير الدر المنثور ج٤/ ٦٦١ سورة الحج: ٥٢.

(٣) تفسير الدر المنثور ج٤/ ٦٦١.

العلى منها الشفاعة ترتجى، فقرأها النبيّ كذلك، فأنزل الله ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ إلى قوله ﴿حكيم﴾[1].

ثم ساق السيوطي على نسق ما تقدم جماً وفيراً من النصوص من طريق مجاهد، والسدي، وعكرمة وعروة وابن شهاب وقتادة وأبي العالية وابن المنذر وابن جريج وابن عبّاس وعبد الرحمن بن الحارث، كما أخرج من طريق الكلبي وابن جرير والبزار والطبراني وابن مردويه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور والبيهقي في الدلائل والطبراني.

٦ ـ وقال الجصّاص[2]:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآية.

روى عن ابن عبّاس، وسعيد بن جبير، والضحاك، ومحمّد بن كعب، ومحمّد ابن قيس، أنّ السبب في نزول هذه الآية أنه لما تلى النبيّ ﷺ ﴿أفرأيتم اللات والعزّى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: «تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهنّ لترتجى».

٧ ـ وقال النيسابوري: «قال عامة المفسّرين في سبب نزول هذه الآية: أنه صلّى الله عليه وسلّم لمّا شق عليه إعراض قومه عنه تمنّى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينفّرهم لحرصه على إيمانهم، وكان ذات يوم جالساً في نادٍ من أنديتهم وقد نزل عليه سورة النجم إذا هوى فأخذ يقرؤها عليهم حتّى بلغ قوله: أفرأيتم اللاّت والعزّى، ومناة الثالثة الأخرى، وكان ذلك التمنّي في نفسه فجرى على لسانه: «تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى» فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله في قراءته حتى ختم السورة فلمّا سجد في آخرها، سجد معه جميع من

---

(١) نفس المصدر ج٤/ ٦٦٢.

(٢) أحكام القرآن للجصّاص ج٣/ ٢٤٦ طبعة اوفست لاهور/ باكستان.

في النادي من المسلمين والمشركين فتفرقت قريش مسرورين وقالوا: قد ذكر محمّد آلهتنا بأحسن الذكر[1].

٨ ـ قال الزمخشري: «والسبب في نزول هذه الآية ﴿وما أرسلناك من قبلك من رسول..﴾ إن رسول الله لمّا أعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به: تمنّى لفرط ضجره من أعراضهم ولحرصه وتهالكه على إسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم، لعله يتخذ ذلك طريقاً إلى استمالتهم واستنزالهم عن غيّهم وعنادهم، فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة (والنجم) وهو في نادي قومه، وذلك التمنى في نفسه، فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله (ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان في أمنيته التي تمناها أي: وسوس إليه بما شيعها به، فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط إلى أن قال: تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهنّ لترتجى. وروي: الغرانقة، ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه، وقيل: نبهه جبريل عليه السلام، أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس، فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم، وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء...»[2].

وروى أسطورة الغرانيق غير ما قدمناه[3]، ونسبها الرازي إلى عامة المفسرين الظاهريين[4].

هذه هي خلاصة أسطورة «الغرانيق» التي أوردها ـ ليس الطبري فحسب ـ بل عامة المفسرين الظاهريين بل والمؤرخين أيضاً، وبات يرددها المستشرقون المغرضون، فاتخذوها ذريعة لضرب الإسلام وللتشكيك بمعتقداته، لا سيّما بالقرآن الكريم مصدر التشريع والتقنين عند المسلمين، فإذا سهُل النيل منه، نالوا

---

(١) تفسر غرائب القرآن للنيسابوري ج١٧/ ١٠٤ بهامش تفسير الطبري، طبع بولاق ـ مصر.
(٢) تفسير الكشاف ج٣/ ١٦١، سورة الحج: ٥٢.
(٣) أمثال: الشربيني في تفسيره السراج المنير ج٣/ ٥٥٩، وتفسير الطبري: جامع البيان ج٩/ ١٧٣.
(٤) تفسير الرازي ج٢٣/ ٥٠ سورة الحج.

من اتباعه من خلال التشكيك بالقرآن ككتاب سماوي نزل به روح القدس من رب العالمين على قلب رسول الرحمة محمّد ﷺ، وبالفعل بدأت هذه الحملات تطأ بأذيالها بين الحين والآخر، وآخرها ما نفثه سلمان رشدي عليه اللعنة حيث نسب إلى رسول الله ما نسبه السيوطي والطبري وأمثالهما، فقد ادّعى المذكور أن ما نزل على النبي إنما هو آيات شيطانية تلاها الشيطان على النبيّ، معتمداً في كتابه «آيات شيطانية» على ظواهر بعض الآيات المتشابهات كآية ٥٢ من سورة الحج وغيرها، وبما رواه علماء العامّة من أن النبيّ تلا «تلك الغرانيق العلى» وتبعه على ذلك جرجس سال في كتابه: مدّعياً أن: «محمّداً نفسه جاء بكلام يضاهي في فصاحته كلام القرآن وذلك أنه قرأ ذات يوم سورة النجم التي ادّعى أنها نزلت عليه فلما بلغ منها إلى قوله ﴿أفرأيتم اللات والعزّى..﴾ بدره لسانه فقال: تلك الغرانيق..»[1].

ولنفرض أن سيّدنا محمّداً لم يكن نبيّاً مرسلاً، ولكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاءه وحنكته وفطنته وعقله، وهل لعاقل فطن، محنّك لبيب مثله أن يفعل مثل هذا؟

إن الذكي اللبيب الذي يجد أنصاره يتكاثرون ويتزايدون يوماً بعد يوم، وتقوى صفوفهم أكثر فأكثر، بينما تتفرق صفوف أعدائه ومناوئه ويتناقص معارضوه وخصومه، هل يقدم في مثل هذه الحالة على عمل يوجب أن يسيء الجميع ظنهم به، ويشك الصديق والعدو في أمره؟

العقلاء لا يصدّقون أن رجلاً ترك جميع المناصب والأموال التي عرضتها قريش عليه، في سبيل التنازل عن عقيدته ودينه أن يصبح دفعةً واحدة من دعاة الشرك، بل ومن المروجين للوثنية!!

إننا لن نصدّق بمثل هذا الاحتمال في حق مصلح أو سياسي محنّك من الساسة والمصلحين فكيف برسول الله ونبيه العظيم؟!

---

(١) أسرار عن القرآن ص٤٨ تعريب وتذييل: هاشم العربي.

● **أسطورة الغرانيق باطلة.**

إن أسطورة الغرانيق باطلة ومردودة بوجوه:

الأول: حكم العقل بضرورة عصمة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام عن أي خطأ وزلل بقوة ملكوتية، إذ لو تعرّض مثل هؤلاء إلى الخطأ والسهو والزلل في أمور الدين وشؤونهم العادية، لزالت ثقة الناس بهم وبكلامهم، وقد أسهبنا بذكر الأدلة على عصمتهم في كل الشؤون التبليغية وغيرها في البحوث السابقة فلا نعيد.

ومن المسلّم أن عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تمنعه وتحفظه من أي نوع من هذه الحوادث في تبليغ رسالته السماوية.

والقصة المزعومة تثبت السهو لرسول الله في القراءة وهي نوع تبليغ للوحي قد قامت الأدلة العقلية والنقلية على قبحه.

أما العقل: فلأنه صلى الله عليه وآله لو سهى في التبليغ ـ أي القراءة هنا ـ لم يأمن عليه السهو في تبليغ الوحي للآخرين ـ أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيصال الأحكام إلى المكلّفين ـ فينهى عن المعروف ويأمر بالمنكر سهواً، أو يقلب الحلال إلى الحرام وبالعكس سهواً، وكل ذلك باطل صدوره منه عليه السلام.

مضافاً إلى ذلك فإن السهو في تبليغ الوحي مجمع على بطلانه في حق الأنبياء والمرسلين والأولياء عليهم السلام فيكون منفياً عنه صلى الله عليه وآله.

وأما الشرع: فلقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[1] وقوله ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[3].

---

(١) سورة الأعلى: ٦.

(٢) سورة الإسراء: ٧٣.

(٣) سورة الإسراء: ٧٤.

وكلمة «لولا» تفيد إنتفاء الشيء لانتفاء غيره، فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل وقراءته ﷺ ـ كما يزعمون ـ وفرح المشركين بذلك يعدّ ركوناً إليهم وهو منهيٌ عنه، فيقبح صدوره من النبي لأنه يخل بفائدة البعثة.

الثاني: كيف يعظّم الرسول الأوثان، وقد كفّر اللهُ تعالى من عظّمها، هذا مع أن الضرورة قاضية إن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، فلو صدر منه ما إليه نسبوه لأغرى الناس بالقبيح وهو بحكم العقل يُعتبر قبيحاً يتنزه عنه النبيّ، مع التأكيد على أن صدور مثل ذلك يُخل بفائدة بعثته لا يصح صدوره منه.

الثالث: إن هذه الأسطورة تقوم أساساً على أن النبيّ قد تعب من أداء مهمّته التي ألقاها الله سبحانه عليه، وقد شقّ عليه ابتعاد الوثنيين عنه، فكان يبحث عن مخلص من هذا الوضع المتعِب، يكون طريقاً ـ حسب تصوره ـ إلى إصلاح وضعهم!!

ولكنّ العقل يقضي بأن على الأنبياء أن يكونوا صابرين حلماء أكثر مما يتصور، وأن يكونوا مضرب المثل عند الجميع في ذلك، فلا يحدّثوا أنفسهم بالتهرب من المسؤولية مهما اشتدت الظروف، وتأزمت الأحوال والأمور.

بينما لو صحت هذه الأسطورة لقضت على حكم العقل السليم في حق الأنبياء وأن عليهم الصبر والثبات والاستقامة، مضافاً إلى أن ذلك لا يتفق مع ما عهدناه من رسول الله من الصدق بالقول والأمانة في النقل والدقة في الكلام.

الرابع: إن الآيات التي وقعت بعد الجملتين المضافتين، شاهد صدق على كذب الرواية، وذلك لأن قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾[1].

هذه الآية الشريفة تندد بالمشركين لاعتقادهم بالأوثان، بل وتعنّف بآلهة

---

(١) سورة النجم: ٢٢ ـ ٢٣.

المشركين، فكيف رضي الوليد بن المغيرة عن رسول الله هذا الثناء القصير، وغفل عن الآيات اللاحقة التي نددت بآلهتهم؟!!

أوليس هنا دليلاً ساطعاً على أن جاعل القصة من الوضاعين الكذابين حيث افتعل القصة في موضع غفل عن أنه ليس محلاً لها؟!

الخامس: إن الله جلّ وعزّ وصف في صدر السورة المباركة نبيّه الأكرم بقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى﴾، هنا نسأل: كيف يصح بأنْ يُنسَب له عزّ وجلّ أن يصف رسوله الكريم في أول السورة بهذا الوصف ثم يبدر من نبيه ما ينافي هذا التوصيف، وفي وسعه تعالى صون نبيه عن الانزلاق الخطر وهو الاعتراف بآلهة المشركين، مضافاً إلى أن الجملتين الزائدتين اللتين أُلصقتا بالآيات كذباً وزوراً، تكذّبها سائر الآيات الدالة على صيانة النبيّ ﷺ عن الخطأ والسهو والنسيان في مقام الوحي، والتحفظ عليه، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[2] ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾[3].

السادس: لو كان كما ذكر القوم من أن الشيطان ألقى على لسانه، لدل على أن الشيطان أجبر النبيّ، وهذا باطل، وذلك:

أولاً: أنه لو قدر على النبيّ ﷺ في ذلك لكان اقتداره علينا أكثر، فوجب أن يزيل الشيطانُ الناس عن الدين، ولجاز في أكثر ما يتكلم به الواحد منا أن يكون ذلك بإجبار إبليس.

ثانياً: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي

---

(١) سورة الجن: ٢٧.

(٢) سورة الحاقة: ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) سورة الفرقان: ٣٢.

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[3].

ولمّا لم يكن للشيطان ولاية بالخطأ والسهو والنسيان وما شابه ذلك على المخلَصين فكيف يصح أن يقال أن الشيطان أجرى على لسان النبيّ تينك الكلمتين، أليس ذاك إغواءً من إبليس لأعظم مخلص في عالم الإمكان، وقد أخذ الله المواثيق على الأنبياء والمرسلين بالإيمان به والتصديق بما سيجيء منه؟!

فإذا لم تكن للشيطان ولاية على المخلصين، فلا أحد يشك أن سيّد ولد آدم محمّد ﷺ أنه سيّد المخلصين مطلقاً.

السابع: قوله تعالى: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التي تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس القرآن بما ليس بقرآن، فالأولى أنْ يمنع الشيطان ذلك من الأصل حتى لا يوقع المكلّفين في الشبهة.

بهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة، اختلقها أعداء الرسالة لينقّصوا من شخصية رسول الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وعليه فيكون المقصود من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ

---

(١) سورة إبراهيم: ٢٢.

(٢) سورة النحل: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) سورة ص: ٨٢ ـ ٨٣.

إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾[1] هو أن الأنبياء والمرسلين يحبون هداية أممهم، ونشر دينهم وتعاليمهم فيها، فكانوا يخططون ـ طبقاً للأسباب الظاهرية ـ خططاً لتحقيق أهدافهم هذه، ولم يكن الرسول محمّد مستثنى عن هذه القاعدة العقلائية، فقد كان يخطط لتحقيق أهدافه أو أنه يتمنى أن تنفذ كل مخططاته ومشاريعه وأمنياته لكنّ إبليس اللعين وأعوانه من الجن والإنس كانوا يضعون العراقيل والموانع أمام الأنبياء والمرسلين والأولياء، ليمنعوهم من الوصول إلى غاياتهم وأهدافهم.

وبالجملة: فقصة الغرانيق كذب وافتراء على رسول الله، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.



(١) سورة الحج: ٥٢ ـ ٥٣.

قال الملك: فكيف يُعتمد على قرآن محرّف؟

قال العلوي: إعلم أيُّها الملك إنّا لا نقول بهذا الشيء وإنما هذه مقالة أهل السُنّة، وعلى هذا فالقرآن عندنا معتمد عليه لكنَّ القرآن عند السُنّة لا يمكن الاعتماد عليه!

قال العبّاسي:

وقد وردت بعض الأحاديث في كتبكم وعن علمائكم[1]؟

قال العلوي:

تلك الأحاديث أولاً: قليلة، وثانياً: هي موضوعة ومزوّرة وضعها أعداء الشيعة لتشويه سمعة الشيعة، وثالثاً: رواتها وأسنادها غير صحيحة، وما نقل عن بعض العلماء، فلا يعتمد على كلامهم، وإنما علماؤنا الذين نعتمد عليهم لا يقولون بالتحريف، ولا يذكرون كما تذكرون أنتم حيث تقولون إن الله أنزل آيات في مدح الأصنام، وحاشاه ذلك: «تلك الغرانيق العُلى منها الشفاعة ترتجى».

قال الملك: دعوا هذا الكلام وتكلّموا في غيره.

قال العلوي: والسُنَّة ينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق بجلال شأنه.

قال العبّاسي: مثل ماذا؟

---

(١) قد عرفت ـ أخي القارئ ـ بما سبق من بحوث أن القول بعدم التحريف هو المتسالم عليه عند الشيعة الإمامية، والقائل بالنقص قليل لا يعبّر عن رأي طائفة بأسرها.

قال العلوي: مثل أنهم يقولون: إنّ الله جسم[1].

---

(١) إتفقت كلمة المسلمين الشيعة الإمامية «أيدهم المولى عزّ وجلّ» على أن الله ليس بجسم، ويستحيل اتصافه تعالى بالآلات الجسمانية كالشم والذوق وبقية الحواس التي يتصف بها المخلوق، وكذا يستحيل إتصافه تعالى بباقي الأعراض المفتقرة إلى الأجسام كالألوان والأضواء وغيرهما؛ ودليلنا على الاستحالة: إن الضرورة قاضيةٌ بأن كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون، وأنهما حادثان، وأن كل حادث مفتقر إلى مُحْدِثٍ وموجِدٍ، فيكون واجبُ الوجود ـ على فرض كونه جسماً ـ مفتقراً إلى مؤثر فيكون ممكناً فلا يكون واجباً، وقد فُرض أنه واجب.

وخالفنا في ذلك أكثر الأشاعرة، لا سيّما الحنابلة منهم، حيث إن من معتقداتهم القول بالتجسيم وأن الله تعالى جسمٌ يجلس على العرش ويفضل عنه من كل جانب ستة أشبار بشبره وأنه ينزل في كل ليلة جمعة على حمار وينادي إلى الصباح: هل من تائب، هل من مستغفر؟

وحملوا آيات التشبيه على ظواهرها دون أن يلجأوا إلى التأويل، فالآيات التي ذُكر فيها الاستواء والوجه واليدان والجنب والمجيء والإتيان والفوقية وغير ذلك، حملوها على ظاهرها من دون حاجة إلى تأويل، وصرفٍ عن ظاهر اللفظ.

وأيضاً حملوا الأخبار على ظواهرها من دون تأويل، فقالوا: إن قول النبيّ ﷺ: «خلق الله آدم على صورته».

وقوله ﷺ: «إن النار تزفر، وتتغيّظ تغيظاً شديداً فلا تسكن حتى يضع الله قدمه فيها، فتقول: قط، قط إي: حسبي، حسبي».

وقوله: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان».

وقوله: «خمّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً».

وقوله: «وضع يده أو كفّه على كتفي حتى وجدتُ برد أنامله على كتفي» كلها أخبار حقيقية ـ بنظرهم ـ وليست مجازية تُحمل على غير ظاهرها. وزادوا في الأخبار أكاذيب نسبوها إلى رسول الله ﷺ، وأكثرها مقتبسة من أخبار اليهود والنصارى فإن التشبيه فيهم طباع، حتى قالوا: «اشتكت عيناه ـ أي عينيّ الله سبحانه وتعالى عمّا يقولون ـ فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأن العرش ليئط[1] من تحته كأطيط الرّحل الحديد وأنه ليفضل من كل جانب أربع أصابع»[2].

وقد تمادى بعضهم فقال: «إن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض.. وحكى عن داود الجواربي أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمّا وراء ذلك، وقال: إن معبوده جسم ولحم ودم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين وأذنين.. وقال أيضاً: إن ربّه أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ما سوى ذلك، وأن له وفرة سوداء وله شعر قطط»[3].

إلى غير ذلك من المعتقدات الباطلة التي يردّها حكم العقل السليم القائل بأن الله تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها.

قال الشهرستاني: «إن جماعة كثيرة من السلف يثبتون صفات خبرية مثل اليدين والوجه، ولا يؤولون ذلك.. ثم إن جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا لا بُدّ من إجرائها على ظاهرها، فوقعوا في التشبيه الصرف.. ولقد كان التشبيه صرفاً خالصاً في اليهود.

وقال من توقف في التأويل: عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى ليس كمثله شيء فلا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء منها، وقطعنا بذلك إلاّ أنا

---

(١) الأط: إحداث الصوت من ثقل ما يحمل.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١/ ١٠٦، ط/ دار المعرفة.

(٣) المصدر نفسه ج١/ ١٠٥.

نعرف معنى اللفظ الوارد فيه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[2] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[3] ولسنا بمكلّفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها»[4].

والأغرب من ذلك سكوت الشهرستاني عمّن شبّه الخالق بالمخلوق، كمالك بن أنس، وهجومه على بعض الغلاة من الشيعة الواقفية لا الإمامية، وليس معنى ذلك إلاّ لإظهاره النصب والعداوة على بعض المنتسبين إلى التشيع لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

قال: «إن جماعة من السلف ممن لم يتعرّض للتأويل ولم يهدف التشبيه، أمثال مالك بن أنس إمام المالكية إذ قال: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ومثله أحمد بن حنبل وسفيان الثوري..»[5].

ليت شعري، كيف جمع أنس بين الأضداد، إذ يُعْلَم من عبارته «الاستواء معلوم» إنه يقول بتجسيم الباري عزّ وجلّ، فكيف يمكن تبرئة ساحته بالقول أنه لم يهدف التشبيه وهو يقول به صراحةً؟

إضافةً إلى أنه لم يغمز ـ أي الشهرستاني ـ أحمدَ بن حنبل بمغمز ولا أشار إليه بكلمة سوء، مع اعترافه أنه ممن يعتقد بالتجسيم، في حين صبّ جام غضبه على بعض غلاة الشيعة، مع أنهم يشتركون مع مالك وأحمد وسفيان بالتجسيم!!

وبالجملة فإن مسألة التجسيم من المسائل المتسالم عليها عند الأشاعرة[6]،

---

(١) سورة طه: ٥.

(٢) سورة ص: ٧٥.

(٣) سورة الفجر: ٢٢.

(٤) الملل والنحل ج١/ ٩٢.

(٥) الملل والنحل ج١/ ٩٣.

(٦) الأشاعرة: هم عامة الفرق السنّية، يرجعون إلى أبي الحسن الأشعري في الأصول والاعتقادات.

وذلك لإتفاقهم أيضاً على مسألة جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة بالبصر، بل إدّعى أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين أن الله يُرى بالبصر في الدنيا كما رآه موسى عليه السلام[1].

ومسألة التجسيم والرؤية البصرية لا تمت إلى الإسلام بصلةٍ، وتأثّر جمهور العامة بها له جذوره التاريخية، ولعلّ تسربها آلَ إلى أكثر فرق المسلمين من المتظاهرين بالإسلام كالأحبار والرهبان والقساوسة، فصار ذلك مصدراً لبعض الأحاديث في المقام، مما سبّب جرأة طوائف من المسلمين للأخذ بها، واستدعاء الأدلة عليها، هذا مضافاً إلى أن جمهور العامة لا يقرون بالحسن والقبح العقليين.

ويشهد لما قلنا ما ذكره العهدان «القديم والحديث» نؤرّخ بعضاً منها: فقد ذكرت التوراة للربِّ صفاتٍ كثيرة، وهذه الصفات كلها صفات بشرية، فهو من نوع البشر، وجميع صفاته مأخوذة من صفات وأوصاف آلهة الوثنيين، فها هو يصرّح بأنّ الإنسان صار كواحد من الآلهة البشريين.

«وقال الربُّ الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منّا عارفاً الخير والشر.. فأخرجه الربُّ الإله من جنّة عدن ليعمل الأرض... فطرد الإنسان وأقام شرقيّ جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلّب لحراسة طريق شجرة الحياة»[2].

فهذه المقاطع التوراتية ـ والتي يسمونها آياتٍ ـ صريحة في خوف الرب يهوه من أن يصبح آدم من الآلهة بأكله من شجرة الحياة، فلذا أخرجه من الجنّة وجعل حرساً على تلك الشجرة.

والإنسان ـ بنظر التوراة ـ على صورة الإله «يهوه»:

---

(١) يجدر بالقارىء الرجوع إلى كتابنا «الفوائد البهية ج١/ ١٢١ ـ ١٥٨» حيث عرضنا فيه جميع الآراء مع مناقشتها بطريقة فلسفية وكلامية على ضوء العقل والكتاب والسنّة المطهرة.

(٢) التكوين: الإصحاح ٣/ ٢٣ ـ ٢٤.

«يوم خلق اللهُ الإنسانَ على شبهِ الله عمله ـ أي خلقه ـ»[1]. والرب الإله «يهوه» كان يمشي في الجنّة ولا يدري أين آدم، بل لم يدر أن آدم أكل من الشجرة حتى أخبره آدم عليه السلام:

«وسمعا ـ أي آدم وحواء ـ صوت الربّ الإله ماشياً في الجنّة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأتُهُ من وجه الربّ الإله في وسط شجر الجنَّة، فنادى الربُّ الإلهُ آدمَ وقال له أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنّة فخشيت لأني عُريانٌ فاختبأت، فقال من أعلمك أنك عُريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتُك أن لا تأكل منها، فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت..»[2].

وقد وصف التوراةُ اللهَ تعالى بأنه طويل الروح: «الرّبُّ طويلُ الرُّوح كثير الإحسان يغفر الذنب والسيئة لكنّه لا يُبرىءُ بل يجعل ذنب الآباء على الأنبياء إلى الجيل الثالث والرابع»[3] وأنه عزّ وجلّ ـ وحاشاه ـ يحزن ويأسف، كما حزن وتأسف في قلبه لأنه خلق الإنسان والحيوانات:

«ورأى الربُّ أن شرّ الإنسان قد كثُرَ في الأرض، وأن كُلَّ تصوُّر أفكار قلبه إنما هو شريرٌ كُلّ يوم. فحزن الربُّ أنه عمِلَ الإنسان في الأرض وتأسّف في قلبه، فقال الربُّ امحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبّابات وطيور السماء، لأني حزنتُ أني عملتهم»[4]. كما أنّ يهوه الإله ندم على تنصيبه لشاؤل ملكاً:

«وكان كلامُ الرّبِّ إلى صموئيل قائلاً: ندمتُ على أنّي قد جعلتُ شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يُقم كلامي»[5].

---

(١) التكوين: ٥/١ والإصحاح ١/٢٨.
(٢) التكوين: ٣/٩ ـ ١٣.
(٣) العدد: ١٤/١٨.
(٤) التكوين: ٦/٥ ـ ٨.
(٥) صموئيل: ١٥/١٠ ـ ١١.

ولإله اليهود رأس ويركب سحابةً: «هوذا الرّبُّ راكبٌ على سحابةٍ سريعةٍ وقادمٌ إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها»[1].

وله يد: «في ذلك اليوم تكون مصر كالنساء فترتعد وترجف من هزّة يد ربّ الجنود التي يهزها عليها»[2].

وله عينٌ: «وجده ـ أي ليعقوب ـ في أرض قفْرٍ وفي خلاء مستوحشٍ خرب، أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه»[3].

وله أجفان: «الرّبُّ في هيكل قدسه، الربُّ في السماء كُرسيُّه، عيناه تنظران أجفانه تمتحن بني آدم»[4].

له وجه والمستقيمون يُبصرون وجهه: «المستقيم يُبصرُ وجهه»[5].

وله أنف وهو رجل حرب: «الربُّ رجلُ الحرب... وبريح أنفك تراكمت المياه..»[6].

وله فم: «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسانُ بل بكُلّ ما يخرج من فم الرَّب يحيا الإنسان»[7].

وله أجنحة وخوافي، وهي الريش الصغير من الأجنحة: «بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمي»[8].

---

(١) إشعيا: ١٩/٢.
(٢) إشعيا: ١٩/١٦.
(٣) تثنية: ٣٢/١١.
(٤) المزامير: ١١/٤ـ٥.
(٥) المزامير: ١١/٧.
(٦) الخروج: ١٥/٣ و٨ والمزامير: ١٧/١٦.
(٧) التثنية: ٨/٤.
(٨) المزامير: ٩١/٤.

وله قدمان: «كان في قلبي أن ابنيَ بيتَ قرارٍ لتابوت عهد الرب ولموطئ قَدَميْ إلهنا وقد هيأت للبناء»[1].

والإله يهوه عند اليهود يمشي على أجنحة الريح: «الماشي على أجنحة الريح»[2].

ونسبوا إليه الجلوس على الكروبيم: «يا قائد يوسف كالضّان يا جالساً على الكروبيم أشرق»[3].

وله أذنان ويركب على كروب ويطير: «في ضيقي دعوتُ الربَّ وإلى إلهي صرختُ، فسمع مِنْ هيكله صوتي وصراخي قُدّامه دخل أذنيه، صعد دخانٌ من أنفه ونار من فمه.. طأطأ السموات ونزل وضبابٌ تحت رجليه، ركب على كروبٍ وطار وهفّ على أجنحة الرياح»[4].

وعند غضب الإله يهوه لا يرى موضع قدميه: «ولم يذكر موطىء قدميه في يوم غضبه..»[5].

ويلتحف بالسحاب أيضاً: «التحفت بالسحاب حتى لا تُنفذَ الصَّلاة»[6].

كل ما للإنسان هو عند الإله، حتى العورة: «وقال الله نعملُ الإنسان على صورتنا كشَبَهِنَا... فخلق اللهُ الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه..»[7].

له شفتان ولسان: «هوذا اسم الربّ يأتي من بعيد غضبه مشتعلٌ والحريق

---

(١) أخبار الأيام الأوّل: ٢٨/٣.
(٢) المزمور: ١٠٤/٤.
(٣) المزمور: ٨٠/١.
(٤) المزمور: ١٨/٦ ـ ١٠.
(٥) المراثي: ٢/٢.
(٦) المراثي: ٣/٤٥.
(٧) التكوين: ١/٢٧ ـ ٢٨.

عظيم، شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانُه كنارٍ آكلة، ونفخته كنهرٍ غامرٍ يبلغ إلى الرّقبة»[1].

ونزل في السحاب ليخاطب موسى: «وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب.. فنزل الربُّ في السحاب، فوقف عنده ـ أي عند موسى ـ هناك ونادى باسم الرب»[2].

هذه نبذة من أخبار اليهود حيث لا يؤمنون بتوحيد الربّ بل هم من حاربوا التوحيد بتعاونهم مع مشركي الجزيرة العربية فأقحموا الكثير من معتقداتهم في صفوف المسلمين، لا سيّما عبر الأحبار الذين تظاهروا بالإسلام لضربه في الصميم.

فما قدّمنا من أخبار توراتية يبدو التجسيم فيها واضحاً.

وأما التجسيد عند النصارى فواضح أيضاً، نورد قسماً مما ذكروه في الإنجيل منها:

ما ورد في إنجيل يوحنا: الإصحاح العاشر/ ٣٨:

«إن كنتُ لستُ أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنتُ أعملُ فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه».

وفي مقطع آخر قال: «أنا والآب واحدٌ»[3].

ونسبوا زوراً إلى النبيّ عيسى عليه السلام أنه قال أيضاً: «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآبُ فيّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحدٍ..»[4].

---

(١) إشعيا: ٣٠/ ٢٧.
(٢) الخروج: ٣٢/ ٥.
(٣) إنجيل يوحنا: ١٠/ ٣٠.
(٤) يوحنا: ١٧/ ٢٤.

«ألستَ تؤمن أني أنا في الآب والآب فيّ، الكلام الذي أكلّمكم به لست أتكلم به من نفسي لكنّ الآب الحالّ فيّ هو يعمل الأعمال، صدّقوني أني في الآب والآب فيّ»[1].

إلى غيرها من دعاوى الحلول والتجسيد الباطل بضرورة العقل.

إذن للمسألة جذور في العهدين تسربت إلى عقول السذج من أبناء العامة مع تنميقها وزخرفتها بما يسمى أدلة وبراهين، بعيدة كل البعد عن منطق العقل والعلم.

وقد اتفق الأشاعرة على أن رؤيته تعالى تكون يوم القيامة، كما عبّر عن ذلك أعلامهم، منهم:

١ ـ الشيخ أبو الحسن الأشعري[2]، قال: «وندين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله»[3].

وقال في موضع آخر: «إن الله سبحانه يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[4] وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلّى للجبل فجعله دكاً، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل في الآخرة»[5].

٢ ـ ما اعتقده أحمد بن حنبل إمام الحنابلة، من جواز الرؤية البصرية في

---

(١) يوحنا: ١٤/١٢.

(٢) وأبو الحسن الأشعري إمام الفرق العاميّة في العقائد، إليه ينتسبون ومنه يأخذون.

(٣) الإبانة ص٢١.

(٤) سورة المطففين: ١٥.

(٥) مقالات الإسلاميين ص٣٢٢.

الآخرة، والرؤية تستلزم الجسمية كما لا يخفى.

قال: «والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبيّ محمّد: إن أهل الجنّة يرون ربّهم لا يختلف فيها أهل العلم، فينظرون إلى الله»[1].

٣ ـ قال الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير: «احتج أصحابنا بهذه الآية ﴿لا تدركه الأبصار..﴾ على أنه تعالى تجوز رؤيته، وأن المؤمنين يرونه يوم القيامة. ثم قال:

وفي التمسّك بهذه الآية ما نقل أن ضرار بن عمرو الكوفي كان يقول: إن الله تعالى لا يرى بالعين، وإنما يُرى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيامة لما دلت عليه هذه الآية (لا تدركه الأبصار..) على تخصيص نفي إدراك الله بالبصر، وتخصيص الحكم بالشيء يدل على أن الحال في غيره بخلافه، فوجب أن يكون إدراك الله بغير البصر جائزاً، ولمّا ثبت أن سائر الحواس الموجودة الآن لا تصلح لذلك، ثبت أن الله تعالى يخلق حاسة سادسة بها تحصل رؤية الله تعالى وإدراكه..»[2].

٤ ـ ما اعتقده البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه، باب أن المؤمنين يرونه عزّ وجلّ يوم القيامة، وروى عدة منها:

حديث رقم ٧٤٣٤:

عن قيس عن جرير قال: كنّا جلوساً عند النبيّ ﷺ: إذا نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس فافعلوا[3].

(١) الرد على الزنادقة ص٢٩.
(٢) تفسير الرازي ج١٣/ ١٢٥ ذيل الآية المباركة.
(٣) صحيح البخاري ج٨/ ٥٣٨، ط/ الدار العلمية.

حديث رقم ٧٤٣٧:

عن عطاء عن أبي هريرة: إن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال رسول الله: هل تضارون في القمر ليلة البدر؟

قالوا: لا يا رسول الله. قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها، شكّ إبراهيم، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاءنا ربُّنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربُّكم فيقولون: أنت ربُّنا فيتبعونه، ويُضربُ الصراط بين ظهري جهنم...»[1].

حديث رقم ٧٤٣٥:

عن جرير قال: قال النبيُّ: «إنكم سترون ربكم عياناً»[2].

حديث رقم ٧٤٣٩:

عن يحيى بن بكير بسند معنعن إلى أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟

قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صَحْواً؟

قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلاّ كما تُضارون في رؤيتهما. ثم قال: ينادي منادٍ ليذهب كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون.. (إلى أن ساق الحديث إلى المسلمين) فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون:

---

(١) صحيح البخاري ج٨/٥٣٨.

(٢) نفس المصدر ج٨/٥٣٨.

فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم وإنّا سمعنا منادياً ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا قال: فيأتيهم الجبّارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربُّنا فلا يكلّمه إلاّ الأنبياء فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟

فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسُمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهرُهُ طبقاً واحداً ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم..»[1].

حديث رقم ٧٤٤٠:

عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: يُحبسُ المؤمنون يوم القيامة حتى يهمُّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس، خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلّمك أسماء كل شيء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا قال: فيقول لستُ هُناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نُهي عنها، ولكن ائتوا نوحاً أول نبي بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض، ـ فيأتونه ويقول لهم مثل ما قال لهم آدم إلى أن تصل النوبة إلى النبيّ محمّد ـ فيأتونه فيستأذن على ربه في داره فيؤذن له فإذا رآه وقع ساجداً فيدعه الله ما شاء ثم يدعوه فيقول له: ارفع محمّدُ وقل يُسمع واشفع تُشَفّع وسل تُعطه قال: فارفع رأسي.. ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه..»[2].

هذه نبذة من أخبار صحيح البخاري الذي هو عند العامة من حيث الحجية والاعتبار بعد كتاب الله تعالى، أفيصح بعد هذا أن يقال أن هؤلاء هم أهل السُنّة والجماعة، وغيرهم ليسوا من سُنة رسول الله؟ وهل سُنة رسول الله كسُنّة اليهود

---

(١) نفس المصدر السابق ص٥٤٠.

(٢) صحيح البخاري ج٨/ ٥٤٠.

والنصارى القائلين بالتجسيم والحلول؟ وهل هناك فرق بين اليهود والنصارى وبين من ينسب إلى رسول الله أنه يستأذن فيدخل دار الله تعالى ويُطَمْئِنُ المؤمنين بأنهم سيرون ربهم كما يرون القمر حال اكتماله؟!

٥ ـ قال محمّد رشيد رضا في تفسيره: «إن جواز الرؤية من مذاهب أهل السُنّة والعلم بالحديث»[١].

٦ ـ قال ابن كثير في تفسيره تعقيباً على روايات البخاري: «وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عزّ وجلّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين: إن أناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس.. الخ كما في الأحاديث المتقدمة.

ثم ساق الكلام مستشهداً بالصحيحين عن أبي موسى قال:

قال رسول الله: جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عزّ وجلّ إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن.

وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه: «أن الله يتجلّى للمؤمنين يضحك» يعني في عرصات القيامة، ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم في العرصات وفي روضات الجنان. إلى أن قال:

وقال الإمام أحمد، حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا عبد الملك بن أبجر، حدّثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال:

قال رسول الله: إن أدنى أهل الجنّة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وأن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين.

---

(١) تفسير المنار ج٧/٦٥٣.

ثم عقّب ابن كثير بالقول: «لولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسُنن، وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عزّ وجلّ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها. . .»[1] انتهى.

٧ ـ وقال الشافعي: «ما حجب الفجّار إلاّ وقد علم أنّ الأبرار يرونه عزّ وجلّ، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ تنظر إلى الخالق وحق لها أن تتضرع وهي تنظر إلى الخالق. .»[2].

وعقّب ابن كثير عليه فقال: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة أي تراه عياناً كما رواه البخاري في صحيحه «أنكم سترون ربّكم عياناً». وقد تقدم استعراض كلامه فلاحظ.

٨ ـ وقال القوشجي مستدلاً على جواز الرؤية البصرية بآيتي القيامة / ٢٣ ـ ٢٤: «إن النظر إذا كان بمعنى الانتظار فإنه يستعمل بغير صلة ويقال: «انتظرت» وإذا كان بمعنى الرؤية فإنه يتعدى بـ «إلى» والنظر في هذه الآية قد استعمل بلفظ «إلى» فيحمل على الرؤية»[3].

٩ ـ ما اعتقده السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة القيامة حيث روى الكثير من أخبار الرؤية البصرية، منها ما أخرجه عن ابن مردويه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله في قول الله ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ قال: ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة. ومنها ما أخرجه عن ابن المنذر عن الضحاك في قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ. .﴾ قال: النضارة: البياض والصفاء ﴿إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤/ ٣٩٣، ط/ دار القلم.

(٢) المصدر السابق نفسه

(٣) شرح التجريد للقوشجي ص٣٣١، ط/ حجري.

ربها ناظرة﴾ قال: ناظرة إلى وجه الله. ومنها عن ابن المنذر عن عكرمة تعقيباً على الآية قال: ناضرة إلى النعيم ﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال: تنظر إلى الله نظراً. ومنها ما أخرجه عن الدارقطني عن أبي هريرة أن النبيّ قال: ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر أو كما ترون الشمس ليس دونها سحاب.

هذا هو المشهور بل المتسالم عليه عند العامة، بل إنّ الآمدي زاد على الرؤية البصرية الأخروية، الرؤية لله تعالى في الدنيا فقال: (اجتمعت الأئمة من أصحابنا على أن رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة جائزة عقلاً، واختلفوا في جوازها سمعاً في الدنيا، فأثبته بعضهم ونفاه آخرون)[1].

وقد ذكر الشهرستاني ما يؤكد مقالة الآمدي، حاكياً عمّن يقول بالتشبيه قال: [إن مضر وكهمس وأحمد الهجيمي أجازوا على ربّهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حدّ الإخلاص والاتحاد المحض، وحكى عن الكعبي عن بعضهم أنه كان يجوّز الرؤية في دار الدنيا وأن يزوره ويزورهم، وحكى عن داود الجواربي أنه قال:

«اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمّا وراء ذلك»][2]. إلى غير ذلك من المنكرات التي تشمئز منها النفوس، وتتكهرب لها الأفئدة والعقول، آخذين بظواهر النصوص من دون رجوع إلى المحكمات وأحكام العقول.

ولو قيل: إننا أردنا المجاز بهذا الكلام.

قلنا لهم: عليكم أن تأتوا بقرائن تبيّن المراد وتجلي غوامض الأسرار، وإلاّ فعند الإطلاق فلا يحمل الكلام إلاّ على المتعارف من الأجسام، هذا بالإضافة إلى أن ابن كثير والرازي والبخاري وغيرهم نصبوا قرينة على مرادهم وأنّ الرؤية البصرية جائزة، فحينئذٍ لا مجال لدعوى المجاز.

---

(١) شرح المواقف ج٨/ ١١٥.

(٢) الملل والنِّحَل ج١/ ١٠٥.

وأنه مثل الإنسان يضحك ويبكي(*).

---

(١) (*) روى أحمد بن حنبل عن أبي رزين قال:

قال رسول الله: ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، قال: قلت: يا رسول الله أويضحك الرب؟

قال: نعم. قلت: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيراً[١].

وروى ابن خزيمة قال: «أي والذي نفسي بيده أنه ليضحك»[٢].

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن إسماعيل أبي معمر، قال: حدّثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله: ضحك ربنا من رجلين يقتل أحدهما صاحبه ثم يصيران إلى الجنّة[٣].

وما رواه إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني عن عبد الله بن مسعود عن النبيّ قال: . . . فيقول الله له ـ أي لمن أدخله الجنّة ثم لم يزل يطلب منزلة أرفع من أخرى ـ: لن ترضى أنْ أعطيك مثل الدنيا مذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافها؟ فيقول: أتستهزىء بي وأنت ربُّ العالمين؟

قال: فضحك الربُّ من قوله. قال: فرأيت ابن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدّث هذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت، فقال ابن مسعود: إني سمعت رسول الله يحدّث بهذا الحديث مراراً، كلما بلغ هذا المكان

---

(١) السنّة ص٥٤/ عبد الله بن أحمد بن حنبل.

(٢) التوحيد ص٢٣٥/ محمد بن إسحاق بن خزيمة.

(٣) السنة ص١٦٦ ورواه ابن خزيمة بأسانيد مختلفة.

من هذا الحديث ضحك حتى تبدو آخر أضراسه، الحديث[١].

ورواه ابن خزيمة عن ابن مسعود وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

وقد تأول ابن خزيمة صفة ضحك الرب تأويلاً بارداً فقال:

«لا يشبه ضحكه ضحك المخلوقين، وضحكهم كذلك، بل نؤمن بأنه يضحك كما أعْلَمَ النبيُّ ونسكت عن صفة ضحكه جلّ وعلا، إذ الله عزّ وجلّ استأثر بصفة ضحكه لم يطلعنا على ذلك، فنحن قائلون بما قال النبيُّ مصدّقون بذلك بقلوبنا منصتون عمّا لم يبيّن لنا، مما استأثر الله تعالى بعلمه»[٢].

يرد عليه:

أن المراد من ضحكه شيئان:

إما أن يكون كضحكنا الملازم لبدو الأسنان والفم.

وإما أن يكون مختلفاً بالماهية عمّا ذكرنا، ولا شيء آخر غيرهما، لكون الأمر دائراً بين القبول تماماً أو الرد كذلك، والقول بأنه يضحك ولا نعلم حقيقته لا نعلم له وجهاً بل هو خلاف القسمة العقلية الدائرة بين النفي والإثبات، وما ادّعاه ابن خزيمة تماماً كدعوى التثليث عند النصارى، حيث لمّا عجزوا عن تفسيره بما ينسجم مع منطق العقل إدّعوا: أن التثليث فوق مستوى عقول البشر، قال صاحب معجم اللاهوت:

«الثالوث هو سر في المعنى الحصري، ومن غير الممكن أن يُعرف من دون وحي، والذي لا يمكن حتى وإنْ أوحي به أنْ يسبر غوره العقل المخلوق»[٣].

وعليه فإن صاحب المعجم أراح أتباع الكنيسة من فهم الثالوث لكونها عقيدة

---

(١) السنة ص٢٠٨.

(٢) التوحيد لابن خزيمة ص٢٣١.

(٣) معجم اللاهوت ص٩٧ مادة الثالوث.

لا يمكن فهمها حتى بالوحي على حدّ زعمه، لذا فليس لأحد من البشر أن يفهمها حتى بالوحي، فيجب أن تكون هذه العقيدة إما للمجانين الذين لا عقل لهم حتى ينهاهم عن قبول المتناقضات، وإما لكائنات أخرى عقولها فوق عقول البشر، وكذا ما صوّره لنا ابن خزيمة فهو إما للمجانين، وإما لكائنات عقولها فوق مستوى عقولنا، فلسنا بمكلّفين بالاطّلاع عليها، فإذا كانت بهذه المثابة فلِمَ ذَكَرَتْها الأحاديث بزعمهم ما دامت خارجة بفهمها عن إدراك العقل لها، وهل يمكن للنبيّ أن يستعرض أفكاراً أمام السذّج من المسلمين مع أنه قال: إنّا معشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم؟!

هذا من جهة الضحك، وأما ما نسبوه إلى الربّ من البكاء، فقد روى الشهرستاني عن بعضهم، قالوا:

إن الله سبحانه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه[1].



* * * * *

(١) الملل والنحل ج١/١٠٦.

وله يدٌ ورجلٌ وعينٌ وعورة، ويُدخل رجله في النار يوم القيامة، وأنه لينزل من السماوات إلى سماء الدنيا على حمارٍ له[1].

---

(١) أما أن له يداً، فهناك الكثير من الأخبار التي أوردها العامة، منها ما أثبته عبد الله بن أحمد بن حنبل:

● عن عكرمة قال: إن الله لم يمس بيده شيئاً إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس الجنّة بيده، وكتب التوراة بيده[1].

● وعنه أيضاً قال: قرأت على أبي، حدّثنا إسحاق بن سليمان، حدّثنا أبو الجنيد ـ شيخ كان عندنا ـ عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير أنهم يقولون: إن الألواح من ياقوتة لا أدري قال حمراء أو لا؟ وأنا أقول سعيد بن جبير يقول: إنها كانت من زمردة وكتابتها الذهب، وكتبها الرحمان بيده، ويسمع أهل السماوات صرير القلم[2].

● وروى ابن خزيمة عن أبي هريرة عن رسول الله قال: لمّا خلق الله الخلق كتب كتاباً وجعله تحت العرش: إن رحمتي تغلب غضبي[3].

● وعن ابن خزيمة أيضاً قال، قال رسول الله: إن الله تعالى يفتح أبواب السماء في ثلث الليل فيبسط يديه فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه[4].

وقد روى ابن خزيمة أحاديث كثيرة في نزول الله إلى السماء الدنيا كل ليلة، ووصفها بأنها أخبار صحيحة السند والدلالة.

---

(١) السنّة ص٢٠٩.

(٢) السنّة ص٧٦.

(٣) التوحيد ص٥٨.

(٤) التوحيد ص٥٨ وصحيح البخاري ج١/ ٢٠٠ باب الدعاء والصلاة وفي ج٤/ ١٠١ الدعاء نصف الليل.

● وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: ينزل الله في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله في الساعة الأولى منهنّ في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، وينظر في الساعة الثانية في عَدْن وهي مسكنه التي يسكن، لا يكون معه فيها إلاّ الأنبياء والصدّيقون والشهداء، فيها ما لم يخطر على قلب بشر، ثم يهبط في آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له، حتى يطلع الفجر[١].

● وعن المصعب بن أبي ذئب عن القاسم بن محمّد.. عن رسول الله قال: ينزل الله ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل إنسان إلاّ إنساناً في قلبه شحناء أو مشرك بالله[٢].

وأمّا أن له رجلاً، فالأخبار من مصادر العامة كثيرة منها ما رواه ابن حنبل وابن خزيمة، وإليك ـ أخي القارىء ـ بعضاً منها:

● قال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني عبيد الله بن عمر القواريري... عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله:

يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه أو رجله عليها فتقول: قط قط[٣].

● وروى ابن خزيمة، عن أبي هريرة عن رسول الله قال: ... وأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله رجله فيها فتقول قط قط، فهنالك تمتلىء[٤].

● وعن أبي هريرة (في حديث): فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج٢/ ٩٨.
(٢) ميزان الاعتدال ج٢/ ٦٥٩.
(٣) السنّة ص١٨٤.
(٤) التوحيد ص٥٩ وصحيح مسلم ج٢/ ٤٨٢.

(يعني الله تعالى) فتقول: قط قط فهناك تمتلىء، ويزوي بعضها إلى بعض[1].

● وعن مسلم عن أنس عن النبيّ قال:

لا تزال جهنم يُلقى فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال فضل الجنّة حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة[2].

● وعن ابن حنبل قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن خليفة قال: جاءت امرأة إلى النبيّ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنّة، قال: فعظم الرب وقال: وسع كرسيه السماوات والأرض، إنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلاّ قيد أربع أصابع وأن له أطيطاً كأطيط الرحل إذا ركب[3].

وغيره كثير فلاحظ[4].

وأمّا أن له عيناً، فما رواه ابن خزيمة فيه الكفاية، قال:

نحن نقول لربّنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما في السماوات العلى وما بينهما من صغير وكبير.. إلى أن قال: كما يرى عرشه الذي هو مستوٍ عليه، وبنو آدم وإن كانت لهم عيون يبصرون لها فإنهم إنما يرون ما قرب من أبصارهم مما لا حجاب ولا ستر بين المرئي وبين أبصارهم... ثم استطرد في ذكر نواقص عيون بني آدم ثم قال: فما الذي يشبه ـ يا ذوي الحجا ـ عين الله الموصوفة بما ذكرنا، عيون بين آدم التي وصفناها

(١) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيري ج٣/ ١١٣، ط/ مصر.
(٢) صحيح مسلم ج٢/ ٤٨٢.
(٣) السنّة ص٨٠.
(٤) السنّة لابن حنبل، والتوحيد لابن خزيمة، ومسند أحمد ج١/ ٢٥٦ وتاريخ بغداد ج١٣/ ٣١١، ط/ مصر.

بعد[1]. وعن معاذ بن عفراء أنّ النبيّ قال: رأيت ربي في صورة شاب عليه تاج يلتمع البصر[2].

وأمّا أن له عورة، فلما رواه الشهرستاني عن داود الجواربي حيث قال: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عمّا وراء ذلك.

وحكى عنه أيضاً أنه قال: «هو أجوف من فيه إلى صدره».

أيضاً فإن له اصبعاً، فقد روى ابن حنبل عن النبيّ قال: إن الله يمسك السماوات على أصبع، قال أبي: وجعل يحيى يشير بأصابعه، وأراني أبي كيف جعل يحيى يشير بأصابعه يضع اصبعاً حتى أتى على آخرها[3].

● وروى أيضاً: أن يهودياً أتى النبيّ فقال: يا محمّد إن الله يمسك السماوات على اصبع والأرضين على اصبع، والجبال على اصبع، والخلائق على اصبع؛ ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه [وآله] حتى بدت نواجذه؛ ثم قال: وما قدروا الله حق قدره[4].

● وقال حدّثني أحمد بن إبراهم سمعتُ وكيعاً يقول: تسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كنا، ولا لِمَ كذا، يعني مثل حديث ابن مسعود «إن الله يحمل السماوات على إصبع والجبال على اصبع» وحديث أنّ النبيَّ صلى الله عليه [وآله] قال: «قلب ابن آدم بين اصبعين من أصابع الرحمان» ونحوها من الأحاديث[5].

وأورد أخباراً مفادها أن الله تعالى حيث تجلّى للجبل فجعله دكّاً إنما تجلّى باصبعه، ضربه على رأس الجبل فاندكّ.

---

(1) التوحيد ص٥١.

(2) كنز العمال ج١/ ٢٢٨ حديث رقم ١١٥٤.

(3) السنّة ص٦٣.

(4) السنّة ص٦٢ ـ ٦٤.

(5) السنّة ص٦٤.

● منها حدثني محمّد بن أبي بكر المقدسي: حدثنا هريم حدثنا محمّد بن سواء، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه [وآله]: «فلما تجلّى ربّه للجبل» قال: هكذا، وأشار بطرف الخنصر يحكيه[1].

● ومنها ما ذكره ابن خزيمة قال: حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]: «لما تجلّى ربّه للجبل» رفع خنصره وقبض على مفصل منها، فانساخ الجبل. فقال له حميد: أتحدّث بهذا؟ فقال: حدّثنا أنس عن النبيّ صلى الله عليه [وآله] وتقول: لا تحدّث به[2].

● كما أن لله عزّ وجل ذراعين وصدراً عند هؤلاء، فقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال حدثني سريج بن يونس، عن سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال:

ليس شيء أكثر من الملائكة، إن الله خلق الملائكة من نور، فذكره وأشار سريج بيده إلى صدره، قال: وأشار خالد إلى صدره فيقول: كن الف الف ألفين فيكونون[3].

● وعن عبد الله بن عمرو قال: خلقت الملائكة من نور الذراعين والصدر[4].

وهكذا فإن لله تعالى وجهاً أيضاً، فمنها ما رواه عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا ابن عجلان، حدثني سعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ولا يقل قبّح الله

(١) السنّة ص٦٥.
(٢) التوحيد ص١١٤.
(٣) السنّة ص١٩٠.
(٤) السنّة ص١٩٠.

وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته[1].

● وعن ابن عمر قال: قال رسول الله: لا تقبّحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن[2].

بل إن هذا الإله يلبس نعلين من ذهب، فقد أخرج الخطيب البغدادي عن مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل ـ امرأة أُبي ـ أنها سمعت النبيّ يذكر أنه رأى ربّه تعالى في المنام في أحسن صورة شاباً موفراً رجلاه في خف عليه نعلان من ذهب، على وجهه فراش من ذهب[3].

وأما ما ذكره متن المؤتمر من أن الربّ عزّ وجلّ ينزل من السماوات إلى سماءالدنيا على حمار له، فواضحة حيث ذكر ذلك العلاّمة الحلي في نهج الحق أيضاً ناقلاً لها عن المصادر العامية، ولم يستنكر عليه الفضل بن روزبهان الأشعري الذي ردّ على الحلي في كتابه المطبوع في إحقاق الحق، حيث وافق على كلام الحلي بأن من مذهب أحمد بن حنبل ترك التأويل وتوكيل العلم بالمتشابهات إلى الله تعالى، هذا مضافاً إلى اعترافه أن المجسّمة فرقة باطلة وليسوا من الأشاعرة.

ونحن نسأل الناصبيّ ابن روزبهان:

هل أنّ البخاري وابن كثير والآمدي وأبا الحسن الأشعري وابن حنبل وأضرابهم من المجسّمة أيضاً؟ أو أنّ وراء الأكمة ما وراءها؟

ما هكذا تورد يا نحس الإبل!

هذا وقد أورد عليه العلاّمة التستري من أن الكرامية ومقاتل ومضر وكهمس وأحمد الهجيمي وغيرهم من أهل السُنّة وهؤلاء قالوا: إن الله ـ جلّ وعلا ـ صورة

---

(١) السنّة ص١٩٩، وكنز العمال ج١/ ٢٢٧ رقم الحديث ١١٤٦.

(٢) السنّة ص٦٤، وكنز العمال ج١/ ٢٢٧ حديث رقم ١١٤٨.

(٣) تاريخ بغداد ج١٣/ ٣١١.

ذات أعضاء وأبعاض، بل له عورة، قال ابن أبي الحديد: قال بعضهم: سألت معاذ العنبري فقلت: أله ـ أي للرب ـ وجه؟ قال: نعم، حتى عددت جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر وبطن، واستحييت أن أذكر الفرج، فأومأت بيدي إلى فرجي، فقال: نعم، فقلت: أذكر أم انثى؟ فقال: ذكر[1].

*****



(١) محاورة حول الإمامة والخلافة ص٨٠ نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط أولى ج١/ ٢٩٤.

قال العبّاسي:

وما المانع من ذلك، والقرآن يصرّح به ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ (الفجر/ ٢٢) ويقول ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ (القلم/ ٤٢) ويقول ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح/ ١٠) والسنّة أوردت ـ أحاديث ـ بأن الله يدخل رجله في النار(*)!.

قال العلوي:

أما ما ورد في السنّة والحديث فهو باطل عندنا وكذب وافتراء، لأنّ أبا هريرة وأمثاله كذبوا على رسول الله ﷺ حتى أن عمر منع أبا هريرة(**) عن نقل الحديث وزجره.

(*) قد تقدم بعض الأحاديث الدالة على ذلك.

(**) من هو أبو هريرة؟

أبو هريرة الدّوسي، من دوس، قبيلة يمنية، نشأ يتيماً وكان أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطنه، فكان يخدم إذا نزلوا ويحدوا إذا ركبوا، وكان في الإسلام من أصحاب الصُفة[1].

وكُنّي بأبي هريرة نسبة لهرة صغيرة كان يلعب بها على حدّ تعبيره معرّفاً نفسه، فعن عبد الله بن رافع قال:

قلت لأبي هريرة: لمَ اكتنيت بأبي هريرة؟ قال: أما تفرق مني؟

قلت: بلى، والله إني لأهابك، قال: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي

---

(١) «الصفة» موضع مظلل في مؤخرة مسجد النبيّ، وأهل الصفة: أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشائر، ينامون في المسجد ويظلون فيه، وكان إذا تعشى رسول الله يدعو منهم طائفة يتعشون معه، ويفرق منهم طائفة على الصحابة ليعشوهم.

هريرة صغيرة، فكنت أضعها بالليل في شجرة، فإذا كان النهار ذهبت بها معي، فلعبت بها، فكنّوني أبا هريرة[1].

وقيل: رآه رسول الله وفي كمه هرة، فقال: يا أبا هريرة[2].

كان صحابياً، أسلم عام خيبر[3]، وعليه تكون صحبته للنبيّ حدود سنتين أو ثلاث على أبعد التقادير.

وقد اختُلف في اسمه اختلافاً كثيراً لا يحاط به، ولا يُضبط في الجاهلية والإسلام، وقد غلبت عليه كنيته، فهو كمن لا اسم له غيرها، وقد نُسي اسمه الأصلي نتيجة الاختلاف في الاسم. وكما قال ابن الأثير: «لم يختلف في اسم آخر مثله ولا ما يقاربه. فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: بُرير بن عِشرقة، ويقال: سكين بن دومة، وقيل: عبد الله بن عبد شمس، وقيل: عبد شمس، قاله يحيى بن معين، وأبو نعيم، وقيل: عبد نهم، وقيل: عبد غنم.

وقال ابنه المحرّر بن أبي هريرة: اسم أبي: عبد عمرو بن عبد غنم.

وقال عمرو بن علي الفلاّس: أصح شيء قيل فيه: عبد عمرو بن غنم.

وقال الهيثم بن عدي: كان اسمه في الجاهلية: عبد شمس، وفي الإسلام: عبد الله»[4].

وقد وقع الاختلاف في اسمه، حتى بلغت إلى ثلاثين قولاً[5]، وقال القطب الحلبي: اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً مذكورة في الكنى

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٦/ ٣١٤ وأخرجه الترمذي ج٥/ ٦٤٤ ح٣٨٤٠ وقال حسن غريب. وأضواء على السُّنّة المحمّدية ص١٩٦/ محمد أبو رية. والاستيعاب ص٧١٨.

(٢) أسد الغابة ج٦/ ٣١٤.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) نفس المصدر.

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة ج٤/ ٢٠٤.

للحاكم، وقد اختلفوا في تاريخ إسلامه أيضاً، فمنهم من قال: أسلم في السنة السادسة للهجرة، ومنهم من قال: في السنة السابعة. فبمقدار سني إسلامه حكموا بصحبته لرسول الله[1]، لأن الصحابي عند العامة هو كل من رأى النبيّ أو سمع منه حديثاً.

وكذا اختلفوا في أصله سوى أنه من عشيرة سليم بن فهم من قبيلة أزد ثم من دوس. قدم الدوسيون وفيهم أبو هريرة ورسول الله بخيبر، فكلّم رسول الله أصحابه في أن يُشركوا أبا هريرة في الغنيمة ففعلوا، ولفقره اتخذ سبيله إلى الصفة بعدما عاد إلى المدينة فعاش بها ما أقام بالمدينة.

وكان أبو هريرة صريحاً في الإبانة عن سبب صحبته للنبيّ ﷺ كما كان صريحاً صادقاً في الكشف عن حقيقة نشأته، فلم يقل إنّه صاحَبَهُ للمحبة والهداية، كما كان يصاحبه غيره من سائر المسلمين وإنما قال:

«إنه قد صاحبه على ملء بطنه» ففي حديث رواه أحمد والشيخان عن سفيان عن الزهري عن عبد الرحمن الأعرج قال: سمعت أبا هريرة يقول: «إني كنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني».

وفي رواية لمسلم: «كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله على ملء بطني» وسجّل التاريخ أنه كان أكولاً نهماً، يطعم كل يوم في بيت النبيّ، أو في بيت أحد أصحابه، حتى كان بعضهم ينفر منه.

ومما رواه البخاري عنه أنه قال: كنت استقرىء الرجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيطعمني، وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، وروى الترمذي عنه: وكنت إذا سألت جعفر عن آية لم يجبني حتى يذهب إلى منزله، ومن أجل ذلك كان جعفر هذا في رأي أبي هريرة أفضل الصحابة جميعاً، فقدّمه على أبي بكر وعمر وعثمان، لذا أخرج الترمذي

---

(١) الإصابة ج٤/٢٠٦.

والحاكم بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: ما احتذى النعال ولا ركب المطايا، ولا وطيء التراب، بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبي طالب[1].

قال ابن قتيبة في المعارف:

«وقال أبو هريرة: نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا، وكنيتُ بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها»[2].

ومن ألقابه: «شيخ[3] المضيرة» وسبب تلقيبه بهذا أنه كان أكولاً يحب الطعام وخصوصاً المضيرة مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلّى خلف الإمام عليّ عليه السلام، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة معاوية أدسم وأطيب، والصلاة خلف عليّ أفضل.

وكان يقول: ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز الحار، وما رأيت فارساً أحسن من زبد على تمر.

وقد جعل أبو هريرة الأكل من المروءة، فقد سُئل: ما المروءة؟ قال: تقوى الله وإصلاح الصنيعة، والغداء والعشاء بالأفنية[4].

ورغم صحبته القليلة لرسول الله ﷺ التي لم تتجاوز العامين[5]، فقد روى الجمّ الغفير من الروايات بحيث لم يسبقه سابق ولم يلحقه لاحق، وذكر أبو محمد ابن حزم أن مسند ابن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف

---

(١) أضواء على السنة المحمدية ص١٩٧ بتصرف ببعض الألفاظ.

(٢) الإصابة ج٤/ ٢٠٩ وفيه: «كنتُ أجيراً لبرة بنت غزوان».

(٣) «المضيرة»: طبيخ يتخذ من اللبن الماضر أي الحامض، والمضيرة عند العرب أن تطبخ اللحم باللبن، وربما خلطوا الحليب مع الحقين ـ اللبن ـ وهو حينئذٍ أطيب ما يكون. لاحظ لسان العرب ج٥/ ١٧٨ ومجمع البحرين ج٣/ ٤٨٢.

(٤) أضواء على السنة ص١٩٩.

(٥) شيخ المضيرة/ محمود أبو رية، والبداية والنهاية ج٨/ ٨٧، ط/ دار الكتب العلمية.

وثلاثمائة وأربعة وسبعين (٥٣٧٤) حديثاً، روى البخاري منها أربعمائة وستة وأربعين (٤٤٦).

قال سعيد بن أبي الحسن: لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً من أبي هريرة، وفي صحيح البخاري من طريق وهب بن منبه عن أخيه همام عن أبي هريرة قال: لم يكن من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً مني إلاّ عبد الله بن عمر - عمرو - فإنه كان يكتب ولا أكتب[1]، وما رواه ابن عمرو لا يتجاوز السبعمائة حديث عند ابن الجوزي، وفي مسند أحمد حدود السبعمائة واثنين وعشرين حديثاً، وعند مسلم حدود العشرين.

وقد أفزعت كثرة روايته عمر بن الخطاب فضربه بالدرة التي كانت ملازمة له بليله ونهاره لفظاظته، وقال له: أكثرت يا أبا هريرة من الرواية وأحرى بك أن تكون كاذباً على رسول الله ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده اليمن.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد: لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنّك بأرض دوس.

ومن أجل ذلك كثرت أحاديثه بعد وفاة عمر وذهاب الدرة حتى قال أبو هريرة: إني أحدّثكم بأحاديث لو حدّثت بها زمن عمر لضربني بالدرة - وفي رواية: لشجّ رأسي -[2].

والسر في ذلك ليس لأن عمر بن الخطّاب كان حريصاً على الإسلام بل خوفاً من نشر أحاديث في حق أُناسٍ كان النبيُّ راضياً عنهم، وآخرين كان ساخطاً عليهم، فكان عمر بن الخطاب يمنع من كتابة الحديث، وكان يقول: اشتغلوا بالقرآن، فإنّ القرآن كلام الله.

---

(١) الإصابة ج٤/ ٢٠٥ وفيه: عبد الله بن عمر، وفي أضواء على السنة ص٢١١: عبد الله بن عمرو.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٨/ ٨٧.

[وروى عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك بعض الصحابة فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له (وحاشا لله أن يعزم في إطفاء ما أوحاه لرسوله) فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً][1].

وروى الطبري أن ابن الخطاب كان كلما أرسل حاكماً أو والياً إلى قطر أو بلد يوصيه جملة ما يوصيه «جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد وأنا شريككم..»[2].

وذكر صاحب كتاب «تقييد العلم» عن القاسم بن محمد: إنّ عمر بن الخطاب بلغه أنه قد ظهرت في أيديكم كتب فأحبّها إلى الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به فأرى فيه رأيي. قال: فظنوا أنه يريد أنْ ينظر فيها ويقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب. وقد تبعه على ذلك عثمان ثم معاوية وكان الأخير يقول: «أيها الناس اتّقوا الروايات عن رسول الله إلا ما كان يُذكر في زمن عمر»[3].

ونحن لا نستغرب من سيرة هؤلاء في منعهم لكتابة الحديث لأن في ذلك توطيداً لحكمهم وذلك لورود النصوص الكثيرة من النبيّ ﷺ يرويها الثقاة تذمّ مغتصبي الخلافة من أصحابها الشرعيين أوّلهم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه الشريف). فكل حديث لا يوافق تصرفاتهم كانوا يمنعون من بثّه وترويجه بين الناس خوفاً من النقمة الشعبية عليهم وهذا لا يخفى على المتصفح لتاريخ الإسلام خصوصاً بعد رحيل النبيّ ﷺ ومنع عمر بن الخطّاب من تدوين الحديث ونشره وكتابته ومدارسته بعد وفاة النبي ليس أمراً

(١) الملل والنحل للسبحاني ج١/ ٥٧ نقلاً عن تقييد العلم ص٢٩.
(٢) تاريخ الطبري ج٣/ ٢٧٣ ط/ الأعلمي.
(٣) طبقات ابن سعد ج٥/ ١٧٣، والملل والنحل للسبحاني ج١/ ٥٨.

جديداً حصل من عمر لأبي هريرة وأمثاله، بل لقد فعل ذلك ابن الخطاب عند احتضار النبيّ عندما قال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً» فقالوا: إن النبي يهجر[1].

وبلفظ آخر: آتوني بدواة وكتف لأكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا من بعدي أبداً، فقال عمر بن الخطاب: إن النبي ليهجر حسبنا كتاب الله[2].

وروى البخاري عن ابن عباس قال محدّداً هوية القائل وهو عمر:

«لما حضر النبيّ وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلمّ أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده، قال عمر: إن النبيّ غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول ما قال عمر، فلمّا أكثروا اللغط والاختلاف، قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع[3].

وفي رواية لعمر بن الخطاب ذكر كيفية تنازعهم قال:

كنّا عند النبيّ وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله: اغسلوني بسبع قِرَبٍ، وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقالت النسوة: ائتوا رسول الله بحاجته، فقال عمر فقلت: اسكتن فإنكنّ صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن وإن صَحَّ أخذتنّ بعنقه، فقال رسول الله: هنّ خير منكم»[4].

وفي رواية أخرى أن زينب زوج النبيّ قالت: ألا تسمعون النبيّ يعهد إليكم؟ فلغطوا فقال: قوموا فلمّا قاموا قبض النبيّ مكانه[5].

---

(١) صحيح البخاري: باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد، وباب إخراج اليهود من جزيرة العرب من كتاب الجزية، ومسلم في صحيحه: باب ترك الوصية، وقد رواه مسلم بسبعة أسانيد.

(٢) تاريخ ابن الأثير ج٢/ ٣٢٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب العلم.

(٤) طبقات ابن سعد، ط/ بيروت ج٢/ ٢٤٣ باب الكتاب الذي أراد أن يكتبه الرسول لأمته. ونهاية الأرب ج١٨/ ٣٥٧، وكنز العمال ط أولى ج٣/ ١٣٨ وج٤/ ٥٢.

(٥) طبقات ابن سعد ج٢/ ٢٤٤.

ويظهر من بعض الأحاديث أنهم نشطوا لمنع كتابة حديث الرسول قبل ذلك وفي صحة الرسول، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله فنهتني قريش وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال: أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حق»[1].

قد كشفوا النقاب في حديثهم مع عبد الله عن سبب منعهم من كتابة حديث الرسول وهو خشيتهم من أن يروى عنه حديث في حقّ أناس قاله فيهم حال رضاه عنهم، وفي حق آخرين ما قاله في حال غضبه عليهم.

ومن هنا نعرف سبب منعهم كتابة وصية الرسول في آخر ساعات حياته، ولماذا أحدثوا اللغط والضوضاء حتى توفي. وسبب منعهم من كتابة حديث الرسول عندما ولوا الحكم ولم يبق مانع من ذلك.

إذن الغاية عند عمر في منعه من كتابة الحديث واحدةٌ لا تتغير، وحقيقتها أنه يريد أن ينعم بالخلافة، فلا أحد يزعجه بأحاديث تروى عن النبي ﷺ يلعن بها من اغتصب الخلافة من أصحابها الذين أمر الله باتباعهم، أو فيها ذمّ للظالمين.

ولم يقتصر منع كتابة الحديث على عمر فحسب بل كان دارجاً في عهد أبي بكر، لذا روى الذهبي أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه»[2].

---

(١) سنن الدارمي ج١/ ١٢٥ وسنن أبي داود ج٢/ ١٢٦، ومسند أحمد ج٢/ ١٦٢، ومستدرك الحاكم ج١/ ١٠٥.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي بترجمة أبي بكر ج١/ ٢ ـ ٣.

ثم سار على منهاجه كل من اعتقد بصحة خلافته أمثال قرظة بن كعب قال:

«لمّا سيّرنا عمر إلى العراق مشى معنا إلى صرار، ثم قال: أتدرون لمَ شيعتكم؟ قلنا: أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: إن مع ذلك لحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل فلا تصدّوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم، قال قرظة: فما حدّثت بعده حديثاً عن رسول الله[1].

وهكذا عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقّاص ممن تابعوا سُنَّة الخلفاء وامتنعوا عن نشر سُنَّة الرسول، فعن الشعبي قال:

جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدّث عن رسول الله(ص).

وفي رواية أخرى عنه، قال قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصف فما سمعته يحدّث عن رسول الله شيئاً[2].

وفي المقابل هناك فريق خالف سُنَّة خلفاء الجور، فجهر بالحق، فلقي من الإرهاق ما نذكر أمثلة منه في ما يأتي:

ففي كنز العمال:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذرّ وعقبة ابن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله في الآفاق؟

قالوا: تنهانا؟

قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم نأخذ منكم ونردّ عليكم، فما فارقوه حتى مات[3].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) سنن الدارمي ج١/ ٨٤ ـ ٨٥.

(٣) كنز العمال: ط أولى ج٥/ ٢٣٩ رقم الحديث ٤٨٦٥، ومنتخب الكنز ج٤/ ٦١.

وروى الذهبي أن عمر حبس ثلاثة: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري، فقال: أكثرتم الحديث عن رسول الله[1].

وكان يقول للصحابة: أقلّوا الرواية عن رسول الله إلاّ في ما يعمل به[2].

وهكذا كان على عهد عثمان بن عفان الذي يسمونه بذي النورين كذباً وزوراً، فقد أقرّ منع كتابة الحديث، فقال مرة:

«لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا على عهد عمر»[3].

وتطبيقاً للخطة التي رسمها عمر في إطفاء أخبار رسول الله، سار عثمان فوضع على الأفواه أوكية، لذا شدّد النكير على الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري، فمنعه من الحديث والجهر بالحق.

روى الدارمي وغيره من: «أن أبا ذر كان جالساً عند الجمهرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه، ثم قال: ألم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه، فقال: أرقيبٌ أنت عليّ؟ لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعت من رسول الله قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها»[4].

وروى الأحنف بن قيس قال:

أتيت الشام فجمّعتُ[5]، فإذا رجل لا ينتهي إلى سارية إلا فرّ أهلها يصلّي

---

(١) تذكرة الحفاظ ج١/ ٧ بترجمة عمر.

(٢) تاريخ ابن كثير ج٨/ ١٠٧.

(٣) منتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج٤/ ٦٤.

(٤) سنن الدارمي ج١/ ١٣٢ وطبقات ابن سعد ج٢/ ٣٥٤ وصحيح البخاري: باب العلم قبل القول ج١/ ١٦١.

(٥) فجمّعت: أي حضرت الصلاة يوم الجمعة.

ويخفُّ صلاته، قال: فجلست إليه ،فقلت له: يا عبد الله من أنت؟ قال: أنا أبو ذر، فقال لي: فأنت من أنت؟ قال قلت: الأحنف بن قيس، قال: قم عني لا أُعديك بشرّ، فقلت له: كيف تعديني بشرّ، قال: إن هذا ـ يعني معاوية ـ نادى مناديه: ألا يجالسني أحد»[1].

ومن أجل مخالفته لأوامر السلطة، نُفي أبو ذر من بلد إلى بلد حتى لقي حتفه طريداً فريداً بالربذة عام ٣١هـ.

كل ذلك من أجل الإفصاح عن فضائل أهل البيت عليهم السلام، هذه الفضائل التي أرعبت الخلفاء، لذا منعوا من نشرها، أما نشر أحكام الصوم والصلاة وبقية الفروع فلا بأس به، أما فضائلهم فحيث تتصل بعقائدهم فيحرم نشرها كما أفاد عمر بقوله: «أقلوا الرواية عن رسول الله إلاّ فيما يُعمل به»، أما فيما لا يُعمل به كالعقائد والفضائل فهذه محرّمة على المسلمين يومذاك وما زالت إلى يومنا هذا حتى عند الذين يصبغون أنفسهم أنهم من شيعة آل البيت، لا سيّما من مشايخ السوء الذين كثر سوقهم في زماننا هذا، فباتوا ينعقون للزعيم والقائد من أجل حفنة من الدولارات، أجارنا الله تعالى منهم ومما ينعقون ويصفرون.

ويشهد لما قلنا أن سبب المنع هو الفضائل، ما ذكره معاوية للمغيرة بن شعبة لمّا استعمله على الكوفة عام ٤١هـ وأمّره عليها، إستدعاه وقال له:

قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً إيصاءك بخصلةٍ: لا تترك شتم عليّ وذمّه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان والإدناء لهم، فقال له المغيرة: قد جرّبت وجُرّبت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذممني وستبلو فتحمد أو تذمّ، فقال: بل نحمد إن شاء الله[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ج٤/ ١٦٨.

(٢) تاريخ الطبري ج٢/ ١١٢ حوادث سنة ٥١هـ وابن الأثير ج٣/ ١٠٢.

وروى المدائني في كتاب الأحداث وقال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، وكان أشدّ البلاء حينئذٍ أهل الكوفة[1].

وفي هذا السبيل قتل حجر بن عدي وأصحابه صبراً، وقتل وصلب رشيد الهجري وميثم التمار.

هكذا خنق خلفاء الجور أنفاس الصحابة والتابعين وقضت على من خالف سياستهم، وفي مقابل ذلك فتحت الباب لآخرين أن يتحدثوا بين المسلمين كما يشاؤون.

وبالجملة: فإن منع أبي هريرة من كتابة الحديث كان خوفاً من المانعين من أن يبوح أبو هريرة بفضائل آل البيت ويذم بأعدائهم، لا سيّما وأن أبا هريرة يتجه إلى الناحية التي يميل إليها طبعه وتتفق مع هوى نفسه، وقد عرفنا سابقاً أنه صحب النبيّ لملء بطنه، لذا لم يبرز نجمه في عهدي أبي بكر وعمر اللذين كانا يتظاهران بالزهد، بخلاف عثمان المعروف بالبذخ والسخاء على ذويه وأقاربه، فأخذ أبو هريرة يظهر في زمن عثمان بعد انزوائه، ويبدو للناس بعد خفائه، ثم لمع نجمه في عهد معاوية الذي يملك من أسباب السلطان والترف والمال والنعيم ما لا يملكه أحد سواه يومذاك، وليس بغريب على من نشأ نشأة أبي هريرة وعاش عيشته، أن يتنكب الطريق التي تؤدي إلى الإمام عليّ. وأن يتخذ سبيله إلى معاوية ليشبع نهمه من ألوان موائده الشهية، ويقضي وطره من رفده وصلاته وعطاياه السنية.

وإذا كان قد بلغ من فاقة أبي هريرة وجوعه أن يخرّ مغشياً عليه، فيضع الناس أرجلهم على عنقه! فهل تراه يدع دولة بني أمية ذات السلطان العريض والأطعمة الناعمة، وينقلب إلى الإمام عليّ الزاهد الفقير الذي كان طعامه خبز الشعير؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣/ ١٥، ط/ البابي الحلبي.

إن هذا لمما تأباه الطباع ولا يتفق والغرائز النفسية! اللهم إلا من عصم ربك، وقليل ما هم.

ولقد عرف بنو أمية صنيعه معهم، وقدروا موالاته لهم، فأغدقوا عليه من إفضالهم، وغمروه برفدهم وأعطيتهم، فلم يلبث أن تحوّل حاله من ضيق إلى سعة، ومن شظف العيش إلى دعة، ومن فقر إلى ثراء، وبعد أن كان يستر جسمه بنمرة بالية، صار يلبس الخز والكتان الممشق.

وكانت أول لفتة من عين الأمويين إلى أبي هريرة لقاء مناصرته إياهم أن ولاه بسر بن أرطأة على المدينة بعد أن بعثه معاوية إلى أهل الحجاز يفعل فعلاته بهم وبأموالهم وذراريهم، وكذلك كان مروان ينيبه عنه على ولاية المدينة، ثم زادت أياديهم عليه فبنوا له قصراً بالعقيق وأقطعوه أرضاً بالعقيق وبذي الحليفة، ولم يكتفوا بذلك بل زوجوه بسرة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان وهي التي كان يخدمها أيام عريه وفقره بطعام بطنه.

ولقد استخفه اشره وزهوه، ونم عليه أصله ونحيزته، فخرج عن حدود الأدب والوقار مع هذه السيدة الكريمة، فكان يقول بعد هذا الزواج الذي ما كان ليحلم به: «إني كنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، فكنت إذا ركبوا سقتُ بهم وإذا نزلوا خدمتهم، والآن تزوجتها، فأنا الآن أركب فإذا نزلتُ خدمتني!».

ولم يكن ما قدّم أبو هريرة لمعاوية جهاداً بسيفه أو بماله، وإنما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين يخذل بها أنصار الإمام عليّ ويطعن فيها عليه، ويجعل الناس يبرءون منه، ويشيد بفضل معاوية ودولته.

ولقد روى أحاديث كثيرة في عثمان ومعاوية وغيرهما، وهذه الأحاديث من مبتكراته، روى البيهقي عنه أنه لمّا دخل دار عثمان وهو محصور، استأذن في الكلام ولمّا أذن له قال: إني سمعت رسول الله يقول: إنكم ستلقون بعدي فتنة واختلافاً، فقال له قائل من الناس فمن لنا يا رسول الله؟ أوما تأمرنا؟ فقال: عليكم

بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان.

ومما وضعه في معاوية ما أخرجه الخطيب عنه: ناول النبيُّ معاوية سهماً، فقال: خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنّة.

وأخرج ابن عساكر وابن عدي والخطيب البغدادي عنه: سمعت رسول الله يقول: إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية.

ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة وكانت مشهورة بالجمال الفائق فقال: سبحان الله! ما أحسن ما غذاك أهلك! والله ما رأيت وجهاً أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله.

والأخبار التي لفّقها على رسول الله كثيرة جداً، كما أنه وضع أحاديث على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

قال أبو جعفر الإسكافي: إن معاوية حمل قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين، على رواية أخبار قبيحة على عليّ عليه السلام تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم في ذلك جعلاً، فاختلقوا له ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

وروى الأعمش: لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة[1]، جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس، جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق أتزعمون أني أكذب على الله ورسول الله وأحرق نفسي بالنار، والله لقد سمعت رسول الله يقول: لكل نبي حرماً وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها، فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة.

---

(١) هو العام الذي صالح فيه الإمام الحسن عليه السلام معاوية حقناً لدماء المسلمين سنة ٤١هـ وسموه عام الجماعة وهو في الحقيقة كان عام الفرقة.

على أن الحق لا يعدم أنصاراً، وأن الصحابة إذا كان فيهم مثل أبي هريرة ممن يستطيع معاوية أن يستحوذ عليه، فإن فيهم من لا يستهويه وعد، ولا يرهبه وعيد، فقد روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار أنّ أبا هريرة، لمّا قدم الكوفة مع معاوية، كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة أنشدك الله، أسمعت رسول الله يقول لعليّ بن أبي طالب: اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه؟ فقال: اللهم نعم، فقال: أشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه، ثم قام عنه بعد أن لطمه هذه اللطمة الأليمة.

وروى مسلم:

أن معاوية بن أبي سفيان قال لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله؟ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من حمر النعم! سمعت رسول الله يقول له لمّا خلفه في بعض مغازيه: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنه لا نبوة بعدي.

وسمعته يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله» فتطاولنا لها فقال: ادعوا عليّاً، فأتى به أرمد، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللّهم هؤلاء أهلي.

ومن فضائل أمير المؤمنين عليّ أن النبيّ قال له: أنت مني وأنا منك، وقال له: من كنت مولاه فعلي مولاه. وقال أحمد بن حنبل ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن عليّ، وقال هو والنسائي والنيسابوري وغيرهم: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فيه.

وأخرج مسلم عن الإمام عليّ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد إليّ

«أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق» وقد جمع النسائي في مناقبه كتاب الخصائص.

تدليسه للرواية:

لقد اشتهر أبو هريرة بكثرة نقولاته حتى بلغت (٥٣٧٤) ولو كانت كلها صحيحة لأخذ بها البخاري كلها، مع أنه اقتصر على (٤٤٦) حديث من مجموع تلك الآلاف، وقد عرفت موقف عمر من كثرة رواياته، وهكذا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حيث وقف منه موقف الشجب والإنكار، لذا ورد عنه عليه السلام أنه قال: «أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة» ولمّا سمع أنه يقول: حدّثني خليلي! قال له: متى كان النبيُّ خليلك؟.

قال العلاّمة الكبير محمود أبو ريه معرّفاً عن أبي هريرة:

«ذكر علماء الحديث أنّ أبا هريرة كان يدلّس، والتدليس كما عرفوه: أن يروي عمّن لقيه ما لم يسمعه منه أو عمّن عاصره ولم يلقه، موهماً أنه سمعه منه، والتدليس أنواع كثيرة، وحكمه أنه مذموم كله على الإطلاق، وقد كره التدليس جماعة من العلماء، وكان شعبة (بن الحجاج، إمام أهل الحديث) أشد الناس إنكاراً لذلك حين قال: لأن أزني أحبّ إليّ من أن أدلّس! وقال أيضاً: التدليس أخو الكذب.

ومِنَ الحفاظ مَنْ جرّح مَنْ عُرف بهذا التدليس من الرواة فردّ روايته مطلقاً وإنْ أتى بلفظ الاتصال، ولو لم يعرف أنه دلّس إلا مرة واحدة، كما نصّ على ذلك الشافعي.

وروى مسلم بن الحجاج عن بُسر بن سعيد قال: اتّقوا الله وتحفّظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدّث عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ويحدّثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله! وفي رواية يجعل ما

قاله كعب عن رسول الله وما قاله رسول الله عن كعب! فاتقوا الله وتحفّظوا في الحديث.

وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلّس - أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله، ولا يميّز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر - وكأنّ شعبة يشير بهذا إلى حديث: «من أصبح جنباً فلا صيام له»، فإنه لما حوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله.

وقال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث»: ... وكان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كذا وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه.

وقال ابن قتيبة أيضاً في «تأويل مختلف الحديث» أنه «لما أتى أبو هريرة من الرواية عنه صلى الله عليه [وآله] وسلم ما لم يأتِ بمثله مَن صحبه من جلّة أصحابه والسابقين الأولين اتهموه وأنكروا عليه وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟ ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أشدهم إنكاراً عليه لتطاول الأيام بها وبه» وممن اتّهم أبا هريرة بالكذب: عمر وعثمان وعليّ وغيرهم وبذلك كان - كما قال الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي - «أول راوية اتُّهم في الإسلام».

ولما قالت له عائشة: إنك لتحدّث حديثاً ما سمعته من النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار: إذ قال لها - كما رواه ابن سعد والبخاري وابن كثير وغيرهم: شغلك عنه صلى الله عليه [وآله] وسلم المرآة والمكحلة! وفي رواية - ما كانت تشغلني عنه المكحلة والخضاب، ولكن أرى ذلك شغلك!!

على أنه لم يلبث أنْ عاد فشهد بأنها أعلم منه، وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها، ذلك أنه لما روى حديث «من أصبح جنباً فلا صوم له» أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت؛ إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل ويصوم، وبعث إليه بأن لا يحدّث بهذا الحديث عن رسول الله،

فلم يسعه إزاء ذلك إلا الإذعان، وقال: إنها أعلم مني، وأنا لم أسمعه من النبي وإنما سمعته من الفضل بن العباس ـ فاستشهد ميتاً وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، كما قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث».

وكان [الإمام] عليّ سيّء الرأي فيه، وقال عنه: إلا أنه أكذب الناس ـ أو قال: أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة. ولما سمع أنه يقول: «حدّثني خليلي!...» قال له: متى كان النبي خليلك؟. ولما روى حديث: «متى استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يضعها في الإناء، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده ـ لم تأخذ به عائشة وقالت: كيف نصنع بالمهراس؟

ولما سمع الزبير أحاديثه قال: صدق، كذب.

وعن أبي حسان الأعرج أنّ رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم «إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار» فطارت شفقاً ثم قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم، من حدّث بهذا عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم! إنما قال رسول الله «كان إهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار»، ثم قرأت: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ .(١)

وأنكر عليه ابن مسعود قوله: «من غسّل ميتاً، ومن حمله فليتوضأ ـ وقال فيه قولاً شديداً ثم قال: يا أيها الناس لا تنجسوا من موتاكم.

وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة أنه قال: أقلد من كان من القضاة المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادلة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيي إلا ثلاثة نفر (أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة بن جندب) فقيل له في ذلك فقال: أما أنس فاختلط في آخر عمره وكان يُستفتى فيفتي من عقله، وأنا

---

(١) سورة الحديد: ٢٢.

لا أقلد عقله، وأما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أنْ يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ».

وروى أبو يوسف قال: قلت لأبي حنيفة: الخبر يجيئني عن رسول الله يخالف قياسنا، ما نصنع به؟ فقال: إذا جاءت به الرواة الثقاة عملنا به وتركنا الرأي، فقلت: ما تقول في رواية أبي بكر وعمر؟ قال: ناهيك بهما. فقلت: وعليّ وعثمان؟ قال: كذلك. فلما رآني أعدّ الصحابة ـ قال: والصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً. وعدّ منهم أبا هريرة وأنس بن مالك.

وعن إبراهيم النخعي قال:

كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة، ورواية الأعمش عنه: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة!

وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم: كانوا يرون في أحاديث رسول الله شيئاً، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار، أو حث على عمل صالح، أو نهي عن شر جاء في القرآن[1].

وروى أبو شامة عن الأعمش قال:

كان إبراهيم صحيح الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة فقال: دعني من أبي هريرة! إنهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه.

وقال أبو جعفر الإسكافي:

وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر وقال: أكثرت من الحديث وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله[2].

---

(١) البداية والنهاية ج٨/ ١٠٩.

(٢) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج١/ ٣٦٠.

وقال ابن الأثير: أما رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها[1].

وفي الأحكام للآمدي:

أنكر الصحابة على أبي هريرة كثرة روايته، وذلك لأن الإكثار لا يؤمن معه اختلاط الضبط الذي لا يعرض لمن قلّت روايته.

وجرت مسألة المصراة[2] في مجلس الرشيد فتنازع القوم فيها، وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو هريرة، فرد بعضهم الحديث وقال: أبو هريرة متّهم فيما يرويه، ونحا نحوه الرشيد»[3] انتهى.

وقال محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار:

«لو طال عُمُر عمر بن الخطاب حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة[4]» وقال عن أحاديثه المشكلة: «لا يتوقف على شيء منها إثبات أصل من أصول الدين»[5].

وقال محمّد رضا في موضع آخر:

«فأكثر أحاديثه ـ أي أبي هريرة ـ لم يسمعها من النبيّ، وإنما سمعها من الصحابة والتابعين، فإذا كان جميع الصحابة عدولاً في الرواية ـ كما يقول جمهور المحدثين ـ فالتابعون ليسوا كذلك، وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الأحبار، وأكثر أحاديثه عنعنة، على أنه صرّح بالسماع ـ أي أنه سمعه من رسول الله ـ في

---

(1) المثل السائر ص٨١.

(2) المصراة: هي الناقة أو البقرة يجمع اللبن في ضرعها ويحبس أياماً بغير حلب، لإيهام المشتري أنها غزيرة اللبن، وسبب رد الحنفية لحديث «المصراة» أنه مخالف للأقيسة بأسرها، فإن حلب اللبن تعدٍ، وضمان التعدي يكون بالمثل أو بالقيمة، والصاع من التمر ليس بواحد منها.

(3) أضواء على السنة المحمدية ص٢٠٢ ـ ٢٠٦.

(4) أضواء ص٢٠١ نقلاً عن مجلة المنار ج١٠/ ٨٥١.

(5) نفس المصدر نقلاً عن مجلة المنار ج١٩/ ١٠٠.

حديث «خلق الله التربة يوم السبت» وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار»[1].

وقال أيضاً: «إنه يكثر في أحاديثه الرواية بالمعنى والإرسال، لأن الكثير منه قد سمعه من الصحابة وكذا بعض التابعين، ورواية الحديث بالمعنى كانت مثاراً لمشكلات كثيرة.

كا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الإنكار أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وأخبار النبي ببعض المغيبات التي تقع بعده، ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعدّ من العلل التي يتثبت بها في روايته ـ كما هو المعهود عند نقاد الحديث، أهل الجرح والتعديل، ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة»[2].

وما أروع ما قاله الأستاذ أبو ريه في ختم كلامه عن أبي هريرة:

«هذه ترجمة مختصرة لأبي هريرة التزمنا فيها الناحية التقريرية ولم نسلك الطريقة التحليلية والموضوعية، التي لا تكتمل التراجم الصحيحة إلا بها، ولا تتم دراسة الرجال والأحداث إلاّ باتباعها، ذلك بأننا لم نصل بعد إلى احتمال سطوتها، وبخاصة إذا كان الأمر يتصل بأحد الصحابة الذين قالوا فيهم «إنهم كلهم عدول» فلا يجوز لأحد أن ينتقد بالعلم والبرهان والحجة أحداً منهم، لا في روايته ولا في شهادته، ولا في سيرته، ومما قالوه في ذلك أيضاً «إن بساطهم قد طوى» كأن العدالة موقوفة عليهم وحدهم، وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الإنسانية، فلا يعتريهم ما يعتري كل إنسان من سهو أو خطأ، أو وهم أو نسيان ولا نقول [ولا يقول] الكذب والبهتان.

على أننا لو سلّمنا لهم بأنّ كل صحابي معصوم فيما يقع فيه غيره من بني الإنسان وأنه لا ينسى ولا يخطىء ولا يهمّ، ولا يعتريه سوء فهم أو غلط، وأنه لم

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مجلة المنار ج١٩/ ٩٧.

يكن في الصحابة منافقون، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ولا وقع بينهم ما وقع، ولا ارتدّ بعضهم بعد موت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم، ولا غير ذلك كله مما حملته كتب التاريخ الصحيحة عنهم - فإن أمر أبي هريرة يباين أمر الصحابة جميعاً، فقد جرحه كبار الصحابة ومَن جاء بعدهم وشكّوا في روايته.

ويعجبني قول علماء الكلام - أصحاب العقول الصريحة - في هذا الأمر نفسه، فقد جاءت عنهم هذه الكلمة الحكيمة وهي «ومن عجيب شأنهم - أي رجال الحديث - أنهم ينسبون (الشيخ) إلى الكذب ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدّثون - بقدح يحيى بن معين وعلي بن المديني وأشباههما ويحتجون بحديث أبي هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة، وقد أكذبه عمر وعليٌّ [أمير المؤمنين] وعثمان وعائشة.

وما بيّناه من تاريخ أبي هريرة قد سقناه لك على حقيقته، وأظهرنا شخصيته كما خلقها الله ولم نأتِ فيها بشيء من عند أنفسنا، بل أتينا بالروايات الصحيحة فيها، ورجعنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها، ولا يدنو الريب منها. على أننا قد طوينا كثيراً مما أثبته التاريخ الصحيح، لأن بعض الناس في دهرنا لا يزالون يخشون سطوة الحقّ، ولا يحتملون قوة البرهان.

وأبو هريرة لم يكن له أي شأن في زمن النبيّ ﷺ ولا في عهد الخلفاء الأربعة، ولم يستطع أن يفتح فاه بحديث واحد إلاّ بعد قتل عمر، ولم يجرؤ على الفتوى إلا بعد الفتنة الأولى وهي قتل عثمان وعلو شأن بني أمية، وناهيك بالبخاري فإنه لم يذكره بين الصحابة الذين جاءت في فضلهم أحاديث عن رسول الله.

على أنه لا يفوتنا أن نذكر أن فيما رواه أحاديث يبدو منها شعاع من نور النبوة، ينفذ إلى القلوب السليمة، ولعلها مما يكون قد سمعه (وضبطه) والحديث الصحيح له ضوء كضوء النهار» انتهى كلامه[1].

---

(١) أضواء على السنة ص٢٢١.

قال الملك: ـ موجّهاً الخطاب إلى الوزير ـ

هل صحيح أن عمر منع أبا هريرة عن نقل الحديث؟

قال الوزير:

نعم، منعه كما ـ جاء ـ في التواريخ[1].

قال الملك:

فكيف نعتمد على أحاديث أبي هريرة؟

قال الوزير:

لأن العلماء اعتمدوا على أحاديثه.

قال الملك:

إذن، يجب أن يكون العلماء أعلم من عمر! لأن عمر منع أبا هريرة عن نقل الحديث لكذبه على رسول الله، ولكنَّ العلماء يأخذون بأحاديثه الكاذبة!

قال العبّاسي:

هب (أيّها العلوي) إن الأحاديث الواردة في السُّنّة حول الله غير صحيحة، ولكن ماذا تصنع بالآيات القرآنية؟

---

(١) فليراجع: أعلام النبلاء للذهبي ج٢/ ٤٣٣، البداية والنهاية لابن كثير ج٨/ ٨٧، ط/ الدار العلمية، وقد ذكر ابن كثير العديد من روايات المنع، وفيه أورد عن عمر قال لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس. وقال عمر لكعب الأحبار: لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة.

قال العلوي:

القرآن فيه آيات محكمات هنّ أم الكتاب، وأُخر متشابهات، وفيه ظاهر وباطن، فالمحكم الظاهر يُعمل بظاهره.

وأما المتشابه فاللازم أنْ تنزله على مقتضى البلاغة من إرادة المجاز والكناية والتقدير، وإلاّ لا يصح المعنى لا عقلاً ولا شرعاً، فمثلاً:

إذا حملت قوله تعالى «وجاء ربك» على ظاهره، فقد عارضت العقل والشرع لأن العقل والشرع يحكمان بوجود الله في كل مكان، وأنه لا يخلو منه مكان أبداً، وظاهر الآية تقول بجسمية الله، والجسم له حيّز ومكان، ومعنى هذا أن الله لو كان في السماء خلا منه الأرض، ولو كان في الأرض خلا منه السماء، وهذا غير صحيح لا عقلاً ولا شرعاً[1].

---

(١) أشار المتن إلى نقطتين:

الأولى: حجية ظواهر الكتاب الكريم.

الثانية: وجود المحكم والمتشابه.

أما النقطة الأولى:

فإن العمل بظواهر الكتاب كغيره من ظواهر اللغة العربية أو أية لغة أخرى، حيث يأخذ بها كل خبير بألفاظها ومعانيها، وإلا كيف يتعاملون فيما بينهم إن لم يكن هناك ما يبرز مقاصدهم وأهدافهم، وليس ذاك إلا اللفظ الذي من خلاله يعبّرون عمّا يجيش في صدورهم. ومن هذا القبيل الأخذ بظاهر الكتاب الكريم من حيث كونه كتاباً ربانياً نزل على رسول الله ليخرجهم من الظلمات إلى النور، فيتدبرون آياته، يأخذون بما أمر به، ويزدجرون بزواجره، لذا قال تعالى: ﴿ أَفَلَا

يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[3].

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[4].

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[5].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب العمل بما في القرآن ولزوم الأخذ بما يُفهم من ظواهره.

وظواهر الكتاب حجة إلا المتشابه فلا يجوز العمل به من دون الرجوع إلى المحكم، وهذا نظير ظواهر اللغة، حيث إن ظاهر اللفظ يُحمل على عدة معانٍ، فلا بدّ من تعيين المراد من قرينة تصرفه عن غيره.

واستدل على حجية ظواهر الكتاب ـ إلا المتشابه ـ بأمور:

١ ـ أن القرآن نزل حجة من ربّ العالمين على قلب رسول الله محمّد الذي تحدّى الجن والإنس على أن يأتوا ولو بسورة من مثله، ومعنى هذا: أنّ العرب كانت تفهم معاني القرآن من ظواهره، ولو كان القرآن من قبيل الألغاز لم تصح مطالبتهم بمعارضته، ولم يثبت لهم إعجازه، لأنهم ـ على هذه الحال ـ ليسوا ممن يستطيعون فهمه، وهذا ينافي الغرض من إنزاله ودعوة البشر إلى الإيمان به والأخذ بمضامينه بتدبر آياته.

---

(١) سورة محمد: ٢٤.

(٢) سورة الزمر: ٢٧.

(٣) سورة الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٨.

(٥) سورة الدخان: ٥٨.

٢ ـ الروايات المتضافرة الآمرة بالتمسُّك بالثقلين اللذين تركهما النبيّ في المسلمين، ومن الواضح أن معنى التمسك بالكتاب هو الأخذ به، والعمل بما يشتمل عليه، ولا معنى له سوى ذلك.

٣ ـ الروايات المتواترة التي أمرت بعرض الأخبار على الكتاب، وأن ما خالف الكتاب منها يُضرب على الجدار، أو أنه باطلٌ أو زخرف إلى ما هنالك من تعبيرات صدرت منهم عليهم السلام، وهذه الروايات صريحة في حجية ظواهر الكتاب، وأنه مما يفهمه عامة أهل اللسان العارفين بالفصيح من لغة العرب.

٤ ـ استدلالات الأئمة عليهم السلام على جملة من الأحكام الشرعية وغيرها بالآيات القرآنية، معلّمين شيعتهم كيف يستنبطون الأحكام من الكتاب في غيبة قائمهم عليه السلام وعجّل الله تعالى فرجه الشريف، منها:

قول الإمام الصادق عليه السلام، حينما سأله زرارة من أين علمت أن المسح ببعض الرأس؟ قال عليه السلام: لمكان الباء.

ومنها: قوله عليه السلام في نهي الدوانيقي عن قبول خبر النّمام: أنه فاسق، وقد قال الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1].

ومنها قوله عليه السلام لمن أطال الجلوس في بيت الخلاء لاستماع الغناء اعتذاراً بأنه لم يكن شيئاً أتاه برجله، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ:

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

ومنها: قوله عليه السلام لابنه إسماعيل: «فإذا شهد عندك المؤمنون فصدّقهم» مستدلاً بقول الله عزّ وجلّ:

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1].

ومنها: قوله عليه السلام في تعليل نكاح العبد للمطلّقة ثلاثاً «أنّه زوج»، قال الله عزّ وجل:

﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾[2].

ومنها: قوله عليه السلام في أن المطلقة ثلاثاً لا تحلّ بالعقد المنقطع: إن الله تعالى قال:

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾[3].

ولا طلاق في المتعة.

ومنها: قوله عليه السلام فيمن عثر فوقع ظفره فجعل على إصبعه مرارة: إنّ هذا وشبهه يعرف من كتاب الله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[4].

ثم قال: إمسح عليه.

ومنها: استدلاله عليه السلام على حليّة بعض النساء بقوله تعالى:

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾[5].

ومنها: استدلاله عليه السلام على عدم جواز نكاح العبد بقوله تعالى:

﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة: ٦١.
(٢) سورة البقرة: ٢٣٠.
(٣) سورة البقرة: ٢٣٠.
(٤) سورة الحج: ٧٨.
(٥) سورة النساء: ٢٤.
(٦) سورة النحل: ٧٥.

ومنها: استدلاله عليه السلام على حليّة بعض الحيوانات بقوله تعالى:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾[1].

وغير ذلك من استدلالاتهم عليهم السلام بالقرآن في موارد كثيرة، وهي متفرقة في أبواب الفقه وغيرها.

وهناك من أسقط حجية ظواهر الكتاب مستدلين على ذلك بوجوه:

الوجه الأول: اختصاص فهم القرآن بمن خوطب به.

فقد روى أصحاب هذه الدعوى أخباراً في ذلك، منها:

رواية زيد الشحام، قال:

«دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام، فقال له: أنت فقيه أهل البصرة؟

فقال: هكذا يزعمون، فقال عليه السلام: بلغني أنك تفسّر القرآن؟ قال: نعم، إلى أن قال: يا قتادة إن كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتادة ـ ويحك ـ إنما يعرف القرآن من خوطب به.

والجواب:

١ ـ تضمنت الرواية على لفظ التفسير، وهو بمعنى كشف القناع، فلا يشمل ـ كشف القناع ـ الأخذ بظاهر اللفظ، لأنه غير مستور ليكشف عنه القناع، ويدل عليه ما ورد من وجوب عرض الأخبار على كتاب الله تعالى، فلو لم يكن بوسع غير المعصوم عليه السلام فهم القرآن كيف يأمرون حينئذٍ بعرض أخبارهم على الكتاب؟!

٢ ـ يراد من هذه الرواية وأمثالها أن فهم القرآن حق فهمه، ومعرفة ظاهره

---

(١) سورة الأنعام: ١٤٥.

وباطنه، وناسخه ومنسوخه مختص بمن خوطب به وهم أهل البيت عليهم السلام، ويؤيد هذا ما ورد في مرسلة شعيب بن أنس عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لأبي حنيفة:

«أنت فقيه أهل العراق؟ قال: نعم، قال عليه السلام: فبأي شيء تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيّه، قال عليه السلام: يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم، قال عليه السلام: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً ـ ويلك ـ ما جعل الله ذلك إلاّ عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه وآله، وما ورّثك الله تعالى من كتابه حرفاً.

فالرواية صريحة في ذلك، حيث كان السؤال فيها عن معرفة كتاب الله حق معرفته، وتمييز الناسخ والمنسوخ وما شابه ذلك، وكان توبيخ الإمام عليه السلام لأبي حنيفة على دعوى معرفة ذلك.

هذا مضافاً إلى أن رواية قتادة صريحة في حرمة تفسير القرآن بالرأي والقياس من دون الرجوع إلى من خوطب بهم القرآن، لأنهم المخصوصون بعلم القرآن على واقعه وحقيقته، وليس لغيرهم في ذلك نصيب، هذا هو معنى الروايات الناهية عن تفسير القرآن بالرأي وإلا فكيف يعقل أن أبا حنيفة وقتادة لا يعرفان شيئاً من كتاب الله حتى مثل قوله تعالى:

﴿قل هو الله أحد﴾. وأمثال هذه الآية مما يكون صريحاً في معناه.

الوجه الثاني: النهي عن التفسير بالرأي.

ادّعى «من تمسّك بعدم جواز الأخذ بظاهر اللفظ» بأنه من التفسير بالرأي، وقد نهى عنه في روايات متواترة بين الفريقين.

والجواب:

١ ـ إن التفسير هو كشف القناع، فلا يكون منه حمل اللفظ على ظاهره، لأنه ليس بمستور حتى يُكشف، ولو فرضنا أنه تفسير فليس تفسيراً بالرأي لتشمله

الروايات الناهية المتواترة، وإنما هو تفسير بما يفهمه العرف من اللفظ، فإن الذي يترجم خطبة من خطب نهج البلاغة ـ مثلاً ـ بحسب ما يفهمه العرف من ألفاظها، ويحسب ما تدل القرائن المتصلة والمنفصلة، لا يعدّ عمله هذا من التفسير بالرأي، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه‌السلام بقوله: إنما هلك الناس في المتشابه لأنهم لم يقفوا على معناه، ولم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلاً من عند أنفسهم بآرائهم، واستغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرّفونهم.

٢ ـ إن معنى التفسير بالرأي ـ كما قلنا ـ هو الاستقلال بفهم الآية أو الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم‌السلام، مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك، ولزوم الانتهاء إليهم، فإذا عمل الإنسان بالعمومات أو الاطلاقات الواردة في الكتاب، ولم يأخذ بالتخصيص أو التقييد الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم‌السلام كان هذا من التفسير بالرأي.

وعليه فحمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة والمنفصلة من الكتاب والسنّة، أو الدليل العقلي لا يعدّ من التفسير بالرأي بل ولا من التفسير نفسه، لأن التفسير ـ كما قلنا ـ هو كشف القناع وليس منه حمل اللفظ على ظاهره.

هذا مضافاً إلى أن الروايات دلت على الرجوع إلى الكتاب والعمل بما فيه، ومن البيّن أن المراد من ذلك الرجوع إلى ظواهره، وحينئذٍ فلا بدّ وأن يراد من التفسير بالرأي غير العمل بالظواهر جمعاً بين الأدلة.

الوجه الثالث: غموض معاني القرآن.

حيث اشتماله على معانٍ شامخة، ومطالب غامضة، وكل ذلك يكون مانعاً عن فهم معانيه، والإحاطة بما أريد منه.

والجواب:

إن القرآن وإن اشتمل على علم ما كان وما يكون، وكانت معرفة هذا من القرآن مختصة بأهل البيت عليهم‌السلام من دون ريب، ولكن ذلك لا ينافي أن للقرآن

ظواهر يفهمها العارف باللغة العربية وأساليبها، ويتعبّد بما يظهر له بعد الفحص عن القرائن.

الوجه الرابع: العلم بإرادة خلاف الظاهر.

حيث إننا نعلم ـ إجمالاً ـ بورود مخصّصات لعمومات القرآن، ومقيّدات لإطلاقاته، ونعلم بأن بعض ظواهر الكتاب غير مراد قطعاً، وهذه العمومات المخصّصة، والمطلقات المقيّدة والظواهر غير المرادة ليست معلومة بعينها، ليتوقف فيها بخصوصها، ونتيجة هذا أن جميع ظواهر الكتاب وعموماته ومطلقاته تكون مجملة بالعرض، وإن لم تكن مجملة بالأصالة، فلا يجوز أن يعمل بها حذراً من الوقوع في مخالفة الواقع.

والجواب:

إن هذا العلم الإجمالي إنما يكون سبباً للمنع عن الأخذ بالظواهر، إذا أُريد العمل بها قبل الفحص عن المراد، وأما بعد الفحص والحصول على المقدار الذي علم المكلّف بوجوده إجمالاً بين الظواهر، فلا محالة ينحل العلم الإجمالي، ويسقط عن التأثير، ويبقى العمل بالظواهر بلا مانع، ونظير هذا يجري في السنّة الشريفة أيضاً، فإنّا نعلم بورود مخصصات لعموماتها، ومقيدات لمطلقاتها، فلو كان العلم الإجمالي مانعاً عن التمسك بالظواهر حتى بعد انحلاله لكان مانعاً عن العمل بظواهر السنّة أيضاً، بل ولكان مانعاً عن إجراء أصالة البراءة في الشبهات الحكمية، الوجوبية منها والتحريمية، فإن كل مكلّف يعلم بوجود تكاليف إلزامية في الشريعة المقدّسة، ولازم هذا العلم الإجمالي وجوب الاحتياط عليه في كل شبهة تحريمية، أو وجوبية يقع فيها مع أن الاحتياط ليس بواجب فيها يقيناً.

النقطة الثانية: المحكم والمتشابه في القرآن.

لا يخفى أن في القرآن الكريم متشابهاً ومحكماً قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي

﴿قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[١].

فقد قسّمت الآية المباركة القرآن إلى قسمين: محكم ومتشابه، في حين أن هناك آيات دلت على أن القرآن كله محكم كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[٢] وآيات أُخر دلت على أن القرآن كله متشابه بمعنى أن آياته على وتيرة واحدة في الجمال والرونق والأسلوب وحلاوة الإعجاز كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[٣]، ومعنى المحكم: هو اللفظ الذي لا يختلف العارفون في فهم معناه، ولا يتردد في المراد منه خبراء اللسان من العلماء.

أو بعبارة هو: اللفظ الواضح لا يشتبه بغير المقصود، فالمحكم القرآني هو الآيات التي معناها المقصود واضح لا يشتبه بالمعنى غير المقصود، ومنه آية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

ومعنى المتشابه: هو اللفظ الذي يتردد الذهن في بيان معناه، وتختلف الأنظار في ترجيح المقصود من لفظه.

أو هو الآيات التي لا تُقصد ظواهرها، ومعناها الحقيقي الذي يعبّر عنه بـ(التأويل) لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، ومنه قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فالعرش فيها مردد مفهومه بين أمرين: مادي وآخر معنوي. فالذين في قلوبهم زيغ أخذوا بالمعنى المادي للعرش، بينما أهل البصائر أخذوا بالمعنى الآخر الذي دلت عليه المحكمات.

وقد يسأل المرءُ: إذا كان الكتاب المجيد كتاب هداية ورشاد، فلماذا ادخلت الآي المتشابهة إليه، مع أن القرآن وصف نفسه بالنور والهدى والبينات، وهذه

---

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة هود: ١.

(٣) سورة الزمر: ٢٣.

الأوصاف لا تتفق مع عدم معرفة المعاني والمداليل باللفظ المتشابه؟

هذا بالإضافة إلى أنه كيف يصح أن يكون التدبر في القرآن ـ كما في آيات عدة ـ رافعاً لكل اختلاف مع أن فيه آيات متشابهات لا يمكن التوصل إلى معرفة معناها، وعليه فما الحكمة من وجود المتشابه القرآني؟

والجواب:

صحيح أن الآية ٧ من آل عمران صريحة في نفي تأويله عن غير الله والراسخون في العلم، وكذا وجود متشابه فيه لا يعني عدم كونه هادياً مهدياً، إذ إن نفي التأويل عما ذكره تعالى يستلزم الارتباط بمن وصفهم «بأنهم راسخون» الذي يحيطون ـ كما قلنا سابقاً ـ بكنه معانيه وأسراره، فعلى المؤمنين أن يقبسوا من هؤلاء ليضيئوا لهم الطريق، ويفتحوا لبصائرهم الآفاق الروحية والسلوكية.

هذا مضافاً إلى أن رجوع المتشابه إلى المحكم يجعله محكماً بمعنى أن إرجاع الآيات المتشابهة إلى المحكمة لمعرفة معناها الحقيقي، يجعل من المتشابه به محكماً، ويشهد لهذا أن الآية الكريمة عبّرت عن المحكمات بأنهنّ أم الكتاب، ومعنى هذا أن الآية المحكمة تشتمل على أمهات ما في الكتاب من الموضوعات وبقية الآيات متفرعة عنها، ولازم هذا أن الآيات المتشابهة ترجع إلى الآيات المحكمة في مداليلها والمراد منها، مما يعني إرجاع المتشابهات إلى المحكمات لمعرفة معناها الحقيقي.

وعليه: «ليس في القرآن آية لا نتمكن من معرفة معناها، بل الآية إما محكمة بلا واسطة شيء معها كالمحكمات نفسها أو محكمة مع الواسطة كالمتشابهات، وأما الحروف المقطعة في فواتح السور فليس لها مدلول لفظي لغوي، فهي ليست من المحكم والمتشابه، ويمكن معرفة ما قلناه من عموم قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1] وقوله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة محمّد: ٢٤.

﴿لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

وما نفهمه من ملخص ما أثر عن أئمة إهل البيت عليهم السلام هو نفي وجود آية متشابهة لا يمكن معرفة مدلولها الحقيقي، بل الآيات التي لم تستقل في مداليلها الحقيقية بمكن معرفة تلك المداليل بواسطة آيات أخرى، وهذا معنى إرجاع المتشابه إلى المحكم، فإن ظاهر قوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2] وقوله ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[3] يدل على الجسمية وأن الله تعالى مادة، ولكن لو أرجعناهما إلى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4] علمنا أن الاستواء والمجيء ليسا بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان إلى آخر.

قال النبي ﷺ بحسب ما رويَ عنه وهو يصف القرآن الكريم: «وإن القرآن لم ينزل ليكذّب بعضه بعضاً، ولكن نزل يصدّق بعضه بعضاً، فما عرفتم فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به»[5].

وقال الإمام عليّ عليه السلام: «يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض»[6].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «المحكم ما يعمل به والمتشابه ما اشتبه على جاهله»[7].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم» ثم قال: «إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا»[8].

---

(١) سورة النساء: ٨٢.
(٢) سورة طه: ٥.
(٣) سورة الفجر: ٢٢.
(٤) سورة الشورى: ١١.
(٥) الدر المنثور ج٢/ ٩.
(٦) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص٢٤٨.
(٧) تفسير العياشي ج١/ ٢٢و٢٣.
(٨) وسائل الشيعة ج١٨/ ٨٢ ح٢٢.

«إن هذه الأحاديث وخاصة الأخير منها صريحة في أن الآيات المتشابه هي الآيات التي لا تستقل في مدلولها بل لا بد من ردّها إلى الآيات المحكمة، ومعنى هذا أنه ليس في القرآن آية لا يمكن معرفة معناها بطريق من الطرق»[١].

يرد عليه:

أنّ هناك آيات مهما حاولنا أن نضم إليها آيات أُخر لا يمكننا أن نرفع الإبهام الموجود فيها، فتبقى على إجمالها، حتى فسّرها المعصوم عليه السلام كالآيات التي تبخر بالإجمال عن العوالم المادية والروحية، وكبعض آيات الأحكام، منها قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[٢].

فبعض المتشابهات لها محكم يفسّرها، وبعض يبقى على إجماله حتى يرد له تفسير من المعصوم عليه السلام، وإلا لو قلنا إن المتشابه دائماً له محكم في القرآن لاستغنى الناس عن المعصوم عليه السلام، ولَلَغى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤] ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[٥]، اللهم إلاّ أن يقال: إن المتشابه المفسَّر بالمحكم موجود في القرآن لكن العقول البشرية العادية لا تدركه، عدا المعصوم فإن عنده الإحاطة به وتفسيره، وبما وضّحنا يثبت ما إدّعاه سيدنا الطباطبائي «أعلى الله مقامه» من أن القرآن كله محكم، فالمتشابهات بالقياس إلى أهل الذكر هي محكمات، وبالقياس إلى غيرهم ممن لا يأخذ منهم تبقى على حالها حتى يرد عليها المحكم.

---

(١) القرآن في الإسلام ص٤٥ ـ ٤٦ العلامة محمد حسين الطباطبائي (قده).
(٢) سورة الإسراء: ٧٨.
(٣) سورة الحشر: ٧.
(٤) سورة النساء: ٥٩.
(٥) سورة النور: ٥٤.

فإنكار وجود المشتابه بحجة أن القرآن كتاب هداية لا يصلح علاجاً لواقعية لا محيص عنها، نعم لا يصطدم وجود المتشابه في القرآن مع كونه كتابَ هداية لعموم المكلّفين وذلك لأمرين:

الأول: ضآلة جانب المتشابه، بحيث كان الطريق أمام المستهدين بهدى القرآن الكريم فسيحاً جداً.

الثاني: هداية الكتاب تعني كونه المصدر الأول للتشريع وتنظيم الحياة العامة، وهذا لا يعني إمكان مراجعة الأفراد ـ بالذات ـ للقرآن في جميع أحكامه وتشريعاته، إذ لمثل ذلك اختصاصيون يعرفون من الكتاب ما لا تعرفه العامة، وهم يشكّلون قيادة الأمة على هدى الكتاب، وبذلك أصبح القرآن مصباحاً ينير درب الحياة على ركب الإنسانية بشكل عام.

فالآي المتشابهة متشابهة بالذات، وإنما يعرف الراسخون في العلم تأويلها الصحيح، بفضل جهودهم وتعمّقهم في أغوار هذا الدين، ليستنبطوا من كنوزه المستورة لئالي وهّاجة تبهر العقول.

والسر في وجود المتشابه في القرآن مع أنه كتاب هداية يرجع إلى أمور، منها:

١ ـ إن الأحاديث[١] الشريفة المتواترة دلت على أن القرآن بآياته بحاجة إلى تفسير من أهل بيت النبوة، وذلك لمواكبة القرآن لكل العصور والأزمنة، فكل إمام يتولّى تفسير كل آية بما يناسب عصره، لكون القرآن كتاب هداية، تشمل هدايته القرون والأجيال.

٢ ـ إن الأمم لا بدّ أن تدين بالإسلام في كل زمان ومكان ومن أي لسان، وعليها أن تتعلم القرآن، وهذا التعليم يختلف حسب اختلاف المترجمين والمفسرين، ودرجات علومهم وحلومهم، ومعارف عصورهم، ولا بدّ لهم أن

---

(١) كأخبار ربط القرآن بالعترة لا يفترقان حتى يردا الحوض، وخبر السفينة وما شابه ذلك.

يقرأوا القرآن، فربّ آية محكمة عند قوم هي متشابهة عند آخرين وبالعكس نظير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[1] فإنها محكمة في عصرنا بينما كانت متشابهة منذ مئات السنين.

٣ ـ الحكمة من وجود المتشابه هو ألاّ يتفرد الإنسان بعقله في فهم كلام الله سبحانه، لأن كلامه عميق، يحتوي على معارف عالية جداً، فهو حمّال ذو وجوه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، يحتوي على تعابير بلاغية متنوعة من المجاز والاستعارة والتشبيه، فأكسبه ذلك خاصية أن تعطف كل طائفة بما يروقها من آيات لغرض تأميلها إلى الوجه الذي يؤيد مذهبها، لذا نهى الإمام علي عليه السلام عن الاحتجاج بالقرآن تجاه أهل البدع والأهواء، لأنهم يعمدون إلى تأويله بلا هوادة، حيث قال لابن عبّاس لمّا بعثه للاحتجاج على الخوارج: «لا تخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنّة فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً».

٤ ـ إن وقوع التشابه في القرآن ـ الكتاب السماوي الخالد ـ شيء لا محيص عنه، ما دام كان يجري في تعابيره الرقيقة مع أساليب القوم، في سمو فحواه عن مستواهم الهابط.

فقد جاء القرآن بمفاهيم حديثة كانت غريبة عن طبيعة المجتمع البشري آنذاك، ولا سيّما جزيرة العرب القاحلة عن أنحاء الثقافات، في حين التزامه ـ في تعبيراته الكلامية ـ نفس الأساليب التي كانت دارجة ذلك العهد، الأمر الذي ضاق بتلك الألفاظ، وهي موضوعة لمعانٍ مبتذلة وهابطة إلى مستوى سحيق، من أن تحيط بمفاهيم هي في درجة راقية وبعيدة الآفاق، كانت الألفاظ والكلمات ـ التي كانت العرب تستعملها في تعبيراتها ـ محدودة في نطاق ضيّق حسبما كانت العرب

---

(١) سورة النمل: ٨٨.

تألفه من معانٍ محسوسة أو قريبة من الحس ومبتذلة إلى حدّ ما، فجاء استعمالها من قبل القرآن ـ الكتاب الذي جاء للبشرية على مختلف مستوياتهم إلى الأبد ـ غريباً عن المألوف العام.

ومن ثم قصرت أفهامهم عن إدراك حقائقها ما عدا ظواهر اللفظ والتعبير، إذ كانت الألفاظ تقصر بالذات عن أداء مفاهيم لم تكن تطابقها، ومن ثمّ كان اللجوء إلى صنوف المجاز وأنواع الاستعارات، أو الإيفاء بالكناية ودقائق الإشارات، الأمر الذي قرّب المفاهيم القرآنية إلى مستوى أفهام العامة من جهة، وبُعدها من جهة أخرى، قربها من جهة إخضاعها لقوالب لفظية كانت مألوفة لدى العرب، وبعدها حيث سمو المعنى، كان يأبى الخضوع لقوالب لم تكن موضوعة لمثله، كما كان يأبى النزول مع المستوى الهابط مهما بولغ في إخضاعه، إذ اللفظ يقصر عن أداء مفهوم لا يكون قالباً له ولا يتطابقه تماماً.

هذه الوجوه هي السبب الأقوى لوقوع التشابه في تعبيرات القرآن بالذات ككثير من مسائل كلامية غامضة تبحث عن شؤون المبدأ تعالى والمعاد، ومسائل شؤون الخليقة وما انطوت عليه من أسرار وغوامض خافية على غالبية الناس.

*****

ارتبك العبّاسي أمام هذا المنطق الصائب وتحيّر في الجواب، ثم قال: إني لا أقبل هذا الكلام، وما علينا أن نأخذ بظواهر آيات القرآن.

قال العلوي:

فما نصنع بالآيات المتشابهات؟ ثم إنك لا يمكنك أن تأخذ بظاهر كل القرآن، وإلاّ لزم أن يكون صديقك الجالس إلى جنبك الشيخ أحمد عثمان (وهو من علماء السُنّة وكان أعمى البصر) من أهل النار؟

قال العبّاسي:

ولماذا؟

قال العلوي:

لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء/ ٧٢)، فحيث إنّ الشيخ أحمد أعمى الآن في الدنيا فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً، فهل ترضى بهذا يا شيخ أحمد؟

قال الشخ: كلا، كلا، فإنّ المراد بـ(الأعمى) في الآية: المنحرف عن طريق الحق.

قال العلوي:

إذن ثبت أنه لا يتمكن الإنسان أن يعمل بكل ظواهر القرآن.

وهنا اشتدّ الجدال حول ظواهر القرآن، هذا والعلوي يُفحم العبّاسي بالأدلة والبراهين حتى قال الملك:

دعوا هذا الموضوع وانتقلوا إلى غيره.

قال العلوي:

ومن انحرافاتكم وأباطيلكم ـ أنتم السنّة[1] ـ حول الله سبحانه أنكم تقولون: إنّ الله يجبر العباد على المعاصي والمحرّمات ثم يعاقبهم عليها؟

قال العبّاسي:

هذا صحيح لأن الله يقول: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر/ ٢٣)، ويقول: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة/ ٩٣).

---

(١) مصطلح «أهل السُنّة والجماعة» مبتدع لا أساس له قبل ظهور الدولة الأموية، لذا قال العلاّمة الكبير الشيخ محمود أبو رية:

إننا لا نعرف شيئاً اسمه (أهل السُنّة) ولا شيئاً آخر يقابلها من سائر الفرق أو المذاهب التي استحدثت بين المسلمين لتعريفهم، وبخاصة فإن وصف أهل السنّة هذا لم يكن معروفاً قبل معاوية بن أبي سفيان، وقد استحدثوه في عهده في العام الذي وصفوه بأنه «عام الجماعة» نفاقاً للسياسة لعنها الله، وما كان إلاّ عام الفرقة[1].

وقال الأستاذ صالح الورداني في كتابه «أهل السُنّة شعب الله المختار» مجيباً على سؤالين مفادهما: متى ظهر لفظ أهل السُنّة والجماعة، ومتى ظهرت عقيدتهم؟:

«إن الإجابة على هذين السؤالين لا وجود لها عند أهل السنّة، أو بمعنى أصح هم يجيبون إجابة مبهمة وغير مقنعة محاولين إلصاق أنفسهم بالرسول وبالصحابة لأجل إضفاء الشرعية على عقيدتهم وإعطاءها الامتداد التاريخي العميق الذي يبدد صور الشك من حولهم.

---

(١) هامش محاورة حول الإمامة ص٩٢ للمحقّق السيد مرتضى الرضوي.

وليس من السهل الحكم بأنّ الصحابة في زمن الرسول وبعده كانوا يسيرون على نهج واحد ويلتزمون بعقيدة واحدة، فهذا أمر لا تؤيده النصوص القرآنية والنصوص الواردة على لسان الرسول، تلك النصوص التي تؤكد وجود قطاع من المنافقين وقطاع من القبليين وقطاع من المتشيعين لعليّ بن أبي طالب . .

إن أهل السنّة لم يستطيعوا البرهنة على كونهم امتداداً لخط الرسول وأنهم الفرقة الناجية وأصحاب الحق، وإلاّ فما معنى تسمية أنفسهم بأهل السنة والجماعة؟ هل يعني أن الآخرين بلا سُنّة وبلا جماعة؟

وأنهم الذين تلقفوا الدين والسنّة من الرسول دون غيرهم؟

فأهل السنّة يريدون إلزام الآخرين بنهجهم وتفسيراتهم وطريقة نقلهم للرواية، والروايات التي تبنوها وإلاّ أصبحوا من الفرقة الهالكة ولن يشموا رائحة الجنّة . . .»[1].

وقال الأستاذ محمد التيجاني السماوي:

«أهل السُنّة هم الطائفة الإسلامية الكبرى التي تمثّل ثلاثة أرباع المسلمين في العالم، وهم الذين يرجعون في الفتوى والتقليد إلى أئمة المذاهب الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل.

وقد تفرّع عنها فيما بعد ما يسمّى بالسلفية التي جدّد معالمها ابن تيمية الذي يسمّونه مجدّد السنّة، ثم الوهابية التي ابتدعها محمد بن عبد الوهاب، وهو مذهب السعودية، وكل هؤلاء يُسمّون أنفسهم بـ«أهل السنّة» وفي بعض الأحيان يضيفون كلمة الجماعة فيقال «أهل السنّة والجماعة» . .

وكأنّ هذا الاصطلاح ـ يعني «أهل السنّة والجماعة» ـ قد وضع في مقابل عليّ وشيعته وهو حسب اعتقادي السبب الرئيسي في تقسيم الأمة الإسلامية بعد

---

(١) أهل السنّة شعب الله المختار ص٩ ـ ١٠، ط/ كنّوته.

وفاة الرسول إلى سنّة وشيعة.

وأهل السنّة والجماعة لا يعملون بقاعدة الولاء لأولياء الله والبراءة من أعداء الله، بل يُلقون بالمودة للجميع ويترضون على معاوية بن أبي سفيان كما يترضّون على عليّ بن أبي طالب.

وقد بهرتهم هذه التسمية البرّاقة (أهل السنّة والجماعة) ولم يعرفوا خفاياها ودسائسها التي وضعها دهاة العرب ولو علموا يوماً بأنّ عليّ بن أبي طالب هو محض السُنّة المحمّدية وهو بابها الذي يؤتى منه للدخول إليها، قد خالفوه في كل شيء وخالفهم، لتراجعوا عن موقفهم ولبحثوا الموضوع بجدّ، ولما وجدت «أهل السنّة» إلاّ شيعة لعليّ وللرسول، ولكل ذلك لا بدّ من كشف حقيقي لتلك المؤامرة الكبرى التي لعبت أخطر الأدوار في إقصاء السنّة المحمّدية، وإبدالها ببدع جاهلية سبّب نكسة المسلمين وارتدادهم عن الصراط المستقيم وتفرقهم واختلافهم..»[1].

* * * * *

(١) الشيعة هم أهل السنّة ص٢٤.

قال العلوي:

أمّا كلامك إنه في القرآن، فجوابه:

إن القرآن فيه مجازات وكنايات يجب المصير إليها، فالمراد (بالضلال) إنّ الله يترك الإنسان الشقي ويهمله حتى يضلّ، وذلك مثل قولنا:

«إن الحكومة أفسدت الناس» فالمعنى أنها تركتهم لشأنهم ولم تهتم بهم، هذا أولاً، وثانياً: ألم تسمع قول الله تعالى ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف/ ٢٨) وقوله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان/ ٣) وقوله ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد/ ٨ ـ ١٠).

وثالثاً: لا يجوز عقلاً أن يأمر الله بالمعصية(*) ثم يعاقب عليها، إنّ هذا بعيد من عوام الناس، فكيف من الله العادل المتعال سبحانه وتعالى عمّا يقول المشركون والظالمون علوّاً كبيراً.

(*) مسألة الهدى والضلال من المسائل العقيدية الهامة التي كثُر الكلام حولها لأهميتها في الإسلام سيّما أنّ القرآن الكريم ذكرها في مواضع عدة، لذا ومن خلال هذه الآيات التي ظاهرها نسبة الهدى والضلال إلى الله سبحانه انقسم المسلمون إلى فرقتين:

الفرقة الأولى: وتسمّى بالجبرية، وهذه الفرقة تعتقد بأنّ الإنسان مُجبرٌ على أفعاله، خيرها وشرّها، ولا دخل له في تقرير مصيره ما دام الله سبحانه وتعالى هو

الهادي والمضلّ، واستدلوا بآيات منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[1]، وقالوا ـ حسبما ورد على لسان أبي الحسن الأشعري إمام الأشاعرة في العقائد ـ أنّه لا خالق إلا الله وأنّ أعمال العبد مخلوقة لله مقدَّرة، واستدلّ على مدعاه بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

وأما الفرقة الثانية: وتسمّى بالعدليّة تمييزاً لها عن الجبرية. والفرقة العدلية هي الفرقة الوحيدة من بين فرق المسلمين التي نزّهت الله سبحانه وتعالى عن الظلم والجور، وأنه تعالى يعطي كل ذي حقٍّ حقه، فلا يحيف بحكمه وأمره، وأنّ كل شيء واقع تحت قدرته يصدر عن أمره، إلاّ أنّ أفعال العباد خيرها وشرّها ليست من صنع الله ولا أنه تعالى أجبرهم عليها، بل الإنسان بنظر العدليّة مخيّر بأفعاله، وذلك لما وهبه الله سبحانه وتعالى من العقل وحرية الاختيار.

فالخلاف بين العدليّة والأشاعرة يرجع بالأصل إلى التساؤل التالي:

* هل أمر الهداية والضلال بيد الله سبحانه وتعالى فلا يكون للعبد أي دور في الهداية أو الضلالة، ـ فالضّال يعصي بلا اختيار منه والمهتدي يطيع بلا اختيار منه أيضاً، معتمدين على ظواهر بعض الآيات المتشابهة ـ أمْ أنّ المسألة بجوهرها تختلف عن ذلك البتة؟

والجواب:

صحيح أنّ هناك آيات قرآنية مفادها حصر الهداية والضلالة بالله سبحانه وتعالى، إلاّ أنّه لا يمكننا الأخذ بظواهر هذه الآيات، وعزل قدرة العبد على الهداية والضلال، فيبطل الثواب والعقاب والجنّة والنار.

هذا مضافاً إلى أنّ هذه الآيات التي ظاهرها نسبة الهداية والضلال إليه

---

(١) سورة القصص: ٥٦.

(٢) سورة الصافات: ٩٦.

سبحانه وتعالى لها تأويل وجيه يناسب القواعد والأصول العقلية والشرعية مع التأكيد على وجود آيات صريحة تفيد حرية الاختيار للإنسان، وكونه قادراً على الهداية ونقيضها.

ولكي تفهم الآيات التي ظاهرها نسبة الضلال إليه تعالى علينا أنْ نوضح أقسام الهداية والضلال، فنقول:

إن الاستقراء اللغوي والاصطلاحي يشير إلى معانٍ عدة للضلالة هي ما يلي:

ـ المعنى الأول للضلالة:

هو التخلية على وجه العقوبة، وترك المنع والقهر ومنع الألطاف التي تُفْعَل بالمؤمنين جزاءً على إيمانهم، وسبب المنع ليس من الله سبحانه وتعالى، وإنما سببه الإنسان حيث منع اللطف من الوصول إليه، فيكون بذلك قد أضلّ نفسه عن الطريق الصحيح، وهذا كمن يُقال بحق مَن لا يصلح سيفه أنه «أفسده»، بمعنى أنه لم يحدث فيه الإصلاح في كل وقت بالصقل والتسنين.

أمّا المعنى الثاني للضلال:

فهو الإهلاك والعذاب والتدمير، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[3] أي لم ولن يُبطل أعمالهم.

وأمّا المعنى الثالث للضلال:

(١) سورة القمر: ٤٧.
(٢) سورة السجدة: ١٠.
(٣) سورة محمد: ٤.

فهو التحيُّر والتشكيك.

... هذه المعاني الثلاثة للضلال ذكرها القرآن الكريم، والمعنى الأخير من هذه المعاني لا يجوز إضافته إلى الله سبحانه وتعالى لنسبة الجبر إليه تعالى وهو عين الظلم الذي يتنزّه عنه الحكيم المتعال.

ويأتي الضلال لغةً بمعنى: «عدم الاهتداء إلى السبيل»، كما لو قيل: «فلانٌ ضلَّ عن قومه» إذا لم يعرفوا مكانه؛ ويُقال: «ضلّ البعير» إذا لم يُعْرَف مكانه. ويأتي بمعنى إخفاء الذكر، فـ«ضل: الشيء» إذا خفي ذكره. والمعنى الأخير ينطبق على الآيات التي حرّمت نسبة الضلال إلى رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًا فَهَدَىٰ ۝٧﴾[1] لمخالفة الضلال لأدلّة العصمة.

وفي مقابل الضلال هناك الهداية وتُطلق على معانٍ متعددة في القرآن الكريم:

أولاً:

أنْ تكون الهداية بمعنى الدلالة والإرشاد. يُقال: «هداه الطريق» أي دلّه عليه؛ وهذا الوجه عام لجميع المكلّفين، فإنه سبحانه وتعالى هدى كل مكلَّف إلى الحق بأنْ دلّه عليه وأرشده إليه، فلو لم يدلُّه عليه لكان قد كلّفه بما لا يطيق، ويدلّ على ما قلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾[2] وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[3].

ثانياً:

أنْ تكون الهداية بمعنى زيادة الألطاف الإلهية التي بها يثبت المؤمن على

(١) سورة الضحى: ٧.

(٢) سورة الإنسان: ٣.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

الهدى نتيجة عمله الصالح، ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[1].

ثالثاً:

أن تكون الهداية بمعنى الإثابة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[3].

فهنا ربط الله سبحانه وتعالى دخول الجنّة وإصلاح البال بالإيمان والعمل الصالح والهداية التي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لا محالة، وفي مقابل هذا حرّم الله سبحانه وتعالى دخول الجنّة على الكفار لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ - (أي تولّى إبليس) - ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5].

رابعاً:

أنْ تكون الهداية بمعنى إيجادها في القلوب بإلقاء العلوم الضرورية فيها، وهذا يشترك فيه جميع العقلاء.

خامساً:

أنْ تكون الهداية بمعنى الإمضاء والتنفيذ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[6] أي لا يمضيه ولا ينفّذه أو لا يصلحه.

---

(١) سورة محمد: ١٧.
(٢) سورة يونس: ٩.
(٣) سورة محمد: ٤ ـ ٥.
(٤) سورة الحج: ٤.
(٥) سورة النحل: ١٠٤.
(٦) سورة يوسف: ٥٢.

... هذه أهم معاني الهداية؛ وأما أقسامها فهي على نحوين:

الأول: الهداية العامّة.

الثاني: الهداية الخاصة.

● أمّا الهداية العامة: فهي الهداية الإلهية الشاملة لكلّ الموجودات، وهذه تنقسم إلى قسمين:

الأول:

الهداية العامة التكوينية، وهي التي أعدّها الله سبحانه وتعالى في طبيعة كلّ موجود حيث تسري بطبعها أو باختيارها نحو كمالها، فالفأرة تفرّ من الهرة ولا تفرّ من الشاة، والنّمل يهتدي إلى تشكيل جمعية وحكومة، والطفل يهتدي إلى ثدي أمه. فكلٌّ شيء في الوجود مجهّز بما يهديه إلى الغاية التي خُلق لها؛ قال تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى * ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[2]، وقال عزّ اسمه: ﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا * قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3].

فالهداية التكوينية ترجع حقيقتها إلى الهداية النابعة من حاق ذات الشيء بما أودع فيه من الأجهزة والإلهام حيث يوصلاه إلى الغاية التي خلقه الله سبحانه لأجلها.

الثاني:

الهداية العامة التشريعية، وهي الهداية الشاملة تشريعاً وتقنيناً لكلّ موجود عاقل، مفاضة عليه بتوسط عوامل خارجة عن ذاته كالأنبياء والأولياء والكتب،

---

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) سورة الأعلى: ١ ـ ٣.

(٣) سورة الشمس: ٧ ـ ١٠.

وكل ما يدعو إلى الله عزّ وجلّ كالعلماء الربّانيين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1] وهذا القسم من الهداية يشمل كافة المكلّفين من الجن والإنس، ولا يختصّ بطائفة دون أخرى، ولا بجيل دون آخر، والهداية العامة بكلا قسميها قد منحهما الله سبحانه للمكلّفين تكويناً وتشريعاً على نحو الجبر والاختيار، فالهداية التكوينية جبرية وليس للإنسان فيها صنع، كحركات الأعضاء الداخلية (القلب، الرئتين..) وبقية الأعضاء التي تعمل دون اختيارنا وإرادتنا.

والهداية التشريعية اختيارية بمعنى أنّ بمقدور الإنسان أنْ يعمل بأوامر الشريعة، أو لا يعمل، فهو مختار لأنْ يسلك طريق الشريعة أو لا يسلكها.

● وأمّا الهداية الخاصة فلا قسيم لهـا، بل هي عبارة عن عناية ربّانية يهبها الله سبحانه لخاصّة عبيده، حسبما تقتضيه حكمته، فيهيىء لهم ما به يهتدون إلى كمالهم، ويصلون بواسطته إلى مقصودهم. والهداية الخاصة مشروطة ومعلّقة على الهداية العامة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

فيكون معنى الإضلال الوارد في بعض الآيات القرآنية هو منعهم من هذه المواهب والألطاف الخاصة، وخذلانهم في الحياة الدنيا منها، لأنهم هم الذين منعوا من وصولها إليهم نتيجة تركهم العمل بالهداية العامة، ولو عملوا بها لأفاض عليهم من ألطافه وإكرامه، لأنّ الإرتياض الروحي المعبّر عنه بالجهاد الأكبر الذي هو جهاد النفس الأمّارة بالسوء لازمه أنْ يمدّه الله سبحانه بهداية السبيل والوصول إلى شاطىء الأمان، قال تعالى واعداً العاملين بإخلاص أن يفيض عليهم من التوفيقات الخاصة بقوله عزّ اسمه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[3].

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٣) سورة محمد: ١٧.

وفي مقابل آيات الهداية الخاصة، هناك آيات تشعر باستحقاق الفرد المنحرف الضلال والحرمان من الهداية الخاصة، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾[2]، وقال عزّ اسمه: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[4]، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[6]، وقوله أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7]، وقوله عزّ اسمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[8]، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾[9].

.. فالكافر والظالم والفاسق والخائن والمسرف.. كل هؤلاء يستحقون الحرمان من الهداية الخاصة، والسبب كما قلنا هو تركهم العمل بالهداية العامة؛ فهذه الآيات وأمثالها تثبت استحقاق الحرمان والضلال لمن تخلّى عن الهداية العامة، فحرم من الهداية الخاصة.

وأما الضلال الذي ينسب إليه تعالى كما في بعض الآيات فيمكن صرفه بقرينتين:

---

(١) سورة البقرة: ٢٦.
(٢) سورة النساء: ١٦٨ ـ ١٦٩.
(٣) سورة الجمعة: ٥.
(٤) سورة ابراهيم: ٢٧.
(٥) سورة الصف: ٥.
(٦) سورة الأعراف: ١٤٨.
(٧) سورة النحل: ١٠٤.
(٨) سورة غافر: ٢٨.
(٩) سورة يوسف: ٥٢.

الأولى: إنّ الضلال المذكور يُراد منه الضلال من الهداية الخاصة لا العامة، وهذا الضلال أو الحرمان من الهداية الخاصة مسبوقٌ دائماً بظلم من العبد أو فسق صدَر منه أو كفر أو تكذيب أو خيانة كما مرّ معك آنفاً.

الثانية: الدليل العقلي المحكم الذي ينزّه الله سبحانه عن الظلم، مضافاً إلى ذلك وجود آيات كثيرة تبعد عن ساحته المقدّسة الظلم للعباد، وتذمّ الظالمين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾[1]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[2]، وقوله عزّ اسمه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[4].

فعدم هداية الله تعالى لبعض العباد المستحقين للهداية الخاصة يُعدّ ظلماً يتنزّه عنه سبحانه، إذْ كيف يعاقب الظالمين ويتوعدهم بالعذاب كما في الآيات المتقدّمة وهو في نفس الوقت يفعل الظلم وقد نهى عنه عزّ وجلّ.

* إذا عرفت ما ذكرنا تقف على حقيقة وهي:

إنّ الهداية العامة التي بها تُناط مسألة الجبر والاختيار شاملة لجميع الأفراد، ففي وسع ومقدور كل إنسان أنْ يهتدي بهداها، ومن هنا لا يمكن لأحد أنْ يتشدّق ويقول: «إنّ الله ما هداني لكي التزم بأوامره، فعندما يهديني فسوف أفعل ما يطلبه مني» وهذا هو الشائع عند أغلب السّذج من الناس فإذا قلنا: «اتّق الله!» يجيبك على الفور «إن الله ما هداني بعد!».

إذن فالهداية الخاصة والعناية الزائدة التي يوليها الله سبحانه وتعالى لبعض العباد المخلصين الذين أفنوا أعمارهم في طاعته عزّ اسمه إنما هي نوع تسديد لهم

---

(١) سورة غافر: ٣١.
(٢) سورة الكهف: ٢٩.
(٣) سورة ابراهيم: ١٣.
(٤) سورة مريم: ٧٢.

ونافذة فيضٍ عليهم، إذْ إنّ جوده وفيضه ينزل على من اتّسعت قابليته بالعلم والعمل ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(١).

فالمشيئة الإلهية العامة تعلّقت بكل مكلَّف، والمشيئة الخاصة تعلّقت بصنف دون صنف، ولم تكُ مشيئته جزافية، بل الملاك في شمولها لصنف خاص من البشر هو قابليته وسعة صدره كما قلنا آنفاً، لأنه قد استفاد من الهدايتين التكوينية والتشريعية، فاستحق بذلك اللطف الزائد منه عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾(٢).



(١) سورة العنكبوت: ٦٩.
(٢) سورة فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

قال الملك: لا، لا يمكن أن يجبر الله الإنسان على المعصية ثم يعاقبه، إنّ هذا هو الظلم بعينه والله منزّه عن الظلم والفساد ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران/ ١٨٢) ولكن لا أظن أنّ أهل السنّة يلتزمون بمقالة العباسي؟

ثم وجّه خطابه إلى الوزير وقال:

هل أهل السنّة يلتزمون بذلك؟

قال الوزير: نعم، المشهور[1] بين أهل السنّة ذلك!

قال الملك: كيف يقولون بما يخالف العقل؟

قال الوزير: لهم في ذلك تأويلات واستدلالات.

قال الملك: ومهما يكن من تأويل واستدلال، فلن يُعقل ولا أرى إلاّ رأي السيّد العلوي: بأن الله لا يجبر أحداً على الكفر والعصيان، ثم يعاقبه على ذلك؟

---

(١) القول بالجبر هو عقيدة جمهور العامة، أخذوها من عمر بن الخطّاب، حيث روي عنه أنه أول من قال بالجبر الافعالي، يروون أن عمر خرج إلى الشام غازياً عام ١٧ للهجرة حتى إذا كان بسُرغ لقيه الأمراء، فأخبروه أن الأرض سقيمة، فأرجع بالناس فإنه بلاء وفناء.

فقال: أيها الناس إني راجع فارجعوا.

فقال له أبو عبيدة الجرّاح: أفراراً من قدر الله؟

قال: نعم، فراراً من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو أن رجلاً هبط وادياً له

عدوتان، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس يرعى من رعى الجدبة بقدر الله ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله، ثم قال: لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة، فبينا الناس على ذلك إذ أتى عبد الرحمن بن عوف، وقال: سمعت رسول الله يقول إذا سمعتم بهذا الوباء ببلدٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فراراً منه ولا يخرجنكم إلا ذلك ثم انصرف عمر وانصرفوا[1].

وروى الواقدي أيضاً عن أم الحارث الأنصارية أنها رأت عمر بن الخطّاب في وقعة حُنين عندما انهزم المسلمون، فقالت له: ما هذا؟

قال عمر: أمر الله[2].

ولم يقتصر القول بالجبر على عمر، بل تعدّاه إلى جماعة كمعاوية وبعض من أزواج النبي كعائشة، فيروى أن عائشة قالت عندما تعرّض الخوارج للإمام عليّ عليه السلام في النهروان: «ما يمنعني ما بيني وبين عليّ أن أقول الحق، سمعتُ النبيّ يقول: تفترق أمتي على فرقتين، تمرق بينهما فرقة محلّقون رؤوسهم يحفون شواربهم، أُزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبُّهم إليّ وأحبُّهم إلى الله، فقال لها قتادة: يا أمّ المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلِمَ كان الذي منك؟

قالت: يا قتادة (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) وللقدر أسباب...»[3].

ولمّا اعترض عبد الله بن عمر على معاوية عندما نصّب ولده يزيد خليفة من بعده قال له: «إني أحذّرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملئهم وأن تسفك دماءهم، وإنّ أمر يزيدٍ قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم»[4].

---

(١) تاريخ الطبري ج٣/ ١٥٩ بإختصار.

(٢) المغازي للواقدي ج٣/ ٦٠٤.

(٣) الأوائل ج٢/ ١٢٥.

(٤) الإمامة والسياسة ج١/ ٢١٠.

فالقول بالجبر عند بعض الصحابة يعبّر عن المصلحة السلوكية والازدواجية الشخصية التي كان يسلكها بعض الصحابة لتبرير أفعالهم الشريرة، فابتدعوا نصوصاً حلّلوا من خلالها الحرام، وحرّموا الحلال تحقيقاً لأغراضهم وإشباعاً لرغباتهم، ويكفي في ذلك ما فعله ابن الخطّاب عمر وصاحبه من اجتهادات واستحسانات قلبت موازين الشرع المبين، وأسوأ شاهد على ما ذكرنا ما فعلاه يوم السقيفة وغصبهما للخلافة ولنحلة سيّدة نساء العالمين واتهامهما إياها بالكذب، وقد طهّرها الله سبحانه في محكم آية التطهير، والدخول عليها عنوةً وجهرة أمام المسلمين، وتوهينهم لها بضربها وكسر ضلعها، وتسويد متنها إلى ما هنالك من مخازي يخجل القلم عن سردها.

وكان الحافز لاعتقاد هؤلاء بالجبر ـ كما اعتقده مشركو الجزيرة العربية[1] ـ هو تدعيم شرورهم بمنطق الدين والأمر الإلهي لهم، وليصبغوا الشرعية على سلطنتهم وملكهم، ولإخماد كل ثورة تطلُّ عليهم بين الحين والآخر.

ويرجع الفضل في تثبيت دعائم فكرة الجبر إلى معاوية بن أبي سفيان لتدعيم حكمهم ـ كما أسلفنا ـ فبالغوا في ترويجها حتى ألجأهم الأمر إلى قتل من يرفضها، فيروى أن معبد الجهني وغيلان الدمشقي اللذان رفضا فكرة الجبر قتلا على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي وهشام بن عبد الملك.

ثم تسلسلت فكرة الجبر إلى أن تسلّمها أبو الحسن الأشعري وقلّده فيها جمهور العامة، لذا يُنسبون إليه بالعقائد فيقال: إنهم أشعريون أصولاً وأحنافٌ أو مالكون أو حنبليون أو شافعيون فروعاً.

أمّا المنكرون منهم لمسألة الجبر قليلون أمثال:

---

(١) كما قصّ القرآن الكريم حالهم بقوله تعالى: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف/ ٢٨) وليراجع الفوائد البهية ج١/ ١٩٦.

أبو المعالي الجويني الشافعي المتوفى عام ٤٧٨هـ، والشيخ الشعراني المتوفى عام ٩٧٣هـ، والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣هـ.

والجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى.

الفرق الجبرية:

الجبرية على أقسام:

الأولى: خالصة في الجبرية.

الثانية: متوسطة فيها.

الثالثة: كسبية.

ـ الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

ـ والمتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً.

ـ والكسبية: هي التي أثبتت للقدرة الحادثة أثراً ما في الفعل (أي أن أعمال العباد مخلوقة له تعالى وهم فاعلون لها).

وأهم فرق الجبر ثلاث:

الفرقة الأولى: «الجهمية» ـ أصحاب جهم بن صفوان ـ ظهرت بدعته بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، وكان المذكور يخرج بأصحابه فيوقفهم على المجذومين ويقول: انظروا أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ إنكاراً منه لرحمة الله تعالى كما أنكر حكمته، وقد وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم أشياء، من جملتها أنه لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيهاً، فنفى كونه تعالى حياً عالماً، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق.

ومن جملة ما زاد: قوله في القدرة الحادثة، حيث رأى أن الإنسان لا يقدر

على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنّما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات. . والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر، وإذا ثبت الجبر فالتكليف كان أيضاً جبراً[1].

الفرقة الثانية: «النّجارية» ـ أصحاب حسين بن محمّد النّجّار ـ قال بخلق الأعمال خيرها وشرّها، حسنها وقبحها، والعبد مكتسبٌ لها، وأثبت تأثيراً للقدرة الحادثة، ويسمى ذلك كسباً، حسبما يثبته الأشعري[2].

الفرقة الثالثة: «الضّرارية» ـ أصحاب ضرار بن عمرو وحفص الفرد ـ قالا: «إن أفعال العباد مخلوقة للباري حقيقةً، والعبد مكتسبها حقيقة»[3].

فالفرقتان الأخيرتان تقرّان بالكسب، وحقيقة الكسب ترجع إليهما، وتبعهما على ذلك أبو الحسن الأشعري، لتقدّمهما على الأخير المتوفى سنة ٣٢٤هـ، ثم تبعه من أتى بعده.

وفي الواقع لا يختلف الكسب عن الجبر بشيء سوى بالاسم، لأن حقيقة الجبر والكسب واحدة، وهي أن العبد أداة وظرف للفعل الإلهي ولا علاقة لفعل العبد بصدور الفعل منه، بل المصدر هو الله، والمحل هو العبد. لذا عرّف القوشجي وهو أحد أعلام المذهب الأشعري:

«المراد بكسبه إياه، مقارنته لقدرته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له»[4].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١/ ٨٦.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر ص٩١.

(٤) شرح كشف المراد للقوشجي ص٤٤٥ ط/ قم.

يرد عليه:

أولاً: إن ما ادّعاه أصحاب الكسب من أن قدرة العبد مقارنة لقدرة الرب يستدعي أن يكون وجود القدرة عند العبد وعدم وجودها سيّان ما دامت غير صالحة للتأثير ومغلوبة بقدرة الرب، لذا قال ابن رشد:

لا فرق بين القول بالكسب وقول الجبرية إلاّ باللفظ، والاختلاف باللفظ لا يوجب الاختلاف في المعنى[1].

ثانياً: إن تحقق الفعل منه سبحانه وتعالى مقارناً لقدرة العبد لا يُصحّح نسبة الفعل إلى العبد، ومعه كيف يتحمّل مسؤوليته إن لم يكن لقدرة العبد تأثير في وقوعه، وعليه، تكون الحركات الاختيارية تماماً كالحركات الجبرية.

ثالثاً: دعوى الاعتقاد بكسب العبد لأفعاله يؤدي إلى الإشراك بالله تعالى وهو ظلم عظيم، لأن الاعتقاد بالمقارنة عين الشرك وخلاف التوحيد الأفعالي لله سبحانه وتعالى.

● استدلال الأشاعرة على صحة الجبر

استدلوا على ذلك بأدلة عقلية وأخرى نقلية، ومن العجيب استدلالهم بالعقل على صحة الجبر مع اعتقادهم بالحسن والقبح العقليين بل هما شرعيان عندهم، فما أمر به الشرع هو حسن، وما نهى عنه فهو قبيح ولا مدخل للعقل بذلك.

ونحن هنا سنتطرق إلى أدلتهم النقلية، لعدم الاعتداد بأدلتهم العقلية لأن من لا يؤمن بأدلة العقل على قبح الجبر كيف يستدل ـ بنفس الوقت ـ على صحته؟ أليس هذا عين التهافت والتناقض؟ ومع هذا فقد تعرّضنا لأدلتهم العقلية في غير هذا الكتاب وأبطلناها من أساسها ببركة مواليّ الكرام عليهم السلام فراجع[2].

---

(١) الفوائد البهيّة ج١/ ٣٢٠.

(٢) الفوائد البهيّة ج١/ ٣٢٠ ـ ٣٢٦.

الأدلة النقلية:

استدل الأشاعرة على الجبر بظواهر الآيات والروايات مع معارضتها لأدلة العقل القاضي بنفي الجبر عن ساحة المولى، لاستلزامه الظلم الذي يجب أن ينزّه عنه عزّ وجلّ، إذ كيف يجبرنا على الأفعال ثم يعذّبنا عليها؟

وفي باب العقائد لا بدّ للمرء من حجة يستند إليها لتفيده القطع والاطمئنان، ولا اعتداد بظواهر الأدلة السمعية إمّا لكونها من المتشابهات التي لا بدّ فيها من الرجوع إلى المحكم العقلي والنقلي، وإمّا لعدم إفادتها القطع المذكور، أو معارضتها للدليل القطعي، فلا تخلو عن كونها ظنّاً وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، فإذا كان كذلك فلا يمكن بل لا يجوز طرح الآيات المتشابهة التي اعتمدها القوم من أجل المصادقة المذكورة، بل لا بدّ حينئذٍ من تأويلها بما يوافق العقل السليم والآيات الأُخر في القرآن المجيد، بحيث تخرج تلك الطائفة من الآيات عمّا أراده الجبريون.

من الآيات المعتمدة عندهم:

١ ـ الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

ومفاد الآية ـ بنظرهم ـ أنّ «ما» مصدريّة وليست اسماً موصولاً فيكون المعنى: الله خلقكم وأعمالكم أي «وخلق أعمالكم معكم» ومنها عبادة الأصنام وما شابهها.

لكنّ الظاهر والصحيح أنّ «ما» تُعدّ اسماً موصولاً بلا إشكال، وبقرينة ما قبلها كقوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ فـ«ما» في هذه الآية موصولة، فالمعنى: أن الله سبحانه استنكر على المشركين ووبّخهم لعبادتهم أصناماً هي من

---

(١) سورة الصافات: ٩٦.

صنع أيديهم، وكذا في الآية المستشهد بها فالمعنى أنه سبحانه خلقكم أيُّها المشركون وخلق الأصنام التي صنعتموها بأيديكم ثم اتخذتموها أرباباً من دونه تعالى.

وما استدل به الأشاعرة مخدوش لأمور:

أولاً: إن قوله: ﴿وما تعملون﴾ مرتبط بقوله تعالى: ﴿ما تنحتون﴾ فحيث إنّ «ما» في تنحتون موصولة فكذلك «ما» في الآية المذكورة أيضاً موصولة، فـ«ما» في الآيتين منتظمتان ولا يُصار إلى تفكيك النظم إلا بدليل قاطع وهو مفقود في البين[1].

ثانياً: الآية في صدد بيان تقريع صدر من النبيّ إبراهيم عليه السلام لعبدة الأوثان لما صنعوه، فلو كان ذلك من فعله تعالى لما توجّه عليهم العيب والعتاب والتقريع، بل كان عليهم أنْ يقولوا: (لِمَ توبّخنا على عبادتنا الأصنام والله الفاعل لذلك) فتكون الحجة لهم لا عليهم!.

ثالثاً: إنّ «الخلْق» في أصل اللغة هو التقدير للشيء وترتيبه، فعلى هذا لا يمتنع أنْ نقول: إنّ الله خالقُ أفعالنا بمعنى أنه قدّرها للثواب والعقاب فلا تعلق للقوم على حال[2].

٢ ـ الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

استدل أبو الحسن الأشعري (حفيد أبي موسى الأشعري) بهذه الآية على حصر خلْق الأفعال به تعالى، ونفيه عن غيره حتى على نحو الطولية أي أن الأشعري حصر الخلق والإيجاد على وجه الإطلاق به سبحانه ونفاه عن غيره بتاتاً

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج٤/ ٤٩.

(٢) تفسير التبيان للشيخ الطوسي ج٨/ ٥١٤.

(٣) سورة فاطر: ٣.

بدعوى إنكار تأثير الظواهر الطبيعية بعضها ببعض ورفض مبدأ السببية والمسببية كما مرّ معنا سابقاً.

ولكن ما ادّعاه الأشعري مردودٌ:

أولاً: بما ورد من الآيات الأخرى التي تنسب الخلق إلى غيره بإذنه تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾[1]، ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2]، ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[3].

فدلالات الآيات واضحة على نوعين من الخلْق:

الأول: خلق الأجساد.

الثاني: خلق الأعمال.

فالإنسان قد يخلق الأجساد من العدم بإذنه تعالى وقدرته، وكذا يمكنه أن يخلق أفعالاً حسنة وشريرة بما أعطاه سبحانه من القدرة التي بها فعل القبيح ولكن ليس معنى ذلك أنه أمره بالقبيح، وإنما أساء استعمالها في موردها الصحيح.

كما ويمكن للإنسان أنْ تصدر منه أفعال هي من مختصات الباري إلاّ أنه أجازها لغيره تبعاً لقدرته عزّ وجلّ أمثال الرزق والزرع الغلبة والنصر، فإنه وإنْ وردت آيات في حصر هذه الأمور به تعالى لكن في مقابلها آيات تفيد إمكان الإنسان أنْ يرزق غيره بإذنه تعالى وأنْ يزرع وأن ينصر، كل ذلك بتوسط القدرة التي حباها الله لعباده.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران: ٤٩.

(٣) سورة العنكبوت: ١٧.

(٤) سورة الذاريات: ٥٨.

هنا حصر الرازقية به تعالى دون غيره. ولكنه في آية أخرى فوّضها إلى بعض العباد بإذنه وبطول إرادته كما في قوله عزّ اسمه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾[1]، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[2].

وكذا حصر الزراعة به تعالى بقوله: ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[3]، وفي نفس الوقت يعدّ الإنسان زارعاً كما في قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾[4].

ثانياً: إنّ ما استدل به الأشعري وأتباعه على صحة الجبر ونسبة إيجاد الأفعال إليه تعالى معارضة بغيرها من الآيات، فتُصرف التي ظاهرها الجبر عن ظاهرها.

وهناك أصناف من الآيات المعارضة لتلك الظاهرة في الجبر وهي:

ـ الصنف الأول: الآيات الدالة على إضافة الفعل إلى العبد كقوله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[5].

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[6].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[7].

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾[8].

---

(1) سورة النساء: ٥.
(2) سورة المؤمنون: ٧٢.
(3) سورة الواقعة: ٦٤.
(4) سورة الفتح: ٢٩.
(5) سورة البقرة: ٧٩.
(6) سورة الأنعام: ١١٦.
(7) سورة الرعد: ١١.
(8) سورة يوسف: ١٨.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾[1].

﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[2].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[3].

﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[4].

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾[5].

ـ الصنف الثاني: الآيات الدالة على مدح المؤمنين على إيمانهم وذمّ الكفّار على كفرهم:

﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[6].

﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[7].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[8].

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[9].

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[10].

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[11].

---

(1) سورة المائدة: ٣٠.
(2) سورة النساء: ١٢٣.
(3) سورة المدثر: ٣٨.
(4) سورة الطور: ٢١.
(5) سورة ابراهيم: ٢٢.
(6) سورة غافر: ١٧.
(7) سورة الجاثية: ٢٨.
(8) سورة الأنعام: ١٦٤.
(9) سورة طه: ١٥.
(10) سورة النمل: ٩٠.
(11) سورة الأنعام: ١٦٠.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾[1].

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾[2].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾[3].

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[4].

ـ الصنف الثالث: الآيات الدالة على التهديد والتغيير:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾[5].

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[6].

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾[7].

﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴾[8].

﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾[9].

﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾[10].

ـ الصنف الرابع: الآيات الدالة على المسارعة إلى الأفعال:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[11].

---

(1) سورة طه: ١٢٤.
(2) سورة البقرة: ٨٦.
(3) سورة آل عمران: ٩٠.
(4) سورة فصلت: ٤٦.
(5) سورة فصلت: ٤٠.
(6) سورة الكهف: ٢٩.
(7) سورة المدثر: ٣٧.
(8) سورة المدثر: ٥٥.
(9) سورة الإنسان: ٢٩.
(10) سورة النبأ: ٣٩.
(11) سورة آل عمران: ١٣٣.

﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[1].

﴿ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[2].

﴿وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾[3].

﴿وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾[4].

ـ الصنف الخامس: الآيات الحاثّة والمشجعة على الاستعانة به تعالى:

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[5].

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[6].

ـ الصنف السادس: الآيات الدالة على استغفار الأنبياء من تركهم الأولى:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[7] إشارة إلى آدم وحواء عليهما السلام.

﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[8] إشارة إلى النبي يونس عليه السلام.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾[9] إشارة إلى النبيّ موسى عليه السلام.

ـ الصنف السابع: الآيات الدالة على اعتراف الكفار والعصاة بنسبة الكفر إليهم:

---

(١) سورة الأحقاف: ٣١.
(٢) سورة الأنفال: ٢٤.
(٣) سورة الزمر: ٥٥.
(٤) سورة الزمر: ٥٤.
(٥) سورة النحل: ٩٨.
(٦) سورة العنكبوت: ٤٥.
(٧) سورة الأعراف: ٢٣.
(٨) سورة الأنبياء: ٨٧.
(٩) سورة القصص: ١٦.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ . . . بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾[1].

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾[2].

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾[3].

ـ **الصنف الثامن**: الآيات الدالة على تحسّر الكافرين وندامتهم على المعصية:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾[4].

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾[5].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾[6].

إلى غير ذلك من الآيات العديدة المعارضة لما ذكروه، على أنّ ما قالوه دونه خرط القتاد لا يصلح أنْ يعتبر دليلاً، فالحق ما قاله الإمامية وتبعهم المعتزلة من أنّ التكليف يتمّ بإضافة الأفعال إلينا.

---

(١) سورة سبأ: ٣١.

(٢) سورة المدثر: ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) سورة الملك: ٨.

(٤) سورة فاطر: ٣٧.

(٥) سورة المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٦) سورة السجدة: ١٢.

قال العلوي:

ثم إنّ السنّة يقولون إن رسول الله ﷺ كان شاكّاً في نبوته.

قال العبّاسي: هذا كذب صريح.

قال العلوي: ألستم تروون في كتبكم أن رسول الله قال: «ما أبطأ عليّ جبرائيل مرة إلاّ ظننت أنه نزل على ابن الخطّاب» مع العلم أن هناك آيات كثيرة تدل على أن الله أخذ الميثاق من النبيّ محمّد على نبوّته؟[1].

---

(1) من الآيات التي دلت على أخذ الميثاق من الأنبياء على نبوة سيّد المرسلين محمّد ﷺ قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[2].

وقد روى ابن أبي الحديد باباً خاصاً في فضائل عمر، فقال:

«أما الحديث الوارد في فضل عمر، فمنه ما هو مذكور في الصحاح، ومنه ما هو غير مذكور فيها. فمما ذكر في المسانيد الصحيحة من ذلك ما روت عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم قال: «كان في الأمم محدّثون، فإنْ يكن في أمّتي فعمر» أخرجاه في الصحيحين.

---

(1) سورة آل عمران: ٨١.

(2) سورة الأحزاب: ٧.

وروى سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله، وعنده نساء من قريش يكلّمنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن قمْن يبتدرن الحجاب، فدخل رسول الله يضحك، قال: أضحك الله سِنّك يا رسول الله! قال: عجبتُ من هؤلاء اللواتي كنّ عندي فلما سمعن صوتك ابتدرْن الحجاب. فقال عمر: أنت أحقّ أنْ يهبْنَ، ثم قال: أي عدوات أنفسهنّ، أتهبْنني ولا تهبْن رسول الله؟ قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظّ، فقال رسول الله: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجك». أخرجاه في الصحيحين.

وقد روى في فضله من غير الصحاح أحاديث:

منها: «إنّ السكينة لتنطق على لسان عمر».

ومنها: «إنّ الله تعالى ضرب بالحقّ على لسان عمر وقلبه».

ومنها: «إنّ بين عيني عمر مَلكاً يسدّده ويوفّقه».

ومنها: «لو لم أُبعث فيكم لبُعث عمر».

ومنها: «لو كان بعدي نبيّ لكان عمر».

ومنها: «لو نزل إلى الأرض عذابٌ لما نجا منه إلا عمر».

ومنها: «ما أبطأ عني جبرائيل إلا ظننت أنه بُعث إلى عمر».

ومنها: «سراج أهل الجنّة عمر».

ومنها: أن شاعراً أنشد النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلم شعراً، فدخل عمر فأشار النبيُّ إلى الشاعر أن اسكتْ، فلما خرج عمر، قال له: عُدْ فعاد، فدخل عمر فأشار النبيُّ بالسُّكون مرة ثانية، فلمّا خرج عمر سأل الشاعر رسول الله عن الرجل، فقال: «هذا عمر بن الخطاب، وهو رجل لا يحبّ الباطل».

ومنها: أن النبيّ صلى الله عليه [وآله] قال: «وُزِنتُ بأمتي فرجَحْتُ، ووُزن أبو بكر بها فرَجح، ووُزن عمر بها فرجح، ثم رجح، ثم رجح».

وقد رووا في فضله حديثاً كثيراً غير هذا، ولكنا ذكرنا الأشهر[1].

وروى مسلم أيضاً بعض ما يسمى بفضائل عمر بن الخطّاب في كتاب فضائل الصحابة فقال:

إن أبا سعد قال: استأذن عمر على رسول الله وعند نساء من قريش يكلّمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن، فلما استأذن قمْن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله، ورسولُ الله يضحك، فقال عمر: أضحك الله سِنّك يا رسول الله! فقال رسول الله: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرْن الحجاب. قال عمر: فأنت يا رسول الله أحقّ أنْ يهبْنَ، ثم قال عمر: أي عدوّات أنفسهنّ، أتهبْنني ولا تهبْن رسول الله؟ قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظّ من رسول الله، قال رسول الله: «والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قطّ سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غير فجك»[2].

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم تعقيباً على الخبر المذكور:

«هذا الحديث محمول على ظاهره أن الشيطان متى رأى عمر سالكاً فجّاً هرب هيبة من عمر وفارق ذلك الفجّ، وذهب في فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل به شيئاً، قال القاضي: ويحتمل أن ضرب مثلاً لبعد الشيطان وإغوائه منه وأن عمر في جميع أموره سالك طريق السداد خلاف ما يأمر به الشيطان، والصحيح الأول»[3].

انظر أخي القارىء إلى هذه الترّهات، فهل يعقل أن يهرب الشيطان من الإنسان؟ ولو كان صحيحاً لِمَ لم يهرب من أبينا آدم عليه السلام عندما حاوره في الجنّة البرزخية؟! ولو كان عمر بهذه المنقبة لمَ لم يهرب منه عندما اعترض على النبيّ لمّا

---

(1) شرح نهج البلاغة ج١٢/ ٣٠٧ـ٣٠٨.

(2) صحيح مسلم ج١٥/ ١٣٢ حديث رقم ٢٣٩٦ وصحيح البخاري ج٤/ ٤٣٦ حديث رقم ٣٢٩٤.

(3) شرح النووي على صحيح مسلم ج١٥/ ١٣٤.

أراد أن يصلّي على عبد الله بن أبي سلول[1] أو عندما اعترض على النبيّ لمّا عقد الصلح مع المشركين؟!

ولماذا خاف وهو على فراش الموت من العذاب، روى البخاري عن المسور بن مخرمة قال: «لما طُعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عبّاس ـ وكأنه يجزّعه ـ يا أمير المؤمنين ولئن كان ذاك، لقد صحبت رسول الله فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راضٍ، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنّهم وهم عنك راضون، قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ من الله تعالى منَّ به عليّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منٌّ من الله جلّ ذكره مَنَّ به عليّ، وأمّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه»[2].

ليت شعري إذا كان عمر بهذا المستوى من رضا رسول الله عليه فلِمَ الجزع حينئذٍ؟! وهل يجزع من كان النبيُّ ناصره ومعينه والمسدّد له؟!

وهل يجزع عمر على صحابة النبيّ وعلى ابن عبّاس الذين أخبر عنهم الرسول أنهم سيرتدون على أدبارهم القهقرى ويضرب بعضهم رقاب بعض ويلعن بعضهم بعضاً؟!

وهل أن الجزع على أمة رسول الله محمّد تستلزم ـ بنظر عمر ـ أن لو قدر

---

(١) تروي القصة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول جاء النبيّ يسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلّي عليه، فقام رسول الله ليصلّي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله، وقال: يا رسول الله أتصلّي عليه وقد نهاك الله أن تصلّي عليه؟ فقال النبيّ: إنما خيرني الله فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ وسأزيد على السبعين، قال: إنه منافق. صحيح مسلم ج١٥/ ١٣٦ حديث رقم ٢٤٠٠.

(٢) صحيح البخاري ج٤/ ٥٦٩ حديث رقم ٣٦٩٢.

على أن يفتدي طلاع الأرض ذهباً حرصاً على أن لا يعذّبه الله تعالى؟! وهل الخوف على الصحابة جزاؤه عند الله تعالى أن يدخل عمر النار؟! أم أنه يخاف النار لأنه اعتدى على الحرمات وغيّر وبدّل بشريعة النبيّ وفعل ما فعل بوصي رسول الله، وكسّر ما كسّر من أضلاع بضعته الطاهرة فاطمة البتول وقرة عينه ومهجة كبده وتفاحة الفردوس، وأمّ المصطفى وحبيبة المرتضى؟!! هيهات أن ينجو بما فعل، قال تعالى: ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[1].

وكيف لا يزال الشيطان يسلك فجّاً غير فجّه، وقد فرّ فراراً من الزحف في أُحد وحنين وخيبر، والفرار من الزحف من عمل الشيطان وإحدى الكبائر الموبقة! وكيف يُدّعى له أن السكينة تنطق على لسانه! أترى كانت السكينة تلاحي رسول الله يوم الحديبية حتى أغضبه؟!

ولو كان ينطق على لسانه مَلَكٌ أو بين عينيه مَلَكٌ يسدده ويوفّقه، أو ضرب الله بالحق على لسانه وقلبه، لكان نظيراً لرسول الله بل لكان أفضل منه، لأنه ﷺ كان يؤدي الرسالة إلى الأمة عن ملكٍ من الملائكة، وعمر قد كان ينطق على لسانه ملك، بل كان هناك ملك آخر بين عينيه يسدّده ويوفقه، فالملك الثاني مما قد فضّل به على رسول الله، وقد كان حكم في أشياء فأخطأ فيها حتى فهّمه إياها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حتى قال: لولا عليٌّ لهلك عمر، وكان يُشكل عليه الحكم فيقول لابن عبّاس: غُص يا غوّاص[2]، فيفرج عنه، فأين كان الملك الثاني المسدّد له! وأين الحق الذي ضُرب به على لسان عمر؟ ومعلوم أن رسول الله كـان ينتظر في الوقائع نزول الوحي، وعمر على مقتضى هذه الأخبار لا حاجة به إلى نزول ملك عليه، لأن الملكين معه في كل وقت وكل حال، ملك ينطق على لسانه وملك آخر بين عينيه يسدّده ويوفقه، وقد عزّزا بثالث وهي السكينة، فهو إذاً أفضل من رسول الله!!

---

(١) سورة ص: ٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٢/ ٣٠٨.

ويلزم من الحديث الملفّق على رسول الله «لو لم أُبعث فيكم لبُعث عمر» أن يكون الرسولُ عذاباً على عمر، وأذىً شديداً له، لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبيّاً ورسولاً، ولم تعلم رتبةٌ أجلّ من رتبة الرسالة إلاّ الإمامة المطلقة، فالمزيل لعمر عن هذه الرتبة، ينبغي ألاّ يكون في الأرض أحدٌ أبغض إليه منه!

ومقتضى كونه «سراجاً لأهل الجنّة» أنه لو لم يكن تجلّي عمر لكانت الجنّة مظلمة لا سراج لها. وكيف يجوز أن يقال: لو نزل العذاب لم ينج منه إلاّ عمر، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[1].

وكيف يجوز أن يقال: إن النبيّ ﷺ كان يسمع الباطل ويحبّه ويشهده، وعمر لا يسمع الباطل ولا يشهده ولا يحبه، أليس هذا تنزيهاً لعمر عمّا لم ينزّه عنه رسول الله؟!

ولو كان محدّثاً وملهماً لما اختار معاوية الفاسق لولاية الشام، ولكان الله تعالى قد ألهمه وحدّثه بما يواقع من القبائح والمنكرات والبغي والتغلب على الخلافة، والاستئثار بمال الفيء، وغير ذلك من المعاصي الظاهرة!

وقد ذبّ[2] ابن أبي الحديد عمّا نُسِب إلى عمر من فضائل، فقال:

«إنه ليس يجب فيما كان محدّثاً ملهماً أن يكون محدّثاً ملهماً في كل شيء بل الاعتبار بأكثر أفعاله وظنونه وآرائه، ولقد كان عمر كثير التوفيق، مصيب الرأي في جمهور أمره، ومن تأمّل سيرته علم صحة ذلك، ولا يقدح في ذلك أن يختلف ظنّه في القليل من الأمور».

يرد عليه:

١ ـ إذا كان الإلهام بأكثر أفعاله وظنونه فلِمَ اعترض على رسول الله في كثير

---

(١) سورة الأنفال: ٣٣.

(٢) نفس المصدر ج١٢/٣٠٩.

من الأحكام ثم نعته بالهجر على فراش الموت ثم ما صدر منه من تغيير الأحكام لأعظم شاهد على أن خذلانه أكثر من توفيقه حسبما يدّعي ابن أبي الحديد، فدعواه مصادرة على المطلوب.

٢ ـ دعوى أنه كان كثير التوفيق تكذّبها سيرة عمر برجوعه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ حسبما نص ابن أبي الحديد نفسه في شرحه الجزء الأول ولكنه في الجزء الثاني عشر نسي ما ذكره في الأول وما أنساه إلا الشيطان أن يذكره ـ قال في الجزء الأول: «وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فإن فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطّاب وعبد الله بن عبّاس، وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام، أمّا ابن عبّاس فظاهر، وأما عمر فقد عَرَفَ كلُّ أحد رجوعَه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة «لولا عليٌّ لهلك عمر» وقوله «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن» وقوله «لا يُفتيَنّ أحدٌ في المسجد وعليٌّ حاضر..»[1].

فمن كان كثير التوفيق لا يحتاج في أكثر مسائله إلى غيره، فما ادّعاه ذاك المعتزلي الناصبيّ دونه خرط القتاد.

وقال أيضاً:

«وأما الفرار من الزحف فإنه لم يفرّ إلا متحيّزاً إلى فئة، وقد استثنى الله تعالى ذلك فخرج به عن الإثم»[2].

يرد عليه:

إن التحيّز إلى فئة إنما يكون مستثنى من الإثم إذا حصل مرة لا في كل مرة لا سيّما في المعارك العظمى كأُحد وحنين وخيبر، هذا مضافاً أن التحيّز يكون جائزاً إذا كان بأمر النبيّ لا أن يُترك صلى الله عليه وآله معرّضاً للقتل ليس معه أحد سوى أمير المؤمنين

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١/ ٢٣، ط/ الأعلمي.
(٢) نفس المصدر ج١٢/ ٣٠٩.

وبعض المخلصين من الصحابة، هذا مع التأكيد على أنه لِمَ لم يحصل التحيّز إلى فئةٍ لبقية من ثبت مع رسول الله في أغلب المعارك؟!

وقال:

«وأما باقي الأخبار فالمراد بالملك فيها الإخبار عن صحة ظنه، وصدْق فراسته وهو كلام يجري مجرى المثل، فلا يقدح فيه ما ذكروه»[1].

يرد عليه:

١ ـ ما أوردنا عليه آنفاً، مضافاً إلى أن ما ادّعاه خلاف المتبادر من كلمة «مَلك» والتبادر علامة الحقيقة، ولايعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلاّ بقرينة صارفة وهي غير موجودة.

٢ ـ ولو سلّمنا بما قاله المذكور، فلِمَ احتاج إلى غيره ما دام يملك صدق الفراسة وصحة الظن؟

وقال: «وأما قوله ﷺ «لو نزل إلى الأرض عذابٌ لما نجا منه إلا عمر» فهو كلام قاله عقيب أخذ الفدية من أساري بدر، فإن عمر لم يُشر عليه ونهاه عنه، فأنزل الله تعالى ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] وإذا كان القرآن قد نطق بذلك وشهد، لم يُلتفت إلى طعن من طعن في الخبر»[3].

يرد عليه:

إن الحديث مناهض لما روي أن الحق يدور مع أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي قال عنه النبيّ أيضاً «أقضاكم علي» وقد اعترف[4] به ابن أبي الحديد فكيف

(١) نفس المصدر ج١٢/٣٠٩.
(٢) سورة الأنفال: ٦٨.
(٣) شرح النهج ج١٢/٣١٠.
(٤) قال ابن أبي الحديد: «وقد روت العامة والخاصة قوله ﷺ: «أقضاكم عليّ» لاحظ شرح النهج ج١/٢٣.

غفل عنه أيضاً؟!

فكيف يعمّ العذاب على المسلمين آنذاك وفيهم (عدا عن رسول الله) مولى الثّقلين وسفينة النجاة وباب حطة المرتضى عليّ عليه السلام؟!!

فأين الصدّيق أبو بكر ـ كما يزعمون ـ وذو النورين عثمان، أليسوا ممن يؤمن بهم من العذاب؟

وقال أيضاً:

«وأما قوله صلى الله عليه وآله «سراج أهل الجنّة عمر» فمعناه سراج القوم الذين يستحقون الجنّة من أهل الدنيا أيام كونهم في الدينا مع عمر، أي يستضيئون بعلمه، كما يستضاء بالسراج»[1].

يرد عليه:

إن الأولى بهذا اللقب هو الإمام عليّ عليه السلام الذي كان يرجع إليه عمر بن الخطّاب نفسه، فيكف يكون سراجاً لغيره وفي نفس الوقت كان فقيراً إلى غيره ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2].

---

(١) شرح النهج ج١٢/ ٢١٠.

(٢) سورة يونس: ٣٥.

قال الملك ـ موجّهاً الخطاب إلى الوزير ـ: هل صحيح ما يقوله العلوي من أن هذا الحديث موجود في كتب السنّة؟

قال الوزير: نعم يوجد في بعض الكتب[1].

قال الملك: هذا هو الكفر بعينه.

قال العلوي: ثم إن السنّة ينقلون في كتبهم أن رسول الله ﷺ كان يحمل عائشة على كتفيه لتتفرّج على المطبّلين[2] والمزمّرين، فهل هذا يليق بمقام رسول الله ومكانته؟

قال العبّاسي: إنه لا يضر.

قال العلوي: وهل أنت تفعل هذا، وأنت رجل عادي، هل تحمل زوجتك على كتفك للتفرّج إلى الطبّالين؟!

قال الملك: إنّ من له أدنى حياء وغيرة لا يرضى بهذا فكيف برسول الله وهو مثال الحياء والغيرة والإيمان. فهل صحيح أن هذا موجود في كتب أهل السنّة؟

قال الوزير: نعم موجود في بعض الكتب![3].

---

(١) ذكر ذلك ابن أبي الحديد ـ كما قدمنا لك آنفاً ـ وادّعى أن ذلك في الصحاح مشهور.

(٢) الطبل: آلة يشدّ عليها الجلد ونحوه، ينقر عليه، والطبّال: صاحب الطبل وفعله التطبيل.

(٣) أخرج البخاري عن عروة عن عائشة قالت: دخل عليّ رسول الله وعندي

جاريتان تغنيان بغناء بُعاثٍ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبيّ! فأقبل عليه رسول الله فقال: «دعهما». فلما غفل غمزتهما فخرجتا. وكان يوم عيد يلعب السودان بالدَّرق والحراب، فإمّا سألتُ النبيّ وإمّا قال: تشتهين تنظرين فقلت؛ نعم، فأقامني وراءه، خدّي على خدّه وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللتُ قال: حسبُكِ؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي[1].

وأخرج البخاري أيضاً عن عائشة قالت:

رأيت النبيّ يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم ـ أي أبو بكر ـ فقال النبيّ ﷺ «دعهم. أمْناً بني أرفدة» يعني مِنَ الأمن[2].

وعن عروة عن عائشة قالت:

إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مِنى تُدَفِّفان وتضربان ـ والنبيّ متغشٍ بثوبه ـ فانتهرهما أبو بكر، فكسف النبيّ عن وجهه وقال: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى»[3].

وأخرج عن عروة عن عائشة أنها قالت:

رأيت النبيّ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم فأقدروا قَدْرَ الجارية الحديثة السنّ، الحريصة على اللهو[4].

وعن عائشة قالت:

سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم، وهم يلعبون في يوم عاشوراء، فقال لي رسول الله: أتحبين أن تري لعبهم؟ قالت:

---

(١) صحيح البخاري ج١/ ٢٨٧ حديث رقم ٩٤٨.

(٢) صحيح البخاري ج١/ ٢٩٩ حديث رقم ٩٨٨.

(٣) صحيح البخاري ج١/ ٢٩٩ حديث رقم ٩٨٧.

(٤) صحيح البخاري مشكول ج٣/ ٣٦٦ ومسند أحمد ج٦/ ٣٧٠.

قلت: نعم، فأرسل إليهم فجاؤا وقام رسول الله فوضع كفّه على الباب، ومدّ يده، ووضعت ذقني على يده، وجعلوا يلعبون، وأنظر، وجعل رسول الله يقول: حسبُكِ، وأقول: أُسكت مرتين أو ثلاثاً ثم قال:

يا عائشة حسبُكِ، فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا[1].

وأخرج عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت:

دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعـاث، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله؟

وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا[2].

وأخرج الغزالي عن عائشة أنها قالت:

قال النبيّ لي يوماً: أتحبين أن تنظري إلى زفن[3] الحبشة»[4].

وأخرج أحمد عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها كانت تلعب بالبنات، فكان النبيّ يأتي بصواحبي يلعبن معي[5].

كما روى الغزالي أيضاً أنه دفعت إحداهُنَّ في صدر رسول الله فزبرتها أُمّها فقال عليه السلام: «دعيها فإنهنّ يصنعن أكثر من ذلك».

وجرى بينه وبين عائشة كلام، حتى أدخلا بينهما أبا بكر حكماً واستشهده،

---

(١) إحياء علوم الدين ج٤/ ١٣٧ طبعة لجنة الثقافة الإسلامية بمصر عام ١٣٥٦هـ، ومحاسن التأويل ج٣/ ٧٥ ط/ مصر/ محمد جمال الدين القاسمي.

(٢) صحيح البخاري ج١/ ٢٨٨ حديث رقم ٩٥٢، وصحيح مسلم ج٦/ ١٥٩ حديث رقم ٨٩٢.

(٣) الزفن: هو الرقص والضرب بالأرجل.

(٤) إحياء علوم الدين ج٦/ ١٩٧ ط/ لجنة الثقافة الإسلامية بمصر.

(٥) مسند أحمد ج٦/ ٢٣٣.

فقال لها رسول الله: «تُكلّمين أو أتكلم» فقالت: بل تكلّم أنت، ولا تقل إلا حقاً، فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال: يا عدّية نفسها أويقول غير الحق؟! فاستجارت برسول الله وقعدت خلف ظهره، فقال له النبيّ: «لم ندعُك لهذا، ولا أردنا منك هذا».

وقالت له مرة في كلام غضبت عنده:

أنت الذي تزعم أنك نبيّ الله، فتبسم رسول الله واحتمل ذلك حلماً وكرماً[1].

وأخرج أحمد بن حنبل عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت:

خرجت مع النبيّ في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللّحم، ولم أُبدن، فقال للناس تقدّموا، فتقدّموا ثم قال لي تعالي أسابقك، فسابقته فسبقته فسكت عني، وحتى إذا حملت اللحم وبدنت، ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدّموا فتقدّموا، ثم قال تعالي حتى أسابقك فسابقته، فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك[2].

وأخرج أحمد عن السائب بن يزيد: أن امرأة جاءت إلى رسول الله، فقال: يا عائشة أتعرفين هذه؟

قالت: لا يا نبيّ الله، فقال: هذه قينة بني فلان، تحبين أن تغنيك؟

قالت: نعم، قال: فأعطاها طبقاً فغنّتها، فقال النبيّ(ص) قد نفخ الشيطان في منخريها[3].

وأخرج عن عائشة:

(١) إحياء علوم الدين ج٤/ ١٣٦.

(٢) مسند أحمد ج٦/ ٢٦٤ ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة بسند صحيح.

(٣) مسند أحمد ج٣/ ٤٤٩.

أن الحبشة لعبوا لرسول الله فدعاني، فنظرت من فوق منكبه حتى شبعت[1].

وروى مسلم العديد من هذه الأحاديث في باب الرخصة في اللعب أيام العيد، أذكرها بتمامها:

روى عن عروة، عن عائشة: أن أبا بكر دخل عليها، وعندها جاريتان في أيام منى تغنيان وتضربان، ورسول الله مسجّى بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف رسول الله عنه وقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد، وقالت: رأيت رسول الله يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، وأنا جارية، فاقْدرُوا قدْرَ الجارية العَرِبة الحديثة السنّ[2].

وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: والله! لقد رأيت رسول الله يقوم على باب حجرتي، والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله، يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي، حتى أكون أنا التي انصرف، فاقدروا قدْرَ الجارية الحديثة السنّ، حريصة على اللهو[3].

وعن عروة عن عائشة قالت: دخل رسول الله وعندي جاريتان تغنّيان بغناء بُعاثٍ، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله! فأقبل عليه رسول الله فقال: «دعهما...»[4].

وعن هشام عن أبيه عن عائشة قالت:

جاء حبشٌ يزفنون ـ أي يرقصون ـ في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي فوضعت رأسي على منكبه، فجعلتُ أنظر إلى لعبهم، حتى كنتُ أنا التي أنصرف عن النظر إليهم[5].

---

(١) مسند أحمد ج٦/ ٢٣٣.

(٢) صحيح مسلم ج٦/ ١٦٠ ح١٧ هامش حديث ٨٩٢.

(٣) صحيح مسلم ج٦/ ١٦١ ح١٨.

(٤) صحيح مسلم ج٦/ ١٦١ ح١٩ وقد تقدم عن بعض المصادر أيضاً.

(٥) نفس المصدر ح٢٠.

وعن عطاء قال: أخبرني عُبيد بن عُمير قال: أخبرتني عائشة أنها قالت للعَّابين: وددتُ أني أراهم، قالت: فقام رسول الله وقمتُ على الباب أنظر بين أذنيه وعاتقه وهم يلعبون في المسجد[1].

وعن ابن المسيّب عن أبي هريرة قال:

بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله بحرابهم، إذ دخل عمر بن الخطاب، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، فقال له رسول الله «دعهم يا عمر»[2].

هكذا ينظر كبار علماء العامة إلى رسول الله، أنه ـ عندهم ـ رجل هزيل يلعب مع الجواري لأن زوجته جارية آنذاك ليرضيها، بل يحملها على عاتقه لتنظر إلى لعب السودان وخده على خدها، حتى أنه كان يسابقها فتسبقه مرة، ويسبقها أخرى، ولم يكتفوا بذلك حتى نسبوا إليه الخطأ في الرأي لما استشار أصحابه بالأسرى يوم بدر، فيبدي رأياً ثم تنزل الآيات مصوبة لرأي غيره، فيقعد ليبكي وينوح على ما فرط منه[3]، إلى غير ذلك من المخازي والمآسي التي يتنزّه عنها المؤمن العادي، فكيف بسيّد الخلق رسول الله محمد ﷺ النموذج الفذ لإرادة الله تعالى على الأرض، إنه أبو القاسم الذي قال عنه الله تعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾.

فإعطاء تلك الصورة القاتمة عن نبيّ الإسلام المعظّم والقدوة والأسوة الحسنة لهو الخيانة العظمى للتاريخ وللأمة وللإنسانية جمعاء.

---

(١) نفس المصدر ح٢١.

(٢) نفس المصدر ح٢٢.

(٣) ذكرها عامة مفسري العامّة في سورة الأنفال آية ٦٨.

قال الملك: فكيف نؤمن بنبيٍّ يشك في نبوته؟

قال العبّاسي: لا بدّ من تأويل هذه الرواية!

قال العلوي: وهل تصلح هذه الرواية للتأويل؟

أعرفت أيُّها الملك: إنّ أهل السنّة يعتقدون بهذه الخرافات والأباطيل والخزعبلات؟!

قال العبّاسي:

وأي أباطيل وخرافات تقصد؟

قال العلوي: لقد بيّنت لك أنكم تقولون:

١ ـ إن الله كالإنسان له يد ورجل وحركة وسكون.

٢ ـ إن القرآن محرّف فيه زيادة ونقصان.

٣ ـ إن الرسول يفعل ما لا يفعله حتى الناس العاديون من حمل عائشة على كتفه.

٤ ـ إن الرسول كان يشك في نبوته.

٥ ـ إن الذين جاؤوا إلى الحكم قبل «الإمام» عليّ بن أبي طالب عليه السلام استندوا إلى السيف والقوة في إثبات أنفسهم ولا شرعيّة لهم.

٦ ـ إن كتبهم ـ أي كتب العامة ـ تروي عن أبي هريرة وأمثاله من الوضّاعين والدجالين، إلى غير ذلك من الأباطيل.

قال الملك: دعوا هذا الموضوع وانتقلوا إلى موضوع آخر.

قال العلوي: ثم إن السُّنّة ينسبون إلى رسول الله ما لا يجوز حتى على الإنسان العادي.

قال العبّاسي: مثل ماذا؟

قال العلوي: مثل أنهم يقولون: إن سورة «عبس وتولّى» نزلت[1] في شأن الرسول ﷺ!

---

(١) هل صحيح أن السورة نزلت في حق النبيّ محمّد ﷺ؟ وهل تصدّق - أخي القارىء - أن النبيّ عليه وآله السلام عبس بوجه ذاك البائس الفقير الذي جاء إلى رسول الله يسأله عن معالم دينه؟

بل نترقى أكثر، هل بإمكانك أن تفعل ذلك بوجه مؤمنٍ فقيرٍ جاءك يطلب حاجة وعندك أناسٌ أثرياء؟

أسئلة تطرح على كل ذي فكر نيّر وضمير حيّ وقلب سليم فلا يصدّق أن النبيّ صاحب الخلق العظم عبس في وجه رجل فقير من أجل أراذل من المشركين، لكن هناك الكثير من علماء العامة اعتقدوا أن سورة «عبس» نزلت في الرسول.

قال فخر الدين الرازي - وهو من أكابر علماء العامة -:

«أجمع المفسرون[1] على أن الذي عبس وتولّى هو الرسول، وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن مكتوم عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعبّاس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم، فقال للنبيّ(ص) اقرئني وعلمني مما علمك الله،

---

(١) يقصد مفسري العامة وإلا فالمسألة مورد اتفاق عند الإمامية من أن العابس هو رجل من بني أمية.

وكرّر ذلك، فكره رسول الله قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه فنزلت هذه الآية، وكان رسول الله يكرمه، ويقول إذا رآه «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» ويقول: هل لك من حاجة، واستخلفه على المدينة مرتين»[1].

وفي لفظ آخر: «وجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره، حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله لقطعه كلامه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد، فعبس رسول الله وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلّمهم...»[2].

ولنا ملاحظات هي ما يلي:

١ ـ إنّ تلكم المرويات ضعيفة الأسانيد، وأخبار آحاد لا يعوّل عليها، ولا توجب علماً ولا عملاً، فقد رواها أنس بن مالك وعائشة وابن عبّاس، وهؤلاء لم يدرك أحدٌ منهم القضية أصلاً، لأنه إمّا كان حينها طفلاً أو لم يكن وُلد بعد..

٢ ـ اضطراب نصوصها، بحيث لم يتفق راوٍ مع الآخر بشأن الحاضرين عند النبيّ ﷺ، فقد روى ابن كثير عن عائشة في رواية أنه كان عنده رجل من عظماء المشركين، وفي رواية أخرى عنها: عتبة وشيبة. كما روى ابن عبّاس أنه ﷺ كان يناجي عتبة وعمّه العبّاس وأبا جهل، وفي رواية ابن عباس في تفسيره أنهم: العباس، وأمية بن خلف، وصفوان بن أمية. وعن مجاهد: صنديدٌ من صناديد قريش، وفي رواية أخرى عنه: عتبة بن ربيعة، وأمية بن خلف.

.. هذا بالغضّ عن تناقض دلالاتها مع بعضها البعض في ذلك، وفي نقل ما جرى، وفي نصّ كلام الرسول وكلام ابن أم مكتوم.

٣ ـ إن ظاهر الآيات المدّعى نزولها في النبيّ هو أن العابس كان من عادته

---

(١) تفسير الرازي ج٣١/ ٥٤.

(٢) أسباب النزول ص٣٦٥ للواحدي، وفي لفظ روح المعاني ج١٦/ ٦٨: «ولم يعلم تشاغله بالقوم».

وسجيّته وطبعه أنْ يتصدّى للغنيّ ولو كان كافراً دون المؤمن الفقير، غير مبال به حتى لو أراد أنْ يتزكّى، ونحن نعلم أنّ هذا لم يكن من صفات وسجايا النبيّ ولا من طبعه وخلقه!..

هذا مضافاً إلى أن العبوس في وجه الفقراء والإعراض عنهم لم يكن من صفاته حتى مع أعدائه، فكيف بالمؤمنين من أصحابه وأودّائه وقد وصفه الله تعالى بأنه ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

فسياق الآيات المعاتبة لا يليق بمنصب النبوّة، لا سيّما وأنّ لسان هذه الآيات هو الذمّ والتوبيخ لمن يترفّع على الفقراء ويتواضع لأصحاب الجاه والثراء، وهذه صفات يتنزّه عنها المؤمن العادي فكيف بنبيّ الله محمّد بن عبد الله ﷺ الذي بُعث رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2] ولم يعهد من أخلاقه الرفيعة أنْ ينزع يده من يد مصافحه حتى ينزعها الآخر، وكان حياؤه أشدّ من حياء المرأة، وكان من صفاته قبل النبوّة وبعدها معاهدته ومجالسته للفقراء والمساكين وكان أكثر الناس تبسّماً في وجوه أصحابه إلى ما هنالك من صفات جميلة ساءت أهل الشرف والجاه حتى طالبه الملأ من قريش بأنْ يبعد هؤلاء عنه ليتبعوه، وقد أشار عليه بعضهم بطردهم فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[3].

فمن كانت هذه صفاته، فهل يُتصوّر أنْ يقطّب ويعبس في وجه أعمى جاءه طالباً معرفة الحلال والحرام؟..

وأي تنفير أبلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلّهي عنهم، والإقبال على جماعة مترفين سيّما أمثال هؤلاء الذين ذُكِروا في الرواية.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) سورة الأنعام: ٥٢.

هذا مضافاً إلى أنّ العبوس في وجه ضرير لا يبصر ما حوله خلاف الحكمة، لأن الضرير هذا ما رأى عبوس العابس وتقطيبه، فلا يخلو الأمر حينئذٍ من شيئين:

ـ إمّا أنْ يكون عبوس النبيّ بوجه ذاك الضرير لحكمة راجعة إليه، وهي منتفية هنا لانعدام الرؤيا عند الضرير، فلا يترتب على عبوس النبيّ له أي فائدة تُذكر.

ـ وإمّا أنْ يكون عبوسه بوجه الضرير ما هو إلا حالة طيش وخفّة عقل لا يمكن أن تصدر من النبيّ، هذا بالإضافة إلى أنه يجب على النبيّ ﷺ أنْ يتروّى ويتصف بالحلم والأناة لكونه أسوة حسنة للأنام.

٤ ـ إنّ الله تعالى مدح نبيّه بأفضل الصفات فقال عزّ اسمه في سورة القلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١]؛ وقد نزلت هذه السورة قبل سورة عبس وتولّى، فإذا كان كذلك، فكيف يصدر عنه هذا الأمر المشين، والموجب لعتاب رب العالمين، فهل كان الله (حاشاه عزّ اسمه) جاهلاً بحقيقة أخلاق نبيّه؟!! أمْ أنّ نبيّه لم يعمل بما أمره به سبحانه من قبل، وقد أخذ عليه الميثاق بالعلم والعمل، فصدور ما ينافي الخلق الكريم خلاف ميثاق ربّ العالمين، هذا مضافاً إلى أنه تعالى خاطبه وأراد غيره بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢]، والعبوس والتولّي عن المؤمن الفقير من أبرز مصاديق الفظاظة والغلظة وقد تنزّه عنها الأنبياء والأوصياء والدعاة إلى الله لأنهما من المنفّرات التي تخلّ بفائدة البعثة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، هذا مع أنه لم يعهد من نبيّ مطلقاً أنْ صدر منه مثل ما صدر من النبي بحسب زعمهم.

والآية ١٥٩ من آل عمران وإنْ كانت مدنية إلاّ أنها تعكس عن الحالة التي كان عليها رسول الله مذ كان يافعاً إلى آخر حياته، لقد كان وجه الحق، والمرآة

---

(١) سورة القلم: ٤ «مكيّة».

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩ «مدنيّة».

التي تنعكس عليها أشعة الحق سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها، لقد نفى عزّ وجلّ عن نبيّه الرحيم الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه لا سيّما عن المؤمنين الأتقياء المبصرين فكيف بإبن أم مكتوم حيث حُرم من نعمة البصر، فإن الأولى أن يقف النبيّ منه موقف اللين والشفقة والرحمة بحيث لا يساويه بأحد من المبصرين رأفةً به وتطييباً لخاطره.

قال الشيخ الطبرسي عليه الرحمة:

«وفي هذه الآية دلالة على اختصاص نبيّنا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، ومن عجيب أمره ﷺ أنه كان أجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان أدناهم إلى التواضع وذلك أنه كان أوسط الناس نسباً وأوفرهم حسباً وأسخاهم وأشجعهم وأزكاهم وأفصحهم، وهذه كلها من دواعي الترفع، ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك ويجلس في الأرض ويأكل عليها، وكان يدعو إلى الله من غير زئر ولا كهر ولا زجر، ولقد أحسن مَنْ مدحه في قوله:

فما حَمَلَتْ مِنْ ناقةٍ فوقَ ظهرِها أبرَّ وأوفى ذمَّةً من محمّدِ

وفي الآية دلالة على ما نقوله في اللطف لأنه سبحانه نبّه على أنه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع، ولو لم يكن كذلك لما أجابوه، فبيّن أن الأمور المنفرة منفية عنه وعن سائر الأنبياء ومن يجري مجراهم في أنه حجة على الخلق..»[1].

والتعبير بـ«ولو كنت فظاً» لدلالة قطعية على عدم اتصافه بما لصقه القوم به حيث تفيد الجملة المذكورة التعليق على الشرط المستحيل تحققه في شخصية مَنْ جعله اللهُ رحمةً للعالمين، كما أن ضمير «كنت» لإشارة واضحة إلى ما ذكرنا فتأمّل.

(١) تفسير مجمع البيان ج٢/ ٣٢٩ ط/ دار الكتب العلمية.

٥ ـ إنّ ما صدر من التوبيخ بقوله تعالى: ﴿وما عليك ألاّ يزكّى﴾ لا يناسب عمومية رسالته وكونه ﷺ مبعوثاً للتزكية والأخلاق الفاضلة، وقد انحصرت مهمّته بتزكية الناس وتعليمهم مكارم الأخلاق، قال صلوات الله تعالى عليه وآله: «إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق». وهل من المكارم أن يعبس في وجه مؤمن فقير؟! وهل العبوس من التزكية الإلهية لنبيّه الكريم؟! ألم يقل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

٦ ـ إنّ المرويات الدالة على عبوسه ﷺ أخبار آحاد لم تُروَ في مصادر الشيعة، ومعلومٌ عند عامة فقهاء الشيعة أنهم لا يعوّلون على الخبر الواحد في باب الاعتقادات.. هذا مضافاً إلى أنّ هذه الأخبار تصادم حكم العقل باستحالة صدور القبيح عن الأنبياء والأولياء عليهم السلام ولا سيّما في التبليغ. فصدور الخطأ منه ﷺ في مورد القصّة يُعدّ خطأً في التبليغ، وقد أجمعت الأمة على خلافه سوى بعض الأشاعرة، فالتمسّك بقصّة لم يثبت صحّتها مع مخالفتها لما ذكرنا لا يكون دليلاً على المُدّعى، هذا مضافاً لمخالفتها قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] التي نزلت في بدء الدعوة النبوية العام الثالث من البعثة، ونزلت قبل سورة عبس بسنتين؛ فعلى هذا كيف يتصوّر عاقل العبوس منه ﷺ والإعراض عن المؤمنين ومخالفة أوامر الله التي حثّته على احترام المؤمنين وخفض الجناح لهم، فهل نسي النبيّ أوامر ربه وأنه مأمور بخفض الجناح لمن اتّبعه؟! وإذا كان ﷺ قد نسي ذلك فما الذي يؤمننا من أنْ لا يكون قد نسي غير ذلك أيضاً؟! وإذا لم يكن قد نسي، فلماذا تعمّد أنْ يعصي هذا الأمر الصريح؟!.

٧ ـ إنّ أيّ خبر إذا صادم الظاهر القرآني (كموردنا هذا) يُطرح في حال لم

---

(١) سورة الجمعة: ٢ «مدنيّة».

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥ «مكيّة».

يتوافق مع ذاك الظاهر القرآني حيث لا يمكننا تأويل الظاهر. وهنا لا يمكننا تأويل عبوسه مع مخالفته لقانون الرحمة، ودعوى أنه كان يرجو بإسلام صناديد قريش إسلام غيرهم مردودة لأنه بفعله ذاك لم يدخل أحد منهم ولا غيرهم في الإسلام نتيجة ما فعله بإبن أم مكتوم، هذا مع أنّ العبوس في وجه الضرير لا يترتب عليه فائدة تُذكر عند الضرير، فكان الحريّ أن يُرحَم ويُخَصّ بمزيد الإقبال والتعطّف لا أن ينقبض ويعرض عنه.

إذن، فعبوسه لم يترتب عليه أي فائدة، لأنه وقع في مورد لا يصحّ أن يقع فيه، وذلك لأن الضرير لم يرَ تقطيب حاجبيّ النبيّ، فيكون عبوسه «عبثاً» وهو ما يتنزّه عنه الأنبياء.

٨ ـ إنّ صدور العبوس من النبيّ أيسر ما يُقال عنه أنه ذنْبٌ صغير لا يجوز عقلاً للأنبياء ارتكابه لا حال التبليغ ولا بعده، وحيث إنّ العبوس وقع حال التبليغ دلّ ذلك على وقوع ذنب صغير أجمع الشيعة على امتناع صدوره عن الأنبياء والأولياء حال التبليغ وبعده. هذا مضافاً إلى أنّ الاعتقاد بعبوسه بوجه ذاك المؤمن يُعدّ خطأً في الرأي والتشخيص لأن النبيّ ـ بحسب هذه الدعوى ـ أراد أنْ يؤلّف بين قلوب المشركين ليستميلهم إلى الإسلام مع أنهم لم يدخلوا، فيكون بهذا قد وقع ﷺ في خطأ، والخطأ من الرجس، وهو ما قد تنزّه عنه ﷺ بنصّ آية التطهير[1].

فالصحيح أن العابس هو رجل من بني أمية ـ أي عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف[2] ـ كما دلت عليه الروايات الصحيحة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، وقد أيّد ذلك جُلّ علماء الإمامية، والقائل منهم بعكس ذلك شاذ، والشاذ لا يعوّل عليه.

(١) «هل العابس هو النبيّ» كتاب مخطوط للمؤلف.

(٢) الكامل في التاريخ ج٣/ ١٨٤ باب ذكر نسب عثمان وصفته.

قال المحدّث[1] القمي عليه الرحمة، توفى عام ٣٠٧هـ:

«نزلت السورة في عثمان وابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله وعنده أصحابه، وعثمان عنده، فقدّمه رسول الله على عثمان فعبس (أي عثمان) بوجهه وتولّى عنه، فأنزل الله تعالى «عبس وتولّى» يعني عثمان بن عفان..»[2].

وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي عليه الرحمة: (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ).

«قال كثير من المفسرين وأهل الحشو أن المراد بالعابس النبيّ ﷺ.. وهذا فاسد لأن النبيّ ﷺ قد أجلَّ الله قدره عن هذه الصفات، وكيف يصفه بالعبوس والتقطيب، وقد وصفه بأنه «على خلق عظيم»، وقال: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾، وكيف يعرض عمّن تقدّم وصفه مع قوله تعالى: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه**﴾ ومن عرف النبيّ وحسن أخلاقه وما خصه الله به من مكارم الأخلاق وحسن الصحبة حتى قيل إنه لم يكن يصافح أحداً قط فينزع يده من يده، حتى يكون ذلك الذي ينزع يده من يده، فمن هذه صفته كيف يقطّب في وجه أعمى جاء يطلب الإسلام، على أن الأنبياء منزهون عن مثل هذه الأخلاق وعما هو دونها لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم والإصغاء إلى دعائهم، ولا يجوّز مثل هذا على الأنبياء من عرف مقدارهم وتبين نعتهم.

وهذه الآيات نزلت في رجل من بني أميّة كان واقفاً مع النبيّ ﷺ، فلمّا أقبل ابن أم مكتوم تنفر منه، وجمع نفسه وعبس في وجهه وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله تعالى ذلك وأنكره معاتبة على ذلك»[3].

---

(١) ثقة جليل، أكثرَ ثقة الإسلام الكليني الرواية عنه في الكافي، وقال عنه في أعلام الورى: إنه من أجلّ رواة أصحابنا، كان في عصر مولانا الإمام العسكري عليه السلام.

(٢) تفسير القمي: علي بن إبراهيم ج٢/ ٤٣٠.

(٣) تفسير التبيان للطوسي ج١٠/ ٢٦٩.

وقال السيّد علي بن الحسين الموسوي المرتضى (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ):

«فإن قيل أليس قد عاتب الله تعالى نبيّه في إعراضه عن ابن أم مكتوم لمّا جاءه وأقبل على غيره بقوله ﴿عبس وتولّى أن جاءه الأعمى، وما يدريك لعلّه يزكّى أو يذّكّر فتنفعه الذكرى﴾ وهذا أيسر ما فيه أن يكون صغيراً.

والجواب: قلنا أمّا ظاهر الآية فغير دال على توجهها إلى النبيّ ولا فيها ما يدل على أنه خطاب له ﷺ بل هي خبر محض لم يُصرّح بالمخبر عنه وفيها مايدل عند التأويل على أن المعنيّ بها غير النبيّ ﷺ لأنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبيّ في قرآن ولا خبر مع الأعداء المنابذين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم وصفه بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء وهذا مما لا يصف به نبينا عليه السلام من يعرفه فليس هذا مشبهاً لأخلاقه ﷺ الواسعة وتحننه على قومه وتعطفه وكيف يقول له وما عليك ألاّ يزكّى وهو ﷺ مبعوث للدعاء والتنبيه وكيف لا يكون ذلك عليه، وكان هذا القول إغراء بترك الحرص على إيمان قومه، وقد قيل إن هذه السورة نزلت في رجل من أصحاب رسول الله كان منه هذا الفعل المنعوت فيها، ونحن إن شككنا في عين من نزلت فيه فلا ينبغي أن نشك في أنها لم يعن بها النبيّ، وأي تنفير أبلغ من العبوس في وجوه المؤمنين والتلهي عنهم والإقبال على الأغنياء الكافرين والتصدي لهم، وقد نزّه الله تعالى النبيّ ﷺ عما دون هذا في التنفير بكثير»[1].

وقال الشيخ الطبرسي (٤٦٢ ـ ٥٢٣هـ):

«قال المرتضى علم الهدى: ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها إلى النبي ـ . . . ـ بعد أن استعرض كلام المرتضى قال: وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي فجاء ابن أم مكتوم

(١) تنزيه الأنبياء للسيّد المرتضى ص١١٩.

فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه»[1].

وقال المولى محسن الملقّب بـ«الفيض الكاشاني» (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ):

«نزلت في عثمان وابن أم مكتوم.. وأما ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في النبيّ ﷺ دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه وكذا ما ذكر بعدها إلى آخر السورة كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام ويشبه أن يكون من مختلقات أهل النفاق خذلهم الله تعالى»[2].

وقال السيّد محمّد حسين الطباطبائي (١٣٢١ ـ ١٤٠٢هـ):

«وليست الآيات ظاهرة الدلالة على أن المراد بها هو النبي بل هو خبر محض لم يصرّح بالمخبر عنه بل فيها ما يدل على أن المعني بها غيره... إلى أن قال:

وقد عظّم الله خلقه ﷺ إذ قال: وهو قبل نزول هذه السورة ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ والآية واقعة في سورة «ن» التي اتفقت الروايات المبينة لترتيب نزول السور على أنها نزلت بعد سورة اقرأ باسم ربك، فكيف يعقل أن يعظّم الله خلقه في أول بعثته ويطلق القول في ذلك ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية ويذمه بمثل التصدي للأغنياء وإن كفروا، والتلهي عن الفقراء وإن آمنوا واسترشدوا. وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ * وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3] فأمره بخفض الجناح للمؤمنين، والسورة من السور المكية، والآية في سياق قوله «وانذر عشيرتك الأقربين» النازل في أوائل الدعوة.

وكذا قوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وفي سياق الآية قوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ

---

(١) تفسير مجمع البيان ج١٠/ ٢١٠.

(٢) تفسير الصافي ج٥/ ٢٨٥.

(٣) سورة الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٤) سورة الحجر: ٨٨.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] النازل في أول الدعوة العلنية فكيف يتصوّر منه ﷺ العبوس والإعراض عن المؤمنين وقد أمر باحترام إيمانهم وخفض الجناح وأن لا يمد عينيه إلى دنيا أهل الدنيا.

على أن قبح ترجيح غنى الغني ـ وليس ملاكاً لشيء من الفضل ـ على كمال الفقير وصلاحه بالعبوس والإعراض عن الفقير والإقبال على الغني لغناه قبح عقلي منافٍ لكريم الخلق الإنساني لا يحتاج في لزوم التجنب عنه إلى نهي لفظي.

وبهذا وما تقدمه يظهر الجواب عما قيل: إن الله سبحانه لم ينهه ﷺ عن هذا الفعل إلا في هذا الوقت فلا يكون معصية منه إلاّ بعده، وأما قبل النهي فلا.

وذلك أن دعوى أنه تعالى لم ينهه إلاّ في هذا الوقت تحكّم ممنوع، ولو سلم فالعقل حاكم بقبحه ومعه ينافي صدوره كريم الخلق، وقد عظّم الله خلقه (ص وآله) قبل ذلك إذ قال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وأطلق القول، والخلق ملكة لا تتخلف عن الفعل المناسب لها...»[2].

* * * * *

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) تفسير الميزان ج٢٠/٢٠٣ـ٢٠٤.

قال العبّاسي: وما المانع من ذلك؟

قال العلوي: المانع قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/ ٤). وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٧).

فهل يعقل أن الرسول الذي يصفه الله تعالى بالخُلق العظيم ورحمة للعالمين أن يفعل بذلك الأعمى المؤمن هذا العمل اللاإنساني؟؟.

قال الملك: غير معقول أنْ يصدر هذا العمل من رسول الإنسانية ونبيّ الرحمة، إذن: أيُّها العلوي فيمن نزلت هذه السورة؟

قال العلوي:

الأحاديث الصحيحة الواردة عن أهل بيت النبيّ ﷺ الذين نزل القرآن في بيوتهم تقول: إنها نزلت في عثمان بن عفّان، وذلك لمّا دخل عليه ابن أم مكتوم فأعرض عنه عثمان وأدار ظهره إليه.

وهنا انبرى السيّد جمال الدين (وهو من علماء الشيعة وكان حاضراً في المجلس) وقال: وقد وقعت لي قصة مع هذه السورة وذلك:

أن أحد علماء النصارى قال لي:

إن نبيّنا عيسى أفضل من نبيكم محمّد ﷺ.

قلت له: ولماذا؟

قال: لأن نبيّكم كان سيء الأخلاق، يعبس للعميان ويدير إليهم ظهره، بينما عيسى كان حسن الأخلاق يبرىء الأكمه والأبرص.

قلت: أيُّها المسيحي، إعلم أننا نحن الشيعة نقول إن السورة نزلت

في عثمان بن عفان لا في رسول الله، وإن نبيّنا محمّد كان حسن الأخلاق، جميل الصفات، حميد الخصال، وقد قال فيه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم/ ٤) وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء/ ١٠٧).

قال المسيحي: لقد سمعت هذا الكلام الذي قلته لك من أحد خطباء المسجد في بغداد!

قال العلوي: المشهور عندنا أنّ بعض رواة السوء وبائعي الضمائر نسبوا هذه القصة إلى رسول الله ليبرّؤوا ساحة عثمان بن عفّان فإنهم نسبوا الكذب إلى الله والرسول حتى ينزّهوا خلفاءهم وحكّامهم!

قال الملك: دعوا هذا الكلام وتكلّموا في غيره.

قال العبّاسي: إنّ الشيعة تنكر إيمان الخلفاء الثلاثة، وهذا غير صحيح إذ لو كانوا غير مؤمنين فلماذا صاهرهم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم؟

قال العلوي: الشيعة يعتقدون أنهم ـ أي الثلاثة ـ كانوا غير مؤمنين قلباً وباطناً وإن أظهروا الإسلام لساناً وظاهراً، والرسول الأعظم ﷺ كان يقبل إسلام كلّ من تشهّد بالشهادتين ولو كان منافقاً واقعاً وكان يعاملهم معاملة المسلمين، فمصاهرة النبيّ لهم ومصاهرتهم للنبيّ من هذا الباب!

قال العبّاسي: وما هو الدليل على عدم إيمان أبي بكر؟[1].

---

(١) أخرج الخطيب البغدادي عن محبوب بن موسى الأنطاكي قال: سمعت أبا إسحاق يقول: سمعت أبا حنيفة يقول: إيمان أبي بكر وإيمان إبليس واحد، قال إبليس يا رب، وقال أبو بكر: يا رب. تاريخ بغداد ج١٣/ ٣٧٣، ط/ القاهرة.

قال العلوي: الأدلة القطعية على ذلك كثيرة جداً، ومن جملتها أنه خان الرسول في مواطن كثيرة، منها: تخلّفه عن جيش أسامة، ومعصية أمر الرسول في ذلك؛ والقرآن الكريم نفى الإيمان عن كلّ من يخالف الرسول، بقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء/ ٦٥).

فأبو بكر عصى أمر الرسول وخالفه فهو داخل في الآية التي تنفي إيمان مخالف الرسول.

وأضف إلى ذلك أنّ رسول الله ﷺ لعن المتخلّف عن جيش أسامة وقد ذكرنا سابقاً أنّ أبا بكر تخلّف عن جيش أسامة، فهل يلعن رسولُ الله المؤمنَ؟ طبعاً لا!

قال الملك: إذن يصحّ كلام العلويّ أنه لم يكن مؤمناً!

قال الوزير: لأهل السنّة في تخلّفه تأويلات.

قال الملك: وهل التأويل يدفع المحذور! ولو فتحنا هذا الباب لكان لكلّ مجرم أنْ يأتي لإجرامه بتأويلات!! فالسارق يقول: سرقت لأني فقير، وشارب الخمر يقول: شربتُ لأنني كثير الهموم، والزاني يقول: كذا وهكذا... يختل النظام ويتجرّأ الناس على العصيان، لا.. لا.. التأويلات لا تنفعنا.

فاحمرّ وجه العبّاسيّ وتحيّر ماذا يقول، وأخيراً تلعثم وقال: وما هو الدليل على عدم إيمان عمر؟

قال العلويّ: الأدلة كثيرة جداً منها: أنه صرّح بنفسه بعدم إيمانه!

قال العبّاسيّ: في أي موضع؟

قال العلويّ: حيث قال: «ما شككت في نبوّة محمّد مثل شكي يوم الحديبية» وكلامه هذا يدل: على أنه كان شاكاً دائماً في نبوة نبينا ﷺ، وكان شكه يوم الحديبية أكثر وأعمق وأعظم من تلك الشكوك، فهل - أيُّها العبّاسي - قل لي بربك:

الشاك في نبوّة محمّد يعتبر مؤمناً؟

سكت العبّاسي وأطرق برأسه خجلاً.

فقال الملك موجّهاً الخطاب إلى الوزير:

هل صحيح قول العلوي أن عمر قال هكذا؟

قال الوزير: هكذا ذكر الرواة[1]!

---

(١) قال ابن إسحاق، قال الزهري:

ثم بعثت قريش سُهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله وقالوا له: ائتِ محمّداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنّا عامه هذا، فوالله لا تحدّث العرب عنّا أنه دخلها علينا عنوة أبداً. فأتاه سهيل بن عمرو؛ فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل. فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم تكلّم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

فلمّا التأم الأمر ولم يبقَ إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى؛ قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال:

بلى؛ قال: أوليسوا بالمشركين، قال: بلى؛ قال: فعلام نُعطي الدّنيّة[1] في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، إلزم غَرْزه[2]، فإني أشهد أنه رسول الله؛ قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال؛ بلى؛ قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى؛ قال: فعلامَ نُعطي الدنيّة في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيّعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلتُ أتصدّق وأصوم وأصلي وأُعتِق من الذي صنعْتُ يومئذٍ! مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوتُ أنْ يكون خيراً.

قال: ثم دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: اكتب: (باسمك اللّهم)، فكتبها؛ ثم قال: اكتب: (هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو)؛ قال: فقال سهيل: لو شهدتُ أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك؛ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: اكتب:

(هذا ما صالح عليه محمّد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمّد لم يردّوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة[3] وأنه لا إسلال ولا إغلال[4]، وأنه مَن

---

(١) الدّنية: الذلّ والأمر الخسيس.

(٢) إلزم غرْزه: أي إلزم أمره. والغرز للرجل بمنزلة الركاب للسّرج.

(٣) أي صدور منطوية على ما فيها، لا تبدي عداوة، وضرب العيبة مثلاً.

(٤) الإسلال: السرقة الخفية، والإغلال: الخيانة.

أحبَّ أنْ يدخل في عقد محمّد ومهده دخَل فيه، ومن أحب أنْ يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه[1]).

وقال السيوطي:

أخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله زمن الحديبية في بضع عشر مائة من أصحابه. . . (إلى أن اجتمعوا مع سهيل بن عمرو وعقدوا الصلح) فقال عمر بن الخطاب: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذٍ، فأتيت النبيّ فقلت: ألست نبيّ الله؟ قال: بلى، فقلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: إنّي رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أوَليس كنت تحدثنا إنّا سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، فأتيت أبا بكر، فقلت يا أبا بكر: أليس هذا نبيّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصر فاستمسك بغرزه تفز حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قلت: أوليس كان يحدثنا إنّا سنأتي البيت، ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبَرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً. . .»[2].

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد، والبخاري، ومسلم والنسائي، وابن جرير

---

(١) سيرة ابن هشام ج٣/ ٣٣١.

(٢) الدر المنثور ج٦/ ٧٤، وتفسير ابن كثير ج٤/ ١٧٦ وتاريخ ابن الأثير ج٢/ ٢٠٤ وتاريخ الطبري ج٢/ ٢٨٠.

والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن سهل بن حنيف أنه قال يوم صفين:

اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية نرجىء الصلح الذي كان بين النبيّ وبين المشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال: أليس قتلانا في الجنّة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع لما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطّاب إني رسول الله ولن يضيّعني الله أبداً، فرجع متغيظاً لم يصبر حتى جاء أبو بكر، فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل؟...»[1].

وقال علي بن إبراهيم القمي:

حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... ورجع حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو إلى رسول الله وقالا: يا محمّد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت عليهم من إظهار الإسلام وأن لا يكره أحد على دينه فدعا رسول الله بالمكتب ودعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اكتب، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل بن عمرو: لا نعرف الرحمٰن، اكتب كما كان يكتب آباؤك: باسمك اللّهم؛ فقال رسول الله: اكتب: باسمك اللّهم فإنه اسم من أسماء الله، ثم كتب: (هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله والملأ من قريش؛ فقال سهيل بن عمرو: لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبد الله، أتأنف من نسبك يا محمّد! فقال رسول الله: أنا رسول الله وإن لم تقروا، ثم قال: امح يا عليّ! واكتب محمّد بن عبد الله، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أمحو اسمك من النبوة أبداً، فمحاه رسول الله بيده ثم كتب:

---

(١) الدر المنثور ج٦/ ٧٧.

«هذا ما اصطلح عليه محمّد بن عبد الله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو، واصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكف بعض عن بعض، وعلى أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا وبينهم غيبة مكفوفة وأنه مَن أحبّ أنْ يدخل في عهد محمّد وعقده فعل، وأن من أحب أنْ يدخل في عهد قريش وعقدها فعل...»[1].

ثم قال رسول الله: يا عليّ! إنك أبيت أن تمحو اسمي من النبوة فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبنّ أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد، فلمّا كان يوم صفين ورضوا بالحكمين كتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك ولكن اكتب: هذا ما اصطلح عليه عليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله أخبرني رسول الله بذلك...»[2].

وبعد عقد الصلح أمر رسول الله أصحابه لينحروا ويحلقوا فامتنعوا وقالوا كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة، فاغتمّ رسول الله من ذلك وشكا ذلك إلى أم سلمة، فقالت: يا رسول الله انحر أنت واحلق، فنحر رسول الله وحلق..»[3] ولما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً[4].

هذا حال عمر بن الخطّاب وأكثر الأصحاب، فعمر شك في فعل النبيّ، لذا لم يقتنع بما قاله له الرسول، فأعاد سؤاله وتشكيكه على أبي بكر، وهكذا فعل أكثر الأصحاب حيث كاد يقتل بعضهم بعضاً غماً مما فعل النبيّ.

---

(١) تفسير القمي ج٢/ ٣١٩ سورة الفتح.
(٢) تفسير القمي ج٢/ ٣٢٠ وبحار الأنوار ج٢٠/ ٣٣٣.
(٣) تفسير القمي ج٢/ ٣٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير ج٤/ ١٧٦ والكامل في التاريخ ج٢/ ٢٠٥.

لقد عاش النبيّ ﷺ حالة الاضطهاد من أصحابه، إلا القليل ممن وفى الحق معه، من هنا لم يمتثلوا أمره لا في الحديبية ولا على فراش الموت عندما أمرهم بإحضار الكتف والدواة.

لقد نفث عمر عن لسان الشيطان عندما شكّك بالنبيّ، وما ذاك بغريب عنه حيث عُرف بطيشه وغلظته، فها هم بعض علماء العامة يتحدّثون عن شخصية عمر بن الخطاب.

١ ـ أبو حنيفة النعمان بن ثابت، قال:

«أخرج الخطيب البغدادي عن عبد الله بن أبي الحجاج قال: حدّثنا عبد الوارث أنه قال: كنت بمكة وبها أبو حنيفة فأتيته وعنده نفر فسأله رجل عن مسألة فأجاب فيها، فقال له الرجل: فما رواية عن عمر بن الخطاب؟ قال: ذلك قول شيطان»[1].

وما شيطان عمر إلاّ ما عبّر عنه أبو بكر حينما قال: «إن لي شيطاناً يعتريني أحياناً فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني. .»[2].

٢ ـ ابن قتيبة الدينوري، قال:

«وكان عمر رجلاً شديداً قد ضيّق على قريش أنفاسها. . .»[3].

وقال في موضع آخر: «لمّا توفي أبو بكر وولي عمر وقعد في المسجد مقعد الخلافة، أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أدنو منك فإنّ لي حاجة؟ قال عمر: لا، قال الرجل: إذاً أذهب فيغنيني الله عنك، فولّى ذاهباً، فاتبعه عمر ببصره ثم قام فأخذه بثوبه، فقال له: ما حاجتك؟ فقال الرجل: **بغَضك الناس وكرهك الناس**، قال عمر: ولمَ ويحك؟ قال الرجل: للسانك وعصاك؛ قال: فرفع عمر يديه فقال:

---

(١) تاريخ بغداد ج١٣/ ٣٨٨.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١/ ٣٤، ط/ إيران وص١٦ ط/ مصر.

(٣) نفس المصدر ج١/ ٢٧ ط/ مصر.

اللّهم حبّبهم إلي وحبّبني إليهم؛ قال الرجل: فما وضع يديه حتى ما على الأرض أحب إليّ منه..»[1].

٣ ـ أحمد بن تيمية، قال:

ذكر الشيخ محمد بخيت المصري الحنفي عن ابن تيمية أنه قال: «إنّ عمر له غلطات وبليّات، وأي بليّات!»[2].

٤ ـ الشيخ محمود أبو رية، قال:

«ولم يمت عمر حتى ملّته قريش...»[3].

٥ ـ عبد الفتاح عبد المقصود، قال:

«.. أمْ من ذا الذي يسعه أنْ يغتفر لابن الخطاب تصدّيه لمعارضة رسول الله معارضة أدّت إلى منعه عليه الصلاة والسلام ـ قُبيل احتضاره ببضعة أيام ـ أنْ يمارس حقّه الشرعي في الإيصاء بما يشاء لمن يشاء!!..»[4].

٦ ـ عبد الكريم الخطيب، قال:

«وأوضح ما في عمر صفتان:

ـ أولاهما: الصرامة، والشدة التي تبلغ مبلغ العنف في معالجة الأمور. ولم يتخلّ عمر أبداً عن هذا الأسلوب العمري.. وطبيعي أن يبدو عمر في الناس فظّاً غليظاً، وأنْ تنطوي كثير من القلوب على الخوف منه، والرهبة له فلا يلقاه الناس إلاّ على هذا الإحساس الممتزج بالقطيعة والجفوة! وطبيعي أيضاً ألاّ يوادّ الناس عمر إلاّ على ترقّب وحذر... وبدا عمر للناس أنه فظّ غليظ تنخلع لمرآه القلوب،

(١) نفس المصدر ج١/ ٣٨ ط/ أمير ـ قم.
(٢) تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد ص١١.
(٣) شيخ المضيرة ص٨٥، ط/ دار المعارف بمصر.
(٤) السقيفة والخلافة ص٢٤٣ ط/ مصر.

وتنقبض له الصدور، وتزوّر عنه العيون...»[1].

... فهذا هو عمر بن الخطاب في مفهوم من والاه! وللبيب الحكم على هذه الشخصية بناءً على ذلك!!

إشكـــال:

جاء في خبر الحديبية أن أمير المؤمنين لم يمحُ لقب رسول الله من بنود الصلح، أليس هـذا تخلّفاً عن إمتثال أمر الرسول ﷺ؟ وإذا جاز عدم الإمتثال هنا، جاز التخلّف حينئذٍ عن الاتيان بالدواة والكتف ليكتب للمسلمين الكتاب فلا يضلون أبداً!

والجواب:

فرق واضح بين الأمرين، إذ إنّ تخلّفهم عن الإتيان بالدواة والكتف تعقّبه التنازع فيما بينهم وسخط رسول الله على المتخلّفين، وهكذا سخطه عليهم لمّا تخلّفوا عن جيش أسامة، ولعنه على المتخلّفين، أما ما ورد في صلح الحديبيّة فيختلف تماماً عمّا ذكرنا آنفاً، إذ لم يتعقّبه سخطٌ منه، ولا أن المسلمين تنازعوا في الأمر، كما أن الرسول ﷺ كان بإمكانه أن يأمر أحداً غير الإمام علي عليه السلام ليمحي لقبه الشريف، ويظهر أن أمره كان على نحو الإباحة لا على الوجوب وإلاّ لكان أمير المؤمنين عليّ أوّل الممتثلين لأدائه كغيره من الوظائف التي لم يتخلّف في امتثالها عن رسول الله.

ولعلّ وجه عدم الامتثال فيه أمران:

الأول: ليشير أمير المؤمنين ـ فديته بنفسي ـ أن إزالة جبل من مكانه أهون عنده عليه السلام من إزالة لقبٍ أطلقه الله على رسوله الأمين محمّد ﷺ.

الثاني: ليدفع ـ وبإيحاء من رسول الله ـ عمّا علق في نفوس الناس من أنه لا

---

(١) عمر بن الخطاب لعبد الكريم الخطيب ص٥٥ ـ ٥٦ بتصرف، ط/ دار الفكر العربي.

يعرف القراءة والكتابة، فأراد إزالة هذا التوهم ليعطي صورةً جلية عن شخصية كريمة عند الله عزّ وجلّ وأن من كان من ربه كقاب قوسين أو أدنى لا تخفى عليه الحروف والكلمات، لذا جاء في الخبر(١) أنه لمّا [قال له الأمير عليه السلام: «لا أمحوك أبداً» فأخذه رسول الله وليس يُحسن يكتب فكتب..].

مضافاً إلى أنه قد يكون عدم الامتثال تكليفاً خاصاً بالإمام عليه السلام من قِبَل رسول الله حتى يتسنّى له أن يُظهر للناس من أن ابن عمه ووصيّه سيُبْتَلى بمثلها لأنه أحق بهذا الأمر حسبما جاء في الأخبار، والله أعلم.

كلُّ هذا في حال سلّمنا بصحة صدور هذا المقطع عن رسول الله وإلاّ فما يدريك لعلّه من فعل الدساسين ليبرّروا مخالفات كبرائهم وخلفائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله.



(١) الكامل في التاريخ ج٢/٢٠٤، والمراد بـ«ليس يُحسن» أي لا يعرف ـ بنظر الناس ـ القراءة والكتابة لكونه لا يتعاطاهما، فتأمل.

قال الملك: عجيب.. عجيب جداً، إني كنت أعتبر عمر من السابقين إلى الإسلام، وأعتبر إيمانه إيماناً مثالياً، والآن ظهر لي في أصل إيمانه شك وشبهة.

قال العبّاسي:

مهلاً أيُّها الملك، ابق على عقيدتك، ولا يخدعك هذا العلويُّ الكذّاب.

فأعرض الملك بوجهه عن العبّاسي وقال مغضباً:

إنّ الوزير نظام الملك يقول:

إنّ العلوي صادق في كلامه، وإن قول عمر وارد في الكتب، وهذا الأبله ـ يعني العبّاسي ـ يقول إنه كاذب، أليس هذا العناد بعينه؟

ساد المجلس سكون رهيب، فقد غضب الملك وانزعج من كلام العبّاسي وأطرق العبّاسي وسائر علماء السنّة.

وصمت الوزير.. وبقي العلوي رافعاً رأسه ينظر في وجه الملك ليرى النتيجة!

مرت لحظات صعبة على العبّاسي، تمنّى فيها أن تنشق الأرض تحته فيغيب فيها، أو يأتيه ملك الموت فيقبض روحه فوراً من شدة الخجل وحرج الموقف، فلقد ظهر بطلان مذهبه، وظهرت خرافة عقيدته أمام الملك ووزيره وسائر العلماء والأركان..

ولكن ماذا يصنع؟

لقد أحضره الملك للسؤال والجواب، ولتمييز الحق من الباطل، ولهذا استجمع قواه ورفع رأسه وقال:

وكيف تقول أيُّها العلوي أنّ عثمان لم يكن مؤمناً في قلبه، وقد زوّجه الرسول إبنتيه رُقيّة وأم كلثوم؟[1].

---

(١) زواج رقيّة وأم كلثوم من عثمان بن عفّان من المشهورات في التاريخ الإسلامي عند الخاصة والعامة، وربّ مشهور لا أساس له، سيّما وأن الذين قالوا بصحة هذا الزواج أناسٌ انتشر صيتهم، وعُرفوا بالتحقيق في فترة زمنية قل فيها العلماء المتخصصون، والناس عادة مع ما شاع واشتهر وإن كان خطأً، فيرسلونه إرسال المسلمات.

ومنشأ الاعتقاد بهذا الزواج هو وجود روايتين تدلان على ذلك رواهما صاحب البحار[1] نقلاً عن قرب الإسناد والخصال، وهما ـ وبالغض عن سنديهما ـ موافقان للعامة القائلين بزواج تينك المرأتين من عثمان بن عفان الذي أصبغوا عليه لقب «ذو النورين» في حين لم يصبغوه على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي اقترن بأفضل امرأة عرفتها البشرية منذ آدم إلى ولادتها بل إلى يوم البعث، مع اعتراف العامة أن الصدّيقة سيّدة نساء العالمين، وأصبغ عليها ألقاباً لم يصبغها على أية إمرأة في العالم، كالزهراء والطاهرة وتفاحة الفردوس ومهجة فؤاد المصطفى وأم أبيها الخ..

والشيخ المفيد ممن اعتقدوا بصحة هذا الزواج، معتمداً ـ بحسب دعواه ـ على أن الزواج كان على ظاهر الإسلام، فقال:

«وليس ذلك بأعجب من قول لوطٍ عليه السلام ـ كما حكى الله تعالى عنه ـ

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢/ ١٥١.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾[1] فدعاهم إلى العقد عليهم لبناته وهم كفّار ضُلاّل قد أذن الله تعالى في هلاكهم.

وقد زوّج رسول الله ابنتيه قبل البعثة كافرين كانا يعبدان الأصنام، أحدهما: عُتبة بن أبي لهب، والآخر: أبو العاص بن الربيع.

فلما بُعث ﷺ فرّق بينهما وبين إبنتيه، فمات عتبة على الكفر، وأسلم أبو العاص بعد إبانة الإسلام، فردّها عليه بالنكاح الأول.

ولم يكن ﷺ في حال من الأحوال موالياً لأهل الكفر وقد زوّج من تبرّأ من دينه، وهو معادٍ له في الله عزّ وجلّ.

وهاتان البنتان هما اللتان تزوجهما عثمان بن عفّان بعد هلاك عُتبة وموت أبي العاص، وإنما زوّجه النبيُّ ﷺ على ظاهر الإسلام، ثم إنه تغيّر بعد ذلك، ولم يكن على النبيّ ﷺ تبعةٌ فيما يحدث في العاقبة، هذا على قول بعض أصحابنا.

وعلى قول فريق آخر: أنه زوّجه على الظاهر، وكان باطنه مستوراً عنه، وليس بمنكر أن يستر الله عن نبيه نفاق كثير من المنافقين وقد قال سبحانه ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾[2] فلا ينكر أن يكون في أهل مكة كذلك، والنكاح على الظاهر دون الباطن على ما بيّناه»[3].

يرد عليه:

إن عرض لوط عليه السلام لبناته على قومه يعتبر حكماً اضطرارياً وعنواناً ثانوياً دفعاً لفاحشة اللواط التي كانت سائدة يومذاك في قومه، فقياسها على تزويج النبيّ ﷺ لبناته من كافرين مع الفارق، هو أنه لا يوجد عنوان اضطراري حتى يلجأ النبيّ ليزوّج ابنتيه منهما.

---

(١) سورة هود: ٧٨.

(٢) سورة التوبة: ١٠١.

(٣) المسائل السروية/ المسألة العاشرة.

وأمّا دعواه ـ كغيره ممن تبعه عليها ـ من أن رقية وزينب تزوّجهما عثمان بن عفان بعد هلاك عُتبة وموت أبي العاص، فلا تكون صحيحة إلاّ بعد التسليم بأمرين:

١ ـ أن تينك الفتاتين قد تزوجتا بذينك الكافرين.

٢ ـ التسليم بكونهنّ ابنتي رسول الله ﷺ.

أما الأمر الأول:

فالشيخ المفيد عليه الرحمة، أشار إلى أن الفتاتين هما رقية وزينب ـ حسبما أفاد في «المسألة الخمسون» من المسائل الحاجبية؛ وهما اللّتان تزوّجهما عثمان بن عفان بعد هلاك عتبة، وموت أبي العاص ـ حسبما أفاد في المسائل السروية. وما اعتمده الشيخ المفيد هو بعينه ما ذكره الشيخ أبو القاسم[1] الكوفي المتوفى عام ٣٥٢هـ في كتاب الاستغاثة.

ولكنّ ما وجدناه في قرب الإسناد (لمؤلفه الثقة أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام، وقد تشرف بمكاتبات من الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف) أن عثمان تزوّج أولاً بأم كلثوم، وثانياً برقية، قال: حدّثني مسعدة بن صدقة، قال: حدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال:

«ولد لرسول الله من خديجة: القاسم والطاهر، وأم كلثوم ورقية وفاطمة وزينب، فتزوج عليّ عليه السلام فاطمة عليها السلام، وتزوّج أبو العاص بن ربيعة ـ وهو من بني أمية ـ زينب، وتزوّج عثمان بن عفان أم كلثوم ولم يدخل بها حتى هلكت، وزوّجه رسول الله مكانها رقية...»[2].

كما روى الصدوق الخبر المتقدم نفسه بسند آخر[3]:

---

(١) صاحب الاستغاثة متقدم زمناً على الشيخ المفيد.

(٢) قرب الإسناد ص٩ ح٢٩.

(٣) بحار الأنوار ج٢٢/ ١٥١ ح٣ نقلاً عن الخصال للصدوق.

فواحدة متفق عليها ـ وهي رقية ـ وأخرى مختلف فيها ـ وهي بنظر المفيد زينب وبنظر الحميري والصدوق، أم كلثوم ـ ولا نعلم المستند الذي اعتمده الشيخ أبو القاسم الكوفي في الاستغاثة، لذا لا يمكن لروايته أن تعارض رواية الحميري.

وعلى فرض المعارضة ـ لوجود رواية اعتمدها صاحب الاستغاثة ـ لا يمكن تقديم روايته على رواية الحميري والصدوق إلاّ إذا كانت بنحو مستفيض، وشيء من هذا ليس حاصلاً. ومهما يكن، فالإشكال يبقى على حاله ـ سواء قدّمنا رواية الحميري أم رواية أبي القاسم الكوفي ـ وهو: هل أن الفتاتين المنسوبتين إلى رسول الله قد تزوّجتا بعتبة وأبي العاص أم لا؟.

ويشهد أنهنّ لم يتزوجْنَ بعتبة وأبي العاص ما يلي:

١ ـ أن أغلب المصادر التاريخية تذكر أن جميع أولاد النبيّ ولدوا في الإسلام إلا عبد مناف ولد في الجاهلية حسبما ورد في رواية عامية ضعيفة.

قال المقدسي: «عن سعيد بن أبي عروة، عن قتادة، قال:

ولدت خديجة لرسول الله: عبد مناف في الجاهلية، وولدت له في الإسلام غلامين وأربع بنات: القاسم، وبه كان يكنى أبا القاسم، فعاش حتى مشى ثم مات وعبد الله مات صغيراً، وأم كلثوم وزينب ورقية، وفاطمة»[١].

وقال القسطلاني والدياربكري: «وقيل ولد له قبل المبعث ولد يقال: عبد مناف فيكونون على هذا اثني عشر، وكلهم سوى هذا ولدوا في الإسلام بعد المبعث»[٢].

وقال الزبير بن بكار وغيره: بأن عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، قد ولدوا كلهم بعد الإسلام.

---

(١) البدء والتاريخ ج٥/١٦.

(٢) تاريخ الخميس ج١/٢٧٢.

وقال السهيلي: «كلهم ولدوا بعد النبوة»[1].

فإذا كانتا ـ أي رقية وأم كلثوم ـ قد ولدتا بعد الإسلام، فكيف يصح أن يقال أنهما تزوجتا في الجاهلية بكافرين؟!

٢ ـ تشير بعض المصادر: أن رقية كانت أصغر بنات النبي، حتى من الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام[2]، بل إن بعضهم يعتقد أن أم كلثوم كانت هي الأصغر من الكل[3].

فإذا صح ذلك فكيف يقال إنهما تزوجتا قبل الإسلام، لا سيّما أن أشهر الروايات نصت أن الصدّيقة الزهراء عليها السلام ولدت في السنة الخامسة بعد البعثة، وعليه «فكيف تكون رقية قد تزوجت في الجاهلية بإبن أبي لهب، ثم لمّا بُعث رسول الله أسلمت، فطلقها زوجها ليتزوجها عثمان، فتحمل وتسقط في السفينة حين الهجرة إلى الحبشة في السنة الخامسة بعد البعثة»؟[4].

٣ ـ يوجد اضطراب في الأخبار بشأن أم كلثوم ورقية، فبعض منها ينصّ على أن عثمان تزوج أم كلثوم فماتت ولم يدخل بها، ثم زوّجه النبيّ اختها رقية بعد معركة بدر، وبعض ينصّ على أنه تزوّج رقية في مكة وهاجر بها إلى الحبشة، وهذا الاضطراب يوجب الاختلال في تقديم طائفة على طائفة، لكون الطائفتين من الروايات أخبار آحاد لا يعوّل عليها.

هذا مضافاً إلى اضطراب ما ذكروا: من أن أبا لهب قد أمر ولديه بطلاق بنتي النبي بعد نزول سورة «تبت يد أبي لهب» بحجة أن هاتين البنتين قد صبتا إلى دين أبيهما، ثم إن عثمان تزوّج رقية وهاجر بها إلى الحبشة، وهذا بدوره يتنافى مع قولهم أن السورة قد نزلت حينما كان المسلمون محصورين في شعب أبي طالب،

---

(١) بنات النبي أم ربائبه ص٣٣ نقلاً عن المصادر العامية.

(٢) الإصابة ج٤/ ٣٠٤ ودلائل النبوة ج٢/ ٧٠.

(٣) زاد المعاد لابن القيم ج١/ ٢٥ والطبقات الكبرى ج١/ ١٣٣.

(٤) بنات النبي للسيّد المحقّق أخي العلاّمة جعفر مرتضى ص٦٢.

لأن بداية الحصار في الشعب كان في السنة السادسة من البعثة أي بعد الهجرة إلى الحبشة بسنة!

وعليه، إذا كانت رقية وأم كلثوم قد ولدتا بعد البعثة، وإذا كان أبو لهب قد أمر ولديه بطلاق البنتين بعد نزول سورة «المسد» في العام السادس للبعثة أي يوم حصار شعب أبي طالب، فكيف يمكن الجمع بين ولادة البنتين بعد البعثة وبين نزول السورة في العام السادس للبعثة؟!!

بل الأعجب من ذلك كيف يمكن أن يجمع العامة بين ولادة البنتين بعد البعثة وبين الزواج من ابني أبي لهب، ثم الطلاق منهما، ثم زواج رقية من عثمان ومهاجرتها إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة؟!!

هذا مضافاً إلى وجود روايات[1] تشير إلى أن نزول سورة «تبت» في السنة الثالثة للبعثة بعد نزول آية إنذار العشيرة (وانذر عشيرتك الأقربين)، فعلى هذا القول أيضاً، يتأكد استحالة الجمع المذكور.

٤ ـ إن القول بزواج رقية وأم كلثوم بابني أبي لهب يتوقف على أن تكون خديجة قد تزوّجت برسول الله وفي وقت مبكر قبل البعثة، والآراء في ذلك ستة:

١ ـ قبل البعثة: بعشرين سنة.

٢ ـ قبل البعثة: بستة عشر سنة.

٣ ـ قبل البعثة: بخمسة عشر سنة.

٤ ـ قبل البعثة: بعشر سنين.

٥ ـ قبل البعثة: بخمس سنين.

---

(١) أسباب النزول ص٣٧٨ قال الواحدي: لما أنزل الله تعالى ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ أتى رسول الله الصفا فصعد عليه ثم نادى «يا صباحاه» فاجتمع إليه الناس. فقال: يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي، لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ما دعوتنا إلا لهذا، فأنزل الله تعالى ﴿تبت يد أبي لهب وتب﴾.

٦ ـ قبل البعثة: بثلاث سنين.

أرجح الأقوال هو السادس وذلك لأن عمر خديجة عليها السلام يوم وفاتها خمسون سنة على الأصح[1]. وبقية الأقوال لا تساعد عليها القرائن وذلك: أما على الرأي الأول فيكون عمرها عليها السلام يوم ماتت ٧٢ عاماً لأن عمرها يوم تزوجت ـ حسبما عليه جمهور العامة ـ أربعون عاماً، يضاف إليها عشرون قبل البعثة، ثم اثنا عشر ما بعد البعثة، فيكون المجموع ما ذكرنا، وهو خلاف المشهور من أن عمرها يوم ماتت خمسون عاماً.

وعلى الرأي الثاني يكون مجموع عمرها يوم ماتت ٦٨ عاماً، وعلى الرأي الثالث، عمرها ٦٧ عاماً، وعلى الرابع ٦٢ عاماً. وعلى الخامس ٥٧ عاماً، فيكون عمر رقية وأم كلثوم حدود الأربعة أو خمسة سنين.

ويرجح ما قلنا أنهم قالوا: إنها عليها السلام لم تلد في الجاهلية سوى عبد مناف. هذا مضافاً إلى «تأكيد الدولابي والدياربكري: أن عثمان قد تزوّج رقية في الجاهلية. ومعنى ذلك أن ما يذكرونه من زواج بنتي رسول الله بابني أبي لهب لا يصح، إذا لوحظ ما يذكرونه من سبب طلاقهما إياهما.

فالقول بأن رقية وأم كلثوم قد ولدتا في الجاهلية، ثم كبرتا، وتزوجتا بابني أبي لهب، ثم بعثمان، يصبح موضع شك وريب»[2]. بل هو باطل قطعاً لأن زواج عثمان متأخر عن زواج ابني أبي لهب وذلك بملاحظة ما ورد من أن رقيّة وأم كلثوم كانتا أصغر من الصدّيقة الطاهرة التي ولدت في السنة الخامسة من البعثة على أرجح الأقوال. هذا مضافاً إلى أنّ جماعة من المؤرخين ـ أمثال القسطلاني والمقدسي والسهيلي ـ نصوا على أن أولاد النبيّ كلّهم قد ولدوا بعد النبوة بإستثناء عبد مناف بحسب بعض الأقوال.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج١/ ٧١.

(٢) بنات النبي ص٧٥.

٥ ـ لم يرو التاريخ أن أم كلثوم أو زينب اللتان يُدّعى أنهما ابنتا النبيّ وأنهما طُلّقتا وأن عثمان قد تزوّج بإحداهنّ بعد الهجرة بسنوات، إن لهاتين ذكراً حين الهجرة إلى المدينة، وحينما حمل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام معه الفواطم وأم أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين.

وليس ثمة أية إشارة إلى أم كلثوم أو زينب، فهل هاجرتا قبل ذلك أو بعده؟ ومع من؟ ولماذا؟ أم أنها قد جعلت في جملة الضعفاء؟ فلماذا إذن أفردت عن أختها الصدّيقة الزهراء عليها السلام، وعن أم أيمن، وجعلت في جملة ضعفاء المؤمنين؟ وهل أن أم أيمن أفضل من بنات النبي حتى أفردَتْ عنهنّ؟!

٦ ـ دلت الأخبار المستفيضة أن النبيّ صلى الله عليه وآله نفى مصاهرة غير أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، حيث ورد انه صلى الله عليه وآله قال:

يا عليّ أوتيت ثلاثاً لم يؤتهنّ أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي، وأوتيت صدّيقة مثل ابنتي ولم أوت مثلها، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوت من صلبي مثلهما ولكنكم مني وأنا منكم[١].

فلو كان عثمان أو أبو العاص قد تزوجا بنات رسول الله لم يصح منه صلى الله عليه وآله ذلك القول، لا سيّما وأن هذا الكلام قد صدر منه صلى الله عليه وآله بعد ولادة الحسنين عليهما السلام فلا مجال لدعوى: أن عثمان قد يكون تزوّج بإحدى بناته صلى الله عليه وآله بعد صدور هذا القول منه صلى الله عليه وآله[٢].

قد يقال: إن قوله صلى الله عليه وآله «أوتيت صهراً مثلي ولم أوت أنا..» يراد منه أنه صلى الله عليه وآله لم يُرزق بصهر يحمل صفات روحية لا يحملها أحد من الناس حتى أصهرته الآخرين كعثمان.

قلنا: هذا التوجيه مردود وإلا لكان قال: أوتيت صهرَين لم أوتَ مثلهما ـ لا

---

(١) إحقاق الحق ج٥/ ٧٤ نقلاً عن مناقب الشافعي.

(٢) بنات النبي ص١٠٠.

سيّما وأن القوم أصبغوا عليه لقب ذي النورين. هذا مضافاً إلى أن عبد الله بن عمر احتجّ على من قال له في فتنة ابن الزبير: «... فما قولك في عليّ وعثمان؟!

قال: أمّا عثمان، فكان الله عفا عنه، وأمّا أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه، وأمّا عليّ، فابن عم رسول الله وختنه، وأشار بيده، فقال: هذا بيته حيث ترون»[1].

فلو كان عثمان صهراً لرسول الله لكان المناسب لابن عمر أن يستدل به على السائل، بل كان أنسب من غيره، وذلك للحاجة الماسة إلى كل ما من شأنه أن يظهر قربه من النبي ومقامه منه ـ لو كان ـ بغية دفع الشبهة عن عثمان حين فرّ في أحد. فلو كان عثمان صهراً للنبيّ كأمير المؤمنين عليّ لما أجلّ ابن عمر ذكر هذه المنقبة لعثمان؟!

وأما الأمر الثاني:

فلا نقطع بصحة ما قيل من أن لرسول الله بنات غير الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، وما ورد في خبر واحد في مصادرنا لا يعوّل عليه بعدما عرفت من القرائن في الأمر الأول، هذا مضافاً إلى موافقته لأخبار العامة القائلين بصحة ذلك لينسبوا فضيلة لعثمان بن عفّان، وما كان موافقاً لأخبارهم لا حجية فيه عندنا، بل على فرض التسليم بصحة الخبر الذي دل على وجود بنات له ﷺ فيحمل على كونهنّ ربائب قام النبيّ ﷺ بتربيتهنّ، وقد كان العرب يطلقون على ربيبة الرجل: إنها ابنته، كما هو معروف، ولو قلنا بأنهنّ بنات له حقيقةً لا ادعاءاً «فلعلهنّ متن وهن صغار»[2]، مما حمل القصاصون الأمويون على أن ينسبوا أمر تزويجهنّ لعثمان.

لكنّ الأخير غير سديد لعدم وجود دليل عليه، فالأرجح أنهنّ ربائبه وذلك لأمور:

(١) صحيح البخاري ج٣/ ٦٨.

(٢) بنات النبي أم ربائبه ص١١٤.

الأول: ما أفاده المحدّث الثقة الجليل أبو القاسم الكوفي المتوفى عام ٣٥٢هـ: «روى مشايخنا من أهل العلم عن الأئمة من أهل البيت ﷺ، والرواية صحيحة عندنا عنهم، أنه كانت لخديجة بنت خويلد من أمها أخت يقال لها «هالة» قد تزوجها رجل من بني مخزوم، فولدت بنتاً اسمها هالة، ثم خلف عليها بعد أبي هالة رجل من تميم يقال له أبو هند، فأولدها ابناً كان يسمى هنداً ابن أبي هند، وابنين، فكانتا هاتان الابنتان منسوبتين إلى رسول الله ﷺ: زينب ورقية من امرأة أخرى قد ماتت، ومات أبو هند، وقد بلغ ابنه مبالغ الرجال، والابنتان طفلتان، وكان في حدثان تزويج رسول الله بخديجة بنت خويلد، وكانت هالة أخت خديجة فقيرة، وكانت خديجة من الأغنياء الموصوفين بكثرة المال، فأما هند ابن أبي هند فإنه لحق بقومه وعشيرته بالبادية وبقيت الطفلتان عند أمهما هالة أخت خديجة، فضمت خديجة أختها هالة مع الطفلتين إليها، وكفلتهم.

وكانت هالة أخت خديجة هي الرسول بين خديجة وبين رسول الله في حال التزويج، فلما تزوّج رسول الله بخديجة، ماتت هالة بعد ذلك بمدة يسيرة، وخلفت الطفلتين زينب ورقية في حجر رسول الله ﷺ وحجر خديجة فربياهما، وكان من سُنَّة العرب في الجاهلية من يربّي يتيماً ينسب ذلك اليتيم إليه، وإذا كانت كذلك فلم يستحل لمن يربيها تزويجها لأنها كانت عندهم بزعمهم بنت المربي لها، فلما ربّى رسول الله وخديجة هاتين الطفلتين الابنتين، ابنتي أبي هند زوج أخت خديجة، نسبتا إلى رسول الله وخديجة ولم تزل العرب على هذه الحال..»[1].

وقال ابن شهرآشوب:

«تزوّج ـ أي النبيّ محمّد ﷺ ـ بمكة أولاً خديجة بنت خويلد.. وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي، وأبو جعفر في التلخيص: أن النبيّ تزوّج بها وكانت عذراء، ويؤكد ذلك ما ذكر في

---

(١) الاستغاثة ص٨٠ ـ ٨١، ط/ قم.

كتابي الأنوار والبدع، أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة»[1].

ونقل صاحب البحار عن المناقب قال: «وفي الأنوار والكشف واللمع وكتاب البلاذري أن زينب ورقيّة كانتا ربيبتيه من جحش..»[2].

فما ذكره أبو القاسم الكوفي وغيره يكفي في إثبات كون البنتين ربيبتين وأمهما هالة أخت خديجة، وأن خديجة لم تتزوج بأحد قبل البعثة سوى رسول الله ﷺ، وما ادّعاه القوم من زواجها برجل غير النبي مخدوش به لا يصلح أن يكون دليلاً لاضطراب المعلومات التي يقدّمها مدّعو تزويجها بغير النبيّ، فقد جاءت هذه المعلومات متناقضة ومتضاربة، هل اسم أبي هالة الذي تزوجته خديجة هو «النباش بن زرارة» أو «زرارة بن النباش» أو اسمه «هند» أو «عتيق»[3] أو مالك بن النباش بن زرارة التميمي الأسدي، إلى ما هنالك من اختلافات[4] واضطرابات كثيرة لا يمكن الجمع بينها، مما يستلزم سقوطها عن الحجية.

الثاني: قال أبو القاسم الكوفي أيضاً:

«إن خديجة لم تتزوج بغير رسول الله، وذلك أن الإجماع من الخاص والعام من أهل الآنال (الآثار ظ) ونقلة الأخبار على أنه لم يبق من إشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلاّ من خطب خديجة ورام تزويجها فامتنعت على جميعهم من ذلك، فلما تزوجها رسول الله غضب عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها خطبك إشراف قريش وأمراؤهم، فلم تتزوجي أحداً منهم؟ وتزوجت محمّداً يتيم أبي طالب، فقيراً، لا مال له؟

فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش وإشرافها على ما وصفناه؟! ألا يعلم ذو التمييز والنظر أنه

---

(١) المناقب ج١/١٥٩.
(٢) بحار الأنوار ج٢٢/ ١٥٢ نقلاً عن المناقب.
(٣) لاحظ: المناقب ج١/ ١٥٩، وأسد الغابة ج٧/ ٨٠ ترجمة خديجة بنت خويلد.
(٤) لاحظ: الأقوال المختلفة التي ذكرها ابن الأثير الجزري في أسد الغابة ج٧/ ٨١.

من أبين المحال، وأفظع المقال؟! ولما وجب هذا عند ذوي التحصيل ثبت أن خديجة لم تتزوج غير رسول الله..»[1].

وعليه فكيف تقبل خديجة الزواج من أعرابي مجهول الحسب، وتترك ذوي الشرف والمكانة من قبيلة قريش المعروفة بغطرستها وجبروتها، ألم تكن الفرصة سانحة يومذاك لكي تنتقم قريش من امرأة لم تكترث بهم ولا بزعامتهم، ورفضت عروضهم، وتقربهم منها؟!

الثالث: دعوى أن خديجة قد تزوجت برجلين قبل النبيّ خطة صنعتها السياسة الأموية لتكريس فضيلة لعائشة أم المؤمنين التي لم يتزوج رسول الله بكراً عليها، لذا نلاحظ الإطراء والمديح من أصحاب التراجم على عائشة عندما يصنفها بالبكر الوحيدة التي تزوجها النبي ﷺ، هذا مضافاً إلى تسجيلهم منقبة لعثمان حيث حرص محبوه على إبقاء هاتين البنتين باكرتين فلا يدخل بهما ابنا أبي لهب ـ حسبما تفيد بعض مروياتهم ـ رغم أهلية البنتين وأهلية زوجيهما لذلك، وعدم وجود أي مانع أو رادع.

نعم، لا بدّ من إبقائهما كذلك لينال عثمان الشرف الأوفى في هذا المجال[2]!! لذا يروون أنه لما ماتت أم كلثوم قال رسول الله: «لو كنّ عشراً لزوجتهنّ عثمان»[3] أو قوله فيما أخرجه ابن عساكر: لو أن لي أربعين بنتاً لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة[4].

أو قوله فيما جاء به ابن عساكر من طريق أبي هريرة قال: إن رسول الله لقي عثمان بن عفان على باب المسجد فقال:

---

(١) الاستغاثة ص٨٢ ـ ٨٣.

(٢) بنات النبي أم ربائبه ص١٢١.

(٣) الطبقات الكبرى ج٨/ ٣٨ وسير أعلام النبلاء ج٢/ ٢٥٣ والغدير ج٨/ ٢٣٤.

(٤) الغدير ج٨/ ٢٣٤ نقلاً عن تاريخ ابن كثير ج٧/ ٢١٢.

يا عثمان! هذا جبريل يخبرني أن الله قد زوّجك أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل مصاحبتها[1].

وكما في رواية عن أبي هريرة قال: «دخلت على عقبة، فأخبرته: أن رسول الله كان عندها آنفاً، وسألها كيف تجد عثمان؟ فقالت: بخير، قال: أكرميه فإنه من أشبه أصحابي بي خلقاً»[2].

ليت شعري! كيف يصف النبيّ عثمان بهذه الأوصاف التي قل نظيرها في البشر، ثم في نفس الوقت يحرّم عليه الدخول في قبر رقية، لأنه رفث جارية في نفس ليلة وفاتها[3]؟ أوليس عثمان هو الذي قتل رقية[4]؟ وهل من الأخلاق النبوية أن يختلي عثمان بجاريةٍ ليلة وفاة حليلته ومعقد شرفه بصهر رسول الله، حتى ولو كانت مقارفة النساء على الوجه المحلّل فهي من منافيات المروءة ومن لوازم الفظاظة والغلظة، فأي إنسان تحبّذ له نفسه التمتع بالجواري في أعظم ليلة عليه هي ليلة تصرُّم مجده، وانقطاع فخره وانفصام عرى شرفه، فكيف هان ذلك على الخليفة عثمان؟! وحيث إن رسول الله منع عثمان من النزول في قبر رقيّة وكان أحقّ الناس بذلك لأنه كان بعلها، وسكت عثمان ولم يقل أنا عندما قال النبيّ: «أيكم لم يقارف الليلة أهله» لأن عثمان كان قد قارف ليلة ماتت رقية بعض نساءه ولم يشغله الهمُّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبي ﷺ عن المقارفة، فحرم بذلك ما كان حقاً له وكان أولى من أبي طلحة وغيره ممن نزل في قبرها ليدفنها، حسبما إدّعى العامة[5]، وإن كُنّا نشك بصحة ذلك، إذ كيف يسمح النبيّ لرجل أجنبي أن يلامس جسد امرأة مسلمة حتى ولو كان من وراء الثوب، فلمَ لم ينزل النبي ﷺ في قبرها ما دامت رقية هي ابنته؟!

---

(١) الغدير ج٨/ ٢٣٤ نقلاً عن تاريخ ابن كثير.

(٢) مستدرك الحاكم ج٤/ ٤٨، ومجمع الزوائد ج٩/ ٨١.

(٣) الغدير ج٨/ ٢٣١ نقلاً عن صحيح البخاري باب: يعذّب الميت ببكاء أهله.

(٤) بحار الأنوار ج٢٢/ ١٦٠، ح٢٢ نقلاً عن فروع الكافي.

(٥) الغدير ج٨/ ٢٣٢ نقلاً عن البخاري وابن سعد في الطبقات والبيهقي في السنن إلخ..

وزبدة المقال: أن رقية وأم كلثوم هما ربيبتا رسول الله من غير خديجة، وقد كان العرب يطلقون على ربيبة الرجل: إنها ابنته، وعليه يصح أن يقال لمن يتزوج تلك الربيبة: أنه صهر لذلك الرجل.

من هنا يتضح لنا وجه القول الذي نُسب إلى أمير المؤمنين ـ على فرض صحته ـ حينما قرّر لعثمان أن نسبته إلى رسول الله أكثر من نسبة سلفيه أبي بكر وعمر إليه، فقال له: «وقد نلت من صهره ما لم ينالا»[1].

ومع هذا لم يقم ذاك الصهر على تينك الربيبتين بواجبه تجاه الرجل الذي أكرمه بتزويج ربيبتيه له.

فإن قيل: كيف يجوز أن يُنكِحَ النبيُّ ربيبتيه من يعرف من باطنه خلاف الإيمان؟

قلنا: أن تزويجه ربيبتيه لعثمان مع ما عُلم من حاله على فرض حصول ذلك الزواج لا يخلو من أمرين:

١ ـ إما أن يكون زوّجه على ظاهر الإسلام، بمعنى أن الله تعالى قد أباح له مناكحة من ظاهره الإسلام وأن علم من باطنه النفاق، وخصّه بذلك ورخّص له فيه كما خصّه في أن يجمع بين أكثر من أربع حرائر في النكاح، وأباحه أن ينكح بغير مهر، ولم يحظُر عليه المواصلة في الصيام ولا في الصلاة بعد قيامه من النوم بغير وضوء، وأشباه ذلك مما خُصّ به وحظُر على غيره من عامة الناس.

٢ ـ وإما أن يكون زوّجه إياها تألفاً له على الإسلام، كما تزوّج هو ﷺ من حفصة وعائشة وبنت أبي سفيان، فكان زواجه منهنّ تأليفاً للقلوب إلى الإسلام فما الضير أن يزوّج من عرف من باطنه خلاف الإيمان لما ذكرنا، ولمصلحة لم ندرك كنهها؟

---

(١) نهج البلاغة ج٢/ ٨٥ والبداية والنهاية ج٧/ ١٦٨.

إذن، ربما يكون إصرار الآخرين على بنوة رقية وأم كلثوم وزينب لرسول الله وإرسال ذلك إرسال المسلمات من دون أي تحقيق أو تمحيص، رغم وجود ما يقتضي التأمل والاحتياط، ربما يكون ذلك راجعاً إلى الحرص على إيجاد منافسين لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام في فضائله الخارجية، لذا نجد العامة قد أطلقوا على عثمان لقب «ذي النورين» ولم يطلقوه على سيّدة النساء فاطمة مع اعترافهم بأنها أفضل من رقية وأم كلثوم وزينب بل وخديجة أمها عليها السلام. فلمَ لم يطلقوا على الإمام عليّ عليه السلام لقب «ذي النور» كما فعلوا بعثمان؟! إنّا لا نشك أن وراء تلك النسبة أصابع سياسية اختلقت تلك المنقبة كما اختلقوا منقبة أخرى لعمر بن الخطاب حيث أضافوا على سجل مناقبه زواجه من أم كلثوم بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام.

● شبهة زواج عمر من أم كلثوم

من المسائل التي انتشر صيتها كسابقتها، زواج عمر بن الخطّاب من ابنة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وربّ مشهور لا أصل له، ونحن نشك بصدور هذا الزواج، لا سيّما أن الأخبار تشير إلى أن زواجه منها كان قهراً عن أمير المؤمنين عليه السلام، من هنا نستنكر كما استنكر من قبلنا أمثال المفيد وغيره ما نُسب إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بشأن هذا الزواج المفتعل، ونحن لا نطمئن إلى خصوص خبر الثقة لوحده من دون الرجوع إلى القرائن والشواهد التي تثبت فحواه، وذلك لكثرة الدّس الموجود بين رواياتهم الصحيحة الصادرة عنهم عليهم السلام، لا سيّما وأن بني أمية ركّبوا الأسانيد على المتون، من هنا ورد عنهم عليهم السلام: «أعرضوا أخبارنا على كتاب الله، فإن لم تجدوا شاهداً من كتاب الله فأعرضوه على أخبار العامة، فما وافقها فاضربوا به عرض الجدار».

لذا، فإن خبر الثقة لوحده غير كافٍ للأخذ به، بل لا بدّ من عرضه على الكتاب وأخبار العامة، وما نميل إليه هو الأخذ بالخبر الموثوق صدوره عن المعصوم عليه السلام لا خصوص خبر الثقة للنكتة التي ذكرتها، ولأنه لا ملازمة بين

وثاقة الراوي وكون الخبر موثوقاً بالصدور، بل ربما يكون الراوي ثقة، ولكنّ القرائن والإمارات تشهد على عدم صدور الخبر من الإمام عليه السلام وأن الثقة قد التبس عليه الأمر، وهذا بخلاف ما لو قلنا بأن المناط هو كون الخبر موثوق الصدور، إذ عندئذ تكون وثاقة الراوي من إحدى الإمارات على كون الخبر موثوق الصدور، ولا تنحصر الحجية بخبر الثقة، بل لو لم يحرز وثاقة الراوي ودلت القرائن على صدق الخبر وصحته يجوز الأخذ به، وهذا غير بعيد بالنظر إلى سيرة العقلاء على الأخذ بالخبر الموثوق الصدور وإن لم تحرز وثاقة المخبر، لأن وثاقة المخبر طريق إلى إحراز صدق الخبر.

وعليه، لا نعوّل على صحة السند ما دامت هناك قرائن تُثبت عكس فحواه، ومن هذا القبيل ما ورد من أن أمير المؤمنين زوّج ابنته أم كلثوم لعمر، فقد ورد في مصادرنا خبران حسنان سنداً، قد أوردهما ثقة الإسلام الكليني في الكافي باب تزويج أم كلثوم هما:

١ ـ روى حمّاد عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: في تزويج أم كلثوم فقال: إن ذلك فرج غُصبناه[١].

٢ ـ روى محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خطب إليه، قال له أمير المؤمنين إنها صبيّة، قال: نلقي العبّاس فقال له: مالي أبي بأسٌ؟

قال: وما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردّني أما والله لأعوّرنّ زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلاّ هدمتها ولأقيمن عليه شاهدين بأنه سرق ولأقطعنّ يمينه، فأتاه العبّاس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله إليه[٢].

---

(١) فروع الكافي ج٥/٣٤٦ ح١.

(٢) فروع الكافي ج٥/٣٤٦ ح٢، رواهما زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام، والطريق إليه هشام بن سالم.

والجواب:

١ ـ ورد في بعض الأخبار ما ينافي الخبرين المتقدمين، مثل ما رواه القطب الراوندي[١] عن الصفّار بإسناده إلى عمر بن أُذينة، قال: قيل لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يحتجون علينا ويقولون: إن أمير المؤمنين عليه السلام زوّج فلاناً ـ أي عمر ـ ابنته أم كلثوم وكان متّكئاً فجلس، وقال: أيقولون ذلك؟

إن قوماً يزعمون ذلك لا يهتدون إلى سواء السبيل، سبحان الله ما كان يقدر أمير المؤمنين عليه السلام أن يحول بينه وبينها فينقذها، كذبوا ولم يكن ما قالوا، إنّ فلاناً خطب إلى عليّ عليه السلام بنته أمّ كلثوم فأبى عليّ عليه السلام، فقال للعبّاس: والله لئن لم تزوّجني لأنتزعنّ منك السقاية وزمزم، فأتى العبّاس عليّاً فكلّمه فأبى عليه فألحّ العبّاس فلمّا رأى أمير المؤمنين مشقّة كلام الرجل على العبّاس، وأنه سيفعل بالسقاية ما قال، أرسل أمير المؤمنين إلى جنّية من أهل نجران يهوديّة يقال لها سحيقة بنت جريريّة فأمرها فتمثّلت في مثال أم كلثوم، وحجبت الأبصار عن أمّ كلثوم وبعث بها إلى الرجل، فلم تزل عنده حتى أنه استراب بها يوماً، فقال: ما في الأرض أهل بيت أسحر من بني هاشم، ثم أراد أن يظهر ذلك للناس فقُتل، وحوت الميراث وانصرفت إلى نجران، وأظهر أمير المؤمنين عليه السلام أم كلثوم[٢].

قال الشيخ المجلسي:

«هاذان الخبران لا يدلاّن على وقوع تزويج أم كلثوم رضي الله عنها من عمر ضرورة وتقية وورد في بعض الأخبار ما ينافيه ـ ثم استشهد بما رواه عن القطب الراوندي ـ إلى أن قال: ولا تنافي بينها وبين سائر الأخبار لأنها قصة مخفيّة اطلعوا عليها خواصهم، ولم يكن يهتمّ به، لا لاحتجاج على المخالفين، بل ربّما كانوا يحترزون عن إظهار أمثال تلك الأمور لأكثر الشيعة أيضاً لئلا تقبله عقولهم، ولئلا

(١) بحار الأنوار ج٤٢/ ٨٨ ح١٦ نقلاً عن الخرايج للرواندي.

(٢) مرآة العقول ج٢٠/ ٤٢ كتاب النكاح.

يغلوا فيهم، فالمعنى: غصبناه ظاهراً ويزعم الناس أن صحّت تلك القصة[1].

إستنكار وردّ:

استنكر السيّد علي الميلاني في كرّاسةٍ له على مفاد هذا الخبر بحجة أن الناس لا يصدّقون بها فقال: «يشتمل ـ أي الحديث المذكور ـ على ما لا نصدّق به، أو لا يصدّق به كثير من الناس، وذلك أن المرأة التي تزوّج بها عمر كانت من الجنّ، ولمّا خطب عمر أمّ كلثوم، أرسل الله سبحانه جنيّة وسُلّمت إلى عمر، وهذه الأشياء لا يصدّق بها كثير من الناس على الأقل»[2].

يرد عليه:

أولاً: لم يأتنا صاحب الاستنكار بحجة على نفيه حتى نسلّم به مذعنين، وعدم تصديقه له، وكذا عدم تصديق الكثير من الناس بمفاده، واستبعادهم له، لا يصلح دليلاً على النفي، ومتى كان الاستبعاد الاعتباري الناتج عن ضعف الإيمان دليلاً عند المتشرعة حتّى يتمسّك به صاحب الدعوى؟! ولو كان الاستبعاد دليلاً على المدّعى لإستلزم ذلك طرح الكثير من الكرامات والمعاجز التي جرت على أياديهم الطاهرة، ومتى كان استبعاد الأكثرية ميزاناً ومناطاً لقبول الأخبار والتسليم بالكرامات؟ وهل يستبعد المستنكر المذكور ولايتهم التكوينية التي دلت عليها الآيات والأخبار؟ وإذا كان الجنُّ مسخّراً لسليمان عليه السلام فلِمَ لا يسخّر لمولى الثقلن عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد الخلق أجمعين؟!

ثانياً: وهل خرج العلاّمة الشيخ محمّد باقر المجلسي والصفّار والراوندي ومن حذا حذوهم عن طور العقل لمّا رووا هذا الخبر وأذعنوا بفحواه؟ بل إن المجلسي أعلى الله مقامه جعل خبر الجنيّة معارضاً للخبرين المتقدمين، ولولا صحة اعتقاده به لما جعله معارضاً لهما.

---

(١) مرآة العقول ج٢٠/٤٢ وفي البحار ج٤٢/١٠٧ جاء فيه: «ولم يكن يتمُّ به الاحتجاج على المخالفين».

(٢) تزويج أم كلثوم من عمر ص٢٧ ط/ مركز الأبحاث العقائدية ـ قم.

هذا مضافاً إلى أنه لو دار الأمر بين الأخذ بالخبر المذكور وبين الظنون والاستحسانات الشخصية، وجب حينئذٍ تقديم الخبر على المظنونات ما دام لا يخالف ـ أي الخبر المذكور ـ أحكام العقل والكتاب المجيد، فعدم التصديق بالخبر يستلزم إنكار المعجزة أو الكرامة ولو بنسبة ضئيلة تجره إلى أعلى منها، وهذا بدوره مؤشر خطير يترتب عليه طرح الكثير من المفاهيم الغيبيّة التي جاء بها الأولياء والأنبياء عليهم السلام مما يعني إلغاء المئات من النصوص المبثوثة في أسفارنا ومصادرنا التاريخية، ولا يوافق على هذا إلاّ مغرض أو ضعيف الإيمان بكرامات أولياء الله تعالى.

وصدق صاحب البحار حينما قال: «إنّها قصة مخفيّة اطّلعوا عليها خواصهم لئلا تقبله عقولهم ولئلا يغلوا فيهم».

وفي موثقة أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله إنّ أحبّ أصحابي إليّ أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا، وإنّ أسوأهم عندي حالاً وأمقتهم للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنّا فلم يقبله اشمأز منه وجحده وكفّر من دان به وهو لا يدري لعلّ الحديث من عندنا خرج وإلينا أسند، فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا»[1].

وفي معتبرة عمّار بن مروان عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله إن حديث آل محمّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فما ورد عليكم من حديث آل محمّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمّد وإنّما الهالك أن يحدّث أحدكم بشيء منه لا يحتمله فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر[2].

---

(١) أصول الكافي ج٢/ ٢٢٣.

(٢) أصول الكافي ج١/ ٤٠١ ح١.

وصدق الرسول إذ يقول: «من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك..»[1]

وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾[2].

٢ ـ قد دلت القرائن والشواهد على بطلان ما ذُكِر:

أ ـ كان بمقدور الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يرفض طلب عمر للزواج من أم كلثوم رضي الله عنها بحجة أن ابنته كارهة له، والإكراه على الزواج مبطل له، ولا يجوز في شريعة محمّد صلى الله عليه وآله، فلا يمكن لعمر أن يصرّ حينئذٍ على الزواج منها، لأنه لو فعل لكان ذلك حجةً للإمام عليه السلام على عمر بن الخطّاب أمام جموع المسلمين، ولا يمكن لعمر ـ لو فعل الإمام عليه السلام ما قلنا ـ أن يخالف إرادة الله ورسوله ـ ظاهراً ـ أمام المسلمين.

ب ـ كما أن أمّ كلثوم بنت أبي بكر رفضت الزواج من عمر، وكذا غيرها، كان يمكن لأُمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين أن ترفض ويحتج حينئذ والدها على عمر بذلك، ولمّا ذلك لم يحصل علمنا أن القضية لفَّقها بنو أمية، لينسبوا فضيلة مصاهرة عمر للإمام عليّ عليه السلام، فيحرفوا وجهة الخلاف بينه وبينه عليه السلام، حتى لا يقال أن عمر غصب الخلافة، ولو كان الإمام غاضباً عليه كيف يزوّجه ابنته؟

قال ابن الأثير:

«وخطب أم كلثوم ابنة أبي بكر الصدّيق إلى عائشة، فقالت أمّ كلثوم: لا حاجة لي فيه، إنه خشنُ العيش شديدٌ على النساء، فأرسلت عائشة إلى عمرو ابن العاص، فقال: أنا أكفيك، فأتى عمر فقال: بلغني خبر أعيذك بالله منه، قال: ما هو؟

قال: خطبتَ أمّ كلثوم بنت أبي بكر؟ قال: نعم، أفرغبتَ بي عنها أم رغبتَ بها عني؟ قال: ولا واحدة، ولكنّها حدثةٌ نشأت تحت كنف أمير المؤمنين في لين ورفق، وفيك غلظة، ونحن نهابك وما نقدر أن نردّك عن خلق من أخلاقك، فكيف

---

(١) أصول الكافي ج١/ ٤٣ ح٩.

(٢) سورة يونس: ٣٩.

بها إن خالفتك في شيء فسطوت بها كنت قد خلفت أبا بكر في ولده بغير ما يحق عليك[1].

وأخرج ابن الأثير الجزري عن معتمر بن سليمان عن أبيه، عن الحسن: أن عمر بن الخطّاب خطب إلى قوم من قريش بالمدينة فردوه، وخطب إليهم المغيرة بن شعبة، فزوجوه[2].

وقال ابن عبد ربّه:

«إن عمر خطب امرأة من ثقيف، وخطبها المغيرة، فزوّجوها المغيرة»[3].

قال ابن الأثير:

«وخطب أمَّ أبان بنت عُتبة بن ربيعة فكرهته، وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً ويخرج عابساً»[4].

وقال ابن قتيبة:

قال أبو اليقظان: خطب عمر بن الخطاب أم أبان بنت عتيبة بن ربيعة بعد أن مات عنها يزيد بن أبي سفيان، فقالت: لا يدخل إلا عابساً يغلق بابه، ويُقل خيره[5].

وأخرج المتقي الهندي عن علي بن يزيد أن عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله بن أبي بكر، فمات عنها واشترط عليها ألاّ تزوّج بعده فتُبتلت وجعلت لا تزوّج، وجعل الرجال يخطبونها، وجعلت تأبى فقال عمر لوليّها: اذكرني لها فذكره لها، فأبت على عمر أيضاً، فقال عمر:

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣/ ٥٤ والطبري في تاريخ الأمم والملوك ج٥/ ١٧.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٤/ ١٥٢، ط/ دار الكتب العلمية.

(٣) العقد الفريد ج٢/ ٢٠٩.

(٤) الكامل في التاريخ ج٣/ ٥٥ وتاريخ الطبري ج٥/ ١٧.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ج٤/ ١٧.

زوجنيها، فزوّجه إياها، فأتاها عمر فدخل عليها فعاركها حتى غلبها على نفسها. فلما فرغ قال:

اف اف اف ثم خرج من عندها وتركها لا يأتيها فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإني سأتهيأ لك[1].

● فإذا جاز لهؤلاء النسوة أن يرفضن عمر لخشونته ورعونته، ويبدين رأيهن فيه، فتعبر عنه بنت أبي بكر أم كلثوم بأنه خشن العيش، شديد على النساء، جاز أيضاً لابنة أمير المؤمنين عليه السلام أن تُستشار وتبدي رأيها، لا سيّما وأن الأمير عليه السلام لم يكن موافقاً على مثل هذا الزواج، فكان إبداء رأيها فرصة سانحة له عليه السلام للتملُّص من طلب عمر. فرفضها رضي الله عنها كاللاواتي رفضنه، فما بال الخليفة يفرض سلطته على الإمام عليه السلام ليزوّجه ابنته قهراً، ولا يفرضه على غيره، مع أن مدينة علم رسول الله لا تخفى عليه خافية، كيف وهو المحنّك المدرّب؟ لا أظن أن تنطلي هكذا أمور على مولى الثّقلين وباب حطة وقاضي الأمة والعروة الوثقى؟

فإذا لم يكن الإمام عليه السلام راضياً ـ حسبما جاء في الأخبار ـ ولا ابنته كذلك، فما هو وجه الصحة في إيكاله الأمر إلى العباس بن عبد المطلب؟ وهل يصحّح الوكيل عدم الرضا عند الموكّل؟ وهل عدم الرضا بالزواج يحتاج إلى توكيل لإمضاء الزواج؟! لا أظن عاقلاً يصدّق ذلك.

ت ـ الاضطراب والاختلاف في الأحاديث، وهذا الاختلاف مما يبطل الحديث، من أجل هذا أنكر الشيخ المفيد رحمه الله تعالى أصل هذا الزواج، فقال: (إن الخبر الوارد بتزويج أمير المؤمنين عليه السلام ابنته من عمر غير ثابت، وطريقه من الزبير بن بكار، ولم يكن موثوقاً به في النقل، وكان متّهماً فيما يذكره، وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام، وغير مأمونٍ فيما يدّعيه على بني هاشم. وإنما نَشَرَ الحديثَ إثباتُ أبي محمّد الحسن بن يحيى صاحب النسب ذلك في كتابه،

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣/ ٦٣٣.

فظن كثير من الناس أنه حقّ لرواية رجل علويّ له، وهو إنما رواه عن الزبير بن بكار.

والحديث بنفسه مختلفٌ، فتارةً يروى: أن أمير المؤمنين عليه السلام تولّى العقد له على ابنته.

وتارةً يروى أن العبّاس تولّى ذلك عنه.

وتارةً يروى: أنه لم يقع العقد إلاّ بعد وعيد من عمر وتهديدٍ لبني هاشم.

وتارةً يُروى: أنه كان عن اختيار وإيثار.

ثم إن بعض الرواة يذكر أن عمر أولدها ولداً أسماه زيداً.

وبعضهم يقول: إنه قُتل قبل دخوله بها.

وبعضهم يقول: إن لزيد بن عمر عقباً.

ومنهم من يقول: إنه قُتل ولا عقب له.

ومنهم من يقول: إنه وأمُّهُ قتلا.

ومنهم من يقول: إنّ أمّه بقيت بعده.

ومنهم من يقول: إن عمر أمهر أمّ كلثوم أربعين ألف درهم.

ومنهم من يقول: مهرها أربعة آلاف درهم.

ومنهم من يقول: كان مهرها خمسمائة درهم.

وبدُوّ هذا الاختلاف فيه يُبطل الحديث، فلا يكون له تأثير على حال ثم أنه لو صحّ لكان له وجهان لا ينافيان مذهب الشيعة في ضلال المتقدّمين على أمير المؤمنين عليه السلام.

أحدهما: أن النكاح إنما هو على ظاهر الإسلام الذي هو: الشهادتان، والصلاة إلى الكعبة، والإقرار بجملة الشريعة.

وإن كان الأفضل مناكحة من يعتقد الإيمان، وترك مناكحة من ضمَّ إلى ظاهر الإسلام ضلالاً لا يخرجه عن الإسلام، إلاّ أن الضرورة متى قادت إلى مناكحة الضالّ مع إظهاره كلمة الإسلام زالت الكراهة من ذلك، وساغ ما لم يكن بمستحب مع الاختيار. وأمير المؤمنين عليه السلام كان محتاجاً إلى التأليف وحقن الدماء، ورأى أنه إن بلغ مبلغ عمر عمّا رغب فيه من مناكحته ابنته أثّر ذلك الفساد في الدين والدنيا، وأنه إن أجاب إليه أعقب صلاحاً في الأمرين، فأجابه إلى ملتمسه لما ذكرناه.

والوجه الآخر: أن مناكحة الضال (كجحد الإمامة، وادّعائها لمن لا يستحقها) حرام إلاّ أن يخاف الإنسان على دينه ودمه، فيجوز له ذلك، كما يجوز له إظهار كلمة الكفر المضادة لكلمة الإيمان، وكما يحل له أكل الميتة والدم ولحم الخنزير عند الضرورات، وإن كان ذلك محرّماً مع الاختيار.

وأمير المؤمنين عليه السلام كان مضطراً إلى مناكحة الرجل لأنه يهدّده ويواعده، فلم يأمنه أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه وشيعته، فأجابه إلى ذلك ضرورة كما قلنا إن الضرورة تشرّع إظهار كلمة الكفر قال تعالى: **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**[1].

وبالغض عن ذلك، فقد روى اليعقوبي[2]: أن عمر أمهرها عشرة آلاف دينار. وقال العسقلاني: «إن عمر أمهرها أربعين ألفاً، وأنها ولدت لعمر ابنيه: زيد ورقيّة، وبعد وفاة عمر تزوجها عوف (عون ظ) بن جعفر بن أبي طالب، وذكر الدارقطني في كتاب الأخوة أن عوفاً مات عنها فتزوّجها أخوه محمّد ثم مات عنها فتزوّجها أخوه عبد الله بن جعفر فماتت عنده، وذكر ابن سعد نحوه وقال في آخره، فكانت تقول إني لأستحي من أسماء بنت عميس مات ولداها عندي فأتخوف على

(١) المسائل السروية للشيخ المفيد/ المسألة العاشرة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢/ ١٥٠.

الثالث قال: فهلكت عنده ولم تلد لأحد منهم»[1]. ومما يزيد في القضية اضطراباً ما يُروى أن الإمام عليه السلام بعث ابنته أمّ كلثوم ليراها ولم يأت عمر إليها بل هي زحفت إليه لتريه جمالها فإن وافق قبلتْ به وإلاّ فالخيار له وليس لها، قال ابن الأثير الجزري: «خطبها عمر بن الخطّاب إلى أبيها عليّ، قال: إنها صغيرة، فقال عمر: زوّجنيها يا أبا الحسن فإني أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد، فقال له عليّ: إني أبعثها إليك، فإن رضيتها فقد زوجتُكها، فبعثها إليه ببُرد، وقال لها: قولي له: هذا البرد الذي قلتُ لك، فقالت ذلك لعمر، فقال: قولي له: قد رضيت رضي الله عنك، ووضع يده عليها، فقالت: أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك، ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر، وقالت له: بعثتني إلى شيخ سوء، قال: يا بنية إنه زوجك، فجاء عمر فجلس إلى المهاجرين في الروضة ـ وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ـ فقال: رفئوني، فقالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوجت أمّ كلثوم بنت علي سمعت رسول الله يقول: «كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي وصهري» وكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب، فأردت أن أجمع إليه الصهر فرفئوه، فتزوّجها على مهر أربعين ألفاً، فولدت له زيد بن عمر الأكبر ورقية»[2].

وقال العسقلاني:

«قال ابن أبي عمر المقدسي، حدّثني سفيان عن عمرو عن محمد بن علي: على أن عمر خطب إلى عليّ إبنته أمّ كلثوم، فذكر له صغرها، فقيل له: إنه ردّك فعاوده، فقال له عليٌّ: أبعث بها إليك، فإن رضيت فهي امرأتك، فأرسل بها إليه فكشف عن ساقها، فقالت: مه! لولا أنك أمير المؤمنين للطمت عينيك»[3].

---

(١) الإصابة ج٤/ ٤٩٢.

(٢) أسد الغابة ج٧/ ٣٧٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة ج٤/ ٤٩٢، هذه الأخبار معارضة لأخبار أخر مفادها: أن عمر خطب أم كلثوم إلى الإمام علي فاعتلّ بصغرها، فقال له: لم أكن أريد الباه ولكن سمعت رسول الله يقول: كل حسب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا حسبي ونسبي. البحار ج٤٢/ ٩٧ ح٢٩.

واعجباه!

لا أصدّق ما أقرأ، أن عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام يصل به الحال والاضطرار ـ كما يدّعي الحشوية ـ إلى أن يرخص عنده الشرف والغيرة، فيُعرض ابنته ـ التي طالما حرص على أن لا يراها رجل ـ على عمر، فيكشف ساقها ليرى هل هو أبيض أم أسمر ضعيف أو سمين؟ ولا أصدّق أن أم كلثوم التي لم يبرد غليلها مما فعله ابن الخطّاب بأمها الصدّيقة الطاهرة ـ حينما دخل دارها وهتك سترها ولطم خدها حتى تناثر قرطها وهشّم أضلاعها ـ أن تقبل به زوجاً، وتشاطره البسمات! وهل أن أمّ كلثوم نسيت كل هذا؟!

والله إن شيئاً من هذا لم يحصل، حاشا أمير المؤمنين عليّ الذي ما عرف إلاّ الحق والشهامة والغيرة والحمية على العرض والدين، وحاشا أم كلثوم ابنة الطهر وسيّدة العفاف كأمها الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام.

والأنكى من ذلك أنها لم تُستأمر لزواجها من عمر، ثم بعد ذلك يستأمرها أبوها لزواجها من عون بن جعفر فلا تقبل به حتى يقهرها أبوها على القبول حيث قال لها: «أي بنية، أن الله عزّ وجلّ قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدي، فقالت: أي أبة، إني لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء، وأحب أن أصيب مما تصيبُ النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي، فقال: لا والله يا بُنيّة ما هذا من رأيك، ما هو إلا رأي هذين ـ أي الحسن والحسين ـ ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلاً منهما أوتفعلين، فأخذا بثيابه، فقالا: اجلس يا أبه، فوالله على هجرتك من صبر، اجعلي أمرك بيده، فقالت: قد فعلت، قال: فإني قد زوجتك من عون بن جعفر وأنه لغلام»[1].

وفي أخبار أخرى يوجد خلط واضطراب، فخبر[2] يقول أنها تزوجت بعد

---

(١) أسد الغابة ج٧/ ٢٧٨ والإصابة ج٤/ ٤٩٢.

(٢) بحار الأنوار ج٤٢/ ٩١ نقلاً عن المناقب.

عمر بثلاثة رجال هم: عون بن جعفر ثم محمّد بن جعفر ثم عبد الله بن جعفر.

وخبر[1] يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام زوّجها من كثير بن عبّاس بن عبد المطلب، لكنّ المشهور والمتسالم عليه أنها لم تتزوج بعد عون أحداً، وذلك لأن محمداً وعوناً قتلا في كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، وكان عون آنذاك زوجاً لها، زوّجه إياها أمير المؤمنين لمّا بلغ مبلغ الرجال[2] فكيف ينسب الخبران المتقدمان أنها تزوّجت بمحمّد وبكثير؟

بل إن الشهيد الثاني يعتقد أن محمّد بن جعفر قُتل في صفين[3].

وعليه، لمّا علمنا أن الإمام عليه السلام زوّجه ابنته لإبن أخيه عون بن جعفر وهو يافع وبقي معها إلى زمن شهادته مع الإمام الحسين هو وأخوه محمّد، فنقطع حينئذٍ أن ما جاء خلاف ذلك باطلٌ.

إذن هذا الاضطراب يستلزم نسف القضية من أساسها، ولو سلّمنا جدلاً وقوعها، فإن تهديد عمر بن الخطاب ـ بأنه سيعور زمزم ولا يدع لآل البيت مكرمة إلا هدمها، وليقطعن يد الإمام عليّ لتهمة السرقة ـ كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث اجتثته قدرة الإمام عليه السلام بتضرعه إلى الله تعالى ليصرف عنه كيد من أراد به وبأهله سوءاً، وكان الذي كان من ضربة أبي لؤلؤة الموفّقة فلم يبق إلاّ ليالٍ.

إشكـــال:

لقد جاء بواسطة خبرين ـ صحيحين سنداً ـ إن أم كلثوم رضي الله عنها تزوّجها عمر، فكيف لم يطّلع عليهما الشيخ المفيد ومن حذا حذوه حيث أنكر أصل الواقعة؟

---

(١) نفس المصدر، ص٩٢.

(٢) تنقيح المقال في معرفة الرجال ج٢/ ٣٥٥ ترجمة عون بن جعفر.

(٣) تنقيح المقال ج٣/ ٩١.

والجواب:

هنا احتمالات:

(١) إمّا أن الشيخ ومن وافقه لم يطّلعوا على هذين الخبرين، وهذا بعيد جداً في حق مشايخ الطائفة، لا سيّما وأن لهم مصنفات في جمع الأخبار.

(٢) وإمّا أن يكونوا قد اطّلعوا ولكنّهم لم يأخذوا بمفادهما.

(٣) وإمّا أن الخبرين لم يكونا.

أوجه هذه الإحتمالات هو الثاني، أما الأول فقد عرفت وجهه، وأما الثالث فمدفوع بالأصل حيث لو لم يكونا قبل عصر المفيد ثم وجدا في بعض الكتب بعده لبان وظهر من خلال المقارنة بالنسخ القديمة السابقة على عصره، مع أن الخبرين رواهما الشيخ الكليني في الكافي وهو متقدّم زمناً على الشيخ المفيد، فالاحتمال ساقط من أساسه.

فلا يبقى مجال إلاّ أن نقول: إن الشيخ وأمثاله لم يأخذوا بنظر الاعتبار صحة هذين الخبرين لأحد أمرين:

إمّا لاعتقادهم بأنّ هذين الخبرين مصدرهما العامة، وأن الراوي لهما بالأصل هو أبو محمّد الحسن بن يحيى صاحب النسب ـ حسبما عبّر الشيخ المفيد نفسه عن ذلك ـ وإمّا لكثرة الاختلاف والاضطراب في أصل القضية المروية بالأخبار المختلفة، مما أوجب اختلالها وعدم الوثوق بشيء منها، وذلك يستلزم سقوطها عن الحجية.

ث ـ إنّ الخبرين المتقدّمين يتعارضان أيضاً مع ما أورده صاحب البحار[١] نقلاً عن النوبختي في كتابه «الإمامة» من أن أمّ كلثوم كانت صغيرة ومات عمر قبل

---

(١) بحار الأنوار ج٤٢/ ٩١.

أنْ يدخل بها؛ وكذا ما رواه الزرقاني المالكي ـ وهو من علماء العامة ـ من أن عمر مات عنها قبل بلوغها[1]. هذا بالإضافة إلى معارضة ما رواه الزرقاني وغيره لما ورد في مصادرهم[2] من أن عمر تزوّجها وبنى بها وأنجب منها ولداً. والحاكم النيسابوري قال إنه تزوّج بها[3]. فمع هذا التعارض الموجود في مصادرهم، بل وفي مصادرنا حيث يتعارض خبر سليمان بن خالد وصحيحة[4] عمار مع صحيحة هشام بن سالم حيث ورد فيها أنّ أمير المؤمنين عليه السلام تعلّل بالمنع من تزويجها بأنها صبيّة وحرمة نكاح الصغيرة من أبده البديهيات في شريعتنا والشرائع السماوية برمتها بل حرمته مقطوع بها عند عامة العقلاء، فما بال أمير المؤمنين ـ وحاشاه ـ يزوّج ابنته الصغيرة لشيخ هدّده بتهمة السرقة ضارباً كل القيم عرض الجدار!! لا أظن عاقلاً ينسب لأمير المؤمنين (الذي لا تأخذه في الله لومة لائم) ما نسبت إليه هذه المرويات، اللّهم إلاّ أن يقال: أنّ تزوّجه منها كان لأجل حصول البركة ومصاهرة النبيّ ـ حسبما جاء في الرواية المتقدمة عن ابن الأثير الجزري والقسطلاني ـ لكنّه مردود لأن البركة لا تُطلب عن طريق الحرام، ومنْ يدّعي محبة رسول الله محمّد فيحبّ مصاهرته لا يقهر حفيدته على القبول به رغماً عنها وعن أبيها ويتوعده بأليم العذاب وسوء العقاب. هذا مضافاً إلى أن هذا القول يصطدم مع النقولات المضطربة والمشوشة والتي ألصقت بها ما لم يُلْصَق بجارية أو أمَةٍ من الاماء، كما ألصقوا بأبيها ما لم يلصقوه بأرذل الناس حيث عرض إبنته وزيّنها ببردة وهي صبيّة صغيرة لكي يهواها عمر بن الخطّاب وتنال إعجابه ويكشف عن ساقها ويضع يده عليها!!

---

(١) شرح المواهب اللدّنية ج٧/ ٩.

(٢) تاريخ الطبري ج٣/ ٢٧٠، الطبقات الكبرى ج٨/ ٤٦٣، الاستيعاب ج٤/ ٤٩١، أسد الغابة ج٥/ ٦١٥.

(٣) المستدرك ج٣/ ١٤٢.

(٤) وكلا الروايتين في فروع الكافي ج٦/ ١١٥ باب المتوفى عنها زوجها المدخول بها أين تعتد وما يجب عليها.

تنبيـــه:

قد يقال إن المراد من كونها صغيرة هو عدم نضجها بحيث لا يؤهلها للزواج وإن كانت بالغة آنذاك لكونها ولدت بعد العام الخامس الهجري وقبل الثامن، فهي بالقياس إلى عمره آنذاك الذي كان بحدود ابن ثلاث وستين عاماً وأشهراً ـ حسب رواية المشهور عند العامة ـ لا تصلح حينئذٍ للزواج منه، ولكنّ هذا التعليل الوارد في الرواية من أنها صغيرة غير ناجعٍ، ولا أظن أن أمير المؤمنين علياً قصده لعلمه الرباني بأنّ ابن الخطاب سيردّه، بل لا أعتقد أن الإمام عليه السلام يخفى عليه التعليل بكونها كارهة له وغير راضية بأن يكون لها زوجاً بعد أن رأت ماذا فعل بأبيها وأمها عليهما السلام.

وزبدة المقال:

أن قصة التزويج هذه من المفتعلات ولا أساس لها من الصحة لقيام القرائن على كذبها، ووجود خبرين أو ثلاث في مصادرنا وإن كانت أسانيدها صحيحة إلاّ أن ذلك لا يصحّح نسبة دلالتها إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام لكثرة الدّس في أخبارهم، لذا ورد عنهم وجوب عرض[1] الأخبار المنسوبة إليهم على كتاب الله وأخبار العامة «فما وافق أخبارهم وكان أميل إلى حكّامهم وقضاتهم فيترك لأن الرشد في خلافهم» فكيف يمكن حينئذٍ الاعتماد على هكذا أخبار لها خلفيات أموية، ألم يركّب بنو أميّة الأسانيد على المتون؟! ألم يقلبوا كلّ فضيلة كانت لأمير المؤمنين عليّ إلى ضدها إلاّ ما حفظته الصدور الأمينة؟ ألم يغلوا في أبي بكر حتى جعلوه الصدّيق وجعلوا عمر الفاروق وعثمان ذي النورين، بل «جعلوا أبا بكر وعمر سيديّ كهول أهل الجنّة ووزيري رسول الله في الأرض كما أن جبرائيل وميكائيل وزيراه في السماء، ولو كان بعده نبي لكان عمر بن الخطاب وأن الشيطان ليخاف من عمر»[2] إلى ما هنالك من فضائل ومكرمات لم تكن لأحد من الأولين

---

(١) وسائل الشيعة ج١٨/ ٧٥ ح١ باب وجوه الجمع بين الأحاديث.

(٢) أسد الغابة ج٤/ ١٥٠ ـ ١٥٢.

والآخرين. . . بعد كلّ هذا كيف يمكن الاطمئنان إلى قصة التزويج[1] تلك؟!! لا ندري كيف انطلت اللعبة على البعض فصدّق بما نفثه بنو أميّة في أخبارنا، اللّهم أنت الحكم والفصل يوم تشخص فيه القلوب والأبصار.



(١) لعلّ أم كلثوم التي زعموا أنّها زوجة عمر بن الخطاب هي أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي والدة عبيد الله وزيد، لا سيّما وأنهم نسبوا إلى إبنة أمير المؤمنين بأن لها من عمر ولدين هما: رقية وزيد، فأحبّ بنو أميّة إلصاق هذه المنقبة بعمر بن الخطّاب.

قال العلويُّ: الأدلة في عدم إيمانه كثيرة، ويكفي في ذلك.

إن المسلمين ـ وفيهم الصحابة ـ اجتمعوا عليه فقتلوه، وأنتم تروون أن النبيّ قال: (لا تجتمع أمتي على خطأ) فهل يجتمع المسلمون ـ وفيهم الصحابة ـ على قتل[1] مؤمن؟

---

(١) استدلال العلويّ بالقول المنسوب إلى رسول الله ﷺ «لا تجتمع أمتي على خطأ» على صحة قتل الناس عثمان بن عفان، وكون ذلك دليلاً على عدم إيمانه، غير تام وذلك: لعدم وجود ملازمة بين استحقاق القتل وبين سلب صفة الإيمان عن مستحق القتل، وإلاّ لحكمنا بعدم إيمان كل من وجب عليه الحد أو القصاص، ولا أحد قائل بهذا، نعم إن ارتكاب المعصية ـ حسبما جاء في النصوص[1] ـ يسلب الإيمان، وكلّما ازداد المرء معصية كلّما تناقص منه روح الإيمان إلى أن يضمحل، وقد يكون مراد العلويّ بعدم الإيمان، هو عدم الاعتقاد بما جاء به النبيّ بشأن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ولكثرة ما ارتكبه عثمان من جرائر بحق المسلمين الآمنين، فخانه التعبير، فجعل ملازمة بين القتل وبين سلب الإيمان عنه، وكان الأولى الاستدلال بأخبار ارتداد أصحابه كقوله ﷺ: «ألا لأعرفنكم ترتدون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

وفي خبر آخر عنه ﷺ قال: «بينا أنا على الحوض، إذ مُرّ بكم زمراً فتفرق بكم الطرق، فأناديكم: ألا هلمُّوا إلى الطريق، فيناديني منادٍ من ورائي، إنهم بدّلوا بعدك فأقول ألا سحقاً، ألا سحقاً» وقد رواهما العامة في مصادرهم.

---

(١) ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: إن الكذب هو خراب الإيمان. ميزان الحكمة ج٦/ ٣٦٧٤، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان أبي يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله. ميزان الحكمة ج٣/ ٩٩٤.

وقد استدل البعض ـ بهذا المقطع من المحاورة وبعض المقاطع الأخرى ـ على أن المحاورة فرضية، وليس لها وجود خارجي، فقال:

(إنه ـ أي العلوي ـ استدل بقول النبيّ ﷺ: «لا تجتمع أمتي على خطأ» على صحة قتل الناس عثمان بن عفان، وجعل ذلك دليلاً على عدم إيمانه.

وغني عن البيان: أن الإجماع على قتل من ارتكب جريمة يستحق لأجلها القتل، لا يعني الإجماع على سلب صفة الإيمان عنه، لأن الإيمان شيء، وارتكاب الجرائم الموجبة للقتل شيء آخر، قد يجتمعان، وقد يختلفان.

والحديث الشريف إنما يدل على استحقاقه للعقوبة، ولا يدل على إجماعهم على عدم إيمانه. وعدم إيمانه إنما يثبت بدلائل أخرى، لا بد من تلمّسها، والتأمل فيها، هذا كله بالإضافة إلى أن علياً، وكثيراً ممن كانوا معه لم يشاركوا في قتله، وذلك معروف ومشهور، وإن كان قتله لم يسر علياً ولم يسؤه كما روي عنه عليه السلام)[1].

ما قاله جيد إلاّ أن فيه ملاحظتين:

الأولى: عدم مشاركة الأكثرية في قتل عثمان، لا تلغي استحقاقه للقتل، وما رواه عن الإمام عليّ عليه السلام[2] بأن قتل عثمان لم يسره ولم يسؤه ـ فهو بالغض عن سنده ـ ضعيف دلالةً، فلا يصلح أن يكون دليلاً على عدم استحقاق عثمان للقتل، أو لا يكشف على عدم الرضا الواقعي عند الإمام عليه السلام، كيف لا، وقد ارتكب عثمانُ الكثير من الجرائر التي تستلزم إقامة الحد عليه، وهذا قطعاً مما يُسر الإمام عليه السلام لكونه مرغوباً به عند المولى عزّ وجلّ، وليس قتله برزخاً بين السرور

(١) مأساة الزهراء عليها السلام: ج١/ ٣٧٣.

(٢) وهي ما رواه الواقدي من العامة عن الحكم بن الصلت عن محمد بن عمّار بن ياسر عن أبيه قال: رأيت علياً عليه السلام على منبر رسول الله حين قتل عثمان وهو يقول: «ما أحببت قتله ولا كرهته ولا أمرت به ولا نهيت عنه» وفي رواية قال: «ولا مالأت على قتله، ولا سائني ولا سرني».

والحزن ـ حسبما إدُّعي ـ بل هو إما سرور لكونه أُقيم عليه الحد، وإما حزنٌ باعتباره ـ أي عثمان ـ غير مستحقٍ للقتل.

هذا مضافاً إلى معارضة الخبر لأخبار أخر كقول الإمام عليه السلام: «ألا من كان سائلاً عن دم عثمان فإن الله قتله وأنا معه» وكيفية الجمع بين قوله عليه السلام: ما أمرت بذلك ولا نهيت عنه» وبين ما تقدم، أن قاتلي عثمان لم يرجعوا في قتله إلى الإمام عليه السلام ولم يكن منه قول في ذلك بأمر ولا نهي، ومعنى أن الله قتله» إن الله حكم بقتله وأوجب وأنا كذلك، وقد جمع الشيخ الطوسي بين هذه الوجوه المتعارضة في تلخيص الشافي.

الثانية: من أين أثبتَ سماحة السيّد «أن الحديث شريف»؟ مع أن الحديث المذكور ضعيف من الناحية السندية والدلالتية، أما من حيث السند فلكونه من المراسيل[1] الضعاف، وأما من حيث الدلالة فلكونه من مبتدعات أبي بكر عندما احتج أمير المؤمنين عليه السلام بثلاث وأربعين خصلة؛ فقد ورد عن مولانا الإمام السجّاد عليه السلام قال: لمّا كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ما كان لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط ويرى منه انقباضاً فكبُر ذلك على أبي بكر فأحبّ لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه لمّا اجتمع الناس إليه وتقليدهم إياه أمر الأمّة وقلّة رغبته في ذلك وزهده فيه، أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة وقال له: والله يا أبا الحسن ما كان هذا الأمر مواطاة منّي، ولا رغبة فيما وقعتُ فيه، ولا حرصاً عليه ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الأمّة ولا قوّة لي لمال ولا كثرة العشيرة ولا ابتزاز له دون غيري فمالك تضمر عليّ ما لم أستحقّه منك وتظهر لي الكراهة فيما صرتُ إليه وتنظر إليّ بعين السأمة مني؟ قال: فقال له عليه السلام: فما حملك عليه إذا لم ترغب فيه ولا حرصت عليه ولا وثقت بنفسك في القيام به، وبما يحتاج منك فيه، فقال أبو بكر: حديثٌ سمعتُه من رسول الله:

---

(١) لاحظ ما قاله المحقق الخوئي في مصباح الأصول ج٢/ ١٣٩.

«إنّ الله لا يجْمَعُ أمّتي على ضلال» ولما رأيت اجتماعهم اتّبعت حديث النبيّ وأحلت أنْ يكون اجتماعهم على خلاف الهدى وأعطيتهم قود الإجابة ولو علمتُ أنّ أحداً يتخلّف لامتنعت. قال: فقال عليّ عليه السلام: أمّا ما ذكرت من حديث النبيّ ﷺ: «إنّ الله لا يجمع أمّتي على ضلال» أفكنتُ من الأمة أو لم أكن؟ قال: بلى، قال عليه السلام: وكذلك العصابة الممتنعة عليك من سلمان وعمّار وأبي ذر والمقداد وابن عبادة ومن معه من الأنصار؟ قال: كلٌّ من الأمّة، فقال علي عليه السلام: فكيف تحتجّ بحديث النبيّ ﷺ وأمثال هؤلاء قد تخلّفوا عنك وليس للأمّة فيهم طعنٌ ولا في صحبة الرسول ﷺ ونصيحته منهم تقصير، قال: ما علمتُ بتخلّفهم إلاّ من بعد إبرام الأمر وخفت إنْ دفعت عني الأمر أنْ يتفاقم إلى أنْ يرجع الناس مرتدّين عن الدّين وكان ممارستكم إليّ إنْ أجبتم أهون مؤونة على الدّين وأبقى له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعوا كفّاراً، وعلمتُ أنك لست بدوني في الإبقاء عليهم وعلى أديانهم..»[1].

وهل شرافة الحديث مقتبسة من رواية أبي بكر له أم هناك شيء لم يطلعنا عليه صاحب الدعوى؟!

إن الحديث المذكور يوجب عصمة الأمة من الخطأ، وقد قام الدليل على بطلان ذلك لعدم اختصاص الأمة بالإمامية كما هو ظاهر في نفسه، ويظهر من قوله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة»، ولو سلّمنا إختصاصه بالإمامية فلا نعتقد أحداً يدّعي اجتماع كلّ أفرادها حول الحق، بل فيها الشرير والسكّير والصالح والطالح، وهل يجتمع كل هؤلاء على الهدى وقد انقسموا إلى صنفين وجبهتين؟!.

وللشيخ المفيد كلام في هذا المجال نعرضه لأهميته قال:

[فإن قال: أفليس قد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «ما كان الله ليجمع أمتي

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ص٥٤٨.

على ضلال» فكيف يصحّ اجتماع الأمة على دفع المستحق عن حقه والرضا بخلاف الصواب، وذلك ضلال بلا اختلاف؟

قيل له: أول ما في هذا الباب أن الرواية لما ذكرت غير معلومة عن النبي ﷺ وإنما جاءت بها الأخبار على اختلاف من المعاني والألفاظ، وقد دفع صحّتها جماعة من رؤساء أهل النظر والاعتبار، وأنكرها إمام المعتزلة وشيخها إبراهيم بن سيّار النظّام.

وبعد: فلو ثبت ما ضرّنا فيما وصفناه، لأنّا لا نحكم بإجماع أُمة الإسلام على الرضا بما صنعه المتقدّمون على أمير المؤمنين عليه السلام فكيف نحكم بذلك ونحن نعلم يقيناً ـ كالاضطرار ـ خلاف الأنصار في عقد الإمامة على المهاجرين، وإنكار بني هاشم واتباعهم على الجميع في تفردهم بالأمر دون أمير المؤمنين عليه السلام، وقد جاءت الأخبار مستفيضة بأقاويل جماعة من وجوه الصحابة في إنكار ما جرى، وتظلّم أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك برفع الصوت والإجهار؟!

وكان من قول العبّاس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ما قد عرفه الناس، ومن أبي سفيان بن حرب والزبير بن العوّام أيضاً ما لا يخفى على من سمع الأخبار، وكذلك من عمّار بن ياسر وسلمان وأبي ذر والمقداد وبريدة الأسلمي وخالد بن سعيد بن العاص في جماعات يطول بذكرها الكلام.

وهذا يبطل ما ظنّه الخصم من اعتقاد الإجماع على إمامة المتقدّم على أمير المؤمنين عليه السلام على أنه لا شبهة تعرض في إجماع الأمة على أبي بكر وعمر وعثمان إلاّ وهي عارضة في قتل عثمان بن عفان، وإمامة معاوية من بعد صلح الحسن عليه السلام، وطاعة يزيد بعد الحرّة، وإمامة بني أميّة وبني مروان.

فإن وجب لذلك القطع بالإجماع على الثلاثة المذكورين حتّى تثبت إمامتهم ويقضى لهم بالصواب ليكون جميع من ذكرناه شركاءهم في الإمامة، وثبوت الرئاسة الدينية والسلطان، إذ العلة واحدة فيما أوجب لهم ذلك، فهو ظاهر التسليم

والانقياد على الاجتماع، وترك النكير والخلاف، وهذا ما يأباه أهل العلم كافّة، ولا يذهب إليه أحد من أهل التمييز لتناقضه في الاعتقاد.

فإن قال قائل: أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبيّ ﷺ أنه قال: «خير القرون القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونه».

وقال عليه‌السلام: «إن الله تعالى اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وقال عليه‌السلام: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فكيف يصحّ مع هذه الأحاديث أن يقترف أصحابه السيئات، أو يقيموا على الذنوب والكبائر الموبقات؟

قيل له: هذه أحاديث آحاد، وهي مضطربة الطرق والإسناد، والخلل ظاهر في معانيها والفساد، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإجماع ولا يقابل حجج الله تعالى وبيناته الواضحات، مع أنه قد عارضها من الأخبار التي جاءت بالصحيح من الإسناد، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة والناصبة على الاتفاق، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان:

فمنها: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضبّ لاتبعتموهم، فقالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن.

وقال ﷺ في مرضه الذي توفيّ فيه: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أوّلها، الآخرة شرّ من الأولى».

وقال عليه‌السلام في حجة الوداع لأصحابه: «ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا ليبلّغ الشاهد منكم الغائب ألا لأعرفنّكم ترتدون بعدي كفاراً، يضرب بعضكم

رقاب بعض، ألا إني قد شهدتُ وغبتم»[1].

وبالجملة فإن الأمة أجمعت على استحقاق عثمان القتل، وقد شارك في قتله ثلة من الصحابة والتابعين، قال ابن أبي الحديد:

«.. وكثر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب رسول الله يرون ويسمعون، ليس فيهم أحد ينهى ولا يذب إلا نفير: زيد ابن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت»[2].

وقد ذكر المؤرخون مسير من سار إلى حصر عثمان فلاحظ[3].



(١) الإفصاح في الإمامة للشيخ المفيد ص٤٧ ـ ٥٠.

(٢) شرح النهج ج٢/ ١٤٠ ط/ دار المعارف بمصر، وتاريخ الطبري ج٣/ ٣٩٩ حوادث عام ٣٥هـ.

(٣) الكامل في التاريخ ج٣/ ١٥٤ ـ ١٧٩ حوادث عام ٣٥، وكذا تاريخ الطبري.

ولقد كانت عائشة تشبّهه باليهود وتأمر بقتله وتقول: اقتلوا نعثلاً[1] ـ اسم رجل يهودي ـ فقد كفر، اقتلوا نعثلاً قتله الله، بُعداً لنعثل وسحقاً.

---

١ ـ «النَّعْثَلُ»: الشيخ الأحمق، والنَّعثلة: أن يمشي الرجل مفاجّا ويقلب قدميه كأنه يغرف بهما وهو من التبختر. ونعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، قيل: إنه كان يشبه عثمان، وشاتمو عثمان يسمونه نعثلاً تشبيهاً بالرجل المصري، وفي حديث عائشة: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً! تعني عثمان، وكان هذا منها لمّا غاضبته وذهبت إلى مكة[1].

يروي الطبري عن عثمان بن الشريد، قال: مرّ عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة، فقال: يا نعثل والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ولأخرجنّك إلى حرة النار ثم جاءه مرة أخرى وعثمان على المنبر فأنزله عنه[2].

وروى أيضاً عن عبد الرحمن بن محمّد: أن محمّد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ في المصحف فتقدمهم محمّد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال قد أخزاك الله يا نعثل، فقال عثمان: لستُ بنعثل ولكني عبد الله وأمير المؤمنين، قال محمّد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان، فقال عثمان: يا ابن أخي دع عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه، فقال محمّد: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك..»[3].

إذن، لقب «نعثل» كان السمة البارزة في شخصية عثمان، ويظهر أن سبب تلقيبه به هو تبختره في مشيه، وإلا فإن طول اللحية ليست علة تامة للتسمية بذاك

---

(١) لسان العرب ج١١/٦٦٩ مادة نعثل.

(٢) تاريخ الطبري ج٣/٣٩٩.

(٣) نفس المصدر ص٤٢٣.

اللقب لعدم اقتصارها على عثمان، ويشهد لما قلنا من أن التبختر هو المناط ما ورد من أن سورة عبس وتولّى نزلت به، حيث جمع ثيابه وتأفف عندما جلس بقربه ابن أم مكتوم، وجمع الثياب عادة من علائم الكبر والتبختر.

وعائشة كانت من ألد الخصوم لعثمان ثم لمّا قُتل طالبت بدمه لأن الناس بايعوا الإمام عليّاً عليه السلام !!

قال ابن الأثير:

(وخرجت عائشة من مكة تريد المدينة بعدما خرجت منها لحاجة، فلما كانت بسرف لقيها رجلٌ من أخوالها من بني ليث يقال له عُبيد بن أبي سلمة، وهو ابن أمّ كلاب، فقالت له: مَهْيَمْ؟

قال: قُتل عثمان وبقوا ثمانياً. قالت: ثم صنعوا ماذا؟ قال: اجتمعوا على بيعة عليّ. فقالت: ليت هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك! ردوني ردوني! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبن بدمه! فقال لها: ولمَ؟ والله إن أوّل من أمال حرفه لأنتِ، ولقد كنتِ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول، فقال لها ابن أمّ كلاب:

فمنكِ البَداءُ ومنكِ الغِيَرْ	ومنكِ الرّياحُ ومنكِ المطرْ
وأنتِ أمرتِ بقتلِ الإمامِ	وقلتِ لنا إنّهُ قد كفرْ
فهبنا أطعناكِ في قتله	وقاتِلُهُ عندَنا مَنْ أمرْ
ولم يسقطِ السقفُ من فوقنا	ولم ينكسف شمسُنا والقمرْ
وقد بايعَ الناسُ ذا تُدْرإٍ	يزيلُ الشَّبا ويقيمُ الصَّعَرْ
ويلبس للحرب أثوابها	وما من وفى مثلُ من قد غدَرْ

فانصرفت إلى مكّة فقصدت الحجر فسترت فيه، فاجتمع الناس حولها، فقالت: أيّها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة

اجتمعوا على هذا الرجل المقتول ظلماً بالأمس ونقموا عليه استعمال من حدثت سنّه، وقد استُعمل أمثالهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزع لهم عنها، فلمّا لم يجدوا حجّة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلّوا البلد الحرام والشهر الحرام وأخذوا المال الحرام، والله لإصبعٌ من عثمان خير من طاق الأرض أمثالهم! ووالله لو أن الذي اعتدُّوا به عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلَّص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماصُ الثوب بالماء، أي يُغسل)[1].

وذكر ابن قتيبة الدينوري:

(إن عائشة لمّا أتاها أنه بويع لعليّ عليه السلام، وكانت خارجة عن المدينة، فقيل لها: قُتل عثمان، وبايع الناس عليّاً، فقالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قتل والله مظلوماً، وأنا طالبة بدمه، فقال لها عبيد: إن أول من طعن عليه وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد فجر[2]، فقالت عائشة: قد والله قلتُ وقال الناس، وآخر قولي خير من أوله، فقال عبيد: عذر والله ضعيف يا أمّ المؤمنين)[3] ثم أنشد الشعر المتقدم.

قال ابن أبي الحديد:

(قال كلُّ من صنّف في السير والأخبار: إن عائشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتى إنّها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين إليها: هذا ثوب رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته، قالوا: أوّل من سمّى عثمان نعثلاً عائشة، وكانت تقول: اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً)[4].

وفي لفظ الطبري:

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣/ ٢٠٦ وتاريخ الطبري ج٣/ ٤٧٦.

(٢) في فتوح ابن الأعثم ج٢/ ٢٤٩: «فقد كفر».

(٣) الإمامة والسياسة ص٧١ باب خلاف عائشة على علي عليه السلام.

(٤) الغدير ج٩/ ٨١ نقلاً عن ابن أبي الحديد في شرح النهج.

«فانصرفت إلى مكّة فنزلت على باب المسجد فقصدت للحجر فسترت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيّها الناس إن عثمان قُتل مظلوماً ووالله لأطلبن بدمه»[1].

وقال البلاذري:

(كانت عائشة وأمّ سلمة حجّتا ذلك العام «عام قتل عثمان» وكانت عائشة تؤلّب على عثمان، فلمّا بلغها أمره وهي بمكة أمرت بقبتها فضربت في المسجد الحرام وقالت: إني أرى عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر).

وأخرج الطبري عن عمر بن شبة من طريق عبيد بن عمرو القرشي قال: خرجت عائشة وعثمان محصورٌ، فقدم عليها مكة رجلٌ يقال له: اخضر، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمانُ المصريين، قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أيقتل قوماً جاؤوا يطلبون الحقّ ويُنكرون الظلم؟ والله لا نرضى بهذا، ثم قدم آخر فقالت: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريّون عثمان)[2].

وقال أبو مخنف: جاءت عائشة إلى أمّ سلمة تخادعها على الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها: يا بنت أبي أميّة أنتِ أقل مهاجرة من أزواج رسول الله، وأنت كبيرة أمّهات المؤمنين، وكان رسول الله يقسم لنا من بيتك، وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلك. فقالت أمّ سلمة: لأمرٍ ما قلتِ هذه المقالة؟ فقالت عائشة: إنّ عبد الله أخبرني أنّ القوم استتابوا عثمان فلمّا تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي الزبير وطلحة فاخرجي معنا لعلّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا وبنا. فقالت: أنا أمّ سلمة، إنّك كنت بالأمس تحرّضين على عثمان وتقولين فيه أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً، وإنك لتعرفين منزلة عليّ بن أبي طالب عند رسول الله ﷺ. الحديث[3].

---

(١) تاريخ الطبري ج٣/ ٤٧٧.

(٢) الغدير ج٩/ ٧٩.

(٣) الغدير ج٩/ ٨٣.

وقال أبو الفدا:

(كانت عائشة تنكر على عثمان مع من ينكر عليه، وكانت تخرج قميص رسول الله وشعره وتقول: هذا قميصه وشعره لم يبل وقد بُلي دينه).

قال العلاّمة الأميني (قدس سره):

(هذه الروايات تعطينا درساً ضافياً بنظرية عائشة في عثمان وأنّها لم تكن ترى له جدارة تسنّم ذلك العرش، وبالغت في ذلك حتى ودَّت إزالته عن مستوى الوجود. فأحبّت له أن يُلقى في البحر وبرجله رحىً تجرّه إلى أعماقه، أو أنّه يُجعل في غرارة من غرائرها وتشدّ عليه الحبال فيُقذف في عباب اليمّ فيرسب فيه من غير خروج، أو أنْ يودي به حراب المتجمهرين عليه فتكسح عن الملأ معرّة أحدوثاته، ولذلك كانت تثير الناس عليه بإخراج شعر رسول الله ﷺ وثوبه ونعله، ولم تبرح تؤلّب الملأ الدينيّ عليه وتحثّهم على مقته وتخذّلهم عن نصرته في حضرها وسفرها، وإنّها لم تعدل عن تلكم النظريّة حتّى بعدما أُجهز على عثمان إلا لمّا علمت من انفلات الأمر عن طلحة الذي كانت عائشة تتهالك دون تأميره وتضمر تقديمه منذ كانت تُرهج النقع على عثمان، وتهيّج الأمة على قتله، فكانت تروم أنْ تعيد الإمرة تيميّة مرّة أخرى، ولعلّها حجّت لبثّ هاتيك الدعاية في طريقها وعند مجتمع الحجيج بمكّة، فكان يُسمع منها قولها في طلحة: «إيه ذا الإصبع! إيه أبا شبل! إيه يا ابن عمّ! لكأنّي أنظر إلى إصبعه وهو يبايع له»، وقولها: «إيه ذا الإصبع! لله أبوك، أما أنّهم وجدوا طلحة لها كفواً».

وقولها في عثمان: «اقتلوا نعثلاً قتله الله فقد كفر»، وقولها لابن عبّاس: «إيّاك أن تردّ الناس عن هذا الطاغية»، وقولها بمكّة: «بُعداً لنعثل وسحقاً»، وقولها لمّا بلغها قتله: «أبعده الله، ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلاّم للعبيد».

لكنّها لمّا علمت أنّ خلافة الله الكبرى عادت علويّة واستقرّت في مقرّها الجدير بها ـ ولم يكن لها مع أمير المؤمنين عليه السلام هوى ـ قلبت عليها ظهر المجنّ، فطفقت تقول: لوددتُ أنّ السماء انطبقت على الأرض إنْ تمّ هذا! وأظهرت

الأسف على قتل عثمان ورجعت إلى مكّة بعدما خرجت منها، ونهضت ثائرة تطلب بدم عثمان لعلّها تجلب الإمرة إلى طلحة من هذا الطريق، وإلا فما هي من أولياء ذلك الدم، وقد وُضع عنها قود العساكر ومباشرة الحروب لأنّها امرأة خلقها الله لخدرها، وقد نهيت كبقيّة نساء النبي ﷺ خاصّة عن التبرّج، وقد أنذرها رسول الله ﷺ وحذّرها عن خصوص واقعة الجمل، غير أنّها أعرضت عن ذلك كلّه لمَا ترجّح في نظرها من لزوم تأييد أمر طلحة، وتصامعت عن نبح كلاب الحوأب، وقد ذكره لها الصّادق الأمين عند الإنذار والتحذير، ولم تزل يقودها الأمل حتى قُتل طلحة فألمّت بها الخيبة، وغلب أمر الله وهي كارهة)[1].

قال البلاذري في الأنساب:

(خرجت عائشة باكية تقول: قُتل عثمان رحمه الله، فقال لها عمّار بن ياسر: أنتِ بالأمس تحرضين عليه ثم أنت اليوم تبكينه)[2].

ما صدر من عائشة صاحبة الجمل لا يغدو مستغرباً لدى الباحث في شخصيتها التي طالما ألّبت الناس على إمام زمانها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك لضغن في صدرها كما عبّر عن ذلك الإمام عليه السلام بقوله:

(فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل، وإن أطعتموني فإني حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنّة وإن كان ذا مشقة شديدة، ومذاقةٍ مريرة، وأمّا فلانة فأدركها رأيُ النساء، وضغنٌ غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دُعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل، ولها بعدُ حرمتها الأولى، والحسابُ على الله!)[3].

وللضغن أسباب منها:

حنو النبيّ على ابنته فاطمة عليها السلام وحبه الشديد لها، فأكرمها إكراماً عظيماً

---

(١) الغدير ج٩/ ٨٥.

(٢) الأنساب ج٥/ ٧٠. طبقات ابن سعد ج٥/ ٢٥، ط/ ليدن، الإمامة والسياسة ج١/ ٤٣.

(٣) خطبة ١٥٦ من نهج البلاغة. وشرح النهج/ ابن أبي الحديد ج٩/ ١٢٨.

أكثر مما كان الناس يظنونه، حتى خرج بها عن حدّ الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مراراً لا مرة واحدة وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: إنها سيّدة نساء العالمين، وإنها أفضل من مريم بنت عمران، وأنها إذا مرّت في الموقف نادى منادٍ من جهة العرش: يا أهل الموقف: غضّوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمّد، وأن تزويجها للإمام عليّ عليه السلام ما كان إلاّ بعد أن زوّجه الله تعالى إياها في السماء بشهادة الملائكة، كم قال: يؤذيني ما يؤذيها، ويغضبني ما يغضبها، وأنها بضعة مني، يريبني ما رابها. فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضعن عند الزوجة حسب زيادة هذا التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغيّظ على ما هو دون هذا، فكيف هذا!

ومنها: أن الصدّيقة فاطمة عليها السلام ولدت أولاداً كثيرة بنين وبنات ولم تلد هي ولداً، وأن رسول الله كان يقيم ابني فاطمة مقام بنيه، ويسمى الواحد منهما «ابني» ويقول: «دعوا لي ابني» «وما فعل ابني» فما ظنك بالزوجة إذا حُرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل يتبنّى بني ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنوّ الوالد المشفق! هل تكون مُحبّةً لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم، أم مبغضة! وهل تودّ دوام ذلك واستمراره، أم زواله وانقضاءه!

ومنها: أنّه اتفق أن رسول الله سدّ باب أبيها إلى المسجد، وفتح باب صهره ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة، ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضاً في نفسها، وولد لرسول الله إبراهيم من مارية، فأظهر الإمام عليّ عليه السلام بذلك سروراً كثيراً، وكان يتعصّب لمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله ميلاً على غيرها، وجرت لمارية نكبة ـ كالتي ينسبها العامة إلى عائشة ـ فبرأها الإمام عليّ منها، وكشف الله بطلانها على يده، كل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما في نفسها منه، ثم مات ابراهيم فأبطنت شماتةً وإن أظهرت كآبة.

هذه الأسباب وغيرها أدت إلى وقوع الشحناء من طرف عائشة على أمير المؤمنين وزوجه الطاهرة فاطمة عليها السلام، ويؤكد ما قلنا إن عائشة لم تحضر عزاء بني

هاشم لما استشهدت سيّدة النساء فاطمة عليها السلام بل «نُقل إلى مولانا عليّ عليه السلام عنها كلام يدل على السرور»[1].

والحسد أعظم سبب أدّى إلى إظهار ضغينتها على آل البيت، فاستلزم إنكار خلافة الإمام عليّ عليه السلام لذا قال عليه السلام بما ذكرناه سابقاً: «ولو دُعيَتْ لتنال من غيري مثل ما أتت إليّ لم تفعل» أي: لو أن عمر وليَ الخلافة بعد قتل عثمان على الوجه الذي قتل عليه، والوجهِ الذي أنا وليت الخلافة عليه، ونسب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله، أو يحرّض عليه ـ ودعيتْ عائشة إلى أن تخرج عليه من عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام، تثير فتنةً وتنقض البيعة ـ لم تفعل، وهذا حق، لأنها لم تكن تَجد على عمر ما تجده على الإمام عليّ عليه السلام، وحال الإمام ليس كحال عمر.

لكنها جمعت الجيوش على مولى الثّقلين الذي حربه حرب الله، مع أن النبيّ صلى الله عليه وآله تفرّس بها يوماً بمحضر من نسائه، فقال: «ليت شعري أيّتكُنّ صاحبة الجمل الأدبب[2]، تنبحها كلاب الحوأب، يُقتلُ عن يمينها وشمالها قتلى كثيرة، كلّهم في النار وتنجو بعد ما كادت»[3].

لذا لمّا وصلت إلى الحوأب وهي منطقة قبل البصرة وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، نبحتها الكلاب، فنفرت صِعاب إبلها ومعها طلحة والزبير، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها! بكت وقالت: أهذا ماء الحوأب؟ قالوا: نعم، قالت: ردُّوني ردُّوني، فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله يقول: كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي، ثم قال لي: «إياكِ يا حميراء أن تكونيها» فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله فإنا قد جُزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست

---

(١) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج٩/ ١٣٤.

(٢) الجمل الأدبب: الكثير شعر الوجه.

(٣) شرح النهج ج٩/ ٢٠٤، والإمامة والسياسة ج١/ ٨٢ والبداية والنهاية/ ابن كثير ج٧/ ١٨٥.

على ماء الحوأب؟ فلفّق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جُعلاً، فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت أول شهادة زُور في الإسلام، ثم سارت عائشة لوجهها[1].

تراكمت كل هذه الأسباب لتشنّ عائشة حرباً لا هوادة فيها على الإمام عليّ حبيب الله ورسوله، بحجة المطالبة بدم عثمان، وكأنّ الإمام عليه السلام ـ بنظر عائشة ـ هو القاتل لعثمان، ولكنّه عذر يُخفي ضغائن تغلي في الصدور، وهل قُتل عثمان بالبصرة ليطلب دمه فيها؟ فقتلة عثمان كانوا في المدينة مع عائشة فلِمَ لم تقتص منهم عائشة هناك؟! مع أنّ عائشة وجماعتها كانوا من أشدّ الناس على عثمان، وأعظمهم إغراءً بدمه. ولكنها الخلافة التي نغّصت العيش عليها كيف وصلت إلى ابن أبي طالب عليه السلام بل يجب أن يبقى بعيداً عنها لأنها محرّمة على الهاشميين حيث لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد ـ حسبما صرّح عمر بن الخطاب لابن عبّاس ـ.

والعجب ثم العجب من الزبير الذي ذهب للبصرة للطلب بدم عثمان، مع أنه بايع أمير المؤمنين يوم مات رسول الله وهو آخذ قائم سيفه يقول: ما أحدٌ أحقُّ بالخلافة من عليّ عليه السلام ولا أولى بها منه، وامتنع من بيعة أبي بكر!

لقد نفثت عائشة عمّا يجول في صدرها يوم أقبلت على جملها، فنادت بصوت مرتفع: «أيُّها الناس، أقلّوا الكلام وأسكتوا، فأُسكت الناس لها، فقالت: إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غيّر وبدّل، ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قُتل مظلوماً تائباً، وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط، وتأميره الشبّان، وحمايته موضع الغمامة، فقتلوه محرماً في حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحاً كما يذبح الجمل، ألا وإنّ قريشاً رمتْ غرضَها بنبالها، وأدمتْ أفواهها بأيديها، وما نالت بقتلها إياه شيئاً، ولا سلكت به سبيلاً قاصداً، أما والله ليرونّها بلايا عقيمة تنبّه النائم، وتقيم

---

(١) نفس المصدر.

الجالس، وليُسلّطنّ عليهم قوم لا يرحمونهم ويسومونهم سوء العذاب.

أيُّها الناس، إنه ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحلّ به دمه! مُصْتمُوه كما يماصُ الثوب الرخيص، ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه، وبايعتم ابن أبي طالب بغير مشورة من الجماعة، ابتزازاً وغصباً، تراني أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه، ولا أغضب لعثمان من سيوفكم!

ألا إن عثمان قُتل مظلوماً فاطلبوا قتلته، فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم، ثم **اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب** ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان»[1].

إن مبايعة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ بنظر عائشة صاحبة الجمل ـ تعتبر ابتزازاً وغصباً من غير مشورة، وهو صاحب الحق، لكنها تغافلت عن خلافة أبيها كيف تمت غصباً وقهراً، بل لم تنظر إلى خلافة عمر التي تمت بمرسومٍ من أبيها؟! إنها الضغينة كما قال مولى الثقلين علي بن أبي طالب عليه السلام!

(1) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج9/ 207.

وقد ضرب عثمانُ عبدَ الله بن مسعود الصحابي[1] الجليل حتى أصيب بالفتق، وصار طريح الفراش ومات.

---

(١) قال البلاذري[1]:

حدّثني عباس بن هشام عن أبيه عن أبي مخنف وعوانة في إسنادهما: أنّ عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: مَنْ غيَّر غيَّر الله ما به، ومن بدّل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلاّ وقد غيّر وبدّل، أيُعزل مثل سعد بن أبي وقاص ويولّى الوليد؟ وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو:

«إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمّد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدَث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: إنه يعيبك ويطعن عليك، فكتب إليه عثمان يأمر بإشخاصه؛ فاجتمع الناس فقالوا: أقم ونحن نمنعك أنْ يصل إليك شيء تكرهه، فقال: «إنّ له عليَّ حق الطاعة ولا أحبّ أن أكون أوّل من فتح باب الفتن». وفي لفظ أبي عمر: «إنها ستكون أمور وفتن لا أحبّ أن أكون أوّل من فتحها». فردّ الناس وخرج إليه[2].

وقال البلاذري أيضاً:

وشيّعه أهل الكوفة فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن فقالوا له: جُزيت خيراً فلقد علّمتَ جاهلنا، وثبّت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل؛ ثم ودّعوه وانصرفوا. وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم فلما رآه قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دُويبة سوى من يمشي على طعامه يقيء ويسلح، فقال ابن مسعود:

---

(١) أنساب الأشراف ج٥/ ٣٦.

(٢) الاستيعاب ج١/ ٣٧٣.

لستُ كذلك ولكني صاحب رسول الله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان، ونادت عائشة: أي عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله؟ ثم أمر عثمان به فأُخرج من المسجد إخراجاً عنيفاً، وضرب به عبد الله بن زمعة الأرض، ويقال: بل احتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدُق ضلعه، فقال علي عليه السلام: يا عثمان! أتفعل هذا بصاحب رسول الله بقول الوليد بن عقبة؟ فقال: ما بقول الوليد فعلتُ هذا ولكن وجّهتُ زُبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال، فقال عليّ عليه السلام: أحلت عن زبيد على غير ثقة.

وفي لفظ الواقدي: أنّ ابن مسعود لمّا استقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلما علم عثمان بدخوله قال: أيُّها الناس أنه قد طرقكم الليلة دُويبة، من يمشي على طعامه يقيء ويسلح، فقال ابن مسعود: لستُ كذلك ولكني صاحب رسول الله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان وصاحبه يوم حنين، قال: وصاحت عائشة: يا عثمان! أتقول هذا لصاحب رسول الله؟ فقال عثمان: اسكتي! ثم قال لعبد الله بن زمعة: أخرجه إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعاً من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان!

قال البلاذري: وقام عليٌّ بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين برىء الغزو فمنعه من ذلك وقال له مروان: إنّ ابن مسعود أفسد عليك العراق، أفتريد أن يفسد عليك الشام؟ فلم يبرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بسنتين، وكان مقيماً بالمدينة ثلاث سنين.

وقال قوم إنه كان نازلاً على سعد بن أبي وقاص، ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائداً فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعوا لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال:

أفلا آمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه!! قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله، قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن، قال: أسأل الله أنْ يأخذ لي منك بحقي. وأوصى أنْ لا يصلّي عليه عثمان فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم فلمّا علم غضب، وقال: سبقتموني به؟ فقال له عمّار بن ياسر: إنه أوصى أن لا تصلّي عليه، فقال ابن الزبير:

لأعـرفنَّـك بعـد المـوت تنـدبنـي وفـي حيـاتـي مـا زوّدتنـي زادي

وفي لفظ ابن كثير[1] قال: جاءه عثمان في مرضه عائداً فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطائك؟ ـ وكان قد تركه سنتين ـ فقال: لا حاجة لي، فقال: يكون لبناتك من بعدك، فقال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي أنْ يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وإني سمعت رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] يقول: من قرأ الواقعة كلّ ليلة لم تصبه فاقة أبداً.

وقال البلاذري: كان الزبير وصيّ ابن مسعود في ماله وولده، وهو كلّم عثمان في عطائه بعد وفاته حتى أخرجه لولده، وأوصى ابن مسعود أن يصلّي عليه عمّار بن ياسر؛ وقومٌ يزعمون أنّ عماراً كان وصيّه ووصيّة الزبير أثبت.

وأخرج البلاذري أيضاً من طريق أبي موسى القروي بإسناده أنه دخل عثمان على ابن مسعود في مرضه فاستغفر كل واحد منهما لصاحبه، فلما انصرف عثمان قال بعض من حضر: إنّ دمه لحلال. فقال ابن مسعود: ما يسرّني أنني سددت إليه سهماً يخطئه وأنّ لي مثل أُحد ذهباً.

وقال الحاكم وأبو عمرو وابن كثير: أوصى ابن مسعود إلى الزبير بن العوام فيقال: إنه هو الذي صلّى عليه ودفنه بالبقيع ليلاً بإيصائه بذلك إليه ولم يعلم

---

(١) البداية والنهاية ج٧/ ١٦٣.

عثمان بدفنه، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك، وقيل: بل صلّى عليه عثمان، وقيل: عمّار[1].

وفي رواية ابن أبي الحديد المعتزلي[2] أنه لمّا حضر ابن مسعود الموت قال: مَنْ يتقبّل مني وصيّة أوصيه بها على ما فيها؟ فسكت القوم وعرفوا الذي يريد فأعادها، فقال عمّار: أنا أقبلها، فقال ابن مسعود: أنْ لا يصلّي عليّ عثمان، قال: ذلك لك. فيقال أنه لمّا دفن جاء عثمان منكراً لذلك فقال له قائل: إنّ عماراً وليّ الأمر، فقال لعمّار: ما حملك على أنْ لم تؤذنّي؟ فقال: عهد إليّ أنْ لا أوذنك. . . .

وفي لفظ اليعقوبي[3]: اعتلّ ابن مسعود فأتاه عثمان يعوده فقال له: ما كلام بلغني عنك؟ قال: ذكرت الذي فعلته بي أنك أمرت بي فوطىء جوفي فلم أعقل صلاة الظهر ولا العصر ومنعتني عطائي، قال: فإني أقيدك من نفسي فافعل بي مثل الذي فُعل بك، قال: ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء، قال: فهذا عطاؤك فخذه؛ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا غنيٌّ عنه، لا حاجة لي به! فانصرف، فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي.

وأخرج محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً في دفنه لأبي ذر[4].

وفي تاريخ الخميس[5]: حبس (عثمان) عبد الله بن مسعود وأبي ذر عطاءهما وأخرج أبا ذرّ إلى الربذة وكان بها إلى أنْ مات. وأوصى (عبد الله) إلى الزبير وأوصاه أنْ يصلّي عليه ولا يستأذن عثمان لئلاّ يصلّي عليه، فلما دفن وصل عثمان

---

(١) المستدرك ج٣/ ٣١٣ والاستيعاب ج١/ ٣٧٣ وتاريخ ابن كثير ج٧/ ١٦٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ج١/ ٢٣٦ ط/ مصر.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢/ ١٤٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ج١/ ٢٣٧.

(٥) نفس المصدر ج٢/ ٢٦٨.

ورثته بعطاء أبيهم خمس سنين. وأجاب بأن عثمان كان مجتهداً ولم يكن من قصده حرمانه وإنّما التأخير إلى غادية أدباً، أما مع حصول تلك الغاية أو دونها وصل به ورثته ولعله كان أنفع له.

وفي السيرة الحلبية[1] من جملة ما انتُقم به على عثمان أنه حبس عبد الله بن مسعود وهجره، وحبس عطاء أبيّ بن كعب، وأشخص عبادة بن الصامت من الشام لما شكاه معاوية، وضرب عمّار بن ياسر وكعب بن عبده ضربه عشرين سوطاً ونفاه إلى بعض الجبال، وقال لعبد الرحمن بن عوف: إنك منافق...».

وابن مسعود الذي فعل به عثمان حوباً كبيراً ليس له مبرر هو من نزل بحقهم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2] وهو من ضمن الثمانية عشر رجلاً ممن نزل فيهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3].

وورد عن الإمام عليّ عليه السلام مرفوعاً قال:

«عبد الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد».

وفي لفظ آخر: «والذي نفسي بيده لهما ـ يعني ساقي ابن مسعود ـ أثقل في الميزان من أُحد»[4].

وعن علقمة وعمر في حديث عن رسول الله قال: من سرّه أن يقرأ القرآن

---

(1) نفس المصدر ج٢/ ٨٧.

(2) سورة الأنعام: ٥٢ وراجع تفسير الطبري، وتفسير القرطبي وابن كثير والدر المنثور والخازن والشربيني والشوكاني.

(3) سورة آل عمران: ١٧٢ ولاحظ تفسير ابن كثير والخازن.

(4) مستدرك الحاكم ج٣/ ٣١٧، حلية الأولياء ج١/ ١٢٧، الاستيعاب ج١/ ٣٧١، تاريخ ابن كثير ج٧/ ١٦٣، الإصابة ج٢/ ٣٧٠.

غضّاً أو رطباً كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد[1] ـ أي ابن مسعود ـ.

وأخرج أحمد في مسنده من طريق عمرو بن العاص قال:

مات رسول الله وهو يحب عبد الله بن مسعود وعمّار بن ياسر[2].

وأخرج الشيخان والترمذي عن أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن وما نرى ابن مسعود إلاّ أنه رجلٌ من أهل بيت النبيّ لما نرى من دخوله ودخول أمّه على النبيّ ﷺ[3].

وفي لفظ البخاري عن حذيفة بن اليمان قال:

«ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله من ابن أمّ عبد»[4].

هذا هو ابن مسعود، ذو العلم والهدى والسمت والصلاح، كانت سيرته الدؤوب على نشر علم القرآن وسنّة الرسول وتعليم الجاهل، وتنبيه الغافل وتثبيت القلوب، وشدّ أزر الدين، في كل ذلك هو شبيه رسول الله في هديه وسمته ودلّه، فلا تجد فيه مغمزاً لغامز، ولا محلاً للمز وهمز، وقد بعثه عمر إلى الكوفة ليعلّمهم أمور دينهم، وبعث عمّاراً أميراً وكتب إليهم: إنهما من النجباء من أصحاب محمّد من أهل بدر، فاقتدوا بهما واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي[5].

وقد يسأل سائل: لماذا يحرم هذا البدريّ العظيم عطاؤه سنين؟ ثم يأتيه من سامه سوء العذاب وقد خالجه الندم ولات حين مندم متظاهراً بالصلة فلا يقبلها ابن

---

(١) حلية الأولياء ج١/ ١٢٤. مستدرك الحاكم ج٣/ ٣١٨.

(٢) مسند أحمد ج٤/ ٢٠٣.

(٣) مستدرك الحاكم ج٣/ ٣١٤، مصابيح السنّة ج٢/ ٢٨٤، تيسير الوصول ج٣/ ٢٧٩ نقلاً عن الشيخين والترمذي، تاريخ ابن كثير ج٧/ ١٦٢، الإصابة ج٢/ ٣٦٩.

(٤) صحيح البخاري: كتاب المناقب.

(٥) الاستيعاب ج١/ ٣٧٣ والإصابة ج٢/ ٣٦٩.

مسعود وهو في منصرم عمره، ويسأل ربه أن يأخذ له منه بحقه، ثم يتوجه إلى النعيم الخالد معرضاً عن الحطام الزائل، موصياً بأن لا يصلّي عليه من نال منه ذلك النيل الفجيع. لماذا فُعل به هذا؟ ولماذا شُتم على رؤوس الأشهاد؟ ولماذا أُخرج من مسجد رسول الله مهاناً عنفاً، ولماذا ضُرب به الأرض فدُقّت أضالعه؟ ولما بطشوا به بطش الجبارين؟!

كل ذلك لأنه امتنع عن أن يبيح للوليد بن عقبة الخالع الماجن من بيت مال الكوفة يوم كان عليه ما أُمر به، فألقى مفاتيح بيت المال لمّا لم يجد من الكتاب والسنّة ـ وهو العليم بهما ـ مساغاً لهاتيك الإباحة ولا لأثرة الآمر بها، وعلم أنها سوف تتبعها من الأعطيات التي لا يقرّها كتاب ولا سنّة، فتسلل عن عمله وتنصّل، وما راقه أن يبوء بذلك الإثم، فلهج بما علم، وأبدى معاذيره في إلقاء المفاتيح، فغاظ تلكم الأحوال داعية الشهوات وشاخص الهدى الوليد بن عقبة، فكتب في حقه ونمَّ وسعى، فكان من ولائد ذلك أن ارتكب من ابن مسعود ما عرفت، ولم تمنع عن ذلك سوابقه في الإسلام وفضائله وفواضله وعلمه وهديه وورعه ومعاذيره وحججه، فضلاً على أن يُشكر على ذلك كله، فأوجب نقمة الصحابة على مَنْ نال ذلك منه، وإنكار مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وصيحة عائشة في خدرها، ولم تزل البغضاء محتدمة على هذه وأمثالها حتى كان في مغبّة الأمر ما لم يحمده خليفة الوقت وزبانيته الذين جرّوا إليه الويلات.

ولو ضرب المسيطر على الأمر صفحاً عن الفظاظة في الانتقام، أو أعار لنصح صلحاء الأمة أذناً واعية، أولم يستبدل بجراثيم الفتن عن محنكي الرجال، أولم ينبذ كتاب الله وسنة نبيه وراء ظهره، لما استقبله ما جرى عليه وعلى من اكتنفه من الوأد والهوان لكنّه لم يفعل ففعلوا، ولمحكمة العدل الإلهي غداً حكمها البات.

ولابن مسعود عند القوم مظلمةٌ أخرى وهي جلده أربعين سوطاً في موقف آخر، لماذا كان ذلك؟ لأنه دفن أبا ذر لمّا حضر موته في حجته، وجد بالربذة في

ذلك الوادي القفر الوعر ميتاً كان في الغارب والسنام من العلم والإيمان.

وجد صحابياً عظيماً كان رسول الله يقرّبه ويُدنيه قد فارق الدنيا.. وجد مثالاً للقداسة والتقوى، فتمثّل أمام عينيه تلك الصورة المكبّرة التي كان يشاهدها على العهد النبوي.

وجد شبيه عيسى بن مريم في الأمة المرحومة هدياً وسمتاً ونُسكاً وزهداً وخُلقاً، طرده خليفة الوقت عن عاصمة الإسلام.

وجد عزيزاً من أعزاء الصحابة على الله ورسوله وعلى المؤمنين قد أودى على مستوى الهوان في قاعة المنفى مظلوماً مضطهداً.. وجد في قارعة الطريق جثمان طيّب طاهر غريب وحيد نازح عن الأوطان تصهره الشمس، وتسفي عليه الرياح، وذكر قول رسول الله: رحم الله أبا ذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده. فلم يدع العلم والدين ابن مسعود ومن معه من المؤمنين أن يمروا على ذلك المنظر الفجيع دون أن يمتثلوا حكم الشريعة بتعجيل دفن جثمان كل مسلم فضلاً عن أبي ذر الذي بشر بدفنه صلحاء المؤمنين رسولُ الله، فنهضوا بالواجب فأودعوه في مقره الأخير والعيون عبرى، والقلوب واجدة على ما ارتكب من هذا الإنسان المبجّل، فلما هبطوا يثرب، نقم على ابن مسعود من نقم على أبي ذر، فحسب ذلك الواجب الذي ناء به ابن مسعود حوباً كبيراً، حتى صدر الأمر بجلده أربعين سوطاً، وذلك أمرٌ لا يُفعل بمن دفن زنديقاً لطمّ جيفته، فضلاً عن مسلم لم يبلغ مبلغ أبي ذر من العظمة والعلم والتقوى والزلفة، فكيف بمثل أبي ذر وعاء العلم وموئل التقوى ومنبثق الإيمان، وللعداء مفعولٌ قد يبلغ أكثر من هذا.

وقد سفّر أبا ذر الغفاري[1]، ذلك الصحابي الجليل الذي قال فيه الرسول: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر» ونفاه وأبعده من المدينة إلى الشام مرة أو مرتين ثم إلى الربذة ـ وهي أرض جرداء بين مكة والمدينة ـ حتى مات أبو ذر في الربذة جوعاً وعطشاً، في الوقت الذي كان عثمان يتقلّب في بيت مال المسلمين ويوزّع الأموال على أقاربه من الأمويين والمروانيين!

---

(١) قال ابن الأثير:

[جندب بن جنادة بن سفيان بن عُبيد بن حرام بن غفار بن مُليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وقيل غير ذلك، كنيته أبو ذر الغفاري، وأسلم والنبيّ بمكّة أول الإسلام، فكان رابع أربعة، وهو أول من حيّا رسول الله بتحية الإسلام، ولمّا أسلم رجع إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى هاجر النبيّ فأتاه بالمدينة وصحبه إلى أن مات، وكان يعبد الله قبل مبعث النبيّ بثلاث سنين، وبايع النبيّ ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم، وعلى أن يقول الحق وإن كان مرّاً.

أخبرنا إبراهيم بن محمّد... عن عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق من أبي ذر».

وروي أن النبيّ قال: «أبو ذر يمشي على الأرض في زهد عيسى بن مريم»][1].

استقدمه عثمان من الشام لشكوى معاوية منه، فأسكنه الربذة حتى مات بها.

وروى إبراهيم بن الأشتر، عن أبيه، عن زوجة أبي ذر، أن أبا ذر حضره

---

(١) أسد الغابة ج١/ ٥٦٢.

الموت وهو بالربذة، فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: أبكي أنه لا بدّ لي من تكفينك وليس عندي ثوب يسع لك كفناً، فقال: لا تبكي، فإني سمعت رسول الله ذات يوم، وأنا عنده في نفر يقول: «ليموتن رجلٌ منكم بفلاة من الأرض، تشهده عصابة من المؤمنين» فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، ولم يبق غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق، فإنك سوف ترين ما أقول لك، وإني والله ما كذبت ولا كُذِبتُ، قالت: وأنى ذلك وقد انقطع الحاج! قال: راقبي الطريق، فبينما هي كذلك إذ هي بقوم تخب بهم رواحلهم كأنهم الرّخم. . . »[1].

أخرج ابن سعد من طريق عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: صليت قبل الإسلام قبل أن ألقى رسول الله ثلاث سنين، فقلت: لمن؟ قال: لله، فقلت: أين توجّه؟ قال: أتوجّه حيث يوجهني الله.

وأخرج من طريق أبي معشر نجيح قال: كان أبو ذر يتألّه في الجاهلية ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد الأصنام، فمرّ عليه رجل من أهل مكة بعدما أوحي إلى النبيّ ﷺ فقال: يا أبا ذر: إن رجلاً بمكة يقول مثل ما تقول: لا إله إلا الله، ويزعم أنه نبي[2].

مدحه النبيّ ﷺ كثيراً وفي مواضع متعددة، وتكفي مقالته المشهورة فيه: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء بعد النبيين أصدق من أبي ذرّ»[3].

وأخرج الطبراني مرفوعاً إلى النبيّ قال:

«من سرّه أن ينظر إلى شبه عيسى خَلقاً وخُلقاً فلينظر إلى أبي ذر»[4].

---

(١) أسد الغابة ج١/ ٥٦٤.

(٢) الطبقات ج٤/ ١٦١.

(٣) لفظ ابن ماجة في السنن ج١/ ٦٨.

(٤) مجمع الزوائد ج٩/ ٣٣٠ وكنز العمال ج٦/ ١٦٩.

روى البلاذري فقال:

«لما أعطى عثمان مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطى زيد بن ثابت الأنصاري مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشّر الكانزين بعذاب أليم، ويتلو قول الله عزّ وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

فرفع ذلك مروان بن الحكم إلى عثمان، فأرسل إلى أبي ذر ناتلاً مولاه: أن انته عمّا بلغني عنك، فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله؟ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخيرٌ لي من أن أسخط الله برضاه، فأغضب عثمان ذلك فصيّره إلى الشام، ولكن معاوية بالشام لم يعجبه وجود أبي ذر، فبعث إلى عثمان مكاتباً يقول له: إن أبا ذر تجتمع إليه الجموع ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب إليه عثمان: يحمله. فحمله على بعير قتبٌ يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به حتى أتوا به المدينة قد تسلّخت بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك، فقال: هيهات لن أموت حتى أنفى.

فلما دخل إلى عثمان وعنده جماعة قال:

بلغني أنك تقول؛ سمعت رسول الله يقول: إذا كملت بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دغلاً؟ فقال: نعم سمعت رسول الله يقول ذلك، فقال لهم: أسمعتم رسول الله يقول ذلك؟

فبعث إلى الإمام عليّ عليه السلام فأتاه فقال: يا أبا الحسن! أسمعت رسول الله يقول ما حكاه أبو ذر؟ وقصّ عليه الخبر، فقال الإمام عليّ: نعم، قال: فكيف تشهد؟ قال لقول رسول الله: ما أظلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق

---

(١) سورة التوبة: ٣٤.

من أبي ذر، فلم يقم بالمدينة إلاّ أياماً حتى أرسل إليه عثمان فقال له: والله لتخرجنّ عنها، قال: أتخرجني من حرم رسول الله؟ قال: نعم وأنفك راغم، قال: فإلى مكّة؟ قال: لا، قال: فإلى البصرة؟ قال: لا، قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا، ولكن إلى الربذة التي خرجت منها حتى تموت فيها، يا مروان! اخرجه ولا تدع أحداً يكلّمه حتى يخرج فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته، فخرج الإمام عليّ والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر ينظرون، فلمّا رأى أبو ذر الإمام علياً قام إليه فقبّل يده ثم بكى وقال: إني إذ رأيتك ورأيت ولدك ذكرت قول رسول الله فلم أصبر حتى أبكي، فذهب الإمام عليّ يكلّمه، فقال مروان: إن أمير المؤمنين عثمان قد نهى أن يكلّمه أحدٌ، فرفع الإمام عليه السلام السوط فضرب وجه ناقة مروان وقال: تنحّ نحاك الله إلى النار، ثم شيّعه وكلّمه بكلام يطول شرحه.. ثم ودّع الإمام عليه السلام أبا ذر وقال له: «يا أبا ذر إنك غضبت لله فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم، وما أغناك عمّا منعوك، وستعلم من الرابح غداً، والأكثر حسداً، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، لا يؤنسنّك إلا الحق، ولا يوحشنّك إلاّ الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمّنوك»[1].

واقعة أبي ذر وإخراجه إلى الربذة، أحد الأحداث التي نقمت على عثمان. ولقد جاء الخليفة عثمان ببدعة عندما استأثر بمال المسلمين ووزعه على أقربائه وبني عمومته وأخواله، وهذه سيرة لم يسبقه إليها أحد ممن تقدّمه وإن كانوا كرماء مع من يسايرهم ويسير في ركبهم، لكنّ عثمان كان أكرمهم مع أقربائه الأمويين، فقد خالف كتاب الله وسنّة رسوله في العطاء، حيث إن الله يقول:

(١) نهج البلاغة ج٢/ ١٧ خطبة ١٢٧ محمّد عبده.

﴿ ۞ وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[(١)].

﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[(٢)].

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[(٣)].

وكان النبيّ ﷺ يصل رحمه بمال يستوي فيه المسلمون كلهم، ولكل فرد من المسلمين منه حق معلوم للسائل والمحروم، لا يسوغ في شرعه الحق وناموس الإسلام المقدس حرمان أحد من نصيبه وإعطاء حقه لغيره من دون مرضاته.

جاء عن رسول الله في الغنائم: لله خمسه، وأربعة أخماس للجيش، وما أحد أولى به من أحد، ولا السهم تستخرجه من جنبك، ليس أنت أحق به من أخيك المسلم[(٤)].

وكان ﷺ: إذا جاءه فيءٌ قسّمه من يومه فأعطى ذا الأهل حظين، وأعطى العزب حظاً[(٥)].

والسنّة الثابتة في الصدقات أن أهل كل بيئة أحقّ بصدقتهم ما دام منهم ذو حاجة، وليست الولاية على الصدقات للجباية إلى عاصمة الخلافة، وإنما هي للأخذ من الأغنياء والصرف في فقراء محالّها.

---

(١) سورة الأنفال: ٤١.

(٢) سورة التوبة: ٦٠.

(٣) سورة الحشر: ٦ ـ ٧.

(٤) سنن البيهقي ج٦/ ٣٢٤.

(٥) سنن أبي داود ج٢/ ٢٥، مسند أحمد ج٦/ ٢٩، سنن البيهقي ج٦/ ٣٤٦.

ومن كتاب لمولانا أمير المؤمنين إلى قثم بن العبّاس يوم كان عامله على مكّة: «وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى مَن قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيباً به مواضع الفاقة والخلّات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسّمه فيمن قبلنا»[1].

وقال عليه السلام لعبد الله بن زمعة لمّا قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً: «إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيءٌ للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم وإلاّ فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم»[2].

وأتي عليّاً أمير المؤمنين مالٌ من أصبهان فقسمه بسبعة أسباع، ففضل رغيفٌ فكسره بسبع فوضع على كل جزء كسرة ثم أقرع بين الناس أيُّهم يأخذ أوّل[3].

وأتته عليه السلام امرأتان تسألانه: عربيّة ومولاة لها، فأمر لكل واحد منها بكرّ من طعام وأربعين درهماً أربعين درهماً، فأخذت المولاة الذي أُعطيت وذهبت، وقالت العربية: يا أمير المؤمنين! تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قال لها «الإمام» عليّ رضي الله عنه: إني نظرت في كتاب الله عزّ وجلّ فلم أرَ فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق[4].

ولذلك كلّه كانت الصحابة لا ترتضي من عمر بن الخطّاب تقديمه بعضاً من الناس على بعض في الأموال بمزيّة معتبرة كان يعتبرها فيمن فضّله على غيره كتقديم زوجات النبيّ أمهات المؤمنين على غيرهنّ، والبدري على من سواه، والمهاجرين على الأنصار، والمجاهدين على القاعدين من دون حرمان أي أحد

---

(١) نهج البلاغة/ صبحي الصالح ص٤٥٧ خ٦٧.
(٢) نهج البلاغة/ صبحي الصالح ص٣٥٣ خ٢٣٢.
(٣) سنن البيهقي ج٦/ ٣٤٨.
(٤) سنن البيهقي ج٦/ ٣٤٩.

منهم، وكان يقول على صهوات المنابر: من أراد المال فليأتني فإن الله جعلني له خازناً[1].

وسنّة الله وسنة رسوله تأمران بالعدل في توزيع الثروة، فيُعطى المستحق، لكن الخليفة عثمان نسي ما في الكتاب، وشذّ عمّا جاء به النبي الأقدس في الأموال، وتزحزح عن العدل والنصفة، وقدّم أبناء بيته الساقط، أثمار الشجرة الملعونة في كتاب الله، رجال العيث والعبث، والخمور والفجور، من فاسق إلى لعين، إلى حلّاف مهين همّاز مشاء بنميم، وفضّلهم على أعضاء الصحابة وعظماء الأمة الصالحين، وكان يهب من مال المسلمين لأحد قرابته قناطير مقنطرة من الذهب والفضة من دون كيل ووزن، ويؤثرهم على من سواهم كائناً من كان من ذي قربى رسول الله وغيرهم، ولم يكن يجرأ أحد عليه بالأمر المعروف والنهي عن المنكر لما كان يرى من سيرته الخشنة مع اولئك القائمين بذلك الواجب، ويشاهد فيهم من الهتك والتغريب والضرب بدرّة كانت أشدّ من الدرّة العمريّة مشفوعة بالسوط والعصا.

لقد تمخّض عن سياسة عثمان أمران:

(الأول): ابتداعه للأحكام اجتهاداً منه في مقابل النص، وقد سبقه إليه مَنْ تقدّمه، ومَنْ لهما الفضل عليه لاستلامه السلطة، منها:

(اتخاذ الخليفة الحمى له ولذويه): والحمى هي منابت العشب من مساقط الغيث والمروج، وهي شرع سواء بين المسلمين إذا لم يكن لها مالكٌ مخصوص، كما هو الأصل في المباحات الأصلية من أجواز الفلوات وأطراف البراري، فترتع فيها مواشيهم وترعى إبلهم وخيلهم من دون أي مزاحمة بينهم، وليس لأيّ أحدٍ أن يحمي لنفسه حمى فيمنع الناس عنه، قال رسول الله ﷺ:

«المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار»،

---

(١) الأموال لأبي عبيد ص٢٢٤.

وقال: ثلاثٌ لا يُمنعن: الماء والكلأ والنار.

وقال: لا يُمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ. وفي لفظ: لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلا.

وقد كان في الجاهلية يحمي الشريف منهم ما يروقه من قِطَع الأرض لمواشيه وإبله خاصة فلا يشاركه فيه أحدٌ وإن شاركهم هو في مراتعهم، وكان هذا من مظاهر التجبر السائد عندئذ، فاكتسح رسول الله ذلك فيما اكتسحه من عادات الطواغيت وتقاليد الجبابرة فقال ﷺ: لا حمى إلاّ لله ولرسوله[1].

وقال الشافعي في تفسر الحديث: كان الشريف من العرب في الجاهلية إذا نزل بلداً في عشيرته، استعوى كلباً فحمى لخاصته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره فلم يرعه معه أحد، وكان شريك القوم في سائر المراتع حوله، قال: فنهى النبيُّ أن يُحمى على الناس حمىً كما كانوا في الجاهلية يفعلون. قال: وقوله: إلا لله ولرسوله: أي إلاّ ما يُحمى لخيل المسلمين وركابهم التي ترصد للجهاد ويُحمل عليها في سبيل الله وإبل الزكاة كما حمى عمر النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدّة في سبيل الله»[2].

كان هذا الناموس متسالماً عليه بين المسلمين حتى تقلّد عثمان الخلافة فحمى لنفسه دون إبل الصدقة، ولبني أمية. قال ابن أبي الحديد: حمى عثمان الرعى حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلهم إلاّ عن بني أمية[3].

وقال الواقدي: كان عثمان يحمي الربذة والشرف والنقيع، فكان لا يدخل الحمى بعيرٌ له ولا فرس ولا لبني أميّة حتى كان آخر الزمان، فكان يحمي الشرف لإبله، وكانت ألف بعير، ولإبل الحكم بن أبي العاص، ويحمي الربذة لإبل

---

(١) صحيح البخاري ج٣/ ١١٣ والأموال لأبي عبيد ص٢٩٤.

(٢) كتاب الأم للشافعي ج٣/ ٢٠٨، معجم البلدان ج٣/ ٣٤٧، نهاية ابن الأثير ج١/ ٢٩٧.

(٣) شرح النهج ج١/ ٦٧.

الصدقة، ويحمي النقيع لخيل المسلمين وخيله وخيل بني أميّة.

نقم ذلك المسلمون على عثمان فيما نقموه عليه، وعدّته عائشة مما أنكروه عليه، فقالت: «وإنّا عتبنا عليه كذا وموضع الغمامة المحماة وضربه بالسوط والعصا، فعمدوا إليه حتى إذا ماصوه كما يماص الثوب».

قال ابن منظور في لسان العرب في ذيل الحديث:

الناس شركاء فيما سقته السماء من الكلا إذا لم يكن مملوكاً فلذلك عتبوا عليه.

كانت في اتخاذ الخليفة الحمى جدّة وإعادة لعادات الجاهلية الأولى التي أزاحها نبيُّ الإسلام وجعل المسلمين في الكلا مشتركين، وقال: ثلاثة يبغضهم الله، وعدّ فيهم! من استنّ في الإسلام سنّة الجاهلية[1].

وكان حقاً على الرجل أن يحمي حمى الإسلام قبل حمى الكلا، ويتخذ ما جاء به الرسول سنّة متبعة ولا يحيي سنّة الجاهلية، ولن تجد لسنّة الله تحويلاً، ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

ومنها: (اقتطاع عثمان منطقة فدك لمروان بن الحكم).

قال أبو الفداء:

مما نقم الناس على عثمان قطعه فدك لروان وهي صدقة رسول الله التي طلبتها فاطمة ميراثاً، فروى أبو بكر ـ كذباً ـ عن رسول الله: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة، ولم تزل فدك في يد مروان وبنيه إلى أن تولّى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردّها صدقة[2].

---

(١) بهجة النفوس/ الحافظ ابن أبي حمزة ج٤/ ١٩٧.

(٢) تاريخ أبي الفداء ج١/ ١٦٨ وزاد في العقد الفريد ج٢/ ٢٦١ بقوله: وافتتح افريقيا وأخذ خمسه فوهبه لمروان بن الحكم.

قال ابن أبي الحديد:

وأقطع عثمان مروان فدك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارة بالميراث، وتارة بالنحلة فدفعت عنها.

ونحن لا نعرف كنه هذا الإقطاع وحقيقته، حيث لا مبرر له سوى غضب أموال الناس باسم الإسلام والحكومة الإسلامية، فإن فدكاً إن كانت فيئاً للمسلمين كما ادّعاه أبو بكر، فما وجه تخصيصه بمروان؟ وإن كانت ميراثاً لآل رسول الله كما احتجت له الصديقة الطاهرة في خطبتها الشريفة، واحتج له أئمة الهدى عليهم السلام وفي مقدمتهم سيّد الخلق أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام، فليس مروان منهم، ولا كان للخليفة فيه رفع ووضعٌ، وإن كان نحلة من رسول الله لبضعته الطاهرة فاطمة المعصومة صلوات الله عليها كما إدّعته ـ ودعواها عين الحقيقة وشرفها ـ وشهد لها أمير المؤمنين وإبناها الإمامان السبطان وأم أيمن المشهود لها بالجنة فردّت شهادتهم بما لا يرضي الله ولا رسوله، وإذا ردّت شهادة أهل آية التطهير فبأي شيء يعتمد؟ وعلى أي حجة يعوّل؟ فإن كانت فدك نحلة فأي مساس بها لمروان؟ وأيّ سلطة عليها لعثمان حتى يقطعها لمروان؟.

(الثاني): ومما تمخّض عن سياسة عثمان هو قضمه للأموال والصدقات وتوزيعها كما يحلو له فكره، حيث كان يحسب نفسه وليّ المسلمين على مال الله، يضعه حيث يشاء ويفعل فيه ما يريد، فقام كما قال مولانا أمير المؤمنين: «نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع»[1].

وكان يصل رحمه بمال يستوي فيه المسلمون كلهم، ولكلّ فرد من أفراد الأمة حق معلوم للسائل والمحروم، لا يسوغ شرعاً وعقلاً حرمان أحد من نصيبه وإعطاء حقه لغيره من دون مرضاته.

---

(١) نهج البلاغة/ صبحي الصالح ص٤٩ خطبة ٣.

لقد أسبغ عثمان على الحكم بن أبي العاص ـ وهو طريد رسول الله ـ الكثير من العطاء، مع تقرّبه منه، «فقد أعطى صدقات قضاعة الحكم بن أبي العاص عمه طريد النبيّ بعدما قرّبه وأدناه وألبسه يوم قدم المدينة، وعليه فزرٌ[1] خلق وهو يسوق تيساً والناس ينظرون إلى سوء حاله وحال من معه حتى دخل دار الخليفة ثم خرج وعليه جبّة خز وطيلسان»[2].

وقال البلاذري:

إن ابن عبّاس قال: كان مما أنكروا على عثمان أنه ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة، فبلغت ثلاثة مائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها[3].

وقال ابن قتيبة وابن عبد ربّه والذهبي:

ومما نقم الناس على عثمان أنه آوى طريد النبيّ الحكم ولم يأوه أبو بكر وعمر وأعطاه مائة ألف.

والحكم بن أبي العاص كان خصّاءً يخصي الغنم، وأحد جيران رسول الله بمكة، من اولئك الأشداء عليه ﷺ المبالغين في إيذاءه، شاكلة أبي لهب كا قاله ابن هشام في سيرته ج٢/ ٢٥، وأخرج الطبراني من حديث عبد الرحمان بن أبي بكر قال: كان الحكم يجلس عند النبيّ فإذا تكلم اختلج، فبصر به النبيّ فقال: كن كذلك، فما زال يختلج حتى مات.

وفي لفظ مالك بن دينار: مر النبيّ بالحكم فجعل الحكم يغمز بالنبيّ باصبعه، فالتفت فرآه فقال: اللهم اجعل به وزغاً[4]، فرجف مكانه وارتعش. وزاد الحلبي: بعد أن مكث شهراً مغشياً عليه[5].

---

(١) الفزر: الثوب البالي.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢/ ٤١.

(٣) الأنساب ج٥/ ٢٨.

(٤) الوزغ: الارتعاش والرعدة.

(٥) الإصابة ج١/ ٣٤٥، السيرة الحلبية ج١/ ٣٣٧.

وروى البلاذري:

إن الحكم بن أبي العاص كان جاراً لرسول الله في الجاهلية وكان أشد جيرانه أذىً له في الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة، وكان مغموصاً عليه في دينه، فكان يمرُّ خلف رسول الله فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه، وإذا صلّى قام خلفه فأشار بأصابعه، فبقي على تخليجه وأصابته خبلةٌ، واطّلع على رسول الله ذات يوم وهو في بعض حجر نسائه فعرفه وخرج إليه بعنزة وقال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين؟ ثم قال: لا يساكنني ولا ولده فغرّبهم جميعاً إلى الطائف، فلما قبض رسول الله كلّم عثمان أبا بكر فيهم وسأله ردّهم فأبى ذلك، وقال: ما كنت لآوي طرداء رسول الله، ثم لمّا استخلف عمر كلّمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر، فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة وقال: قد كنت كلّمت رسول الله فيهم وسألته ردّهم فوعدني أن يأذن لهم فقبض قبل ذلك، فأنكر المسلمون عليه إدخاله إياهم المدينة[1].

وأخرج ابن مردويه عن عائشة أنها قالت لمروان:

سمعت رسول الله يقول لأبيك وجدك «أبي العاص بن أمية» إنكم الشجرة الملعونة في القرآن[2].

وقالت عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت بعضُ من لعنه الله، ثم قالت: والشجرة الملعونة في القرآن.

وهلمّ نسائل عثمان في إيواء لعين رسول الله وطريده (الحكم) وبمسمع منه ومرأى نزول القرآن فيه واللعن المتواصل من مصدر النبوة عليه وعلى من تناصل منه عدا المؤمنين، وقليلٌ ما هم، ما هو المبرّر لعمله هذا وردّه إلى مدينة الرسول؟ وقد طرده رسول الله وأبناءه منها تنزيهاً لها من تلكم الأرجاس والأدناس الأمويّة،

(١) الأنساب ج٥/ ٢٧.
(٢) الدر المنثور ج٤/ ١٩١ وسيرة الحلبي ج١/ ٣٣٧.

وقد سأل أبا بكر وبعده عمر أن يردّاه فقال كل منهما: لا أحلُّ عقدة عقدها رسول الله[1].

ألم تكن للخليفة أسوة في رسول الله؟ والله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

أوكان قومه وحامّته أحبّ إليه من الله ورسوله؟ ثم ما هو المبرّر لتخصيص الرجل بتلك المنحة الجزيلة من حقوق المسلمين وإعطياتهم؟ بعد تأمينه على أخذ الصدقات المشترط فيه الثقة والأمانة، واللعين لا يكون ثقة ولا أميناً.

ثم نسائل الخليفة عثمان على تقريره لما ارتكبه من حمل صدقات قضاعة إلى دار الخلافة وقد ثبت في السنّة أنها تقسّط على فقراء المحلّ وعليها أتت الأقوال، قال أبو عبيد: والعلماء اليوم مجمعون على هذه الآثار كلها: إن أهل كل بلد من البلدان، أو ماء من المياه أحقُّ بصدقتهم ما دام فيهم من ذوي الحاجة واحد فما فوق ذلك، بذلك جاءت الأحاديث مفسرة[3].

ألم يكن في قضاعة ذو حاجة فيُعطى؟ أولم يكن في المدينة الطيبة من فقراء المسلمين أحدٌ فيقسّم ذلك المال الطائل بينهم بالسوية؟ وإنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها، فتخصيصها للحكم لماذا؟

وهلمّ معي إلى المسكين صاحب المال تؤخذ منه الصدقات شاء أو أبى وهو يعلم مصبّ تلكم الأموال ومدرّها من أيدي اولئك الجبابرة أو الجباة أصحاب الجباه السود نظراء الحكم ومروان والوليد وسعيد وما يرتكبونه من فجور ومجون، وبعد لم ينقطع من أذنه صدى ما ارتكبه خالد بن الوليد سيف الشيطان المسلول مع مالك بن نويرة وحليلته وذويه وما يملكه، وكان يسمع من وحي الكتاب قوله

(١) الأنساب للبلاذري ج٢/ ٢٧ والرياض النضرة ج٢/ ١٤٣ وأسد الغابة ج٢/ ٣٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) الأموال: ص٥٩٦.

تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

فهل يرى المسلمون أن هذا الأخذ يطهّره ويزكّيه؟ لا حكم إلا لله.

فإعطاء الصدقات لاولئك الأمراء من أظهر مصاديق الإعانة على الإثم والعدوان. ثم إن الصدقات كضرائب مالية في أموال الأغنياء لإعاشة الضعفاء من الأمة، قال مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

إن الله عزّ وجلّ فرض على الأغنياء في أموالهم ما يكفي الفقراء، فإن جاعوا أو عروا أو جهدوا فبمنع الأغنياء، وحقٌ على الله تبارك وتعالى أن يحاسبهم ويعذّبهم[2].

وفي لفظ آخر قال عليه السلام:

إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني، والله سائلهم عن ذلك[3].

ثم إن عثمان يدّعي أن رسول الله وعده ردَّ الحكم بعد أن فاوضه في ذلك، إن كان هذا الوعد صحيحاً فلِمَ لم يعلم به أحد غيره؟ ولا عرفه الشيخان قبله، وهلاّ رواه لهما حين كلّمهما في ردّه فجبهاه بما عرفت؟ أو أنهما لم يثقا بتلك الرواية؟ فهذه مشكلة أخرى.

كما أن عثمان أعطى مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن عمه وصهره من ابنته أمّ أبان خُمس غنائم افريقية وهو خمسمائة ألف دينار[4].

وروى البلاذري:

عن عبد الله بن الزبير قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين افريقية، فأصاب

---

(١) سورة التوبة: ١٠٣.

(٢) الأموال لأبي عبيد ص٥٩٥، المحلّى لابن حزم ج٦/ ١٥٨.

(٣) نهج البلاغة شرح صبحي الصالح ص٥٣٣ رقم الكلمة ٣٢٨.

(٤) تاريخ أبي الفداء ج١/ ١٦٨.

عبد الله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان مروان بن الحكم خمس الغنائم.

وفي رواية الطبري عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابن كعب قال:

لمّا وجّه عثمان عبد الله بن سعد إلى افريقية كان الذي صالحهم عليه بطريق افريقية (جرجير) الفي ألف دينار وخمسمائة الف دينار وعشرين الف دينار، فبعث ملك الروم رسولاً وأمره أن يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار كما أخذ منهم عبد الله بن سعد، إلى أن قال: كان الذي صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمائة قنطار ذهب، فأمر بها عثمان لآل الحكم[1].

وروى البلاذري وابن سعد: أن عثمان كتب لمروان بخمس مصر وأعطى أقرباءه المال وتأوّل في ذلك الصلة التي أمر الله بها، واتخذ الأموال واستسلف من بيت المال وقال: إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإني أخذته فقسّمته في أقربائي، فأنكر الناس عليه ذلك[2].

وقال ابن أبي الحديد:

«فإنه ـ أي عثمان ـ أوطأ بني أميّة رقاب الناس، وولاّهم الولايات وأقطعهم القطائع، وافتُتحت افريقية في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان، وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة، فأعطاه أربعمائة الف درهم وأعاد الحكم ابن أبي العاص، بعد أن كان رسول الله قد سَره ثم لم يردّه أبو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة الف درهم.

وتصدّق رسول الله بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم.

---

(١) تاريخ الطبري ج٥/ ٥٠.

(٢) طبقات ابن سعد ج٣/ ٤٤ ط/ ليدن، الأنساب للبلاذري ج٥/ ٢٥.

وأقطع مروان فدك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارة بالميراث، وتارة بالنحلة فدُفعت عنها.

- وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلاّ عن بني أميّة.

وأعطى عبد الله بن سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب ـ وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة ـ من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي الف من بيت المال، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوّجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى، فقال عثمان: أتبكي أن وصلتُ رحمي! قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم، فإنّا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسّمها كلها في بني أمية، وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه.

وانضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير أبي ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه، وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر في إقامة الحدود ورد المظالم، وكف الأيدي العادية، والانتصاب لسياسة الرعية، وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين، واجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه»[1].

من هنا قال مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

---

(١) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج١/ ١٥٣.

«ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدتُه وقد تزوّج به النساء، وفرّق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[1].

وقد بلغت إعطيات عثمان (من المال ما يُعدّ بمئات الملايين، عدا عن الكنوز المكتنزة التي اقتناها من رجال سياسة الوقت وأصحاب الفتن والثورات من جراء الفوضى في الأموال) ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة وقصوراً شاهقة، وثروة طائلة، ببركة تلك السيرة الأموية في الأموال الشاذة عن الكتاب والسنّة الشريفة، من هؤلاء:

(١) الزبير بن العوّام: خلّف كما في صحيح البخاري[2] إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة فأصاب كل امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا الف. قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. وقال ابن الهائم: بل الصواب أن جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون الف الف وثمانمائة الف[3]. وصرّح ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما بأن الصواب ما قاله ابن الهائم وأنّ البخاري غلط في الحساب.

كذا نجدها في صحيح البخاري وغيره من المصادر غير مقيّدة بالدرهم أو الدينار غير أنّ في تاريخ ابن كثير[4] قيّدها بالدرهم.

وقال ابن سعد[5]: كان للزبير بمصر خطط، وبالاسكندرية خطط، وبالكوفة

---

(١) نفس المصدر ص٢٠١.

(٢) صحيح البخاري ج٥/ ٢١، كتاب الجهاد، باب بركة الغازي في ماله.

(٣) ذكره شرّاح البخاري فراجع: فتح الباري، إرشاد الساري، عمدة القاري، وشذرات الذهب ج١/ ٤٣.

(٤) البداية والنهاية ج٧/ ٢٤٩.

(٥) طبقات ابن سعد ج٣/ ٧٧ ط/ ليدن.

خطط، وبالبصرة دور، وكانت له غلاّت تقدم عليه من أعراض المدينة.

وقال المسعودي[1]: خلّف ألف فرس وألف عبد وألف أمة وخططاً.

(٢) طلحة بن عبيد الله التيمي: ابتنى داراً بالكوفة تعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلّته من العراق كل يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك وله بناحية سراة[2] أكثر مما ذكر، وشيّد داراً بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج.

وعن محمّد بن إبراهيم، قال: كان طلحة يغلّ بالعراق ما بين أربعمائة الف إلى خمسمائة الف، ويغلّ بالسّراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقلّ.

وقال سفيان بن عيينة: كان غلّته في كل يوم ألف وافياً (الوافي وزنه وزن الدينار).

وعن موسى بن طلحة أنه ترك ألفي ألف درهم ومائتي الف درهم ومائتي ألف دينار، وكان ماله قد اغتيل.

وعن إبراهيم بن محمد بن طلحة، قال: كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناضّ[3] ثلاثين ألف ألف درهم، ترك من العين ألفي ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض.

وعن سعدى أمّ يحيى بن طلحة: قُتل طلحة وفي يد خازنه ألفا ألف درهم ومائتا الف درهم، وقوّمت أصوله وعقاره ثلاثين الف الف درهم.

وعن عمرو بن العاص أنّ طلحة ترك مائة بُهار[4] في كل بُهار ثلاث قناطر ذهب.

---

(١) المروج ج١/ ٤٣٤.

(٢) تقع «سراة» بين تهامة ونجد أدناها الطائف وأقصاها قرب صنعاء.

(٣) الناضّ: الدرهم والدينار.

(٤) «البُهار»: الحمل، قيل إنّه: ثلاثمائة رطل، وقيل أربعمائة، وقيل: ستمائة رطل، وقيل: ألف. لسان العرب ج٤/ ٨٤.

وفي لفظ ابن عبد ربّه من حديث الخشني: وجدوا في تركته ثلاثمائة بهار من ذهب وفضة.

وقال ابن الجوزي: خلّف طلحة ثلاثمائة جمل ذهباً.

وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة قال: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي الف دينار[1].

(٣) عبد الرحمان بن عوف الزهري:

قال ابن سعد: ترك عبد الرحمان الف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً.

وقال: وكان فيما خلّفه ذهبٌ قطّع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفاً. وعن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمان قال: صالحنا امرأة عبد الرحمان التي طلّقها في مرضه من ربع الثمن بثلاثة وثمانين ألفاً.

وقال اليعقوبي: ورّثها عثمان فصولحت عن ربع الثمن على مائة ألف دينار، وقيل: ثمانين الف.

وقال المسعودي: ابتنى داره ووسّعها وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثمن ماله أربعة وثمانين ألفا[2].

(٤) سعد بن أبي وقاص:

---

(١) من أراد المزيد فليراجع: طبقات ابن سعد ج٣/١٥٨ ط/ ليدن؛ الأنساب للبلاذري ج٥/٧؛ مروج الذهب ج١/ ٤٣٤؛ العقد الفريد ج٢/ ٢٧٩؛ الرياض النضرة ج٢/ ٢٥٨؛ دول الإسلام للذهبي ج١/ ١٨؛ الخلاصة للخزرجي ص١٥٢.

(٢) راجع: طبقات ابن سعد ج٣/ ٩٦؛ مروج الذهب ج١/ ٤٣٤؛ تاريخ اليعقوبي ج٢/ ١٤٦، صفوة الصفوة لابن الجوزي ج١/ ١٣٨؛ الرياض النضرة لمحب الطبري ج٢/ ٢٩١.

قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين الف درهم، ومات في قصره بالعقيق.

وقال المسعودي: بنى داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضاءها وجعل أعلاها شرفات[1].

(٥) يعلى بن أمية: خلّف خمسمائة ألف دينار، وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته ألف دينار[2].

(٦) زيد بن ثابت «المدافع الوحيد عن عثمان»: قال المسعودي: خلّف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار[3].

هذه نبذٌ مما وقع فيه التفريط المالي على عهد عثمان، ومن المعلوم أن التاريخ لم يحصِ كلّما كان هناك من عظائم شأنه في أكثر الحوادث والفتن.

وأما ما اقتناه الخليفة لنفسه فحدّث عنه ولا حرج، كان ينضّد[4] أسنانه بالذهب ويتلبّس بأثواب الملوك.

قال محمد بن ربيعة: رأيت عثمان، مطرف خزّ ثمنه مائة دينار، فقال: هذا لنائلة كسوتها إياه، فأنا ألبسه أسرُّها به. وقال أبو عامر سليم: رأيت على عثمان برداً ثمنه مائة دينار[5].

وقال البلاذري:

---

(١) طبقات ابن سعد ج٣/ ١٠٥ ومروج الذهب ج١/ ٤٣٤.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج١/ ٤٣٤.

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(٤) نضد الشيء: جعل بعضه على بعض متّسقاً أو بعضه.

(٥) طبقات ابن سعد ج٣/ ٤٠ ط/ ليدن؛ أنساب البلاذري ج٣/ ٤، الاستيعاب ج٢/ ٤٧٦ ترجمة عثمان.

كان في بيت المال بالمدينة سفطٌ فيه حليٌ وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد حتى أغضبوه فقال: هذا مال الله أعطيه من شئت وأمنعه من شئتُ فأرغم الله أنف من رغم.

وفي لفظ: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أنوف أقوام. فقال له علي: إذاً تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه.

وجاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضة فقسّمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره[١].

وقال ابن سعد: كان لعثمان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون الف الف درهم وخمسمائة الف درهم، وخمسون ومائة الف دينار، فانتُهبت وذهبتْ.

وترك الف بعير بالربذة وصدقات ببراديس وخيبر ووادي القرى قيمته مائتي الف دينار[٢].

وقال المسعودي: بنى في المدينة وشيّدها بالحجر والكلس، وجعل أبوابها من الساج والعرعر، واقتنى أموالاً وجناناً وعيوناً بالمدينة، وذكر عبد الله بن عتبة: إن عثمان يوم قُتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة الف دينار والف الف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة الف دينار، وخلّف خيلاً كثيراً وإبلاً[٣].

وقال الذهبي:

كان قد صار له أموال عظيمة وله الف مملوك[٤].

---

(١) الصواعق المحرقة ص٩٨، السيرة الحلبية ج٢/ ٨٧.
(٢) الطبقات ج٣/ ٥٣.
(٣) المروج ج١/ ٤٣٣.
(٤) دول الإسلام ج١/ ١٢.

وبقي هنا أن نسأل الخليفة عن علّة قصر هذه الأثرة على نفسه وأقربائه ومن جرى مجراهم من زبانيته، أهل خُلقت الدنيا لأجلهم؟ أو أن الشريعة منعت عن الصِلات وإعطاء الصدقات للصلحاء الأبرار من أمّة محمّد ﷺ كأبي ذر الغفاري وعمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ونظرائهم؟ فيجب عليهم أن يقاسوا الشدّة، ويعانوا البلاء ويشملهم المنع بين منفيّ ومضروب ومهان، وهذا سيّدهم أمير المؤمنين يقول: [إن بني أميّة ليُفوقوّنني تراث محمّد ﷺ تفويقاً ـ أي يعطونني من المال قليلاً كفواق الناقة ـ والله لئنْ بقيتُ لهم لأنفُضنّهم نفض اللّحّام الوذامَ التَّرِبة][1].

هل الجود هو بذل الرجل ماله وما تملكه ذات يده؟ أو جدحه[2] من سويق غيره كما كان يفعل الخليفة؟ ليتنا وجدنا من يحيرنا جواباً عن مسئلتنا هذه؟ أمّا الخليفة فلم ندركه حتى نستحفي منه الخبر، ولعلّه لو كنا مستحفين منه لسبقت الدرّة الجواب.

كان مزيج نفس الخليفة حب بني أبيه آل أميّة الشجرة الملعونة في القرآن وتفضيلهم على الناس، وقد تنتسب ذلك في قلبه وكان معروفاً منه من أوّل يومه، وعرفه بذلك من عرفه، قال عمر بن الخطّاب لابن عبّاس: لو وليها عثمان لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ولو فعلها لقتلوه[3].

ولو صدق صدوره من عمر فلِمَ جعل الانتخاب شورى بين أربعة، ثلاثة يميلون إلى عثمان، وواحد ـ وهو الزبير ـ إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؟ اللّهم إلاّ إذا كان عمر يريد قتله ولكن بطريقة خفية، وشيء من هذا ليس عندنا أي مستند عليه، بل الأخبار عكس ذلك، حيث لا نزاع بين عمر وعثمان حتى يدبّر عمر له

(١) نهج البلاغة شرح صبحي الصالح ص١٠٤ خطبة ٧٧.
(٢) يقال: جدح جوين من سويق غيره، مثل يضرب لمن يجود بأموال الناس.
(٣) أنساب البلاذري ج٥/ ١٦.

مكيدة لقتله، فالذي ثبّت حكم الأمويين في الشام إنما هو الشيخان، ثم بعدهما عثمان لكونه من بني أميّة.

كان عثمان يبذل كل جهده في تأسيس حكومة أمويّة قاهرة في الحواضر الإسلامية كلّها تقهر من عداهم، أراد أن تكون كلمة الأمويين هي العليا، وكلمة من عداهم هي السفلى، غير أنّ القدر الحاتم راغمه على منوياته، فجعل الذكر الجميل الخالد والبقية المتواصلة في الحقب والأجيال كلّها لآل عليّ أمير المؤمنين عليه وعليهم السلام، وأما آل حرب فلا تجد من ينتمي إليهم غير متوارٍ بانتسابه، متخافت عند ذكر نسبه، فكأنهم حديث أمس الدابر، فلا ترى لهم ذكراً، ولا تسمع لأحد منهم ركزاً.

كان الخليفة عثمان يمضي وراء نيّته هاتيك قُدماً، وراء أمل أبي سفيان فيما قال له يوم استخلف: فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية.

فولّى على الأمر في المراكز الحساسة والبلاد العظيمة أغلمة بني أمية، وشبابهم المترَف المتبختر في شرخ الشبيبة وغلوائها، وأمّر فتيانهم الناشطين للعمل، الذين لم تحنكهم الأيام ولم يأدبهم الزمان، وسلّطهم على رقاب الناس، ووطد لهم السبل، وكسح عن مسيرهم العراقيل، وفتح باب الفتن والجور بمصراعيه على الجامع الصالح في الأمصار الإسلامية، وجرّ الويلات بيد اولئك الطغام على نفسه وعلى الأمة، هؤلاء الذين لم يغنوا عنه شيئاً يوم ضحّى نفسه وجاهه وملكه لأجلهم حتى قُتل من جراء ذلك، ولا أحسب أنهم مغنون عنه شيئاً غداً عند الله يوم لا يغني عنه مالٌ ولا بنون.

وهؤلاء الأغلمة لا يبالي أحدهم بما يفعل، ولا يكترث لما يقول، والخليفة لا يصيخ إلى شكاية المشتكي، ولا يعي عذل أي عاذل، ومن اولئك الأغلمة والي الكوفة سعيد بن العاص ذاك الشاب المترف كان يقول على صهوة المنبر: «إن السواد بستانٌ لأغلمة من قريش»[1].

---

(١) الطبقات لابن سعد ج٥/ ٢١ وتاريخ ابن عساكر ج٦/ ١٣٥.

وهؤلاء الأغلمة هم ومن نصبهم هم المخصوصون بالحديث عن رسول الله بقوله: «إن فساد أُمتي على يدي غلمة سفهاء من قريش»[1].

لقد كان الخليفة وراء تسلط تلك العصابة من آل أمية، وكان له أملٌ بأنه لو بيده مفاتيح الجنّة ليعطيها بني أمية حتى يدخلوها من عند آخرهم سحبما عبّر عثمان نفسه عن هذا، حيث أخرج أحمد من طريق سالم بن أبي الجعد قال: دعا عثمان ناساً من أصحاب رسول الله فيهم عمّار بن ياسر فقال: إني سائلكم وإني سائلكم وإني أحب أن تصدقوني، نشدتكم الله أتعلمون أن رسول الله كان يؤثر قريشاً على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكت القوم فقال عثمان: لو أن بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم[2].

فكأن الخليفة يحسب أن الهرج الموجود في العطاء عنده سوف يتسرّب معه إلى باب الجنّة يحابي قومه بالنعيم كما حاباهم في الدنيا بالأموال، فما حظى الخليفة بما أحبّ لهم في الدنيا يوم طحنهم بكلكله البلا، وأجهزت عليهم المآثم والجرائم، وأما الآخرة فإن بينهم وبين الجنّة لسداً بما اقترفوه من الآثام، فلا أرى الخليفة يحظى بأمنيته هنالك.

---

(١) صحيح البخاري ج١٠/ ١٤٦ كتاب الفتن، المستدرك للحاكم ج٤/ ٤٧٠.

(٢) مسند أحمد ج١/ ٦٢.

قال الملك للوزير:

وهل يصدّق العلويُّ في كلامه هذا؟

قال الوزير: ذكر ذلك المؤرخون!

قال الملك: فكيف اتخذه المسلمون خليفة؟

قال الوزير؛ بالشورى.

قال العلوي:

إن الوزير أخطأ في كلامه، إنّ عثمان لم يأت إلى الحكم إلاّ بوصيّة من عمر وانتخاب ثلاثة من المنافقين فقط وفقط. وهم: طلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، فهل هؤلاء المنافقون الثلاثة يمثّلون المسلمين جيمعاً؟!

ثم إنّ التواريخ تذكر أنّ هؤلاء المنتخبين عدلوا عن عثمان عندما رأوا طغيانه وهتكه لأصحاب رسول الله ومشورته في أمور المسلمين مع كعب الأحبار اليهودي وتوزيعه أموال المسلمين بين بني مروان، فبدأ هؤلاء الثلاثة بتحريض الناس على قتل عثمان!

قال الملك ـ موجّهاً الخطاب إلى الوزير ـ: هل صحيح كلام العلوي؟!

قال الوزير: نعم، كذا يذكر المؤرّخون!

قال الملك: فكيف قلت إنه جاء إلى الخلافة بالشورى؟!

قال الوزير: كنت أقصد شورى هؤلاء الثلاثة!

قال الملك: وهل اختيار ثلاثة أشخاص يصحّح الشورى؟

قال الوزير: إنّ هؤلاء الثلاثة شهد لهم رسول الله بالجنّة!!

قال العلوي: مهلاً أيها الوزير، لا تقل ما ليس بصحيح، إن حديث (العشرة المبشرة بالجنّة)[1] كذبٌ وافتراء على رسول الله ﷺ!

قال العبّاسي: وكيف تقول أنه كذب وقد رواه الرواة الموثّقون؟

قال العلوي: هناك أدلة كثيرة على كذب هذا الحديث وبطلانه، أذكر لك منها ثلاثة:

(الأول): كيف يشهد رسول الله بالجنّة لمن آذاه وهو طلحة؟

فقد ذكر بعض المفسرين[2] والمؤرخين أن طلحة قال: «لئن مات محمّد لننكحنَّ أزواجه من بعده ـ أو ـ لأتزوجنّ عائشة» فتأذّى رسول الله من كلام طلحة، وأنزل الله تعالى قوله:

﴿ كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب/ ٥٣).

---

(١) حديث «العشرة المبشرة بالجنّة» من الأحاديث المختلقة والمكذوبة على رسول الله، وقد تقدم في أول شرحنا هذا، النقض عليه، وقد أسقطناه عن الحجيّة سنداً ودلالة.

(٢) قال ابن أبي حاتم، حدّثنا عليّ بن الحسين، حدثنا محمّد بن أبي حمّاد، حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن هند عن عكرمة عن إبن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...﴾ قال: نزلت في رجل همّ أن يتزوج بعض نساء النبيّ لله بعده، قال رجل لسفيان أهي عائشة؟

قال: قد ذكروا ذلك.

وكذا قال مقاتل ابن حيّان وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم، وذكر بسنده عن السدي أن الذي عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك[1].

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن قتادة، أن طلحة بن عبيد الله قال: لو قبض النبيّ ﷺ تزوجت عائشة، فنزلت الآية (وما كان لكم...)[2].

وقال فخر الدين الرازي:

«قيل سبب نزوله هو طلحة بن عبيد الله قال: لئن عشت بعد محمّد لأنكحنّ عائشة»[3].

وأخرج البيهقي في السنن عن إبن عبّاس قال: قال رجل من أصحاب النبيّ: لو قد مات رسول الله تزوجت عائشة أو أم سلمة، فأنزل الله (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله)[4].

وقال الواحدي:

قال إبن عبّاس، في رواية عطاء: قال رجل من سادة قريش: لو توفي رسول الله لتزوجت عائشة، فأنزل الله تعالى ما أنزل[5].

وفي مروياتنا وقع الاتفاق علىَ أن القائل ذلك هو طلحة بن عبيد الله.
قال علي بن إبراهيم:

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣/ ٤٣١.
(٢) تفسير الآلوسي ج١٢/ ١٠٦ وتفسير الدر المنثور ج٥/ ٤٠٤.
(٣) تفسير الرازي ج٢٥/ ٢٢٥.
(٤) الدر المنثور للسيوطي ج٥/ ٤٠٤.
(٥) أسباب النزول ص٣٠٠.

[«إن سبب نزولها - أي الآية المباركة - أنه لما أنزل الله **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾**، وحرّم الله نساء النبي على المسلمين، غضب طلحة فقال:

يحرّم محمّد علينا نساءه ويتزوج هو نساءنا لئن أمات الله عزّ وجلّ محمّداً لنركضنّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، فأنزل الله عزّ وجلّ **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله...﴾**»][1].

لنا على كلام ابن كثير ملاحظة مفادها:

إذا كان القائل «إنْ مات محمّد لنتزوجنّ بعض نسائه من بعده» لله تعالى، فلا يُعدّ قوله أذية للنبيّ ما دام - بنظر الرواية التي عرضها ابن كثير - قوله ذاك لله تعالى، فلما كان ذلك يؤذي النبيّ دل ذلك على أن قول طلحة لم يكن لله تعالى، وإلا لما تأذّى منه النبيّ، لأنه لا يتأذى من الحق وما يرجع إلى الحق، ولما كان ذلك عند الله عظيماً.

وما هذه التبرئة لساحة طلحة سوى لأنه مرضيٌّ عنه عند أم المؤمنين عائشة سيّدة الجمل، وإلا لو كان بجانب أمير المؤمنين عليّ لما وجدنا هذا الحمل على الصحة بحقه، وحسن الظن به، وهل أن رضا عائشة عنه أو كونه صحابياً - كما قد يحسب ذلك البعض - يُعصمه عن الخطأ وارتكاب الذنوب؟! وهل أن الصحبة ملازمة عقلاً وشرعاً للعصمة؟ لا أظن عاقلاً يقول بالملازمة.

إشكال وحل:

مفاد الإشكال:

كيف حرّم الله تعالى على نساء رسول الله الزواج من بعده، أليس هذا إجحافاً بحقهنّ لا سيّما بالشابات منهنّ حيث يملكن الرغبة الجنسية التي لا يمكن إكباتها

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم المعروف بالقمي ج٢/ ١٩٥ ونور الثقلين ج٤/ ٢٨٨.

أو إسكاتها إلاّ بالتصبر وما شابه ذلك.

والجواب:

(أولاً): علمنا فيما تقدّم من سبب النزول، أن طلحة ورجلاً آخر معه قد صمما على الزواج من نساء النبيّ من بعده كإجراء انتقامي أو لهوىً في نفس بعضهم بإحدى نساء النبيّ، وهذا بدوره يعدّ إهانة لقدسية النبيّ، فكان هذا الفريق من الناس يريد أن ينزل بكيان النبيّ ضربة تشكّل إضعافاً للمؤمنين.

هذا مضافاً إلى أن زواج بعضهم من نساء النبيّ كان من الممكن أن يُستغل لتحقيق بعض المآرب والوصول إلى مقامات اجتماعية مرموقة، يبدأ من خلالها تحريف الإسلام على أساس أنهم يمتلكون معلومات خاصة صادرة من داخل بيت رسول الله، أو أن يبث المنافقون بين الناس مطالب عن هذا الطريق تخالف مقام النبوة، وقد صرّح بذلك طلحة عندما قال: «لنركضنّ بين خلاخيل نسائه» لذا فإن الله تعالى جعلهنّ بمثابة الأمهات لا يجوز بحال من الأحوال الزواج منهنّ تأكيداً للقداسة، وتنزيهاً عن الدناءة والخسة.

(ثانياً): أن الافتخارات العظيمة تصاحبها مسؤوليات خطيرة، ولا شك أن أزواج الرسول ﷺ قد اكتسبن فخراً لا يضاهى وعزاً لا يسامى بزواجهن من رسول الله، واكتساب هذا الفخر يحتاج إلى مثل هذه التضحية.

هذا مضافاً إلى أن اقترانهن برسول الله يقتضي منهنّ الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ليكونن قدوةً لغيرهن من النساء حال لم يجدن الأزواج بعد فقد رجالهن، وقد يكون الحكم تأديبياً يتناول بعضهن، وإن كان الجُلّ لا يرغب في الزواج بعد وفاة النبيّ. وقد يكون امتحاناً واختباراً لنوايهن وهل هن صادقات بادعائهن صحبة الله ورسوله، «فإن المرأة في الجنّة لآخر أزواجها في الدنيا، فأزواج النبيّ في الدنيا أزواجه في الجنّة»[1]. والله العالم بأسرار أحكامه.

---

(١) الدر المنثور ج٥/ ٤٠٤.

(الثاني): إن طلحة والزبير قاتلا الإمامَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حق عليّ عليه السلام: «يا علي حربك حربي وسلمك سلمي»[1].

وقال: «من أطاع عليّاً فقد أطاعني ومن عصى عليّاً فقد عصاني»[2].

وقال: «عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[3].

وقال: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي يدور الحق معه حيثما دار»[4].

فهل: محارب الحق والقرآن يكون مؤمناً؟

(١) روى العلاّمة أبو الحسن علي بن محمد الشافعي المعروف بابن المغازلي في مناقب أمير المؤمنين علي عليه السلام بإسناده إلى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يا علي سلمك سلمي وحربك حربي».
وقد رواه العلاّمة التستري بعدة طرق من مصادر العامة، فرواه عن ابن أبي الحديد بنفس اللفظ المتقدم، وبلفظ آخر قال رسول الله للإمام علي في ألف مقام: أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت(*). وفي لفظ آخر مثل الأول مع زيادة قوله: ومحبّك في الجنة وإن عدوك في النار.
(*) إحقاق الحق ج٦/ ٤٤٠ وج٤/ ٢٥٨.

(٢) المستدرك ج٣/ ١٢٤ ط/ حيدر آباد الدكن، المناقب للخوارزمي ص١٠٧ ط/ تبريز، وفرائد السمطين، وإحقاق الحق ج٥/ ٦٤.

(٣) ينابيع المودة ص٢٥٧ ط/ اسلامبول، ذخائر العقبى ص٦٥ ط/ مكتبة القدسي بمصر، والمستدرك ج٣/ ١٢١، وإحقاق الحق ج٦/ ٤١٩.

(٤) تقدم مصادر هذه الأحاديث لاحظ: كنز العمال والصواعق المحرقة والمستدرك وينابيع المودة وإحقاق الحق ج٥/ ٦٢٣.

(الثالث): أن طلحة والزبير سعيا في قتل عثمان، فهل من الممكن أن يكـون عثمان وطلحـة والزبير كلهم في الجنة، وقد قاتل بعضهم بعضاً، ويقول رسول الله ـ في حديث له ـ القاتل والمقتول كلاهما في النار؟[1].

قال الملك متعجّباً:

هل كل ما يقوله العلويّ صحيح؟

هنا سكت الوزير، ولم يقل شيئاً.

وسكت العبّاسي وجماعته ولم ينطقوا شيئاً.

ماذا يقولون؟ أيقولون الحق؟ وهل يسمح الشيطان بالاعتراف بالحق؟ وهل ترضى النفس الأمّارة بالسوء أن تخضع للحق والواقع؟

أتظن أن الاعتراف بالحق أمر سهل وبسيط؟

كلا! إنه صعب جداً، لأنه يستدعي سحق العصبيّة الجاهلية ومخالفة الهوى، والناس أتباع الهوى والباطل إلاّ المؤمنين، وقليل ما هم!

... مزّق السيّد العلويُّ ستار الصمت والسكوت فقال:

أيُّها الملك:

إن الوزير والعبّاسي وكلّ هؤلاء العلماء يعلمون صدق كلامي

---

(١) الحديث عن النبيّ ﷺ قال: إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل له: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه. صحيح البخاري، كتاب الديات. ومسند أحمد ج٤/ ٤٠١ وج٥/ ٤٣ ـ ٤٧.

وصحة مقالتي، وحقيقة حديثي، ولو أنكروا[1] ذلك، فإن في بغداد من العلماء من يشهد على صدق كلامي وصحته وحقيقته، وإنّ في خزانة هذه المدرسة كتب تشهد بصدق كلامي، ومصادر معتبرة تصرّح بصحة مقالتي وحقيقته، فإن اعترفوا بصدق كلامي فهو المطلوب، وإلاّ فأنا مستعد الآن أن آتي[2] إليك بالكتب والمصادر والشهود!

قال الملك (متوجّهاً إلى الوزير):

هل كلام العلويّ صحيح من أن الكتب والمصادر تصرّح بصحة مقالته وصدق حديثه؟

قال الوزير: نعم.

قال الملك: فلماذا سكتّ في أول الأمر؟

قال الوزير: لأني أكره أن أطعن في أصحاب رسول الله!

قال العلويّ:

عجيب! أنت تكره ذلك، والله ورسوله لم يكرها ذلك، حيث إن الله تعالى عرّف بعض الصحابة بالمنافقين[3]، وأمر رسوله بجهادهم كما يجاهد الكفار، والرسول نفسه لعن بعض أصحابه[4]!

---

(١) في نسخة أخرى: «ولم ينكروا» محاورة حول الإمامة ص١٢٦ السيّد مرتضى الرضوي.

(٢) الأفصح أن يقال: «أن آتيك» ولعل ما في المتن تصحيف لما قلنا.

(٣) في نسخة الرضوي: «حيث إن الله رمى بعض أصحاب الرسول بالنفاق».

(٤) ثبت أن النبيّ ﷺ قد لعن من تخلّف عن جيش أسامة، والذين تخلّفوا هم أبو بكر وعمر وعثمان وخالد ونظائرهما، وقد أشار إلى ذلك جُلّ المؤرخين. لاحظ الملل والنحل للشهرستاني ج١/ ٢٣ وغيره من المصادر قد ذكرناها سابقاً فلا نعيد.

قال الوزير:

ألم تسمع أيُّها العلويُّ قول العلماء: إنّ كل أصحاب الرسول عدول؟

قال العلوي:

سمعت ذلك، ولكني أعرف أنه كذب وافتراء، إذ كيف يمكن أن يكون كلّ أصحاب الرسول عدولاً وقد لعن الله بعضهم، ولعن الرسول بعضهم، ولعن بعضهم[1] بعضاً وقاتل بعضهم[2] بعضاً، وشتم بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً.

---

(١) قال النقيب أبو جعفر: «لقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة، منهم عائشة كان تقول: اقتلوا نعثلاً، لعن الله نعثلاً، ومنهم عبد الله بن مسعود، وقد لعن معاوية عليّ بن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصلوات، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة، وما زال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة..» شرح النهج لابن أبي الحديد، ج٢٠/ ٢٧٢.

(٢) قد تقدم لعن الله والرسول على من تخلّف عن جيش أسامة، كما أن الرسول كان يلعن أبا سفيان والحرث بن هشام وسهل بن عمرو وصفوان بن أمية ـ حسبما جاء في رواية السيوطي في الدر المنثور ج٢/ ٧٧١ ط/ مصر.

وأما قتل بعضهم، فإن عمر قتل سعد بن عبادة، وأشاعوا بين الناس أن الجن قتله، وذلك لأنه رفض البيعة يوم السقيفة لأبي بكر وكادوا يطئونه، فقال لهم:

قتلتموني، فقال عمر: اقتلوه قتله الله[1].

وأيضاً قتل عُمَرٌ الصدّيقةَ الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام عندما كسّر أضلاعها وأسقط جنينها، وهي ابنة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله والوحيدة لديه، فلم تُحفظ حرمتها مع أن المرء يُحفظ بعياله وولده، هذا مضافاً إلى أنها أشرف خلق الله تعالى.

كما قتل أبو بكر مالك بن نويرة الخ.. قد ذكرنا ذلك سابقاً.

وأما الزبير وطلحة وعائشة فقد حاربوا أميرَ المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقُتل طلحة في المعركة ـ أي صفين ـ.

وأما الشتم، فقد سبّ عثمان بن عفان لمّا بلغه موت أبي ذر بالربذة، فترحم عليه، فقال عمّار: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا.

فقال عثمان: يا عاض (وذكر عورة الرجل) أبيه، ندمت على تسييره؟

وأمر فدفع في قفاه، وقال: إلحق بمكانه، فلمّا تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى مولانا الإمام عليّ عليه السلام فسألوه أن يكلّم عثمان، فكلّمه، فهدده عثمان بالنفي، فقال له الإمام عليه السلام: رُم ذلك إن شئت، واجتمع المهاجرون فقالوا لعثمان إلخ..[2].

وقال علي بن برهان الدين الحلبي:

«وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد في سرية كان فيها خالد أميراً، فلما جاءا إليه(ص) استبا عنده فقال خالد: يا رسول الله أيسرّك أن هذا العبد الأجدع يشتمني فقال(ص): يا خالد لا تسبّ عماراً، فإن من سبّ عماراً فقد سب الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله، ومن لعن عماراً لعنه الله[3].

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٢٧ وتاريخ الطبري ج٢/ ٤٥٩.
(٢) قد ذكرنا التفاصيل سابقاً.
(٣) السيرة الحلبية ج٢/ ٧٣ ط مصر.

وهنا وجد العبّاسي الباب مسدوداً أمامه، فجاء من باب آخر وقال:

أيُّها الملك:

قل لهذا العلويّ إذا لم يكن الخلفاء مؤمنين، فكيف اتخذهم المسلمون خلفاء، واقتدوا بهم؟

قال العلويّ:

(أولاً): لم يتخذهم كلّ المسلمين خلفاء، وإنما أهل السنّة فقط.

(ثانياً): إن هؤلاء الذين يعتقدون بخلافتهم ينقسمون إلى قسمين: جاهل ومعاند، أما الجاهل فلا يعرف فضائحهم وحقائقهم، وإنما يتصورهم أناساً طيبين مؤمنين، وأما المعاند فلا ينفعه الدليل والبرهان ما دام قد أصرَّ على العناد واللجاج، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ (يونس/ ٩٦ ـ ٩٧).

ويقول: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة/ ٦).

(ثالثاً): إن هؤلاء الذين اتخذوهم خلفاء أخطأوا في الاختيار، كما أخطأ المسيحيون حيث قالوا: «المسيح ابن الله» وكما أخطأ اليهود حيث قالوا: «عزير ابن الله» فالإنسان يجب عليه أن يطيع الله والرسول وأن يتبع الحق لا أن يتبع الناس على الخطأ والباطل يقول تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء/ ٥٩).

قال الملك:

دعوا هذا الكلام، وتكلّموا حول موضوع آخر.

قال العلوي:

ومن اشتباهات أهل السنّة وأخطائهم أنهم تركوا عليَّ بن أبي طالب عليه السلام وتبعوا كلام الأوّلين.

قال العبّاسي: ولماذا؟

قال العلوي:

لأن عليّ بن أبي طالب عيّنه الرسول صلى الله عليه وآله، واولئك الثلاثة لم يعيّنهم الرسول، ثم أردف قائلاً:

أيُّها الملك:

إنك لو عيّنت في مكانك، ولخلافتك إنساناً فهل يجب أن يتبعك الوزراء وأعضاء الحكومة؟ أم يحق لهم أن يعزلوا خليفتك، ويعيّنوا إنساناً آخر مكانك؟

قال الملك:

بل الواجب أن يتّبعوا خليفتي الذي عيّنته أنا، وأن يقتدوا به ويطيعوا أمري فيه!

قال العلوي:

وهكذا فعل الشيعة، فقد اتّبعوا خليفة رسول الله الذي عيّنه صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتركوا غيره.

قال العبّاسي:

لكنّ عليّ بن أبي طالب لم يكن أهلاً للخلافة، حيث إنّه كان صغير[1] العمر، بينما كان أبو بكر كبير العمر.

---

(١) ليس صغر السنّ عائقاً لتسلُّم القيادة العليا في المجتمع، وبتعبير آخر: ليس شرطاً لتسلّم الخلافة الربانيّة في الإسلام وذلك لأمور:

١ ـ لأن القيادة تحتاج إلى رشد عقلي ممتاز وكما نفسي وروحي يؤهل صاحبه لقيادة الناس إلى سبيل الرشاد، ومن الواضح أن الرشد العقلي لم يكن متوفراً بأقصى حدوده عند أحد غير مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بإعتراف عمر بن الخطّاب حينما قال:

«لا بقيتُ لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

وليس ثمة استحالة عقلية في أن يتسنّم الصغير سدة الخلافة ما دام الأمر يدور مدار النبوغ العقلي، وهذا كان متوفراً في مولانا عليٌّ المرتضى عليه السلام، وقد برز في التاريخ نوابغ شهدت لهم البشرية، منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أ ـ أسامة بن زيد بن حارثة، «أمه أم أيمن حاضنة النبيّ صلى الله عليه وآله، هو وأيمن اخوان لأُم، استعمله النبيّ صلى الله عليه وآله وهو ابن ثماني عشرة سنة، ذكر ابن مندة أن النبيَّ أمّر أسامة بن زيد على الجيش وأمره أن يسير إلى الشام وفيهم عمر بن الخطاب، فلما اشتد المرض برسول الله أوصى أن يسير جيش أسامة، فساروا بعد موته صلى الله عليه وآله»[1].

ب ـ هشام بن الحكم، أحد أكابر أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، فتق علم الكلام، وكان مبرّزاً عند مولانا الصادق عليه السلام ومن المقربين وهو لا يزال فتىً صغيراً لم تخطّ لحيته، وكان الإمام عليه السلام يحترمه ويقدّمه على أصحابه، يروي

---

(١) أسد الغابة ج١/ ١٩٥ والإصابة في تمييز الصحابة ج١/ ٣١.

يونس بن يعقوب بخبر طويل يقول فيه: [.. فلما استقر بنا المجلس وكنا في خيمة لأبي عبد الله عليه السلام في طرف جبل في طريق الحرم، وذلك قبل الحج بأيام فأخرج أبو عبد الله رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب قال: هشام ورب الكعبة.

قال: وكنا ظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل، وكان شديد المحبة لأبي عبد الله عليه السلام، فإذا هشام بن الحكم، وهو أول ما اختطت لحيته، وليس فينا إلا من هو أكبر منه سناً، فوسّع له أبو عبد الله عليه السلام وقال: «ناصرنا بقلبه ولسانه ويده»...][1].

ج ـ الطفل النابغة السيّد محمد حسين الطباطبائي من مواليد قم المقدّسة حيث رزقه الله سبحانه حفظ القرآن المجيد، وأفاض عليه فهم أسراره ومعانيه ولم يتجاوز بعدُ الرابعة من عمره، ويجلس تحت منبره العلماء والمفكرون، وقد نال درجة الدكتوراه الفخرية بإمتياز من إحدى جامعات بريطانيا. وكذا الطفل[2] الافريقي «شريفو» الذي رُزق أيضاً معارف القرآن وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره.

د ـ ما اشتهر عن العلاّمة الحلي من أنه بلغ درجة الاجتهاد قبل البلوغ، وان ابن سينا أفتى الناس في بخارى وهو ابن اثنتي عشر سنة، وأنه أحاط بعلوم عصره كلها وهو يافع، وكان اينشتاين ابن أربع سنوات حين رأى البوصلة وإبرتها الممغنطة وقال: إن ثمة أشياء في الطبيعة وراء هذه العودة المتحركة، وكان في سن الاثني عشر حين أتى بأول نظرية جديدة، وهي التي فرّق فيها بين ما هو هندسي وما هو طبيعي.

ومن نوابغ القادة الملك كارلوس الثاني السويدي، الذي قاد وهو في الثامنة عشرة من عمره جيشاً قوامه ثمانية آلاف جندي، ضد جيش روسي مؤلف من

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج٢/ ١٢٣.

(٢) مجلة «المجلة» السعودية: العدد ١٠٠٧.

ثمانين ألفاً، وهزمه بأقل من ساعة، وكان ذلك عام ١٧٠٠م في معركة نارفا[١].

إذن لا غرابة في تنصيب أسامة بن زيد قائداً على جيش كبير يريد صدّ جيش الروم في أطراف الجزيرة العربية آنذاك، وتخلّف أبو بكر وعمر وجماعة معهما عن السير معه، بحجة أنه صغير والقوم مشايخ كبار، وأيضاً لا غرابة في تنصيب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام خليفةً على المسلمين بأمر منه سبحانه وتعالى.

٢ ـ لو كان الصغر عائقاً فلِمَ أرسل النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله الإمام عليّاً عليه السلام خلف أبي بكر وأخذ منه سورة براءة؟!! فمن لم يكن أهلاً لأن يبلّغ سورة براءة فليس أهلاً لأنْ يبلّغ الرسالة ويقود مجتمعاً بكامله!! وليس لنا أن نردّ حكم رسول الله.

٣ ـ تعتبر الخلافة في الإسلام مركزاً إلهياً وسفارة ربانية تنوب مناب النبوّة في التبليغ وإقامة الحدود الخ... وليست كما يتصوّر العامة أنها مركز اجتماعي دنيوي تعيينه بيد أهل الحل والعقد، بل الأمر أخطر مما نتصور، فإن الإمامة عهد الله تعالى تعيينها بيده سبحانه كما عيّن ابراهيم عليه السلام إماماً بعد أن كان نبيّاً. فإذا اختار سبحانه شخصاً لأنْ يكون خليفةً وإماماً فلا رادّ لحكمه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٢]. إضافة إلى أنه تعالى جعل بعض الناس أنبياء في صغرهم كعيسى بن مريم عليهما السلام حيث حكى عزّ وجلّ عنه بقوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾[٣]، فكان نبياً وهو صغير وأرسل إلى الناس بعد بلوغه، وظاهر الكلام أنه كان أُوتي الكتاب والنبوة لا أنّ ذلك إخبار بما سيقع[٤].

---

(١) غرائب وأسرار/ بديع الزين ص٣٠ ط/ دار الفكر العربي.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٣) سورة مريم: ٢٩ ـ ٣٠.

(٤) تفسير الميزان ج١٤/ ٤٧.

والنبيّ يحيى عليه السلام أتاه الله تعالى الحكم، وسوآء فُسّر[1] «الحكم» بالفهم والعقل والحكمة أو بالنبوّة فالمناط واحد وهو الحكم بين الناس وإصابة الواقع بواسطة ولد صغير إلا أنه عظيم بعقله وقلبه وروحه، فلا غرابة أنْ يكون ذلك لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي حارت فيه عقول العظماء والمفكرين ويقف العظماء إجلالاً لذكر اسمه.

٤ ـ لو كان المناط في تسلّم الخلافة التقدّم بالسنّ فثمة من هو أكبر من أبي بكر من صحابة النبيّ صلى الله عليه وآله. وكان الأجدر لأبي بكر ألاّ يتقدّم على واحد منهم كالعبّاس بن عبد المطلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وُلد قبل النبيّ بسنتين أو ثلاث[2]، وكعدي بن حاتم الذي عاش مائة وثمانين عاماً وكان أكثر عمره في الجاهلية[3].. ولو غضضنا النظر عن مسألة التقدم بالسنّ فهل لنا أن نسأل القوم عن وجه الفضيلة في كبر السنّ؟ أوليس في الأمم والأجيال من طعنوا في السنّ فبلغوا من العمر عتياً وفيهم صاحب الفضائل والعاطل عنها؟! وإذا مُدح أحدهم فإنما يُمدح بمآثره لا بطول عمره.. ومهما طال عمر أبي بكر فإن أكثره انقضى في الجاهلية، فلقد بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله ولأبي بكر ثمان وثلاثون سنة.. وصلّى النبيّ صلى الله عليه وآله ولم يصلّ معه غير عليّ أمير المؤمنين عليه السلام!!

إذن فلأبي بكر عند إسلامه خمس وأربعون عاماً، ومات وهو ابن ثلاث وستين، فقد أُشغل في الإسلام ثمان عشرة سنة، وهذه المدة الأخيرة هي التي يمكن أنْ تزدان بشيء من المناقب. ولو سلّمنا أنها ازدانت ببعض المناقب ولكنها بالقياس إلى مناقب مولى المؤمنين عليّ عليه السلام لا تعادل واحد بنسبة ألف أو قطرة في مقابل بحر!! وقد ردّد عمر بن الخطاب ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: لو

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣/ ١٠٠، وتفسير الرازي ج٣١/ ١٩٣، ومجمع البيان ج٦/ ٣٣٣.

(٢) الإصابة ج٢/ ٢٧١.

(٣) نفس المصدر.

اجتمع الناس على حبّ عليّ بن أبي طالب لما خلق الله النار[1].

ولو لم يكن الإمام عليّ أهلاً للخلافة لصغر سنّه، فكيف قَبِل النبيّ ﷺ إسلامه في بدء البعثة وكيف يجعله النبيّ وزيراً له ووصيّاً وخليفة في بدء البعثة؟ وهل يصح أن يضع النبيُّ يده في يد ابن عمّه ويعطيه صفقة بمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلاّ وهو أهل لذلك؟!



(١) ينابيع المودة ص٢٩٩ ط/ قم.

وكان عليٌ بن أبي طالب قد قتل صناديد العرب، وأباد شجعانهم فلم تكن العرب ترضى به، ولم يكن أبو بكر كذلك!

قال العلوي:

أسمعت أيُّها الملك أن العبّاسي يقول: إن الناس أعلم من الله ورسوله في تعيين الأصلح، لأنه لا يأخذ بكلام الله ورسوله في تعيين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويأخذ بكلام بعض الناس في أصلحية أبي بكر، كأن الله العليم الحكيم لا يعرف الأصلح والأفضل حتى يأتي بعض الناس الجهّال فيختارون الأصلح؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب/ ٣٦).

ألم يقل سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال/ ٢٤).

قال العبّاسي:

كلا، إني لم أقل انّ الناس أعلم من الله ورسوله.

قال العلوي:

إذن، لا معنى لكلامك، فإن كان الله والرسول قد عيّنا إنساناً واحداً للخلافة والإمامة، فاللازم أن تقتدي به، سواء رضي به الناس أم لا!

قال العبّاسي:

لكن المؤهلات في عليّ بن أبي طالب عليه السلام كانت قليلة.

قال العلوي:

(أولاً): معنى كلامك أن الله لم يكن يعرف عليّ بن أبي طالب عليه السلام حق المعرفة فلم يكن يعلم أن مؤهلاته قليلة ولهذا عيّنه خليفة، وهذا هو الكفر الصريح.

(ثانياً): إن الواقع أن مؤهلات الخلافة والإمامة كانت متوفرة كاملاً في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، بينما لم تكن متوفرة في غيره!

قال العبّاسي: وما هي تلك المؤهلات ـ مثلاً ـ؟

قال العلوي:

إن مؤهلاته عليه السلام كثيرة جداً، فأوّل المؤهلات تعيين الله[1] وتعيين رسوله له عليه السلام.

وثانيها: أنه كان أعلم الصحابة على الاطلاق، فهذا رسول الله يقول: «أقضاكم علي».

---

(١) قد بسطنا الأدلة على ذلك فيما سبق فلا نعيد، ولكنّا نذكر بعضها إستناساً، فمنها ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لمولاتنا فاطمة عليها السلام:

«أما ترضين إني زوجتك أول المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً»[1].

وقوله صلى الله عليه وآله: «أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب»[2].

---

(١) مستدرك الحاكم وكنز العمال.

(٢) المناقب للخوارزمي ص٤٩ ومقتل الحسين ص٤٣.

وقوله: «علي خازن علمي»[1].

وقوله: «أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب»[2].

وقوله: «وأنا دار العلم وعليٌّ بابها»[3].

وقوله: «ما علمت شيئاً إلاّ علّمته عليّاً فهو باب مدينة علمي»[4].

وقوله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب»[5].

وقوله ﷺ لما سُئل عن الإمام عليّ: «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً»[6].



(١) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج٢/ ٤٤٨.

(٢) تاريخ بغداد ج١١/ ٢٠٤ ط/ السعادة بمصر. والمناقب للشافعي ص١٢٤ وفرائد السمطين.

(٣) ذخائر العقبى ص٧٧؛ الرياض النضرة ج٢/ ١٩٣، وينابيع المودة ص٢١٠.

(٤) المناقب للمغازلي.

(٥) المناقب وكفاية الطالب ص٩٨ وميزان الاعتدال ج١/ ٥١ وغيره من المصادر الكثيرة فلاحظ: إحقاق الحق ج٥/ ٤٦٨ الباب التاسع.

(٦) حلية الأولياء ج١/ ٦٤ والمناقب للمغازلي.

ويقول عمر بن الخطّاب: (أقضانا علي)(١) ويقول رسول الله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد المدينة والحكمة فليأت الباب».

وقال هو عليه السلام:

«علّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب»(٢).

ومن الواضح أن العالم مقدّم على الجاهل، يقول الله تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾(٣).

وثالثها: أنه عليه السلام كان مستغنياً عن غيره، وغيره كان محتاجاً إليه، ألم يقل أبو بكر: «أقيلوني فلست بخير فيكم وعليٌّ فيكم»(٤)!

ألم يقل عمر في أكثر من سبعين موضعاً: «لولا عليّ لهلك



(١) صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى ﴿ما ننسخ من آية...﴾ وطبقات ابن سعد ج٦/ ١٠٢ والاستيعاب ج١/ ٨ وج٢/ ٤٦١ وحلية الأولياء ج١/ ٦٥، ومطالب السؤول ص٢٣ ومواقف الأيجي ج٣/ ٢٧٦ وشرح ابن أبي الحديد ج٢/ ٢٣٥، الغدير ج٣/ ٩٦.

(٢) ورد بألفاظ متعددة، وبطرق كثيرة في مصادر الخاصة والعامة ناهزت الخمسين.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) الموجود في المصادر هكذا: «لست بخيركم وعلي فيكم» ويظهر أن ما في المتن تصحيف لما قلنا. ولاحظ شرح التجريد للقوشجي ص٣٧١، ط/ حجري، أو أن تكون العبارة هكذا: «لستُ بخيرٍ وعليٌّ فيكم» أي ما دام فيكم، لذا حاولوا قتله مراراً، كان آخرها لمّا وكّل أبو بكر خالداً، وقد ذكرنا القصة في البحوث السابقة فلتراجع.

عمر»[1] «ولا أبقاني الله لمعضلة لست فيها يا أبا الحسن» و«لا يفتينّ أحدكم في المسجد وعليّ حاضر»؟

---

(١) لعمر بن الخطاب كلمات مشهورة تعرب عن غاية احتياجه في العلم إلى أمير المؤمنين منها قوله مراراً:

«لولا عليٌّ لهلك عمر».

«وعليٌّ أقضانا».

«اللّهم لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب».

«لا أبقاني الله بأرض لست فيها أبا الحسن».

«لا أبقاني الله بعدك يا عليّ».

«أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها».

«أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن».

«أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن».

«اللهم لا تنزل بي شديدة إلاّ وأبو الحسن إلى جنبي».

«لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

«لا أبقاني الله إلى أن أدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن»[1].

وقالت عائشة: عليٌّ أعلم الناس بالسنّة[2].

وقال ابن مسعود: أعلم أهل المدينة بالفرائض عليّ بن أبي طالب[3].

---

(١) أخرج الحديث المصادر التالية: حلية الأولياء ج١/ ٦٥، الطبقات ص٤٥٩، الاستيعاب ج٤/ ٣٨، الرياض النضرة ج٢/ ١٩٨، تاريخ ابن كثير ج٧/ ٣٥٩، المناقب ص٦٠، تذكرة السبط ص٨٨، فيض القدير ج٤/ ٣٥٧.

(٢) الاستيعاب ج٣/ ٤٠؛ الرياض النضرة ج٢/ ١٩٣؛ مناقب الخوارزمي ص٥٤؛ الصواعق المحرقة ص٧٦؛ تاريخ الخلفاء ص١١٥.

(٣) الاستيعاب ج٣/ ٤١ والرياض النضرة ج٢/ ١٩٤.

وقال أيضاً: كنّا نتحدث أن أفضل أهل المدينة عليٌّ[1].

وقال: إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلا وله ظهرٌ وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن[2].

وقال هشام بن عتيبة في الإمام عليّ عليه السلام: هو أول من صلّى مع رسول الله وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله[3].

وسُئل عطاء أكان في أصحاب محمّد أحد أعلم من عليّ؟ قال: لا والله ما أعلمه[4].

وقال عديّ بن حاتم في خطبة له: والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة أنه - يعني علياً - لأعلم الناس بهما، ولئن كان إلى الإسلام أنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة أنه لأظهر الناس زهداً، وأنهكهم عبادة، ولئن كان إلى العقول والنحائز[5] أنه لأشدُّ الناس عقلاً وأكرمهم نحيزة[6].

وقد امتدح جمعٌ من الصحابة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في شعرهم بالأعلمية كحسان بن ثابت، وفضل بن عبّاس، وتبعهم في ذلك أمةٌ كبيرة من شعراء القرون الأولى.

والأمة بعد اولئك كلهم مجمعةٌ على تفضيل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على غيره بالعلم والتقى والزهد، إذ هو الذي ورث علم النبيّ، وقد ثبت عنه بعدة طرق قوله صلى الله عليه وآله أنه وصيّه ووارثه، وفيه قال الإمام عليّ: وما أرث منك يا نبيّ الله؟ قال:

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣، الاستيعاب ج٣/ ٤١، أسنى المطالب للجزري ص١٤، الصواعق ص٧٦.

(٢) حلية الأولياء ج١/ ٦٥.

(٣) كتاب صفين/ نصر بن مزاحم ص٤٠٣.

(٤) الاستيعاب ج٣/ ٤٠.

(٥) النحائز، جمع نحيزة: الطبيعة.

(٦) جمهرة خطب العرب ج١/ ٢٠٢.

ما ورث الأنبياء من قبلي، قال: وما ورث الأنبياء من قبلك؟ قال: كتاب الله وسنّة نبيهم.

قال الحاكم في المستدرك ج٣/ ٢٢٦ في ذيل حديث وراثته النبيّ دون عمّه العباس ما نصه: لا خلاف بين أهل العلم أن ابن العمّ لا يرث مع العمّ، فقد ظهر بهذا الإجماع أن الإمام عليه السلام ورث العلم من النبيّ دونهم.

وبهذه الوراثة الثابتة صحّ عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه، فمن أحقُّ به مني[1]؟.

وهذه الوراثة هي المتسالم عليها بين الصحابة، وقد وردت في كلام كثير منهم، وكتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية فيما كتب: يا لك الويل، تعدل نفسك بعليٍّ؟ وهو وارث رسول الله ووصيه[2].

بل هو قاضي الأمة ـ حسبما ورد عن النبي ﷺ: «أقضى أمتي علي»[3] أو «أقضاكم علي»[4] و«أعلم أمتي من بعدي عليّ بن أبي طالب»[5].

---

(١) خصائص النسائي ص١٨، مستدرك الحاكم ج٣/ ١٢٦ وصححه هو والذهبي.

(٢) كتاب صفين/ نصر بن مزاحم ص١٣٣، مروج الذهب ج٢/ ٥٩.

(٣) المعجم الصغير للطبراني ص١١٥ وأخبار القضاء ج١/ ٨٨ ط/ القاهرة، والمناقب للخوارزمي ص٤٨.

(٤) التبصير في الدين للاسفرايني ص١٦١ ط/ مصر، مصابيح السنّة ج٢/ ٢٣ للبغوي.

(٥) المناقب للخوارزمي ص٤٩ وكفاية الطالب ص١٩٠ ط/ الغري.

ورابعها: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لم يكن قد عصى الله، ولم يكن قد عبد غير الله، ولم يكن قد سجد للأصنام طيلة حياته أبداً، وهؤلاء الثلاثة كانوا قد عصوا الله، وعبدوا غيره، وسجدوا للأصنام، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

ومن الواضح أن العاصي ظالمٌ، فلا يكون مؤهلاً لنيل عهد الله أي: النبوة والخلافة.

وخامسها: أن عليّ بن أبي طالب كان ذا فكرٍ سليمٍ، وعقلٍ كبيرٍ ورأيٍ صائبٍ منبعث من الإسلام، بينما كان غيره ذا رأي سقيم منبعث من الشيطان، فقد قال أبو بكر: إن لي شيطاناً يعتريني[2]، وقد خالف عمر رسول الله في مواضع عديدة[3]، وكان عثمان ضعيف الرأي تؤثر فيه حاشيته السيئة أمثال: الوزغ بن الوزغ الذي لعنه رسول الله ولعن من في صلبه - إلاّ المؤمن وقليل ما هم - مروان بن الحكم وكعب الأحبار اليهودي وغيرهما!

قال الملك (موجّهاً الخطاب إلى الوزير):

هل صحيح أن أبا بكر قال: «إن لي شيطاناً يعتريني»؟

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ٧١ ط قم، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ص ٣٤، تاريخ الطبري ج٢، ص ٤٦٠ وكان يقصد بالشيطان - حسب تعبير بعضهم - عمر بن الخطاب، مستدلاً على ذلك بما ورد عن الخطيب البغدادي عن عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج قال: حدثنا عبد الوارث قال: كنت بمكة وبها أبو حنيفة فأتيته وعنده نفر، فسأله رجل عن مسألة فأجاب فيها، فقال له الرجل: فما رواية عن عمر؟ قال: ذلك قول شيطان. لاحظ محاورة في الإمامة، ص ١٤.

(٣) ذكرنا بعضاً منها فيما سبق، وسيستعرض العلوي البقية فتابع.

قال الوزير:

هذا موجود في كتب الروايات.

قال الملك: وهل صحيح أن عمر خالف رسول الله؟

قال الوزير: نستفسر من العلوي ماذا يقصد من هذا الكلام؟

قال العلوي: نعم ذكر علماء السُنّة في الكتب المعتبرة أن عمر ردّ على رسول الله في موارد عديدة، وخالفه في مواطن كثيرة، منها:

١ ـ حين أراد النبيُّ أن يصلّي على عبد الله بن أُبي، فقد ردّ عمر على رسول الله رداً نابياً[١] وقاسياً حتى تأذّى منه رسول الله، والله يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢].

٢ ـ حين أمر رسول الله ﷺ بالفصل بين عمرة التمتع وحج التمتع وجوّز مقاربة الرجل زوجته بين العمرة والحج، فاعترض عليه عمر وقال هذه العبارة البشعة: «أنحرم ومذاكيرنا تقطر منياً»[٣]؟

فيردّ عليه النبيّ ﷺ قائلاً: إنك لم تؤمن بهذا أبداً، وبهذه العبارة عرّفه النبي بأنه ـ أي عمر ـ ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعض.

---

(١) تفسير ابن كثير: ج٢/ ٣٢٧، تفسير الرازي: ج١٦/ ١٥٢.

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) صحيح البخاري: ج١/ ٢١٣ و٤/ ١٦٦ كتاب التمني باب لو استقبلت من أمري ما استدبرت وسنن أبي داود ج٢/ ١٥٦ باب أفراد الحج، الحديث ١٧٨٩ باختلاف يسير، ومسند أحمد: ج٣/ ٣٠٥ وسنن البيهقي: ج٥/ ٣ باب من اختار الأفراد. وفتح الباري: ١٧/ ١٠٨ باب نهي النبي على التحريم من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة، وصحيح مسلم: ج٨/ ١٣١ ح١٤١ باب وجوه الإحرام، وسنن ابن ماجة باب التمتع بالعمرة.

٣ ـ في متعة النساء، حيث لم يؤمن بها، ولمّا جاء إلى الحكم، وغصب كرسي الخلافة قال: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما» بينما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[1].

حيث ذكر المفسّرون أنها نزلت في جواز المتعة، وقد كان عمل المسلمين على هذه حتّى أيام عمر، فلمّا حرّمها عمر كثُر الزنا والفجور بين المسلمين، وبهذا العمل عطّل عمر حكم الله وسنّة رسول الله، وروّج الزنا والفجور! وصار مشمولاً للآية: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ . . ﴿ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ . . ﴿ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[2].

٤ ـ في صلح الحديبية ـ كما مرّ ـ

إلى غيرها من الموارد التي كان عمر يخالف فيها رسول الله ويؤذيه بقساوة كلامه!

قال الملك:

وفي الحقيقة أني أيضاً لا أرضى بمتعة النساء!

قال العلوي: هل أنت تعترف بأنه تشريع إسلامي أم لا؟

قال الملك: لا أعترف.

قال العلوي: فما معنى الآية: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ وما معنى قول عمر: «متعتان كانتا . .» ألا يدل قول عمر

(١) النساء: ٢٤ وقد فصّلنا القول بالمتعتين في مثالب عمر بن الخطّاب فراجع.

(٢) المائدة: ٤٥، ٤٧، ٤٤.

على أن متعة النساء كانت جائزة وجارية في عهد رسول الله، وفي أيام حكم أبي بكر، وفي جزء من حكم عمر ثم نهى عنها ومنعها؟

بالإضافة إلى سائر الأدلة وهي كثيرة أيها الملك: إن عمر نفسه كان يتمتع بالنساء، وإن عبد الله بن الزبير ولد من المتعة[1]!

قال الملك:

ماذا تقول يا نظام الملك؟

قال الوزير:

حجة العلوي سليمة وصحيحة، ولكن حيث إن عمر نهى، يلزم علينا إتباعه.

قال العلوي: هل الله والرسول أحقُّ بالاتباع أم عمر؟!

ألم تقرأ أيها الوزير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2].

وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ﴾[3].

وقوله ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4].

---

(١) ذكر الراغب الأصفهاني: إن عبدالله بن الزبير عيّر ابن عبّاس بتحليله المتعة، فقال له ابن عبّاس: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك، فسألها فقالت: والله ما ولدتك إلاّ بالمتعة. (المحاضرات طبع مصر ج٢/ ٩٤، ومروج الذهب، ج٣/ ٨١ وفي خبر آخر: فاسأل أمك عن بردي عوسجة).

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) الأحزاب: ٢١.

والحديث المشهور: (حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة)[1].

قال الملك:

إني أؤمن بكلّ تشريعات الإسلام، لكن لا أفهم وجه العلّة في تشريع المتعة، فهل يرغب أحدكم أن يعطي بنته أو أخته لرجل كي يتمتع بها ساعة، أليس هذا قبيحاً؟

قال العلوي:

وما تقول في هذا أيُّها الملك: هل يرغب الإنسان أن يزوّج بنته أو أخته[2] عقداً دائماً لرجل، وهو يعلم أنه يطلّقها بعد ساعة من الاستمتاع بها؟

قال الملك: لا أرغب ذلك.

قال العلوي: مع أن أهل السُنّة يعترفون بأنّ هذا العقد الدائم صحيح، والطلاق بعده صحيح أيضاً، فليس الفارق بين عقد المتعة والعقد الدائم إلاّ أن المتعة تنتهي بانتهاء مدّتها، والعقد الدائم ينقطع بالطلاق، وبعبارة أخرى: عقد المتعة بمنزلة الإجارة، وعقد الدوام

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٨/ ١٢٤ ح٤٧ باب صفات القاضي.

(٢) حدثني أحد الثقاة أن رجلاً متديناً زوّج ابنته البالغة من العمر خمسة عشر عاماً أحد المؤمنين لما رأى منها الحاجة إلى زوج، ولمّا عقد الشاب عليها، أحبها وأحبته، فحوّلاه إلى عقد دائم. وقد حصل معي أيضاً أنّ أحدهم طلب مني أن أزوّجه بالعقد المنقطع أختي المطلّقة، فوافقت وذهبت بنفسي لإخبارها، لكنها ـ لظروف ـ رفضت، وقد تعجّب ذلك الشاب إكباراً وإجلالاً لي كيف فعلتُ ذلك! فقلت له: المتعة حكم الله تعالى، وأنا أمتثل حكمه بدون ترديد.

بمنزلة الملك، حيث إن الإجارة تنتهي بانتهاء المدة، والملك ينتهي بالبيع ـ مثلاً ـ[1].

إذن: فتشريع المتعة سليم وصحيح لأنه قضاء حاجة من حاجات الجسد، كما أن تشريع الدوام الذي ينقطع بالطلاق سليم وصحيح لأنه قضاء لحاجة من حاجات الجسد.

ثم أسألك ـ أيّها الملك ـ ما تقول في النساء الأرامل اللآتي فقدن أزواجهن ولم يتقدّم أحد لخطبتهنّ: أليس عقد المتعة هو العلاج الوحيد لصيانتهن من الفساد والفجور؟

أليس بالمتعة يحصلن على مقدار من المال لمصارف أنفسهن وأطفالهنّ اليتامى؟

وما تقول في الشباب والرجال الذين لا تسمح لهم ظروفهم بالزواج الدائم [أليست المتعة هي الحل الوحيد لهم للخلاص من القوة الجنسية الطائشة؟! وللوقاية من الفسق والميوعة؟[2]].

أليست المتعة أفضل من الزنا الفاحش واللواط والعادة السريّة؟ إنني أعتقد ـ أيّها الملك ـ أن كل جريمة زنا أو لواط أو استمناء تقع بين الناس، يعود سببها إلى عمر، ويشترك في إثمها عمر، لأنه الذي منعها، ونهى الناس عنها! وقد ورد في أخبار متعددة: أن الزنا كثُر بين الناس منذ أن منع عمر المتعة!

---

(١) هذه الكلمة يحتمل زيادتها على النص من قِبل الناسخين، أو لعلّ ما بعدها عبارة محذوفة.

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في نسخة الرضوي، ولا يبعد زيادتها من الناسخين أيضاً لأن مصطلح «القوة الجنسية» حديثٌ لم يكن متداولاً في تلك العصور.

أما قولك ـ أيّها الملك ـ إني لا أرغب.. الخ، فالإسلام لم يجبر أحداً على هذا، كما لم يجبرك على أن تزوّج بنتك لمن تعلم أنه يطلّقها بعد ساعة من عقد النكاح، بالإضافة إلى أن عدم رغبتك ورغبة الناس في شيء لا يقوم [ظ: لا يكون] دليلاً على حرمته، فحكم الله ثابت لا يتغيّر بالأهواء والآراء!

قال الملك ـ موجّهاً الخطاب للوزير ـ

حجة العلوي في جواز المتعة قوية!

قال الوزير:

لكنّ العلماء اتبعوا رأي عمر.

قال العلوي:

أولاً: إن الذين اتّبعوا رأي عمر هم علماء السُنَّة فقط لا كل العلماء.

ثانياً: حكم الله ورسوله أحقّ بالاتباع أم قول عمر؟

وثالثاً: إن علماءكم ناقضوا بأنفسهم قول عمر وتشريعه.

قال الوزير: كيف؟

قال العلوي: لأن عمر قال: (متعتان كانتا في عهد رسول الله أنا أحرّمهما: متعة الحج ومتعة النساء[1]، فإن كان قول عمر صحيحاً فلماذا

(١) في خبر آخر قال عمر: أيّها لناس، ثلاث كُنّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهن: متعة النساء، ومتعة الحج وحيّ على خير العمل.
لاحظ: شرح القوشجي مبحث الإمامة، وقد تقدمت مصادره.

لم يتبع علماؤكم رأيه في متعة الحج؟ حيث إن علماءكم خالفوا عمر وقالوا: بأن متعة الحج صحيحة، على الرغم من تحريم عمر! وإن كان قول عمر باطلاً فلماذا اتّبع علماؤكم رأيه في حرمة متعة النساء، ووافقوه؟

الوزير: سكت ولم يقل شيئاً.

قال الملك ـ موجّهاً الكلام إلى الحاضرين ـ لماذا لا تجيبون العلوي؟

فقال أحد علماء الشيعة واسمه الشيخ حسن القاسمي: الإيراد والإشكال وارد على عمر وعلى من تبعه، ولهذا ليس لهؤلاء ـ أيها الملك ـ جواب على إيراد سيّدنا العلوي حفظه الله تعالى.

قال الملك:

إذن دعوا هذا الموضوع وتكلّموا حول موضوع آخر.

قال العبّاسي:

إن هؤلاء الشيعة يزعمون أنه لا فضل لعمر، وكفاه فضلاً أنه فتح تلك الفتوحات الإسلامية.

قال العلوي:

عندنا لذلك أجوبة:

أولاً: إن الحكام والملوك يفتحون البلاد لأجل توسعة أراضيهم وسلطانهم، فهل هذه فضيلة؟

ثانياً: لو سلّمنا أن فتوحاته فضيلة، لكن هل الفتوحات تبرّر غصبه لخلافة الرسول؟ والحال أن الرسول لم يجعل الخلافة له، وإنما جعلها لعليّ بن أبي طالب عليه السلام [1].. فإذا أنت ـ أيّها الملك ـ عيّنت خليفة لمقامك، ثم جاء إنسان وغصب الخلافة من خليفتك وجلس مجلسه، ثم فتح الفتوحات وعمل الصالحات، فهل ترضى أنت بفتوحاته أم تغضب عليه، لأنه خلع مَنْ عيّنته، وعزل خليفتك وجلس مجلسك بغير إذنك؟

قال الملك:

بل أغضب عليه، وفتوحاته لا تغسل جريمته!

قال العلوي:

وكذلك عمر، غصب مقام الخلافة، وجلس مجلس الرسول بغير إذن من الرسول!

ثالثاً: إن فتوحات عمر كانت خاطئة وكان لها نتائج سلبية معكوسة، لأن رسول الإسلام ﷺ لم يهاجم أحداً، بل كانت حروبه دفاعية ولذلك رغب الناس في الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً لأنّهم عرفوا أن الإسلام دين سلم وسلام، أما عمر فإنه هاجم البلاد وأدخلهم في الإسلام بالسيف والقهر، ولذلك كره الناس الإسلام واتهموه بأنه دين السيف والقوة، لا دين المنطق واللِّين وصار ذلك سبباً لكثرة أعداء الإسلام.

---

(١) لا بدّ من القول: أن الجاعل للخلافة هو الله تعالى وليس الرسول، فما ذكره العلوي من أن الرسول جعلها للإمام أمير المؤمنين فيه تسامح، ولكنّه يقصد أنه جعلها له عليه السلام بأمر من الله تعالى، لأن الخلافة تعيين من الله تعالى وليست ترشيحاً.

إذن: فتوحات عمر شوّهت سمعة الإسلام، وأعطت نتائج سلبية معكوسة(*).

(*) إن التشدق بالفتوحات الإسلامية ليس إلاّ مظهراً من مظاهر العصبية التي نبذها الإسلام تحت قدميه، هذه الفتوحات التي جعلوها مفخرة عظمى لما يسمى بالخلفاء الراشدين قد صبت علينا الويلات، حتى نعت الغربيون الإسلام بأنه دين قسوة يعتمد على السيف أكثر من اعتماده على منطق العقل والعلم والدراية!!.. فأغلب هذه الفتوحات إنما كانت من أجل توسيع رقعة الحكم الغاصب للخلافة من أصحابها الحقيقيين أمير المؤمنين وأبنائه الميامين عليهم السلام، بل كانت ضرراً على الإسلام ووبالاً عليه، وذلك لأمور:

الأول: لو كانت تلك الفتوحات لله تعالى لكان إتّبعها اهتمام القائمين بها من الحكّام والساسة بإرشاد الناس ـ في تلك البلاد المفتوحة ـ وتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم تربية دينية صالحة، بحيث يتحول الإسلام في نفوسهم إلى طاقة عقائدية تشحذ الهمم نحو الفضيلة والتكامل، وتنبّهم لأحكام الإسلام والدفاع عنها، فلما لم يكن شيء من هذا حاصلاً في تلك البلاد، علمنا أن فتوحاتهم لم تكن فتحاً للإسلام، بل فتحاً للعداء عليه. فها هو رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله لم يكن يكتفي من الناس بإظهار الإسلام والتلفظ بالشهادتين ثم ممارستهم السطحية لبعض الشعائر والظواهر الإسلامية فحسب وإنما كان يرسل لهم من يعلّمهم ويرشدهم إلى عقائد الإسلام وأحكامه، بخلاف هذه الفتوحات التي تمت على يد الثلاثة المتقدّمين على مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فإن الكثير من البلدان فُتحت ثم عادت إلى الكفر والعصيان.

قال الطبري:

إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان وكانوا يجبون أحياناً مائة ألف

ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مائتي ألف، وأحياناً ثلثمائة ألف وكانوا ربما أعطوا ذلك وربما منعوه ثم امتنعوا وكفروا فلم يعطوا خراجاً حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يعازه أحد حين قدمها، فلما صالح صولا وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص[1].

فكان همّ خلفاء الفتوحات جلب النفائس والحلي والدراهم والجواري[2].

قال ابن الأثير:

«إن معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حُديج عن أفريقية، واستعمل عليها عقبة بن نافع الفهري، وكان مقيماً ببرقة وزويلة مذ فتحها أيام عمرو بن العاص، ... فلما استعمله معاوية سيّر إليه عشرة آلاف فارس، فدخل أفريقية وانضاف إليه من أسلم من البربر فكثر جمعه، ووضع السيف في أهل البلاد لأنهم كانوا إذا دخل إليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الإسلام، فإذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتدّ من أسلم»[3].

وهكذا نجد عدم اهتمام كثير من الصحابة بالإسلام كعقيدة ثابتة، لذا قال موسى بن يسار: «إن أصحاب رسول الله كانوا أعراباً جفاةً، فجئنا نحن أبناء فارس فلخصنا هذا الدين»[4].

الثاني: أدت سياسة التمييز في العطاء، وتفضيل العرب على العجم، والهيمنة والسيطرة التي كانت سائدة بين أواسط الحكام وأتباعهم، مضافاً إلى وفور النعم، إلى الإعجاب بالنفس والغرور، مع عدم وجود روادع دينية أو وجدانية لديهم، فنال الأمة منهم كل مكروه، وأصيب الإسلام على أيديهم في مقاتله. لقد

---

(١) تاريخ الطبري ج٣/ ٣٢٥ حوادث عام ٣٠هـ.

(٢) نفس المصدر ج٣/ ٣٥٨، والكامل في التاريخ ج٢/ ٤٩٢.

(٣) الكامل في التاريخ ج٣/ ٤٦٥ وج٢/ ٤٤٨، وتاريخ الطبري ج٣/ ٣٦٠ والفتوحات الإسلامية لدحلان، الجزء الأول.

(٤) ميزان الاعتدال ج٤/ ٢٢٧.

انبهر أصحاب تلك الفتوحات بالمناصب التي كانوا فيها، وأسالت لعابهم الجواري الحسان، وتملك البلدان، فشمخ كل منهم بأنفه، ونظر في عطفه، وتكبّر وتجبّر، لأنه لم يتعامل مع الواقع الجديد بعقلية الرجل المسلم الواعي والهادف، بل بعقلية الجاهلية، التي تعتبر القبيلة لا الأمة أساساً، والفرد لا الجماعة ميزاناً ومنطلقاً لتعامله مع الآخرين، فكان جلّ اهتمامهم بتقوية أمرهم، وتثبيت سلطانهم، فصاروا يجمعون الأنصار بالمال وبالإغراء بالمناصب وغير ذلك من سياسات، ليس الترهيب والقمع في كثير من الأحيان إلاّ واحداً منها، واستمروا في بسط نفوذهم وسلطانهم على أساس أنه ملك قبلي.

«وإذا كان أبو بكر، وكذلك عمر لا يدري: أخليفة هو أم ملك، فإن معاوية بن أبي سفيان كان يعتبر نفسه ملكاً بالفعل، وكذلك كان يعتبره الكثيرون، بل أن عمر نفسه قد اعتبر نفسه ملكاً في بعض المناسبات».

لقد اعتبر معاوية والأمويون أنفسهم ملوكاً قيصريين، وأن الدين عندهم مجرد شعار يخدم هذا المُلك ويقويه، وكل ما كان مانعاً من الوصول إلى ما يبتغون، كانوا يدمرونه ويستأصلونه من جذوره.

فالمستفيدون الحقيقيون من تلك الفتوحات هم خصوص هذه الطبقة من المترفين المتجبّرين من أدعياء الإسلام، كانوا يكيدون للإسلام بإسمه، فهم أصحاب القرار لذا عبّر العامة عنهم بـ«أهل الحل والعقد» يحلّون ويعقّدون بأنفسهم من دون استشارة أحد من المسلمين، لأن القرار بأيديهم، والله تعالى سلّطهم على عبيده فهم خدم عندهم لا يلوون على شيء إلا بإشارتهم، فهذا النمط من الحكّام هم المستفيدون حقاً، لذا قد بلغت الثروات في عهد الخلفاء الثلاثة الأُول أرقاماً خيالية، حسبما أفادت النصوص التاريخية[1]، فقد نجد أن عمر بن الخطّاب الذي يقال عنه أنه من أزهد الناس ـ وربّ قول مشهور لا أساس له ـ وأنه

---

(١) الغدير ج٨/ ٢٣٤ ـ ٢٨٩، التراتيب الإدارية ج٢/ ٣٢ وما بعدها، والبداية والنهاية ج٧/ ١٦٤.

كان يرتزق من بيت المال، وغيرها من الفضائل التي أصبغوها عليه، نجده قد أصدق زوجته أربعين ألف درهم أو دينار، وقيل مائة ألف، كما أنه أعطى صهراً له قدم عليه من مكّة عشرة آلاف درهم من صلب ماله، وقد ملك أربعة آلاف فرس، إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لمسيرة الثلاثة.

كما أن عمر بن الخطّاب قد حاول أخذ الجزية من رجل أسلم، على اعتبار أنه: إنما أسلم متعوذاً، فقال له ذلك الشخص: إن في الإسلام لمعاذاً! فقال عمر: صدقت أن في الإسلام لمعاذاً.

وها ذاك خالد بن الوليد ـ سيف الشيطان المسلول على المؤمنين الموحّدين لا سيّما الصدّيقة الطاهرة الزكية فاطمة عليها السلام ـ لعن الله من ظلمها وآذاها ـ يخاطب جنوده ويرغّبهم بأرض السواد: «ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب؟ وبالله، لو لم يلزمنا الجهاد في الله، والدعاء إلى الله عزّ وجلّ، ولم يكن إلاّ المعاش لكان الرأي: أن نقارع على هذا الريف، حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولّى، ممن إثّاقل عما أنتم عليه»[1].

وعلى كل حال، فإن الحرب من أجل الغنائم والأموال[2]، كانت هي الصفة المميزة لأكثر تلك الفتوحات، ويشهد له ما رواه أبو نعيم والحسن بن سفيان عن الحارث بن مسلم التميمي: أن النبيّ أرسل بعض الصحابة في سرية وأنا معهم، فلمّا بلغنا المغار استحثثت فرسي وسبقت أصحابي، واستقبلنا الحي بالرنين، فقلت لهم: قولوا لا إله إلا الله تحرزوا؟ فقالوها. فجاء أصحابي، فلاموني، وقالوا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا، فلمّا قفلنا، ذكروا ذلك لرسول الله، فدعاني، فحسّن ما صنعتُ وقال: أما إن الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا..»[3].

---

(١) العراق في العصر الأموي ص١١. والرَّفغ: سعة العيش وطيبه.

(٢) لاحظ الكامل في التاريخ ج٢ تجد الكثير فيه.

(٣) كنز العمال ج١٥/ ٣٣٠.

وقال الزبير للذي سأله عن مسيره لحرب الإمام عليّ عليه السلام «حدثنا أن هاهنا بيضاء وصفراء ـ يعني دراهم ودنانير ـ فجئنا لنأخذ منها»[1].

الثالث: إن تربية كثير من الأشراف والرؤساء على أيدي غير المسلمات، له دور كبير في تكوين الشخصية المهزوزة والتي ليس في قلبها متسع للرحمة، لأن الإسلام دين رحمة، فمن لم يتصف بتلك الرحمة فلا قيمة لإسلامه ولو تشهد بالشهادتين ألف مرة كل يوم.

لذا فقد كان:

١ ـ لأولاد سعد بن أبي وقّاص معلم نصراني[2].

٢ ـ يوسف بن عمرو كانت أمه نصرانية[3].

٣ ـ خالد القسري، بنى لأمه كنيسة[4]، وكان خالد يهدم المساجد، ويبني البيع والكنائس، ويولّي المجوس[5]، وكان جد خالد من يهود تيماء[6].

٤ ـ وتزوّج طلحة بيهودية في زمن عمر[7].

٥ ـ تزوّج عبد الله بن أبي ربيعة بنصرانية في زمن عمر[8].

٦ ـ كان لعمر بن الخطاب غلام نصراني لم يسلم وقد أعتقه حين وفاته[9].

---

(١) أنساب الأشراف ج٢/ ٢٧١.

(٢) أنساب الأشراف ج٢/ ٢٩٢.

(٣) أنساب الأشراف ج٣/ ٨٨.

(٤) البداية والنهاية ج١٠/ ٢٠.

(٥) العراق في العصر الأموي ص٢٤٠.

(٦) الأغاني ج١٩/ ٥٧.

(٧) المصنف لعبد الرزاق ج٧/ ١٧٧ وتفسير الخازن ج١/ ٤٣٩.

(٨) نسب قريش ص٣١٨.

(٩) التراتيب الإدارية ج١/ ١٠٢.

٧ ـ تزوّج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية[١] وغيرهم كثير[٢].

وعلى كل حال، «فإن تربية تلك الجواري للنشء الجديد قد كان من شأنه أن يخفض من المستوى الديني، ومن مستوى الالتزام بالأحكام الإسلامية لدى ذلك النشء بالذات، وهذا بطبيعة الحال من شأنه أن يشكّل خطراً جدياً على الإسلام والمسلمين، ولذلك فإننا نجد الأئمة عليهم السلام يهتمون بتربية العبيد والجواري تربية إسلامية صالحة ثم عتقهم.

وقد شجّع الإسلام العتق على نطاق واسع، وجعل له من الأسباب الإلزامية والراجحة الشيء الكثير، الذي من شأنه أن يقضي على ظاهرة العبودية من أساسها»[٣].

الرابع: عدم اشتراك أمير المؤمنين وولديه العظيمين الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام في تلك الفتوحات التي طالما تشدق بها العامة وجعلوها من الأدلة على إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، مع أنهم تناسوا فتوحات أمير المؤمنين عليّ في بدر وخيبر وأحد وحنين وكل المعارك التي خاضها الإسلام مع الكفر وخرج منها منتصراً ببركة ساعد مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

فسبب عدم مشاركته عليه السلام في تلك الفتوحات يرجع إلى أمرين:

● **الأول**: حرمة دعم هؤلاء لكونهم مالوا عن الحقّ واعتدوا على الحرمات، لأنّ في دعمهم تضعيف عقائد المؤمنين وتوهين شريعة سيّد المرسلين وإغراءاً بالقبيح، هذا مضافاً إلى أنّهم لم يطلبوا بهذه الفتوحات وجه الله والقرب منه بل كان

---

(١) تفسير الخازن ج١/٤٣٩.

(٢) فليراجع: المحبّر ص٣٠٥ لابن حبيب ط/ عام ١٣٦١هـ، والأعلاق النفيسة ص٢١٣ لابن رستة ط/ ليدن، وربيع الأبرار ج١/٣٤٨.، ونسب قريش لمصعب ص٣١٩، والحياة السياسية للإمام الحسن/ جعفر مرتضى ص١٥٢؛ والمنمق لابن حبيب ط/ الهند عام ١٣٨٤هـ، ص٥٠٦.

(٣) الحياة السياسية للإمام الحسن ص١٥٧.

كلّ همّهم الحصول على النفائس وصوافي الغنائم والاختصاص بالحسناوات من النساء بعنوان سبايا وجواري. . . وعلى كلّ حال فإنّ الحرب من أجل بسط نفوذهم وتقوية أمورهم، فصاروا يجمعون الأنصار بالمال وبالإغراء بالمناصب وبغير ذلك من سياسات ليس الترهيب والقمع في كثير من الأحيان إلاّ واحداً منها. .

إذن، فالحرب من أجل الغنائم والأموال كانت هي الصفة المميّزة لأكثر تلك الفتوحات، ويشهد لهذا ما فعلوه بأمير المؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله مسجّى على الفراش، ثم انتهاكهم لحرمة ابنته الزهراء البتول ومنعها من الخمس واغتصابهم لفدك وغير ذلك لأكبر شاهد على ما قلنا. هذا مضافاً إلى أنّ ظاهرة الطمع في الأموال والنفائس كانت سائدة بين بعض المسلمين على عهد رسول الله ممّا سبّب انكسار المسلمين في معركة أحد، وبقيت هذه الظاهرة إلى ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، بل لا نبالغ إذا ما قلنا أنها ازدادت عمّا كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

● **الثاني**: إنّ ضعف الإيمان في نفوس المسلمين وعدم معرفتهم بأكثر أحكام دينهم استدعى عدم مشاركته عليه السلام في تلك الفتوحات، هذا علاوة على أنّه لم يأمر أحداً من أصحابه بالمشاركة فيها، لأنّ مهمّته عليه السلام وأصحابه معه هي تثقيف الناس بعقائدهم وتثبيت الإيمان في نفوسهم ونشر فكر الإسلام الصحيح للأمّة، وللمتصدّين لإدارة شؤونها على حدٍّ سواء وقد نوّه بذلك عليه السلام في خطبة له فقال: «أيّها الناس، خذوها عن خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله أنّه يموت من مات منّا وليس بميّت. . . ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر، قد ركزت فيكم راية الإيمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي، فلا تستعملوا الرأي فيما لا يُدرك قعره البصر ولا تتغلغل إليه الفِكَر. . .»[1].

---

(١) نهج البلاغة ج١/ ١٥٣ (الخطبة ٨٣) بشرح محمد عبده، و(الخطبة ٨٧) بشرح صبحي الصالح.

وبالجملة: فإن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا لا يرون في الاشتراك في هذه الفتوحات أو الحروب مصلحة، بل لا يرون نفس تلك الحروب خيراً، فقد روي عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لعبد الملك بن عمرو: «يا عبد الملك مالي لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟ قال: قلت: وأين؟ قال عليه السلام: جدّة وعبادان والمصيصة وقزوين، فقلت: انتظاراً لأمركم والاقتداء بكم، فقال عليه السلام: أي والله لو كان خيراً ما سبقونا إليه، قال: قلت له: فإن الزيدية يقولون ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلاّ أنه لا يرى الجهاد، فقال عليه السلام: أنا لا أراه! بلى والله إني لأراه ولكنني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم»[1].

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام قال:

لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عزّ وجلّ، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدوّنا في حبس حقنا والإشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية[2].

وثمة روايات أخرى تدل على أنهم عليهم السلام كانوا لا يشجّعون شيعتهم بل ويمنعونهم من الاشتراك في تلك الحروب، ولا يوافقون حتى على المرابطة في الثغور أيضاً، ولا يقبلون منهم حتى ببذل المال في هذا السبيل ولو كان نذراً[3]، وشرّعوا لشيعتهم أنهم إذا دخلوا في حكومات الجائرين اضطراراً لدفع هجوم العدو عليهم أن يدخلوا دفاعاً عن بيضة الإسلام لا عن أولئك الحكّام[4].

فالأئمة عليهم السلام يرون حرمة الجهاد مع غير الإمام العاقل كما هو مفاد الخبر المتقدّم عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهم روحي وأرواح العالمين لهم الفداء أحرص

---

(١) وسائل الشيعة ج١١/ ٣٢ ح٢ باب ١٢ (اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام وإذنه).
(٢) نفس المصدر ج١١/ ٣٤ ح٨.
(٣) نفس المصدر ج١١/ ٢١ ح١ باب ٧ (حكم من نذر مالاً للمرابطة).
(٤) نفس المصدر ج١١/ ٢١ باب ٧ ح٢.

الناس على توسعة رقعة الإسلام ونشره ليشمل الدنيا بأسرها، ولكنَّ الطريقة والأسلوب الذي كان يتم ذلك بواسطته كان حراماً ومضراً بنظرهم المقدَّس.

وما إدّعاه بعضهم[1] (من أن الإمامين الحسن والحسين شاركا في كثير من الفتوحات الإسلامية وكان لهما دور بارز في سير تلك المعارك التي كانت تدور رحاها بين المسلمين وغيرهم) غير مقبول وذلك:

١ ـ لم يرد ذلك في أخبارنا، بل ما ذكره الحسني إنما هو من مصادر العامة، ولا حجية لأخبارهم عندنا نحن الإمامية لا سيّما التي تخالف أخبارنا الصحيحة، وليت شعري كيف أخذ بأخبار عليها علائم الدّس والتحريف وقامت القرائن القطعية على بطلانها؟ هذا مضافاً إلى إرسالها وضعفها مع معارضتها لأخبارنا الصحيحة ـ والتي عرضنا قسماً منها ـ.

٢ ـ إنّ عمله بهذه الأخبار ـ على ضعفها وشواذها ـ لا يعبّر عن رأي الشيعة الإمامية، للأسباب التي ذكرناها سابقاً، مضافاً إلى أنه لو كان ـ ما ذكره الحسني ـ صحيحاً فلِمَ جلس أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام خمساً وعشرين سنة في بيته؟! وولداه لم يفارقاه أصلاً، مع التأكيد على أن أمير المؤمنين عليه السلام وولديه عليهما السلام لو كانوا ـ والحالة هذه ـ مكان سعد بن أبي وقاص ـ هل يكونون مأمونين من أن يرجعوا بذاك الجيش فيما لو كانوا قادة فيه، وماذا لو كانوا تحت إمرة الفسّاق، فما هو موقفهم من أولئك القادة، وهل يرضى الحسني أن ينضوي أئمته عليهما السلام الحسن والحسين تحت إمرة خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وغيرهما؟! بل ما ادعاه المذكور مخالف لما ورد من أن القوم عرضوا عليه المشاركة فرفض[2].

---

(١) هو السيد هاشم معروف الحسني في سيرة الأئمة عليهم السلام ج١/ ٤٨٣.

(٢) مروج الذهب ج٢/ ٣٠٩ وفتوح البلدان ص٣١٣.

ولو لم يغصب أبو بكر وعمر وعثمان الخلافة من صاحبها الشرعي الإمام عليّ عليه السلام، وكان الإمام يتسلم مهام الخلافة بعد الرسول مباشرة لكان يسير بسيرة الرسول ويقتفي أثره، ويطبّق منهاجه الصحيح، وكان ذلك موجباً لدخول الناس في دين الإسلام أفواجاً، ولكانت رقعة الإسلام تتسع حتى تشمل وجه الكرة الأرضية!

ولكن، لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وهنا تنفّس السيّد العلوي تنفساً عميقاً، وتأوّه من صميم قلبه، وضرب بيد على الأخرى أسفاً وحزناً على ما حلّ بالإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بسبب غصب الخلافة من صاحبها الشرعي الإمام عليّ عليه السلام.

قال الملك ـ موجّهاً الكلام إلى العبّاسي ـ:

ما هو جوابك على كلام العلوي؟

قال العبّاسي: إني لم أسمع بمثل هذا الكلام من ذي قبل!

قال العلوي:

الآن وحيث سمعت هذا الكلام، وتجلّى لك الحق فأترك خلفاءك، واتّبع خليفة رسول الله الشرعي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ثم أردف العلوي قائلاً:

عجيب أمركم معاشر السُنَّة تنسون وتتركون الأصل وتأخذون بالفرع.

قال العبّاسي: وكيف ذلك؟

قال العلوي: لأنكم تذكرون فتوحات عمر، وتنسون فتوحات عليّ بن أبي طالب!

قال العبّاسي:

ـ وما هي فتوحات عليّ بن أبي طالب؟

قال العلوي:

أغلب[1] فتوحات الرسول حصلت وتحققت على يد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب مثل: بدر وفتح خيبر وحنين وأُحد والخندق وغيرها.. ولولا هذه الفتوحات التي هي أساس الإسلام لم يكن عمر، ولم يكن هنالك إسلام ولا إيمان، والدليل على ذلك أنّ النبيّ ﷺ قال لمّا برز الإمام عليّ لقتل عمرو بن ودّ في يوم الأحزاب «الخندق»: (برز الإيمان كلّه إلى الشرك[2] كلّه) (إلهي إن شئت أن لا تعبد فلا تُعبد)[3].

أي إنْ قُتِل عليٌّ تجرّأ المشركون على قتلي وقتلِ المسلمين جميعاً فلا يبقى بعده إسلام ولا إيمان.

---

(١) بل نؤكد أكثر: أن كل الفتوحات شارك فيها أمير المؤمنين وكان فيها المنتصر، إلاّ في وقعة تبوك فلم يحضر فيها، لأن الرسول تركه يحمي المدينة من المنافقين، ومَن غير الإمام عليه السلام بقادر على التصدي لهم غيره عليه السلام؟!

(٢) شرح النهج، ابن أبي الحديد، ج٤/ ٣٤٤ وبحار الأنوار: ج٣/ ٣٩.

(٣) قاله النبيّ ﷺ في غزوة بدر الكبرى راجع تفسير القمي علي بن إبراهيم ج١/ ٢٩٣ الآية: ٩ من سورة الأنفال. وقد جاءت بلفظ آخر هكذا: «اللّهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» راجع تفسير مجمع البيان ج٤/ ٣٣٨ والبرهان في تفسير القرآن ج٢/ ٦٩، وتفسير الكشاف للزمخشري ج٢/ ١٩٤، وبحار الأنوار ج١٩/ ٣٢٤.

وقال ﷺ: (ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين)[1] فصحّ أن نقول: إن الإسلام محمّدي الوجود، علوي البقاء، وإن الفضل

---

(١) مصادره كثيرة: انظر المواقف/ الأيجي، ص ٦١٧، نهاية العقول في دراية الأصول/ فخر الدين الرازي، ص ١١٤. شرح المقاصد/ التفتازاني: ج٢/ ٢٣٠ ط الآستانة. نفحات اللاهوت/ الكركي ص ٩١ ط. الينابيع/ القندوزي، ص ٩٥ وص ١٣٧ ط اسلامبول، تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي: ج١٣/ ١٩. مقتل الحسين/ الخوارزمي، ص ٤٥. فرائد السمطين/ الحمويني: ج١/ ٢٥٥ ح١٩٧، شواهد التنزيل/ الحسكاني: ج٢/ ٥، مستدرك الحاكم: ج٣/ ٣٢ السيرة الحلبية بهامشه السيرة النبوية: ج٢/ ٣٢٠، بحار الأنوار: ج٢٠/ ٢١٦.

عن علي بن الحكيم الأودي قال: سمعت أبا بكر بن عيّاش يقول: لقد ضرب عليٌّ ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها، (أي يوم الخندق) ولقد ضُرب ضربة ما ضُرب في الإسلام أشأم منها أي ضربة ابن ملجم للإمام عليه السلام. بحار الأنوار: ج٢٠/ ٢٥٨. والمراد من الثقلين:

إما الجن والإنس، وإما العالم العلوي والسفلي، فالعلوي: يشمل جميع الملائكة حتى الكروبيين وروح القدس، والسفلي: ويشمل الجن والإنس. فالعلوي ثقلٌ، والسفلي ثُقل. ولا يبعد الأمرين معاً، وإن كان الأظهر الثاني لسعة إحاطتهم للمعارف والكمالات، ولكونهم أفضل ما خلق الله تعالى على الإطلاق.

سؤال:

لماذا صارت ضربة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب روحي فداه وعليه السلام أفضل من عبادة الثقلين؟

والجواب:

صارت كذلك لأمرين:

(١) لأن ضربته كانت خالصة لله تعالى، فهي مصداق قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

(٢) لأنها أدخلت العزّ للإسلام والمسلمين، فلولا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يومَ الخندق لانطفأت شعلة الدين، فعليٌّ المرتضى قائد الغر المحجلين أبقاها متوقدة، فله عليه السلام فضلٌ على عبادة المؤمنين إلى قيام يوم الدين، فضربته سبباً لعبادتهم لله رب العالمين.

والتخصيص بالضربة بقوله «ضربته» إشارة إلى جنبة العمل الصادر منه عليه السلام، حيث يتفاضل بتفاضل المعرفة وكمالها، فكلما كان العمل مخلصاً لله تعالى دل ذلك على عظمة العلم لدى صاحبه، فضربته أثر من آثار معرفته بالله تعالى التي لا يرقى إليها مخلوق على الإطلاق إلاّ سيّد الرسل محمّد وفاطمة الصدّيقة الشهيدة وأولادها الأنوار المقدّسين الطاهرين، فلمّا كانت معرفته بالله أرقى من معارف الثقلين، كانت ضربته أعظم وأفضل من عبادة الثقلين. تأمل وتدبر.

لله تعالى ولعليّ عليه السلام في بقاء الإسلام.

قال العبّاسي:

هب إنّ قولكم في أخطاء عمر، وأنه غير صحيح، وأنّه غيّر وبدّل، لكن لماذا تكرهون أبا بكر؟

قال العلوي: نكرهه لعدة أمور، أذكر لك منها أمرين:

الأول: ما فعله بفاطمة الزهراء بنت رسول الله، وسيّدة نساء العالمين عليها السلام.

الثاني: رفعه الحدّ عن المجرم الزاني: خالد بن الوليد.

قال الملك ـ متعجباً ـ وهل خالد بن الوليد مجرم؟

قال العلوي: نعم.

قال الملك: وما هي جريمته؟

قال العلوي:

جريمته أنه: أرسله أبو بكر إلى الصحابي الجليل «مالك بن نويرة» الذي بشّره رسول الله أنه من أهل الجنّة، وأمره أي: أمر أبو بكر خالداً، أن يقتل مالك وقومه، وكان مالك خارج المدينة المنوّرة، فلمّا رأى خالداً مقبلاً إليه في سريّة من الجيش، أمر مالك قومه بحمل السلاح، فحملوا السلاح، فلمّا وصل خالد إليهم احتال وكذب عليهم، وحلف لهم بالله أنه لا يقصد بهم سوءاً، وقال: إننا لم نأتِ لمحاربتكم بل نحن ضيوف عليكم الليلة، فاطمأن مالك ـ لمّا حَلَفَ خالد بالله ـ بكلام خالد، ووضع هو وقومه السلاح، وصار وقت الصلاة، فوقف مالك وقومه

للصلاة، فهجم عليهم خالد وجماعته وكتّفوا مالكاً وقومه ثم قتلهم المجرم خالد عن آخرهم، ثم طمع خالد في زوجة مالك (لما رآها جميلة) وزنى بها في نفس الليلة التي قتل فيها زوجها، ووضع رأس مالك وقومه أثافي[1] للقِدر، وطبخ طعام الزنا وأكل هو وجماعته!! ولمّا رجع خالد إلى المدينة أراد عمر أن يقتص منه لقتله المسلمين ويجري عليه الحدّ لزناه بزوجة مالك، ولكنّ أبا بكر (المؤمن؟!) منع عن ذلك منعاً شديداً، وبعمله هذا أهدر دماء المسلمين وأسقط حدّاً من حدود الله!

قال الملك (متوجهاً إلى الوزير):

هل صحيح ما ذكره العلوي في حقّ خالد وأبي بكر؟

قال الوزير:

نعم، هكذا ذكر المؤرخون[2].

---

(١) الأثافي: هو الحجر الذي يوضع عليه القدر.

(٢) قال عز الدين ابن الأثير الجزري (المتوفي سنة ٦٣٠هـ):

مالك بن نويرة بن حمزة بن شدّاد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي اليربوعي، أخو متمم بن نويرة.

قدم على النبيّ ﷺ وأسلم واستعمله رسول الله على بعض صدقات بني تميم، فلمّا توفى النبيّ وارتدت العرب، وظهرت سجاح وادّعت النبوة، صالحها إلاّ أنه لم تظهر عنده رِدة، وأقام بالبطاح، فلمّا فرغ خالد من بني أسد وغطفان، سار إلى مالك وقدم البطاح، فلم يجد به أحداً، كان مالك قد فرّقهم ونهاهم عن الاجتماع، فلمّا قدم خالد البطاح بث سراياه، فأُتي بمالك بن نويرة ونفر من قومه،

فاختلفت السرية فيهم، وكان فيهم أبو قتادة، وكان فيمن شهد أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا، فحبسهم في ليلة باردة، وأمر خالد فنادى: ادفئوا أسراكم، وهي في لغة كنانة القتل، فقتلوهم، فسمع خالد الواعية فخرج وقد قتلوا، فتزوج خالد امرأته، فقال عمر لأبي بكر: سيف خالد فيه رهق[1]! وأكثر عليه، فقال أبو بكر: تأوّل فأخطأ، ولا أشيم[2] سيفاً سلّه الله على المشركين، وودى مالكاً، وقدم خالد على أبي بكر، فقال له عمر: يا عدوّ الله، قتلت امرأ مسلماً، ثم نزوت على امرأته لأرجمنّك...

ثم قال الجزري:

فهذا جميعه ذكره الطبري وغيره من الأئمة، ويدل على أنه لم يرتد،.. وقد اختلف في ردته، وعمر يقول لخالد: «قتلت امرأ مسلماً، وأبو قتادة يشهد أنهم أذّنوا وصلوا، وأبو بكر يردّ السبي ويعطي دية مالك من بيت المال، فهذا جميعه يدل على أنه مسلم»[3].

وقال الطبري: «.. وألحّ عليه عمر في خالد أن يعزله وقال أن في سيفه رهقاً فقال: لا يا عمر لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين.

وعن عثمان بن سويد قال: كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً وأن أهل العسكر أثفوا برؤسهم القدور، فما منهم رأس إلاّ وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكاً فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره.. فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطّاب تكلّم فيه عند أبي بكر فأكثر وقال: عدو الله عدا على امرىء مسلم فقتله ثم نزا على امرأته وأقبل خالد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء عليه صدأ الحديد معتجراً بعمامة له قد غرز في عمامته أسهماً، فلمّا أن دخل المسجد قام إليه

---

(١) الرّهق: جهل في الإنسان، وخفّة في عقله، ويقال به رهق: سريع الشر، سريع الحدة. وذلة وسفهاً وطغياناً وظلماً، لسان العرب ج١٠/ ١٣٠ مادة رهق.

(٢) شام السيف شيماً: سلّمه وأغمده. لسان العرب مادة شيم.

(٣) أسد الغابة ج٥/ ٤٨ ترجمة مالك بن نويرة.

عمر فانتزع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال: أرثاء قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته والله لأرجمنّك بأحجارك . .»[1].

لنا إيرادات على ما تقدّم:

١ ـ ما رواه الطبري من أن القدر نضج وما نضج رأس مالك من كثرة شعره، أظنه مزحة لا يصدّقها عاقل، إذ كيف تعمل النار بالقدر ولا تعمل برأسه من كثرة شعره، وهل كان شعره من خشب الساج أو الأرز حيث لا تعمل به النار سريعاً؟ إن عدم نضج رأسه بالنار إنما هو لإيمانه بالله تعالى ورسوله ووليّه، حيث حرّم الله تعالى جسده ورأسه على النار، ومن كان مع الله، كان الله تعالى معه، فأكرم مثواه، وهذه شهادة من الله العزيز الحكيم لمالك بن نويرة بأنه كان مؤمناً تقيّاً وليس مشركاً كما إدّعى مبغضوه.

٢ ـ إذ لو كان ما قاله أبو بكر صحيحاً من أن خالداً تأوّل فأخطأ بقتله مالك، فلماذا نزا على زوجة الشهيد مالك، وهل أن خالداً تأوّل بها أيضاً فأخطأ؟

ولو كان خَطَؤه مغفوراً لما أكدّ عمر على الاقتصاص منه، إذ لا يخفى أن مَنْ أخطأ في تشخيص حكم لا يُقام عليه الحدّ، لأن الخطأ شبهة، والحدود تدرأ بالشبهات، وعليه فإن ما فعله خالد بمالك وأصحابه وزناه بزوجته جريمة مع سابق الإصرار عليها، وهو يستحق عليها القتل بلا إشكال في شريعة الإسلام، ولكنّ السياسة ـ وما أدراك ما السياسة ـ لا تُبقي ولا تذر شيئاً من أحكام الدين.

٣ ـ هل مِنَ الإسلام في شيء مَنْ يجعل رأس مالك وأصحابه (الذين أذّنوا وأقاموا وصلّوا) أثافي للقدور؟ ما هذه القسوة والفظاظة والعنف والتزحزح عن طقوس الإسلام، وإحراق رؤوس أمّة مسلمة، وجعلها أثفيةً للقدر؟ فويل للقاسية قلوبهم، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢/ ٥٠٣ حوادث سنة ١١هـ، وتاريخ ابن الأثير ج٢/ ٣٥٧.

ما خالد وما خطره بعدما اتخذ إلّهه هواه، وسوّلته نفسه، وأضلّته شهوته، وأسكره شبقه؟ فهتك حرمات الله، وشوّه سمعة الإسلام المقدّس، ونزى على زوجه مالك قتيل غيّه في ليلته، إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً، ولم يكن قتل الرجل إلاّ لذلك السفاح، وكان أمراً مشهوداً وسرّاً غير مستسر، وكان يعلمه نفس مالك ويخبر زوجته بذلك قبل وقوع الواقعة بقوله لها: أقتلتني، فقتل الرجل مظلوماً غيرةً ومحاماةً على ناموسه، وفي المتواتر من قتل دون أهله فهو شهيد.

والعذر المفتعل من منع مالك الزكاة لا يبرّئ خالداً من تلكم الجنايات، أيصدّق جحد الرجل فرض الزكاة ومكابرته عليها وهو مؤمن بالله وكتابه ورسوله ومصدّق بما جاء به نبيه الأقدس، يقيم الصلاة ويأتي بالفرائض بأذانها وإقامتها، وينادي بأعلى صوته: نحن المسلمون، وقد استعمله النبيُّ الأعظم على الصدقات ردحاً من الزمن؟ لاها الله. أيسلب امتناع الرجل المسلم عن أداء الزكاة حرمة الإسلام عن أهله وماله وذويه ويجعلهم أعدال أولئك الكفرة الفجرة الذين حقّ على النبيّ الطاهر شنُّ الغارة عليهم؟ أيجوز أن يحكم على أولئك الأطهار بالسبي والقتل الذريع والإغارة على ما يملكون، والنزو على تلكم الحرائر المأسورات؟

إن تسليط الخليفة المزعوم أبو بكر أمثال خالد وضرار بن الأزور شارب الخمور وصاحب الفجور على الأنفس والدماء، وعلى الأعراض، وعهده إلى جيوشه في حرق أهل الردّة وقد نهت السنّة الشريفة عنه.

هل يرتاب أحدٌ في أن سيفاً سلّه المولى سبحانه لا يكون فيه قطُّ رهقٌ ولا شغب، ولا تُسفك به دماءٌ محرّمة، ولا تُهتك به حرمات الله، ولا يُرهف لنيل الشهوات، ولا يُنضى للشبق، ولا يُفتك به ناموس الإسلام؟ فما خالدٌ وما خطره حتى يهبه الخليفة تلك الفضيلة الرابية ويراه سيفاً سلّه الله على أعدائه، وهو عدو الله بنص من الخليفة الثاني، أليست هذه كلها تحكّماً وسرفاً في الكلام، وزوراً في القول، واتخاذ الفضائل في دين الله مهزئة ومجهلة؟

وليست هذه بأوّل قارورة كسرت في الإسلام بيد خالد، وقد صدرت منه لدة هذه الفحشاء المنكرة على عهد رسول الله، وتبرّأ ﷺ من صنيعه، قال ابن إسحاق: بعث رسول الله فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عزّ وجلّ، ولم يأمرهم بقتال، وكان ممّن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً، ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب فوطئوا بني جذيمة ابن عامر، فلمّا رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا.

قال: حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة قال: لمّا أمرنا خالد أن نضع السلاح، قال رجلٌ منّا يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلاّ الأسار، وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً، قال: فأخذه رجالٌ من قومه فقالوا: يا جحدم! أتريد أن تسفك دماءنا إن الناس قد أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس؟ فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد، فلمّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكُتّفوا ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم، فلمّا انتهى الخبر إلى رسول الله رفع يديه إلى السماء ثم قال: اللّهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد[1].

وقد كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن ابن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام[2].

فهذا الرّهق والسرف في سيف خالد على عهد أبي بكر من بقايا تلك النزعات الجاهلية، وهذه سيرته من أوّل يومه، فأنّى لنا أن نعدّه سيفاً من سيوف الله، وقد تبرّأ منه نبي الإسلام غير مرة، مستقبل القبلة شاهراً يديه، وأبو بكر ينظر إليه من كثب.

---

(١) الاستيعاب ج١/ ١٥٣ وفيه قال: هذا من صحيح الأثر.

(٢) سيرة ابن هشام ج٤/ ٥٣، طبقات ابن سعد، ط/ مصر، رقم التسلسل ٦٥٩.

قال الملك: فلماذا يسمي بعض الناس خالداً بـ«سيف الله المسلول»؟

قال العلوي:

إنّه سيف الشيطان المسلول ولكن حيث إنَّه كان عدواً للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان مع عمر لمّا حرق باب دار «الصدّيقة» فاطمة الزهراء عليها السلام سمّاه بعض السنّة بسيف الله!

قال الملك:

وهل أهل السنّة أعداء عليّ بن أبي طالب؟

قال العلوي:

إذا لم يكونوا أعداءه فلماذا مدحوا من غصب حقه والتفوا حول أعدائه وأنكروا فضائله ومناقبه حتى بلغ بهم الحقد والعداء إلى أن يقولوا: (إن أبا طالب مات كافراً) والحال أن أبا طالب كان مؤمناً وهو الذي نصر الإسلام في أشد ظروفه ودافع عن النبيّ في رسالته!

قال الملك: وهل أن أبا طالب أسلم؟

قال العلوي: لم يكن أبو طالب كافراً حتى يسلم، بل كان مؤمناً يخفي إيمانه، فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله أظهر أبو طالب الإسلام على يده، فهو ثالث المسلمين: أولهم: الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والثاني: السيّدة خديجة الكبرى زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله، والثالث: هو أبو طالب عليه السلام.

قال الملك للوزير:

هل صحيح كلام العلوي في حق أبي طالب؟

قال الوزير: نعم ذكر ذلك بعض المؤرخين[1].

---

(١) لقد شنّ المخالفون حملة عظيمة على سيّد البطحاء «أبي طالب» وزوجه الطاهرة فاطمة بنت أسد عليها السلام، فنسبوا إليهما أنهما كانا مشركين، بل إن أبا طالب مات على الكفر بعد المبعث، كل ذلك لأنهما والدا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام.

ونحن سنتطرق إلى إيمانهما قبل البعثة وبعدها من خلال نقطتين:

الأولى: فيما يتعلق بإيمان السيّدة المطهّرة فاطمة بنت أسد عليها السلام.

الثانية: فيما يتعلق بإيمان الصدّيق الوصي أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب عليه السلام.

أما بيان النقطة الأولى:

إن السيّدة الصدّيقة المباركة مولاتنا فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية والدة أمير المؤمنين عليّ وطالب وعقيل وجعفر.

قال الزهري: هي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وهي أيضاً أول هاشمية ولدت خليفة، ثم بعدها فاطمة بنت رسول الله ولدت الحسن عليه السلام[1].

ولها بنتان: الأولى: أم هانيء واسمها جعدة، وقيل: فاختة[2] وقيل: هند، وهي التي صلّى رسول الله في بيتها يوم الفتح.

والثانية: قيل اسمها ريطة[3]، وقيل أسماء أخرى.

---

(١) أسد الغابة ج٧/ ٢١٣.

(٢) بحار الأنوار ج٤٢/ ١٢١ وتذكرة الخواص ص٢٢.

(٣) تذكرة الخواص ص٢٢.

وكانت فاطمة عليها السلام قبل الإسلام تدين بدين الحنيفية الإبراهيمية، كما كانت من أوائل المؤمنات برسول الله صلى الله عليه وآله، بل هي أول امرأة آمنت برسول الله قبل خديجة عليها السلام وذلك: لمّا جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النبيّ فقال لها أبو طالب: اصبري سبتاً أبشرك بمثله إلاّ النبوّة[1]. فيدل على إيمانها بالنبيّ قبل ولادته، نعم جددت إسلامها أو أكّدته بعد مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله. كما كانت أول امرأة هاجرت إلى النبيّ من مكة إلى المدينة[2] على قدميها، وكانت من أبرّ الناس برسول الله[3].

● قال ابن الجوزي الحنفي: وهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها سنة أربع من الهجرة، وشهد رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم جنازتها، وصلّى عليها ودعا لها، ودفع لها قميصه فألبسها إياه عند تكفينها.

ثم قال: وقال الزهري: وكان رسول الله يزورها ويقيل عندها في بيتها وكانت صالحة.

ثم قال: عن ابن عباس: وفيها نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

قال: وهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية، وهي أول امرأة بايعت محمّداً رسول الله بمكة بعد خديجة[5].

---

(١) أصول الكافي ج١/ ٤٥٢ ح١.

(٢) تذكرة الخواص ص١٠ وأصول الكافي ج١/ ٤٥٢.

(٣) أصول الكافي ج١/ ٤٥٢.

(٤) سورة الممتحنة: ١٢.

(٥) تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنفي ص٢٠.

● قال الزهري: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: يُحشر الناس يوم القيامة عراة، فقالت: واسوأتاه!، فقال لها رسول الله: فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية.

قال: وسمعَتْه يقول ـ أو يذكر ـ عذاب القبر، فقالت: واضعفاه! فقال: إني أسأل الله أنّ يكفيك ذلك[1].

● قال ابن الصباغ المالكي: أمّه (أي أم الإمام عليّ عليه السلام)؛ فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تجتمع هي وأبو طالب في هاشم، أسلمت وهاجرت مع النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وكانت من السابقات إلى الإيمان بمنزلة الأمّ من النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلما ماتت كفّنها النبيّ بقميصه وأمر أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها، فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله بيديه وأخرج ترابه، فلما فرغ اضطجع فيه وقال: «الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمّي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيّك محمّد والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين». فقيل: يا رسول الله، رأيناك وضعت شيئاً (الأصح: صنعت) لم تكن وضعته (صنعته) بأحد قبلها؟

فقال صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنّة، واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر، إنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليّ بعد أبي أبي طالب عليه السلام[2].

● قال الشيخ المفيد: وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت كالأم لرسول الله صلى الله عليه وآله في حجرها، وكان صلى الله عليه وآله شاكراً لبرّها، وآمنت به في الأوّلين وهاجرت معه في جملة المهاجرين، ولمّا قبضها الله تعالى إليه، كفّنها النبيُّ صلى الله عليه وآله

---

(١) نفس المصدر.

(٢) الفصول المهمة ص٣١، وروى نحوه الحمويني في فرائد السمطين ج١/ ٣٢٨ ح٣٠٨.

بقيمصه ليدرء عنها هوام الأرض وتوسّد في قبرها لتأمن بذلك ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها أمير المؤمنين عليه السلام لتجيب به عند المسألة بعد الدفن، فخصّها بهذا الفضل العظيم لمنزلتها من الله عزّ وجل ومنه عليه السلام، والخبر بذلك مشهور[1].

● قال العلامة الأربلي: وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وكانت من رسول الله بمنزلة الأمّ، ربّته في حجرها، وكانت من السابقات إلى الإيمان وهاجرت معه إلى المدينة، وكفنها النبيّ بقميصه...[2].

● وقال ابن الأثير الجزري:

«إن رسول الله كفّن فاطمة بنت أسد في قميصه واضطجع في قبرها، وجزّاها خيراً، وروي عن ابن عبّاس نحو هذا، وزاد، فقالوا: ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه؟ قال: «إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنّة، واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر»[3].

● وقال الكليني رضي الله عنه:

«سمعت ـ أي فاطمة ـ رسول الله يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا، فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول الله؛ فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية.

وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت؛ واضعفاه، فقال لها رسول الله: فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك، وقالت لرسول الله يوماً: إني أريد أن أعتق جاريتي هذه، فقال لها: إن فعلت أعتق الله بكل عضو منها عضواً منك من النار... فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أتاه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي فقال له رسول الله ما يبكيك؟

---

(١) إرشاد المفيد ص٨ الباب ١ من الفصل ١.
(٢) كشف الغمة ج١/ ٨٢ باب المناقب.
(٣) أسد الغابة ج٧/ ٢١٣.

فقال: ماتت أمي فاطمة، فقال رسول الله: وأمي والله وقام مسرعاً حتى دخل فنظر إليها وبكى، ثم أمر النساء أن يغسّلنها وقال ﷺ: إذا فرغتنّ فلا تحدثن شيئاً حتى تعلمنني، فلمّا فرغن أعلمنه بذلك، فأعطاهن أحد قميصيه الذي يلي جسده وأمرهنّ أن يكفنها فيه وقال للمسلمين: إذا رأيتموني قد فعلت شيئاً لم أفعله قبل ذلك فسلوني لمَ فعلته، فلما فرغن من غسلها وكفنها، دخل ﷺ فحمل جنازتها على عاتقه، فلم يزل تحت جنازتها حتى أوردها قبرها، ثم وضعها ودخل القبر فاضطجع فيه، ثم قام فأخذها على يديه حتى وضعها في القبر ثم انكب عليها طويلاً يناجيها ويقول لها:

ابنك ابنك ثم خرج، وسوّى عليها، ثم انكب على قبرها فسمعوه يقول: لا إله إلا الله، اللّهم إني أستودعها إياك، ثم انصرف، فقال له المسلمون إنّا رأيناك فعلت أشياء لم تفعلها قبل اليوم، فقال: اليوم فقدت برّ أبي طالب، إذ كانت ليكون عندها الشيء فتؤثرني به على نفسها وولدها وإني ذكرت القيامة وإن الناس يحشرون عراة، فقالت: واسوأتاه، فضمنت لها أن يبعثها الله كاسية، وذكرت ضغطة القبر فقالت: واضعفاه، فضمنت لها أن يكفيها الله ذلك، فكفنتها بقميصي واضطجعت في قبرها لذلك، وانكببت عليها فلقنتها ما تسأل عنه.. وسئلت عن وليها وإمامها، فارتج عليها، فقلت: ابنك..»[1].

ملاحظة:

«قوله في الخبر (ارتج عليها) غير صحيح بل هومن صنع الدساسين في الأخبار، لأن هذا مخالف لمروياتنا الصحيحة أنها كانت على علم بوصيّها وإمامها وهو ابنها عليّ بن أبي طالب، لا سيّما ما ورد من أن أبا طالب بشّرها بأنّها ستلد صبياً هو بمثابة رسول الله»[2].

(١) أصول الكافي ج١/ ٤٥٣.

(٢) نفس المصدر ج١/ ٤٥٢ ح١.

وفي خبر آخر قال لها: وتتعجبين من هذا أنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره[1].

وحديث الدار فيه دلالة قطعية على إمامة أمير المؤمنين في السنة الثالثة للبعثة حينما رفع النبيُّ يد الإمام عليه السلام وقال: هذا أخي وحبيبي ووصيي عليكم فاسمعوا له وأطيعوا. إنها أمّ النبيّ حسبما عبّر عنها ذلك هو صلى الله عليه وآله حيث قال لما ماتت: «جزاك الله من أمّ خيراً، لقد كانت خير أم، وكانت ربت النبيّ»[2] كما أنه صلى الله عليه وآله كبّر عليها أربعين تكبيرة[3].

وروى صاحب مرآة العقول بإسناده عن أنس بن مالك قال: لمّا ماتت فاطمة بنت أسد دخل إليها رسول الله فجلس عند رأسها وقال:

رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والآخرة[4].

والسؤال المطروح:

هل صحيح ما يقوله أعداء آل البيت عليهم السلام أنها كانت كافرة قبل الإسلام «معاذ الله»؟

والجواب:

لم يثبت عندنا ـ نحن الإمامية ـ ذلك، بل الثابت هو العكس لقرائن وشواهد كثيرة أهمها:

---

(١) نفس المصدر ج١/ ٤٥٤ ح٣.

(٢) مقاتل الطالبيين ص٨، الإصابة ج٤/ ٣٨٠؛ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٣٥٨؛ تذكرة الخواص ص١٠؛ الفصول المهمة للمالكي ص١٣، تاريخ الخميس ج١/ ٤٦٨، وبحار الأنوار ج٣٥/ ٧٠، وأصول الكافي ج١/ ٤٥٣.

(٣) بحار الأنوار ج٣٥/ ٧٠.

(٤) مرآة العقول في شرح أخبار الرسول ج٥/ ٢٧٨ ط/ دار الكتب الإسلامية، تهران.

١ ـ أنها كانت على دين الحنيفية، بدليل أنها كانت زوجة أبي طالب عليه السلام وصي الأنبياء، ومن كان هكذا يبعد في حقه أن يتزوج مشركة، تماماً كما كان آباء النبيّ وأجداده كانوا جميعهم موحدين وصدّيقين[1].

٢ ـ أنها لمّا ولِدَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله استبشرت بمولده، مما يدل على أنها كانت من المنتظرين لمجيئه صلى الله عليه وآله، فقد روى الكليني والصدوق والمجلسي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب عليه السلام تبشّره بمولد النبيّ صلى الله عليه وآله فقال لها أبو طالب: اصبري سبتاً آتيك بمثله إلاّ النبوة. وقال: السبت ثلاثون سنة، وكان بين رسول الله وأمير المؤمنين ثلاثون سنة[2].

٣ ـ ما ورد بالمستفيض من مناجاتها مع الله عزّ وجل عندما أتاها الطلق حول بيت الله وهي حامل بمولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقالت: «أي ربي إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدّقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وأنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني إلاّ ما يسّرت عليّ ولادتي..».

وهنا أتبرك بما ورد عنها عليها السلام رزقني الله شفاعتها، فأروي عن كشف الغمة عن بشائر المصطفى، والبحار عن غيبة النعماني ومعاني الأخبار وعلل الشرائع، عن سعيد بن جبير قال:

قال يزيد بن قعيب: كنتُ جالساً مع العبّاس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام وكانت حاملة به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا ربّ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدّقة بكلام جدي ابراهيم الخليل... إلاّ ما يسّرت عليّ ولادتي.

---

(١) راجع كتابنا: الفوائد البهية ج١/ ٤٧٥ ط ثانية.

(٢) أصول الكافي ج١/ ٤٥٢، بحار الأنوار ج٣٥/ ٧٧ ح١ عن معاني الأخبار.

قال يزيد بن قعيب: فرأيت البيت قد انشقّ عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا وعاد إلى حاله والتزق الحائط فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله عزّ وجلّ، ثم خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثم قالت: إني فضّلت على من تقدّمني من النساء، لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّ وجلّ سراً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه إلا اضطراراً، وأن مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وأني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأرزاقها، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف: يا فاطمة، سمّيه عليّاً، فهو عليّ والله العليّ الأعلى، يقول إني شققت اسمه من اسمي، وأدّبته بأدبي، وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسّر الأصنام في بيتي، وهو الذي يوذّن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبّه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه.

قالت: فولدت عليّاً ولرسول الله ثلاثون سنة، وأحبّه رسول الله حباً شديداً وقال لها: اجعلي مهده بقرب فراشي، وكان يلي أكثر تربيته، وكان يطهّر عليّاً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته ويقول: هذا أخي ووليي وناصري وصفيي وذخري وكهفي وصهري ووصيي وزوج كريمتي وأميني على وصيتي وخليفتي، وكان رسول الله يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها صلّى الله على الحامل والمحمول»[1].

وهل يفتح الله تعالى جدار الكعبة ـ مع أن للكعبة باباً يمكن الدخول والخروج منه ـ لكافرة ـ حاشاها ـ؟

وهل أن الله تعالى يعجزه أن يضع نطفة عليّ المرتضى خليفة الله وخليفة

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ٩ عن كشف اليقين وكشف الحق وبشائر المصطفى، وكشف الغمة ج١/ ٨٢، والمناقب ج٢/ ١٧٤ بلفظ آخر. =

رسوله في رحم طاهرة؟ معاذ الله إنه ربها أحسن مثواها إنه على كل شيء قدير.

(٤) إن إبا طالب عليه السلام دعا وزوجته فاطمة ربَّهما في أنْ يلهمهما في اسم وليدهما الذي سوف يولد، حينما كانت تسميه وهو في بطنها بإسم أبيها «أسد» فلم يرض أبو طالب بهذا الاسم فقال: هلمّ حتى نعلوا أبا قبيس ليلاً، وندعوا خالق الخضراء، فلعله أن ينبئنا في اسمه، فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس، ودعيا الله تعالى، فأنشأ أبو طالب شعراً:

يا رب هذا الغسق الدجي والفلق المبتلج المضي
بيّن لنا عن أمرك المقضي لما نسمي ذلك الصبي

فإذا خشخشة من السماء، فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتا يديه وضمّه إلى صدره ضماً شديداً، فإذا مكتوب:

خصصتما بالولد الزكيّ والطاهر المنتجب الرضي
وسامه من قاهر العليّ عليٌّ اشتق اسمه من العليّ

فسر أبو طالب عليه السلام سروراً عظيماً، وخرّ ساجداً لله تعالى وعقّ بعشرة من الإبل وكان اللوح معلّقاً في البيت الحرام يفتخر به بنو هاشم على قريش حتى غاب زمان قتال الحجاج ابن الزبير[١].

وليس صحيحاً ما روي في خبر ضعيف: أن فاطمة سمّت ابنها بإسم أبيها[٢] بعد خروجها من الكعبة، فإن ذلك يعتبر تحريفاً لمضامين الأخبار المتضافرة التي دلت على أن الله تعالى أمرها وهي في الكعبة أن تسميه علياً، فالأولى طرح ذاك

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٥٥ وكفاية الطالب/ الكنجي الشافعي ص٢٦٠.

(٢) اسم أبيها «أسد» وحيدر من أسماء الأسد، والإمام علي عليه السلام كان يقول فيما نُسب إليه في وقعة خيبر:

«أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره
أكيلكم بالسيف كيل السندره»

الخبر بتقديم ما أشرنا إليه، أو أننا نجمع بين الأخبار المتعارضة بحمل ذاك الخبر على أنها سمته بإسم أبيها قبل أن تلد الإمام عليه السلام، ثم لمّا دخلت الكعبة سماه الله عليّاً، أو أن أبا طالب بعد ولادة زوجته جاءه التأكيد مرة أخرى من الله على تسميته بعليٍّ. أو يكون «حيدر» من ألقابه الشريفة، فكانت أمه تناديه بحيدر لما عرفت منه القوة والشجاعة والبطولة والحمية، وهل هناك مثل أمير المؤمنين عليّ إلاّ رسول الله محمّد؟ صلى الله على محمّد وعليّ وآلهما.

(٥) كشف المعصوم عليه السلام عن طهارة آباء الإمام الحسين عليه السلام وأجداده ومنهم فاطمة بنت أسد، بقوله عليه السلام:

«يا مولاي يا أبا عبد الله أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجسّك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها..»[1].

إن التقلّب في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة يستلزم أن تكون ـ أي هذه الأرحام والأصلاب ـ مؤمنة بالله تعالى لا مشركة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾[2].

ومعناها: تقلّبك في الموحدين من نبيٍّ إلى نبيٍّ حتى أخرجك نبيّاً[3]. وكذا أئمة آل البيت عليهم السلام تقلبوا في الأصلاب والأرحام المطهّرة عن السفاح والكفر والفسق والفجور وما شابه ذلك.

(٦) دلت السيرة العقلائية القريبة من عصر النص، على طهارتها قبل الإسلام، لذا مدحها الشعراء والأدباء بقصائدهم للتدليل على علو شأنها، وممن أنشد الشاعر الكبير «الحميري» في قصيدة قال فيها:

---

(١) رواها الشيخ الطوسي في «المصباح» وكذا ابن قولويه في كتاب «المزار».

(٢) سورة الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٣) تفسير مجمع البيان ج٧/ ٢٠٧، وتفسير القمي ج٢/ ٢٥، والفوائد البهية ج١/ ٤٧٦.

ولـدتـه فـي حـرم الله وأمنـه	والبيـت حيـث فنـاؤه والمسجـد
بيضـاء طـاهـرة الثيـاب كـريمـة	طـابـت وطـاب وليـدهـا والمـولـد
فـي ليلـة غـابـت نحـوس نجـومهـا	وبـدت مـع القمـر المنيـر الأسعـد
مـا لـفّ فـي خـرق القـوابـل مثلـه	إلا ابـن آمنـة النبـيّ محمّـد[1]

وأما النقطة الثانية:

لا ريب أن أبا طالب عليه السلام كان مؤمناً قبل البعثة وبعدها، وهذا ما أجمع عليه شيعة أهل البيت عليهم السلام، بل يظهر من الأخبار أنه كان من الأوصياء حسبما ورد في بعضها عن الإمام السبط الحسين بن عليّ عن والده أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... والذي بعث محمّداً بالحق أن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفىء أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد ونور فاطمة ونور الحسن ونو الحسين ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام»[2].

وجلّ الأدلة التي سيقت على إيمان زوجه فاطمة بنت أسد، هي بنفسها حجة على إيمانه، «وقد ألف في إثبات إيمانه الكثير من السنّة والشيعة، وقد أنهاها بعضهم إلى ثلاثين كتاباً، ومنها كتاب: أبو طالب مؤمن قريش للأستاذ عبد الله الخنيزي، الذي كاد أن يدفع حياته ثمناً لهذا الكتاب، حيث حاول الوهابيون في السعودية تنفيذ حكم الإعدام فيه، بسبب كتابه هذا.

وقد نقل العلاّمة الأميني أسماء الكتب في إثبات ذلك، كالبرزنجي في أسنى المطالب، والأجهوري والإسكافي، وأبي القاسم البلخي، وابن وحشي في شرحه لكتاب: شهاب الأخبار، والتلمساني في حاشية الشفاء، والشعراني وسبط ابن الجوزي، والقرطبي والسبكي، وأبي طاهر، والسيوطي وغيرهم.

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ج٢/ ١٧٤.

(٢) الغدير ج٧/ ٣٨٧ وبحار الأنوار ج٣٥/ ١١٠ حديث ٣٩.

«بل حكم جماعة منهم كأحمد بن الحسين الموصلي الحنفي المشهور بابن وحشي في شرحه على الكتاب المسمى بشهاب الأخبار للعلاّمة القضاعي المتوفى ٤٤٥هـ: إن بغض أبي طالب كفر، ونص على ذلك أيضاً من المالكية العلاّمة الأجهوري في فتاويه، والتلمساني في حاشيته على الشفاء قال: لا ينبغي أن يذكر إلاّ بحماية النبيّ لأنه حماه ونصره بقوله وفعله، وفي ذكره بمكروه أذية للنبيّ، ومؤذي النبيّ كافر، والكافر يقتل، وقال أبو طاهر: من أبغض أبا طالب فهو كافر»[1].

ومن الأدلة على إيمان أبي طالب ما يلي:

١ ـ ما ورد من المديح على لسان المعصومين عليهم السلام دلالة عظمى على جلالة خطره وعِظم أمره وعلو شأنه، وأهل البيت عليهم السلام أدرى بأجدادهم من كل أحد، من هذه الأخبار ما رواه المجلسي بإسناده عن الكراجكي بسند معنعن إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أنه كان جالساً في الرحبة والناس حوله، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذّب في النار، فقال: مه فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي معذّب في النار وابنه قسيم الجنّة والنار؟ والذي بعث محمّداً بالحق إن نور أبي طالب ليطفيء أنوار الخلائق إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد ونور فاطمة ونور الحسن ونور الحسين ونور ولده من الأئمة، ألا إن نوره من نورنا، خلقه الله من قبل خلق آدم بألفي عام[2].

● وعن الكراجكي بإسناده إلى ابان بن محمّد قال:

كتبت إلى الإمام عليّ بن موسى عليه السلام: جعلت فداك إني شككت في إيمان أبي طالب قال: فكتب «بسم الله الرحمن الرحيم، ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين

---

(١) الغدير ج٧/ ٣٨١.

(٢) بحار الأنوار ج٣٥/ ١١٠ ح٣٩.

نولّه ما تولّى» إما إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار[1].

● وعن محمد ابن عليّ بن بابويه مثله[2].

ملاحظة:

إن الحكم بالمصير إلى النار لأجل الشك بإيمان أبي طالب عليه السلام دلالة كبرى على أن الاعتقاد بإيمانه هو من صلب العقيدة، ولو لم يكن على درجة عالية من الإيمان واليقين بل والعصمة لما كان الشك بإيمانه موجباً لدخول النار، وهل الشك بإيمان رجل عادي موجب للدخول في النار؟!

● وعن ليث المرادي قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سيدي إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، قال عليه السلام: كذبوا والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم[3].

إلى غيرها من الأخبار الكثيرة بفضله، ويكفي أن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يخرج من مكة لما مات أبو طالب، فليس بعده ناصر[4].

٢ ـ الأخبار الدالة على أنه كان من المنتظرين لولادة النبيّ صلى الله عليه وآله وابنه الوصي عليّ لمّا جاءت فاطمة بنت أسد تبشّره، فقال لها: اصبري سبتاً يأتيك مثله، وقد تقدّم الحديث[5].

وما ورد في روضة الكافي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: كان حيث

---

(١) نفس المصدر ج٣٥/ ١١٠ ح٤٠.
(٢) نفس المصدر ح٤١.
(٣) نفس المصدر ج٣٥/ ١١٢ ح٤٤.
(٤) نفس المصدر ح٤٣.
(٥) أصول الكافي ج١/ ٤٥٢.

طلقت آمنة بنت وهب، وأخذها المخاض بالنبيّ ﷺ حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب، فلم تزل معها حتى وضعت، فقالت إحداهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟

قالت: هذا النور قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك، إذ دخل عليهما أبو طالب، فقال لهما: ما لكما؟ من أي شيء تعجبان؟ فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشّرك؟ فقالت: بلى، فقال: إما أنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود[1].

وهذان الحديثان يدلان على أن أبا طالب عليه السلام كان وصيّاً من أوصياء الأنبياء، ويؤكد ما قلنا ما رواه الصدوق: «من أن عبد المطلب كان حجة، وأبو طالب كان وصيّه»[2]. ولما رواه الكليني: إن أبا طالب كان مستودعاً للوصايا فدفعها إلى النبيّ ﷺ [3].

٣ ـ لو كان أبو طالب كافراً لكان شنّع معاوية وحزبه والزبيريون وأعوانهم على الإمام عليّ المرتضى عليه السلام مع أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يذمهم ويزري عليهم بكفر الآباء والأمهات ورذالة النسب.

٤ ـ ورد في نصوص عدة أن أبا طالب أمر ولده جعفراً أن يصل جناح ابن عمه رسول الله محمّد في الصلاة، كما أمر حمزة بالثبات على الدين، هذا مضافاً إلى أنه أظهر سروره بالنبيّ عندما جهر بدعوته، فكان المدافع القوي عن ابن أخيه النبيّ محمّد والمحامي الوحيد له من المشركين، كما أنه أطاع النبيّ عندما أمر أعمامه بإتباع مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يوم الدار في السنة الثالثة للبعثة.

٥ ـ لو كان أبو طالب كافراً لما أمر ابنه المؤمن ـ بل الإيمان متجسد به ـ

---

(١) روضة الكافي ص٢٥٠ رقم الحديث ٤٦٠.

(٢) اعتقادات الصدوق ص١١٠ وبحار الأنوار ج١٥/ ١١٧.

(٣) أصول الكافي ج١/ ٤٤٥، وبحار الأنوار ج٣٥/ ٧٣ ح٨.

بتولية أمره، ولكان الكافر حينئذٍ أحقّ به، مع أن الخبر قد ورد مستفيضاً بأن جبرائيل قال لرسول الله عند موت أبي طالب: إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: اخرج من مكة فقد مات ناصرك[1]، وهذا يبرهن عن إيمانه لتحققه بنصرة رسول الله.

٦ ـ ترحم الرسول ﷺ عليه عندما مات، واستغفاره له باستمرار، وجزعه عليه، وواضح أنه لايصح الترحم ولا الاستغفار للمشركين، من هنا قال النبيّ ﷺ لسفانة بنت حاتم الطائي: «لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه»[2].

هذا مضافاً إلى مرثيات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بأبيه لدلالة على إيمانه، منها ما ورد:

أبـا طـالـب عصمـة المستجيـر   وغيـث المحـول ونـور الظلـم
لقـد هـدّ فقـدك أهـل الحفـاظ   فصلّـى عليـك ولـيّ النعـم
ولقّـاك ربـك رضـوانـه   فقد كنت للطهر من خير عـم[3]

فلو كان كافراً ما كان أمير المؤمنين عليه السلام يرثيه بعد موته، ويدعو له بالرضوان من الله تعالى.

٧ ـ لو كان كافراً لما أبقاه مع زوجه فاطمة بنت أسد مع أنه ﷺ قد فرّق بين ربائبه وأزواجهن عتبة وعتيبة على ما تقدم. ورد متواتراً أن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟

فقال: نعم، فقيل له: إن ههنا قوماً يزعمون أنه كافر، فقال: واعجباه! أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله؟ وقد نهاه الله أن يقر مؤمنة مع كافر في غير آية من القرآن، ولا يشك أحد أن بنت أسد من المؤمنات السابقات، وأنها لم

---

(١) روضة الكافي ص٢٨١ رقم ٥٣٦.
(٢) السيرة الحلبية ج٣/ ٢٠٥.
(٣) بحار الأنوار ج٣٥/ ١١٤.

تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب رضي الله عنه[1].

٨ ـ الأشعار الصادرة عن عبد مناف بن عبد المطلب «أبو طالب» تدل على إيمانه بالله تعالى وبرسوله. ومن شعره في مدح الرسول ﷺ مطمئناً إياه من أنه لا يسلمه للأعداء، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه فقال:

خليليَّ ما أذني لأوّل عاذلِ بصغواء في حق ولا عند باطلِ
ولمّا رأيت القوم لا ودَّ فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائلِ
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدوّ المزايلِ
وقد حالفوا قوماً علينا أظنّةً يعضّون غيظاً خلفنا بالأناملِ
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض عضب من تراث المقاولِ
أعوذ برب الناس من كل طاعنٍ علينا بسوء أو ملحٍّ بباطلِ
ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبة ومن مُلحق في الدين ما لم نحاولِ
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراقٍ ليرقى في حراء ونازلِ
وبالبيت حقّ البيت من بطن مكة وبالله إنّ الله ليس بغافلِ
وبالحجر المسودّ إذ يمسحونه إذا اكتنفوه بالضحى والأصائلِ
كذبتم وبيت الله نترك مكة ونضعن إلاّ أمركم في بلابلِ
كذبتم وبيت الله نبزي محمّداً ولمّا نطاعن دونه ونناضلِ
ونسلمه حتى نُصرَّع حوله ونُذهل عن أبنائنا والحلائلِ
وينهض قومٌ بالحديد إليكم نهوض الرّوايا تحت ذات الصلاصلِ
وحتى نرى ذا الضِّغن يركب ردعه من الطعن فعل الأنكب المتحاملِ
وإنّا لعمر الله إنْ جدَّ ما أرى لنلتبسن أسيافنا بالأماثلِ
بكفّي فتىً مثل الشهاب سميدع أخي ثقة حامي الحقيقة باسلِ
شهوراً وأياماً وحولاً مجرّماً علينا وتأتي حجّة بعد قابلِ

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ١١٤ حديث ٥٢.

وما ترك قومٍ ـ لا أباً لك ـ سيّداً ... يحوط الذِّمار غير ذرب مواكلِ
وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه ... ثمال اليتامى عصمةً للأراملِ
يلوذ به الهُلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمةٍ وفواضلِ
بميزان قسط لا يخيس شعيرةً ... له شاهدٌ من نفسه غير عائلِ
لقد سفُهت أحلام قومٍ تبدّلوا ... بني خَلَفٍ قيضاً بنا والغياطلِ
ونحن الصميم من ذؤابة هاشمٍ ... وآل قصيٍّ في الخطوب الأوائلِ
وسهمٌ ومخزومٌ تمالوا وألّبوا ... علينا العدا من كلّ طملٍ وخاملِ
فعبد منافٍ أنتم خير قومكم ... فلا تُشركوا في أمركم كلَّ واغلِ
ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا نعبأ بقول الأباطلِ؟
أشمَّ من الشُمّ البهاليل ينتمي ... إلى حسب في حومة المجدِ فاضلِ
لعمري لقد كلفت وجداً بأحمد ... وأحببته حبّ الحبيب المواصلِ
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها ... وزيناً لمن والاه ربّ المشاكلِ
فأصبح فينا أحمدٌ في أرومةٍ ... تقصّر عنه سورة المتطاولِ
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكلِ
فأيّده ربُّ العباد بنصره ... وأظهر ديناً حقُّه غير باطلِ[1]

وأنشد مرة مطيّباً قلب ابن أخيه واعداً له بالنصر:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسّد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقرّ منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... فلقد صدقت وكنت أمينا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه ... من خير أديان البريّة دينا

---

(١) الغدير ج٧/ ٣٣٨ نقلاً عن ابن هشام في السيرة ج١/ ٢٨٦ وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج٢/ ٣١٥ بعد ذكر جملة من شعر أبي طالب: فكل هذه الأشعار قد جاءت مجيء التواتر. وقال ابن كثير في تاريخه ج٣/ ٥٧: هذه قصيدة عظيمة بليغةٌ جداً لا يستطيع يقولها إلاّ من نُسبت إليه، وهي أفحل من المعلّقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى فيها جميعاً، راجع الغدير ج٧/ ٣٤٠.

لـولا المخـافـة أن يكـون معـرة ... لـوجـدتنـي سمحـاً بـذاك مبينـا[1]

ولمّا جمع أبو طالب بني هاشم وبني عبد المطلب في شعبه وكانوا أربعين رجلاً، فحلف أبو طالب لئن شاكت محمّداً شوكة لآتين عليكم يا بني هاشم، وحصّن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار، وفي ذلك يقول:

ألـم تعلمـوا أنّـا وجـدنـا محمّـداً ... نبيّـاً كمـوسـى خـطّ فـي أوّل الكتـب
ألـيـس أبـونـا هـاشـم شـدّ أزره ... وأوصـى بنيـه بـالطعـان وبـالضـرب
وأن الـذي علّقتـم مـن كتـابكـم ... يكـون لـك يـومـاً كـراغيـة السقـب
أفيقـوا أفيقـوا قبـل أن تحفـر الـزبـى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنب[2]

هذه جملة من شعر أبي طالب عليه السلام الطافح من كلّ شطره الإيمان الخالص، والإسلام الصحيح. قال العلاّمة ابن شهراشوب المازندراني في كتابه متشابهات القرآن عند قوله تعالى: ﴿ولينصرنّ الله من ينصره﴾ في سورة الحج: إن أشعار أبي طالب الدالة على إيمانه تزيد على ثلاثة آلاف بيت يكاشف فيها من يكاشف النبيّ ويصحّح نبوته.

والعجب كيف لا تكون كثرة أشعاره دليلاً ـ عند المعاندين ـ على إيمانه وإسلامه؟ ولو وُجد واحدٌ منها في شعر أي واحد من كبرآهم وساداتهم أو نثره لأصفق الكلّ على إسلامه، لكن جميعها لا يدل على إسلام أبي طالب بنظر المعاندين.

ولا عجب من هذا أن القوم زمّروا لإسلام أبوي أبي بكر دون أبوي رسول الله والإمام عليّ، وذلك بعد أن عجزوا عن الوقيعة في الولد فوجّهوها إلى والديه، مع أن سيرته لو اتصف بشطر منها أبو قحافة لعلّقوها على الأعواد تتلى على الناس سراً وجهراً، ولكنّه أبو طالب سيّد البطحاء وكفيل صاحب الرسالة، ودرعه من كل سوء

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ٨٧.
(٢) نفس المصدر ص٩٢.

وعادية، حيث أبى الباطل إلا أن يكون ضداً للحق والحقيقة.

٩ ـ تواتر عنه عليه السلام أنه استسقى بالنبيّ يوم أصاب مكة قحط، أخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب! أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلمّ واستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هنا وهناك وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب البادي والنادي، ففي ذلك قال أبو طالب:

وأبيض يُستسقى الغمامُ بوجهه	ثمال اليتامى عصمةً للأراملِ
يلوذ به الهُلاّك من آل هاشم	فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ
وميزان عدل لا يخيس شعيرةً	ووزّان صدق وزنه غير هائلِ[1]

مضافاً إلى سروره عند ولادة ابنه الإمام علي وما فعله على جبل أبي قبيس.

١٠ ـ ما قاله النبي الكريم صلى الله عليه وآله معظماً ومبجّلاً لأبي طالب بقوله: «يا عم كفّلت يتيماً وربّيت صغيراً ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، ثم أمر عليّاً بغسله».

ويروى أن أبا طالب عليه السلام قال لرسول الله: أتفقه الحبشة؟ قال: يا عمّ إن الله علّمني جميع الكلام، قال: «يا محمّد اسدن لمصافا قاطالاها» يعني اشهد مخلصاً: إن لا إله إلا الله، فبكى رسول الله وقال: إن الله أقرّ عيني بأبي طالب[2].

---

(١) شرح البخاري للقسطلاني ج٢/ ٢٢٧ والمواهب اللدنية ج١/ ٤٨، الخصائص الكبرى ج١/ ٨٦، ١٢٤، شرح بهجة المحافل ج١/ ١١٩، السيرة الحلبية ج١/ ١٢٥ السيرة النبوية/ زيني دحلان هامش الحلبية ج١/ ٨٧، طلبة الطالب ص٤٢، الشهرستاني في الملل والنحل، الفصل ٣/ ٢٢٥ والغدير ج٧/ ٣٤٦.

(٢) البحار ج٣٥/ ٧٨ نقلاً عن المناقب لابن شهرآشوب.

والحزن الذي صدر من النبيّ عندما توفي أبو طالب، حتى أنه سمّي ذاك العام بعام الحزن حباً له ولخديجة، لدلالة مهمة على أهمية أبي طالب كركنٍ من أركان الرسالة يومذاك.

الشبهات الواهية:

قد استدل القائلون بكفر أبي طالب ـ وحاشاه أن يكون كذلك ـ بشبهات واهية، نذكر أهمها، وهي:

الشبهة الأولى:

ما رواه هؤلاء عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ، وقد ذكر عنده عمه، فقال: «لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، **فيجعل في ضحضاح** من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه».

وفي لفظ آخر من طريق سفيان الثوري عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث قال: حدّثنا العباس بن عبد المطلب أنه قال: قلت للنبيّ: ما أغنيت عن عمّك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو» **في ضحضاح من نار**، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل[1].

يورد عليه:

أ ـ حديث الضحضاح متهافت، فرواية تقول إنه في ضحضاح من نار بالفعل، وأخرى تنص على أنه سيكون في ضحضاح يوم القيامة، وهذا التعارض والتهافت يوجب سقوط روايات الضحضاح عن الاعتبار.

هذا مضافاً إلى المناقشة في الأسانيد لمكان سفيان الثوري والمغيرة بن شعبة وأمثالهما من روايات أهل الضلال وموضوعات بني أمية.

---

(١) صحيح البخاري/ أبواب المناقب ـ باب قصة أبي طالب. صحيح مسلم ج٩/٩٢: كتاب الإيمان/ باب كنية المشرك. طبقات ابن سعد ج١/١٠٦ ط/ مصر، مسند أحمد ج١/٢٠٧، تاريخ ابن كثير ج٣/١٢٥.

ب ـ أفاد حديث الضحضاح أن الشفاعة قد تنفع أبا طالب يوم المعاد، مع أن المشرك لا تناله الشفاعة، ولو سلّمنا أنه مات مشركاً، فكيف يرجو النبيّ أن يتشفع لعمّه يوم القيامة والشفاعة رحمة وقد نهاه عزّ وجلّ أن يترحم على مشرك؟.

قد يقال:

إن النبيّ ﷺ طلب من أبي طالب عليه السلام النطق بالشهادتين حتى تناله الشفاعة يوم الآخر، كما هو مفاد بعض الأخبار[1]: «من أن النبيّ طلب منه النطق بهما ليستحل له بها الشفاعة» فلم يعطه إياها.

قلنا: إن الشفاعة لا تحل لمشرك، فلماذا حلّت لهذا المشرك بالذات، ولو فرضنا أن أبا طالب مات على غير الإسلام، فلا مجال لقول النبيّ «لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة» وذلك لأن الشرك ينفي حكم الشفاعة، فهو من قبيل السالبة بانتفاء الموضوع، فإذا ارتفع الموضوع ارتفع الحكم، وهنا هكذا، فحيث إنّ الشفاعة حكم يدور مدار وجود المسلم، فالحكم معلّق بموضوعه وهو هنا المسلم، فلا شفاعة حينئذٍ لكافر.

ولو مات كافراً ـ حسبما يدّعون ـ كيف تناله الشفاعة يوم القيامة، فلمّا دل الخبر على الشفاعة له، استلزم ذلك أنه مات مؤمناً.

ج ـ إن عدم نطق أبي طالب بالشهادتين، ليس دليلاً على كفره، لأن التشهد طريق لإظهار الإيمان والإسلام، وقد يكون أبو طالب مأموراً بذلك لحِكَمٍ منها دفاعه عن رسول الله ﷺ، لذا قال: «ما تجرأ عليّ المشركون إلاّ بعد موت أبي طالب». هذا مضافاً إلى أن التشهد يكون مسبوقاً دائماً بحالة عدم الإيمان لا سيّما في بداية البعثة، أما بعدها أو في وسطها، فالتشهد حينئذٍ يعتبر تأكيداً لحالة الإسلام واعترافاً بفضله أمام الناس.

---

(١) الغدير ج٨/ ٢٤.

د ـ من كان قادراً على إخراج أبي طالب من الدرك الأسفل إلى الضحضاح، هو قادرٌ على إخراجه أيضاً من الضحضاح، وإخراجه من الدرك الأسفل يعتبر شفاعة، فلما لا يكمل لعمّه هذه الشفاعة فيخرجه من أصل الجحيم؟

الشبهة الثانية:

ما رواه البخاري ومسلم عن ابن المسيب عن أبيه قال: حضرت أبا طالب الوفاة، أتى إليه النبيّ ﷺ وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال له النبيّ: يا عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله، فالتفت أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية إلى أبي طالب وقالوا: أتريد أن تصبو عن دين أبيك عبد المطلب؟ وكرّر النبيّ قوله، إلاّ أن أبا جهل وعبد الله منعاه من ذلك، وكان آخر ما قاله أبو طالب: على دين عبد المطلب، وامتنع عن قول: لا إله إلا الله، فقال النبيّ ﷺ: والله لأستغفرنّ لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُولِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ﴾[1].

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾[2].

والجواب:

١ ـ إن المسيب الناقل للرواية متهم ببغض الإمام عليّ عليه السلام كما نصّ عليه البعض[3]، فالرواية مضافاً إلى ذلك من المراسيل، ولا حجيّة فيها، فهي من دسائس بني أمية.

---

(١) سورة التوبة: ١١٣.

(٢) سورة القصص: ٥٦، والرواية أخرجها البخاري في الصحيح من كتاب التفسر في القصص ج٧/ ١٨٤.

(٣) الغارات للثقفي ج٢/ ٥٦٩.

٢ ـ إن الآية ١١٣ من سورة التوبة نزلت على رسول الله في السنة التاسعة للهجرة على ما هو المشهور بين المحدثين والمفسرين، بل إن بعض[١] المفسرين يرى أنها نزلت آخر ما نزلت من القرآن، مع أن مشهور[٢] المؤرخين ينص على أن وفاة أبي طالب كان في السنة العاشرة للبعثة.

قال ابن إسحاق:

«إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها، وبهُلك عمّه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره، ومنعةً وناصراً على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً»[٣].

٣ ـ إن الله تعالى نهى المسلمين عن مودة الكفار في آيات عدة نزلت قبل سورة التوبة وقبل موت أبي طالب كما في قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

ونحن نعلم أن الاستغفار من أظهر مصاديق المودة والمحبّة للكافر، وقد نهى الله عن مودتهم في الآيات المتقدّمة وغيرها، فكيف يمكن ـ والحال هذه ـ أن

(١) صحيح البخاري ج٧/ ٦٧ في آخر سورة النساء، الكشاف ج٢/ ٤٩ وتفسير القرطبي، والاتقان، وتفسير الشوكاني.

(٢) الكامل في التاريخ ج٢/ ٩٠، سيرة ابن هشام ج٢/ ٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج٢/ ٥٧، والكامل في التاريخ ج٢/ ٩٠.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢ قال في الاتقان ج١/ ١١ انها نزلت قبل التوبة بسبع سور.

(٥) سورة النساء: ١٤٤.

يرحل أبو طالب من الدنيا، ويقسم النبيّ بأنه سيستغفر له حتى ينهاه الله تعالى عن ذلك؟

إن إلقاء نظرة على أسباب نزول الآية ١١٣ من سورة التوبة، يدفع ما ظنه العامة بشأن طلب الرسول ﷺ الاستغفار للمشركين، فقد ورد في أسباب نزولها: أن جماعة من المسلمين كانوا يقولون للرسول محمّد ﷺ: ألا تستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية؟ فنزلت الآية ونظيرها تنذرهم بأن لا حق لأحدٍ أن يستغفر للمشركين حتى لو كان المستغفر هو رسول الله.

الشبهة الثالثة:

استدل المنكرون[1] لإيمان أبي طالب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[2].

بدعوى أن هناك فريقاً من المكّيين المدافعين عن رسول الله، ولكنّهم في الوقت نفسه يبتعدون عنه.

وبعبارة أخرى: إن الآية المباركة ـ بنظر هؤلاء ـ نزلت بأبي طالب الذي كان ينهى الناس عن أذى الرسول، وينأى عن أن يدخل في الإسلام.

يورد عليه:

١ ـ إن هذه الآية ليست صريحة في المدّعى، بمعنى أنها ليست نصاً قطعياً للدلالة على دعواهم هذه، بل هي مجملة من حيث التطبيق على سيّد البطحاء أبي طالب، فلا بدّ من الرجوع ـ في حال وجود إجمال في آية ما ـ إلى النصوص التي توضّح المراد، وقد دلت ـ أي النصوص الصحيحة ـ على عكس ما يدّعون، فقد ذكر الطبرسي عن ابن عبّاس ومحمّد ابن الحنفية والحسن والسدي وقتادة ومجاهد

---

(١) أمثال العسقلاني في الإصابة ج٤/ ١١٥ وتفسير ابن كثير ج٢/ ١٢٧ وتفسير الخازن ج٢/ ١١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٢/ ٣٤٠.

(٢) سورة الأنعام: ٢٦.

والجبائي: من أن المراد بالآية هم الكفار كانوا ينهون الناس عن إتباع النبيّ ويتباعدون عنه فراراً منه[1]. بل إن الروايات التي فسّرت الآية بأبي طالب مروية بواسطة عطاء ومقاتل[2]، وهذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدّمها وما تأخر عنها معطوف عليها، وكلها في ذم الكفار المعاندين للنبيّ ﷺ فقوله تعالى في الآية المتقدمة على الآية موضع البحث ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3]، وكذا الآية المتأخرة عن الآية ٢٦ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] لا ينطبق شيء من أوصافها على سيّدنا أبي طالب عليه السلام الذي لم يُعهد أو يُعرف منه إلاّ التشجيع على إتّباع النبيّ محمّد ﷺ والنصرة له باليد واللسان، فكان كثير الطلب من غيره ممن تربطه به علاقة حميمة أو نسبية أن يدخل في هذا الدين، وأن يتمسك به ويصبر عليه، والأخبار بهذا الصدد كثيرة يشهد له بها العامة والخاصة.

٢ ـ إن قوله تعالى في سورة القصص: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكنّ الله يهدي من يشاء﴾ نزلت في أبي طالب بعد وفاته فيما زعموه عن الصحيحين، وهذا لا يتم مع قوله تعالى: ﴿ينهون عنه وينأون﴾ النازلة في أناس أحياء ـ أي في أبي طالب ـ فإن سورة الأنعام التي فيها الآية المبحوث عنها نزلت جملة واحدة بعد سورة القصص بخمس سور (كما في الاتقان ج١/ ١٧) فكيف يمكن تطبيقها على أبي طالب وهو رهن أطباق الثرى، وقد توفي قبل نزول الآية ببرهة طويلة[5].

وبعبارة أخرى:

إن الآية ٢٦ من سورة الأنعام، والآية ٥٦ من القصص نزلتا ـ بحسب زعم

---

(١) تفسير مجمع البيان ج٤/ ٢٢، والغدير ج٨/ ٥.

(٢) نفس المصدر.

(٣) سورة الأنعام: ٢٥.

(٤) سورة الأنعام: ٢٧.

(٥) الغدير ج٨/ ٥ ـ ٦ بتصرف في بعض ألفاظه.

بعض العامة ـ بعد وفاة أبي طالب عليه السلام، مع أن الآية ٥٦/ القصص نزلت قبل الأنعام ـ التي نزلت جملة واحدة ـ بخمس سور، وهذا دليل على أن سورة الأنعام قد نزلت بعد وفاة أبي طالب بمدة، فكيف يدّعى إذن أنها نزلت حين وفاته عليه السلام؟

ومما يؤكد أن سورة الأنعام قد نزلت دفعة واحدة ما رواه ثلة من المفسرين[1] من أن أسماء بنت يزيد كانت ممسكة بزمام ناقة النبيّ صلى الله عليه وآله وذلك بعد بيعة العقبة، التي كانت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام بمدة طويلة.

٣ ـ كيف ينهى أبو طالب عليه السلام عن رسول الله وقد كان معتقداً به مذ كان ابن أخيه صغيراً، ففي أخبارنا أن أبا طالب كان من المنتظرين مجيء النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، وفي أخبار العامة، كان يعلم بنبوة النبيّ بواسطة الراهب بحيرا ونصيحته لأبي طالب بشأن النبي صلى الله عليه وآله هذا مضافاً إلى ما أورده الطرفان ـ الخاصة والعامة ـ من أن أبا طالب عليه السلام كان يستسقي برسول الله عندما تجدب سماء مكة بمطرها.

٤ ـ أن ما استدل به المنكرون لإيمانه بالآية المتقدّمة، مخالف لسيرة سيّدنا أبي طالب عليه السلام المدافع عن رسالة الإسلام، ويكفي ما فعله مؤمن قريش ـ سيد العرب والعجم آنذاك ـ من النصرة والتأييد لرسول الله عندما حاصر المشركون ابن أخيه حصاراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، وظل في تلك الفترة فيها المحامي والناصر والمعين، ترك فيها كلّ أعماله وسلك ببني هاشم إلى وادٍ بين جبال مكة يُعرف بشعب أبي طالب حيث بنى الأبراج الخاصة في الشعب للوقوف بوجه أيّ هجوم قد تشنه قريش عليهم، وكان في كل ليلة يوقظ رسول الله من نومه ويأخذه إلى مضجع آخر بعده، ويجعل ابنه الحبيب إليه أمير المؤمنين عليّ روحي فداه في مكانه، ألا يدل هذا على أنه كان مؤمناً بالنبيّ ورسالته؟!

---

(١) الدر المنثور ج٣/ ٢، عن الطبراني، وابن مردويه وقد ذكر فيه نزولها جملة واحدة في مكة أو باستثناء آية أو آيتين ليست الآية المذكورة واحدة منها. والاتقان ج١/ ٣٧، السيرة الحلبية ج١/ ٢٦٠.

لم يكن لأبي طالب ذنب سوى أنه أبو عليّ بن أبي طالب إمام التقين وقائد الغر المحجّلين وقسيم الجنّة والنار، وباب حطة الذي من دخله فهو مؤمن ومن لم يدخله فهو كافر.

وصاية أبي طالب عليه السلام

كان أبو طالب عليه السلام وصيّاً من أوصياء الأنبياء، ومعنى كونه وصياً أي أنه كان منبئاً من قبل الله عزّ وجلّ حسبما استظهرناه من الأخبار، وكذا كان أبوه عبد المطلب حيث كان منبئاً في نفسه من الله تعالى، لما روي من أن عبد المطلب كان حجة، وأبو طالب كان وصيّه عليه السلام[1].

ومفهوم الحجة وإن كان يشمل كل ما يُحتَج به على الآخرين سواء كان معصوماً أم لا، إلاّ أنه هنا يُصْرَف إلى خصوص المعصوم بقرينة أن هناك وصيّاً من بعده، هذا مضافاً إلى القرائن الخارجية الدالة على نبوتهما التسديدية، لأن النبوة من «النبأ» أي الخبر، فالمنبيء أي المخبر، لذا قال الله تعالى للملائكة: ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[2] أي اخبروني إن كنتم صادقين بدعواكم أنكم أحقّ بالأمر من آدم. ثم قال الله لآدم: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾[3] فالإنباء هو الإخبار، ونبوة أبي طالب كنبوة أبيه من قبل هي النبوة التسديدية التوفيقية وهكذا أغلب أنبياء بني إسرائيل كانوا مسددين من قبل الباري عزّ وجلّ وأما الموحى إليهم بالتشريع فكانوا قليلين كالأنبياء أولي العزم وزد عليهم قليلاً.

وبالجملة فإن نبوة عبد المطلب وابنه عبد مناف مما لا يجب أنْ يرتاب بها ذو مسكة، ولهما بأمّ موسى أسوة وهي التي أوحى الله إليها ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ

---

(١) الاعتقادات للصدوق ص١١٠ وبحار الأنوار ج١٥/ ١١٧.

(٢) سورة البقرة: ٣١.

(٣) سورة البقرة: ٣٣.

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

فقد عيّن الله لأمّ موسى الوظيفة العملية، وهكذا بالنسبة إلى عبد المطلب وعبد مناف فقد أراد الله بحكمته أن يبرز فضلهما على سائر الناس في الفترة ما بين عيسى ونبيّنا محمّد عليه وآله السلام.

كما أن لهما أسوة بمريم عليها السلام، وبالخضر عليه السلام الذي أفاض الله تعالى عليه العلم اللدني مع أنه ليس بنبيّ بل وليّ صالح على قول المشهور حسبما جاءت به الأخبار، وعلى فرض كونه نبيّاً ـ حسبما استفاده بعض لنون العظمة في قوله تعالى آتيناه رحمة من عندنا[2] ـ فلا يراد منها التشريعية في مقابل شريعة موسى عليه السلام، بل هي نبوة تسديدية، وعلى فرض سلّمنا بكونها تشريعية فلا تناهض تشريع موسى عليه السلام وذلك لأن النبيّ موسى مكلّف بالظاهر، والخضر عليه السلام مكلّف بالباطن، وكذا عبد المطلب وأبو طالب عليه السلام طبق القذة بالقذة.

وهكذا حدّثنا التاريخ عن خالد بن سِنان العبسي فقد ذكر المؤرخون:

[أنه كان في الفترة ـ أي ما بين النبيين الكريمين عيسى ومحمّد عليهما السلام ـ قيل: كان نبياً، وكان من معجزاته أن ناراً ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرّقها، وهو يقول: بدّا بدّا كل هدى مؤدّى[3]، لأدخلنّها وهي تلظّى ولأخرجنّ منها وثيابي تندى، ثم أنها طفئت وهو في وسطها.

فلما حضرته الوفاة قال لأهله: إذا دُفنتُ فإنه ستجيء عانة من حمير يقدمها عير أبتر فيضرب قبري بحافره، فإذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فإني سأخبركم بجميع

---

(١) سورة القصص: ٧.

(٢) سورة الكهف: ٦٥ لاحظ تفسير الميزان للطباطبائي ج١٣/ ٣٤٢.

(٣) في نسخة الأعلام للزركلي: بدا بدا كل هادي مورا إلى الله الأعلى، لأدخلنّها وثيابي تندا.

ما هو كائن، فلما مات ودفنوه رأوا ما قال، فأرادوا نبشه، فكره ذلك بعضهم قالوا: نخاف إن نبشناه أن تسبّنا العرب بأنّا نبشنا ميتاً لنا فتركوه.

فقيل إنّ النبي(ص) قال فيه: ذلك نبيّ ضيّعه قومه، وأتت ابنته النبيّ فآمنت به][1].

وقد عبّرت النصوص المتضافرة عن أئمة آل البيت عليهم السلام بالرؤيا الصالحة بأنها جزء من سبعين جزء من النبوة، ولا يراد منها النبوة التشريعية بل التسديد والإخبارات التكوينية.

فقد ورد عن رسول الله قال: الرؤيا الصالحة يبشّر بها المؤمن وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة[2].

وعنه صلى الله عليه وآله: الرؤيا الصالحة بشرى من الله وهي جزء من أجزاء النبوة[3].

وعنه صلى الله عليه وآله: الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزء من النبوة.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: أن رأي المؤمن رؤياه جزء من سبعين جزء من النبوة، ومنهم من يعطى على الثلاث.

وعنه عليه السلام: رأى المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزءاً من أجزاء النبوة.

وعن محمد بن كعب وعائشة: أول ما بدء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة، وكان يرى الرؤيا فتأتيه مثل فلق الصبح[4].

فإذا كان رؤيا المؤمن جزءاً من أجزاء النبوة، فليكن رؤيا عبد المطلب وأبي

---

(١) الكامل في التاريخ ج١/ ٣٧٦.

(٢) ميزان الحكمة/ ري شهري ج٣/ ١٠١١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) مصدر كل هذه الأحاديث: ميزان الحكمة ج٣/ ١٠١١.

طالب من هذا القبيل ولكن بمستوى أرقى مما هو عليه المؤمنون الصالحون، وليس معنى صوابية رؤيا المؤمن أنه صار نبيّاً مشرّعاً بل رؤياه من قبيل التسديد والتوفيق، وهكذا ورد عن عبد المطلب انه نبيء في المنام أن احفر طيبة، قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب ـ أي من أتاه في المنام ـ فرجعت الغد إلى مضجعي فنمت، فجاءني فقال: احفر بَرّة، قال: قلت: وما بَرّة؟ ثم جاءه مرة ثالثة، فقال له: احفر المضنونة، قلت: وما المضنونة؟ ثم جاءه مرة رابعة، فقال له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لا تندم، قلت: وما زمزم؟ قال: تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبداً ولا تُذم، تسقي الحجيج الأعظم، .. فلما بيّن له شأنها ودلّ على موضعها وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث ليس له ولد غيره، فحفر بين إساف ونائلة في الموضع الذي تنحر فيه قريش لأصنامها، وقد رأى الغراب ينقر هناك، فلمّا بدا له الطويّ كبّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك، قال: ما أنا بفاعل، هذا أمر خُصصتُ به دونكم، قالوا: فإنّا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم، قالوا: كاهنة بني سعد بن هُذيم وكانت بمشارف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف، فلما أشرفوا على الهلاك من شدة الظمأ، ركب عبد المطلب راجعاً إلى دياره، فلما انبعثت به راحلته انفجرت من تحت خفها عينٌ عذبة من ماء، فكبّر وكبّر أصحابه وشربوا وملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلمّوا إلى الماء فقد سقانا الله، ثم قالوا لعبد المطلب: والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً[1].

ويروى أن عبد المطّلب أوّل من تحنث بحراء، فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر[2].

---

(١) تاريخ ابن الأثير ج٢/ ١٢ ـ ١٣ بتصرف.

(٢) نفس المصدر ج٢/ ١٥.

ويروى له كرامات تدل على علو مقامه، منها دعاؤه على جيش أبرهة لما جاء إلى مكة ليهدم الكعبة، فقام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقال:

يـا ربِّ لا أرجـو لهـم سـواكـا ... يـا ربِّ فـامنـع منهـم حمـاكـا

إن عـدو البيـت مَـنْ عـاداكـا ... امنعهـم أن يخـربـوا فنـاكـا

وقال أيضاً:

لا هُـمّ إنّ العبـدَ يمنـع ... رحلـه فـامنَـعْ حِـلالِـكْ

لا يغلبـنّ صليبُهـم ... ومحـالُهـم غـدراً محـالَـكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما يفعل أبرهة بمكة إذا دخل.

ولمّا هجم جيش أبرهة، ألقى الفيل نفسه إلى الأرض، وكلما حاولوا إلى أن ينهضوه أبى، ثم بعد ذلك أرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار، فقذفتهم بها وهي مثل الحمص والعدس لا تصيب أحداً منهم إلا هلك»[١].

ورد عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمةً وحده عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك[٢].

وعنه أيضاً قال عليه السلام: إن عبد المطلب أول من قال: بالبداء يبعث يوم القيامة أمّة وحده عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء[٣].

بيـــان:

قوله عليه السلام: أمّة وحده، إشارة إلى أنه يعادل أمة بكاملها يوم القيامة عندما

---

(١) نفس المصدر ج١/ ٤٤٤.

(٢) بحار الأنوار ج١٥/ ١٥٧ نقلاً عن أصول الكافي.

(٣) بحار الأنوار ج١٥/ ١٥٧.

يُحشر الناس فوجاً فوجاً هو يحشر وحده ليس لأنه كان في زمانه متفرداً بدين الحق من بين قومه ـ حسبما ادّعى[1] العلاّمة المجلسي عليه الرحمة ـ بل لأن إيمانه يوازي أمة بكاملها، ويؤيد ما قلنا ما ورد عن مولانا الإمام أبي عبد الله عليه السلام بقوله لمن قال له: إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، قال عليه السلام: كذبوا والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم[2].

وروي عن ابن مسكان عن مولانا الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام قال: سألته عن القائم في طريق الغريّ، فقال: نعم إنه لمّا جازوا بسرير أمير المؤمنين عليّ عليه السلام انحني أسفاً وحزناً على أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك سرير أبرهة لمّا دخل عليه عبد المطلب انحنى ومال[3].

ولا يخفى أن انحناء السرير له دلالة مهمة على علو شأنه، وانحناء الجماد له إشارة إلى كونه قبلة إلى الله تعالى، فلولا أنه معصوم لما سجدت الكائنات له، ضرورة أنها لا تنحني لمؤمن عادي مهما بلغ شأنه بالتقى والورع.

وفي خبر آخر عن الكافي عن الحسن بن راشد عن الإمام أبي ابراهيم عليه السلام قال: «. . . فأتاه الله بالنوم ـ أي أنامه ـ فغشيه وهو في حجر الكعبة، فرأى ذلك الرجل بعينه وهو يقول: يا شيبة الحمد احمد ربك، فإنه سيجعلك لسان الأرض ويتبعك قريش خوفاً ورهبة وطمعاً. . فلما أن كان الليل أتاه في منامه بعدة من رجال وصبيان، فقالوا له: نحن أتباع ولدك، ونحن من سكّان السماء السادسة، السيوف ليست لك، تزوّج في مخزوم تقوي (تقو: نسخة). . فدفع الأسياف جميعها إلى بني المخزومية: إلى الزبير وإلى أبي طالب وإلى عبد الله، فصار لأبي

---

(١) بحار الأنوار ج١٥/ ١٥٧.
(٢) بحار الأنوار ج٣٥/ ١١٢ ح٤٤.
(٣) بحار الأنوار ج١٥/ ١٦٠ نقلاً عن أمالي الطوسي.

طالب من ذلك أربعة أسياف، سيف لأبي طالب، وسيف لعليّ، وسيف لجعفر، وسيف لطالب..»[1].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به[2].

وروى صاحب المناقب فقال:

لما قصد أبرهة بن الصباح لهدم الكعبة أتاه عبد المطلب ليسترد منه إبله، فقال: تُعلمني في مأة بعير، وتترك دينك ودين آبائك وقد جئت لهدمه؟ فقال عبد المطلب: أنا ربّ الإبل، وإن للبيت ربّاً سيمنعه منك، فردّ إليه إبله، فانصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأخذ بحلقة الباب قائلاً:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا ... يا رب فامنع منهم حماكا

إلى آخر الأبيات وقد تقدمت.

فانجلى نوره على الكعبة، فقال لقومه: انصرفوا، فوالله ما انجلى من جبيني هذا النور إلاّ ظفرت، والآن قد انجلى عنه، وسجد الفيل له، فقال للفيل: يا محمود، فحرّك الفيل رأسه، فقال له: تدري لِمَ جاءوا بك؟

فقال الفيل برأسه: لا، فقال: جاءوا بك لتهدم بيت ربّك، أفتراك فاعل ذلك؟ فقال الفيل برأسه: لا[3].

ومما يشهد أن عبد المطلب نبيّ ما جاء في الأخبار المتضافرة من أن نور رسول الله والأئمة الأطهار الميامين كان يتنقل من صلب نبيّ إلى صلب نبيّ آخر

---

(١) بحار الأنوار ج١٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦.
(٢) نفس المصدر ص١٤٤.
(٣) نفس المصدر ص١٤٥.

حتى وصل نور النبيّ إلى صلب عبد الله، ونور الوحي إلى صلب عبد مناف «أبي طالب».

فعن أبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: خُلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد نسبّح الله تعالى عند العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلمّا أن خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه، ولقد سكن الجنّة ونحن في صلبه..»[1].

وعن الطبرسي (قدس سره) قال في تفسير قوله تعالى ﴿وتقلّبك في الساجدين﴾ معناه: تقلّبك في الموحدين من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجك نبيّاً، عن ابن عبّاس في رواية عطا وعكرمة، وهو المروي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: في أصلاب النبيّين، نبيّ بعد نبيّ حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام»[2].

وقال الطوسي (قدّس سرّه):

(الذي يراك) يا محمّد (وتقلّبك في الساجدين) أي أنه أخرجك من نبيّ إلى نبيّ حين [حتى: ظ] أخرجك نبيّاً... إلى أن قال: وقال قوم من أصحابنا: إنه أراد تقلّبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله»[3].

وقال القمي (قدّس سرّه):

حدّثني محمّد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن أبي جعفر عليه السلام: (الذي يراك حين تقوم، وتقلّبك في الساجدين) أي أصلاب النبيين[4].

---

(١) تفسير البرهان ج٣/ ١٩٣ ط/ دار الهادي ـ بيروت.

(٢) تفسير مجمع البيان ج٧/ ٢٠٧.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ج٨/ ٦٨.

(٤) نفسير القمي ج٢/ ٢٥ وورد بطريق آخر في كنز الفوائد، لاحظ البحار ج١٥/ ٣ ح٢.

بيـــان:

نستظهر من هذه النصوص أن كلّ آباء النبيّ والولي أنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى والد النبي عبد الله، ووالد الإمام عليه السلام لإتحاد نور النبيّ والوصيّ، هذا مضافاً إلى أن تسلسل أنوار رسول الله وعترته في أصلاب النبيين دلالة القدرة الإلهية على الإعجاز حيث شاءت حكمته أن لا يكون صلب غير معصوم محيطاً بنطفة معصوم.

إن قيل: لا ملازمة بين النبيّ والوليّ، فحيث إن نبوة آباء النبيّ ثبتت بقوله: من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجك نبياً، إلا أن نبوة أبيطالب تحتاج إلى دليل!

قلنا: إن الحكم بنبوته(١) يستند إلى قرائن أُخر منها:

١ ـ ما وراه الصدوق: من أن عبد المطلب كان حجةً، وأبو طالب كان وصيّه.

والوصاية وإن كانت أعم من النبوة، إذ قد يكون الوصي نبياً كما في أوصياء الأنبياء وقد يكون غير نبيّ كالعلماء الأتقياء وأمثالهم، لكن لمّا ثبت نبوة عبد المطلب بما تقدم، ثبتت نبوة أبي طالب للملازمة بين النبوة والوصاية، إذ إن كل الأنبياء كانوا يوصون إلى أنبياء مثلهم، لذا أطلق عليهم تسمية «الوصي» تمييزاً لهم عن غيرهم ممن قد يدّعي النيابة عن الأنبياء في مواريثهم وما جاءوا به من عند الله تعالى.

وعليه، فحيث يوجد مائة وأربع وعشرون ألف نبيّ، يوجد مثلهم مائة وأربع وعشرون ألف وصي، وهؤلاء الأوصياء ـ في نفس الوقت ـ أنبياء يوحى إليهم كما كان يوحى لمن أوصى لهم. فهارون وصي موسى وكذا يوشع بن نون، فهل يُتصوّر

---

(١) دائماً نقصد من النبوة، النبوة التسديدية وهي عبارة عن إيحاءات ربانية لأبي طالب وآبائه الميامين عليهم السلام، أما النبوة التشريعية فهي مخصوصة بأصحاب الشرائع المقدّسة فقط، وقد فصّلنا ذلك في تعاليقنا على مراجعات العلاّمة المحقّق الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين (قدّس سرّه) فليراجع.

أنهم ليسوا بأنبياء مع أن الأخبار دلت على أنهم أوصياء وأنبياء معاً، وهنا هكذا، فبما أن عبد المطلب نبي لا بد أن يوصي إلى نبي مثله تماماً.

ومن هنا أيضاً قال العلاّمة محمّد باقر المجلسي (قدس سره):

[وقد أجمعت الشيعة على إسلامه ـ أي أبي طالب عليه السلام ـ وأنه قد آمن بالنبي صلى الله عليه وآله في أوّل الأمر، ولم يعبد صنماً قط، بل كان من أوصياء إبراهيم عليه السلام واشتهر إسلامه من مذهب الشيعة حتى إنّ المخالفين كلّهم نسبوا ذلك إليهم، وتواترت الأخبار من طرق الخاصة والعامة في ذلك وصنّف كثير من علمائنا ومحدثينا كتباً مفردة في ذلك كما لا يخفى على من تتبع كتب الرجال][1].

وقال في موضع آخر:

«اتفقت الإمامية (رضوان الله تعالى عليهم) على أن والديّ الرسول، وكلّ أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصدّيقين: إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعلّ بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية، وما روي: أن عبد المطلب كان حجةً وأبو طالب كان وصيّه»[2].

وقال في موضع ثالث:

«. . . قد آمن ـ أي أبو طالب ـ وأقرّ، وكيف لا يكون كذلك والحال أن أبا طالب كان من الأوصياء، وكان أميناً على وصايا الأنبياء وحاملاً لها إليه صلى الله عليه وآله . . »[3].

ويشهد لما قلنا من أن الوصاية ملازمة للنبوة بحكم الالتحام بين الأنبياء والأوصياء من ناحية الخصائص الروحية والكمالية، أنه ورد عن درست بن أبي منصور أنه سأل أبا الحسن الأول عليه السلام: أكان رسول الله محجوجاً بأبي طالب؟

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ١٣٩.

(٢) نفس المصدر ج١٥/ ١١٧.

(٣) نفس المصدر ج٣٥/ ٧٤.

فقال عليه السلام: لا، ولكن كان مستودعاً للوصايا فدفعها إليه صلى الله عليه وآله، قال: قلت: فدفع إليه الوصايا على أنه محجوج به؟ فقال: لو كان محجوجاً به ما دفع إليه الوصية، قال: فقلت: فما كان حال أبي طالب؟

قال: أقرّ بالنبيّ وبما جاء به ودفع إليه الوصايا ومات من يومه[1].

بيـــان:

يفهم من الخبر أن أبا طالب عليه السلام معه مواريث الأنبياء، وقبل موته سلّمها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ضرورة أن احتفاظه بمواريث الأنبياء دليل عصمته وطهارته من الدنس، لأن مواريث الأنبياء دائماً بيد الأوصياء لم تتخلف هذه السنّة منذ آدم عليه السلام إلى غياب مولانا وإمامنا الحجّة ابن الحسن المهدي عليه السلام وعجّل الله فرجه الشريف. من هنا ظن السائل أن أبا طالب حجّة على رسول الله! فأجابه الإمام عليه السلام بالنفي، وظنُّ السائل في محله وذلك: لأن القاعدة تقتضي أن يوصي الأعلى رتبة إلى الأدون منه أي يوصي النبيّ إلى وصيه، فلمّا سلّم أبو طالب المواريث والوصايا ظن السائل أن أبا طالب أفضل من رسول الله وأعلى منه درجة، لذا قال له الإمام عليه السلام: دفع الوصايا لا يستلزم كون أبي طالب حجة على رسول الله بل ينافيه بمعنى لو كان أبو طالب حجة على رسول الله (أي أعلى درجة) لما كان على أبي طالب أن يقدّم إلى رسول الله ليدفع إليه الوصايا، بل كان على النبيّ أن يقدّم إليه لأخذ الوصايا كما هو سيرة الأوصياء كالكعبة تزار دائماً.

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ٧٣ ح٨ وأصول الكافي ج١/ ٤٤٥. وقوله عليه السلام: ومات من يومه أي يوم الدفع لا يوم الإقرار، ويحتمل تعلقه بهما، ويكون المراد الإقرار الظاهر الذي اطّلع عليه غيره صلى الله عليه وآله ويؤيد الاحتمال الثاني ما ورد عن ابن عبّاس قال: أخبرني العبّاس بن عبد المطّلب أن أبا طالب شهد عند الموت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، هامش الفصول المائة في حياة الأئمة ج١/ ٧٤ السيّد أصغر ناظم زاده القمي.

أقول: المراد من الإقرار هنا تأكيد الاعتراف برسول الله كما كان يفعل الأئمة عليهم السلام حينما يوصون إلى بعضهم كانوا يؤكدون هذا المعنى، وإلا فلا ملازمة بين الإقرار يوم الممات وبين إنكار رسالة النبي صلى الله عليه وآله.

قال العلاّمة المجلسي (قدس سره):

«هل كان أبو طالب حجّة على رسول الله ﷺ إماماً له؟ فأجاب عليه السلام بنفي ذلك، معلّلاً بأنه كان مستودعاً للوصايا، دفعها إليه لا على أنه أوصى إليه وجعله خليفة له ليكون حجّة عليه، بل كما يوصل المستودع الوديعة إلى صاحبها، فلم يفهم السائل ذلك وأعاد السؤال، وقال: دفع الوصايا مستلزم لكونه حجّة عليه؟ فأجاب عليه السلام بأنه دفع إليه الوصايا على الوجه المذكور، وهذا لا يستلزم كونه حجّة بل ينافيه، وقوله هل كان الرسول محجوجاً مغلوباً في الحجة بسبب أبي طالب حيث قصّر في هدايته إلى الإيمان ولم يؤمن، فقال عليه السلام: ليس الأمر كذلك، لأنه كان قد آمن وأقرّ، وكيف لا يكون كذلك والحال أن أبا طالب كان من الأوصياء، وكان أميناً على وصايا الأنبياء وحاملاً لها إليه ﷺ، فقال السائل: هذا موجب لزيادة الحجّة عليهما حيث علم نبوّته بذلك ولم يقرّ، فأجاب عليه السلام بأنه لو لم يكن مقرّاً لم يدفع الوصايا إليه[1].

٢ - روى الكليني (قُدّس سرّه) عن عبد الله بن مسكان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشّره بمولد النبيّ ﷺ فقال أبو طالب: اصبري سبتاً، أبشّرك بمثله إلاّ النبوة[2].

يدل هذا الحديث على تقدّم إيمان أبي طالب، وأنه كان من الأوصياء وأميناً على أسرار الأنبياء[3].

أقول: إن كلّ وصي نبيّ، وليس كلّ وصي نبيّاً مشرّعاً، فبينهما خصوص وعموم من وجه، فوصاية أبي طالب من مقتضيات نبوته التسديدية لا التشريعية،

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ٧٤.

(٢) أصول الكافي ج١/ ٤٥٢ وكذا حديث رؤية فاطمة بنت أسد للنور عند ولادة النبي وقد أثبتناه سابقاً، ولاحظ: روضة الكافي ص٢٥٠ رقم ٤٦٠.

(٣) الفصول المائة ج١/ ٧٣.

فمثلاً أئمة أهل البيت عليهم السلام أوصياء النبيّ محمّد إلاّ أنهم ليسوا أنبياءاً مشرّعين وإن كانت مقتضيات النبوة فيهم.

إن قيل: لا ملازمة بين الوصاية والنبوة فكيف قلتم إن وصايته عليه السلام دليل نبوته؟

قلنا: إن عدم الملازمة صحيحة في غير موضع المواريث والوصايا، لكنّ الملازمة بينهما في موضع المواريث والوصاية صحيحة وثابتة، إذ لم يُعهد - حسبما جاء في أخبارهم عليهم السلام - للأنبياء أنهم أوصوا لغير الأوصياء المعصومين الذين هم في الواقع أنبياء أيضاً لكن أدنى درجة ممن تقدّمهم، لذا فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام ظاهرهم الوصاية والخلافة، لكنّ واقعهم نبوة، إلاّ أنه ورد عنهم النهي[1] عن اعتقاد النبوة فيهم، بمعنى أنه لايهبط عليهم جبرائيل بالحلال والحرام بعد وفاة جدهم رسول الله محمّد ﷺ، لذا قالوا: نحن محدّثون؛ أي أن الله تعالى يحدّثهم ويُلهمهم ويوحي إليهم بالخيرات، وهذا لا يفرق بشيء عن النبوة سوى أنّ الثانية عبارة عن هبوط الملك بالحلال والحرام، والأولى هي الإخبار عن الحوادث والمجريات.

٣ - وفي البحار عن الاحتجاج عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «إن أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في الرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت بالمكان الذي أنزلك الله به، وأبوك مُعذَّب في النار؟!!

فقال له أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: مه فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أأبي معذّب في النار وابنه قسيم الجنّة والنار؟!!

---

(١) يُحمل هذا النهي على الكراهة.

والذي بعث محمّداً بالحق نبيّاً إن نور أبي يوم القيامة يطفيء أنوار الخلائق كلّهم إلاّ خمسة أنوار: نور محمّد ﷺ ونوري ونور الحسن ونور الحسين ونور تسعة من وُلد الحسين، فإنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام[1].

٤ ـ وفي كنز الفوائد، عن ابان بن محمّد، قال: كتبت إلى الإمام عليّ بن موسى عليه السلام جعلت فداك إني شككت في إيمان أبي طالب؟

قال: فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى، إنك إن لم تقر بإيمان أبي طالب، كان مصيرك إلى النار»[2].

بيـــان:

الشك بإيمان مؤمن لا يوجب الدخول إلى النار، إلاّ إذا كان هذا المؤمن معصوماً وله ما للأنبياء عليهم السلام، فالشك حينئذٍ موجب لدخول النار.

٥ ـ وفي البحار أيضاً عن محمّد بن يونس، عن أبيه، عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: يا يونس، ما يقول الناس في إيمان أبي طالب؟

قلت: جعلت فداك، يقولون: هو في ضحضاح من نار يغلي منها أمّ رأسه.

فقال عليه السلام: كذب أعداء الله، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا[3].

٦ ـ وعن ليث المرادي قال:

قلت للإمام أبي عبد الله عليه السلام: سيّدي إن الناس يقولون: إن أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، قال عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/ ١١٠ وكنز الفوائد للكراجكي ص٨٠.

(٢) كنز الفوائد ج١/ ١٨٣ ط/ دار الذخائر، والبحار ج٣٥/ ١١٠.

(٣) كنز الفوائد ج١/ ١٨٣، وروى عنه في البحار ج٣٥/ ١١١.

كذبوا والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم[1].

بيـــان:

إن رجحان إيمان أبي طالب على إيمان هذا الخلق لدلالة على عصمته، والعصمة ملازمة للنبوة والوصاية، فتأمل.

وقد يقال: إن ما ورد في الحديث الخامس ليس دليلاً على متعلق العصمة (أعني النبوة أو الوصاية) إذ قد يكون أبو طالب رفيقاً للأنبياء والأوصياء وليس هو منهم.

قلنا: إن سماته وهيبته وسيرته هي سيرة الأنبياء والأوصياء، وهو بدوره مستلزم لأن يكون منهم، تماماً كما ورد في الأخبار أن علياً أمير المؤمنين له شبه بالأنبياء كقوله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه وإلى نوح في عزمه وإلى ابراهيم في حلمه وإلى موسى في هيبته وإلى عيسى في زهده فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب[2]. هذا مضافاً إلى القرائن الأخرى الدالة على أن له ما للأئمة إلاّ ما أخرجه الدليل.

٧ ـ روى الحافظ القندوزي الحنفي قال: عن عبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: لمّا ولدت فاطمة بنت أسد علياً سمّته بإسم أبيها أسد ولم يرض أبو طالب بهذا الاسم فقال: هلمّ حتى نعلو أبا قبيس ليلاً وندعو خالق الخضراء لعلّه ينبئنا في اسمه، فلما أمسيا خرجا وصعدا أبا قبيس ودعيا الله تعالى فأنشأ أبو طالب شعراً:

يـــا ربّ هـــذا الغســـق الـــدّجـــيّ ... والفلـــق المنبلـــج المضـــيّ

بيّـــن لنـــا عـــن أمـــرك المقضـــيّ ... بمـــا نسمّـــي ذلـــك الصبـــيّ

---

(١) بحار الأنوار ج٣٥/١١٢.

(٢) ينابيع المودة ص١٤٢ باب ٤٠.

فإذا خشخشة من السماء فرفع أبو طالب طرفه، فإذا لوح مثل زبرجد أخضر فيه أربعة أسطر فأخذه بكلتي يديه وضمّه إلى صدره ضماً شديداً فإذا مكتوب:

خصصتما بالولد الزكيّ والطاهر المنتجب الرضيّ
واسمه من قاهر العلى عليّ اشتقّ من العليّ

فسرَّ أبو طالب سروراً عظيماً وخرّ ساجداً لله تبارك وتعالى وعقّ بعشر من الإبل، وكان اللوح معلّقاً في بيت الله الحرام يفخر به بنو هاشم على قريش حتى غلب الحجاج ابن الزبير[1].

بيـــان:

يستفاد من هذا الحديث أن أبا طالب كان صدّيقاً موحّداً بل كان وصيّاً محدّثاً ملهماً من الله تعالى.

وما ورد في الحديث الثالث: من أن نور أبي طالب يطفيء أنوار الخلائق إلاّ أنوار النبيّ والعترة الطاهرة، كما أن الله خلق نوره من نور الأئمة عليهم السلام دلالة عظمى على عصمته وطهارته، ولم يُخلق من نورهم إلاّ الملائكة والمرسلين والأنبياء والأوصياء عليهم السلام أجمعين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾[2] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

* * * * *

(١) ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٣٠٤، المودة الثامنة.
(٢) سورة النازعات: ٢٦.
(٣) سورة يوسف: ١١١.

قال الملك:

فلماذا اشتهر بين أهل السُّنَّة أن أبا طالب مات كافراً؟

قال العلوي:

لأن أبا طالب أبو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فحقد أهل السنة على عليّ بن أبي طالب أوجب أن يقولوا: إن أباه مات كافراً، كما أنّ حقد السنّة على عليّ عليه السلام أوجب أن يقتلوا ولديه الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، حتى قال أهل السُّنَّة الذين حضروا كربلاء لقتل الحسين عليه السلام: نقاتلك بُغضاً منّا لأبيك وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين!

قال الملك ـ موجّهاً الكلام إلى الوزير ـ:

هل قال هذا الكلام قتلة الحسين عليه السلام؟

قال الملك للعبّاسي:

فما جوابك عن قصة خالد بن الوليد.

قال العبّاسي:

إن أبا بكر رأى المصلحة في ذلك!

قال العلوي ـ متعجّباً ـ:

سبحان الله! وأيّ مصلحة تقتضي أن يقتل خالد الأبرياء ويزني بنسائهم ثمّ يبقى بلا حدّ ولا عقاب، بل يفوّض إليه قيادة الجيش، ويقول فيه أبو بكر إنه سيف سلّه الله، فهل سيف الله يقتل الكفّار أو المؤمنين؟

وهل سيف الله يحفظ أعراض المسلمين أو يزني بنساء المسلمين؟؟

قال العبّاسي:

هَبْ ـ أيُّها العلوي ـ أن أبا بكر أخطأ، لكنّ عمر تدارك الأمر!

قال العلوي:

تدارك الأمر هو أن يجلد خالداً لزناه، ويقتله لقتله الأبرياء المؤمنين، ولم يفعل ذلك عمر، فعمر أخطأ كما أخطأ أبو بكر من قبله.

قال الملك:

إنك أيّها العلوي قلت في أول الكلام إنّ أبا بكر أساء إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فما هي إساءته إلى فاطمة عليها السلام؟

قال العلوي:

إن أبا بكر بعدما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والتهديد والقوّة أرسل عمراً وقنفذاً وخالد بن الوليد وأبا عبيدة الجراح وجماعة أخرى ـ من المنافقين ـ إلى دار عليّ وفاطمة عليهما السلام وجمع عمر الحطب على باب بيت فاطمة (ذلك الباب الذي طالما وقف عليه رسول الله وقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وما كان يدخله إلاّ بعد الاستئذان) وأحرق الباب بالنار، ولما جاءت فاطمة عليها السلام خلف الباب لتردّ عمر وحزبه، عصر عمر فاطمة بين الحائط والباب عصرة شديدة قاسية حتى أسقطت جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها وصاحت فاطمة عليها السلام: أبتاه يا رسول الله أنظر ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة! فالتفت عمر إلى من حوله وقال: أضربوا فاطمة،

فانهالت السياط على حبيبة رسول الله وبضعته حتى أدموا جسمها[1]! وبقيت آثار هذه العصرة القاسية والصدمة المريرة تنخر في جسم فاطمة، فأصبحت مريضة عليلة حزينة حتى فارقت الحياة بعد أبيها بأيام ـ ففاطمة شهيدة بيت النبوة ـ فاطمة قتلت بسبب عمر بن الخطّاب!

---

(١) عاشت سيّدة النساء المعظّمة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام مأساةً بعد مأساة مُذْ وفاة أبيها رسول الله ﷺ، وما جرى عليها يكاد يخلع الأفئدة من مواقعها، ويُذْهِش العقول المتزنة، فمن أصبغوا على أنفسهم ألقاب «الصدّيق والفاروق وسيف.. المسلول وذي النورين» حيث هجموا على دار من قام النبيُّ إجلالاً لها وقبّل يدها، وقد يسأل المنصف: لماذا هذا الهجوم؟ وهل دخل دارها ـ الذي هو دار الله، وبابها باب الله فمن هتكه فقد هتك حجاب الله[1] ـ مشرك أو كافر حربي، فحاولوا إخراجه، أم أنّ الدخول كان لشيء آخر؟

كلا وحاشاها لم يكن في دارها مَنْ ذكرنا حتى يكون مبرّراً لاقتحامه، ولم يكن فيه مال ـ حسبما ادّعى ذلك ابن تيمية ـ[2] بل فيها عترة رسول الله محمّد ﷺ الذين طهّرهم الله تعالى في محكم القرآن المجيد[3]، وأمر بإطاعتهم، وأنهم مع

---

(١) ورد عن رسول الله أنه قال: «ألا إن فاطمة بابها بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله، قال الراوي عيسى بن المستفاد: بكى الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام طويلاً وقال: هتك والله حجاب الله هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله يا أُمه صلوات الله عليها. بحار الأنوار ج٢٢/ ٤٧٧.

(٢) ذكر هذا الناصبي: «أن أبا بكر كبس بيت الإمام عليّ لينظر هل فيه شيء من مال الله ليعطيه لمستحقه». لاحظ: منهاج السنّة ج٨/ ٢٩١ الطبعة الحديثة. أقول: متى كان أبو بكر حريصاً على فقراء المسلمين حتى تُنسب إليه هذه المثلبة ـ لا المنقبة ـ وهل هو أحرص من أمير المؤمنين عليّ يوم تصدّق بخاتمه في الصلاة ليعطيه لمستحقه؟! كلا وألف كلا. وهل الصدقة على المسلمين تجيز ترويع وإهانة وقتل ابنة أحب الخلق إلى الله تعالى؟!

(٣) بقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ وقد تقدم البحث فيها فليراجع.

الحق، يدور معهم حيثما داروا، في الدار فاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، فاطمة الصدّيقة التي يسخط الله لسخطها ويرضى لرضاها، فاطمة التي طالما قال لها النبي ﷺ: فداك أبوك[١] وفاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها[٢].

فاطمة روحي التي بين جنبيّ من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[٣].

فاطمة التي: لمّا زفت كان النبيُّ أمامها وجبرائيل عن يمينها وميكائيل عن يسارها[٤].

فاطمة التي: كان يشم النبيُّ منها رائحة الجنّة[٥].

وهنا نحاول باقتضاب أن نسلّط الضوء على جانب من جوانب حياتها المباركة الطاهرة، ألا وهو الجانب المأساوي الحزين، الذي ما برح التاريخ يردّده بأنين لا ينقطع، ويدوّنه بحروف قاتمة على صفحات سوداء لما أصابها من غبنٍ وحيفٍ، وما لحقها من تعسّف واضطهاد، راثياً حال أولئك الذين تهافتوا على حطام الدنيا البالية، وانقادوا للأباطيل التي منّت بها أنفسهم الأمارة بالسوء، واتبعوا شهواتهم الفانية، وغرّهم بالله الغرور.

والبحث في الجانب المأساوي ذو شقين:

الأول: الجانب النفسي.

الثاني: الجانب الحقوقي.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ج٣/ ٥٦ ط/ حيدر آباد، والخوارزمي في مقتل الإمام الحسين ص٦٦ ط/ الغري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ج٧/ ١٤٠ ط/ محمد صبح بمصر، السنن الكبرى للبيهقي ج١٠/ ٢٠١ ط/ حيدر آباد.

(٣) منتخب كنز العمال/ علي متقي الهندي (المطبوع بهامش المسند ج٥/ ٩٦ ط/ الميمنية بمصر).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٥/ ٨٧.

(٥) ينابيع المودة ص٢٠٤.

فالشق الأول: يتناول الاعتداء على جسدها الطاهر وروحها الزكية المطهّرة.

والشق الثاني: ويتناول الاعتداء على متعلقاتها وحقوقها المالية.

وقد تقدّم الكلامُ في البحوث السابقة، عن الشق الثاني.

أما الشق الأول:

فهو عَرْض موجز لدراما مفجعة، صبّت أحداثها الممضة على شخصية عظيمة مباركة، أحبّها الله ورسوله، مستلاً أخبارها مما تناقله الرواة الثقاة والمحدّثون في بطون مصادر الخاصة والعامة، ومنتزعاً أحداثها مما رواه لنا التاريخ بصدق وأمانة، لنضعها بين يدي الباحث عن الحقّ، ليطّلع عليها بصدر واسع رحيب، ويطالعها بعلمية وموضوعية، ثم ينتهج الصراط المستقيم.

هذه المأساة الكبرى مع مالها من دلالات واضحة، تكشف عن وعورة صدور القوم اتجاه إمام الحق وزوجه البتول عليها السلام، صدور امتلأت حقداً وحسداً، غلّفها الرين، فعمت عن رؤية الحقّ، فلم تتورع عن الإتيان بأخزى الأعمال، وممارسة أنكر الأفعال، بل وهتك أقدس المقدّسات، وهو ما حدّثنا التاريخ عن شرذمة ضالة، تمادى بها الغي، وطال بها الضلال للتجاوز على امرأة هي سيّدة نساء العالمين ـ بل «ما ساوى الله قط امرأة برجل إلاّ ما كان من تسوية الله فاطمة بعلي عليه السلام وإلحاقها به وهي امرأة، بأفضل رجال العالمين ـ»[1] فكسر الفظّ صاحب الدرة[2] عمر بن الخطّاب ضلعها وأسقط جنينها، مع ما له من سوابق هو وزميله ابن أبي قحافة، حيث استغلا صحبتهما لرسول الله فتبوءا قيادة الأمة رغماً

---

(١) الكوثر في أحوال فاطمة عليها السلام ج١/ ٢٥٩ ح٢٧١.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١٢/ ٢٤٢: «إن عمر أحرق بيت رويشد الثقفي، وكان نبّاذاً، وأول من حمل الدرّة وأدّب بها، وقيل بعده: كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج» وقال في موضع آخر: «وعمر هو الذي أغلظ على جبلة بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة دار الإسلام كلها، وعاد مرتداً داخلاً في دين النصرانية» شرح النهج ج١/ ١٤٢، وقال أيضاً: «وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة. شرح النهج ج١/ ١٤٢.

عنها، فقلّبا الأحكام وغيّرا السنن، فما فعله عمر بالخصوص كاعتدائه على الصدّيقة الطاهرة ورفسه على بطنها حتى ألقت جنينها، لأكبر شاهد على فظاظته وسوء عشرته، وكذا ما ثُبت عنه من صلافة على رسول الله تهكّمها حتى نعته وهو ﷺ على فراش الموت بالهجر[1]. ومع وفور الأدلة على مسألة الاعتداء على سيّدة الطهر مولاتنا فاطمة روحي فداها لم يثبت عند[2] من التقى بكثير من عقائده ومنهجه الفقهي بمرتكزات الأشاعرة، بأن عمر بن الخطّاب فعل ما فعل بالسيّدة فاطمة عليها السلام، حيث أنكر مسألة الاعتداء عليها، مدّعياً بذلك أنه من البعيد جداً أن يدخل بعض الصحابة على الصدّيقة ـ بأبي هي وأمي ـ ويضربوها أمام حشود المسلمين، وله تعبيرات في مواضع عدة أن القوم لم يكسروا ضلعها ولا أنهم أسقطوا جنينها، بل إدّعى أن إسقاط الجنين كان بفعل عامل طبيعي لا غير تحريفاً منه للمسألة برمتها، وكأن لسان حاله يقول للعامة «اشهدوا لي عند الأمير إني أول رامٍ رمى بنت محمدٍ في عصر التطور والحداثة والمرجعية المتطورة».

ففي الوقت الذي يؤكد فيه عن رأيه بإسقاط الجنين بفعل عامل طبيعي، يعلن تراجعه عن ذلك في رسالة[3] مؤرخة بـ: ٣/٦/١٤١٤هـ، ثم تراه يكذّب كل من نسب إليه إنكاره لكسر الضلع والاعتداء، وفي الوقت نفسه ينسف كلّ ما قاله في تلك الرسالة، بل يناقض نفسه حيث يقول:

«أنا من الأساس لم أقل إنه لم يكسر ضلع الزهراء عليها السلام وكلّ ما ينسب إليّ ذلك فهو كاذب، أنا استبعدت الموضوع استبعاداً، رسمت علامة استفهام على أساس التحليل التأريخي، قلت: أنا لا أتفاعل مع هذا، لأن محبة المسلمين للزهراء عليها السلام كانت أكثر من محبتهم لعليّ وأكثر من محبتهم للحسن والحسين،

---

(١) روى القصة الشهرستاني في الملل والنحل ج١/ ٢٢، والبخاري في باب العلم، وابن الأثير في تاريخه ج٢/ ٣٢٠.

(٢) عنيت به السيد محمد حسين فضل الله.

(٣) جوابه على رسالة بعثها إليه السيد جعفر مرتضى. لاحظ الحوزة تدين الانحراف ص٩٠.

وفوقها محبتهم لرسول الله، قلت: إنه من المستبعد أن يقدم أحد على فعل ذلك، مع الإقرار بوجود نوايا سيئة ومبيتة، ليس لبراءة فلان من الناس، بل خوفاً من أن يهيّج الرأي العام الإسلامي. وفي هذا المجال، هناك روايات مختلفة، فبعضهم يقول: دخلوا المنزل، والبعض الآخر يقول: لم يدخلوا، فقلت: أنا أستبعد ذلك ولا أتفاعل مع الكلمة نفسها..»[1].

وفي موضع آخر يقول: «وكانت هناك مشاكل أحاطت ببيت عليّ عليه السلام وفاطمة عليها السلام يختلف المؤرخون في طبيعتها مما أساء القوم فيه إليهما»[2].

هذا مضافاً إلى تشكيكه «بوجود ارتباك في الروايات حول وقوع الإحراق أو التهديد به، مع تأكيده إلى أن شخصية الزهراء عليها السلام كانت الشخصية المحترمة عند المسلمين بحيث إنّ التعرض لها بهذا الشكل قد يثير الكثير من علامات الاستفهام وذلك من خلال ما نلاحظه من تعامل الجميع معها في أكثر من خبر»[3].

يتمخّض عن كلامه أمور:

١ ـ إنكاره للاعتداء على الصدّيقة فاطمة عليها السلام.

٢ ـ تراجعه عن ذلك.

٣ ـ ثم تأكيده على أن القوم لم يدخلوا عليها بحجة أن ذلك يثير استفهاماً.

وله تشكيك آخر برواية الطبري في دلائل الإمامة ـ التي من خلالها اعترف بتلك الرسالة أن القوم أسقطوا جنينها ـ مدّعياً أن راويها محمّد بن سنان وفي وثاقته محل نظر، إذ لو كان عبد الله بن سنان فهو ثقة، ولكنه محمّد بن سنان، والأغلبية لا يأخذون بأقواله[4].

---

(١) الزهراء المعصومة ص٥٥ ـ ٥٦.

(٢) نفس المصدر ص٢٣.

(٣) الحوزة تدين الانحراف ص٩٠ نقلاً عن جواب رسالة.

(٤) شريط مسجّل بصوته بتاريخ ١/ ١٠/ ١٩٩٨.

يورد عليه:

١ ـ تشكيكه بالراوي محمد بن سنان لا يقدح بحدوث الاعتداء على الصدّيقة فاطمة عليها السلام، لأن الحادثة رويت بطريق آخر غير عبد الله بن سنان، وليس محمّد ابن سنان مع أن الموجود في سند دلائل الإمامة هو عبد الله بن سنان الثقة.

٢ ـ إن عدم تفاعله مع كل ما جرى على الصدّيقة الطاهرة يعني أنه غير معتقد بحصول الظلم عليها، مما يستلزم القول بنفي كسر الضلع وإسقاط الجنين وضربها، في حين قد صرّح بأنه لم يقل بأن الضلع لم ينكسر بل نعت كل من نسب إليه ذلك بالكذب. ومما يؤكد ذلك ما ورد عنه: بأن القضية ليست من المهمات التي تهمني، سواء قال القائلون: أن ضلعها كسر، أولم يقل القائلون، هذا لا يمثّل بالنسبة لي أية سلبية أو أية إيجابية، هي قضية تاريخية، تحدثت عنها في دائرة خاصة، ولم أتحدث عنها في الهواء الطلق. فهذه القضية ليست من المهمات التي اهتم بإثباتها ونفيها، لا من ناحية علمية ولا من ناحية سياسية»[١].

* مما يلاحظ في أكثر كتابات وخطابات صاحب الشبهة أنه لا يذكر الألقاب المخصوصة بالأئمة والصدّيقة الطاهرة في حين أن أتباع «معاليه» يقيمون الدنيا ولا يقعدونها إذا ما ذُكر «أميرهم» دون تزيين إسمه بعبارات «صاحب السماحة.. آية الله العظمى.. المرجع.. الإمام..» ومن طريف ما وقع لي في لبنان هذا أني هوجمت بشراسة من قِبَل عشّاقه محاولين الاعتداء عليّ بالضرب في قاعة مسجد مطر التابع للمجلس الشيعي ـ وللأسف لم يتخذ ضدهم أيّ عقوبة ـ وذنبي أنني تعرّضت لأفكاره ومعتقداته بالنقد والإبرام وهكذا جرى لي في بعض الأماكن خلال محاضرة تناولت خلالها أفكار الرجل بدون ذكر الألقاب الفخمة التي اعتاد عليها المتزلّفون من الناس..! تُرى!.. أفهناك مظلوميّة أعظم من مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام في بلدٍ كلبنان يدّعي بعض شيعته ـ ويا للأسف ـ أنّهم على خطى عترة رسول الله، ولا تحرّكهم الغيرة عليهم والحماس لذواتهم المقدّسة في حين أنهم مستعدون لسفك الدماء من أجل داعية العامة ومروّج أفكارها؟ اللّهم احكم بيننا وبينهم بالحق وأنت الحكم الفصل يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم!!.

(١) خلفيات ج٦/ ١٢٣.

ويقول أيضاً: «أنا لا أتفاعل مع كثير من الأحاديث التي تقول بأن القوم كسروا ضلعها أو ضربوها على وجهها أو ما إلى ذلك، إنني أتحفظ في كثير من هذه الروايات»[1].

نعم! إن ذلك لا يمثّل له شيئاً، إذ لو كانت المضروبة أو المعتدى عليها إحدى بناته، لكانت المسألة من أعظم اهتماماته، ولأدّى تفاعله بها أن يأمر أجهزته الأمنية بالاقتصاص ممن همّ بضربها أو الإساءة إليها.

هذا مضافاً إلى أنه إذا كان ذلك لا يدخل في دائرة اهتماماته، فلماذا كان مهتّماً ببحث هذا الأمر؟ حسبما سجله في رسالة منه لأحدهم بتاريخ ٣/٦/١٤١٤هـ حيث يقول: «إن لدي تساؤلات تاريخية تحليلية في دراستي الموضوع، كنت أحاول إثارتها في بحثي حول هذا الموضوع».

فإذا كان الاعتداء على الصدّيقة المظلومة غير داخلٍ في دائرة اهتماماته، فأي شيء من تاريخها ـ يا تُرى ـ يدخل في دائرة اهتماماته ـ اللّهم إلاّ ما كان موافقاً للعامة ـ وهل أن التشكيك بتاريخنا ـ تحت عنوان الاجتهاد المتطور والمرجعية الرشيدة ـ هو من صلب اهتماماته وتفاعلاته؟! اللّهم أشهد أنه كذلك.

٣ ـ إن استبعاده وعدم تفاعله، فيه تبرئة لساحة الظالمين، إذ إن إنكار النصوص من الطرفين (والتي دلت على حصول الاعتداء على أمير المؤمنين عليّ وزوجه الطاهرة فاطمة عليها السلام) يستلزم إنكار المسلّمات التاريخية، معتمداً بإنكاره هذا على الاستحسانات العقلية في استكشاف الأمور التاريخية الماضية، مع أن الذين نفى عنهم صدور الظلم أناسٌ لهم سوابق معروفة بالظلم والعدوان ـ لا سيّما مع أبيها على فراش الموت ثم سلبهم للخلافة وحقوق آل البيت عليهم السلام ـ مع تأكيده على أن القوم دخلوا الدار وأخرجوا منها الإمام عليه السلام.

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

٤ ـ إن إنكار الاعتداء يعني حسن الظن بأعداء الله وأعداء رسوله وعترته الطاهرة، وحسن الظن بالمنافقين والمشركين والكافرين حرام نهى الله عزّ وجلّ عنه بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾(١) ومن اعتدى على أهل البيت عليهم السلام لا ريب أنه من أعداء الله ورسوله، فيحرم أن يحسن الظن بهم.

إن الاعتقاد بمسألة الاعتداء على سيّدة الطهر فاطمة عليها السلام ليست مسألة تاريخية محضة حتى يُدّعى أنها لا تدخل في دائرة اهتماماته وتفاعلاته، لأن موضوعاً كهذا يدخل في سلم الأولويات العقيدية والتشريعية والأخلاقية، كيف لا، وهو موضوع يترتب عليه حكم، لأن الاعتداء عليها وسلب حقوقها عليها السلام من أعظم المحرّمات في الشريعة المقدّسة، لأن حرمة أذية المؤمن من صلب الضروريات لما يشكّل الاعتداء من انتهاك لحرمات الله ومقدساته، فكيف لو كان هذا المؤمن هو الصدّيقة الطاهرة التي قامت الأدلة من الكتاب والسنّة المباركة على طهارتها وعصمتها وقداستها، ألا يشكّل الأمر ـ بنظر من شكّك بمظلوميتها ـ حيزاً من اهتماماته وتفاعلاته؟! وهل البحث في أشعار العرب وقصص الماضين أهم من البحث في مظلومية سيّدة نساء العالمين التي طالما يتشدق المشكّك المذكور بأنه أحد أحفادها؟!! أم أن البحث في مشكلة أفغانستان والحركة الأصولية في الجزائر وولاية الفقيه.. الخ أعظم أجراً عند الله تعالى من الدفاع عن مظلومية آبائه وأجداده الميامين؟!

لقد عانت مولاتنا سيّدة النساء فاطمة روحي فداها المصائب الجمّة، جراء ما فعله بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى ثقاة المؤرخين أن أبا بكر وعمر وحلفهما قد تطاولوا على بضعة الرسول إرغاماً لزوجها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كي يبايع أبا بكر بن أبي قحافة، فدخلوا الدار وضربوا حبيبة المصطفى سيّد الرسل محمّد وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها الذي سماه النبيّ «محسناً» قبل أن

---

(١) سورة آل عمران: ٧٣.

يولد[1].

ولأهمية الموضوع عندنا معشر الإمامية ولأن من أنكره ممن يُنسب إلى الإمامية لا يعبّر عن وجهة نظرنا، لا بأس بالتطرق إلى عدة أمور:

الأمر الأول: الاعتداء على سيّدة النساء الصدّيقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله واقتحام دارها.

الأمر الثاني: إجماع الإمامية على حصول الاعتداء.

الأمر الثالث: ردّ الشبهات الطارئة على المسألة.

أما الأمر الأول:

مما لا ريب يعتريه أن أصحاب السقيفة اعتدوا على أمير المؤمنين عليّ المرتضى وزوجه البتول فاطمة عليها السلام، وقد دلت على ذلك الأخبار المتواترة من الفريقين، ويكفي ما أظهره أمير المؤمنين عليه السلام من التفجع على عظيم المصاب بسيّدة الطهر فاطمة عليها السلام حيث قال:

[السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة

---

(١) شاع في الفترة الأخيرة لفظ «المحسِنّ» أو «المحسَّن» أو «المحسِّن» بالكسر والفتح والتخفيف مع لام التعريف، مع أنه لم يرد شيء من ذلك في الأخبار، بل ما ورد إنما هو من دون لام التعريف والتشديد، كل ما هنالك أن ابن الأثير الجزري وأمثاله من مؤرخي العامة أثبتوا اللفظ مشدداً ومكسوراً قياساً على الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قالوا: حرباً، قال: «بل هو مُحَسِّن» ثم قال: سميتم بأسماء ولد هارون: شبَّر وشِبّير ومشَبِّر» أسد الغابة ج٥/ ٧٠ هذا مع أن القندوزي الحنفي في الينابيع ص٢٠٨ و٢٦١ أثبت النص من دون تشديد. وعليه فإن التشديد بالكسر والفتح وإضافة اللام من دون حاجة للإضافة يعتبر مخالفاً للأخبار الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وها هم المؤرخون القريبون من عصر النص أمثال الطبري في دلائل الإمامة، والمسعودي في إثبات الوصية والخصيبي في الهداية الكبرى وغيرهم يثبتون الاسم كما ذكرنا، هذا مضافاً إلى أننا سألنا أهل الخبرة باللغة العبرانية عن تشكيل الكلمات الواردة في الحديث: «شبر شبير مشبر» فأجابوا: إن «مشبر» بالتخفيف هكذا «مُشْبِر» فمن أين جاء التشديد؟!

اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقّ عنها تجلُّدي، إلاّ أنّ لي في التأسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فلقد استُرجعت الوديعة، وأُخذتِ الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهّدٌ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخلُ منك الذكر، والسّلام عليكما سلام مودِّعٍ، لا قالٍ ولا سَئِمٍ، فإن أنصرف فلا عن ملالةٍ، وإنْ أقِمْ فلا عن سوء ظنٍّ بما وعد الله الصّابرين][1].

هذه الشكوى منه عليه السلام لحبيبه رسول الله تكشف عن واقع الأمة المتخاذلة بعد وفاة نبيّها، فبدلاً من أن تقف لتدافع عن أعزّ الخلق إلى محمّد رسول الله، وقفت وتعاونت وتضافرت على هضم ابنته والاعتداء عليها، مع أن المرءَ يُحفظ في ولده، مما يستلزم القول أن الأمة ارتدت عن بكرة أبيها إلاّ خمسة آنذاك، فسكوت الأمة على الظلم يعني أنها راضية به، لأن حلف النفاق في ذاك اليوم لم يكن بمقدورهم الاعتداء على بضعة المصطفى لو وجدتْ ـ بنفسي هي وأبي وأمي ـ أنصاراً يدفعون عنها دِرّة عمر بن الخطّاب وسوط خالد وقنفذ.

لو أن الأمة وقفت إلى جنبها عليها السلام لما تربع أصحاب السقيفة على سدّة الخلافة!؟ إن تخاذل الأمة أدى إلى كل ذلك، مما يعني أن الأمة كلّها هضمت سيّدة الطهر حقّها، وستنبّأ أباها تأكيداً بما جرى عليها من أمته، مع أنه لم يطل بموته العهد، ولم يخل منه الذكر.

وهنا نبحث في عدة نقاط:

---

(١) نهج البلاغة/ محمد عبده ص٢٠٧ خطبة ١٩٧ وشرح النهج/ صبحي الصالح ص٣١٩ خطبة ٢٠٢ وشرح النهج/ العلاّمة الميرزا حبيب الله ج١٣/ ٣.

النقطة الأولى: إحراق الباب على سيّدة النساء عليها السلام.

النقطة الثانية: الدخول عنوة إلى دارها.

النقطة الثالثة: ضربها وإسقاط جنينها مُحْسِن وكسر ضلعها.

والسر الذي دعاني لذكر هذه النقاط هو تشكيك[1] من مال ببعض معتقداته ـ إنْ لم يكن جلُّها ـ إلى العامة، حيث لم يثبت لديه ـ تبعاً للدكتور سهيل زكار ـ وجود أبواب لبيوت المدينة، وكذا لم يدخلوا البيت، فكيف يحصل الضرب حينئذ؟

أما النقطة الأولى:

فحديث التهديد بالإحراق بل إحراق الباب رواه معظم المؤرخين:

فقد روى ابن قتيبة الدينوري (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) وهو من أكابر علماء العامة بأنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر بن الخطّاب فناداهم وهم في دار عليّ عليه السلام فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال:

والذي نفس عمر بيده، لتخرجنَّ أو لأحرقنَّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إنّ فيها فاطمة؟ فقال: وإنْ، فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً عليه السلام فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن[2].

وقال في موضع آخر:

«.. قام عثمان بن عفان ومن معه من بني أميّة فبايعوه ـ أي أبا بكر ـ وقام

---

(١) ليس «السيد محمد حسين فضل الله» الوحيد الذي مال وانحرف إلى العامة ببعض معتقداته، وإنما يوجد مثله من العلماء انحرفوا ببعض المسائل، إلاّ أن ما يميزه عنهم أنه تبنّى الكثير من تلك الشطحات، فصارت منهجاً له وطريقاً يسلكه.

(٢) الإمامة والسياسة ص٣٠.

عبد الرحمن بن عوف وجماعة من بني زهرة فبايعوا، وأما عليّ والعبّاس بن عبد المطّلب ومن معهما من بني هاشم، فانصرفوا إلى رجالهم ومعهم الزبير بن العوّام، فذهب إليهم عمر في عصابة إلى بيت فاطمة، فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم، فقالوا: انطلقوا فبايعوا أبا بكر، فأبوا، فخرج الزبير بن العوام رضي الله عنه بالسيف، فقال عمر: عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، وانطلقوا به فبايع..»[1].

● وقال أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ):

«فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار أو بعض الأنصار لا نبايع إلاّ عليّاً، فأتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرُجُنَّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه..»[2].

وقال في موضع آخر:

«قال عمر أبسُط يدك يا أبا بكر فلأُبايعك، فقال أبو بكر: بل أنت يا عمر، فأنت أقوى لها مني، قال: وكان عمر أشدّ الرجلين، قال وكان كلٌّ واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده، يضرب عليها، ففتح عمر يد أبي بكر، وقال: إن لك قوتي مع قوتك، قال: فبايع الناس واستثبتوا للبيعة، وتخلّف عليٌّ والزبير، واخترط الزبير سيفه وقال: لا أغمده حتى يبايع عليّ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فقال عمر: خذوا سيف الزبير فاضربوا به الحجر، قال: فانطلق إليهم عمر، فجاء بهما تعباً وقال: لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان فبايعا..»[3].

ملاحظة: لم يبايع أمير المؤمنين أحداً بعد وفاة رسول الله ﷺ، لأن البيعة

---

(١) الإمامة والسياسة ص٢٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك/ الطبري ج٢/ ٤٤٣.

(٣) نفس المصدر ج٢/ ٤٤٤.

تعني الالتزام بأحقية المعقود له البيعة، وشيء من هذا لم يكن حاصلاً عند المغتصبين، هذا بالإضافة إلى أن الخلافة تعيين من الله تعالى، وقد بايعا ـ أي أبو بكر وعمر ـ أميرَ المؤمنين علياً عليه السلام في غدير خم، يظهر أن بيعتهما له عليه السلام كانت نفاقاً.

● وقال عز الدين الشهير بابن أبي الحديد المعتزلي (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ):

«إنه عليه السلام لما استنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة وما جرى فيه، وكان يحمل فاطمة عليها السلام ليلاً على حمار، وابناها معها، وهو عليه السلام يسوقه، فيطرق بيوت الأنصار وغيرهم، ويسألهم النصرة والمعونة، أجابه أربعون رجلاً، فبايعهم على الموت، وأمرهم أن يصبحوا بكرةً محلّقي رؤوسهم ومعهم سلاحهم، فأصبح لم يوافه منهم إلاّ أربعة: الزبير، والمقداد، وأبو ذر وسلمان، ثم أتاهم من الليل، فناشدهم، فقالوا: نصبّحك غدوة، فما جاء منهم إلاّ أربعة، وكذلك في الليلة الثالثة، وكان الزبير أشدّهم له نصرة، وأنفذهم في طاعته بصيرة، حلق رأسه، وجاء مراراً وفي عنقه سيفه، وكذلك الثلاثة الباقون، إلاّ أن الزبير هو كان الرأس فيهم، وقد نقل الناس خبر الزبير لما هجم عليه ببيت فاطمة عليها السلام وكسر سيفه في صخرة ضربت به، ونقلوا اختصاصه بعليّ عليه السلام وخلواته به، ولم يزل موالياً له، متمسكاً بحبه ومودته، حتى نشأ ابنه عبد الله وشب، فنزع به عرقٌ من الأم ومال إلى تلك الجهة وانحرف عن هذه..»[1].

وقال: «روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز عن أبي الأسود قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب عليٌّ والزبير، فدخلا بيت فاطمة، معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، فيهم أُسيد بن حُضير، وسلمة بن سلامة بن قريش وهما من بني عبد الأشهل، فاقتحما الدار، فصاحت فاطمة

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١١/ ١٢. ملاحظة: لقد تجاهل ابن أبي الحديد دور عمّار بن ياسر وأنه كان من الثابتين على الولاء لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما، فأخرجهما عمر يسوقهما..»[1].

وقال: جاء عمر إلى بيت فاطمة في رجال من الأنصار ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ عليكم، فخرج إليه الزبير مصلتاً بالسيف، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقاً عنيفاً..»[2].

وقال أبو بكر بن عبد العزيز قال أحد الطالبيين:

«يا أبا حفص الهوينى وما كنت مليّاً بذاك لولا الحمامُ
أتموتُ البتولُ غضبى ونرضى ما كذا يُصنع البنونُ الكرامُ!

يخاطب عمر ويقول له: مهلاً ورويداً يا عمر، أي ارفق واتّئِد ولا تعنُف بنا، وما كنت مليّاً، أي وما كنت أهلاً لأن تخاطب بهذا أو تستعطف، ولا كنت قادراً على ولوج دار فاطمة على ذلك الوجه الذي ولجتها عليه، لولا أن أباها الذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله، مات فطمع فيها من لم يكن يطمع، ثم قال: أتموت أمّنا وهي غضبى ونرضى نحن! إذاً لسنا بكرام، فإن الولد الكريم يرضى لرضا أبيه وأمه ويغضب لغضبهما.

والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ألاّ يصلّيا عليها، وكان الأولى بهما إكرامها واحترامَ منزلها..»[3].

وقال أبو بكر: أخبرني أبو بكر الباهلي عن إسماعيل بن مجالد، عن الشعبيّ، قال: قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال:

---

(١) شرح النهج ج٦/ ٢٠٥.

(٢) نفس المصدر ج٦/ ٢٠٦.

(٣) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج٦/ ٢٠٧.

انطلقا إليهما ـ يعني علياً والزبير ـ فأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير، ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأُبايع علياً، قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد، دونك هذا، فأمسكه خالد، وكان خارج البيت مع خالد جمعٌ كثيرٌ من الناس، أرسلهم أبو بكر ردْءاً لهما، ثم دخل عمر، فقال لعليّ: قم فبايع، فتلكّأ واحتبس فأخذ بيده، وقال: قم، فأبى أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفع الزبير، ثم أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة ما صنع عمر، فصرخت وولولت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهنّ، فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله. »[1].

وهكذا مضى القوم في تعنّتهم وظلمهم من أجل أخذ البيعة لأبي بكر، وها هو البراء بن عازب يصف شناعة القوم يوم السقيفة فيقول:

لم أزل لبني هاشم محبّاً، فلمّا قبض رسول الله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله فكنت أتردّد على بني هاشم وهم عند النبي ﷺ في الحجرة، وأتفقّد وجوه قريش، فإني كذلك، إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث، وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأُزر الصنعانيّة لا يمرّون بأحد إلاّ خبطوه، وقدّموه فمدّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي، وخرجت أشتدُّ حتى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب

---

(١) نفس المصدر ج٦/ ٢٠٦.

ضرباً عنيفاً، وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العبّاس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر أما إني قد أمرتكم فعصيتموني..»[١].

● قال أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني: (٤٧٩ - ٥٤٨هـ).

«انفرد النظّام عن أصحابه بمسائل منها:

ميله إلى الرفض، ووقيعته في كبار الصحابة قال: أولاً: لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً مكشوفاً، وقد نصّ النبيّ ﷺ على عليّ رضي الله عنه في مواضع، وأظهره إظهاراً لم يشتبه على الجماعة، إلاّ أن عمر كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة، ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال: ألسنا على الحق؟ أليسوا على الباطل؟ قال: نعم، قال عمر: فلمَ نعطي الدنية في ديننا؟ قال هذا شك وتردد في الدين، ووجدان حرج في النفس مما قضى وحكم، وزاد في الفرية فقال:

إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: **أحرقوا دارها بمن فيها**، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين..»[٢].

● قال أبو الفداء إسماعيل:

«لمّا قبض الله نبيه، قال عمر بن الخطّاب: من قال إن رسول الله مات، علوت رأسه بسيفي هذا، وإنما ارتفع إلى السماء! فقرأ أبو بكر ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[٣].

---

(١) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج١/ ١٦٨.

(٢) الملل والنحل ج١/ ٥٧ الفصل الأول. ورواه بألفاظه صلاح الدين الصفدي الشافعي المتوفى ٧٦٤ في ترجمة النظّام في كتابه «الوافي بالوفيات» ج٥/ ٣٤٧.

(٣) سورة آل عمران: ١٤٤.

فرجع القوم إلى قوله، وبادروا سقيفة بني ساعدة، فبايع عمر أبا بكر، وانثال الناس عليه يبايعونه في العشر الأوسط من ربيع سنة إحدى عشرة خلا جماعة من بني هاشم، والزبير، وعتبة بن أبي لهب، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبي بن كعب، ومالوا مع عليّ بن أبي طالب، وقال في ذلك عتبة بن أبي لهب:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منهم عن أبي حسن

عن أوّل الناس إيماناً وسابقة واعلم الناس بالقرآن والسنن

وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومن جبريل عون له في الغسل والكفن

ومن فيه ما فيهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسن

وكذلك تخلّف عن بيعة أبي بكر: أبو سفيان من بني أمية.

ثم أن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى عليّ ومن معه يخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم.

فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار، فلقيته فاطمة رضي الله عنها، وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب، أجئت لتحرق دارنا!!

قال: نعم، أوتدخلوا فيما دخلت به الأمة!![1].

● روى البلاذري بإسناده عن سليمان التيمي، وعن ابن عون:

إن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد بيعته، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت:

يا ابن الخطّاب! أتراك محرقاً عليَّ بابي؟

قال: نعم، وذلك أقوى مما جاء به أبوك[2].

---

(١) المختصر في أخبار البشر ج١/١٥٦.

(٢) أنساب الأشراف ج١/٥٨٦ ح١١٨٤ ط/ دار المعارف، ونقل عنه المجلسي في البحار ج٢٨/٣٨٩ ط/ دار الوفاء.

● وروى ابن عبد ربّه: إن الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر هم: عليٌّ «أمير المؤمنين» والعبّاس والزبير، وسعد بن عُبادة.

فأمّا عليٌّ «أمير المؤمنين» والعبّاس والزبير، فقعدوا في بيت فاطمة «الصدّيقة» عليها السلام حتّى بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت:

يابن الخطّاب! أجئت لتحرق دارنا؟

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمة..»[1].

● وروى المتقي الهندي عن أسلم أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله كان عليٌّ «أمير المؤمنين» والزبير يدخلون على «سيّدة النساء» فاطمة بنت رسول الله ويشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ عمر بن الخطاب، خرج حتّى دخل على فاطمة «سيّدة النساء» فقال:

يا بنت رسول الله! والله ما من الخلق أحد أحبّ إليّ من أبيك. وأيم الله ما ذاك بمانعي أن أجمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بهم أن يحرق عليهم الباب. فلما خرج عمر، جاءوها، قالت: تعلمون أن عمر قد جاءني، وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم البيت، وأيم الله ليمضينّ لما حلف عليه[2].

● قال ابن أبي الحديد:

«وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر ووقم المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لمّا جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطىء في السقيفة سعد بن عبادة، وقال:

---

(١) العقد الفريد ج٥/ ١٢ ط/ مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) كنز العمال ج٥/ ٦٥١، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ج٢/ ١٧٤، والسقيفة وفدك/ أبو بكر الجوهري ص٣٨ و٥٠. نهاية الأرب/ النويري ج١٩/ ٣٩، تشييد المطاعن وكشف الضغائن ج١/ ٢٢٣، وقرة العين/ الدهلوي ص٧٨ ط/ بيشاور.

اقتلوا سعداً، قتل الله سعداً وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكّك وعُذيقها المرجّب، وتوعّد من لجأ إلى دار فاطمة «الصدّيقة» عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة»[1].

* وقال عمر رضا كحالة:

«تفقد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ بن أبي طالب كالعبّاس، والزبير، وسعد بن عبادة، فقعدوا في بيت فاطمة، فبعث أبو بكر عمر بن الخطاب، فجاءهم عمر فناداهم، وهم في دار فاطمة «الصديقة» فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها!!

فقيل له: يا أبا حفص! إنّ فيها فاطمة!!

قال: وإن[2]!!

* قال حافظ إبراهيم شاعر النيل، رافعاً عقيرته بعد مضي قرون على تلكم المعرّات، مبتهجاً متبجحاً بقوله في القصيدة (العمرية) تحت عنوان: عمر وعليّ:

وقولة لعليّ قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرّقت دارك لا أُبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها[3]

وقد علّق أحمد أمين في هامش الديوان المذكور: بأن حافظ يشير بهذه

---

(١) شرح النهج/ ج١/ ١٣٥.

(٢) أعلام النساء ج٤/ ١١٤.

(٣) ديوان حافظ إبراهيم ج١/ ٧٥ ط/ دار الكتب المصرية بالقاهرة. الغدير ج٧/ ٨٦، والمراجعات ص٣٦٦ المراجعة ٨٣ ط/ الأعلمي، بتحقيقنا، ودلائل الصدق ج٣/ ٩٢.

الأبيات إلى امتناع الإمام عليّ عليه السلام عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة، وتهديد عمر إياه بتحريق بيته إذا استمر على امتناعه، وكان فيه زوجة «الإمام» عليّ فاطمة بنت رسول الله(ص).

* وقدح الذهبي في أحمد بن محمّد بن السري بن يحيى بن أبي دارم المحدّث، بأنه كوفي رافضي كذّاب، وروى عنه الحاكم وقال: رافضي، غير ثقة.

وقال محمد بن أحمد بن حماد الكوفي الحافظ ـ بعد أن أرّخ موته: كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرتُه ورجل يقرأ عليه: إن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن..»[1].

* ونقل ابن قتيبة الدينوري عن أبي بكر قال على فراش الموت:

«والله ما آسى إلاّ على ثلاث فعلتهن، ليتني كنت تركتهنّ، وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن، وثلاث ليتني سألت رسول الله عنهنّ، فأما اللاتي فعلتهن وليتني لم أفعلهن، فليتني تركت بيت عليّ وإن كان أعلن علي الحرب، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر، فكان هو الأمير وكنت أنا الوزير، وليتني حين أتيت بذي الفجاءة السلمي أسيراً أني قتلته ذبيحاً أو أطلقته نجيحاً، ولم أكن أحرقته بالنار..»[2].

* نقل ابن خيزرانة في غرره، قال زيد بن أسلم:

كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع عليٌّ وأصحابه عن البيعة أنْ يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي مَنْ في البيت وإلاّ أحرقته ومن فيه، قال: وفي البيت عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه [وآله]، فقالت فاطمة: تحرق على ولدي؟ قال: أي والله أو

---

(1) ميزان الاعتدال ج١/ ١٣٩ ط/ دار المعرفة، ورواه بألفاظه أيضاً ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ج١/ ٢٦٨.

(2) الإمامة والسياسة ج١/ ٣٦ ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني في ترجمة علوان ج٤/ ١٨٩.

ليخرجنّ وليبايعنّ[1].

* قال الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود: ... فهلاّ كان عليٌّ كإبن عبادة حريّاً في نظر ابن الخطّاب بالقتل حتى لا تكون فتنة ولا يكون انقسام؟! كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحدة الإسلام، وبه تحدّث الناس ولهجت الألسن كاشفة عن خلجات خواطر جرت فيها الظنون مجرى اليقين... وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة، وفي باله أنْ يحمل ابن عمّ رسول الله ـ إنْ طوعاً وإنْ كرهاً ـ على إقرار ما أباه حتى الآن، وتحدّث أناس بأنّ السيف سيكون وحده متن الطاعة!.. وتحدّث آخرون بأنّ السيف سوف يلقى السيف!.. ثم تحدّث غير هؤلاء بأنّ «النار» هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة وإلى الرضا والإقرار!.. وهل على ألسنة الناس عقال يمنعها أنْ تروي قصة حطب أمر به ابن الخطّاب فأحاط بدار فاطمة، وفيها عليّ وصحبه، ليكون عدة الإقناع أو عدة الإيقاع؟..

أقبل الرجل محنقاً مندلع الثورة على دار عليّ وقد ظاهره معاونوه ومَنْ جاء بهم، فاقتحموها أو أوشكوا على اقتحام، فإذا وجهٌ كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، وفي عينيه لمعات دمع، وفوق جبينه عبسة غضب فائر وحنق ثائر...

وراحت الزهراء وهي تستقبل المثوى الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر: يا أبت يا رسول الله!.. ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟! فما تركت كلماتها إلاّ قلوباً صدعها الحزن وعيوناً جرت دمعاً..»[2].

* قال المسعودي:

وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشِّعب،

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج٢/١٠٥، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ج٧/١٦٤، ونهج الحق وكشف الصدق ص٢٧١.

(2) الغدير ج٣/١٠٣.

وجمعه الحطب ليُحرقهم ويقول: إنما أراد بذلك ألاّ تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لمّا تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليُحرّق عليهم الدار»[1].

* وقال النقيب أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي البَصْري (عام ٦١١هـ) في معرض رده على أبي المعالي الجويني في أمر الصحابة:

«فكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخُضتم فيه، وقد غاب عنكم! وبرئتم من قتلته ولعنتموهم، وكيف لم تحفظوا أبا بكر في محمّد ابنه فإنكم لعنتموه وفسّقتموه، ولاحفظتم عائشة في أخيها محمّد المذكور، ومنعتمونا أن خوض وندخل أنفسنا في أمر أمير المؤمنين عليّ والإمامين الحسن والحسين، ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلّب على حقه وحقوقهما! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنّة عندكم، ولعن ظالم الإمام عليّ والحسن والحسين تكلّفاً! وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها، ومن القائل لها: حُميراء، أو إنما هي حُميراء، ولعنته بكشفه سترها، ومعتنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها.

فإن قلتم: إن بيت فاطمة إنما دُخِل، وسترها إنما كُشف حفظاً لنظام الإسلام، وكيلا ينتشر الأمر ويُخرج قومٌ من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كُشف، وهودجها إنما هُتك لأنها نشرت حبل الطاعة، وشقت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء

---

(١) شرح النهج/ ابن أبي الحديد ج٢٠/ ٣٥١ نقلاً عن مروج الذهب للمسعودي ج٣/ ٩.

وما تنطق به كتب التواريخ والسِّير، فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، والبراءة من فاعله من أوكد عرى الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع حطب ببابها، وتهدّدها بالتّحريق من أوكد عُرى الدين وأثبت دعائم الإسلام، ومما أعزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة، والحرمتان واحدة، والسّتران واحد، وما نحبّ أن نقول لكم: إن حرمة فاطمة أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله أولى، فإنها بضعةٌ منه، وجزءٌ من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنما هي وصلة مستعارة، وعقد يجري مجرى أجارة المنفعة، وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء... وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة، وقد أجمع المسلمون كلّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنها سيّدة نساء العالمين!..»[1].

هذه نبذة مما ورد في كتب العامة حول التهديد بالإحراق، وهناك الكثير يحصل عليه المتتبع.

وأما ما يدل على ذلك من كتب الشيعة الإمامية فكثير جداً، على الرغم من حساسية الموضوع، لظروف قاسية وأليمة، عاني مؤرخو الإمامية منها الكثير يومذاك، ومع هذا وصلنا الجم الغفير من تلكم النصوص الصحيحة والصريحة منها:

(١) قال سليم بن قيس «رضي الله عنه» (وُلِد عام ١١ للبعثة، وتوفى ٧٦هـ):

«وانطلق ـ أي قنفذ لعنه الله تعالى ـ فاستأذن على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر، وهما جالسان في المسجد والناس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا، فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لكم

---

(١) شرح النهج ج٢٠/٢٧١.

وإلاّ فادخلوا بغير إذن.

فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت «الصدّيقة» فاطمة عليها السلام: أُحرّج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن، فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن، فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء؟! ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل عليّ وفاطمة وابناهما، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً وفاطمة عليهما السلام: والله لتخرجنّ يا عليّ، ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلاّ أضرمت عليك النار! فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر! ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم، فقالت: يا عمر أما تتقي الله، تدخل عليّ بيتي؟!

فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل..»[1].

وقال في موضع آخر:

«فلما افتتن الناس بالذي افتتنوا به من الرجلين، فلم يبق إلاّ عليٌّ وبنو هاشم وأبو ذر والمقداد وسلمان في أناس معهم يسير، قال عمر لأبي بكر: يا هذا إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته وهؤلاء النفر، فابعث إليه، فبعث إليه ابن عمٍّ لعمر يقال له قنفذ، فقال: انطلق إلى عليّ فقل له: أجب خليفة رسول الله فانطلق فأبلغه فقال عليٌّ عليه السلام: ما أسرع ما كذبتم على رسول الله وارتددتم، والله ما استخلف رسول الله غيري، فارجع يا قنفذ فإنما أنت رسول، فقل له قال لك عليّ: والله ما استخلفك رسول الله وأنك لتعلم من خليفة رسول الله، فأقبل قنفذ إلى أبي بكر فبلّغه الرسالة، فقال أبو بكر: صدق عليّ! ما استخلفني رسول الله، فغضب عمر ووثب وقام، فقال أبو بكر: اجلس ثم قال لقنفذ: اذهب إليه... إلى أن قال:

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص٧٥ ط/ دار الإرشاد الإسلامي ـ بيروت ١٩٩٤م.

فانطلق قنفذ فأخبر أبا بكر، فوثب عمر غضبان، فنادى خالد بن الوليد وقنفذاً، فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب عليّ وفاطمة عليهما السلام، وفاطمة قاعدة خلف الباب قد عصبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله، فأقبل عمر، حتى ضرب الباب ثم نادى: يا ابن أبي طالب! افتح الباب، فقالت فاطمة: يا عمر، ما لنا ولك، لا تدعنا وما نحن فيه؟!

قال: افتحي الباب وإلاّ أحرقناه عليكم! فقالت: يا عمر أما تتقي الله عزّ وجلّ، تدخل بيتي وتهجم على داري؟! فأبى أن ينصرف.

ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب، ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت: يا أبتاه! فوثب عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر، ثم هزّه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله وما أوصى به من الصبر والطاعة، فقال: والذي كرّم محمّداً بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وسلّ خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام فحمل عليه بسيفه، فأقسم - أي خالد - على عليّ عليه السلام إلاّ كف...»[1].

(٢) قال المؤرخ والنسّابة المسعودي الهذلي (المتوفى عام ٣٤٦هـ):

«وبايع عمر بن الخطاب أبا بكر، وصفق على يديه، ثم بايعه قوم ممن قدم المدينة ذلك الوقت من الأعراب والمؤلفة قلوبهم[2]، وتابعهم على ذلك غيرهم،

---

(١) كتاب سليم بن قيس ص٢٣١ ط/ دار الإرشاد، وج٢/ ٨٦٢ تحقيق محمد باقر الأنصاري ط/ قم نشر الهادي ١٤١٦هـ.

(٢) من هنا يعرف أن الحلف الثنائي جلب الأعوان والأنصار للانقلاب على خليفة الله أمير المؤمنين علي عليه السلام، حيث إن قدوم هؤلاء إلى المدينة كان مخططاً له قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

واتصل الخبر بأمير المؤمنين عليه السلام بعد فراغه من غسل رسول الله وتحنيطه وتكفينه وتجهيزه ودفنه بعد الصلاة عليه مع من حضر من بني هاشم، وقوم من صحابته مثل سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وأُبي بن كعب وجماعة نحو أربعين رجلاً، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن كانت الإمامة في قريش فأنا أحق قريش بها، وإن لم تكن في قريش فالأنصار على دعواهم، ثم اعتزلهم ودخل بيته، فأقام فيه ومن اتبعه من المسلمين وقال: إن لي في خمسة من النبيّين أسوة، نوح إذ قال: إني مغلوب فانتصر، وابراهيم إذ قال: واعتزلكم وما تدعون من دون الله، ولوطاً إذ قال: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد، وموسى إذ قال: ففررت منكم لمّا خفتكم، وهارون إذ قال: إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. ثم ألّف عليه السلام القرآن وخرج إلى الناس، وقد حمله في إزار معه.. فقال لهم: هذا كتاب الله قد ألّفته كما أمرني وأوصاني رسول الله كما أُنزل، فقال له بعضهم: اتركه وامض، فقال لهم: إن رسول الله قال لكم: إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فإن قبلتموه فاقبلوني معه أحكم بينكم بما فيه من أحكام الله، فقالوا: لا حاجة لنا فيه ولا فيك، فانصرف به معك، لا تفارقه ولا يفارقك، فانصرف عنهم فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله **فوجهوا إلى منزله فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً**، وأخذوه بالبيعة فامتنع، وقال: لا أفعل، فقالوا: نقتلك، فقال: إن تقتلوني فإني عبد الله وأخو رسوله، وبسطوا يده فقبضها، وعسر عليهم فتحها، فمسحوا عليها وهي مضمومة...»[1].

(٣) وقال أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخُصيبي (٢٥٨ ـ ٣٣٤هـ):

«ثم تبتدىء فاطمة عليها السلام بشكوى ما نالها من أبي بكر وعمر من أخذ فدك

---

(١) إثبات الوصية ص١٥٤ ط/ دار الأضواء.

منها ومشيها إليهم في مجمع الأنصار والمهاجرين وخطابها إلى أبي بكر في أمر فدك وما ردّ عليها من قوله إن الأنبياء لا وارث لهم واحتجاجها بقول الله عزّ وجلّ بقصة زكريا ويحيى ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[1] وقوله بقصة داود وسليمان: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[2] وقول عمر لها هاتي صحيفتك التي ذكرت إن أباك كتبها لك على فدك وإخراجها الصحيفة وأخذ عمر إياها منها ونشره لها على رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب وتفله فيها وعركه لها وتمزيقه إياها وبكاءها ورجوعها إلى قبر أبيها باكية تمشي على رمضاء وقد أقلقتها، واستغاثتها بأبيها وتمثلها بقول رقية بنت صفية:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختلّ أهلك[3] واختلّت بها الرّيبُ
أبدى رجال لنا ما في صدورهم لما نأيت وحالت دونك الحجبُ
لكلّ قوم لهم قربى ومنزلة عند الإله عن الأدنين مقتربُ
يا ليت بعدك كان الموت حلّ بنا أملوا أناس[أناساً] ففازوا بالذي طلبوا

وتقص عليه قصة أبي بكر وإنفاذ خالد بن الوليد وقنفذ وعمر جميعاً لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته إلى البيعة في سقيفة بني ساعدة واشتغال أمير المؤمنين وضمّ أزواج رسول الله وتعزيتهنّ وجمع القرآن وتأليفه وإنجاز عداته وهي ثمانون ألف درهم باع فيها تالده وطارفه وقضاها عنه وقول عمر له: «اخرج يا عليّ إلى ما أجمع عليه المسلمون من البيعة لأمر أبي بكر فما لك أنْ تخرج عمّا اجتمعنا عليه فإنْ لم تخرج قتلناك». وقول فضة جارية فاطمة عليها السلام: «إنّ أمير المؤمنين عنكم

---

(١) سورة مريم: ٥ ـ ٦.
(٢) سورة النمل: ١٦.
(٣) في نسخة الاحتجاج ج١/ ١٢٣ و١٤٥: «واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب» مع وجود اختلاف ببعض الألفاظ ببقية الأبيات، وما في الاحتجاج أضبط.

مشغول والحقّ له لو أنصفتموه واتقيتم الله ورسوله» وسبّ عمر لها وجمع الحطب الجزل على النار لإحراق أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب ورقية وأم كلثوم وفضّة وإضرامهم النار على الباب وخروج فاطمة عليها السلام وخطابها لهم من وراء الباب وقولها: «ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله ورسوله، تريد أنْ تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفىء نور الله والله متمٌّ نوره» وانتهاره لها وقوله: «كفي يا فاطمة فلو أنّ محمّداً حاضرٌ والملائكة تأتيه بالأمر والنهي والوحي من الله وما عليّ إلا كأحد من المسلمين فاختاري إنْ شئت خروجه إلى بيعة أبي بكر وإلاّ أحرقكم بالنار جميعاً». وقولها له: «يا شقي عُديّ، هذا رسول الله لم يبل له جبين في قبره ولا مسّ الثرى أكفانه»، ثم قالت وهي باكية: «اللهم إليك نشكو فقد نبيّك ورسولك وصفيّك وارتداد أمته ومنعهم إيانا حقّنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيّك بلسانه» وانتهار عمر لها وخالد بن الوليد وقولهم: «دعي عنك يا فاطمة حماقة النساء فكم يجمع الله لكم النبوة والرسالة» وأخذ النار في خشب الباب وأدخل قنفذ لعنه الله يده يروم فتح الباب وضرب عمر لها بسوط أبي بكر على عضدها حتى صار كالدملج الأسود المحترق وأنينها من ذلك وبكاها وركل عمر الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بمحسن لستة أشهر وإسقاطها وصرختها عند رجوع الباب وهجوم عمر وقنفذ وصفقة عمر على خدها حتى أبرى قرطها تحت خمارها فانتثر وهي تجهر بالبكاء تقول: «يا أبتاه يا رسول الله ابنتك فاطمة تُضرب ويُقتل جنينٌ في بطنها وتُصفَق، يا أبتاه، ويُسقف خدّ [لما] لها كنتَ تصونه من ضيم الهوان يصل إليه من فوق الخمار» وضربها بيدها على الخمار لتكشفه ورفعها ناصيتها إلى السماء تدعو الله تعالى..»[1].

وقال في موضع آخر:

«وروي أنها تكفنت من بعد غسلها وحنوطها وطهارتها لا دنس فيها، وأنها لم يكن يحضرها إلا أمير المؤمنين والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة

---

(١) الهداية الكبرى/ الخصيبي ص٤٠٦.

جاريتها وأسماء ابنة عميس، وأن أمير المؤمنين عليه السلام جهّزها ومعه الحسن والحسين في الليل، وصلّوا عليها وأنها وصّت، وقالت لا يصلّي عليّ أمة نقضت عهد أمير المؤمنين عليه السلام ولم يُعلم بها أحداً، ولا حضر وفاتها أحد، ولا صلّى عليها من سائر الناس غيرهم، لأنها وصّت عليها السلام، وقالت: لا يصلّي عليّ أمة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله وأمير المؤمنين بعلي وظلموني وأخذوا وراثتي وحرقوا صحيفتي التي كتبها أبي بملك فدك والعوالي، وكذّبوا شهودي وهم والله جبرائيل وميكائيل وأمير المؤمنين وأم أيمن، وطفت عليهم في بيوتهم، وأمير المؤمنين يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم يذكرهم بالله ورسوله لئلا يظلمونا ويعطونا حقنا الذي جعله الله لنا فيجيبون ليلاً ويقعدون عن نصرتنا نهاراً، ثم ينفذون إلى دارنا قنفذاً ومعه خالد بن الوليد ليخرجا ابن عمي إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة، ولا يخرج إليهم متشاغلاً بوصية رسول الله وأزواجه وتأليف القرآن وقضاء ثمانين ألف درهم وصّاه بقضائها عنه عدات وديناً، فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت فأخذت بعضادتي الباب، وقلت: ناشدتكم الله وبأبي رسول الله أن تكفّوا عنا وتنصرفوا، فأخذ عمر السوْط من قنفذ مولى أبي بكر، فضرب به عضدي، فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فردّه عليّ وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر، وصفق وجهي بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطت مُحْسِناً قتيلاً بغير جرم، فهذه أمة تصلي عليّ؟ وقد تبرأ الله ورسوله منها وتبرأت منها..»[1].

(٤) وقال السيد المرتضى (المتوفى ٤٣٦هـ) في ردّه على أبي عليّ القاضي عبد الجبار المعتزلي الذي أنكر ضرب عمر للصدّيقة الطاهرة الزكية:

«وبعد، فلا فرق بين أنْ يهدّد بالإحراق للعلة التي ذكرها وبين ضرب فاطمة عليها السلام لمثل هذه العلّة، فإن إحراق المنازل أعظم من ضربه بالسوط وما يحسن الكبير ممن أراد الخلاف على المسلمين أولى بأن يحسن الصغير فلا وجه

(١) الهداية الكبرى ص١٧٨ و١٧٩ ط/ مؤسسة البلاغ ١٩٩١ الطبعة الرابعة.

لامتعاض صاحب الكتاب من ضربة السوط وتكذيب ناقلها وعنده مثل هذا الاعتذار»[1].

(٥) وروى الشيخ المفيد (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ)بسند معنعن إلى مروان بن عثمان قال:

لمّا بايع الناس أبا بكر دخل عليٌّ عليه السلام والزبير والمقداد بيت فاطمة عليها السلام، وأبوا أن يخرجوا، فقال عمر بن الخطاب: أضرموا عليهم البيت ناراً، فخرج الزبير ومعه سيفه، فقال أبو بكر؛ عليكم بالكلب فقصدوا نحوه، فزلّت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده، فقال أبو بكر: اضربوا به الحجر، فضرب بسيفه الحجر حتى انكسر، وخرج عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية، فلقيه ثابت بن قيس شمّاس، فقال: ما شأنك يا أبا الحسن؟ فقال: أرادوا أن يحرقوا علَيَّ بيتي وأبو بكر على المنبر يبايع له، ولا يدفع عن ذلك، ولا ينكره، فقال له ثابت: ولا تفارق كفي يدك حتى أقتل دونك، فانطلقا جميعاً حتى عادا إلى المدينة، وإذ فاطمة عليها السلام واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا وصنعتم ما صنعتم ولم تروا لنا حقاً[2].

وروى المفيد أيضاً عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه، عن جده قال: ما أتى على عليّ عليه السلام يومٌ قط أعظم من يومين أتياه، فأمّا أوّل يوم، فاليوم الذي قُبض فيه رسول الله، وأمّا اليوم الثاني فوالله إني لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر والناس يبايعونه إذ قال له عمر: يا هذا لم تصنع شيئاً ما لم يبايعك عليّ فابعث إليه حتى يأتيك فيبايعك، قال: فبعث قنفذاً، فقال له: أجب خليفة رسول الله، قال عليٌّ عليه السلام: لأسرع ما كذبتم على رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلّف رسول الله أحداً غيري، فرجع قنفذ وأخبر أبا بكر بمقالة عليّ عليه السلام، فقال أبو بكر: انطلق

---

(١) الشافي للمرتضى ج٤/ ١٢٠ ط/ مؤسسة الصادق، طهران.

(٢) أمالي المفيد/ المجلس السادس ص٤٩ ح٩.

إليه فقل له: يدعوك أبو بكر ويقول: تعال حتى تبايع، فإنما أنت رجل من المسلمين، فقال عليٌّ عليه السلام: أمرني رسول الله أن لا أخرج بعده من بيتي حتى أؤلّف الكتاب، فإنه في جرائد النخل وأكتاف الإبل فأتاه قنفذ وأخبره بمقالة عليّ عليه السلام، فقال عمر: قم إلى الرجل، فقام أبو بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة، وقمت معهم، وظنت فاطمة عليها السلام أنه لا تدخل بيتها إلاّ بإذنها، فأجافت الباب وأغلقته، فلما انتهوا إلى الباب ضرب عمر الباب برجله فكسره ـ وكان من سعف ـ فدخلوا على عليّ عليه السلام وأخرجوه ملبّباً.

فخرجت فاطمة عليها السلام فقالت: يا أبا بكر وعمر تريدان أنْ ترملاني من زوجي، والله لئن لم تكفّا عنه لأنشرنّ شعري ولأشقنّ جيبي ولآتينّ قبر أبي ولأصيحنّ إلى ربي، فخرجت وأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام متوجهة إلى القبر، فقال عليٌّ عليه السلام لسلمان: يا سلمان أدرك ابنة محمّد فإني أرى جنبتي المدينة تكفئان[1]، فوالله لئن فعلت لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها، قال: فلحقها سلمان فقال: يا بنت محمّد إن الله تبارك وتعالى إنما بعث أباك رحمة فانصرفي، فقالت: يا سلمان ما عليّ صبرٌ فدعني حتى آتي قبر أبي، فأصيح إلى ربي[2]، قال سلمان: فإن عليّاً عليه السلام بعثني إليك وأمرك بالرجوع، فقالت: أسمع له وأطيع[3] فرجعت، وأخرجوا عليّاً ملبّباً قال: وأقبل الزبير مخترطاً سيفه وهو يقول: يا معشر بني عبد المطلب أيفعل بعليّ وأنتم أحياء وشدّ على عمر ليضربه بالسيف فرماه خالد بن الوليد بصخرة فأصاب قفاه، وسقط السيف من يده فأخذه

---

(١) كيف لا تكفئان والله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها؟!

(٢) أي والله ـ بنفسي هي وأبي وأمي ـ حق لها أن تصيح لشدة ما لاقت من الظلم ولا ناصر لها ولا معين!

(٣) لا يظنن أحدٌ أن سلمان أراد أن يعلّمها فأمرها بالرجوع إلى دارها، وإنما كان مأموراً من قبل أمير المؤمنين بأنْ يبلغ الصدّيقة الطاهرة، من هنا عندما قال لها سلمان إن الإمام عليه السلام بعثني إليك، قالت: سمعاً له وطاعة، دفعاً للتصور المذكور.

عمر وضربه على صخرة فانكسر ومرّ عليٌّ عليه السلام على قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: اي ابن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وأُتي بعليّ عليه السلام إلى السقيفة إلى مجلس أبي بكر، فقال له عمر: بايع، قال: فإن لم أفعل فمه؟ قال: إذاً والله نضرب عنقك، قال عليٌّ عليه السلام: إذاً والله أكون عبد الله وأخي رسول الله صلى الله عليه وآله المقتول، فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم، وأما أخا رسول الله فلا ـ حتى قالها ثلاثاً ـ وأقبل العبّاس فقال: يا أبا بكر ارفقوا بابن أخي، فلك عليّ أن يبايعك، فأخذ العبّاس بيد «الإمام» عليّ عليه السلام فمسحها على يدي أبي بكر، وخلّوا عليّاً مغضباً فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللّهم إنك تعلم أن النبيّ الأمي صلى الله عليه وآله قال لي: إن تمّوا عشرين فجاهدهم، وهو قولك في كتابك ﴿فإن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ اللّهم إنهم لم يتمّوا ـ حتى قالها ثلاثاً ـ ثم انصرف[1].

(٦) قال شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي (قُدّس سرّه) (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ):

«ومما أنكر عليه ـ أي أبي بكر ـ ضربهم لفاطمة عليها السلام، وقد روي: أنهم ضربوها بالسياط، والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة: أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمي السقط (مُحسناً)، والرواية بذلك مشهورة عندهم، وما أرادوا من إحراق البيت عليها، حين التجأ إليها قوم وامتنعوا عن بيعته..»[2].

وروى أعلى الله مقامه الشريف في موضع آخر عدة نصوص منها:

ما عن البلاذري والمدائني عن مسلمة بن محارب عن سليمان التيمي عن أبي عون: أن أبا بكر أرسل إلى علي عليه السلام يريده على البيعة، فلم يبايع ـ ومعه قبس ـ فتلقته فاطمة عليها السلام على الباب، فقالت: يابن الخطاب، أتراك محرقاً عليّ بابي؟ قال: نعم وذلك أقوى فيما جاء به أبوك، وجاء عليٌّ فبايع[3].

---

(١) الاختصاص/ الشيخ المفيد ص١٨٥ حديث سقيفة بني ساعدة.

(٢) تلخيص الشافي ج٣/ ١٥٦ ط/ دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة، قم.

(٣) تلخيص الشافي ج٣/ ٧٦، والمراد بالبيعة: أي الالتزام بمصافحة أبي بكر، وإلاّ فإن البيعة لا تتم=

ـ ومنها ما رواه ابراهيم بن سعيد الثقفي قال: حدثني أحمد بن عمرو البجلي قال: حدثنا أحمد بن حبيب العامري عن حمران بن أعين عن أبي عبد الله جعفر بن محمد قال: والله ما بايع عليّ حتى رأى الدخان قد دخل بيته[1].

٧ ـ وروى الشيخ الطبرسي (المتوفى عام ٦٢٠هـ):

«فقال ـ أي عمر ـ إن أذن لكم ـ (أي أمير المؤمنين عليه السلام)ـ وإلاّ فادخلوا عليه بغير إذنه، فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: أحرّج عليكم أن تدخلوا بيتي بغير إذن، فرجعوا وثبت قنفذ، فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا فحرّجتنا أن ندخل البيت بغير إذن منها، فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء، ثم أمر أناساً حوله فحملوا حطباً وحمل معهم فجعلوه حول منزله وفيه عليٌّ وفاطمة وابناهما عليهم السلام، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً عليه السلام: والله لتخرجنّ ولتبايعنّ خليفة رسول الله أو لأضرمنّ عليك بيتك ناراً، ثم رجع فقعد [ظ: قنفذ] إلى أبي بكر وهو يخاف أن يخرج عليٌّ بسيفه لما قد عُرف من بأسه وشدته، ثم قال لقنفذ: إن خرج وإلاّ فاقتحم عليه، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً.

فانطلق قنفذ فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وبادر عليٌّ إلى سيفه ليأخذه فسبقوه إليه، فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه فضبطوه وألقوا في عنقه حبلاً أسود، وحالت فاطمة عليها السلام بين زوجها وبينهم عند باب البيت فضربها قنفذ بالسوط على عضدها، فبقي أثره في عضدها من ذلك مثل الدملوج[2] من ضرب قنفذ إياها، فأرسل أبو بكر إلى قنفذ: اضربها فألجأها إلى عضادة باب بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها وألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة صلوات الله عليها.

= إلا عن اختيار ورضا، وهما غير حاصلين عند أمير المؤمنين عليه السلام، لأن الخلافة نص وليست ترشيحاً.

(١) تلخيص الشافي ج٣/ ٧٦.

(٢) الدملوج: حلي يلبس في المعصم.

ثم انطلقوا بعليّ عليه السلام ملبباً بحبل حتى انتهوا به إلى أبي بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم والمغيرة بن شعبة وأسيد بن حصين وبشير بن سعد وسائر الناس قعود حول أبي بكر عليهم السلاح، وهو يقول أما والله لو وقع سيفي بيدي لعلمتم أنكم لن تصلوا إليّ، هذا جزاء مني وبالله لا ألوم نفسي في جهد ولو كنت في أربعين رجلاً لفرقت جماعتكم، فلعن الله قوماً بايعوني ثم خذلوني، فانتهره عمر فقال: بايع، فقال: وإن لم أفعل؟ قال: إذاً نقتلك ذلاً وصغاراً. .»[1].

٨ ـ وروى الشيخ محمد باقر المجلسي أعلى الله مقامه الشريف (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ) أخباراً كثيرة نقلاً عن المصادر المعتبرة كأمالي الشيخ والشافي والتلخيص والاحتجاج وتفسير العياشي والاختصاص وبصائر الدرجات.

فقد روي عن العياشي عمّن روى عنه قال:

«. . فلما قُبض نبيُّ الله صلى الله عليه وآله كان الذي كان، لما قد قضي من الاختلاف، وعمد عمر فبايع أبا بكر، ولم يدفن رسول الله بعدُ، فلمّا رأى ذلك عليٌّ عليه السلام ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر، خشي أن يفتتن الناس ففرغ إلى كتاب الله وأخذ يجمعه في مصحف، فأرسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع، فقال عليٌّ عليه السلام: لا أخرج حتّى أجمع القرآن، فأرسل إليه مرة أخرى فقال: لا أخرج حتى أفرغ، فأرسل إليه الثالثة عمر رجلاً يقال له قنفذ، فقامت بنت رسول الله صلوات الله عليها تحول بينه وبين عليّ عليه السلام فضربها، فانطلق قنفذ، وليس معه عليّ، فخشي أن يجمع عليٌّ الناس، فأمر بحطب فجعل حوالي بيته ثم انطلق عمر بنار فأراد أن يحرق على عليّ بيته وعلى فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما رأى عليه السلام ذلك خرج فبايع كارهاً غير طائع[2].

---

(١) الاحتجاج ج١/١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) بحار الأنوار ج٢٨/٢٣١ ح١٦.

وفي رواية المفضل بن عمر قال: قال عمر: اخرج يا عليُّ إلى ما أجمع عليه المسلمون وإلاّ قتلناك، وقول فضة جارية فاطمة: إن أمير المؤمنين عليه السلام مشغول والحقُّ له إن أنصفتم من أنفسكم وأنصفتموه، وجمعهم الجزل والحطب على الباب لإحراق بيت أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة، وإضرامهم النار على الباب، وخروج فاطمة إليهم وخطابها لهم من وراء الباب[1].

٩ ـ وروي عن العلاّمة الحسن بن يوسف المطهر الحلي قدس سره (٦٤٨ ـ ٧٣٦هـ) قال: أتى عمر بن الخطّاب منزل عليّ عليه السلام فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ للبيعة[2].

ثم روى[3] الحلي أعلى الله مقامه الشريف عدة أخبار عن الطبري والواقدي وابن خيزرانة وابن عبد ربه.

وبالجملة: إن هجوم عمر على دار سيّدة الطهر مولاتنا فاطمة عليها السلام وعزمه على إحراقها بمن فيها لا مجال لنكرانه، فقد رواه عامة المؤرخين من العامة ـ حسبما تقدم في بحثنا هذا ـ ومما يدل أيضاً على ذلك: اعتراف الخصم بذلك، فذاك القاضي عبد الجبّار شيخ المعتزلة يردّ على الشيعة معترضاً عليهم بقوله: «إن حديث الإحراق ما صح، ولو صح لم يكن طعناً لأن له ـ أي لعمر ـ أن يهدّد من امتنع من المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين»[4].

وردّ عليه السيّد المرتضى عليه الرحمة في الشافي:

---

(١) بحار الأنوار ج٥٣/ ١٨.

(٢) نفس المصدر ج٢٨/ ٣٣٨ ح٥٩ ونهج الحق وكشف الصدق للعلامة الحلي ص٢٧٠ ط/ مؤسسة دار الهجرة، قم.

(٣) كشف الصدق ص٢٧١.

(٤) الشافي ج٤/ ١١٩.

أولاً: بأن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة ممن لا يتّهم على القوم، وأن دفع الروايات من غير حجة لا يجدي شيئاً، فروى البلاذريُّ وحاله في الثقة عند العامة والبعد عن مقاربة الشيعة، والضبط لما يرويه معروفة، عن المدائني عن سلمة بن محارب عن سليمان التيمي عن ابن عون: أن أبا بكر أرسل إلى عليّ عليه السلام يريده على البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس فلقيته فاطمة عليها السلام على الباب، فقالت: يابن الخطاب أتراك محرقاً عليّ داري؟ قال: نعم وذلك أقوى فيما جاء به أبوك..

وهذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة، وإنما الطريف أن يرويه شيوخ محدّثي العامة.

وروى إبراهيم بن سعيد الثقفي بإسناده عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: والله ما بايع عليٌّ عليه السلام حتى رأى الدخان قد دخل بيته.

ثانياً: بأن من اعتذر به من حديث الإحراق إذا صحّ، طريف وأيُّ عذر لمن أراد أن يحرق على أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام منزلهما، وهل يكون في ذلك علّة تصغى إليه، وإنما يكون مخالفاً للمسلمين، وخارقاً لإجماعهم، إذا كان الإجماع قد تقرّر وثبت، وإنما يصحّ لهم الإجماع متى كان أمير المؤمنين ومن قعد معه عن البيعة ممن انحاز إلى بيت فاطمة عليها السلام داخلاً فيه وغير خارج عنه، وأيُّ إجماع يصح من خلاف أمير المؤمنين عليه السلام وحده فضلاً عن أن يتابعه غيره، وهذه زلته من صاحب الكتاب ـ أي كتاب المغني ـ وممن حكى احتجاجه[1].

ثالثاً: إن التهديد بإحراق الدار من أجل البيعة غير جائز عقلاً ونقلاً:

أمّا عقلاً: فلأن المبايعة قهراً توجب كبت الحريات وقمع الأفكار، وتقديم المفضول على الأفضل وهو قبيح. وأمّا شرعاً: فلأن أبا بكر ليس منصوصاً عليه،

---

(١) الشافي ج٤/ ١١٩ ـ ١٢٠ وبحار الأنوار ج٢٨/ ٣١١.

فكيف تؤخذ له البيعة، وهو نفسه قد بايع أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام يوم عدير خم، هذا مضافاً إلى أن إكراه الناس لا سيّما سيّدهم وأميرهم عليّ المرتضى وزوجه المطهّرة فاطمة عليهما السلام اللذين يدور الحق معهما حيثما دارا يوجب الكفر والارتداد، عدا عن أنه لا يحق إكراه الناس على قبول الدين حتى اليهود والنصارى وعبدة الأوثان ﴿لا إكراه في الدين﴾ فكيف إذا كانت البيعة لغير الدين، وهل يأمر الدينُ الشيخين أبا بكر وعمر أن يجبرا الناس على مبايعتهما في حين أن الله لم يُكره الناس على الدين، وإذا كان كذلك فلِمَ لم يجبرا اليهود والنصارى على غير البيعة، وهل أن الله سبحانه فوّض أمر دينه للشيخين؟ وهل البيعة أهم من الدعوة إلى نبذ الوثنية، وإذا كان كذلك فما بال الشيخين لم يشاركا في معركة أيام الدعوة إلى الإسلام ومحاربة الوثنية وعبادة الأصنام؟!!

فإن قيل: إن البيعة لأجل إقامة الدين.

قلنا: إن البيعة التي تمت في عهد أبي بكر لم يأمر الله تعالى بها حتى يُدّعى أنها لإقامة الدين، بل هي بهذا الوصف لإبليس اللعين، مع أن الله تعالى قد أمر يوم غدير خم بالبيعة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، فإقامة بيعة أخرى بالقهر والاضطهاد بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وعلى فرض أن بيعة أبي بكر كانت للدين ـ وحاشا أن تكون كذلك ـ فهل كان قهر أمير المؤمنين ومن أحبَّ الله ورسوله، وأحبه الله ورسوله من إقامة الدين؟ وكذا قهر زوجه الزهراء التي كان رسول الله يقبّل يدها ويقوم من مجلسه لها ويغضبه ما يغضبها ويرضيه ما يرضيها؟!

فإذا كانت البيعة للدين، فأهل البيت عليهم السلام الذين أراد قهرهم أبو بكر على البيعة هم أساس الدين، وفي بيتهم نزل الكتاب المبين وطهّرهم في محكم التنزيل، فكيف يسوغ لعمر بن الخطاب أن يهدّدهم بالإحراق وبيوتهم مهبط الوحي والتنزيل؟!

تباً ليد حملت قبس نار لتحرق بيوت الله تعالى، وتعساً لسواعد أرادت طمس معالم الحق، وهي تدّعي أنّها على سنّة نبيّه وهديه!

النقطة الثانية:

الدخول إلى الدار.

وهو متفق عليه بين جميع المؤرخين من الطرفين، وأظن أنّ الشاكّ فيه يكون شاكاً في المسلّمات التاريخية!..

(١) قال ابن قتيبة الدينوري:

«... وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له: بايع..»[١].

والإخراج ملازم لدخول الدار بلا إشكالٍ.

(٢) وقال الطبري:

«أن عمر أتى منزل عليّ عليه السلام وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف..».

وقال في موضع ثانٍ:

«فانطلق إليهم عمر فجاء بهما تعباً وقال: لتبايعان وأنتما طائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان..»[٢].

ومعلوم أنّ انطلاقة عمر إنما كانت إلى منزل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لا لمكان آخر سواه.

---

(١) تاريخ الخلفاء ج١/ ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ج٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(٣) قال ابن الأثير:

«.. إن جماعة من الأنصار قالوا: لا نبايع إلاّ عليّاً وقد تخلّف عليٌّ عليه السلام وبنو هاشم والزبير وطلحة عن البيعة، وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يبايع عليٌّ، فقال عمر: خذوا سيفه واضربوا به الحجر، ثم أتاهم عمر فأخذهم للبيعة..»[١].

(٤) روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز عن أبي زيد عمر بن شبّة، عن إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب عليٌّ والزبير، فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، فيهم أسيد بن حضير، وسلمة بن سلامة بن قريش، وهما من بني عبد الأشهل، فاقتحما الدار، فصاحت فاطمة وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتى كسروهما، فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا، ثم قام أبو بكر فخطب الناس، فاعتذر إليهم وقال: إن بيعتي كانت فتلة وقى الله شرها، وخشيت الفتنة»[٢].

وروى مثله عن الشعبي وقد تقدم مصدره.

(٥) قال اليعقوبي:

«وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام في منزل فاطمة بنت رسول الله فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار وخرج الإمام عليّ عليه السلام.. فخرجت فاطمة عليها السلام وقالت: والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجنّ إلى الله، فخرجوا وخرج من كان في الدار»[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ ج٢/ ٣٢٥.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦/ ٢٠٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢/ ١٢٦.

ملاحظة:

ليس المقصود من كشف شعرها روحي فداها أنها أرادت أن تكشفه أمام الرجال المقتحمين دارها ـ حسبما سمعتُه من بعض المشكّكين ـ حاشاها ـ بأبي وأمي ـ كيف! وهي الكاملة الطاهرة المطهّرة، تتنزه عن هذا الفعل أبسط النساء المتدينات، فكيف بسيّدة نساء العالمين!

(٦) اعتراف أبي بكر بكشفه دار الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام، حيث ندم وهو على فراش الموت على فعلته الشنعاء فقال:

«إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث أني تركتهنّ... إلى أن قال: فوددت أني لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد غلّقوه على الحرب»[1].

إن مقاله الأخير «وإن كانوا قد غلّقوه..» يكشف عن سوء عقيرته، وأنه ينفث عن حقد على آل بيت النبوة، إنّ أبا بكر يقلب الحقائق بذيل كلامه، إذ لو غلّق أمير المؤمنين عليه السلام بيته على حرب لما كان أمكنهم الدخول إلى داره، وهم يعلمون شدة بطشه وقوة جنانه، ومن ذا يقدر على مواجهة مولى الثّقلين عليّ المرتضى عليه السلام إلاّ إذا كان متهوراً ويحب الانتحار، لكنّ القوم لمّا عرفوا أنه موصى تجرأوا على ذلك الطود الشامخ، هيكل القداسة والعظمة أمير المؤمنين عليّ روحي فداه، لذا قادوه كما يقاد الجمل المخشوش، من هنا كان سوقه إلى أبي بكر سوقاً عنيفاً امتحاناً لهذه الأمة المتخاذلة التي وقفت تنظر إلى المظلومية بعين الرضا والطمع والتملق إلى خليفتهم أبي بكر (إن الطيور على أشكالها تقع)، ولا أحد يحرّك ساكناً ليرفع الضيم عن ذاك الطود العظيم الذي طالما أعزّ به الإسلام والمسلمين، وطالما أعطى كل ما لديه لنصرة الدين، لكنه كوفيء بالقهر

---

(١) تاريخ الطبري ج٢/ ٦١٩ والأموال لأبي عبيد ص١٣١ والإمامة والسياسة ج١/ ٣٦ والمسعودي في مروج الذهب ج١/ ٤١٤ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج٢/ ٢٥٤.

والاعتداء، وصدق عدي بن حاتم حينما قال:

«والله ما رحمت أحداً قط رحمتي على عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين أُتي به ملبّباً بثوبه، يقودونه إلى أبي بكر..»[1].

وقد روى قصة الاقتحام إلى دار الصدّيقة فاطمة عليها السلام عامة مؤرخي الإمامية، بل إننا ندّعي الإجماع على ذلك، وما تقدّم في النقطة الأولى يجري هنا في هذه النقطة بالذات، ونؤكد أن:

١ ـ الشيخ الجليل سليم بن قيس «أعلى الله مقامه الشريف» قال:

«قال عمر للصدّيقة الطاهرة: افتحي الباب وإلاّ أحرقنا عليكم بيتكم، فقالت: يا عمر أما تتقي الله، تدخل عليّ بيتي؟

فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه! يا رسول الله، فرفع السوط فضرب به ذراعها..»[2].

٢ ـ الشيخ الجليل أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي قال:

«قالت ـ أي مولاتنا المعظمة فاطمة عليها السلام ـ أنفذوا إلى دارنا قنفذاً ومعه خالد بن الوليد ليخرجا ابن عمي إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة.. فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت فأخذت بعضادتي الباب وقلت: ناشدتكم الله وبأبي رسول الله أن تكفّوا عنا وتنصرفوا، فأخذ عمر السوط من قنفذ مولى أبي بكر فضرب به عضدي فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فردّه عليّ..»[3].

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى ج٢/ ٥٤٤ أحمد الرحماني الهمداني، ط/ مؤسسة النعمان، وتلخيص الشافي ج٣/ ٧٩ وأعلام النساء ج٣/ ١٢٠٦ وشرح النهج ج٢/ ٨ و١٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس ص٧٥ و٢٣١.

(٣) الهداية الكبرى ص١٧٩ وص٤٠٧.

٣ ـ الشيخ المؤرخ المسعودي الهذلي قال:

«فوجهوا إلى منزله فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً..»[١].

٤ ـ الشيخ أبي محمّد الحسن بن محمّد الديلمي قال:

«قال رسول الله ﷺ: وأما ابنتي فاطمة فإنها سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وهي بضعة مني ونور عيني وثمرة فؤادي.. وإني لما رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي كأني بها، وقد دخل الذل بيتها وغصب حقها وكسر جنبها وأسقطت جنينها..»[٢].

٥ ـ الشيخ المفيد قال:

«.. فأجافت الباب وأغلقته، فلمّا انتهوا إلى الباب، ضرب عمر الباب برجله فكسره ـ وكان من سعف ـ فدخلوا على عليّ عليه السلام وأخرجوه ملبّباً»[٣].

وقال في موضع آخر:

«.. وإذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها، وقد خلت دارها من أحد من القوم وهي تقول: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم..»[٤].

٦ ـ الشيخ أبي منصور الطبرسي قال:

«.. فانطلق قنفذ فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وبادر عليٌّ إلى سيفه ليأخذه فسبقوه إليه..»[٥].

---

(١) إثبات الوصية ص١٥٥.

(٢) إرشاد القلوب ج٢/ ٢٦٣ نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق ص١٠٠ المجلس ٢٤ ح٢ ط/ قم.

(٣) الاختصاص ص١٨٦.

(٤) أمالي الشيخ المفيد ص٥٠ المجلس السادس.

(٥) الاحتجاج ج١/ ١٠٩.

وهكذا رواه عامة المؤرخين[1] من الصدر الأول إلى يومنا هذا.

النقطة الثالثة:

ضرب الصديقة الزكية فاطمة وتكسير أضلاعها وإسقاط جنينها.

وهذه النقطة بعناصرها الثلاثة متفرّعة على دخول الدار، لوجود قرائن وشواهد تثبت ذلك، وحيث وكما عرفت - أخي القارىء - أن دخولهم إلى الدار ثابت عند الفريقين فلا مجال للتشكيك بالقضية إرضاءاً للعامة.

أما الضرب: فقد رواها من العامة ثلة منهم أمثال:

(١) ما رواه ابن سعد، عن يزيد بن هارون، عن ابراهيم بن سعد، عن محمّد بن إسحاق عن عليّ بن أبي رافع، عن أبيه، عن سلمى، قالت: مرضت فاطمة عليها السلام . . ثم قالت: يا أمّه، إني مقبوضة الساعة، وقد اغتسلت، فلا يكشفن أحد لي كتفاً. قالت: فماتت، فجاء عليّ عليه السلام فأخبرته، فقال: لا والله، لا يكشف لها أحد كتفاً إلخ . .»[2].

وروى المجلسي عليه الرحمة نفس الحديث مرفوعاً إلى سلمى أم أبي رافع قالت: كنت عند فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله في شكواها التي ماتت فيها، قالت: فلما كان في بعض الأيام وهي أخفُّ ما نراها، فغدا عليٌّ بن أبي طالب في حاجته وهو يرى يومئذٍ أنها أمثل ما كانت، فقالت: يا أمّه اسكبي لي غسلاً، ففعلت، فاغتسلت كأشد ما رأيتها، ثم قالت لي: إني قد فرغت من نفسي فلا أُكشفن أني مقبوضة الآن ثم توسدت يدها اليمنى واستقبلت القبلة فقبضت.

فجاء عليٌّ عليه السلام ونحن نصيح فسأل عنها فأخبرته فقال: إذاً والله لا تكشف

---

(١) الشافي ج٤/ ١٢٠، تلخيص الشافي ج٣/ ٧٩، تفسيرالعياشي ج٢/ ٧٠ والبحار ج٥٣/ ١٩ وج٢٨/ الباب الرابع. فاطمة بهجة قلب المصطفى ج٢/ فصل ٣١، ومأساة الزهراء.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨/ ٢٧ ط/ صادر وص١٨ ط/ ليدن وسير أعلام النبلاء ج٢/ ١٢٩.

فاحتملت في ثيابها فغيّبت[1].

(٢) ما اعترضه القاضي عبد الجبار أحد أكابر المعتزلة في كتابه «المغني»، واعتراضه على الشيعة دليل على شهرة القضية وأنها من المسلّمات عندنا، قال:

«ومن جملة ما ذكروه من الطعن (على أبي بكر وعمر) ادعاؤهم أن فاطمة عليها السلام لغضبها على أبي بكر وعمر وصّت أن لا يصلّيا عليها، وأن تدفن سراً عنهما، فدفنت ليلاً، وادّعوا برواية عن جعفر بن محمّد عليه السلام وغيره أن عمر ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط وضرب الزبير بالسيف، وذكروا أن عمر قصد منزلها، وعليٌّ والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلّف عن بيعة أبي بكر مجتمعون هناك»[2].

(٣) ابن أبي الحديد المعتزلي يستنكر على الشيعة أموراً مستهجنة منها:

أن عمر ضرب الزهراء عليها السلام بالسوط فصار في عضدها كالدملج، وبقي أثره إلى أن ماتت وأن عمراً ضغطها بين الباب والجدار فصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله وألقت جنيناً ميتاً..»[3].

(٤) الدينوري في المعارف ـ حسبما نقل عنه ابن شهر آشوب ـ قال:

«أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي» وقد لعبت يد الدّس والتحريف في الكتاب، فأثبتوا فيه غير ذلك[4].

(٥) النقيب أبو جعفر العلوي البصري قال:

«.. إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبّار الأسود لأنه روّع زينب بنت محمّد فألقت ذات بطنها، فظهر الحال أنه لو كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت

(١) بحار الأنوار ج٤٣/ ١٨٧.
(٢) الشافي ج٤/ ١١٠ نقلاً عن المغني.
(٣) شرح النهج ج٢/ ٦٠ تحقيق أبو الفضل ابراهيم، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/ الميرزا حبيب الله ج٣/ ٣٧٢ ط/ الوفاء.
(٤) المناقب ج٣/ ٣٥٨.

ذا بطنها»[1].

(٦) إبراهيم بن سيّار بن هانيء النظّام قال:

«إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»[2].

ونقل الاسفرائيني معترضاً على النظّام لأنه:

«طعن على الفاروق عمر وزعم أنه شك يوم الحديبية في دينه، وشك في وفاة النبيّ وأنه كان ممن نفر بالنبيّ ليلة العقبى وأنه ضرب فاطمة»[3].

(٧) وقال العسقلاني:

«أن محمّد بن أحمد بن حمّاد الكوفي الحافظ بعد أن أرّخ موته قال: كان مستقيم الأمر عامة دهره ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته يقرأ عليه: أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن»[4].

(٨) روى الجويني في خبر طويل:

«كأني لها ـ والناظر هو النبيّ ﷺ ـ وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصب حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها»[5].

وقد أثبتتْ هذه النصوصُ إسقاطَ الجنين أيضاً.

(٩) ونقل الذهبي في ترجمة أحمد بن محمد بن السري، عن محمد بن أحمد بن حمّاد الكوفي أنه أرّخ موت السري وقال: كان مستقيم الأمر عامة دهره

---

(١) شرح النهج ج١٤/ ١٩٢.
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج١/ ٥٧.
(٣) الفَرق بين الفِرق ص١٠٧.
(٤) لسان الميزان ج١/ ٢٩٣.
(٥) فرائد السمطين ج٢/ ٣٦.

ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: أن عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن[1].

وأمّا النصوص من كتب الشيعة فكثيرة، وفيما يلي زيادة على ما تقدّم:

١ ـ ما رواه الشيخ الصدوق، حيث ذكر المسألة بعناصرها الثلاثة: الضرب والكسر والإسقاط[2].

٢ ـ ما رواه الشيخ المجلسي، حيث تعرّض لذكر القضية بالعناصر الثلاثة، تعقيباً على ما ورد في صحيحة محمّد بن يحيى عن أبي الحسن عليه السلام: أن فاطمة صدّيقة شهيدة[3]، فقال: «إن هذا الخبر يدل على أن فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة وهو من المتواترات، وكان سبب ذلك أنهم لما غصبوا الخلافة وبايعهم أكثر الناس، بعثوا إلى أمير المؤمنين ليحضر للبيعة، فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم وأرادوا الدخول عليه قهراً، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنفذ غلام عمر الباب على بطن فاطمة فكسر جنبيها، وأسقطت لذلك جنيناً كان سمّاه رسول الله محسناً، فمرضت لذلك وتوفيت صلوات الله عليها في ذلك المرض[4].

ملاحظة هامة:

أشار هذا الخبر إلى أن جَنْبَيّ الصديقة الطاهرة قد تكسرا، مما يعني أن أضلاعاً قد تكسّرت ويشهد له ما ورد بالمستفيض: «وكسر جنبها»[5]، وما ورد في خبر أن ضلعها قد كسر، إشارة إلى ضلع الصدر، فلا منافاة بين كسر الضلع وبين

---

(١) ميزان الاعتدال ج١/ ١٣٩ في ترجمة أحمد بن محمّد السري، وقد عبّر عنه الذهبي: «بأنه رافضي كذّاب».

(٢) أمالي الصدوق ص٩٩.

(٣) أصول الكافي ج١/ ٤٥٨ ح٢ باب مولد الصدّيقة الزهراء ح٢.

(٤) مرآة العقول ج٥/ ٣١٨.

(٥) إرشاد القلوب ج٢/ ٢٦٣ وأمالي الصدوق ص١٠٠ وكتاب سليم ص٧٥ و٢٣١.

تكسير أضلاع الجنبين، فيكون هناك ثلاثة كسور: كُسْر في وسط صدرها من جراء مسمار الباب، وكُسْران على الأطراف.

(٣) وروى الخصيبي عليه الرحمة:

«وركل عمر برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بمحسن لستة أشهر، وإسقاطها وصرختها عند رجوع الباب، وهجوم عمر وقنفذ وخالد، وصفقة عمر على خدها حتى أبرى قرطها تحت خمارها فانتثر وهي تجهر بالبكاء وتقول: يا أبتاه يا رسول الله ابنتك فاطمة تضرب ويقتل جنين في بطنها وتصفق يا أبتاه، ويسقف [ويُصْفَق] خد لها لما كانت تصونه من ضيم الهوان يصل إليه من فوق الخمار..»[1].

وفي موضع آخر قال: فصاح أمير المؤمنين بفضة: إليك مولاتك فاقبلي منها ما يقبل النساء وقد جاءها المخاض من الرفسة وردة الباب فأسقطت محسناً عليه قتيلاً[2].

(٤) ما رواه الشيخ أبي عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي:

«فأبت أن تدفعه[3] إليه، فرفسها برجله وكانت حاملة بابن اسمه المحسن (محسن) فأسقطت محسناً من بطنها ثم لطمها، فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت، ثم أخذ الكتاب فخرقه، فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة مما ضربها عمر، ثم قبضت..»[4].

وما جاء في خبر إثبات الوصية للمسعودي: من أن القوم أحرقوا بابها وضغطوا سيّدة النساء الباب حتى أسقطت محسناً». وكذا خبر دلائل الإمامة[5]

---

(١) الهداية الكبرى ص٤٠٧.

(٢) الهداية الكبرى ص٤٠٨.

(٣) أي الكتاب الذي اعترف لها فيه أبو بكر أن فدكاً حقٌّ لها عليها السلام.

(٤) الاختصاص ص١٨٥.

(٥) دلائل الإمامة ص٤٦ وإثبات الوصية ص١٥٥.

الصحيح السند الدال على «أن عمر بن الخطاب لكزها بنعل سيفه فأسقطت محسناً» لدلالة كبرى على ثبوت الاعتداء على الصدّيقة الطاهرة، ويؤيد هذا ما ورد أيضاً:

١ ـ أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قال للمغيرة بن شعبة: وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله حتى أدميتها وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول الله: «أنت سيّدة نساء أهل الجنّة»، والله مصيرك إلى النار..»[1].

٢ ـ ما ورد عن المفضل قال: وضرب عمر لها بالسوط على عضدها، حتى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله، حتى أصاب بطنها وهي حاملة بمحسن لستة أشهر وإسقاطها إياه[2].

٣ ـ ما ذكره ابن طاووس بزيارة لها عليها السلام جاء فيها: «وصلِّ على البتول الطاهرة.. المغصوبة حقها، الممنوعة إرثها، المكسورة ضلعها، المظلوم بعلها، المقتول ولدها..»[3].

٤ ـ ما ذكره الشيخ محمّد باقر المجلسي نقلاً عن الشيخ الطوسي في زيارةٍ للصدّيقة الطاهرة جاء فيها:

«السلام عليكِ يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبيّ الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفيّ الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله ورسله وملائكته، السلام عليك يا بنت خير البريّة، السلام عليك يا سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولي الله وخير الخلق بعد رسول الله، السلام عليك يا أمّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، السلام

(١) بحار الأنوار ج٤٤/ ٨٣.
(٢) بحار الأنوار ج٥٣/ ١٩.
(٣) إقبال الأعمال ص٦٢٥.

عليك أيتها **الصدّيقة الشهيدة**، السلام عليك أيتها الرضيّة المرضيّة، السلام عليك أيتها الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الإنسيّة، السلام عليك أيتها التقية النقيّة، السلام عليك أيتها المحدَّثة العليمة، **السلام عليك أيتها المغصوبة المظلومة، السلام عليك أيتها المضطهدة المقهورة**، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته...»[1].

٥ ـ وورد في زيارة أخرى لها ذكرها الشيخ الكفعمي في البلد الأمين جاء فيها:

«السلام عليك يا رسول الله، السلام على ابنتك الصدّيقة الطّاهرة، السلام عليك يا فاطمة يا سيّدة نساء العالمين، **السلام عليك أيتها البتول الشهيدة، لعن الله مانعك إرثك ودافعك عن حقّك والرادّ عليك قولك**، لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم، صلى الله عليك وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمة الراشدين وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته»[2].

٦ ـ وأورد الشيخ المفيد زيارة لها عليها السلام جاء فيها:

«السلام عليك يا رسول الله، السلام على ابنتك الصدّيقة الطّاهرة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله، **السلام عليك أيتها البتول الشهيدة الطاهرة، لعن الله من ظلمك ومنعك حقك ودفعك عن إرثك، ولعن الله من كذّبك وأعنتك وغصّصك بريقك وأدخل الذلّ بيتك**، ولعن الله أشياعهم وألحقهم بدرك الجحيم، وصلى الله عليك يا بنت رسول الله وعلى أبيك وبعلك وولدك الأئمة الراشدين عليك وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته»[3].

٧ ـ وروى السيد ابن طاووس زيارة للصدّيقة الشهيدة تُزار بها في اليوم

---

(١) بحار الأنوار ج٩٧/ ١٩٥ ورواه الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام ج٦/ ١٢ ط/ دار الأضواء.

(٢) بحار الأنوار ج٩٧/ ١٩٧ نقلاً عن البلد الأمين.

(٣) كتاب المقنعة ص٤٥٩ ط/ دار المفيد، وكتاب المزار ص١٧٩ المطبوع مع تصحيح الاعتقاد.

العشرين من جمادى الآخرة وهي:

«السلام عليكِ يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت نبيّ الله، السلام عليك يا بنت حبيب الله، السلام عليك يا بنت خليل الله، السلام عليك يا بنت صفيّ الله، السلام عليك يا بنت أمين الله، السلام عليك يا بنت خير خلق الله، السلام عليك يا بنت أفضل أنبياء الله، السلام عليك يا بنت خير البريّة، السلام عليك يا سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، السلام عليك يا زوجة ولي الله وخير خلقه بعد رسول الله، السلام عليك يا أمّ الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، السلام عليك يا أمّ المؤمنين، **السلام عليك أيتها الصدّيقة الشهيدة**، السلام عليك أيتها الرضيّة المرضيّة، السلام عليك أيتها الصادقة الرشيدة، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها الحوراء الإنسيّة، السلام عليك أيتها التقية النقيّة، السلام عليك أيتها المحدَّثة العليمة، **السلام عليك أيتها المعصومة المظلومة**، السلام عليك أيتها الطاهرة المطهّرة، **السلام عليك أيتها المضطهدة المغصوبة**، السلام عليك أيتها الغرّاء الزهراء، السلام عليك يا فاطمة بنت محمّد رسول الله ورحمة الله وبركاته، صلّى الله عليك يا مولاتي وبنت مولاي وعلى روحك وبدنك، أشهد أنك مضيت على بيّنة من ربّك، وأنّ من سرَّك فقد سرَّ الله، ومن جفاك فقد جفا رسول الله، ومن آذاك فقد آذى رسول الله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله لأنك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه كما قال عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، أشهد الله وملائكته أنّي وليٌّ لمن والاك، وعدوّ لمن عاداك وحرب لمن حاربك. أنا يا مولاتي بك وبأبيك وبعلك والأئمة من ولدك موقن وبولايتهم مؤمن ولطاعتهم ملتزم، أشهد أنّ الدين دينهم، والحكم حكمهم، وهم قد بلّغوا عن الله عزّ وجلّ ودعوا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة لا تأخذهم في الله لومة لائم، صلوات الله عليك وعلى أبيك وبعلك وذريّتك الأئمة الطاهرين. اللهم صلّ على محمد وأهل بيته، وصلِّ على البتول الطاهرة الصدّيقة المعصومة التقيّة النقيّة الرضيّة المرضيّة الزكيّة الرشيدة

المظلومة المقهورة، المغصوبة حقّها، الممنوعة إرثها، المكسور ضلعها، المظلوم بعلها، المقتول ولدها فاطمة بنت رسول الله وبضعة لحمه وصميم قلبه وفلذة كبده والنخبة منك له والتحفة خصصت بها وصيّه وحبيبه المصطفى وقرينه المرتضى وسيّدة النساء ومبشّرة الأولياء حليفة الورع والزهد، وتفّاحة الفردوس والخلد، التي شرّفت مولدها بنساء الجنّة، وسللت منها أنوار الأئمة، وأرخيت دونها حجاب النبوّة، اللّهم صلّ عليها صلاة تزيد في محلها عندك وشرفها لديك ومنزلتها من رضاك وبلّغها منّا تحيّة وسلاماً وآتنا من لدنك في حبّها فضلاً وإحساناً ورحمة وغفراناً إنك ذو العفو الكريم».

قال السيّد ابن طاووس: ثم تصلي صلاة الزيارة وإنْ استطعت أن تصلّي صلاتها (صلى الله عليها) فافعل وهي ركعتان تقرأ في كل ركعة الحمد مرة وستين مرّة قل هو الله أحد، وإنْ لم تستطع فصلّ ركعتين بالحمد وسورة الإخلاص والحمد وقل يا أيها الكافرون، فإذا سلّمت قلت: اللّهم إني أتوجّه إليك بنبيّنا محمّد وبأهل بيته صلواتك عليهم وأسألك بحقّك العظيم عليهم الذي لا يعلم كنهه سواك، وأسألك بحقّ مَنْ حقّه عندك عظيم، وبأسمائك الحسنى التي أمرتني أنْ أدعوك بها، وأسألك باسمك الأعظم الذي أمرت به إبراهيم أنْ يدعو به الطير فأجابته، وباسمك العظيم الذي قلت للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم فكانت برداً، وبأحبّ الأسماء إليك وأشرفها وأعظمها لديك وأسرعها إجابة وأنجحها طلبة وبما أنت أهله ومستحقه ومستوجبه وأتوسّل إليك وأرغب إليك وأتضرّع وألحّ عليك، وأسألك بكتبك التي أنزلتها على أنبيائك ورسلك صلواتك عليهم من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم فإنّ فيها اسمك الأعظم وبما فيها من أسمائك العظمى أنْ تصلّي على محمّد وآل محمّد وأنْ تفرّج عن آل محمّد وشيعتهم ومحبّيهم وعني وتفتح أبواب السماء لدعائي وترفعه في علّيين وتأذن في هذا اليوم وفي هذه الساعة بفرجي وإعطاء أملي وسؤلي في الدنيا والآخرة، يا من لا يعلم أحد كيف هو وقدرته إلاّ هو، يا من سدّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض

على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، يا من سمّى نفسه بالاسم الذي يقضى به حاجة من يدعوه، أسألك بحقّ ذلك الاسم فلا شفيع أقوى لي منه أنْ تصلّي على محمّد وآل محمّد وأنْ تقضي لي حوائجي وتسمع بمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والحجّة المنتظر لإذنك صلواتك وسلامك ورحمتك وبركاتك عليهم صوتي ليشفعوا لي إليك وتشفّعهم فيّ ولا تردّني خائباً بحق لا إله إلاّ أنت.

وتسأل حوائجك تُقضى إنْ شاء الله تعالى[1].

٨ ـ وورد في زيارتها عليها السلام أيام الأسبوع ومما جاء فيها:

«السلام والصلاة على السيّدة فاطمة الزهراء الرشيدة، السلام على سيّدة نساء العالمين، وبنت سيّد النبيّين، وأمّ الأئمة الطاهرين، فاطمة بنت محمّد الأكرم، وشقيقة البتول مريم، أطهر النساء، وبنت خير الأنبياء، السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته.

اللهم صلّ على السيّدة المفقودة، الكريمة المحمودة، الشهيدة العالية الرشيدة أمّ الأئمة، وسيّدة نساء الأمة، بنت نبيّك، صاحبة وليّك، سيّدة النساء ووارثة سيّد الأنبياء، وقرينة سيّد الأوصياء، المعصومة من كل سوء، صلاة طيبة مباركة، مرفوعة مذكورة ترفع بها ذكرها في محل الأبرار الأخيار، في أشرف شرف النبيين في أعلا عليّين، في الدرجات العلى، في الرفيع الأعلى.

اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، وأعلِ كعبها وأكرم مآبها، وأجزل ثوابها وادن منك مجلسها، وشرّف لديك مكانها ومثواها، وانتقم لها من عدوها، وضاعف العذاب على من ظلمها، والنقمة على من غصبها، وخذ لها يا ربّ

---

(١) إقبال الأعمال ص١٠٠ ـ ١٠٢ وبحار الأنوار ج٩٧/١٩٩ ـ ٢٠٠ وذكرناها بتمامها ليزورها بها المحبون من شيعتها.

بحقّها، إنك على كل شيء قدير، اللَّهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد، وأبلغها منّا التحيّة، واردد علينا منها التحيّة، والسلام عليها ورحمة الله وبركاته»[1].

٩ ـ وجاء في دعاء صنمي قريش الذي كان يدعو به أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كلّ صلاة: اللَّهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وافكيها وإبنتيهما اللذين أكلا أنعامك وجحدا آلائك وخالفا أمرك وأنكرا وحيّك وعصيا رسولك وقلّبا دينك وحرّفا كتابك وعطّلا أحكامك وأبطلا فرائضك وألحدا في آياتك وعاديا أوليائك ووالیا أعدائك وأفسدا عبادك وأضرّا ببلادك، اللَّهم العنهما وأنصارهما فقد أخربا بيت النبوّة وردما بابه ونقضا سقفه وألحقا سمائه بأرضه وعاليه بسافله وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله وأبادا أنصاره وقتلا أطفاله وأخليا منبره من وصيه ووارث علمه وجحدا نبوته وأشركا بربّهما، فعظّم ذنبهما وخلّدهما في سقر وما أدراك ما سقر لا تُبقي ولا تذر، اللَّهم العنهم بعدد كلّ منكر أتوه وحق أخفوه ومنبرٍ علوه ومؤمن أردوه ومنافق ولوه وولیّ آذوه وطريد أووه وصاحب طردوه وكافر نصروه وإمام قهروه وفرض غيّروه وأثرٍ أنكروه وشر أضمروه ودم أراقوه وخبرٍ بدّلوه وحُكم قلّبوه وكفرٍ أبدعوه وكذبٍ دلسوه وإرث غصبوه وفيء اقتطعوه وسحتٍ أكلوه وخمسٍ استحلوه وباطل أسسوه وجور بسطوه وظلم نشروه ووعد أخلفوه وعهد نقضوه وحلال حرّموه وحرام حلّلوه ونفاق أسرّوه وغدر أضمروه وبطن فتقوه وضلع كسروه وصكٍ مزّقوه وشملٍ بدّدوه وذليل أعزوه وعزيز أذلوه وحق منعوه وإمام خالفوه، اللَّهم العنهما بكلّ آية حرفوها وفريضة تركوها وسنةٍ غيّروها وأحكام عطلوها وأرحام قطعوها وشهادات كتموها ووصية ضيعوها وأيمان نكثوها ودعوى أبطلوها وبيعة أنكروها وحيلة أحدثوها وخيانة أوردوها وعقبة ارتقوها ودبابٍ دحرجوها وأزياف لزموها، اللَّهم العنهما في مكنون السرّ وظاهر العلانية لعناً دائماً دائباً سرمداً لا انقطاع لأمده ولا نفاد لعدده لعناً يغدو أوله ولا يروح آخره لهم

---

(١) بحار الأنوار ج٩٩/ ٢٢٠.

ولأعوانهم وأنصارهم ومحبيهم ومواليهم والمسلّمين عليهم والمائلين إليهم والناهضين باحتجاجهم والمقتدين بكلامهم والمصدّقين بأحكامهم.

ثم قل أربع مرات: اللّهم عذّبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار آمين ربّ العالمين[١].

١٠ ـ وورد عن السيّد ابن طاووس في كتاب الطرف نقلاً عن كتاب الوصية للشيخ عيسى بن المستفاد الضرير عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: لمّا حضرت رسول الله الوفاة دعا الأنصار وقال: يا معشر الأنصار قد حان الفراق.. ثم أوصاهم بوصايا منها قال صلى الله عليه وآله: ألا ـ أيّها الأنصار ـ فاسمعوا ومن حضر، «أن فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله» قال عيسى: فبكى الإمام أبو الحسن عليه السلام طويلاً، وقطع بقية حديثه وأكثر البكاء، ثم قال: هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله يا أمّه صلوات الله عليها[٢].

١١ ـ قال الشيخ الصدوق عليه الرحمة في معنى قوله صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إن لك كنزاً في الجنة وأنت ذو قرنيها».

قال: قد سمعت بعض المشايخ يذكر أن هذا الكنز هو ولده محسن عليه السلام وهو السقط الذي ألقته فاطمة عليها السلام لما ضغطت بين البابين[٣].

وحصيلة الأخبار تفيد:

---

(١) الصحيفة العلوية/ عبد الله بن صالح السماهيجي رحمه الله ص٢٨٣ ـ ٢٨٦.

(٢) بحار الأنوار ج٢٢/ ٤٧٦ ح٢٧.

ملاحظة: ما قرأ هذا الحديث مؤمن إلا وستطفر الدمعة من عينه، كيف لا؟ وقد هتك حجاب الله بضرب الصدّيقة الطاهرة الزكية وتهشيم أضلاعها وصفعها على خدها الذي طالما قبّله رسول الله، وإنبات المسمار في صدرها الشريف الذي طالما وضع رسول الله خدّه عليه إلتماساً للبركة لكونه موضع المسمار، وإسقاط جنينها، وسبّها وشتمها الخ..

(٣) معاني الأخبار ص٢٠٦ ط/ مؤسسة النشر ـ قم.

١ ـ إحراق بابها عليها السلام.

٢ ـ اقتحام دارها.

٣ ـ ضربها على خدّها وعضدها وركلها على بطنها حتى أسقطت جنينها.

٤ ـ ضغطها بين الحائط والباب.

٥ ـ تكسير أضلاع جنبيها وضلع صدرها الشريف.

٦ ـ إخراج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ملبّباً بالحبل.

٧ ـ نفي الأخوة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله.

٨ ـ تكذيب الصدّيقة الطاهرة في ملكيتها لفدك.

٩ ـ تمزيق عمر للكتاب[1] الذي اعترف فيه أبو بكر أن فدكاً لها وتوهينها أمام جموع المسلمين، وفي رواية أنه مزّق الصحيفة التي شهد فيها أبوها رسول الله بأن فدكاً حق لها، ولا تعارض بين الروايتين، إذ لا تنافي بين المثبتات، وعليه: فإن عمر مزّق الكتابين معاً إذلالاً منه لمولاتنا فاطمة عليها السلام.

وها نحن ـ زيادة على ما قدّمنا ـ سنؤرخ ما أثبته المؤرخون القدامى عمّا جرى على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله الصدّيقة الشهيدة مولاتنا فاطمة الزهراء بنفسي هي وأبي وأمي، من خلال ثلاثة نصوص تاريخية صحيحة، أحدها عامي، والآخران مثبتان في أهم المصادر التاريخية عند الشيعة الإمامية.

وهذه النصوص هي:

١ ـ نص ابن قتيبة الدينوري أحد أكابر علماء العامة قال:

*** كيف كانت بيعة علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ***

«وأن أبا بكر تفقّد قوماً تخلّوا عن بيعته عند عليّ كرّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال:

---

(١) الشافي ج٤/ ٩٨.

والذي نفس عمر بيده، لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا إلاّ عليّاً فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي علي عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازةً بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تسأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً، فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليّاً، قال: فذهب إلى عليّ، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله، فقال عليّ: لسريع ما كذّبتم على رسول الله، فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدّى ما أمر به، فرفع عليٌّ صوته فقال: سبحان الله؟ لقد إدّعى ما ليس له، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة عليها السلام، فدقّوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال؛ إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسول الله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق عليٌّ بقبر رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يصيح ويبكي، وينادي: يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة عليها السلام، فإنا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما

قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد التحية (السلام) عليهما، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله! والله إن قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني متّ، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفكِ وأمنعكِ حقكِ وميراثكِ من رسول الله، إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يقول: «لا نورّث، ما تركنا فهو صدقة»، فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»؟ قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكونكما إليه، فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يا فاطمة، ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكياً فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي. قالوا: يا خليفة رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنه إن كان هذا لم يقم لله دين، فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة، بعدما سمعت ورأيت من فاطمة[1].

ـ وقال في موضع آخر تحت عنوان: إبانة عليّ كرّم الله وجهه بيعة أبي بكر.

«ثم إن علياً كرّم الله وجهه أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله، فقيل له: بايع أبا بكر، فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم

(١) الإمامة والسياسة المعروف بـ«تاريخ الخلفاء» ج١/ ٣١.

أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ صلى الله عليه [وآله] وسلّم، وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمّد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار نحن أولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا إنْ كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له عليّ: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً. ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه. فقال له أبو بكر: فإنْ لم تبايع فلا أكرهك، فقال أبو عبيدة بن الجرّاح لعليّ كرّم الله وجهه: يا بن عمّ إنك حديث السنّ وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشدّ احتمالاً واضطلاعاً به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك إنْ تعش ويطل بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال عليّ كرّم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أحقّ الناس به، لأنا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيّة، المدافع عنهم في الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسويّة، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحق بعداً. فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان. قال: وخرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليٌّ كرّم الله وجهه: أفكنت أدع

رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[1].

٢ ـ وروى الخصيبي، وهو أحد أكابر علماء الإمامية أنّ الصدّيقة الزهراء عليها السلام قالت: لا يصلّي عليَّ أمّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله وأمير المؤمنين بعلي وظلموني وأخذوا وراثتي وحرقوا صحيفتي التي كتبها أبي بملك فدك والعوالي وكذّبوا شهودي وهم والله جبريل وميكائيل وأمير المؤمنين وأم أيمن وطفتُ عليهم في بيوتهم وأمير المؤمنين يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم يذكرهم بالله ورسوله لئلا يظلمونا ويعطونا حقّنا الّذي جعله الله لنا فيجيبون ليلاً ويقعدون عن نصرتنا نهاراً ثم ينفذون إلى دارنا قنفذاً ومعه خالد بن الوليد ليخرجا ابن عمي إلى سقيفة بين ساعدة لبيعتهم الخاسرة ولا يخرج إليهم متشاغلاً بوصاة [بوصايا] رسول الله ﷺ وأزواجه وتأليف القرآن وقضاء ثمانين ألف درهم وصّاه بقضائها عنه عدات وديناً فجمعوا الحطب ببابنا وأتوا بالنار ليحرقوا البيت فأخذت بعضادتي الباي وقلت: ناشدتكم الله وبأبي رسول الله أنْ تكفّوا عنّا وتنصرفوا، فأخذ عمر السوط من قنفذ مولى أبي بكر، فضرب به عضدي فالتوى السوط على يدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله فرده عليَّ وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر، وصفق وجهي بيده حتى انتثر قرطي من أذني وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم فهذه أمّة تصلّي عليّ، وقد تبرّأ الله ورسوله منها وتبرّأت منها.

فعمل أمير المؤمنين بوصيتها، ولم يعلم بها أحداً وأصبح الناس في البقيع ليلة دفن فاطمة عليها السلام أربعون قبراً جدداً وأن المسلمين لمّا علموا وفاة فاطمة ودفنها أتوا أمير المؤمنين عليه السلام يعزّونه بها، فقالوا: يا أخا رسول الله أمرت بتجهيزها وحفر تربتها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد ووريت ولحقت بأبيها صلى

(١) الإمامة والسياسة ج١/ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠.

الله عليهما فقالوا: أنّا لله وإنّا إليه راجعون تموت بنت محمّد ولم يخلف ولداً غيرها ولا يصلّى عليها، إن هذا لشيء عظيم.

فقال عليه السلام: حسبكم ما جئتم به على الله ورسوله من أهل بيته ولم أكن والله أعصيها في وصيتها التي وصّت بها أنْ لا يصلّي عليها أحد منكم وما بعد العهد غدر.

فنفض القوم أثوابهم وقالوا: لا بدّ من الصلاة على بنت نبيّنا ومضوا من فورهم إلى البقيع فوجدوا فيه أربعين قبراً جدداً، فاستشكل عليهم قبرها بين تلك القبور، فضجّ الناس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم تحضروا وفاة بنت نبيّكم ولا الصلاة عليها ولا تعرفون قبرها فتزورونها.

فقال أبو بكر: أتوا نساء المسلمين من ينشر هذه القبور حتى تجدوا فاطمة فتصلّوا عليها ويُزار قبرها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فخرج من داره مغضباً وقد احمّرت عيناه ودارت أوداجه وعلى يده قباه الأصفر الذي لم يكن يلبسه إلاّ في كريهة، يتوكأ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد على البقيع، فسبق إلى الناس النذير فقال لهم: هذا عليٌّ قد أقبل كما ترون يقسم بالله لئن بحث من هذه القبور حجرٌ واحد لأضعنّ سيفي على غابر الأمة، فولى القوم ولم يحدثوا أحداثاً.

ـ وقال الخصيبي قدس سره في موضع آخر في بيان شكوى سيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ما ألمّ بها بعد وفاته، هذا وقد أسلفنا فيما مرّ جزءاً من الكلام الوارد هنا نعيد تسطيره دعماً للمطلب:

... وتقصّ عليه قصة أبي بكر وإنفاذ خالد بن الوليد وقنفذ وعمر جميعاً لإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من بيته إلى البيعة في سقيفة بني ساعدة واشتغال أمير المؤمنين وضمّ أزواج رسول الله وتعزيتهنّ وجمع القرآن وتأليفه وإنجاز عداته وهي ثمانون ألف درهم باع فيها تالده وطارفه وقضاها عنه وقول عمر له: اخرج يا عليّ إلى ما أجمع عليه المسلمون من البيعة لأمر أبي بكر فما لك أنْ تخرج عمّا اجتمعنا

عليه فإن لم تفعل قتلناك وقول فضة جارية فاطمة عليها السلام: إن أمير المؤمنين عنكم مشغول والحقّ له لو أنصفتموه واتقيتم الله ورسوله، وسبّ عمر لها وجمع الحطب الجزل على النار لإحراق أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب [ورقية][1] وأم كلثوم وفضّة وإضرامهم النار على الباب وخروج فاطمة عليها السلام وخطابها لهم من وراء الباب وقولها: ويحك يا عمر ما هذه الجرأة على الله ورسوله تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفىء نور الله والله متمٌّ نوره، وانتهاره لها وقوله: كفّي يا فاطمة فلو أن محمّداً حاضر والملائكة تأتيه بالأمر والنهي والوحي من الله وما عليٌّ إلاّ كأحد المسلمين فاختاري إنْ شئت خروجه إلى بيعة أبي بكر وإلاّ أحرقكم بالنار جميعاً، وقولها له: يا شقيّ عُديّ هذا رسول الله لم يبل له جبين في قبره ولا مسّ الثرى أكفانه، ثم قالت وهي باكية: اللّهم إليك نشكو فقد نبيّك ورسولك وصفيّك وارتداد أمّته ومنعهم إيّانا حقنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل على نبيك بلسانه، وانتهار عمر لها وخالد بن الوليد وقولهم: دعي عنك يا فاطمة حماقة النساء فكم يجمع الله لكم النبوّة والرسالة، وأخذ النار في خشب الباب، وأدخل قنفذ لعنه الله يده يروم فتح الباب، وضرب عمر بها بسوط أبي بكر على عضدها حتى صار كالدملج الأسود المحترق وأنينها من ذلك وبكاها، وركل عمر الباب برجله حتى أصاب بطنها وهي حاملة بمحسن لستة أشهر وإسقاطها وصرختها

---

(١) رقيّة هذه بنت أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من الصهباء أو أمّ حبيب التغلبية التي تزوّجها الأمير عليه السلام بعد شهادة الصدّيقة الطاهرة بسنين، فلم يرو أنه تزوّج في حياة مولاتنا الزهراء عليها السلام، ولا أن له بنتاً بإسم رقيّة منها، فما ورد في المتن من أنها كانت ضمن أولاده من الصدّيقة مخالف للأخبار عندنا، لذا لا يخلو إقحامها في المتن من أمور هي: إمّا أنّها رقيّة بنت خالتها وهو مردود لأنها توفّت قبل شهادة مولاتنا الصدّيقة الزهراء عليها السلام، وإمّا أنها واحدة من نساءِ المؤمنات كانت في ضيافة الصدّيقة يومذاك، وإمّا دسٌّ ليحرفوا النّص عن مساره، وهو الصحيح ويشهد لما قلنا أن النّص عندنا تعرّض لأولادها عليهم السلام لمّا حملهم أمير المؤمنين وأمهم عليهما السلام يدور بهم في سواد الليل إلى دور المهاجرين والأنصار ولم يذكر معهم رقيّة هذه، فتدبّر (من الشارح).

عند رجوع الباب، وهجوم عمر قنفذ وخالد، وصفقة عمر على خدّها حتى أبرى قرطها تحت خمارها فانتثر وهي تجهر بالبكاء تقول: يا أبتاه يا رسول الله ابنتك فاطمة تُضرب ويُقتل جنينٌ في بطنها وتُصفق يا أبتاه! ويسقف خدٌّ لها كنت تصونه من ضيم الهوان يصل إليه من فوق الخمار، وضربها بيدها على الخمار لتكشفه ورفعها ناصيتها إلى السماء تدعو إلى الله وخروج أمير المؤمنين من داخل البيت محمّر العينين داير الحدقتين حاسر حتى ألقى ملاءته عليها وضمّها لصدره وقال: يا ابنة رسول الله قد علمتي أن الله بعث أباكِ رحمةً للعالمين فالله الله أنْ تكشفي أو ترفعي ناصيتك فوالله يا فاطمة لئن فعلتِ ذلك لا يبقي الله على الأرض من يشهد أن محمّداً رسول الله ولا موسى ولا عيسى ولا إبراهيم ولا نوح ولا آدم ولا دابة تمشي علي وجه الأرض ولا طائر يطير في السماء إلاّ هلك، ثم قال لابن الخطاب: لك الويل كل الويل بالكيل من يومك هذا وما بعده وما يليه اخرج قبل أن أخرج سيفي ذا الفقار فأفني غابر الأمة، فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر وصاروا من خارج الدار، فصاح أمير المؤمنين بفضّة: إليكِ مولاتكِ فاقبلي منها ما يقبل النساء وقد جاءها المخاض من الرفسة وردّة الباب فسقطت محسناً عليه قتيلاً وعرّفت أمير المؤمنين إليه التسليم فقال لها: يا فضة لقد عرّفه رسول الله ﷺ وعرّفني وعرّف الحسن وعرّف الحسين اليوم بهذا الفعل ونحن في نور الأظلة أنوار عن يمين العرش فواريه بقعر البيت فإنه لاحقٌ بجدّه رسول الله ﷺ.

وتشكو حمل أمير المؤمنين لها في سواد الليل والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم إلى دور المهاجرين والأنصار يذكرهم بالله ورسوله وعهده الذي بايعوا الله ورسوله عليه في أربع مواطن في حياة رسول الله ﷺ وتسليمهم عليه بإمرة المؤمنين جميعهم فكلٌّ يعده النصرة ليومه المقبل فلما أصبح قد جمعهم عنده ثم يشكو إليه أمير المؤمنين المحن السبعة التي امتحن بها بعده ونقض المهاجرين والأنصار قولهم لمّا تنازعت قريش في الإمامة والخلافة قد منع لصاحب هذا الأمر حقّه فإذا منع فنحن أولى به من قريش الذين قتلوا رسول الله ﷺ وكبسوه في فراشه

حتى خرج منهم هارباً إلى الغار إلى المدينة فآويناه ونصرناه وهاجرنا إليه فقالت الأنصار حتى قال من الحزبين منّا أمير ومنكم أمير، فقام [فأقام] عمر أربعين شاهداً قسامة شهدوا على رسول الله زوراً وبهتاناً أنّ رسول الله ﷺ قال: الأئمة من قريش، فأطيعوهم ما أطاعوا الله فإنْ عصوا فالحوهم لحي هذا القضيب، ورمى القضيب من يده، فكانت أوّل قسامة زور شهدت في الإسلام على رسول الله ﷺ وإن رقبوا الأمر إلى أبي بكر وجاؤوا يدعوني إلى بيعته فامتنعت إذْ لا ناصر لي..»[1].

٣ ـ وروى ابان بن أبي عياش عن سليم بن قيس وكلاهما ثقتان جليلان من عيون أصحاب الأئمة عليهم السلام:

قال سليم رضي الله عنه تعالى: سمعت سلمان الفارسي قال: لمّا قُبض النبيّ ﷺ وصنع الناس ما صنعوا، جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح فخاصموا الأنصار، فخصموهم بحجة عليّ عليه السلام فقالوا: يا معشر الأنصار! قريش أحق بالأمر منكم، لأن رسول الله ﷺ من قريش، والمهاجرون خير منكم، لأن الله بدأ بهم في كتابه وفضّلهم، وقال رسول الله ﷺ: الأئمة من قريش، وقال سلمان: فأتيت علياً عليه السلام وهو يغسل رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله ﷺ أوصى علياً أن لا يلي غسله غيره، فقال: يا رسول الله! من يعينني على ذلك؟ فقال: جبرائيل. فكان عليّ عليه السلام لا يريد عضواً إلا قُلب له.

فلما غسّله وحنطه وكفنه، أدخلني فأدخل أبا ذر والمقداد وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتقدّم عليٌّ عليه السلام وصفّنا خلفه، وصلّى عليه وعائشة في الحجرة لا تعلم، قد أخذ الله ببصرها، ثم أُدخل عشرة من المهاجرين وعشرة من الأنصار، فكانوا يدخلون ويدعون ويخرجون، حتى لم يبق أحد شهد من المهاجرين والأنصار إلاّ صلّى عليه.

---

(١) الهداية الكبرى ص١٧٨ وص٤٠٦ ـ ٤٠٧.

قال سلمان الفارسي: فأخبرت علياً عليه السلام، وهو يغسل رسول الله صلى الله عليه وآله، بما صنع القوم وقلت: إن أبا بكر الساعة لعلى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، ما يرضون يبايعونه بيد واحدة، وإنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله! فقال عليٌّ عليه السلام: يا سلمان! وهل تدري من أول من بايعه على منبر رسول الله؟ قلت: لا، إلا أني رأيته في ظله بني ساعدة، حيث خصمت الأنصار. وكان أول من بايعه المغيرة بن شعبة، ثم بشير بن سعيد، ثم أبو عبيدة بن الجراح، ثم عمر بن الخطاب، ثم سالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل.

قال عليه السلام: لست أسألك عن هؤلاء، ولكن تدري من أول من بايعه حين صعد المنبر؟ قلت: لا، ولكن رأيت شيخاً كبيراً يتوكأ على عصاه، بين عينيه سجادة شديدة التشمير، صعد المنبر أول من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان، ابسط يدك، فبسط يده فبايعه ثم قال: يوم كيوم آدم! ثم أنزل فخرج من المسجد فقال عليٌّ عليه السلام: يا سلمان أتدري من؟ قلت: لا، ولقد ساءتني مقالته، كأنه شامت بموت رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال عليٌّ عليه السلام: فإن ذلك إبليس، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن إبليس ورؤساء أصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إياي يوم غدير خم بأمر الله، وأخبرهم بأني أولى بهم من أنفسهم، وأمرهم أن يبلّغ الشاهد الغائب، فأقبل إلى إبليس أبالسته ومردة أصحابه فقالوا: إن هذه الأمة أمة مرحومة معصومة، فما لك ولا لنا عليهم سبيل، وقد أُعلموا مفزعهم وإمامهم بعد نبيّهم، فانطلق إبليس كئيباً حزيناً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يبايع الناس أبا بكر في ظلة بني ساعدة بعد تخاصمهم بحقنا وحجتنا، ثم يأتون المسجد فيكون أوّل من يبايعه على منبري إبليس بصورة شيخ كبير مشمر يقول كذا وكذا، ثم يخرج فيجمع شياطينه وأبالسته، فيخرون سجّداً فيقولون: يا سيّدنا ويا كبيرنا! أنت الذي أخرجت آدم من الجنّة! فيقول أي أمة لا تضل بعد نبيّها؟! كلا زعمتم أن ليس لي

عليهم سبيل، فكيف رأيتموني صنعت بهم حيث تركوا ما أمرهم الله به من طاعته، وأمرهم به رسول الله ﷺ، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

قال سلمان: فلمّا أنْ كان الليل حمل عليّ عليه السلام فاطمة على حمار، وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحداً من أهل بدرل من المهاجرين ولا من الأنصار، إلا أتاه في منزله فذكرهم حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يُصبحوا بكرة محلقين رؤوسهم، معهم سلاحهم ليبايعوا على الموت، فأصبحوا فلم يوافِ منهم أحد إلا أربعة، فقلت لسلمان: مَنْ الأربعة؟ فقال: أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام. ثم أتاهم عليّ عليه السلام من الليلة المقبلة، فناشدهم فقالوا: نصبحك بكرة فما منهم أحد أتاه غيرنا، ثم أتاهم الليلة الثالثة، فما أتاه غيرنا، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم له، لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه، فلم يخرج من بيته حتى جمعه وكان في الصحف والشظاظ والأسيار والرقاع. فلما جمعه كلّه وكتبه بيده، تنزيله وتأويله، والناسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبو بكر أن اخرج فبايع، فبعث إليه عليّ عليه السلام: إني لمشغول وقد آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي رداءاً، إلا للصلاة حتى أؤلف القرآن وأجمعه. فسكتوا عنه أياماً، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله ﷺ، فنادى علي عليه السلام بأعلى صوته: أيها الناس! إني لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد، فلم ينزل الله على رسول الله ﷺ آية إلا وقد جمعتها، وليست منه آية إلا وقد أقرأنيها رسول الله، وعلمني تأويلها ثم قال لهم علي عليه السلام: لئلا تقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين.

---

(١) سورة سبأ: ٢٠.

ثم قال لهم الإمام عليّ عليه السلام: لا تقولوا يوم القيامة إني لم أدعكم إلى نصرتي، ولم أذكّركم حقي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، فقال له عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعونا إليه! ثم دخل عليّ عليه السلام بيته.

وقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى عليّ فليبايع، فإنّا لسنا في شيء حتى يبايع ولو قد بايع أمناه، فأرسل إليه أبو بكر أجب خليفة رسول الله، فأتاه الرسول فقال له ذلك، فقال له الإمام عليّ عليه السلام: سبحان الله ما أسرع ما كذبتم على رسول الله صلى الله عليه وآله! إنه ليعلم ويعلم الذين حوله، أن الله ورسوله لم يستخلفا غيري! وذهب الرسول فأخبره بما قال له، قال: اذهب فقل له: أجب أمير المؤمنين أبا بكر فأتاه فأخبره بما قال، فقال الإمام عليّ عليه السلام: سبحان الله ما والله طال العهد فينسى! والله إنه ليعلم أن الاسم لا يصلح إلا لي، ولقد أمره رسول الله وهو سابع سبعة فسلموا عليّ بإمرة المسلمين، فاستفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة فقالوا: أمن الله ورسوله؟ فقال لهما رسول الله: نعم حقاً من الله ورسوله، إنه أمير المؤمنين وسيّد المرسلين وصاحب لواء الغرّ المحجلين، يتعهده الله عزّ وجلّ يوم القيامة على الصراط، فيدخل أولياءه الجنّة وأعداءه النار! فانطلق الرسول فأخبره بما قال، قال فسكتوا عنه يومهم ذلك.

فلما كان الليل حمل عليٌّ عليه السلام فاطمة عليها السلام على حمار، وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أتاه في منزله، فناشدهم الله حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب منهم رجل غيرنا الأربعة، فإنّا حلقنا رؤوسنا وبذلنا له نصرتنا، وكان الزبير أشدنا بصيرة في نصرته، فلما رأى عليٌّ عليه السلام خذلان الناس إياه، وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وتعظيمهم إياه لزم بيته، فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع فإنه لم يبقَ أحد إلا قد بايع غيره، وغير هؤلاء الأربعة.

وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غوراً، والآخر أفظهما وأغلظهما وأجفاهما، فقال له أبو بكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً وهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب، فأرسله وأرسل معه أعواناً، وانطلق فاستأذن على عليّ عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر، وهما جالسان في المسجد والناس حولهما، فقالوا لم يؤذن لنا، فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لكم وإلا فادخلوا بغير إذن.

فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: أحرّج عليكم أن تدخلوا علي بيتي بغير إذن، فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن، فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء! ثم أمر أُناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل عليّ وفاطمة وابناهما، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً عليه السلام وفاطمة عليها السلام: والله لتخرجنّ يا علي ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلاّ أضرمت عليك النار! فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر! ما لنا ولك؟! فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم فقالت عليها السلام: يا عمر أما تتقي الله، تدخل عليّ بيتي؟!

فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه! يا رسول الله! فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها، فصرخت يا أبتاه! فرفع السوط فضرب به ذراعها، فنادت يا رسول الله! لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر! فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيبه، ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أوصاه به، فقال: والذي كرّم محمّداً بالنبوّة يا ابن صهّاك، لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إلي رسول الله لعلمت أنك لا تدخل بيتي.

فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي عليه السلام بسيفه، لما قد

عُرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: ارجع فإن خرج وإلا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار.

فانطلق قنفذ الملعون فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار عليٌّ إلى سيفه، فسبقوه إليه، وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعض سيوفهم فكاثروه فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام، عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإنّ في عضدها كمثل الدملوج من ضربته لعنه الله.

ثم انطلق بعليّ عليه السلام يعتل عتلاً، حتى انتهى به إلى أبي بكر وعمر قائم بالسيف على رأسه وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسائر الناس حول أبي بكر عليهم السلاح.

قال: قلت لسلمان: أدخلوا على فاطمة عليها السلام بغير إذن؟!

قال: أي والله وما عليها خمار! فنادت: يا أبتاه! يا رسول الله! فلبئس ما خلفك أبو بكر وعمر، وعيناك لم تتفقأ في قبرك[1]، تنادي بأعلى صوتها، فلقد رأيت أبا بكر ومن حوله يبكون، ما فيهم إلا باكٍ غير عمر وخالد والمغيرة بن شعبة، وعمر يقول: إنّا لسنا من النساء ورأيهن في شيء.

قال فانتهوا بعليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو يقول أما والله لو وقع سيفي في يدي لعلمتم أنكم لم تصلوا إلى هذا أبداً، أما والله لا ألوم نفسي في جهادكم، ولو

---

(١) قوله: «وما عليها خمار، وعيناك لم تتفقأ في قبرك»، هذان المقطعان نتحفظ بالأخذ بهما وذلك، أما الأول فلمخالفته للأخبار الأخر الدالة على وجود خمار عليها، ومنها ما تقدم من خبر الخصيبي من أن عمر ضربها حتى أبرى قرطها تحت خمارها، ولأن النبي صلى الله عليه وآله أعلمها بما سيجري عليها، فعلى أقل تقدير كانت مهيأة لمثل تلك الحالة. وأما الثاني فلمنافاته للأخبار التي دلت على أن الله حافظ لأجسادهم تكريماً لها من التغير والحدثان، وتفقؤ العينين مخالف للتكريم، إلاّ إذا كان المراد من «التفقؤ» التغير الجزئي لكنه خلاف معناه اللغوي. وبالجملة: هذان الاعتراضان لا يخلاّن بالتواتر الإجمالي للقضية.

كنت استمكنت من الأربعين رجلاً لفرقت جماعتكم، ولكن لعن الله أقواماً بايعوني ثم خذلوني. ولما أن بصر به أبو بكر صاح: خلّوا سبيله، فقال علي عليه السلام: يا أبا بكر! ما أسرع ما توثبتم على رسول الله ﷺ، بأيّ حق وبأي منزلة دعوت الناس إلى بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس بأمر الله وأمر رسول الله؟!

وكان قنفذ لعنه الله، حين ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط، حين حالت بينه وبين زوجها، وأرسل إليه عمر إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها، فألجأها قنفذ إلى عضادة بيتها ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت، صلى الله عليها من ذلك شهيدة.

قال: ولمّا انتهي بعليّ عليه السلام إلى أبي بكر انتهره عمر وقال له: بايع ودَعْ عنك هذه الأباطيل! فقال له عليّ عليه السلام: فإن لم أفعل فما أنتم صانعون؟ قالوا: نقتلك ذلاً وصغاراً، فقال له عليّ عليه السلام: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال أبو بكر: أما عبد الله فنعم، وأما أخا رسول الله فما نقر بهذا. قال: أتجحدون أن رسول الله ﷺ آخى بيني وبينه؟! قال: نعم، فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات، ثم أقبل عليهم عليّ عليه السلام فقال: يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار! أنشدكم الله أسمعتم رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم كذا وكذا، فلم يدع عليه السلام شيئاً قال فيه رسول الله ﷺ علانية للعامة، إلا ذكّرهم إياه، قالوا: نعم.

فلمّا تخوّف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعوه، بادرهم فقال: كلّ ما قلت حق قد سمعنا بآذاننا ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعت رسول الله يقول بعد هذا إنّا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا، واختار لنا الآخرة على الدنيا، وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة. فقال عليّ عليه السلام؛ هل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ شهد هذا معك؟ فقال عمر: صدق خليفة رسول الله، قد سمعته منه كما قال، وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل؛ قد سمعنا ذلك من رسول الله.

فقال عليّ عليه السلام: لقد وفيتم بصحيفتكم التي تعاقدتم عليها في الكعبة، إن قتل الله محمّداً أو مات لتزونّ هذا الأمر عنا أهل البيت! فقال أبو بكر فما علمك بذلك؟ ما أطلعناك عليها! فقال عليه السلام: أنت يا زبير، وأنت يا سلمان، وأنت يا أبا ذر، وأنت يا مقداد، أسألكم بالله وبالإسلام، أما سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك، وأنتم تسمعون أن فلاناً وفلاناً حتى عدّ هؤلاء الخمسة، قد كتبوا بينهم كتاباً، وتعاهدوا فيه وتعاقدوا على ما صنعوا، فقالوا: اللّهم نعم، قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لك، إنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا، وكتبوا بينهم كتاباً إن قتلت أو متّ أن يزووا عنك هذا يا عليّ! قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فما تأمرني إذا كان ذلك أن أفعل؟ فقال لك: إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ونابذهم، وإن أنت لم تجد أعواناً فبايع واحقن دمك.

فقال عليّ عليه السلام: أما والله لو أن اولئك الأربعين رجلاً الذين بايعوني وفوا لي، لجاهدتكم في الله، ولكن أما والله لا ينالها أحد من عقبكما إلى يوم القيامة! وفيما يُكذّب قولكم على رسول الله صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1] فالكتاب النبوّة، والحكمة السنّة، والملك الخلافة، ونحن آل إبراهيم.

فقام المقداد فقال: يا عليّ! بما تأمرني، والله إن أمرتني لأضربنّ بسيفي، وإن أمرتني كففتُ. فقال عليّ عليه السلام: كفّ يا مقداد واذكر عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاك به، فقمت وقلت: والذي نفسي بيده لو لي أني أعلم أني أدفع ضيماً وأعزّ لله ديناً، لوضعتُ سيفي على عنقي، ثم ضربت به قدماً قدماً، أتثبون على أخي رسول الله صلى الله عليه وآله، ووصيّه وخليفته في أمته وأبي ولده؟! فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء.

وقام أبو ذر فقال: أيّتها الأمة المتحيّرة بعد نبيّها، المخذولة بعصيانها، إن

---

(١) سورة النساء: ٥٤.

الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وآلُ محمّد الأخلاف من نوح وآل إبراهيم من إبراهيم، والصفوة السلالة من إسماعيل، وعترة النبيّ محمّد ﷺ وأهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وهم كالسماء المرفوعة والجبال المنصوبة، والكعبة المستورة والعين الصافية، والنجوم الهادية والشجرة المباركة، أضاء نورها وبورك زيتها، محمّد خاتم الأنبياء وسيّد ولد آدم، وعليّ وصيّ الأوصياء وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجلين، وهو الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم، ووصيّ محمّد ووارث علمه، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم، كما قال الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[2] فقدّموا من قدّم الله، وأخّروا من أخّر الله، واجعلوا الولاية والوراثة لمن جعل الله.

فقام عمر فقال لأبي بكر وهو جالس فوق المنبر: ما يُجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك، أوتأمر به فنضرب عنقه! والحسن والحسين عليهما السلام قائمان، فلمّا سمعا مقالة عمر بكيا، فضمّهما عليه السلام إلى صدره فقال: لا تبكيا فوالله ما يقدران على قتل أبيكما، وأقبلت أم أيمن حاضنة رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر! ما أسرع ما أبديتم حسدكم ونفاقكم! فأمر بها عمر، فأُخرجت من المسجد وقال: ما لنا وللنساء.

وقام بريدة الأسلمي وقال: أتثب يا عمر على أخي رسول الله وأبي ولده، وأنت الذي نعرفك في قريش بما نعرفك؟!

ألستما اللذين قال لكما رسول الله ﷺ: انطلقا إلى عليّ وسلّما عليه بإمرة المؤمنين فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم، فقال أبو بكر: قد كان

(١) سورة آل عمران: ٣٣ و٣٤.
(٢) سورة الأحزاب: ٦.

ذلك، ولكن رسول الله قال بعد ذلك، لا يجتمع لأهل بيتي النبوّة والخلافة، فقال: والله ما قال هذا رسول الله، والله لا سكنت في بلدة أنت فيها أمير! فأمر به عمر فضرب وطرد.

ثم قال: قم يا ابن أبي طالب، فبايع! فقال: فإن لم أفعل؟ قال: إذاً والله نضرب عنقك! فاحتج عليهم ثلاث مرات، ثم مدّ يده من غير أن يفتح كفه، فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك منه، فنادى عليّ عليه السلام قبل أن يبايع والحبل في عنقه: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[1].

وقيل للزبير: بايع، فأبى، فوثب إليه عمر وخالد والمغيرة بن شعبة في أناس، فانتزعوا سيفه فضربوا به الأرض حتى كسروه، ثم لبّبوه، فقال الزبير وعمر على صدره: يا ابن صهّاك! أما والله لو أن سيفي في يدي لحدت عني، ثم بايع.

قال سلمان: ثم أخذوني فوجئوا عنقي حتى تركوها كالسلعة، ثم أخذوا يدي فبايعت مكرهاً، ثم بايع أبو ذر والمقداد مكرهين، وما بايع أحد من الأمة مكرهاً غير عليّ عليه السلام وأربعتنا، ولم يكن منا أحد أشدّ قولاً من الزبير، فإنه لمّا بايع قال: يا ابن صهّاك! أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين أعانوك، لما كنت تقدم عليّ ومعي سيفي، لما أعرف من جبنك ولؤمك، ولكن وجدت طغاة تقوى بهم وتصول.

فغضب عمر وقال: أتذكر صهّاك؟ فقال: [ومن صهّاك] وما يمنعني من ذكرها؟ وقد كانت صهّاك زانيةً، أوتنكر ذلك؟! أوليس كانت أمَةً حبشية لجدّي عبد المطلب فزنى بها جدّك نفيل فولدت أباك الخطّاب فوهبها عبد المطلب لجدّك بعدما زنى بها فولدته، وأنه لعبد لجدّي ولد زنى؟[2].

ثم إن مولاتنا الصدّيقة فاطمة عليها السلام بلغها أن أبا بكر قبض فدك، فخرجت في نساء بني هاشم حتى دخلت على أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر، تريد أن تأخذ

(١) سورة الأعراف: ١٥٠.
(٢) كتاب سليم ص٧٠ ـ ٨٠، وص٢٣١ ط/ دار الإرشاد، وج٢/ ٥٧٧ ـ ٥٩٤.

مني أرضاً جعلها لي رسول الله وتصدّق بها عليّ من الوجيف الذي لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب؟ أما كان قال رسول الله المرء يحفظ في ولده، وقد علمت أنه لم يترك لولده شيئاً غيرها؟! فلمّا سمع أبو بكر مقالتها والنسوة معها، دعا بدواة ليكتب به لها، فدخل عمر فقال: يا خليفة رسول الله! لا تكتب لها حتى تقيم البيّنة بما تدّعي، فقالت مولاتنا فاطمة: نعم أقيم البيّنة، قال: مَن؟ قالت: عليٌّ وأم أيمن، فقال عمر: لا تقبل شهادة امرأة عجمية لا تفصح، وأما عليٌّ فيجوز النار إلى قرصه.

فرجعت فاطمة عليها السلام وقد جرعها من الغيظ ما لا يوصف فمرضت، وكان عليٌّ عليه السلام يصلّي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلّى، قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله إلى أن ثقلت فسألا عنها وقالا: قد كان بيننا وبينها ما قد علمت، فإن رأيت أن تأذن لنا فنعتذر إليها من ذنبنا، قال ذاك إليكما، فقاما فجلسا بالباب، ودخل عليٌّ على فاطمة، فقال لها: أيّتها الحرة فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلّما عليك فما ترين؟ قالت عليها السلام: البيت بيتك والحرة زوجتك، وافعل ما تشاء، فقال؛ شدي قناعك فشدت قناعها وحوّلت وجهها إلى الحائط.

فدخلا وسلّما وقالا: إرضي عنا رضي الله عنك، فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة ورجونا أن تعفي عنا وتخرجي سخيمتك، فقالت: فإن كنتما صادقين فأخبراني عمّا أسألكما عنه، فإني لا أسألكما عن أمر إلاّ وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإن صدقتما علمت أنكما صادقان في مجيئكما، قالا: سلي عما بدا لك، قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله يقول: فاطمة بعضة مني فمن آذاها فقد آذاني؟ قالا: نعم، فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللّهم إنهما قد آذياني فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا، والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله، وأخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم.

فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور، وجزع جزعاً شديداً، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟!

قال: فبقيت فاطمة بعد وفاة أبيها أربعين ليلة، فلما اشتد بها الأمر دعت عليّاً وقالت: يا ابن عم، ما أراني إلا لما بي، وأنا أُوصيك أن تتزوج بنت أختي زينب، تكون لولدي مثلي، واتخذ لي نعشاً فإني رأيت الملائكة يصفونه لي، وأن لا يشهد أحد من أعداء الله جنازتي ولا دفني ولا الصلاة عليّ.

قال ابن عبّاس ـ وهو قول أمير المؤمنين ـ أشياء لم أجد إلى تركهنّ سبيلاً لأن القرآن بها أُنزل على قلب محمّد ﷺ قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، الذي أوصاني فيّ وعهد إليّ خليلي رسول الله بقتالهم، وتزويج أمامة بنت زينب أوصتني بها فاطمة.

قال ابن عبّاس: فقبضت فاطمة من يومها، فارتجّت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله، فأقبل أبو بكر وعمر يعزّيان عليّاً ويقولان له: يا أبا الحسن! لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله. فلما كان في الليل دعا عليّ عليه السلام العبّاس والفضل والمقداد وسلمان وأبا ذرّ وعماراً، فقدم العبّاس فصلّى عليها ودفنوها، فلمّا أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام، فقال المقداد: قد دفنّا فاطمة البارحة، فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون؟!

قال العبّاس: إنها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بني هاشم حسدكم القديم لنا أبداً، إنّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت أن أنبشها فأصلّي عليها! فقال عليّ عليه السلام: والله لو رمت ذلك يا ابن صهّاك لأرجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفي لأغمدنه دون إزهاق نفسك فرُم ذلك! فانكسر عمر وسكت، وعلم أن عليّاً إذا حلف صدق. ثم قال عليّ عليه السلام: يا عمر ألستَ الذي همَّ بك رسول الله وأرسل إليّ فجئته متقلداً بسيفي، ثم أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله عزّ وجل: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾[1].

---

(١) سورة مريم: ٨٤.

قال ابن عبّاس: ثم إنهم توامروا وتذاكروا فقالوا: لا يستقيم لنا أمر ما دام هذا الرجل حيّاً، فقال أبو بكر: مَن لنا بقتله؟ فقال عمر: خالد بن الوليد، فأرسلا إليه، فقالا: يا خالد ما رأيك في أمر نحملك عليه؟ قال: احملاني على ما شئتما فوالله إن حملتماني على قتل ابن أبي طالب لفعلت! فقالا: والله ما نريد غيره! قال: فإني لها، فقال أبو بكر: إذا قمنا في الصلاة صلاة الفجر فقم إلى جانبه ومعك السيف فإذا سلمت فاضرب عنقه، قال: نعم، فافترقوا على ذلك.

ثم إن أبا بكر تفكّر فيما أمر به من قتل عليّ عليه السلام وعرف إن فعل وقعت حرب شديدة وبلاء طويل، فندم على أمره فلم ينم ليلته تلك حتى أتى المسجد وقد أقيمت الصلاة، فتقدّم فصلّى بالناس مفكّراً لا يدري ما يقول، وأقبل خالد بن الوليد متقلداً بالسيف، حتى أقام إلى جانب عليّ وقد فطن عليّ ببعض ذلك، فلمّا فرغ أبو بكر من تشهّده صاح قبل أن يسلّم: يا خالد! لا تفعل ما أمرتك فإن فعلت قتلتك، ثم سلّم عن يمينه وشماله، فوثب عليّ عليه السلام فأخذ بتلابيب خالد وانتزع السيف من يده، ثم صرعه وجلس على صدره وأخذ سيفه ليقتله، واجتمع عليه أهل المسجد ليخلصوا خالداً فما قدروا عليه، فقال العبّاس: **حلّفوه بحق القبر[1] لمّا كففت فحلفوه وقام**، فانطلق إلى منزله.

وجاء الزبير والعباس وأبو ذرّ والمقداد وبنو هاشم واخترطوا السيوف وقالوا: والله لا تنتهون حتى يتكلم ويفعل، واختلف الناس وماجوا واضطربوا وخرجت نسوة بني هاشم فصرخن وقلن: يا أعداء الله! ما أسرع ما أبديتم العداوة لرسول الله وأهل بيته! ولطالما أردتم هذه من رسول الله فلم تقدروا عليه، **فقتلتم**

---

(١) أي قبرٍ هذا الذي بسببه تخلّى أمير المؤمنين عن خالد؟ هل هو قبر رسول الله أو قبر رفيقة دربه ومهجة كبده فاطمة الزهراء الصدّيقة الشهيدة؟! لا أدري أيّ القبرين أراد مولى الثقلين؟ وإن كانا عزيزين على قلبه إلاّ أن قبر مولاتنا الزهراء ـ فديتها بنفسي ـ له ميّزة عند مولانا المرتضى عليّ حيث غاب الطهر الحبيب تحت الثرى يحمل في طياته آهات الفراق وزفرات الألم والاضطهاد من أمة الإسلام؟!!

ابنته بالأمس، ثم تريدون اليوم أنْ تقتلوا أخاه وابن عمه ووصيّه وأبا ولده. كذبتم وربّ الكعبة ما كنتم تصلون إلى قتله حتى تخوّف الناس أنْ تقع فتنة عظيمة[1].

الأمر الثاني: إجماع الإمامية على حصول الاعتداء على الصدّيقة فاطمة عليها السلام.

لا ريب أن الشهادة في سبيل الله أرفع وسام يكرم به الله أولياءه، ونعمة عظيمة يهبها لخاصة عبيده المقرّبين، وما أحلاها إنْ كانت على يد أجلاف عتاة، نُزعت الرحمة من قلوبهم، فغدوا بهائم ناطقين ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

وهم كما قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «فالصورة صورةُ إنسان، والقلبُ قلب حيوان»[3].

والصدّيقة الطاهرة ـ فديتها بنفسي ـ مضت شهيدة مظلومة، وقد وصفها أئمة آل البيت عليهم السلام بالشهيدة، وبأنها المقهورة المغصوبة حقّها، المكسور ضلعها، فهذه الظُلامات التي عانتها سيّدة الطهر روحي فداها، أثارت شجون كل غيور وطالب للحقيقة، فبكتها العيون والقلوب الصادقة دماً على مرّ العصور، ودوّنها التاريخ بحروف قاتمة، ونظمها الشعراء في قصائد فاضت بالحزن والألم، كما استفاضت بها الأخبار، وانعقد عليها الإجماع، وكل من كتب عن حياة الصدّيقة عليها السلام فإنه تعرّض لتلك الظُلامات والمصائب التي كابدتها، ومن لم يتعرّض لها صريحاً لكنه أشار إليها تلميحاً، وقد تكون حجّته عدم توفر الظروف الموضوعية لذكرها حرصاً على الأجواء العامة، أو خوفاً من الأعداء النواصب.

وعليه فإن ثمة إجماعاً على مظلومية الصدّيقة فاطمة عليها السلام وأنها قد ضُربت

---

(١) كتاب سليم ص٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٢) سورة الفرقان: ٤٤.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ٨٧ بشرح صبحي الصالح ص١١٩، وخطبة ٨٣ بشرح محمد عبده ج١/١٥٢.

وأسقط جنينها، لكن تيار الحداثة والتجديد والوحدة بين المذاهب لم يعجبهم دعوى الإجماع بل لم يقنعهم وجود هذا الكم الهائل من الأخبار الكاشفة عن مظلوميتها، تشكيكاً منهم لأصل القضية، فيسهل إسقاطها وتمييعها بغية تأسيس القاعدة الصلبة التي يلتقي عليها الجميع سنّة وشيعة، وكأن الالتقاء مقصور على أن يتنازل الشيعة الإمامية عن معتقداتهم، وأن يغضوا الطرف عن ظُلامات أئمتهم عليهم السلام لا سيّما ما جرى على مولاتنا سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام.

وبالإضافة إلى دعوى الإجماع من المرتضى والطوسي «عليهما الرحمة» فإن مظلوميتها من المتواترات القطعية التي لا يمكن التشكيك بصحة مضمونها ـ من الضرب والإسقاط والكسر ـ ولو لم يكن هناك تواتر لما صحّ دعوى الإجماع على ما ذكرنا. وظني أنّ من يشكّك بقطعيتها لا يمكنه أن يقطع بأمثالها، إذ التشكيك بالإجماع في هذا المورد، يستلزم التشكيك بالمتواتر القطعي الدال على هضمها وظلاماتها.

وهاك قائمة مسجّلة بأسماء من اطّلعنا عليهم من العلماء الأعلام المتقدّمين والمتأخرين حيث هم العمدة في تحقق الإجماع:

(١) الثقة الجليل أبي الفضل شاذان بن جبرائيل القمي (متوفى عام ٢٦٠هـ):

روى ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقال: كان رسول الله ذات يوم جالساً، إذ أقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بنيّ فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه الأيمن، ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بنيّ فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه الأيسر ثم أقبلت فاطمة عليها السلام فلما رآها بكى ثم قال: إليّ إليّ يا بنيّة فما زال يدنيها حتى أجلسها بين يديه، ثم أقبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا أخي فما زال يدنيه حتى أجلسه إلى

جانبه الأيمن، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما ترى أحداً من هؤلاء إلا بكيت أوَما فيه من تسرّ برؤيته؟

فقال ﷺ: والذي بعثني بالحق نبيّاً وبشيراً ونذيراً واصطفاني على جميع البرية إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، وما على وجه الأرض نسمة أحبّ إليّ منهم، أمّا عليّ بن أبي طالب فإنه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي وصاحي لوائي في الدنيا والآخرة وصاحب حوضي وشفاعتي وهو مولى كلّ مؤمن وقائد كلّ تقي وهو وصيي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد مماتي، محبته محبتي، ومبغضه مبغضي وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعد وفاتي صارت بالمخالفة له ملعونة، فإني بكيت حين أقبل لأني ذكرت غدر الأمة به بعدي حتى أنه ليزال عن مقعدي وقد جعله الله له بعدي ثم لا يزال الأمر به حتى يضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور وهو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وأمّا ابنتي فاطمة فإنها سيّدة نساء العالمين الأولين والآخرين وهي بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي وهي روحي التي بين جنبيّ وهي الحوراء الإنسية متى قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زهر نورها للملائكة في السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض فيقول الله عزّ وجلّ للملائكة: يا ملائتكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة نساء خلقي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنّت شيعتها من النار، وأني لمّا رأيتها تذكرت[1] ما يصنع بها بعدي وكأني **وقد دخل عليها الذل في بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقّها ومنعت إرثها، وكُسِرَ جنبها، وسقط جنينها وهي تنادي وامحمداه فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث**، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية... إلى أن يقول ﷺ: فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، **فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة**،

---

(١) ليس معنى «تذكره» عليه وآله السلام أنه كان غافلاً عمّا سيجري عليها، لأن الغفلة رجس دفعه الله تعالى عن النبي وعترته الطاهرة، لكن المعنى: تجدّد أو تأكد حزني عليها، فتأمل.

فأقول عند ذلك: اللّهم العن ظالمها وعاقب من غصبها حقها، وأذلّ من أذلها، وخلّد في النار من ضربها على جنبها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك آمين..»[1].

(٢) أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (المتوفى عام ٣٠٧):

قال: حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن عثمان بن عيسى وحماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لمّا بويع لأبي بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار بعث إلى فدك فأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها، فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر منعتني عن ميراثي من رسول الله وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله، فقال لها: هاتي على ذلك شهوداً فجاءت بأم أيمن فقالت: لا أشهد حتى أحتجّ يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: أنشدك الله، ألست تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أم أيمن من أهل الجنّة، قال: بلى، قالت: فأشهد أن الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فَآتِ ذا القربى حقّه﴾ فجعل فدك لفاطمة بأمر الله وجاء عليّ عليه السلام فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً بفدك ودفعه إليها فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال أبو بكر: إن فاطمة ادعت في فدك وشهدت لها أم أيمن وعلي فكتبت لها بفدك، فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزقه وقال: هذا فيء المسلمين وقال: أوس ابن الحدثان وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه قال: إنا معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة، فإن علياً زوجها يجر إلى نفسه، وأم أيمن فهي امرأة صالحة لو كان معها غيرها لنظرنا فيه.

فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة فلمّا كان بعد هذا جاء

---

(١) مناقب وفضائل الإمام علي عليه السلام/ ابن شاذان القمي ص٨ فصل في إخبار النبي بفضائل أهل بيته.

عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: يا أبا بكر! لما منعت فاطمة ميراثها من رسول الله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين فإن أقامت شهوداً أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لها وإلا فلا حقّ لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ فقال: لا، قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه ادّعيت أنا فيه من تسأل البيّنة؟ قال: إياك كنت أسأل البيّنة على ما تدّعيه على المسلمين، قال: فإذا كان في يدي شيء وادّعى فيه المسلمون فتسألني البيّنة على ما في يدي! وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده ولم تسأل المسلمين البيّنة على ما ادّعوا عَلَيّ شهوداً كما سألتني على ما ادعيت عليهم! فسكت أبو بكر ثم قال عمر: يا عليّ دعنا من كلامك فإنا لا نقوى على حججك فإن أتيت بشهود عدول وإلا فهو فيء المسلمين لا حق لك ولا لفاطمة فيه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم، قال: فأخبرني عن قول الله تعالى ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ فيمن نزلت أفينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم، قال: فلو أن شاهدين شهدوا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنت أقيم عليها الحدّ كما أقيم على سائر المسلمين، قال: كنت إذاً عند الله من الكافرين، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لها فدك وقبضته في حياته ثم قبلت شهادة إعرابي بايل على عقبه عليها فأخذت منها فدك وزعمت أنه فيء المسلمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيّنة على من ادّعى واليمين على من إدعي عليه، قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم فقالوا: صدقت والله عليّ، ورجع عليّ عليه السلام إلى منزله.

قال ودخلت فاطمة إلى المسجد وطافت بقبر أبيها عليه وعليها السلام وهي تبكي وتقول:

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ

قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا ... ففغاب عنّا وكلّ الخير محتجبُ

وكنت بدراً ونوراً يُستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزّة الكتب

فقمصتنا رجال واستخفّ بنا ... إذْ غبت عنا فنحن اليوم نغتصبُ

فكل أهل له قرب ومنزلة ... عند الإله على الأدنين يقترب

أبدت رجال لنا فحوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الكتب

فقد رزينا بما لم يرزأه أحد ... من البريّة لا عجم ولا عربُ

وقد رزينا به محضاً خليقته ... صاني الضرائب والأعراق والنسب

فأنت خير عباد الله كلّهم ... وأصدق الناس حين الصدق والكذب

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت ... منّا العيون بهمال لها سكب

سيعلم المتولي ظلم خامتنا ... يوم القيامة أنّى ينقلب

قال فرجع أبو بكر إلى منزله وبعث إلى عمر فدعاه ثم قال: أما رأيت مجلس عليّ منّا اليوم، والله لأن قعد مقعداً مثله ليفسدنّ أمرنا فما الرأي؟ قال عمر: الرأي أنْ تأمر بقتله، قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد. فبعثا إلى خالد فأتاهما فقالا: نريد أنْ نحملك على أمر عظيم، قال: حملاني ما شئتما ولو قتل عليّ بن أبي طالب، قالا: فهو ذاك، فقال خالد: متى أقتله؟ قال أبو بكر: إذا حضر المسجد فقم بجنبه في الصلاة فإذا أنا سلّمت فقم إليه فاضرب عنقه، قال: نعم، فسمعت أسماء بنت عميس ذلك وكانت تحت أبي بكر فقالت لجاريتها: إذهبي إلى منزل علي وفاطمة فاقرئيهما السلام وقولي لعلي **﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين﴾** فجاءت الجارية إليهما فقالت لعليّ عليه السلام: إن أسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام وتقول: **﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنّي لك من الناصحين﴾**، فقال علي عليه السلام: قولي لها: إن الله يحيل بينهم وبين ما يريدون.

ثم قام وتهيأ للصلاة وحضر المسجد ووقف خلف أبي بكر وصلّى لنفسه وخالد بن الوليد إلى جنبه ومعه السيف، فلما جلس أبو بكر في التشهّد ندم على ما قال وخاف الفتنة وشدة علي وبأسه فلم يزل متفكراً لا يجسر أنْ يسلّم حتى ظنَّ الناس أنه قد سها، ثم التفت إلى خالد فقال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد ما الذي أمرك به؟ قال: أمرني أن أضرب عنقك، قال: وكنت تفعل؟ قال: إي والله لولا أنه قال لي: «لا تفعل» لقتلتك بعد التسليم، قال: فأخذه عليّ عليه السلام فضرب به الأرض واجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله وربِّ الكعبة! فقال الناس: يا أبا الحسن، الله الله بحق صاحب هذا القبر، فخلّى عنه، قال: فالتفت إلى عمر وأخذ بتلابيبه وقال: يا بن الصهاك لولا عهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق لعلمتَ أينا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، ثم دخل منزله[1].

(٣) تقدّم ما ذكره الثقة الجليل الحسين بن حمدان الخصيبي (المتوفى عام ٣٣٤هـ) فلا نعيد.

(٤) ذكر الثقة الجليل محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفى عام ٣٢٨هـ): أن السيّدة فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة، كما أنه روى ظلاماتها عليها السلام. قال: حدثنا علي بن محمّد الهرمزاني عن الإمام أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام قال: لمّا قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين سرّاً وعفا على موضع قبرها، ثم قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري وعفا عن سيّدة نساء العالمين تجلّدي، إلاّ أن لي في التأسي بسنتك في فرقتك موضع تعزّ.. إلى أن قال:

---

(١) تفسير القمي ج٢/ ١٥٥ ـ ١٥٨، باب تفسير آية ﴿فآت ذا القربى حقّه والمسكين وابن السبيل﴾.

قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة وأُخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهّد وهمٌّ لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم، كمدٌ مقيّح، وهمٌّ مهيجٌ، سرعان ما فُرِّق بيننا، وإلى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً.. إلى أن قال عليه السلام: فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلّى الله عليك وعليها السلام والرضوان[١].

وروي عن عبد الله بن محمد الجعفي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالا: إن فاطمة عليها السلام لمّا أن كان من أمرهم ما كان، أخذت بتلابيب عمر فجذبته إليها، ثم قالت: أما والله يا ابن الخطاب لولا إني أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له، لعلمت أني سأقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة[٢].

(٥) ذكر الثقة الشيخ أبي القاسم الكوفي (المتوفى عام ٣٥٢هـ) بعض ظلاماتها عليها السلام فقال: «ثم إن أبا بكر عمد إلى الطامة الكبرى والمصيبة العظمى في ظلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقبض دونها تركات أبيها مما خلّفه عليها من الضياع والبساتين وغيرها وجعل ذلك كلّه بزعمه صدقة للمسلمين وأخرج أرض فدك من يدها فزعم هذه الأرض كانت لرسول الله إنما هي في يدك طعمة منه لك، وزعم أن رسول الله قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ما تركنا، فهو صدقة، فذكرت فاطمة عليها السلام برواية جميع أوليائه أن رسول الله قد جعل لي أرض فدك هبة وهدية، فقال لها: هات بيّنة تشهد لك بذلك فجاءت أم أيمن فشهدت لها، فقال: امرأة لا نحكم بشهادة امرأة، وهم رووا جميعاً أن النبيّ قال: أم أيمن من أهل

---

(١) أصول الكافي ج١/ ٤٥٩.

(٢) نفس المصدر ج١/ ٤٦٠ ح٥.

الجنّة فجاء أمير المؤمنين عليه السلام يشهد لها، فقال: هذا بعلك وإنما يجر إلى نفسه، وهم قد رووا جميعاً أن رسول الله قال: عليٌ مع الحق، والحق مع عليّ يدور معه حيث دار، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، هذا مع ما أخبر الله به من تطهيره لعليّ وفاطمة عليهما السلام من الرجس، وجميع الباطن بجميع وجوهه رجس، فمن توهم أن عليّاً وفاطمة عليهما السلام يدخلان من بعد هذا الإخبار من الله في شيء من الكذب والباطل على غفلة أو تعمد فقد كذّب الله، ومن كذّب الله فقد كفر بغير خلاف، فغضبت فاطمة عليها السلام عند ذلك فانصرفت من عنده وحلفت أنها لا تكلمه وصاحبه حتى لتقى أباها فتشكو إليه ما صنعا بها فلمّا حضرتها الوفاة أوصت عليّاً عليه السلام أنْ يدفنها ليلاً لئلاّ يصلّي عليها أحد منهم، ففعل ذلك، فجاؤوا من الغد يسألون عنها فعرفهم أنه قد دفنها، فقالوا له: ما حملك على ما صنعت؟ قال عليه السلام: أوصتني بذلك فكرهت أنْ أخالف وصيّتها وهم قد رووا جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فاطمة بضعةٌ مني من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ...»[1].

وقال قدّس الله سرّه الشريف: «ورووا كذلك جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر أنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها وأنّ من آذاها فقد آذى رسول الله ومن آذى رسول الله فقد آذى الله، وقد دلّ دفنها بالليل من غير أنْ يصلّي عليها أحد منهم أو من أوليائهم أنّ ذلك كان منها غضباً عليهم بما اجترأوا عليها وظلموها، وإذا كان ذلك كذلك فقد غضب الله عليهم الأمر بعد أنْ آذوها فإذاً قد آذوا رسول الله صلى الله عليه وآله بآذاهم إياها وقد آذوا الله عزّ وجلّ بآذاهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2].

(١) كتاب الاستغاثة ص١٢ ـ ١٤.
(٢) سورة الأحزاب: ٥٧.

وروى مشايخنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأبي بكر حين لم يقبل شهادته: يا أبا بكر أصدقني عمّا أسألك، قال: قل، قال عليه السلام: أخبرني لو أنّ رجلين احتكما إليك في شيء في يد أحدهما دون الآخر أكنتَ تخرجه من يده دون أن يثبت عندك ظلمه، قال: لا، قال: فممّن كنتَ تطلب البيّنة منهما أو على من كنتَ توجب اليمين منهما، قال: أطلبُ البيّنة من المدَّعي وأوجب اليمين على المنكر، قال رسول الله: البينة على المدّعي واليمين على المنكر، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أفتحكم فينا بغير ما تحكم به في غيرنا؟! قال: فكيف ذلك؟ قال: إنّ الذين يزعمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما تركناه فهو صدقة وأنت ممّن له في هذه الصدقة إذا صحّت نصيب وأنت فلا تجيز شهادة الشريك لشريكه فيما يشاركه فيه وتركة الرسول صلى الله عليه وآله بحكم الإسلام في أيدينا إلى أنْ تقوم البيّنة العادلة بأنها لغيرنا فَعلَى من ادّعى ذلك علينا إقامة البيّنة ممّن لا نصيب له فيما يشهد به علينا وعلينا اليمين فيما ننكره، فقد خالفت حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وآله إذْ قبلت شهادة الشريك في الصدقة وطالبتنا بإقامة البيّنة على ما ننكره مما ادّعوه علينا فهل هذا إلا ظلم وتحامل!

ثم قال عليه السلام: يا أبا بكر أرأيت لو شهد عندك شهود من المسلمين المعدلين عندك على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً؟ قال: كنت والله أقيم عليها حدّ الله في ذلك، قال له: إذاً كنت تخرج من دين الله ودين رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لِمَ؟ قال: لأنك تكذّب الله وتصدّق المخلوقين إذْ قد شهد الله لفاطمة بالطهارة من الرجس في قوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فقلت أنت أنك تقبل شهادة من شهد عليها بالرجس إذ الفواحش كلها رجس وترك شهادة الله لها بنفي الرجس عنها، فلمّا لم يجد جواباً قام من مجلسه ذلك وترك عليّاً عليه السلام.

فانظروا يا أهل الفهم هل جرى في الإسلام بدعة أظلم وأظهر وأفظع وأعظم وأشنع من طالب ورثة الرسول صلى الله عليه وآله بإقامة البيّنة على تركة الرسول أنّها لهم مع

شهادة الله لورثة الرسول بإزالة جميع الباطل عنهم وذلك كلّه بحكم الإسلام في أيديهم وقد رووا أن الرسول ﷺ قال: «نحن أهل بيتٍ لا تحلّ علينا الصدّقة»؛ أفيجوز لمسلم أن يتوهّم على أهل بيت الرسول عليهم السلام أنهم طلبوا شيئاً من الحرام؟!!..»[1].

(٦) ما ذكره الشيخ الصدوق (المتوفى عام ٣٨١هـ) وقد تقدم قوله فلا نعيد.

(٧) ما اعتقده الشيخ المفيد من أن الصدّيقة الطاهرة ماتت شهيدة، وأن قاتلها وقاتل جنينها يتعذّب في النار، فقد روى عن عبد الله بن بكر الأرجاني قال:

صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة من المدينة فنزل منزلاً يقال له: عسفان ثم مررنا بجبل أسود على يسار الطريق.. فقلت: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل ما رأيت في الطريق جبلاً أوحش منه، فقال: يا ابن بكر تدري أيّ جبل هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبلٌ يقال له: الكمد، وهو على واد من أودية جهنم، فيه قتلة أبي الحسين بن عليّ عليه السلام استودعوه، يجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة خبال، وما يخرج من لظى، وما يخرج من الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الجحيم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل قط في مسيري فوقفت إلاّ رأيتهما يستغيثان بي ويتضرّعان إليّ وإني لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما: إن هؤلاء إنما فعلوا بنا ما فعلوا لمّا أسّستما لم ترجمونا لمّا وليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقّنا واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحكما صنعتما وما الله بظلاّم للعبيد، وأشدّهما تضرُّعاً واستكانة الثاني، فربما وقفت عليهما ليتسلّى عني بعض ما يعرض في قلبي، وربما طويت الجبل الذي هما فيه وهو جبل الكمد، قلت: جعلت فداك، فإذا طويت الجبل فما تسمع؟ قال: أسمع أصواتهم ينادون عرّج إلينا

---

(١) كتاب الاستغاثة ص١٥ ـ ١٧.

نكلّمك فإنّا نتوب، وأسمع صارخاً من الجبل يقول: لا تكلّمهم وقل لهم: إخسؤوا فيها ولا تكلّمون، قلت: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: كلٌّ فرعون عتا على الله وحكى الله عنه فعاله، وكلّ من علّم العباد الكفر، قلت: من هم؟ قال: نحو قورس [بولس] الذي علّم اليهود أنّ عزيراً ابن الله، ونحو نسطور الذي علّم النصارى أن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذي قال: أنا ربّكم الأعلى، ونحو نمرود الذي قال: قهرت الأرض وقتلت من في السماء، وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل فاطمة عليها السلام وقاتل المحسن [ظ: محسن] وقاتل الحسن والحسين عليهما السلام، فأما معاوية وعمرو بن العاص فما يطمعان في الخلاص ومعهم كلٌّ من نصب لنا العداوة وعاون علينا بلسانه ويده..»[1].

(٨) وقال علم الهدى السيد المرتضى (المتوفى عام ٤٣٦هـ):

«قد روى أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ـ وحاله في الثقة عند العامة، والبعد عن مقاربة الشيعة، والضبط لما يرويه معروف ـ: حدّثني بكر بن الهيثم، قال: حدّثنا عبد الرزّاق، عن معمر، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى عليّ حيث قعد عن بيعته وقال: ائتني به بأعنف العنف، فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال عليّ: احلب حلباً لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤمّرك غداً، وما تنفّس على أبي بكر هذا الأمر، لكنّا أنكرنا ترككم مشاورتنا وقلنا: إن لنا حقاً لا تجهلونه.

وهذا الخبر يتضمّن ما جرت عليه الحال وما يقوله الشيعة بعينه، وقد أنطق الله به رواتهم، وقد روى البلاذري، عن المدائني عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التميمي، وعن ابن عون أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد بيعته فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب! أتراك محرقاً عليّ بابي؟! قال: نعم وذلك أقوى مما جاء به أبوك، وجاء عليٌّ فبايع.

---

(١) الاختصاص ص٣٤٤ ط/ المفيد بيروت وص١٨٥ ـ ١٨٦، ولاحظ أيضاً: أماليه ص٤٩.

وهذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة وإنما الطريف أنْ يرويه شيوخ محدّثي العامة، لكنهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامة، وربما تنبّهوا على ما في بعض ما يروونه عليهم فكفّوا عنه؛ وأيُّ اختيار لمن يُحرق عليه بابه حتى يبايع؟!

وقد روى إبراهيم بن سعيد الثقفي، قال: حدّثنا أحمد بن عمرو البجلي، قال: حدّثنا أحمد بن حبيب العامري، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: والله ما بايع عليٌّ عليه السلام حتى رأى الدخان قد دخل بيته[1].

وقال قدّس سرّه في موضع آخر من كتابه الشافي:

فأما قوله ـ أي قاضي القضاة المعتزلي ـ: «إنّ حديث الإحراق ما صحّ، ولو صحّ لم يكن طعناً لأن له أنْ يهدّد من امتنع من المبايعة إرادةً للخلاف على المسلمين»! فقد بيّنا أن خبر الإحراق قد رواه غير الشيعة ـ ممّن لا يتّهم على القوم ـ وإنّ دفع الروايات بغير حجّة أكثر من نفس المذاهب المختلف فيها لا يجدي شيئاً، والذي اعتذر به من حديث الإحراق إذا صح ظريف، وأي عذر لمن أراد أن يحرق على أمير المؤمنين وفاطمة منزلهما؟! وهل يكون في مثل ذلك علّة يُصغى إليها أو تسمع؟ وإنما يكون مخالفاً للمسلمين وخارقاً لإجماعهم إذا كان الإجماع قد تقرر وثبت، وإنما يصحّ لهم الإجماع متى كان أمير المؤمنين عليه السلام ومَنْ قعد عن البيعة ممّن انحاز إلى بيت فاطمة سلام الله عليها داخلاً فيه وغير خارج عنه؛ وأيّ إجماع يصحّ مع خلاف أمير المؤمنين عليه السلام وحده، فضلاً عن أنْ يبايعه على ذلك غيره، وهذه زلة من صاحب الكتاب وممن حكى احتجاجه.

وبعد، فلا فرق بين أنْ يهدّد بالإحراق للعلّة التي ذكرها، وبين ضرب فاطمة سلام الله عليها لمثل هذه العلّة، فإنّ إحراق المنازل أعظم من ضربه بالسوط، وما

---

(١) الشافي في الإمامة ص٢٠٤ طبعة حجرية، إيران، تلخيص الشافي ج٣/ ٧٥ ط/ دار الكتب ـ إيران، والبحار ج٢٨/ ٣٨٩.

يحسن الكبير ممن أراد الخلاف على المسلمين أولى بأنْ يحسن الصغير، فلا وجه لامتعاض صاحب الكتاب من ضربة السوط وتكذيب ناقلها وعنده مثل هذا الاعتذار[١].

(٩) ما أفاده شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي (المتوفى عام ٤٦٠هـ) بدعواه الإجماع على مظلوميتها عليها السلام، فقال:

«ومما أنكر عليه ـ أي أبي بكر ـ ضربهم لفاطمة عليها السلام، وقد روي: إنهم ضربوها بالسياط، والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة، أن عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسمي السقط (محسناً)، والرواية بذلك مشهورة عندهم وما أرادوا من إحراق البيت عليها ـ حين التجأ إليها قوم، وامتنعوا من بيعته ـ وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك، لأنّا قد بيّنا الرواية الواردة من جهة العامة من طريق البلاذري وغيره، ورواية الشيعة مستفيضة به، لا يختلفون في ذلك..»[٢].

وهكذا تسالم على مظلوميتها كلُّ من جاء بعد الطوسي عليه الرحمة أمثال الشيخ الطبرسي في الاحتجاج[٣] والديلمي في الإرشاد[٤]، والطبري في دلائل الإمامة[٥]، والخواجه نصير الدين الطوسي في تجريد الاعتقاد[٦]، والحلّي في كشف المراد ونهج الحق[٧]، والمجلسي الأول في روضة المتقين[٨]، والمجلسي الثاني في البحار[٩].

---

(١) نفس المصدر ج٤/ ١١٩ ط/ مؤسسة الصادق ـ طهران؛ وص٢٤٠ طبعة حجرية، إيران.

(٢) تلخيص الشافي للطوسي ج٣/ ١٥٦ ط/ دار الكتب الإسلامية ـ قم.

(٣) ج١/ ١٠٩.

(٤) ج٢/ ٢٦٣.

(٥) ص٤٦.

(٦) ص٤٠٢.

(٧) ص٤٠٢.

(٨) ج٥/ ٣٤٢ـ٣٤٦.

(٩) ج٢٣/ ٢٣٥ وج٢٨/ ٢٦١.

وهكذا ذكرها السيوري في شرح باب حادي عشر[1]، والاربلي في كشف الغمة[2]، والنباطي البياضي في الصراط المستقيم[3]، والمحقق الكركي في نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت[4]، والشهيد القاضي التستري في إحقاق الحق[5]، والفيض الكاشاني في علم اليقين[6]، والحر العاملي في إثبات الهداة[7].

كما أن العلاّمة الأميني قد ذكرها في الغدير[8]، وشرف الدين في المراجعات[9] والمجالس الفاخرة[10]، والمظفر في دلائل الصدق[11].

وبالجملة، فكل من كتب بإنصاف في مسألة فدك والخلافة فقد تطرق إليها عدا من غلبت عليه التقية والمداراة، فأخفى مظلوميتها روحي فداها، وهذه الشرذمة ـ وإن أخفت ظلاماتها ـ إلاّ أن ما ظهر بشأن ذلك كان كنور الشمس في رابعة النهار، وهل يخفى على ذي حجى؟! لا وربّ الراقصات.

كما لا يخفى أن سيرة المتدينين كانت جارية وما زالت على الحزن على الصدّيقة الطاهرة الزكية بسبب ما جرى عليها من الظلم والحيف من قبل أبي بكر وعمر وأتباعهما، هذا مضافاً إلى ما نظمه الشعراء والأدباء في مظلوميتها وشكايتها

---

(١) ص١١١ ط/ دار الأضواء.
(٢) ج٢/ ١٣٢.
(٣) ج٣/ ١٢.
(٤) ص٧٨، مخطوطة.
(٥) ج٢/ ٣٧٠.
(٦) ج٢/ ٦٨.
(٧) ج٢/ ٣٦٠ ح١٦٦.
(٨) ج٧/ ٧٤ و٨٥ و٨٦.
(٩) المراجعة رقم ٨٣.
(١٠) ص٣٥.
(١١) ج٣/ ٥٣.

من بعض أصحاب النبي ﷺ، وسيرة كهذه تعتبر دليلاً على صحة وقوع القضية، وإلا فإن التشكيك أيضاً في السيرة مع توفر النصوص المتواترة على ظلامتها، دليلٌ آخر على عدم إيمان ذاك المشكّك بمظلومية الصدّيقة الطاهرة الشهيدة.

وها باقة من شعر محبي أهل البيت عليهم السلام حيث تفجرت قرائحهم على مآسي أئمتهم، حيث آلمهم المصاب الجلل على مصيبة سيّدة النساء فاطمة البتول عليها السلام عامة، وفي خبر المسمار خاصة، وظل خبر المسمار الدامي الذي نبت في صدر الصدّيقة تتذاكره الشيعة جيلاً بعد جيل. وأشعار هؤلاء يعتبر سنداً تاريخياً قوياً، ومضمونه يؤكد ما رواه المحدثون والمؤرخون لا سيما أن بعضهم كان معاصراً للأئمة عليهم السلام أو كان قريباً من عصرهم، مما يجعل القضية في دائرة المسلمات عند الإمامية.

فها هو الشيخ الكبير المحقّق محمّد حسين الأصفهاني الغروي النجفي أعلى الله مقامه الشريف (المتوفى عام ١٣٦١هـ) يقول في قصيدة طويلة له:

أيضرم النارُ بباب دارها ... وآية النور على منارها

وبابها باب نبيّ الرحمة ... وباب أبواب نجاة الأمّة

بل بابها باب العليّ الأعلى ... فثمّ وجه الله قد تجلّى

ما اكتسبوا بالنار غير العار ... ومن ورائه عذاب النار

ما أجهل القوم فإنّ النار لا ... تطفىء نور الله جلّ وعلا

لكنّ كسر الضلع ليس ينجبر ... إلا بصمصام عزيز مقتدر

إذ رضّ تلك الأضلع الزكية ... رزية لا مثلها رزيّة

ومن نبوع الدم من ثدييها ... يعرف عظم ما جرى عليها

وجاوزوا الحدّ بلطم الخدِّ ... شلّت يد الطغيان والتعدّي

فاحمرّت العين وعين المعرفة ... تذرف بالدمع على تلك الصفة

ولا تزيل حمرة العين سوى ... بيض السيوف يوم ينشر اللوى

وللسياط رنّة صداها ... في مسمع الدهر فما أشجاها

والأثر الباقي كمثل الدّملج — في عضد الزهراء أقوى الحجج

ومن سواد متنها اسودّ الفضا — يا ساعدَ الله الإمام المرتضى

ووكز نعل السيف في جنبيها — أتى بكلّ ما أتى عليها

ولستُ أدري خبر المسمار — سل صدرها خزانة الأسرار

وفي جنين المجد ما يدمي الحشى — وهل لهم إخفاء أمر قد فشى

والباب والجدار والدماء — شهود صدق ما به خفاء

لقد جنى الجاني على جنينها — فاندكّت الجبال من حنينها

أهكذا يصنع بابنة النبيّ — حرصاً على المُلك فيا للعجب

أتمنع المكروبة المفروحة — عن البكاء خوفاً من الفضيحة

تالله ينبغي لها تبكي دما — ما دامت الأرض ودارة السما

لفقد عزّها أبيها السّامي — ولاهتضامها وذلُّ الحامي

أتُستباح نحلة الصدّيقة — وإرثها من أشرف الخليقة

كيف يردّ قولها بالزّور — إذ هو ردّ آية التطهير

أيُؤخذ الدِّين من الأعرابي — وينبذ المنصوص في الكتاب

فاستلبوا ما ملكت يداها — وارتكبوا الخزية منتهاها

يا ويلهم قد سألوها البيّنة — على خلاف السنّة المبيّنة

وردّهم شهادة الشهود — أكبر شاهد على المقصود

ولم يكن سدّ الثغور غرضا — بل سدّ بابها وباب المرتضى

صدّوا عن الحق وسدّوا بابه — كأنّهم قد آمنوا عذابه

أبضعة الطهر العظيم قدرها — تُدفن ليلاً ويعفى قبرها

ما دُفنت ليلاً بستر وخفا — إلا لوجدها على أهل الجفا

ما سمع السامع فيما سمعا — مجهولة بالقدر والقبر معا

يا ويلهم من غضب الجبّار — بظلمهم ريحانة المختار(١)

---

(١) ديوان الأصفهاني المعروف بـ«الأنوار القدسية».

وقال السيّد باقر بن السيّد محمّد الهندي (المتوفى عام ١٣٢٩هـ):

أوتدري لِمَ أحرقوا الباب بالنار أرادوا إطفاء ذاك النور
أوتدري ما صدر فاطم ما المسمار ما حال ضلعها المكسور
ما سقوط الجنين ما حمرة العين وما بال قرطها المنثور
دخلوا الدار وهي حسرى بمرأى من عليّ ذاك الأبي الغيور
واستداروا بغياً على أسد الله فأضحى يقاد قود البعير
والبتول الزهراء في إثرهم تعثر في ذيل بردها المجرور
بأنين أورى القلوب ضراماً وحنين أذاب صمّ الصخور
ودعتهم: خلوا ابن عمي عليّاً أو لأشكو إلى السميع البصير
ما رعوها بل روّعوها ومرّوا بعليّ ملبّباً كالأسير
وعليٌّ يرى ويسمع والسيف رهيف والباع غير قصير
قيدته وصية من أخيه حمّلته ما ليس بالمقدور
أفصبراً يا صاحب الأمر والخطب جليل يذيب قلب الصبور
كم مصاب يطول فيه بياني قد عرى الطهر في الزمان القصير
كيف من بعد حمرة العين منها يا ابن طه تهنى بطرف قرير
فابكِ وازفر لها فإنّ عداها منعوها من البكا والزفير
وكأني به يقول ويبكي بسلوّ نزرٍ ودمعٍ غزير
لا تراني اتخذت لا وعلاها بعد بيت الأحزان بيت السرور
فمتى يا ابن فاطم تنشر الطاغوت والجبت قبل يوم النشور[1]

وقال الشيخ مفلح الصيمري (المتوفى عام ٩٠٠هـ):

فجاءوا إليها يهرعون فأقبلت عليهم وقالت فاسمعوا ثم افهموا
صداقي عليكم ظلم آل محمد وشيعتهم أهل الفضائل منهم

---

(١) رياض المدح والرثاء ص١٩٧.

فقالوا رضينا بالصداق وأسرجوا على حربهم خيل الضلال وألجموا
وشنوا بها الغارات من كل جانب وخصوا بها آل النبي وصمموا
أزالوهم بالقهر عن إرث جدهم عناداً وما شاؤا أحلوا وحرموا
وقادوا عليّاً في حمائل سيفه وعمار دقوا ضلعه وتهجموا
على بيت بنت المصطفى وإمامهم ينادي ألا في بيتها النار أضرموا
وتغصب ميراث النبيّ محمّد وتوجع ضرباً بالسياط وتلطم[1]

وقال السيّد صدر الدين الصّدر (المتوفى عام ١٣٧٣هـ) في إحدى مرثياته:

من سعى في ظلمها من راعها من علا فاطمة الزهراء جارا
من غدا ظلماً على الدار التي اتخذتها الإنس والجن مزارا
طالما الأملاك فيها أصبحت تلثم الأعتاب فيها والجدارا
ومِنَ النار بها ينجو الورى مَنْ على أعتابها أضرم نارا
والنبيّ المصطفى كم جاءها يطلب الإذن من الزهراء مرارا
وعليها هجم القوم ولم تك لاذت لا وعلياها الخمارا
لستُ أنساها ويا لهفي لها إذْ وراء الباب لاذت كي توارا
فتك الرجس على الباب ولا تسألن عمّا جرى ثم وصارا
لا تسلني كيف رضّوا ضلعها واسألنَ الباب عنها والجدارا
وسألن لؤلؤ قرطيها لما انتثرت والعين لم تشكو احمرارا
وهل المسمار موتور لها فغدا في صدرها يطلب ثارا[2]

وقال الأديب المعاصر يحيى عبد الأمير شامي العاملي (المولود عام ١٩٣٧م):

---

(١) المنتخب للطريحي ص١٣٧ ط/ الأعلمي.

(٢) الأسرار الفاطمية ص١٢٦ محمد فاضل المسعودي؛ والكوثر في أحوال فاطمة عليها السلام للسيد محمد باقر الموسوي ج٧/ ٢٣.

ما شئت قلْ فيها، ألا، قل فيها ... ما شئتَ، فهي الطّهر أمُّ أبيها

فَطَمَتْ محبيها عن النار التي ... يصلى بها مترنحاً صاليها

زهراءُ، ما هذي النجومُ الزُّهرُ ما ... شمسٌ، وما قمرٌ هناك يليها

حوراءُ ما حمل النساءُ كمثلها ... لقبُ البتول لوحده يكفيها

ما لي إذا ذكروا البتول فأدمُعي ... فاضت على الخدّين ما أخفيها

وتفطّرتْ كبدي أسىً، ألأنّهم ... همُّوا بحرق الدار إذ هي فيها

أمْ لإنكسار الضِّلع، واهاً ما الذي ... فعلوه، واهاً، ثم إيهاً إيها

أمْ للجنين السُّقْط سال دِماغُه ... من فرط ضغط الباب ما ينجيها

منهم قرابتُها لأحمدَ، ويحهم ... يا بئس ما اقترفت يدا جانيها

قد أسخطوا الباري بسُخط نبيّهم ... وهو الذي يؤذيه ما يؤذيها

ولكم بها أوصى وقبّل نحرها ... يستافُ ريحَ جِنانها من فيها

يشكو إليها ما تُلاقي بعده ... وإليه كم أفضتْ بما يشجيها

أمَّ المصائب يا بتول. وكم شجٍ ... لِشجاك فهو مُدَلَّهٌ تدليها

ما كان أعظمَ ما أصابكِ من أذى ... أدناه كم كبدٍ لظىً يكويها

هضموك أرضاً عن أبيكِ ورثتِها ... زعماً بأنّك لستِ من أهليها

عجباً، وهل بخلاف شرعِ محمدٍ ... يُقضى، فواعجباه من قاضيها

يا بنتَ أشرفِ والدٍ، يا زوجَ مَنْ ... هزم الصفوفَ بسيفه يفريها

يا أمّ سادات الورى مَنْ حُبُّهم ... منجىً ومن قد نُزّهوا تنزيهاً

لي يا بتولُ أمانةٌ أودعتُها ... ذخراً لديك لحاجةٍ أقضيها

أن تشفعي في الحشر لي كم زلّةٍ ... قارفتُها سفهاً وما أحصيها

فبحق جاهِكِ عند ربّك فاشفعي ... رُدّي عليّ أمانتي رُدّيها[1]

وللسيّد محمّد نجل السيّد جمال الدين الكلبايكاني (المتوفى عام ١٣٩٧هـ):

شعّت فلا الشمس تحكيها ولا القمر ... زهراء من نورها الأكوان تزدهر

---

(١) ديوان «محض الولاء»/ الاستاذ يحيى شامي ص٤١.

بنت الخلود بها الأجيال خاشعة ... أم الزمان إليها تنتهي العصر
روح الحياة فلولا لطف عناصرها ... لم تأتلف بيننا الأرواح والصور
سمت عن الأفق لا روح ولا ملك ... وفاقت الأرض لا جن ولا بشر
مجبولة من جلال الله طينتها ... يرف لطفاً عليها الصّون والخفر
خصالها الغر جلّت أنْ تلوك بها ... منا المقاول أو تدنو لها الفكر
معنى النبوّة سرّ الوحي قد نزلت ... في بيت عصمتها الآيات والسّور
حوت خلال رسول الله أجمعها ... لولا الرسالة ساوى أصله الثمر
تدرّجت في مراقي الحقّ عارجة ... لمشرق النور حيث السر مستتر
ثم انثنت تملأ الدنيا معارفها ... تطوي القرون عياءً وهي تنتشر
قل للذي راح يخفي فضلها حسداً ... وجه الحقيقة عنّا كيف ينستر
أتقرن النور بالظلماء مِن سفهٍ ... ما أنت في القول إلا كاذب أشر
بنت النبيّ الذي لولا هدايته ... ما كان للحق عين ولا أثر
هي التي ورثت حقاً مفاخره ... والعطر فيه الذي في الورد مدخر
في عيد ميلادها الأملاك حافلة ... والحور في الجنّة العليا لها سمر
تزوّجت في السماء بالمرتضى شرفاً ... والشمس بقرنها في الرتبة القمر
على النبوّة أضفت في مراتبها ... فضل الولاية لا تبقي ولا تذر
أمُّ الأئمة من طوعا لرغبتهم ... يعلو القضاء بنا أو ينزل القدر
قف يا يراعي عن مدح البتول ففي ... مديحها تهتف الألواح والزّبر
وارجع لتستخبر التاريخ عن نبأ ... قد فاجأتنا به الأنباء والسِّير
هل أسقط القوم ضرباً حملها فهوت ... تأنّ مما بها والضلع منكسر
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت ... وراه نادبة والدمع منهمر
إنْ كان حقاً فإنّ القوم قد مرقوا ... عن الهدى وبدين الله قد كفروا[1]

---

(١) وفاة الصدّيقة فاطمة الزهراء للمقرم ص١٩ ـ ٢٠؛ ونخبة البيان في تفضيل سيدة النسوان للسيد عبد الرسول الشريعتمداري ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

وللشيخ محمد علي اليعقوبي:

رأى برقَ حزوى فاستهلّت دموعه — وهاجَ بمن يهواه فيها ولوعُهُ
خليليَّ ما لي كلّما صنتُ في الحشا — هوايَ بدا دمع الشجون يذيعُهُ
أحنّ لعهدٍ قد خلا بعدما حلى — وهيهات يرجى عودُهُ ورجوعُه
لِيَ الله كم نهنهتُ قلبي عن هوىً — تحمَّلَ منه فوقَ ما يستطيعُهُ
وكفكفتُ من طرفي الدموعَ فلم تكن — لغير بني الزهراء تهمي دموعُهُ
وخطبٌ جرى بالطفّ لم يُنسَ وقعُهُ — ولم تلتئم طول الزمان صدوعُهُ
عشيّةَ أمسى منزل البغي آهلاً — ومنزلُ وحي الله أقوتْ ربوعُهُ
لقد كان من يوم السقيفة أصلُهُ — وكلّ الرزايا الحادثات فروعُهُ
فما عذرهم عند النبيّ ولم يزل — يرى كلَّ آن منهم ما يروعُهُ
أفي غصبهم حقَّ الوصيّ وظلمهم — لبضعته الزهراء يُجزى صنيعُهُ
لو أنَّ رسول الله ينظر فاطماً — تنوحُ ولم تهجع لعزّ هجوعُهُ
فلولا جنينٌ أسقطوه لما هوى — صريعاً على صدر الحسين رضيعُهُ
ومنْ رضّهم ضلع البتولة قد غدتْ — تُرضّ بجري الصافناتِ ضلوعُهُ[1]

وللسيّد صالح الحلّي من تلامذة صاحب «الكفاية»:

يا مدرك الثار! البدار البدار — شنّ على حرب عداك المغار
يا صاحب العصر! أترضى رحى — عصارة الخمر علينا تدار؟
قد ذهب العدل وركن الهدى — قد هدّ والجور على الدين جار
أعِنْ رعاك الله من ناصر — رعية ضاقت عليها القفار
تنسى على الدار هجوم العدى — مذ أضرموا الباب بجزل ونار
ورضّ من فاطمة ضلعها — وحيدر يقاد قسراً جهار
تعدو وتدعو خلف أعدائها — يا قوم! خلّوا عن عليّ الفخار

---

(١) اعلموا أني فاطمة للشيخ عبد الحميد المهاجر ج٩/ ١٨٢.

قد أسقطوا جنينها واعترى ... من لطمة الخدّ العيون احمرار

فما سقوط الحمل؟ ما صدرها؟ ... ما لطمها؟ ما عصرها بالجدار؟

ما وكزها بالسيف في ضلعها؟ ... وما انتشار قرطها والسوار؟

ما ضربها بالسوط ما منعها ... من البكاء وما لها من قرار؟

ما الغصب للعقار منهم وقد ... أنحلها ربّ الورى للعقار؟

ما دفنها بالليل سرّاً وما ... نبش الثرى منهم عناداً جهار؟

تعساً لهم في ابنة ما رعوا ... نبيّهم وقد رعاهم مرار..[1]

وللشيخ صالح الكوّاز رحمه الله:

عقدت بيثرب بيعة قضيت بها ... للشرك منه بعد ذاك ديون

برقيّ منبره رقي في كربلا ... صدر وضرّج بالدماء جبين

لولا سقوط جنين فاطمة لما ... أذي لها في كربلا جنين

وبكسر ذاك الضّلع رضّت أضلع ... في طيّها سرّ الإله مصون

وكذا عليٌّ قوده بنجاده ... فله عليٌّ بالوثاق قرين

وكما لفاطم رنّة من خلفه ... لبناتها خلف العليل رنين

ويزجرها بسياط قنفذ وُشّحت ... بالطفّ من زجر لهنّ متون

وبقطعهم تلك الأراكة دونها ... قطعت يد في كربلاء ووتين[2]

وللقاضي أبي بكر بن قريعة (المتوفى عام ٣٦٧هـ):

يا من يسائل دائباً ... عن كلّ معضلةٍ سخيفة

لا تكشفنّ مُغَطّاً ... فلربما كشفت جيفة

ولربّ مستور بدا ... كالطبل من تحت القطيفة

إنّ الجواب لحاضرٌ ... لكنني أخفيه خيفة

---

(١) الكوثر في أحوال فاطمة عليها السلام ج٧/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) نفس المصدر ج٧/ ٢٦.

لـــــولا اعتــــــداء رعيّـــــة ... ألقـــى سيـــاستهـــا الخليفـــة
وسيـــــوف أعـــــداء بهـــــا ... هـــامـــاتنـــا أبـــدى نقيفـــة
لنشـــــرت مــــــن أســــرار آ ... ل محمّـــد جمـــلاً طـــريفـــة
تغنيكــــــم عمّـــــا رواه ... مـــالــــك وأبـــو حنيفـــة
وأريكــــم أنّ الحسيـــــن ... أصيـــب فـــي يـــوم السقيفـــة
ولأيّ حــــال لُحّـــــدت ... بـــالليـل فـــاطمـــة الشـــريفـــة؟
ولمـــا حمـــت شيخيكـــم ... عـــن وطـــيء حجـــرتهـــا المنيفـــة؟
أوّه لبنــــت محمّــــد ... مـــاتـــت بغصّتهـــا أسيفـــة[1]

ولبعض المتأخرين:

إنْ قيل: حوّا، قلت: فاطم فخرها ... أو قيل: مريم، قلت: فاطمة أفضل
أفهـــل لحـــوّا والـــدٌ كمحمّـــد ... أمْ هـل لمـريـم مثـل فـاطـم أشبـل
كـلٌّ لهـا حيـن الـولادة حـالـة ... منهـا عقـول ذوي البصـائـر تـذهـل
هـذي لنخلتهـا التجـت فتسـاقطـت ... رطبـاً جنيّـاً فهـي منـه تـأكـل
وضعـت بعيسـى وهـي غيـر مروعـة ... أنّـى وحـارسهـا السـريّ الأبسـل
وإلى الجدار وصفحة الباب التجت ... بنـت النبـيّ فـأسقطـت مـا تحمـل
سقطـت وأسقطـت الجنيـن وحـولهـا ... مـن كـلّ ذي حسـب لئيـم جحفـل
هـــذا يعنّفهـــا وذاك يـــدعّهـــا ... ويـــردّهـــا هـــذا وهـــذا يـــركـــل
وأمـــامهـــا أســـد الأســـود يقـــوده ... بـالحبـل قنفـذ هـل كهـذا معضـل؟
ولسـوف تـأتـي فـي القيـامـة فـاطـم ... تشكـــو إلـــى ربّ السمـــاء وتعـــول
ولتـــرفعـــنّ جنينهـــا وحنينهـــا ... بشكـايـة منهـا السمـاء تتـزلـزل[2]

وللشيخ حسن الحلّي (المتوفى عام ١٣٣٧هـ):

---

(١) نفس المصدر ج٧/ ٢٧.
(٢) نفس المصدر ج٧/ ٢٩.

سلْ أربعاً فطمت أكنافها السّحب عن ساكنيها متى عن أفقها غربوا
سرعان ما صاح طير البين بينهم فأصبحوا فرقاً عن عقرها عزبوا
سرت تجوب الفيافي فيهم النجب ولي فؤاد قفا آثارهم يجبُ
أتبعتهم ناظراً خيل الدموع به تسابقت فهو دامي الغرب مختضبُ
أضحت منازلهم للوحش معتكفاً فيهن طير الفنا ينعى وينتحبُ
لم يبق منها سوى رسم وذي شعث رأس أشجّ علت من فوقه الكتبُ
وذي انحناء كجسم الصب تحسبه نوناً بها عجم شين الخط قد كتبوا
أوهت قواعدها كف الضنان فعفت آثارها ومحت سيماءه النّوبُ
وقفت فيها ودمع العين منسكب كالغيث والنار في الأحشاء تلتهبُ
وبي لواعج وُجْدٍ لو رميت بها صدر الفضا ضاق وهو الواسع الرّحبُ
حيران أقبض في رعش البنان حشاً حرّى أناخت بها الأحزان والكربُ
وقائل لي رفه عن حشاك ولي وجْدٌ إذا نزا بالقلب يضطربُ
فقلت: لم يشجني نأي الخليط ولا ربع محت رسمه الأعوام والحقبُ
لكن أذاب فؤادي حادث جَلَلٌ تُنمى إليه الرزايا حيث تنتسبُ
يوم قضى المصطفى في صبحه وعلى الأعقاب من بعده أصحابه انقلبوا
قادوا أخاه ورضّوا ضلع بضعته بجورهم ولها البغضاء قد نصبوا
لم أنسها هي تنعاه وتندبه وقلبها بيد الأرزاء منتهبُ
تقول: يا والدي! ضاق الفضاء بنا لمّا مضيت وحالت دونك الكربُ
(قد كان بعدك أنباء وهبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا)
نفوا أخاك عليّاً عن خلافته وشيخ تيم عناداً منهم نصبوا
كقوم موسى أطاعوا العجل واعتزلوا هارون، والسّامري الرجس قد صحبوا
ويلٌ لهم! نبذوا القرآن خلفهم ومزّقوه عناداً بئس ما ارتكبوا
ما راقبوا غضب الجبّار حين إلى المختار أحمد قول «الهجر» قد نسبوا

ألغوا وصاياه في أهليه وانتهبوا ... ميراثه وإلى حرمانهم وثبوا
جاروا على ابنته من بعده فغدت ... عبرى النواظر حزناً دمعها سربُ
وجرّعوها خطوباً لو وقعن على ... صمّ الجبال لأضحت وهي تضطربُ
أبضعة الطهر طه نصب أعينهم ... بالباب يعصرها الطاغي وما غضبوا؟
رضّوا أضالعها أجروا مدامعها ... أدموا نواظرها ميراثها نهبوا
لبيتها وهي حسرى في معاصمها ... عدو فلاذت وراء الباب تحتجبُ
فألموا عضديها في سياطهم ... وأسقطوا حملها والمرتضى سحبوا
قادوه بالحبل قهراً وهي خلفهم ... تدعو وأدمعها كالغيث ينسكبُ
يا قوم! خلّوا ابن عمي قبل أن تقع ... الخضراء فوق الثرى والكون ينقلبُ
فقنعوها بقرع الأصبحيّة لا ... عداهموا سخط الجبار والغضبُ
ووشّحوا متنها بالسوط فانكفأت ... لدارها وحشاها ملؤه عطبُ
حرّى الفؤاد يروي الأرض مدمعها ... فكلما سال هذا ذاك يلتهبُ
قد حارب النوم عينيها وأنحلها ... فرط البكاء وأضنى جسمها التعبُ
ما بارحت قلبها الأحزان ذات حشاً ... حرّى إلى أنْ أُهيلت فوقها التُّرَبُ
قضت وفي جنبها أثر السياط وفي ... فؤادها للرزايا جحفل لجبُ
ما شيّعوا نعشها السامي علا ولقد ... تزاحمت خلفها الأملاك تنتحبُ
سلّوا ضبا الظلم من أغمادها فغدا ... في حدّها سبط طه الطهر يعتصبُ
ثاوٍ بحرّ هجير الشمس مجندلاً ... تظلّله السّمر والهندية القضبُ
جالت عليه العوادي بعدما نهبت ... أشلاءه البيض والعسالة السلبُ
يا ثاوياً بمحاني الطفّ قد سلبوا ... ثيابه وكست جثمانه الكثبُ
«تالله ما سيف شمر نال منك ولا ... يدا سنان وإنْ جلّ الذي ارتكبوا
لولا الأولى أغضبوا ربّ العلى وأبوا ... نصّ الولاء وحقّ المرتضى غصبوا
كفٌّ بها أمّك الزهراء قد ضربوا ... هي التي أختك الحوراء بها سلبوا»
فدونكم يا بني الزهراء مرثية ... إنْ تتل شجواً فقلب الصخر ينشعبُ

أرجو خلاصي بها يوم لا سبب ... يغني سواكم ولا مالٌ ولا حسبُ
عليكم صلوات الله ما طلعت ... في الأفق شمس ولاحت أنجم شهبُ[1]

وله أيضاً قدّس الله سره الشريف:

لا رعى الله «قيلة» وعراها ... سخط موسى وحلّ منها عراها
أغضبت أحمداً بعزل إمام ... فيه كم آية جهاراً تلاها
واجهته بما لهارون قد ما ... واجهت قومه ضلالاً سفاها
أخّرته وأمّرت شيخ «تيم» ... سرّ كفرانها وقطت شقاها
حالفته على الضلال وحادت ... عن أخي المصطفى منار هداها
أحدثت للورى أحاديث كذب ... لا نبيّ ولا وصيّ رواها
أسخطت ربّها فلا رضي الـ ... ـرحمان عنها وخالفت نصّ طاها
فلكم قال: وارثي ووصيي ... «حيدر» وهو للورى مولاها
هو مني كمثل هارون وهو ... الفلك للعالمين فيه نجاها
فاحفظوا لي وصيتي بابن عمي ... إنّه للعلوم شمس سماها
أيُّها القوم! إن بعدي كتاب الله ... فيكم وعترتي لن تضاهى
إنّ من صدّ عنهما كبرياء ... فله النار في غد يصلاها
فغدا منهم يقاسي كتاب الله ... هجراً والآل فرط جفاها
حاربوا «فاطماً» وقد فرض الله ... على الخلق حبّها وولاها
لقيت منهم خطوباً عظاماً ... لا يطيق الطود الأشمّ لقاها
كسر ضلع وغصب إرث ولطماً ... واهتضاماً منه استطال عِناها
أخرجوها من المدينة قهراً ... مذ أطالت لفقد «طه» نعاها
وعلى هضمها تواطأت الأنصار ... سرّاً وأظهرت بغضاها
عزلت بعلها عن الحلّ والعقد ... عناداً وأمّرت أدعياها
غصباها تراثها ولظى الو ... جد وفرط السقام قد أورثاها

---

(١) وفاة الصديقة الزهراء للمقرّم(قده) ص١٣٥ ـ ١٣٨.

دفعــاهــا عنــه عنــاداً وظلمــاً مــزّقــا صكهــا ومــا راعيــاهــا
وادّعــت نحلــة لهــا مــن أبيهــا سيّــد الأنبيــاء فلــم ينحــلاهــا
فــانثنــت والفضــاء ضــاق عليهــا وشــواظ الــزفيــر حشــو حشــاهــا
وأتــت دارهــا تجــرّ رداهــا والجــوى كــان أنْ يــريهــا رداهــا
فــأتــوا دارهــا وأداروا الجــز ل كــي يحــرقــوا عليهــا خبــاهــا
عصــروهــا بــالبــاب قســراً إلــى أن كسّــروا ضلعهــا وهــدّوا قــواهــا
ألجــأوهــا إلــى الجــدار فــألقــت «محسناً» وهــي تنــدب الطهــر طــاهــا
دخلــوا الــدار وهــي حســرى فقــادوا بنجــاد الحســام حــامــي حمــاهــا
بــرزت خلفهــم تقــوم وتكبــوا وحشــاهــا ذابــت بنــار شجــاهــا
وعلــى رأسهــا قميــص أبيهــا وعلــى متنهــا استــوى فــرخــاهــا
وهــي تعــدو خلــف الــوصــي وتــدعــو بــانكســار فلــم يجيبــوا نــداهــا
أيّهــا القــوم! أطلقــوا صفــوة الله إمــام الأنــام عقــد ولاهــا
أو لأدعــو الله العظيــم بشجــو فتخــرّ الخضــرا علــى غبــراهــا
فــأتــاهــا العبــد المشــوم فــأدمــى متنهــا فــانثنــت تطيــل بكــاهــا
وهــي منهــم بمسمــع وبمــرأى نصــب عينهــم تقــاســي أذاهــا
آذيــاهــا عنــد الحيــاة ولمّــا حضــرتهــا الــوفــاة مــا شيّعــاهــا
دفنــت فــي الــدجــى وعفــى «علــيّ» قبــرهــا ليتــه استطــال دجــاهــا
أفمثــل ابنــة النبــيّ يــوارى شخصها في الدجى ويُعفى ثراها؟[1]

وللسيّد محمد نجل السيّد جمال الهاشمي:

أيّ خطــب يبكــي عليــه خطــابــي ومصــاب قــد شــاب شهــدي بصــاب
ءآه يــوم الــزهــراء أيّ فــؤادي علــوي عليــك غيــر مــذاب
لــك فــي الــدهــر رنّــة رددتهــا بخشــوع أجيــالــه واكتئــاب

---

(1) الكوثر في أحوال فاطمة عليها السلام ج٧/ ٥٤ ـ ٥٦؛ وكتاب وفاة الصدّيقة الزهراء ص١٣٨ ـ ١٤٠.

فهـي نـار تـذكـي القـرون ونـور رف لألاؤه علــى الأحقــاب

وهــي للمجــد فيــه للســا لـك تبـدو الصحـاب غيـر صعـاب

غـاب نـور النبـي وانقطـع الـوحـي وخــارت عــزائــم الأراب

وارتمـى مـوكـب الحيـاة وجـاشـت نــزعــات النفــاق فــي الأحــزاب

فـانطـوى النـور فـي ظـلام كثيـف نشـرتـه جـرائـم الانقــلاب

وانمحـى الحـقّ والصـراحـة لمّـا سـاد عهـد الضـلال والارتيـاب

مـوقـف أربـك العصـور فـأخفـت رأيهـا فـي القلـوب والأهـداب

غضبـة الحـق ثـورة تجـرف البـاطـل فـي مـوج عـرمهـا الـوثـاب

عجـنب أمـرهـا وأعجـب منـه الهـا تنتمـي لـذات نقـاب

وإذا اللبـوة الجـريحـة ثـارت لهـث المـوت بيـن ظفـر ونـاب

شمـرت للجهـاد سيّـدة الإسـلام عـن ذيـل عـزمهـا الصخـاب

وأتـت سـاحـة الجهـاد بـإيمـا ن يـرد السيـوف وهـي نـواب

حـاكمـت عهـدهـا المـدمـى بقلـب وأغـرّ مـن شجـونهـا لهـاب

لـم تـدع للمهـاجـريـن وللأنصـار رأيـاً إلا انمحـى كـالضبـاب

واستعـانـت بـالحـقّ والحـق درع مـن أمـان وصـارم مـن صـواب

رجمتهـم بـالمخـزيـات فـآبـوا وهـم يحملـون سـوء المثـاب

حجـج كـالنجـوم ينثـرهـا الحـقّ ويـرمـي الشهـاب إثـر الشهـاب

فهـي إمـا عقـل وإمـا حـديـث جـاء عـن نـصّ سنّـة أو كتـاب

فتهـاوت أحـلامهـم كصـروح شـادهـا الـوهـم عـاليـاً فـي السـراب

آه لولا ضعف النفوس لما استرجع ركـب الهـدى علـى الأعقـاب

ولمـا عـادت الإمـارة للقـوم وجـازوا إمـامـة المحـراب

واستقـرّت هـوج العـواصـف لمّـا قـابلتهـا سيـاسـة الإرهـاب

لا خطـاب مـن عـاذل لا جـواب عـن سـؤال لا هجمـة مـن عتـاب

ومـذ انهـارت الـرجـال وعـادوا بتلـول مـن خـزيهـم وروابـي

واختفى النصّ بالولاية لمّا أظهر الكيد فكرة الانتخاب
أوقد الغدر في السقيفة ناراً علّقت في مواكب الأحقاب
وتلاشى «الغدير» إلاّ بقايا تترامى بها بطون الشّعاب
وتوالت مناظر مؤلمات مثّلتها عداوة «الأصحاب»
من هجوم الأرجاس بالنار كي تحرق بيت الأكارم الأطياب
وانكسار الضلع المقدّس بالضغط وسقط الجنين عند الباب
وانتزاع الوصي سحباً من الدار بتيّار ثورة الأعصاب
واغتصاب الحقّ الصريح جهاراً باختلاف الأعذار للاغتصاب[1]

وللسيّد عيسى الكاظمي:

خطب يذيب من الصخور صلابها ويزيل من شمّ الجبال هضابها
فلو أنّ ما قاسيت منه صادفت صم الصفا معشاره لأذابها
خطب له أمسيت أصفق راحتي وذووا المعالي منه تقرع نابها
أجداث تيم لا سقت لك حفرة ديم السحاب ويا عدمت ربابها
كلا ولا ريح الصبا لك روحت أرضاً ولا روى الغمام ترابها
قد ضمّ تربك من على إشراكها يوم السقيفة نكصت أعقابها
لم ترع ذمّة أحمد من بعده فلها أطال الله فيك عذابها
نسجت لها في الشرك برد ضلالة ومن الخيانة فصلت جلبابها
عقدت بذلك بيعة مذ دحرجت للمصطفى الهاد النبيّ (دبابها)
الله مما قد جنت إذ قدّمت من ساد فيه بنو الضلال قبابها
قد أخّرت من كان غامض علمه لمدينة العلم الرفيعة بابها
فأتتهم (الزهراء) تطلب إرثها ولهم أطالت في الكلام خطابها
فعدت تنمق تيم من إشراكها أخبار زور ما عدت كذابها
حتى إذا لم ترع ذمة أحمد فيها ولا راعت لها أنسابها

---

(١) وفاة الصديقة الزهراء للمقرّم ص١٤٦ـ١٤٧؛ الكوثر في أحوال فاطمة عليها السلام ج٧/ ٦٢ـ٦٤.

عطفت على القبر الشريف برنة ... تشكو إليه من اللئام مصابها

والله ما أدري لأي مصيبة ... تشكو فقد هدّ القوى ما نابها

ألعصرها بالباب حتى أسقطت ... أم حرقها يا للبرية بابها

أمْ لطمها حتى تناثر قرطها ... وبه تقصد (عينها) فأصابها

أمْ ضربها حتى تكسر ضلعها ... ضرباً يروم به (الزنيم) إيابها

أمْ غصبهم من بعد ذلك نحلة ... أمْ أنهم خرقوا لذاك كتابها

أمْ قودهم لإمامهم بنجاده ... كيما يبايع جهرة أذنابها

والطهر تهتف خلفهم في رنة ... ملأت من البيد القفار رحابها

ما عندهم لنبيهم فيها إذا ... ما قد تولى في المعاد حسابها

يومٌ به (الزهراء) تحمل (محسناً) ... سقطاً فتذهل للورى ألبابها[1]

وللسيّد مهدي الأعرجي تغمده الله برحمته:

ما بال عينيك دماً تنسكب ... ونار أحشاك أسىً تلتهب؟

أهل تذكرت عهوداً سلفت ... لزينب فأرقتك زينب؟

أمْ هل تشوقت ظباءً سنحت ... بالجزع أم راقك ذاك الربرب؟

أمْ هل شجتك أربع قد درست ... فأخلقت جدتهن الحقب؟

أمْ هل دهتك الحادثات مثلما ... دهت فؤادي يوم (طاها) النوب؟

يوم قضى فيه النبي نحبه ... فضلت الدنيا له تنتحب

وانقلب الناس على أعقابهم ... ولن يضر الله من ينقلب

وأقبلوا إلى (البتول) عنوة ... وحول دارها أدير الحطب

فاستقبلتهم (فاطم) وظنّها ... إنْ كلّمتهم رجعوا وانقلبوا

حتى إذا خلت عن الباب وقد ... لاذت وراها منهم تحتجب

فكسروا أضلاعها واغتصبوا ... ميراثها وللشهود كذبوا

وأخرجوا (الكرّار) من منزله ... وهو ببند سيفه ملبب

---

(١) وفاة الصديقة الزهراء ص٥٩ ـ ٦٠

يصيح أين اليوم منّي (حمزة) ينصرني و(جعفر) فيغضب
وخلفهم (فاطمة) تعثر في أذيالها وقلبها منشعب
تصيح خلوا عن (علي) قبل أنْ أدعوا وفيكم أرضكم تنقلب
فأقبل (العبد) لها يضربها بالسوط وهي بالنبي تندب
يا والدي هذا (علي) بعد عينك على اغتصابه تألبوا
واعتزلوه جانباً وأمّروا ضئيل تيم بعده ونصبوا
تجاهلوا مقامه وهو الذي بسيفه في الحرب قدَّ (مرحب)
ولو تراني والعدى تحالفوا عليَّ لما غيبتك الترب
وجرعوني صحبك الصاب وقد تراكمت منهم عليّ الكرب
ولم تزل تجرع منهم غصصاً تندك منها الراسيات الهضب
حتى قضت بحسرة مهضومة حقوقها وفيئها مستلب
وأخرج (الكرّار) ليلاً نعشها (وزينب) خلفهم تنتحب
فقال للزكي سكتها فلا يسمع جهراً صوتها المحجب
فلو يراها بالطفوف والعدى منها الرداء والخمار تسلب
تجول في وادي الطفوف كي ترى أطفالها من الخيام هربوا
ثم انثنت نحو أخيها وإذا به على وجه الثرى مخضب[1]

وللسيّد محمّد حسين الكيشوان:

ما لك لا العين تصوب أدمعا منك ولا القلب يذوب جزعا
فأيما قلب أتاه نبؤ الشورى فما ذاب ولا تصدعا
أما وعى سمعك وما جرى بها فأي سمع فاته وما وعى
وما دريت باللذين استنهضا جالية الغي فهبت سرعا
سلا من الأحقاد سيف فتنة نتاجها من الضلال البدعا
وانتهزاها فرصة فاحتلبا من ضرعها كأس النفاق مترعا

(١) نفس المصدر ص١٤٧ ـ ١٤٨؛ الكوثر ج٧/ ٦٤ ـ ٦٥.

واتعبا نهج الهدى وجانبا … من الرسول شرعه المتبعا

فليت شعري أي عذر لهما … وقد أساءا بعده ما صنعا

وأي قربى وصلا منه وعن … عترته حبل الولا قد قطعا

فقل لتيم لا هديت بعد ما … طاف أخوك بالضلال وسعى

خف لداعي الكفر نهضاً فانثنى … بثقل أعباء الشقا مضطلعا

فقام وهو يستقيل عثرة … كبا على الغي بها فلا لعا

درى بأنّ (فاطماً) بضعته … فما رأى حرمتها ولا رعى

كيف يطيب شيمة وعنصراً … وعن أروم البغي قد تفرعا

واجتمع الناس عليه ضلة … ففرقوا من الهدى ما اجتمعا

وأظهروا باطنة الكفر عمى … مذ أبصروها فرصة ومطمعا

وخالفوا نصّ الولاء بعدما … أماط عن وجه الرشاد برقعا

وغادروا حقّ البتول نهلة … تجرعوها بالضلال جرعا

وافتتنوا من ولع بسورة الـ … دنيا فهاموا بالدنايا ولعا

وأودع الثقلين فيهم فأبوا … أنْ يحفظوا لأحمد ما استودعا

وجمعوا النار ليحرقوا بها الـ … بيت الذي به الهدى تجمعا

بيت علا سمك الضراح رفعة … فكان أعلا شرفاً وأمنعا

أعزه الله فما تهبط في … كعبته الأملاك إلا خضعا

بيت من القدس وناهيك به … محط أسرار الهدى وموضعا

وكان مأوى المرتجي والملتجي … فما أعزّ شأنه وأمنعا

فعاد بعد المصطفى منتهكاً … حريمه وفيئه موزّعا

وأخرجوا منه عليّاً بعدما … أبيح منه حقّه وانتزعا

قادوه قهراً بنجاد سيفه … فكيف وهو الصعب يمشي طيعا

فعاد إلاّ أنه عن حقّه … صدّ وعن مقامه قد دفعا

ما نقموا منه سوى أنّ له … سابقة الإسلام والقربى معا

وأقبلــت فــاطــم تعــدوا خلفــه والعيــن منهــا تستهــلّ أدمعــا
فــانتهــروهــا بسيــاط قنفــذ وكســروا بــالضــرب منهــا أضلعــا
فــانعطفــت تــدعــو أبــاهــا بحشــى تســاقطــت مــع الــدمــوع قطعــا
يــا أبتــا هــذا علــيٌّ أعــرضــوا عنــه ضــلالاً وابــن تيــم تبعــا
أهتــف فيهــم لا أرى واعيــة تعــي نــدائــي لا ولا مستمعــا
أمســى تــراثــي فيهــم مغتصبــاً منّــي وحقّــي بينهــم مضيعــا
وانكفــأت إلــى علــيّ بعــدمــا تجــرّعــت بــالغيــظ سمــاً منقعــا
قــالــت أتغضــي والنفــاق صــارخ حتــى استعــاذ الــديــن منه فــزعــا
ونمــت عــن ظــلامتــي عفــواً وأنــت المــوقــظ العــزم إذا الــداعــي دعــا
أحجمــت والــذئــاب عــدواً وثبــت فــأقحمــت منــك العــريــن المسبعــا
ولَنَــتْ أخْــدَعَيْــكَ فــي الضّيــم ومــا عهــدت منــك أنْ تليــن أخــدعــا
وكيــف أضــرعــت علــى الــذلّ لهــم خــدّك وهــو للعــدى مــا ضــرعــا
عــزّ عليــك أن تــرى تســومنــي مــن بعــد عــزّ (قيلــة) أن أخضعــا
تهضمنــي بــالأذى ولــم أجــد مــأوى إليــه التجــي ومفــزعــا
ألفيتهــا معــرضــة عنــي ومــا أبقــت بقــوس الصبــر منــي منــزعــا
فقــال يــا بنــت النبــي احتسبــي حقــك فــي الله وخلّــي الجــزعــا
واجملــي صبــراً فمــا ونيــت عــن دينــي ولا أخطــأت سهــم مــوقعــا
فــاستــرجعــت كــاظمــة لغيظهــا مبــديــة حنينهــا المــرجعــا
حتــى قضــت مــن كمــدٍ وقلبهــا كــاد بفــرط الحــزن أن ينصــدعــا
قضــت ولكــن مسقطــاً جنينهــا مــولعــاً فــؤادهــا مــروعــا
قضــت ومــن ضــرب السيــاط جنبهــا مــا مهــدت لــه الــرزايــا مضجعــا
قضــت علــى رغــم العــدى مقهــورة مــا طمعــت أعينهــا أنْ تهجعــا
قضــت ومــا بيــن الضلــوع زفــرةٌ مــن الشّجــى غليلهــا لــن ينقعــا[١]

(١) وفاة الصديقة الزهراء ص١٤١ ـ ١٤٤ .

الأمر الثالث: ردّ الشُّبهات الطارئة على ظلامات الصدّيقة الطاهرة.

لقد شهدت ساحتنا في الآونة الأخيرة هزّات تشكيكية أوّل ما تناولت إنكار مظلومية الصدّيقة فاطمة عليها السلام لا سيّما ضربها وإسقاط جنينها وكسر أضلاعها، بدعوى أنه من المستبعد أن يدخلوا عليها بمرأى من جموع المسلمين، ثم ميّع تيار الحداثة تلك المأساة لصالح المعتدين، فبات الأنصار لاحقاً يشمتون بنا بحجة أن منّا من شكّك باعتداء أبي بكر وعمر على سيّدة النساء فاطمة عليها السلام، لذا ارتأينا ـ ومن باب أنّ مصلحة التشيع فوق كلّ الاعتبارات والحساسيات ـ ذكر بعض الشّبهات والردّ عليها.

الشُّبهة الأولى:

إنّ الاعتداء على الصدّيقة الطاهرة عليها السلام لم يقم الإجماع الإمامي عليه، ولو كان هناك إجماعاً لما خالفه الشيخ المفيد حيث لم يذكر كسر الضلع في كتبه، وعليه فلا وجه لمّا تمسّك به الشيعة ضد عمر بن الخطاب الذي كسر ضلع الصدّيقة وأسقط جنينها، هذا مضافاً إلى أن الشيخ المفيد خالف الإجماع المدّعى على سقوط جنينٍ للصدّيقة الزهراء اسمه «محسن» فقال:

«أولاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه سبعة وعشرون ولداً ذكراً وأنثى: الحسن والحسين وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكنّاة أم كلثوم، أمّهم فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين بنتُ سيّد المرسلين محمّد خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله... وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ولداً ذكراً كان سمّاه رسول الله عليه السلام ـ وهو حمل ـ محسناً، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون، والله أعلم»[1].

فمخالفة المفيد للإجماع يوحي بعدم تبنيّه للإسقاط ولكسر الضلع.

---

(١) الإرشاد ج١/ ٣٥٤ـ٣٥٥.

يَرِدُ عليها:

أولاً: مخالفة المفيد للإجماع ـ لو سَلّمنا بذلك ـ لا يضر بإنعقاده، ما دام المخالف معلوم النسب كما هو مقرّر في محله، هذا مضافاً إلى أن المفيد نفسه قد ذكر الإسقاط في كتابيه «الاختصاص والأمالي»، وعدم ذكر المفيد لكسر الضلع في كتبه، لا يدل على إنكاره له من الأساس، وبعبارة أخرى: عدم وجود ذاك في كتبه، ليس دليلاً على عدم اعتقاده بالكسر.

ثانياً:

حينما ذكر الشيخ المفيد بعبارته المتقدمة «وفي الشيعة من يذكر..» قصد به الإمامية الاثني عشرية، حيث هم فرقة من فرق الشيعة، إذ إن مصطلح الشيعة ليس مخصوصاً بالاثني عشرية بل يعم كل من اعتقد بإمامة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإن لم يعتقد بإمامة سائر الأئمة الميامين عليهم السلام، فالزيدية والفطحية والناووسية والواقفية وغيرهم من فرق الشيعة.

وعليه فإن المفيد أراد تخصيص الإمامية عن غيرها من فرق الشيعة، فقال: «وفي الشيعة من يذكر» وذيل كلامه: «فعلى قول هذه الطائفة..» يؤكد ما قلنا من أنه ليس كلُّ الشيعة يعتقد بإسقاط محسن بل خصوص الإمامية منهم، من هنا لقّب الشيخ الطوسي بـ«شيخ الطائفة» والمقصود هو طائفة الإمامية، لا مطلق الشيعة.

ثالثاً:

لقد راعى المفيد الظروف والأجواء السياسية المشحونة بالتعصب ضد الشيعة يومذاك، فكان الحنابلة ـ بين الحين والآخر ـ يشنون الحملات المستعرة على الإمامية، فكانوا يحرقون البيوت ويذبحون الأطفال والنساء، فقد روى المؤرخون أن السنّة قد أحرقوا في عام ٣٦٢هـ سبعة عشر ألف إنسان، وثلاث مائة دكان، وثلاثة وثلاثين مسجداً، وثلاث مائة وعشرين داراً[1] ومن الأموال ما لا يحصى.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٨/ ٦٢٨ حوادث عام ٣٦٢ وحوادث ٣٦١هـ وج٩/ ٥٩١.

بل إن هجوم السنّة كان متواصلاً على بيوت الشيعة ومساجدهم وكانوا يلقبونهم بالروافض، بل إن قتل رافضي أفضل من قتل كافر[1].

قال أبو الفداء الحافظ عن ابن كثير الحنبلي في تاريخه:

«في عاشر المحرّم منها عملت الشيعة مأتمهم - أي مراسم عاشوراء - وبدعتهم على ما تقدم قبل، وغلقت الأسواق وعلّقت المسوح، وخرجت النساء سافرات، ناشرات شعورهن، ينحن ويلطمن وجوههنّ في الأسواق والأزقة على الحسين.

وهذا تكلُّف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان هذا أمراً محموداً، لفعله خير القرون، وصدر هذه الأمة، وخيرتها وهم أولى به، ولو كان خيراً ما سبقونا إليه، وأهل السنّة يقتدون ولا يبتدعون.

ثم تسلّطت أهل السنّة على الروافض، فكبسوا مسجدهم، **مسجد براثا** الذي هو عش الروافض، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة»[2].

ويذكر ابن الأثير:

إن الحنابلة لما أكثروا القتل في شيعة الكرخ، تشدد زعيم الشيعة على أتباعه فمحوا: «خير البشر» ذيل قول الشيعة: محمّد وعليّ خير البشر، فلم يقبل السنّة بذلك فقالوا: لا نرضى إلاّ أن يُقلع الآجرّ الذي عليه محمّد وعليّ وأن لا يؤذّن: حيّ على خير العمل. وامتنع الشيعة من ذلك، ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول.. ثم لمّا قُتل رجل سُني، هاج السنّة واستنفروا للأخذ بثأره، فقصدوا مشهد الإمام موسى الكاظم وحفيده الإمام الجواد عليهما السلام وأحرقوا جميع الترب والآزاج، واحترق الضريح والقبّتان الساج اللتان عليهما، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه وعدة قبور، وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٨/ ٥٧١ حوادث عام ٣٥٥.

(٢) البداية والنهاية ج١١/ ٢١٥ حوادث عام ٣٥٤هـ.

بل تعدى ظلمهم إلى أنهم أرادوا حفر قبر الإمام موسى بن جعفر ومحمّد بن علي فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر، فجاء الحفر إلى جانبه..»[1].

وفي حوادث عام ٣٦٣هـ قال ابن الأثير وابن خلدون أيضاً:

«إن أبا تغلب قد قارب بغداد فثار العيارون بها وأهل الشرّ بالجانب الغربي، ووقعت فتنة عظيمة بين السنّة والشيعة، وحمل أهل سوق الطعام، وهم من السنّة امرأة على جمل، وسمّوها عائشة، وسمّى بعضهم نفسه طلحة، وبعضهم الزبير، وقاتلوا الفرقة الأخرى، وجعلوا يقولون: نقاتل أصحاب عليّ بن أبي طالب وأمثال هذا من الشر»[2].

بل إن النصوص التاريخية تفيد أن الشيخ المفيد نفاه سلطان زمانه مرتين من الكرخ، الأولى[3] عام ٣٩٢هـ، والثانية[4] عام ٣٩٨هـ.

كما «أن عميد الجيوش قد منع الروافض من النياحة في عاشوراء، وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر من ذي الحجة، الذي يقال له: غدير خم»[5].

بعد كلّ هذا، هل بمقدور الشيخ المفيد حينئذٍ أن يذكر قضية كسر الضلع، ألا يزيد ذكرها تعصّب العامة وحقدهم على الشيعة؟ ولو ذكرها بتفاصيلها في الإرشاد لكان ذلك مستنداً عليه.

ولكنّ ذكر المفيد لقضية رفس عمر للصدّيقة عليها السلام في كتابه الاختصاص يُبقي الإشكال على حاله، إذ لو أراد تطرية الأمور بإستعمال المداراة لما كان ذكرها

---

(١) الكامل في التاريخ ج٩/ ٥٧٧ باب ذكر الفتنة بين العامة ببغداد وإحراق المشهد على ساكنيه.

(٢) الكامل في التاريخ ج٨/ ٢٣٢ وص٦٣٢ حوادث سنة ٣٧٥هـ؛ والعبر لابن خلدون ج٤/ ٤٤٧.

(٣) الكامل في التاريخ ج٩/ ١٧٨.

(٤) نفس المصدر ج٩/ ٢٠٨.

(٥) البداية والنهاية ج١١/ ٣٤٤.

في الاختصاص، وتعرّض للعن قاتل الصدّيقة وابنها السقط عليه السلام، اللّهم إلاّ أن يقال: إن استعمال المداراة في كتاب الإرشاد الذي كان آخر مؤلفاته دون الأمالي والاختصاص للتخفيف من حدة الصراع القائم بين الشيعة والسنّة يومئذٍ، فكان عدم ذكره للكسر نوع تقية يأمر بها الشرع والعقل حال خوف الضرر، فهو وإن كان لم يُشر إلى المسألة بشكل تفصيلي، لكنه أشار إليها بصورة خفية وذكية حيث أثبت في المقنعة والمزار كونها عليها السلام «شهيدة طاهرة».

قد يقال: ربما كانت شهادتها نتيجة إسقاطها لابنها محسن عليه السلام وليس لكسر ضلعها.

قلنا: صحيح قد يكون سبب الموت ما ذكره الإشكال، لكنه ضئيل عادة لا سيّما النساء اللاتي يملكن أجساماً متكاملة وقوية، فكيف بالصدّيقة الطاهرة عليها السلام حيث إن مبدأ نشوء جسدها الطاهر كان في تفاحة الفردوس، فمن البعيد جداً أن يكون سبب شهادتها الإسقاط لوحده، بل إنّ تكسير الأضلاع الشريفة ونبت المسمار في الصدر المقدّس هو السبب الرئيسي في شهادتها عليها السلام، لوجود قرائن منفصلة أخرى تُثبت ذلك، منها ما جاء في الزيارات المروية عنهم عليهم السلام من أنّها روحي فداها «مكسور ضلعها» و«شهيدة طاهرة». وقد روى ابن طاووس عن الأئمة عليهم السلام في كتاب الإقبال «باب زيارتها يوم مولدها» إن من زارها بهذه الزيارة واستغفر الله غفر الله له وأدخله الجنّة، قال تقول: السلام عليكِ... اللّهم صلّ على الصدّيقة الطاهرة.. المظلومة المغصوبة حقها الممنوعة إرثها المكسور ضلعها المظلوم بعلها المقتول ولدها[1]. ويظهر أن السيّد ابن طاووس أعلى الله مقامه الشريف أول من تجرّأ بذكر مسألة كسر ضلع جدته الصدّيقة الطاهرة عليها السلام في باب الزيارات ـ بحسب الظاهر ـ حسبما ذكرنا آنفاً عنه أنه قال: «فقد روي أن من زارها بهذه الزيارة..» وهذا يؤكد مدى حالة الخوف التي كان يعيشها الشيعة آنذاك، عدا عن التقية التي هي السبب في عدم تجاهرهم بالمسألة، لذا فإن الشيخ المفيد روى

(١) بحار الأنوار ج٩٧/ ٢٠٠.

زيارتين مختصرتين للصدّيقة عليها السلام في كتاب المزار ومثلهما في المقنعة ص٤٥٩ حرصاً على ما ذكرنا، وكذا كلّ من جاء بعده عدا ابن طاووس حيث خرق العادة فأثبت في مزاره كسر ضلع جدته السيّدة الزهراء عليها السلام. ومن جملة القرائن ما ورد من أنها ماتت بسبب ضرب عمر لها وضغطها بين الحائط والباب.

هذا مع التأكيد أن اللواتي يمتن حال الولادة أو بعدها، مردُّه إلى نفاسهنّ - بمعنى شدة ما يصيبهنّ من النزيف، والصدّيقة الطاهرة عليها السلام لا نفاس لها ولا حيض كرامةً لها من العليّ القدير كما استفاضت بذلك الأخبار من الخاصة والعامة.

رابعاً:

لقد ادّعى الشيخ الطوسي رحمه الله الإجماع على ضرب الطاهرة الزكية وإسقاط جنينها، ومن المعروف أن الطوسي تلميذ المفيد، فكيف يدّعي التلميذ الإجماع، وأستاذه مخالف له؟ ولو كان المفيد مخالفاً للإجماع لكان على أقل تقدير أشار إلى مخالفة أستاذه، أو لوّح إلى تأويل إنكاره - على فرض وجوده -.

وإذ لم يتعرّض الطوسي والمرتضى أيضاً إلى قضية كسر الضلع فلا يعني ذلك أيضاً عدم ثبوتها عندهم، وذلك للظروف القاسية التي عاشها هؤلاء الأفاضل في العراق بداية القرن الرابع الهجري وأواسطه، ومتى كان عدم الوجدان دليلاً على الإنكار؟ قد يكون عدم ذكر كسر الضلع لمصلحة إطّلعوا عليها كتقية وغير ذلك مما لا نحيط بعلمه.

الشبهة الثانية:

ومفادها: استبعاد قضية ضرب الصدّيقة الزهراء عليها السلام لأن السجايا العربية تمنع من ضرب المرأة أو تمد إليها يد سوء، وهذه الشبهة للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، ووافقه عليها السيّد محمّد حسين فضل الله فقال الأول:

«طفقت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام والقرن الأول مثل كتاب

سليم بن قيس ومَن بعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده بل إلى يومنا كلّ كتب الشيعة التي عنيت بأحوال الأئمة وأبيهم الآية الكبرى وأمّهم الصدّيقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين وكل من ترجم لهم وألّف كتاباً فيهم، أطبقت كلمتهم تقريباً أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة أنها بعد رحلة أبيها المصطفى ضرب الظالمون وجهها ولطموا خدّها حتى احمرّت عينها وتناثر قرطها وعُصرت بالباب حتى كسر ضلعها وأسقطت جنينها وماتت وفي عضدها كالدملج، ثم أخذ شعراء أهل البيت سلام الله عليهم هذه القضايا والرزايا ونظموها في أشعارهم ومراثيهم وأرسلوها إرسال المسلّمات من الكميت والسيّد الحميري ودعبل الخزاعي والنميري والسّلامي وديك الجن ومن بعدهم ومن قبلهم إلى هذا العصر، وتوسّع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الذي نحن فيه كالخطي والكعبي والكوّازَين وآل السيّد مهدي الحلّيِّين وغيرهم ممن يعسر تعدادهم ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم، وكل تلك الفجائع والفظائع وإنْ كانت في غاية الفظاعة والشناعة ومن موجبات الوحشة والدهشة ولكن يمكن للعقل أنْ يجوزها وللأذهان والوجدان أن يستسيغها، وللأفكار أنْ تقيلها [تقبلها: ظ] وتهضمها ولا سيّما وأنّ القوم قد اقترفوا في قضية الخلافة وغصب المنصب الإلهي من أهله ما يعدّ أعظم وأفظع.

ولكن قضية ضرب الزهراء ولطم خدها مما لا يكاد يقبله وجداني ويتقبّله عقلي ويقتنع به مشاعري، لا لأن القوم يتحرجون ويتورّعون من هذه الجرأة العظيمة بل لأن السجايا العربية والتقاليد الجاهلية التي ركزتها الشريعة الإسلامية وزادتها تأييداً وتأكيداً تمنع بشدّة أنْ تضرب المرأة أو تمدّ إليها يد سوء، حتى إنّ في بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه: أنّ الرجل كان في الجاهلية إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله.

ويدلّك على تركّز هذه الركيزة بل الغريزة في المسلمين وأنها لم تفلت من أيديهم وإن فلت منهم الإسلام، إنّ ابن زياد وهو من تعرف في الجرأة على الله

وانتهاك حرماته لمّا فضحته الحوراء زينب عليها السلام وأفلجته وصيّرته أحقر من نملة وأقذر من قملة وقالت له: ثكلتك أما يا ابن مرجانة، فاستشاط غضباً من ذكر أمّه التي يعرف أنها من ذوات الأعلام وهمّ أن يضربها فقال له عمرو بن حريث، وهو من رؤوس الخوارج وضروسها، إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فإذا كان ابن مرجانة امتنع من ضرب العقيلة خوف العار والشنار وكلّه عار وشنار وبؤرة عهار مع بُعد العهد من النبي صلى الله عليه وآله فكيف لا يمتنع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله مع قرب العهد به من ضرب عزيزته، وكيف يقتحمون هذه العقبة الكؤود ولو كانوا أعتى وأعدى من عاد وثمود، ولو فعلوا أو همّوا أنْ يفعلوا أما كان في المهاجرين والأنصار مثل عمرو بن حريث فيمنعهم من مدّ اليد الأثيمة وارتكاب تلك الجريمة، ولا يقاس هذا بما ارتكبوه واقترفوه في حق بعلها سلام الله عليه من العظائم حتى قادوه كالفحل المخشوش فإنّ الرجال قد تنال من الرجال ما لا تناله من النساء.

كيف والزهراء ـ سلام الله عليها ـ شابّة بنت ثمانية عشر سنة، لم تبلغ مبالغ النساء، وإذا كان في ضرب المرأة عار وشناعة فضرب الفتاة أشنع وأفظع، ويزيدك يقيناً بما أقول أنها ـ ولها المجد والشرف ـ ما ذكرت ولا أشارت إلى ذلك في شيء من خطبها ومقالاتها المتضمنة لتظلمها من القوم وسوء صنيعهم معها مثل خطبتها الباهرة الطويلة التي ألقتها في المسجد على المهاجرين والأنصار وكلماتها مع أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعها من المسجد؛ وكانت ثائرة متأثرة أشدّ التأثّر حتى خرجت عن حدود الآداب التي لم تخرج من حظيرتها مدة عمرها، فقالت له: يا ابن أبي طالب افترست الذئاب وافترشت التراب ـ إلى أن قالت: هذا ابن أبي فلانة يبتزّني نحلة أبي وبلغة ابني، لقد أجهد في كلامي، وألفيته الألدّ في خصامي، ولم تقل أنه أو صاحبه ضربني، أو مُدّت يد إليّ؛ وكذلك في كلماتها مع نساء المهاجرين والأنصار بعد سؤالهن: كيف أصبحتِ يا بنت رسول الله؟ فقالت: «أصبحت والله عائفة لدنياكن، قالية لرجالكنّ»، ولا إشارة فيها إلى شيء من ضربة أو لطمة، وإنما تشكو أعظم صدمة وهي غصب فدك وأعظم منها غصب الخلافة

وتقديم من أخّر الله وتأخير مَنْ قدَّم الله، وكل شكواها كانت تنحصر في هذين الأمرين وكذلك كلمات أمير المؤمنين عليه السلام بعد دفنها، وتهيج أشجانه وبلابل صدره لفراقها ذلك الفراق المؤلم، حيث توجّه إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً: السلام عليك يا رسول الله عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك.. إلى آخر كلماته التي ينصدع لها الصخر الأصم لو وعاها، وليس فيها إشارة إلى الضرب واللطم ولكنه الظلم الفظيع والامتهان الذريع، ولو كان شيء من ذلك لأشار إليه سلام الله عليه، لأن الأمر يقتضي ذكره ولا يقبل ستره، ودعوى أنها أخفته عنه ساقطة بأن ضربة الوجه ولطمة العين لا يمكن إخفاؤها.

وأما قضية قنفذ وأنّ الرجل لم يصادر أمواله كما صنع مع سائر ولاته وأمرائه وقول الإمام عليه السلام أنه شكر له ضربته فلا أمنعُ من أنه ضربها بسوطه من وراء الرداء وإنما الذي أستبعده أو أمنعه هو لطمة الوجه وقنفذ ليس ممّن يخشى العار لو ضربها من وراء الثياب أو على عضدها. وبالجملة فإنّ وجه الزهراء هو وجه الله المصون الذي لا يهان ولا يهون ويغشى نوره العيون، فسلام الله عليك يا أمّ الأئمة الأطهار ما أظلم الليل وأضاء النهار، وجعلنا الله من شيعتك الأبرار، وحشرنا معك ومع أبيك وبنيك في دار القرار[1].

وقال الثاني:

«أنا من الأساس لم أقل إنه لم يكسر ضلع الزهراء عليها السلام، وكل من ينسب إلي ذلك فهو كاذب، أنا استبعدت الموضوع استبعاداً، رسمت علامة استفهام على أساس التحليل التاريخي، قلت: أنا لا أتفاعل مع هذا، لأن محبة المسلمين للزهراء عليها السلام كانت أكثر من محبتهم لعليّ وأكثر من محبتهم للحسن والحسين وفوقها محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله.

قلت إنه من المستبعد أن يقدمَ أحد على فعل ذلك، مع الإقرار بوجود نوايا

(١) جنّة المأوى ص٧٨ ـ ٨٦.

سيئة ومبيتة، ليس لبراءة فلان من الناس، بل خوفاً من أن يهيّج الرأي العام الإسلامي.

وفي هذا المجال، هناك روايات مختلفة، فبعضهم يقول: دخلوا المنزل، والبعض الآخر يقول: لم يدخلوا، فقلت: أنا أستبعد ذلك ولا أتعامل مع الكلمة نفسها..»[1].

والخلاصة: أنه لا يتفاعل مع ما نُسب إلى عمر لشيئين:

الأول: لأن المسلمين كانوا محبين للصدّيقة فاطمة عليها السلام أكثر من محبتهم للإمام عليّ ولولديها الإمامين الحسن والحسين، بل إن محبتهم لرسول الله أكثر من محبتهم للسيّدة الزهراء عليها السلام.

الثاني: أن القوم لا يقدمون على فعلهم الشنيع خوفاً من أن يهيج الرأي العام الإسلامي.

يورد عليه:

أولاً:

إذا كانت محبة المسلمين لرسول الله أكثر من محبتهم لابنته فلِمَ لم يراعوه بها، ألا يُحفظ المرء في ولده[2]؟ ولماذا تخاذل هؤلاء عن نصرة رسول الله يوم أحد منهزمين عنه هاربين إلى الجبل، ولماذا لم نجدهم يواجهون من قال عن رسول الله «إنه ليهجر»؟

وإذا كان المعتدون يحبون رسول الله أكثر من الصدّيقة فاطمة عليها السلام فلماذا أنكروا على رسول الله قبل وفاته بجرأة ليس لها نظير عندما قال عمر مقالته المشؤومة أمام حشود المسلمين غير مبالٍ ولا خائفٍ أن يثور الرأي العام ضده، بل

---

(١) الزهراء المعصومة انموذج المرأة العالمية ص٥٥ ـ ٥٦.

(٢) أشارت مولاتنا الزهراء عليها السلام بخطبتها فقالت: أما كان رسول الله أبي يقول المرء يحفظ في ولده؟

إن الكثيرين منهم وقفوا بجانب عمر ويقولون مقالته.

هذا مضافاً إلى أن الرسول ﷺ أمرهم بالالتحاق بجيش أسامة فخالفوا أمره وقد لعن من تخلّف عن جيش أسامة، فلم يصغوا بل عتوا واستكبروا إستكباراً فهل كل هذا كان علامة محبة لرسول الله بنظر صاحب الدعوى؟

ثانياً:

إذا كان المسلمون ـ وفي طليعتهم أبي بكر وعمر ـ يحبونها، فلماذا أوصت الصدّيقة عليها السلام بأن لايحضر أحد ممن ظلمها جنازتها؟! ولم يصلّ عليها إلاّ الخواص من أصحاب أمير المؤمنين مما يدل على أن الكلّ وقفوا ضدها، وعلى فرض أنهم يحبونها فلماذا حرمتهم من هذا الأجر، وحجزتهم عن نيل هذا الشرف؟!

ثالثاً:

لو كان المسلمون يحبونها عليها السلام فلماذا تركوها تتعرض للأذى والظلم، ولماذا تركوا زوجها أمير المؤمنين معرّضاً لسهام ظلمهم؟! ولماذا احتاج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى أن يدور بها على بيوت المهاجرين والأنصار لطلب نصرتهم، فلم يلبّ من الأربعين إلاّ أربعة أو خمسة؟!

رابعاً:

إن دعوى إقدام القوم على الاعتداء عليها خوفاً من الرأي العام الإسلامي مزحةٌ لا يكاد يصدّقها عاقل، إذ كيف يخافون من الرأي العام وهو تحت إمرتهم، يقول ما يقولون، بل عبادٌ مكرمون يفعلون ما يؤمرون، حيث إن الأغلبية يومذاك كانوا إصحاب مطامع، من هنا كشف الله سبحانه عن واقعهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

وهل خاف المعتدون من الرأي العام عندما اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين وسلبوا الصديقة الزهراء حقها من فدك؟! اللّهم إلا إذا كان المشكك لا يعترفُ بأنّ الخلافة غُصبت أو أنّ فدكاً ليست ملكاً شخصياً لمولاتنا الزهراء؟! وما عشت أراك الدهر عجباً!

خامساً:

ليت صاحب الدعوى دلّنا على ذاك البعض الذي قال إنهم لم يدخلوا دارها، مع أن العامة مجمعون مع الخاصة على دخول عمر وزمرته إلى دارها، وعلى فرض وجود شاذ «لا يقول بأنهم دخلوا» فلا يعوّل عليه لمعارضته للإجماع المبتنِي على الأخبار من الطرفين، ولو لم يكن إلاّ أخبارنا لكفى في الحجّية، وعليه فكيف يقدّم ـ صاحب الدعوى ـ قولَ هذا البعض الشاذ من العامة على أخبارنا؟!!

● وأمّا كاشف الغطاء فهو بعد أن استفاض بما طفحت به كتب الشيعة منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا في ذكر مصائب الصدّيقة الطاهرة وبعلها وأولادها عليهم السلام إلاّ أنه استدرك باستبعاده ضرب الطاهرة الزكية ولطم خدها حيث لا يقبله وجدانه ولا تقتنع به مشاعره لأن السجايا العربية تمنع بشدة أن تضرب المرأة، ثم أيّد كلامه بما ورد عن أمير المؤمنين أن الرجل في الجاهلية كان إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله.

وبالجملة: يبتني استبعاده على أمرين:

(١) أن السجايا العربية تمنع بشدة أن تضرب المرأة.

(٢) أنها لو ضُربت ـ بنفسي هي وأمي وأبي ـ لكانت أشارت وذكرت ذلك في خطبها ومقالاتها المتضمنة لتظلُّمها من القوم بغصبهم الخلافة وفدك، وليس فيها إشارة إلى شيء من ضربة أو لطمة.

يورد عليه:

أولاً: إذا كانت السجايا العربية والتقاليد الجاهلية التي ركزتها الشريعة

وزادتها تأييداً تمنع بشدة أن تضرب المرأة أو تمد إليها يد سوء فلا يعني استحالة هذا الأمر منهم فيما إذا كان ثمة داعٍ أقوى، يدفع إلى ارتكاب أفظع الجرائم، وهتك أعظم الحرمات، لا سيّما إذا كانَ هذا الداعي هو شهوة الحكم والسلطة.

وعلى فرض وجود سجايا عربية تمنع من ضرب المرأة، فلا مانع من أن يخرج من هذا العموم السائد في الجزيرة آنئذٍ أفراد على نحو التخصيص[1]، ولا ضير في أن يشذ بعض الأفراد عن الأعراف والتقاليد والأخلاق في كل عصر ومصر، ولـو كانوا يملكون وازعاً دينياً أو أخلاقياً لما نعتوا النبي بالهجر، بل لو كان العرب يمنعون من ضرب المرأة في الجاهلية فلِمَ كانوا يدسُّون بناتهم في التراب وهنّ أحياء وقد قال تعالى مستنكراً عليهم ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[2]. ولو كانت السجايا العربية تمنع من ضرب المرأة، فلِمَ لم تمنع هذه السجايا ضرب الصدّيقة الصغرى زينب عليها السلام حيث جلدت بالسياط في كربلاء وكذلك بقية بنات الوحي معها، ولمَ همَّ ابن زياد لعنه الله بأن يبطش بإبنة أمير المؤمنين عليّ فمنعه عمرو بن حريث لا لأن السجـايا العربية تمنـع من ضرب المرأة احتراماً لها، بل لأنها لا تؤاخذ بشيء من منطقها ـ حسب تعبير عمرو بن حريث ـ.

ويؤكد ما قلنا ما نقله المؤرخون من سمية والدة عمار ماتت تحت وطأة التعذيب في مكة من قبل أبي جهل لعنه الله، بل يروى أنه طعنها في أسفلها، ويروى أن عمر نفسه كان يعذّب جارية بني مؤمل أيضاً، فكان يضربها حتى إذا ملّ، قال: إني أعتذر إليك إني لم أتركك إلاّ ملالة[3].

ويروى أيضاً أن عمر ضرب النساء اللواتي بكين على أبي بكر، فكان أول من ضرب بالدرة ـ على حد تعبير ابن أبي الحديد ـ أم فروة بنت أبي قحافة لمّا مات

(١) التخصيص: إخراج بعض أفراد العام عن الحكم.

(٢) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج١/ ٣٤١ والسيرة الحلبية ج١/ ٣٠.

أخوها، فناح النساء عليه، وفيهن اخته أم فروة، فنهاهنّ عمر مراراً وهن يعاودن، فأخرج أمّ فروة من بينهن وعلاها بالدرة، فهربنّ وتفرقنّ[1].

ولما مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين فجاء عمر فكان يضربهنّ بالدرة، فسقط خمار امرأة منهنّ فقالوا: يا أمير المؤمنين خمارها؟ فقال: دعوها فلا حرمة لها، وكان يعجب من قوله: لا حرمة لها[2].

وروى ابن عبّاس قال:

لمّا ماتت زينب[3] بنت رسول الله ﷺ قال رسول الله: ألحقوها بسلفنا الخيّر عثمان بن مظعون فبكت النساء فجعل عمر يضربهنّ بسوطه فأخذ رسول الله يده وقال: مهلاً يا عمر دعهنّ يبكين، وإياكنّ ونعيق الشيطان. . إلى أن قال: وقعد رسول الله على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبيّ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها[4].

وأخرج البيهقي[5] عن ابن عبّاس قال: بكت النساء على رقية [بنت رسول الله] رضي الله عنها فجعل عمر ينهاهنّ، فقال رسول الله؛ مه يا عمر، قال: ثم قال: إياكنّ ونعيق الشيطان فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الرّحمة، وما يكون من اللسان واليد فمن الشيطان. قال: وجعلت فاطمة رضي الله عنها تبكي على شفير قبر رقية فجعل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يمسح الدموع على وجهها باليد، أو قال: بالثوب.

---

(١) شرح نهج البلاغة ج١/ ١٨١ والغدير ج٦/ ١٦١.

(٢) الغدير ج٦/ ١٦٢ نقلاً عن كنز العمال ج٨/ ١١٨.

(٣) ماتت سنة ثمان من الهجرة.

(٤) الغدير ج٦/ ١٥٩ نقلاً عن مسند أحمد ج١/ ٢٣٧، مستدرك الحاكم ج٣/ ١٩١ وصحّحه وقال الذهبي في المستدرك: سنده صالحٌ، مسند أبي داود الطيالسي ص٣٥١، الاستيعاب في ترجمة عثمان بن مظعون ج٢/ ٤٨٢، مجمع الزوائد ج٣/ ١٧.

(٥) السنن الكبرى ج٤/ ٧٠.

وأخرج النسائي وابن ماجة عن أبي هريرة أنه قال: مات ميّتٌ في آل رسول الله فاجتمع النساء يبكين عليه فقام عمر ينهاهنّ ويطردهنّ، فقال رسول الله: دعهنّ يا عمر فإنّ العين دامعة، والقلب مصاب، والعهد قريب[1].

ولا أدري إذا كان كاشف الغطاء وأمثاله قد قرأوا هاتيك المرويات عن عمر بن الخطاب حتى استدعت حمية الغياری علی العروبة أن يستبعدوا ضرب عمر للصدّيقة الطاهرة بحجة أن السجايا تمنع، أو أن الرأي العام ينقلب ضدهم؟!

وهلا منعت تلك السجايا الكريمة أو الرأي العام من ضرب عمر لاولئك النسوة بمرأى من النبيّ المختار؟ وهل أن السجايا وغير ذلك يمنع من ضرب الزكية ولا يمنع من ضرب أختها زينب وأم فروة وغيرهن حتى أهدر النبيُّ دم هبّار الأسود الذي روّع زينب وألقت ذات بطنها؟! وهل أن جميع هذه المرويات كانت خافية عن كاشف الغطاء وفضل الله حتى قالا ما قالا؟ لا أظن من يدّعي الفقاهة لنفسه أن تكون هذه الروايات على تواترها الإجمالي خافية عليه، أو غير كافية لاقتناعه!

ثانياً:

إن كاشف الغطاء يعترف بأنّ قنفذاً لعنه الله تعالى ضرب الصدّيقة الزكية روحي لتراب نعليها الفداء، فكيف لم تمنعه السجايا العربية من ضربها، مع أن عمر وقنفذاً عربيان ومن قبيلتين كبيرتين في الجزيرة العربية؟! وهل أن التبعض بالأحكام جائز عند كاشف الغطاء وأمثاله، بحيث يصح نسبة الضرب إلى قنفذ ولا يصح نسبتها إلى عمر وأبي بكر؟ وما وجه الفصل في ذلك؟!

وهل إن باء قنفذ تجر هنا، ولا تجر عندما تصل النوبة إلى عمر؟!

قد يقال:

إن قنفذاً كان مولى لأبي بكر، والمولى لا يؤاخذ بشيء من تصرفاته، فلا لوم عليه في هذه القضية.

---

(١) الغدير ج٦/ ١٥٩ ـ ١٦٠ نقلاً عن عمدة القاري ج٤/ ٨٧.

قلنا: إن كونه مولىً لأبي بكر لا يبرّر صحة فعله، ما دامت التقاليد العربية تمنع، فليست السجايا حكراً على السادة دون الموالي، هذا مضافاً إلى أن تصرف الموالي من دون إذن السادة يعتبر جريمة لا تغتفر آنئذٍ، ولو صدر أمر من المولى بحق المرأة، فإنه حتماً سيواجَه باستنكار الناس له، مع التأكيد على أن قنفذاً لم يضرب الصدّيقة الزهراء مَن دون إذن عمر بذلك كما أكدت المصادر التاريخية على هذا الأمر، وقنفذ لعنه الله ليس الوحيد الذي اختُصّ بضرب الزكية عليها السلام وإنما كان من ضمن مجموعة شاركته بذلك.

ثالثاً:

بعدما اعترف كاشف الغطاء أن السيرة والكتب والشعراء استفاضوا بذكر مظلومية الطاهرة الزكية ـ فديتها نفسي ـ فلماذا لا يقبل وجدانه أن يكون عمر هو الذي ضربها عليها السلام بدعوى أن ضربه لها يوجب لحوق العار به، وهل ـ يا تُرى ـ يخاف عمر من العار ـ بعدما فعله بالنسوة في عهد الرسالة ومافعله بالنبيّ في الحديبية وعلى فراش الموت ـ؟ وكيف يخاف العار وقد أمر قنفذاً وخالداً والمغيرة بضرب حبيبة الله ورسوله وأمير المؤمنين؟! وهل ما استفاضت به كتب التاريخ منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا غير كافية لإقناع وجدان الشيخ ـ الفقيه حسبما يقولون ـ كاشف الغطاء ومسمّاه؟!

لا يحق لأي فقيه ـ مهما بلغت فقاهته علواً وارتقاءاً ـ أن يحكّم وجدانه وضميره وعاطفته في قضايا العقيدة والتاريخ وما شابههما، لأن هذه القضايا تبتني على الأدلة العقلية والنقلية الصحيحة، وبالأخص الأمور التاريخية التي لا يمكن استكشافها من خلال الوجدان والعاطفة بل ولا من خلال العقل، لأن العقل دوره الكشف عما ثبُت له بالنصوص الواردة والتحليل لمضمونها، أما إنه يكشف من دون استعانة بالنصوص فهذا إنْ لم يكن من المستحيلات، فهو على أقل تقدير من المتعذرات قطعاً لم يدّعيها أحد لنفسه من الأولياء والمرسلين عليهم السلام.

رابعاً:

عدم إشارة الصدّيقة الطاهرة عليها السلام إلى ضربها أو لطمها، وكذا عدم إشارة أمير المؤمنين إلى تلك الأعمال الصادرة من القوم في حق مولاتنا الزهراء عليها السلام إنما هو من جهة عدم الاعتناء لما صدر منهم، فإن الأكابر والأعاظم من الناس فضلاً عمّن هو في مقام العصمة والولاية لا يعبأون بما يصدر من الأرذال في حقهم من الوهن وعدم رعاية الاحترام بمثل الضرب واللطم، فإن هؤلاء الأرذال بنظر الأكابر هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، فهل ترى أن حيواناً رفس شخصاً جليلاً أن يقابله بمثل عمله وسوء صنيعه؟ أو يأتي هذا الشخص إلى حشد من الناس شاكياً من عمل هذا الحيوان؟ بل إذا خاطبهم الجاهلون بالأفعال الشنيعة كالضرب واللطم والشتم وأمثاله مروا كراماً وقالوا سلاماً، من هذا المنطلق لم تتعرض الصدّيقة الطاهرة، هي وزوجها المقدّس إلى أعمال القوم لهذه العلة، وأمّا شكواها من غصب الخلافة وغصب فدك فإن لهذين الأمرين من الأهمية ما ليست لغيرهما.

● رأي العلاّمة السيد عبد الحسين شرف الدين «أعلى الله مقامه الشريف»:

يتمسك منكر الاعتداء على الصدّيقة الطاهرة عليها السلام لتأكيد دعواه ـ التي لم يقم عليها الدليل ـ بأن الحجّة السيّد شرف الدين (قدّس سرّه) لم يذكر في كتابيه النص والاجتهاد والمراجعات قضية الاعتداء عليها داخل الدار بل قال له: إن الثابت أنهم جاؤوا بالحطب ليحرقوا الباب.

والجواب:

١ ـ لم تقتضِ المصلحة آنئذٍ أن يذكر الحجّة السيّد «أعلى الله مقامه الشريف» قضية لطم وضرب الصدّيقة الطاهرة وإسقاط جنينها محسن عليه السلام، إذ لكل مقام مقال، فعدم ذكره للقضية صريحاً في كتابيه ليس دليلاً على عدم اعتقاده بمسألة الاعتداء على جدته الزهراء عليها السلام.

٢ ـ إن السيّد شرف الدين قد ذكر في هامش المراجعة ٨٣ ناقلاً عن

الشهرستاني عن النظام «أن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها. .» كما استشهد رحمه الله بما أفرده أبو مخنف في كتابه عن السقيفة حيث قال قدّس سرّه:

«. . وأفرد أبو مخنف لأخبار السقيفة كتاباً فيه تفصيل ما أجملناه، وناهيك في شهرة ذلك وتواتره قول شاعر النيل الحافظ إبراهيم في قصيدته العمرية السائرة:

وقــولــة لعلــيّ قــالهــا عمــر	أكــرم بســامعهــا أعظــم بملقيهــا
حــرّقــت دارك لا أبقــي عليــك بهــا	إن لــم تبــايــع وبنــت المصطفى فيهــا
مــا كــان غيــر أبــي حفــص بقــائلهــا	امــام فــارس عــدنــان وحــاميهــا»[1]

وقال في المراجعة ٨٤: «غير أنه قعد في بيته ولم يبايع حتى أخرجوه كرهاً» وكيف أخرجوه كرهاً؟ فتلك قضية لها قصتها التي حكاها أصحاب الأثر والتاريخ.

فعندما يستشهد العلاّمة شرف الدين بمن ذكرنا نعرف بالملازمة أنه يقرّ بمظلوميتها كالضرب والإسقاط الخ. . إذ كيف يستعرض ما ذكره الشهرستاني عن النّظام وفي نفس الوقت ينكر قضية الاعتداء؟!

ما نعتقده أن السيّد شرف الدين عليه الرحمة يذعن لمظلومية جدّته الصدّيقة الزكية عليها السلام لأن ما ذكره عن النظّام أكبر شاهد على ذلك، هذا مضافاً إلى أن كتب السيّد شرف الدين لا تنحصر في هاذين الكتابين، بل له مؤلفات أخرى مثل كتاب المجالس الفاخرة إذ يقول فيه:

«وكأني بها، وقد أصلى ضلعها الخطب، ولاع قلبها الكرب، ولعج فؤادها الحزن، واستوقد صدرها الغبن، حين ذهبت كاظمة، ورجعت راغمة، ثم انكفأت إلى قبر أبيها باكية شاكية قائلة:

قــد كــان بعــدك أنبــاء وهنبثــة	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنّــا فقــدنــاك فقــد الأرض وابلهــا	واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا

---

(١) المراجعات ص٣٦٦ المراجعة ٨٣ بتحقيقنا، والنص والاجتهاد ص٩٠ ط/ الأعلمي ١٩٨٨م.

فليت بعدك كان الموت صادفنا لما قضيت وحالت دونك الكتب

ولم تزل - بأبي هي وأمي - بعد أبيها ﷺ غصة لا تساغ، ودموع تترى من مقلة عبرى، قد استسلمت للوجد، وأخلدت في بيت أحزانها إلى الشيحون، حتى لحقت بأبيها، معصبة الرأس، قد ضاقت عليها الأرض..»[1].

وشرف الدين حينما لم يذكر المسألة صريحاً، حرصاً منه على أن لا يثير حفيظة القوم ويبعثهم على العناد، فتفوت الفائدة من الحوار معهم، بالإضافة إلى أنه لم يرد الدخول في قضية، لا يسلّم العامة بتفاصيلها، لذا نراه في هذين الكتابين يعتمد في جلّ نقوضاته على مصادر العامة أنفسهم لتكون الحجة أبلغ وآكد.

وفي ختام الرد على هذه الشبهة نقول:

إن مسألة الاعتداء على الصدّيقة فاطمة عليها السلام من المسلّمات التاريخية التي قامت عليها النصوص المتواترة والصحيحة والصريحة، فالتشكيك فيها يستلزم إنكار المتواتر وهو على حدّ الشرك بالله - حسبما جاء في النصوص - هذا مع التأكيد على أن الاستناد إلى أمر خطير كهذا على الاستحسان العقلي أو قول واحد أو اثنين أو ثلاثة من المتأخرين، تفردوا بأمر لا شاهد لهم عليه، ويخالفهم فيه آلاف العلماء، بل علماء الأمة بأسرها، وعشرات بل مئات النصوص، يعتبر خيانة للحقيقة والبحث العلمي الموضوعي، يراد منه تغيير الحقيقة التاريخية، وترك كل ما عداه وتجاهله، واقتلاع جذوره من أرض الواقع ومن وجدان المؤمنين.

الشُّبهة الثالثة:

إن كتاب سليم بن قيس - الذي هو العمدة في الموضوع - ليس بمعتمد في صيغته، بشهادة الشيخ المفيد وابن الغضائري اللذين صرّحا أن فيه خلطاً لا يخفى على أحد.

---

(١) المجالس الفاخرة ص٣٥.

قال الشيخ المفيد:

«وأما ما تعلق به أبو جعفر الصدوق ـ رحمه الله ـ من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف إليه برواية أبان بن أبي عيّاش، فالمعنى فيه صحيح، غير أن هذا الكتاب غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس..»(١).

وعلى رغم شهرة سليم بن قيس التي أطبقت الآفاق نرى ابن الغضائري يشكّك به، بل الأنكى من ذلك أنه ينسب التشكيك به إلى أصحابنا، حيث قال:

«سليم بن قيس الهلالي العامري: روى عن أبي عبد الله والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام، وينسب إليه هذا الكتاب المشهور، وكان أصحابنا يقولون إن سليماً لا يُعْرف ولا ذكر في خبر، وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه ولا من رواية أبان بن أبي عيّاش، وقد ذكر ابن عقدة في رجال أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث عنه، والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه منها: ما ذكر أن محمّد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها: أن الأئمة ثلاثة عشر، وغير ذلك، وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة عن إبراهيم بن عمر الصنعاني عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم، وتارة يروي عن عمر عن أبان بلا واسطة، والوجه عندي الحكم بتعديل المشار إليه، والتوقف في الفاسد من كتابه..»(٢).

وقبل الإيراد على هذه الشُبهة أقول:

لو كان ما ذكره الشيخ المفيد وابن الغضائري صحيحاً بالنسبة لكتاب سليم لدلّ ذلك على قلة تدبّرهما وتتبعهما، بل يدل على ضعف تحقيقهما، إذ كما صحّح

(١) تصحيح الاعتقاد ص١٤٩ للشيخ المفيد.

(٢) جامع الرواة/ الشيخ الاردبيلي ج١/ ٣٧٤ نقلاً عن ابن الغضائري؛ والتنقيح للممقاني ج٢/ ٥٢ ط/ حجري.

المفيد عقائد الصدوق، علينا أن نصحّح عقيدة هذين الرجلين في افترائهما على أصل الكتاب، ولا يهمُّنا أن فلاناً شهدت له الطائفة بدفاعه عنها، لأن أجره على الله تعالى إن كان مخلصاً لا علينا، وكثرة مصنفاته ودفاعه عن عقيدة آل البيت عليهم السلام لا تعني مطلقاً أنه لا يخطىء أبداً، ولا تستلزم أيضاً أن يدور الحق معه حيثما دار، وإلا فإن هناك من هو أجلُّ منه وهو الصدوق الذي ولد بدعاء المعصوم عليه السلام، وقد وقع في الخطأ ـ حسبما نُسب إليه ـ حتى استدعى الأمر عند المفيد أن يردّ عليه مصحّحاً له اعتقاداته.

وعليه فإن ما ذكره هذان الرجلان لا يعبّر عن وجهة نظر الإمامية في هجومهما على كتاب سليم، لأن الحق فوقهما، ومتى كانت أقوال الرجال حجّةً في إثبات الحقائق أو نفيها؟

وإيراد القدح في كتاب سليم نشأ من أحد أمور خمسة:

١ ـ عدم مطالعة الكتاب بدّقة وتعمّق، وعدم ملاحظته كأصل أصيل اهتمّ به علماء الشيعة طيلة ١٤ قرناً.

٢ ـ الاشتباه في الآراء العلمية والمباني المتخذة في معنى الغلو وأمثاله، ويتبع ذلك الاشتباه في فهم بعض مصطلحات الرجاليين المتقدمين.

٣ ـ إلقاء مجرد الاحتمالات وما يخطر بالبال في أول وهلة بلا تدبّر وتعمّق فيها وبدون ملاحظة أثرها في الأذهان.

٤ ـ أن جذور المسألة تنتهي في الأكثر إلى الدافع العقائدي في عدة من أعداء أهل البيت عليهم السلام المظهرين للبغض والعناد مع كل ما يوجب إحياء أمر آل رسول الله صلوات الله عليهم، وذلك مثل الفيض آبادي الذي قام المير حامد حسين في وجهه وأحسن في إبطال ما أورده وذلك في كتابه استقصاء الإفحام.

٥ ـ رأينا بعض من ليس من المخالفين يواجه الكتاب بمثل ما واجهه المعاندون، ولعلّ ذلك صادر عن غفلة ونسيان لما هو أساس عقائد الشيعة، أو

لعله نشأ من الفكرية الحاكمة على بعضهم حيث اعتادوا بأخذ المتفق عليه بين الشيعة ومخالفيها ورفض ما تتفرد به الشيعة خصوصاً في القضايا التاريخية، كما ويحتمل قوياً أن يكون العلة في بعض تلك الاتجاهات هو التقية عن المخالفين وإظهار عدم الموافقة لمحتوى الكتاب اتقاء شرهم المتوجهة إليهم أو إلى الكتاب أو إلى المتحفظين على نسخه، ويشهد لذلك أن عدة من هؤلاء بعد إظهارهم شيئاً من المناقشات حول الكتاب استندوا إلى أحاديثه في كتبهم الاعتقادية والأحكام الشرعية[1].

ومنشأ القدح في صحة كتاب سليم، أمور:

الأمر الأول: شبهة وعظ محمّد بن أبي بكر لأبيه عند موته، مع أن سنّ محمّد وقتئذٍ ثلاث سنين أو أقل، حسبما ورد في حديث ذكره سليم في كتابه.

وخلاصة الحديث:

أن سليم بن قيس أراد أن يعرف ماذا صدر من أصحاب الصحيفة[2] عند موتهم وهم: أبو بكر وعمر ومعاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجرّاح وسالم مولى أبي حذيفة. وفي هذا الصدد التقى بثلاثة أشخاص على الترتيب وهم: عبد الرحمن بن غنم ومحمد بن أبي بكر وأمير المؤمنين عليه السلام.

أما ابن غنم فأخبره عمّا قاله معاذ وسالم وأبو عبيدة عند موتهم، وذلك أن سليماً سأل عن ذلك ابن غنم ـ وهو ختن معاذ بن جبل وكان حاضراً عند موته ـ فأخبره ابن غنم عمّا جرى بالتفصيل، وذكر أن معاذاً رأى رسول الله وعلياً صلوات الله عليهما عند موته وأنهما بشراه وأصحابه المذكورين بالنار.

---

(١) راجع مقدمة كتاب سليم للمحقّق البارع: الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني.

(٢) أصحاب الصحيفة هم خمسة أشخاص بنوا أساس الظلم على آل محمّد عليهم السلام وتواطؤوا على غصب الخلافة ومهّدوا الطريق لمن جاء بعدهم من الغاصبين الظالمين، وكان أول أمرهم أنهم كتبوا بينهم كتاباً تعاهدوا فيه وتعاقدوا في الكعبة: إن مات محمّد أو قُتل أن يتظاهروا على الإمام عليّ فيزوون عنه هذا الأمر.

ثم أخبر ابن غنم سليماً أنه فزع مما سمع من معاذ عند موته، ولذلك حجّ والتقى بمن ولّى موت أبي عبيدة وسالم، فأخبره الحاضران عند موتهما أنهما قالا عند الموت مثل قول معاذ.

فإلى هنا عرف سليم ما قاله ثلاثة من أصحاب الصحيفة عند موتهم، نقله سليم عن ابن غنم.

وأما محمّد بن أبي بكر فأخبره عمّا قاله أبو بكر وعمر عند الموت، وذلك أن سليماً التقى بمحمّد بن أبي بكر وأخبره بما سمعه من ابن غنم، فلمّا سمع محمّد بن أبي بكر كلام ابن غنم من سليم أخبره أن أباه أبا بكر أيضاً قال عند موته مثل مقالتهم، فقالت عائشة: إن أبي ليهجر! قال محمّد: فلقيت عبد الله بن عمر في خلافة عثمان، فحدثته بما قال أبي عند موته، وأخذتُ عليه العهد والميثاق ليكتمنّ عليّ، فقال لي ابن عمر: اكتم عليّ، فوالله لقد قال أبي مثل مقالة أبيك ما زاد ولا نقص، ثم تداركها عبد الله بن عمر وتخوّف أن أُخبر بذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام لما قد علم من حبي له وانقطاعي إليه، فقال: إنما كان أبي يهجر!

فأتى سليم أمير المؤمنين عليه السلام فحدثه بما سمع من أبيه وبما حدّثه ابن عمر عن أبيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد حدثني بذلك عن أبيه وعن أبيك وعن أبي عبيدة وعن سالم وعن معاذ من هو أصدق منك ومن ابن عمر، فقلت: من هو ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال: بعض من يحدثني، ويقصد عليه السلام بذلك إمّا رسول الله قبل موته وبعده في المنام أو أخبره الملك الذي يحدّث الأئمة عليهم السلام تأكيداً لا تأسيساً.

وبعد شهادة محمّد بن أبي بكر بمصر التقى سليم بأمير المؤمنين عليه السلام وسأله عمّا أخبر به محمّد بن أبي بكر؟ فقال عليه السلام: «صدق محمّد رحمه الله، أما إنه شهيد حيٌّ يرزق» ثم قرّر عليه السلام كلام محمّد بأن أوصيائه كلهم محدّثون.

هذا ملخّص ما جاء في رواية سليم في كتابه[1].

---

(١) مقدمة كتاب سليم للشيخ محمد باقر الخوئيني ج١/ ١٨٨ وج٢/ ٨١٩.

والجواب:

هناك قرائن محتفة بالحديث تثبت عدم تطرق التصحيف من النساخ على الحديث وهي:

(١) أن ما نقله محمد عن أبيه يوافق تماماً ما نقله غيره عن الأربعة الأخرين من أصحاب الصحيفة.

(٢) إن أمير المؤمنين عليه السلام صدّقه فيما قال وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك أو أخبره الملك المحدّث.

(٣) أن محمد بن أبي بكر يتعجب من إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عمّا جرى بينه وبين أبيه في مجلس لم يكن فيه غيرهما، ويراه من معجزاته عليه السلام.

(٤) أن أمير المؤمنين عليه السلام صدّق محمّداً مرةً أخرى حينما أخبره سليم بمقالة محمّد بن أبي بكر بعد شهادته بمصر.

(٥) أن مسألة صغر سنّ محمّد بن أبي بكر لم يخطر ببال سليم مع شدة حرصه على الفحص عن صدق الأخبار والتطلّع على جزئياتها في جميع أحاديثه وخاصة في هذا الحديث، فنراه يسأل محمّداً عن جزئيات القصة ولا يسأله عن صغر سنّه وأنه كيف صدرت منه تلك الأفعال، وكيف بقيت في خاطره تلك المكالمات.

(٦) أن عبد الله بن عمر أيضاً لمّا سمع من محمّد بن أبي بكر مقالة أبيه لم ينكر عليه صغر سنّه.

(٧) أن الصفّار والصدوق والشيخ المفيد وإبراهيم بن محمد الثقفي قبلهم حكوا هذا الحديث بعينه بالإسناد إلى سليم من غير طريق كتابه، وعلى هذا فلا صلة لهذا الحديث بكون الكتاب موضوعاً فإنه مرويّ عن سليم قطعاً.

(٨) نرى تصديق مضمون كلمات أبي بكر (والتي سمعها منه ابنه محمّد) في

سائر أحاديث الكتاب، ففي الحديث ٤ قال أمير المؤمنين عليه السلام:

سمعت رسول الله يقول: إن تابوتاً من نار فيه إثنا عشر رجلاً، ستة من الأولين وستة من الآخرين في جُبّ فيقعر جهنم في تابوت مقفل، على الجبّ صخرة، فإذا أراد الله أن يسعر جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ، فاستعرت جهنّم من وهج ذلك الجبّ ومن حرّه. ثم ذكر عليه السلام الاثني عشر وعدّ منهم أصحاب الصحيفة[1].

وروى المجلسي في البحار عن أبي الصلاح الحلبي في تقريب المعارف: «ولمّا طعن عمر.. قال لابنه عبد الله ـ وهو مسنده إلى صدره ـ ويحك، ضع رأسي بالأرض، فأخذته الغشية، قال: فوجدتُ من ذلك؟ فقال: ويحك ضع خدي بالأرض، فوضعت رأسه بالأرض فعفر بالتراب ثم قال: ويل لعمر، ويل لأمه إن لم يغفر الله له»[2].

نطمئن من خلال ملاحظة هذه القرائن بوجود هذا الحديث في كتاب سليم قطعاً، هذا بالإضافة إلى ما سيأتي من غاية اعتبار الكتاب وتصديق الأئمة عليهم السلام لسليم وكتابه، وكلمات العلماء في اعتباره، بالإضافة إلى علمنا بوثاقة سليم ومحمّد بن أبي بكر، فهذا كلّه لا سبيل إلى الخدشة في صدور هذا الكلام من محمّد بن أبي بكر ونقل سليم عنه ولا يتأتى أي تأويل واحتمال وضع أو اشتباه أو تصحيف فيه، فضلاً عن أن يكون هذا الحديث دالاً على كون الكتاب موضوعاً.

وأما مسألة صغر سنّ محمّد بن أبي بكر فيمكن علاجها بما يلي:

١ ـ لم يتفق المؤرخون على رأي ثابت في تاريخ ولادة محمّد بن أبي بكر، ففي بعض الروايات أنه وُلد في حجة الوداع، وفي بعضها أنه وُلد في سنة ثمان من

---

(١) كتاب سليم: مقدمة الأنصاري الجوئيني ج١/ ١٩٠ وج٢/ ٥٩٦ وهكذا بقية الأحاديث، راجع نفس المصدر ج٢/ ٥٨٩ وص٦٥ وص٧٢٧ وص٦٥٢ وج١/ ١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) بحار الأنوار (طبع قديم) ج٨/ ١٩٦ ومقدمة الأنصاري ج١/ ١٩٢.

الهجرة، وفي بعضها ما يدل على أن ميلاده كان قبل ذلك، وإن كان الثالث مردوداً للاتفاق على أن شهادة جعفر كانت في سنة ثمان للهجرة، وقد تزوّج أبو بكر أسماء بنت عميس في نفس السنة التي استشهد فيها زوجها جعفر رضي الله عنهما وأرضاهما.

قال المير حامد حسين في «استقصاء الإفحام» نقلاً عن فخر الدين الدهلوي قال: ولد (أي محمد بن أبي بكر) عام حجة الوداع بذي الحليفة، أو بالشجرة سنة ثمان، وقال ابن أثير الجزري في جامع الأصول: إنه ولد سنة ثمان، وأشار إلى هذا الاختلاف القاضي تقي الدين المالكي في العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وأبو الحجاج المزي في تهذيب الكمال والذهبي في اختصار تهذيب الكمال وابن عبد البرّ في الاستيعاب»[1].

٢ ـ دلت الروايات من غير طريق سليم أن محمّدَ بن أبي بكر تكلّم مع أبيه عند الموت، فقد أورد العماد الطبري في تاريخه المعروف بكامل البهائي روايتين في ذلك:

الأولى: سأل أمير المؤمنين عليه السلام محمّدَ بن أبي بكر يوماً، فقال: أما قرأ أبوك عندك قبل موته هذه الآية **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾**؟ فقال لك عمر: احذر يا بُنيّ، لا يسمع منك عليُّ بن أبي طالب ما قال أبوك فيشمت بنا؟ ثم تبسّم أمير المؤمنين عليه السلام حينما أخبر محمّداً بالخبر، فقال محمّد: صدقت يا عليّ، وأنا سمعت يلعنه ويقول: أنت أوردتني الموارد، فقال: بلى[2].

الثانية: عن أبي عنان مالك بن إسماعيل الهندي ـ ويقال له الراهب أو الواهب ـ قال: جاء محمّد بن أبي بكر إلى أبيه وهو يجود بنفسه، فقال: يا ابه،

---

(١) مقدمة الأنصاري ج١/ ١٩٣ نقلاً عن استقصاء الإفحام ج١/ ٥١٤.

(٢) نفس المصدر، نقلاً عن كامل البهائي ج٢/ ١٢٩ الفصل الخامس.

أراك على حالة ما رأيتك عليها قبل اليوم؟! فقال: يا بُنيّ، الرجل على مظلمة إذا حلّلتني منها رجوت أن أفيق، فقال محمّد: يا ابه، من هو؟

قال: عليّ بن أبي طالب، قال محمّد: أنا أضمن لك أن أكلّم عليّاً في ذلك وأستحل لك فإنه رجل سليم.

فجاء محمّد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إن أبي على أسوأ حال وهو قال كذا وكذا وقد ضمنت له أن أستحلّه منك، فإن رأيت أن تجعله في حلّ منك؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: كرامة لك، ولكن قل لأبيك ليصعد المنبر ويخبر الناس بذلك حتى أجعله في حلّ، فرجع محمّد وقال: قد استجاب الله دعائك وذكر له كلام أمير المؤمنين عليه السلام فقال أبو بكر: ما أحبّ أن لا يصلّي عليّ بعدي اثنان[١].

ويؤيد هذا ما أورده الغزالي في أوائل كتابه سرّ العالمين قال: دخل محمّد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته فقال: يا بُني، إئتِ بعمّك عمر لأوصي له بالخلافة، فقال: يا أبتِ، كنت على حق أو باطل؟ فقال: على حق، فقال: وصِّ بها لأولادك إن كان حقاً، وإلاّ فمكّنها لسواك، ثم خرج إلى عليّ وجرى ما جرى[٢].

وعليه، فإن رواية تكلّم محمّد بن أبي بكر مع أبيه عند موته التي رواها سليم مؤيدة برواية الطبري والغزالي وابن الجوزي وغيرهم، وإن كنّا نرجّح (عند التعارض) رواية سليم، لأن الترجيح دائماً يكون لرواياتنا على ما رواه غيرنا بعد تمامية الوثوق في كل هذه الروايات، هذا مضافاً إلى موافقة الشيخ المفيد في الأمالي، والكافية في إبطال توبة الخاطئة للمفيد أيضاً، والشيخ البحراني في مدينة المعاجز لما رواه سليم.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر، وتذكرة الخواص ص٦٢.

٣ ـ ما الضير في أن يكلّم محمّدٌ وهو صغير أباه أبا بكر بهذا الكلام الذي لا يصدر عادة إلاّ من الرجال العقلاء؟! ألا يحتمل المنكرون أن محمّداً بن أبي بكر كان من النوابغ الذين يصدر عنهم الأفعال العجيبة، فها هو القرآن المجيد يحدّثنا عن حكمة يحيى عليه السلام بقوله: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾[1] والشواهد التاريخية كثيرة على وجود أطفال نوابغ تصدّروا السنام الأعلى في الحكمة والفصاحة.

وقد تصدر الأفعال العجيبة من الأطفال العاديين ولا ينسون ذلك طيلة عمرهم، خاصة إذا كانت القصة متعلقة بموت أبيهم، فكيف بأبي بكر وهو ذاك الرجل المشهور في اعتدائه على أمير المؤمنين عليّ وزوجه الطاهرة الصدّيقة الزهراء عليها السلام واغتصابه لحقهما.

هذا مضافاً إلى أن محمّداً بن أبي بكر كان ربيب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتلميذه وكان من أعزّ الخلق إلى أمير المؤمنين وجارياً عنده مجرى أولاده، وهو رضيع الولاء والتشيع منذ زمن الصبا فنشأ عليه، فلم يكن يعرف أباً غير الإمام عليّ عليه السلام ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، لا سيّما أيضاً وأن أمه أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها كانت زوجة أمير المؤمنين عليه السلام وكانت تعلّم ابنها محمّداً ليظهر بذلك باطن أبيه، وهي التي كانت على اتصال دائم ببيت أمير المؤمنين قبل وفاة أبي بكر وكانت من أحبّ الخلق إلى الصدّيقة الطاهرة عليها السلام.

وعليه فما الضير أن ما صدر من محمّد بن أبي بكر كان من معجزات أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ظهر فيه؟.

٤ ـ أن من المحتمل قوياً أن لإلقاء هذه الشُّبهة جذوراً عميقة ترجع إلى تطهير أبي بكر من تلك الكلمات التي صدرت عنه عند الموت والتي هي سند تاريخي يكشف عن أسرار وحقائق.

---

(١) سورة مريم: ١٢.

ويؤيد ذلك إذا إنضم إليه ما ذكره صاحب الذريعة في شأن رجال ابن الغضائري الذي هو مبدء شيوع هذه المناقشة حيث قال: «الظاهر أن المؤلف لهذا الكتاب ـ أي رجال ابن الغضائري ـ كان من المعاندين لكبراء الشيعة وكان يريد الوقيعة فيهم بكل حيلة ووجه..».

وقال المحقّق السيّد الخوئي «رحمه الله» في رجاله:

«وأما الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري فهو لم يثبت، ولم يتعرض له العلّامة في إجازاته، وذكر طرقه إلى الكتب، بل إن وجود هذا الكتاب في زمان النجاشي والشيخ أيضاً مشكوك فيه، فإن النجاشي لم يتعرض له، مع أنه قدّس سرّه بصدد بيان الكتب التي صنّفها الإمامية، حتى أنه يذكر ما لم يره من الكتب، وإنما سمعه من غيره أو رآه في كتابه، فكيف لا يذكر كتاب شيخه الحسين بن عبيد الله أو ابنه أحمد.

والمتحصل من ذلك: أن الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري لم يثبت بل جزم بعضهم بأنه موضوع، وضعه بعض المخالفين ونسبه إلى ابن الغضائري..»[1].

الأمر الثاني: اشتمال كتاب سليم على أن الأئمة عليهم السلام ثلاثة عشر، فقد جاء فيه عن النبيّ صلى الله عليه وآله:

«ألا وإن الله نظر إلى أهل الأرض نظرة فاختار منهم رجلين: أحدهما أنا فبعثني رسولاً ونبيّاً، والآخر عليّ بن أبي طالب، وأوحى إليّ أن اتخذه أخاً وخليلاً ووزيراً ووصيّاً وخليفةً.

ألا وإنه وليّ كل مؤمن بعدي، من والاه والاه الله ومن عاداه عاداه الله، لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ كافر، هو زرّ الأرض بعدي وسكنها، وهو كلمة الله

---

(١) معجم رجال الحديث للخوئي ج١/ ١٠٢.

التقوى وعروته الوثقى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

ألا وإن الله نظر نظرة ثانية فاختار بعدنا اثني عشر وصيّاً من أهل بيتي فجعلهم خيار أمتي واحداً بعد واحد مثل النجوم في السماء، كلّما غاب نجم طلع نجم..»[2].

وأورد سليم أيضاً ثلاثة نصوص فيها العدد ثلاثة عشر هي:

١ ـ الحديث «١٦» فيما نقله عن كتاب الراهب قال سليم: أقبلنا من صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام فنزل العسكر قريباً من دير نصراني، فخرج إلينا من الدير شيخ كبير جميل [حسن الوجه] حسن الهيئة والسمت ومعه كتاب في يده، حتى أتى أمير المؤمنين عليه السلام فسلّم عليه بالخلافة، فقال له عليّ عليه السلام: مرحباً يا أخي شمعون بن حمون، كيف حالك رحمك الله؟

فقال: بخير يا أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ووصي رسول ربّ العالمين إني من نسل رجل من حواري أخيك عيسى بن مريم عليه السلام، وأنا من نسل شمعون بن يوحنا وكان من أفضل حواري عيسى بن مريم الاثني عشر وأحبّهم إليه وآثرهم عنده، وإليه أوصى عيسى بن مريم عليه السلام وإليه دفع كتبه وعلمه وحكمته، فلم يزل أهل بيته على دينه متمسكين بملته فلم يكفروا ولم يبدّلوا ولم يغيّروا.

وتلك الكتب عندي إملاء عيسى بن مريم وخط أبينا بيده، وفيها كل شيء يفعل الناس من بعده مَلِكٌ ملكٌ، وكم يملك وما يكون في زمان كل ملك منهم، حتى يبعث الله رجلاً من العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمان من أرض تُدعى تهامة من قرية يقال لها «مكة» يقال له «أحمد» [الأنجل العينين

---

(١) سورة الصف: ٨.
(٢) كتاب سليم بن قيس ج٢/ ٨٥٧ ح٤٥ وبحار الأنوار ج٢٢/ ١٤٩ حديث ١٤٢.

المقرون الحاجبين صاحب الناقة والحمار والقضيب والتاج ـ يعني العمامة ـ] له إثنا عشر اسماً.

ثم ذكر مبعثه ومولده وهجرته ومن يقاتله ومن ينصره ومن يعاديه وكم يعيش وما تلقى أمته من بعده من الفرقة والاختلاف.

وفيه تسمية كل إمام هدى وإمام ضلالة إلى أن يُنْزِلَ اللهُ عيسى بنَ مريم من السماء، فذكر في الكتاب ثلاثة عشر رجلاً من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله هم خير من خلق الله وأحبّ من خلق الله إلى الله، وأن الله وليّ من والاهم وعدو من عاداهم، من أطاعهم اهتدى ومن عصاهم ضلّ، طاعتهم لله طاعة، ومعصيتهم لله معصية، مكتوبة فيه أسمائهم وأنسابهم ونعتهم..»[1].

٢ ـ ما ورد في الحديث «٢٥» وهو طويل جاء فيه:

«.. قال سلمان: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله وما جعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيهم إبراهيم؟ قال رسول الله: إنما عنى بذلك ثلاثة عشر إنساناً، أنا وأخي عليّ بن أبي طالب وأحد عشر من ولدي..»[2].

٣ ـ ما ورد في حديث «٤٥» وقد تقدم، جاء فيه:

«ألا وإن الله نظر نظرة ثانية فاختار بعدنا اثني عشر وصيّاً من أهل بيتي، فجعلهم خيار أمتي واحداً بعد واحد مثل النجوم في السماء..»[3].

يورد على هذا الأمر:

أولاً: إن التعبير بـ«اختار بعدنا اثني عشر وصيّاً» قد يكون تصحيفاً لكلمة

---

(١) كتاب سليم ج٢/ ٧٠٦ ح١٦.
(٢) نفس المصدر ج٢/ ٧٦٢ ح٢٥.
(٣) نفس المصدر ج٢/ ٨٥٧ ح٤٥.

«بعدي» خاصة وأن حرف (نا) وحرف (ي) يتقاربان في الرسم إلى حد ما.

قال العلاّمة المجلسي (قدّس سرّه): «وقد وجدنا في بعض النسخ «بعدي» من دون تصحيف»[1]. وكما يحتمل تصحيف كلمة «بعدي» إلى «بعدنا» كذلك يحتمل تصحيف كلمة «أحد عشر» إلى «اثنا عشر» كما أشار العلاّمة المجلسي إلى ذلك في البحار. وهذا لا يصير سبباً للقدح بالكتاب، إذ قلّما يخلو كتاب من إضعاف هذا التصحيف والتحريف، ومثل هذا موجود في الكافي وغيره من الكتب المعتبرة، كما لا يخفى على المتتبع.

ويؤيد ذلك أن هذا الحديث بعينه مذكور في الحديث ١٤ من كتاب سليم أيضاً بهذه العبارة: «إن الله نظر نظرة ثالثة، فاختار منهم بعدي اثني عشر وصيّاً من أهل بيتي وهم من خيار أمتي، منهم أحد عشر إماماً بعد أخي واحداً بعد واحد..» ثم أورد في آخر الحديث ذكر أسمائهم بقوله: «أول الأئمة عليّ خيرهم ثم ابني الحسن..»[2].

ثانياً: هناك نصوص كثيرة في كتاب سليم بلغ تعدادها أربعة وعشرين، عدا عن الموارد الأخرى الكثيرة الدالة على أن عدد الأئمة اثنا عشر[3] إماماً.

وعليه فإن نسبة «الأئمة ثلاثة عشر» إلى كتاب سليم غير صحيحة، فلا معنى حينئذٍ للتمسك بنص واحد للطعن على الكتاب كلّه بحجّة أنه قد جعل الأئمة ثلاثة عشر.

فإذا دار الأمر بين نصٍّ واحدٍ [اعتبره البعض دليلاً على وضع الكتاب] وبين أربع وعشرين نصّاً، فلا شك أن دفة الترجيح ستكون للأكثر، إذ كيف يقابل نصٌّ واحد أربعاً وعشرين نصّاً؟ لا سيّما مع احتمال حصول تصحيف في كلمة «بعدنا» كما أشرت آنفاً إليه.

---

(١) بحار الأنوار ج٢٢/ ١٥٠.

(٢) كتاب سليم ج٢/ ٦٨٦ ح١٤.

(٣) راجع: كتاب سليم بن قيس ج١/ ١٧٣ ـ ١٨٠.

ثالثاً: إن الأحاديث التي أشارت إلى أن «الأئمة ثلاثة عشر» قابلةٌ للتأويل، وكلُّ ما كان قابلاً للتأويل من الأخبار يجب الأخذ به وإلاّ فلا، وعليه فإن الحديثين المتقدّمين رقم ١٦ و٢٥ الوارد فيهما الألفاظ التالية: «ثلاثة عشر رجلاً» و«ثلاثة عشر إنساناً» يُفسران بمقام الإمامة بإضافة رسول الله ﷺ إليهم، فالرسول بالإضافة إلى كونه رسولاً، له مقام آخر هو مقام الإمامة تماماً كما كان لجدّه إبراهيم الخليل عليه السلام حيث شرّفه الله تعالى بمقام الإمامة بعد أن كان رسولاً.

وأما الحديث رقم ٤٥ المتقدّم، والذي ترتكز المناقشة في رجوع الضمير في «بعدنا» إلى رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، وذكر «اثنا عشر وصيّاً» بعدهما يرجع إلى تعيين مقام الوصاية من الله تعالى على العباد، ونريد «بالوصاية» هنا الولاية الإلهية لآل محمّد، وعليه: فلا إشكال في العبارة بأن تكون مولاتنا الصدّيقة الطاهرة عليها السلام ضمن الاثني عشر بعد رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، وذلك أن موضوع الحديث هو من اختارهم الله وليّاً لنفسه عند ابتداء خلقه من بين جميع أهل الأرض، والذين جعلهم خيار أمة الرسول ﷺ.

بل لا بدّ وأن يكون المذكورون اثني عشر شخصاً ليشمل الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها، فإنّا نعتقد بعصمتها وأنها صاحبة الولاية الإلهية إلاّ أنها ليست بإمام. فالمعنى أن رسول الله يقول: إن الله تعالى بعدما اختارنا (أي محمّداً وعليّاً) من بين خلقه اختار اثني عشر وليّاً وهم فاطمة وأحد عشر شخصاً من ولده المعصومين، فجعلهم خيار أمتي واحداً بعد واحد.

رابعاً: إن اشتمال كتاب على أمر باطل في مورد أو موردين لا يدل على وضعه، كيف ويوجد ذلك في أكثر الكتب حتى في كتاب الكافي الذي هو أمتن كتب الحديث وأتقنها[1]. فقد جاء في الكافي في باب النصّ على الاثني عشر في خبر عن النبيّ ﷺ قال: من ولدي إثنا عشر نقباء نجباء مفهّمون آخرهم القائم

(١) معجم رجال الحديث للخوئي ج٨/ ٢٢٥.

بالحق يملأها عدلاً كما ملئت جوراً[1].

وكذا حديث أبي الجارود عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله: إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زرُّ الأرض يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا[2].

فقوله: «من ولدي اثنا عشر نقباء» تصحيف: «من ولدي أحد عشر» وكذا في الحديث الثاني فإن قوله: «واثني عشر من ولدي وأنت يا عليّ..» هي تصحيف: «وأحد عشر من ولدي..» هكذا أجاب الشيخ محمد تقي التستري[3].

إلا أنني لا أرى في هاتين الروايتين شيئاً من التحريف والتصحيف، إذ يمكن تأويلهما بالصدّيقة فاطمة وأولادها الأحد عشر كوكباً حيث هي وأولادها الأحد عشر المعصومون هم ولد رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله.

نعم التصحيف وارد في خبر جابر الأنصاري قال:

دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها فعددت اثني عشر»[4] لكنه ورد في الإكمال والعيون والخصال بدون كلمة «من ولدها»[5].

وعلى أيّ حال فالتصحيف موجود في جلّ كتبنا الحديثية ولا يقدح الأخذ بما فيها من الأخبار فتأمل.

---

(١) أصول الكافي ج١/ ٥٣٤ ح١٨.

(٢) أصول الكافي ج١/ ٥٣٤ ح١٧.

(٣) مقدمة كتاب سليم ج١/ ١٨٢ نقلاً عن قاموس الرجال للتستري ج٤/ ٤٥٢.

(٤) أصول الكافي ج١/ ٥٣٢ ح٩.

(٥) إكمال الدين ص٣١١ ح٣؛ عيون الأخبار ج١/ ٣٧ ح٦ والخصال ب١٢ ح٤٢ ولاحظ قاموس الرجال ج٤/ ٤٥٢ ومقدمة كتاب سليم ج١/ ١٨٣.

الأمر الثالث:

أن راوي كتاب سليم بن قيس هو أبان بن أبي عيّاش وهو ضعيف، وإبراهيم بن عمر الصنعاني، وقد ضعّفه ابن الغضائري، وعليه فلا يمكن الاعتماد على كتاب سليم بن قيس[1].

والجواب:

(١) أن إبراهيم بن عمر وثّقه النجاشي، ولا يعارضه تضعيف ابن الغضائري.

وقد ذكر النجاشي أيضاً والشيخ أن حماد بن عيسى له طريق إلى إبراهيم بن عمر الصنعاني. فالشيخ له طريقان إلى كتاب سليم في أحدهما حماد بن عيسى وعثمان بن عيسى، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، وفي الثاني: حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم.

وأما النجاشي فالظاهر ـ كما قال المحقّق الخوئي ـ إن في عبارته سقطاً وجملة (عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم) قد سقطت بعد قوله (وعثمان بن عيسى) وكيف كان فلا يصح ما ذكره ابن الغضائري من اختلاف سند هذا الكتاب، فتارة يروي عن عمر بن أذينة، عن إبراهيم بن عمر الصنعاني، عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم، وتارة يروي عن عمر عن أبان بلا واسطة، وذلك فإن عمر بن أذينة غير مذكور في الطريق أصلاً، وإبراهيم بن عمر روى عن سليم بلا واسطة.

وعثمان بن عيسى وحماد بن عيسى وعمر بن أذينة وإبراهيم بن عمر الصنعاني كلهم ثقاة.

والراوي عن سليم لم يكن إلاّ رجلاً واحداً وهو أبان بن أبي عيّاش، فهو الذي روى عن سليم كتابه بالمناولة منه والقراءة عليه، كما روى عنه أحاديث كتابه متفرقة في مختلف الروايات، وروى عنه بعض الأحاديث التي ليست في كتابه.

---

(١) معجم رجال الحديث ج٨/ ٢٢٥.

ويؤيد عدم رواية غير أبان عن سليم ما هو مذكور في مفتتح الكتاب المتضمن لكيفية تحويل سليم كتابه لأبان بصورة لم يطلّع عليه غيره، إذا أضفنا إلى ذلك أن أكثر الأحاديث المرويّة عن سليم في كتب الحديث موجودة في كتابه.

قال ابن النديم: «.. كتاب سليم بن قيس المشهور، رواه عنه أبان بن أبي عيّاش، لم يروه عنه غيره»[1].

وقال السيّد العقيقي: «لم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان بن أبي عيّاش»[2].

وما وراه إبراهيم بن عمر اليماني عن سليم مباشرة من دون توسّط أبان كما في رجال النجاشي ص٦٩ وأصول الكافي ج١ ص٩١ وفهرست الشيخ ص٨١ وبصائر الدرجات ص٨٣ وكمال الدين ص٢٤٠ يُحمل على أن رواية إبراهيم بن عمر اليماني لأحاديث سليم كثيرة جداً، وأكثرها منقولة عنه بتوسط أبان بن أبي عيّاش إلا في بعض الموارد حيث أُسقط أبان من هذه الأسانيد المذكورة في المصادر المتقدّمة تغليباً. ويؤيد ذلك أن الراوي عن إبراهيم هو حماد بن عيسى، مع أنه لم يتوسط بينهما أبان أيضاً.

ويمكن أن يقال: إن إبراهيم بن عمر كان قد رأى كتاب سليم في يد أبان، ولذلك كان يروي عن كتاب سليم مع الواسطة وقد يروي عنه بدون واسطة، أو أن كتاب سليم حيث كان بمجموعه مصدراً يُنقل عنه أُسقط إبراهيم بن عمر الواسطة وروى عن الكتاب وإن لم يكن رآه في يد أبان أيضاً. وهكذا ما وراه عمر بن أذينة ـ في بعض الروايات[3] ـ فقد أُسقط أبان الواسطة بينهما تغليباً أو غفلة، وذلك لأن عمر بن أذينة ينقل دائماً عن أبان، فأبان الواسطة بين عمر وبين سليم، بقرينة تظافر

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٧٥.

(٢) خلاصة الأقوال ص٨٣.

(٣) كما في رواية الحسين بن سعيد في كتاب الزهد ص٧.

روايات ابن أذينة عن أبان وعدم التوافق الزمني بين ابن أذينة وسليم، فإن سليماً توفي عام ٧٦هـ وابن أذينة توفي سنة ١٦٨هـ، فيبعد روايته عنه، مع عدم وجود روايته عنه في غير هذا المورد. ويؤيده أن الحسين بن سعيد نفسه قد روى عن ابن أذينة عن سليم بتوسط أبان كما في التهذيب ج٦/ حديث ٩٠٦، ويؤيدها أيضاً الكيفيّة التي ينقلها ابن أذينة في مفتتح الكتاب عن انتقال الكتاب إليه حيث تعطي ذلك عدم سابقة له مع سليم ولا كتابه قبل ذلك أصلاً، قال عمر بن أذينة: دعاني أبان بن أبي عياش قبل موته بشهر فقال لي: إني رأيت البارحة رؤيا أني خليق أن أموت سريعاً، إني رأيتك الغداة ففرحتُ بك، إني رأيت الليلة سليم بن قيس الهلالي فقال لي: يا أبان إنك ميّت في أيامك هذه، فاتق الله في وديعتي ولا تضيّعها، وفِ لي بما ضمنت من كتمانها ولا تضعها إلاّ عند رجل من شيعة عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه له دين وحَسَب»[1].

(٢) عدّه البرقي والشيخ الطوسي من أصحاب الإمام السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام ويظهر ذلك مما ذكره أبان في مقدمة كتاب سليم حيث عرض كتاب سليم على الإمام السجّاد عليه السلام فأقره عليه الإمام زين العابدين عليه السلام وقال: هذه أحاديثنا صحيحة. وذكر الكشي عرض الحديث المذكور آنفاً على الإمام الباقر عليه السلام بعد أبيه السجّاد، وأنه اغرورقت عيناه وقال: صدق سليم، وقد أتى أبي بعد قتل جدي الحسين عليه السلام وأنا قاعد عنده، فحدّثه بهذا الحديث بعينه فقال أبي: صدق، وقد حدّثني أبي وعمي الحسن بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام [2].

ولا نرى وجهاً لتضعيفه إذ لم يذكر لنا من ضعّفه وجه ذلك مع كونه من أصحاب الأئمة عليهم السلام فالجزم بضعفه ـ حسبما عبّر العلاّمة الممقاني في رجاله ـ مشكل بعد تسليم مثل سليم بن قيس كتابه إليه وخطابه بإبن الأخ، ومن لاحظ حال

---

(١) كتاب سليم ص٥٨ ط/ دار الإرشاد، وج٢/ ٥٥٦ تحقيق الخوئيني.

(٢) كتاب سليم ص٧، وج٢/ ٥٥٩ وص٦٢٨ وص٩٢٤.

سليم بن قيس مال إلى كون الرجل متشيّعاً ممدوحاً، وأن نسبة وضع الكتاب إليه لا أصل لها وإذا انضم إلى ذلك قول الشيخ أبي علي في المنتهى أني رأيت أصل تضعيفه من المخالفين من حيث التشيع تقوي ذلك والعلم عند الله تعالى، بل بعد إثبات وثاقة سليم تثبت وثاقة أبان هذا بتسليمه الكتاب المذكور إليه، وكيف كان فغالب روايات أبان هذا عن سليم بن قيس الهلالي، والراوي عنه غالباً هو عمر بن أذينة وإبراهيم بن عمر اليماني وحمّاد بن عيسى وعثمان بن عيسى»[1].

فلو قلنا إن أباناً ضعيف فكيف يروي عنه عمر بن أذينة وإبراهيم وحماد وعيسى وكلُّهم ثقاة؟ وعلى فرض كونه ضعيفاً فإن رواية هؤلاء الأجلّة عنه ترجّح الأخذ برواياته إلاّ ما كان مخالفاً للكتاب الكريم والسنّة القطعية، ولم يردنا شيءٌ عنه مما يخالف ما ذكرنا. هذا مضافاً إلى أن ما رواه أبان بن أبي عيّاش في كتاب سليم لا يتوافق مع معتقدات العامة، من هنا شنّ علماء العامة حملة شعواء[2] على أبان عناداً منهم لتشيّعه، بالإضافة إلى مواجهتهم العامة مع رواة الشيعة، والمؤسس للوقيعة في أبان هو شعبة بن الحجاج، وقد جرى على لسانه ما يوجب الاستيحاء من نقله، وهذه نماذج منها:

ـ قال شعيب بن حرب: سمعت شعبة يقول: لأن أشرب من بول حمار حتى أروى أحبّ إليّ من أن أقول: حدّثنا أبان بن أبي عيّاش[3].

ـ قال الذهبي: أبان بن أبي عياش البصري، أحد الضعفاء وهوتابعي صغير[4].

ـ روى ابن إدريس وغيره عن شعبة قال: لأن يزني الرجل خيرٌ من أن يروي عن أبان[5].

---

(١) تنقيح المقال/ الممقاني ج١/ ٣.

(٢) شعواء: متفرقة ممتدة.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي ج١/ ١٠.

(٤) ميزان الاعتدال ج١/ ١٠.

(٥) ميزان الاعتدال ج١/ ١٠.

ـ قال ابن إدريس: قلت لشعبة: حدثني مهدي بن ميمون عن سلم العلوي قال: رأيت أبان بن أبي عيّاش يكتب عن أنس بالليل، فقال شعبة: سلم يرى الهلال قبل الناس بليلتين[1].

ـ قال أحمد بن حنبل: قال عبّاد بن عبّاد: أتيت شعبة أنا وحمّاد بن زيد، فكلّمناه في أن يمسك عن أبان بن أبي عيّاش، قال: فلقيهم بعد ذلك فقال: ما أراني يسعني السكوت عنه[2].

ـ قال يزيد بن هارون، قال شعبة: داري وحماري في المساكين صدقة إن لم، يكن أبان بن أبي عياش يكذّب في الحديث، قلت: فلِمَ سمعت منه؟ قال: ومن يصبر عن ذا الحديث[3].

ـ قال عبدان عن أبيه عن شعبة: لولا الحياء من الناس ما صلّيت على أبان.

ـ وقال معاذ بن معاذ: قلت لشعبة: أرأيت وقيعتك في أبان، تبيّن لك أو غير ذلك؟ فقال: ظن يُشْبه اليقين.

ـ قال عبد الله بن أحمد بن شبّويه: سمعت أبا رجاء يقول: قال حماد بن زيد: كلّمنا شعبة في أن يكفّ عن أبان بن أبي عياش لسنّه وأهل بيته، فضمن أن يفعل، ثم اجتمعنا في جنازة فنادى من بعيد، يا أبا إسماعيل، إني قد رجعت عن ذلك، لا يحلُّ الكفّ عنه لأن الأمْرَ دِين!!

ـ قال الحسن بن الفرج عن سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد، قال: جاءني أبان بن أبي عيّاش فقال: أُحبّ أن تكلّم شعبة أن يكفّ عني، قال: فكلّمته، فكفّ عنه أياماً، فأتاني في الليل فقال: لا يحلّ الكف عنه فإنه يكذب على رسول الله(ص).

---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

ـ قال البخاري في تاريخه: كان شعبة سيء الرأي فيه[1].

ـ ويروى عن سفيان أنه قيل له: ما لك قليل الرواية عن أبان؟ قال: كان نسيّاً للحديث[2].

ـ أحمد بن حنبل قال: هو متروك الحديث، ترك الناس حديثه منذ دهر. وقال: لا يكتب عنه، قيل: كان له هوى، وقال: كان منكر الحديث[3].

ـ وكيع بن الجرّاح، قال أحمد بن حنبل: كان وكيع إذا مرّ على حديثه يقول: «رجل» ولا يسمّيه استضعافاً له[4].

ـ يحيى بن معين، قال: متروك[5].

ـ مرّة، قال: ضعيف[6].

ـ أبو عوانة، قال: كنت لا أسمع بالبصرة حديثاً إلاّ جئت به أبان، فحدّثني به عن الحسن حتى جمعتُ منه مصحفاً، فما أستحلّ أن أروي عنه[7].

ـ أبو إسحاق السعدي الجوزجاني قال: ساقط[8].

ـ النسائي، قال: متروك، وقال أيضاً: ليس بثقة.

ـ أحمد بن علي الأبّار قال فيما رواه العقيلي عنه: رأيت النبي(ص) في المنام فقلت: يا رسول الله، أترضى أبان بن أبي عياش؟ قال: لا[9].

---

(١) كل ما تقدم مروي عن ميزان الاعتدال ج١/ ١٠ ـ ١١.

(٢) ميزان الاعتدال ج١/ ١٢؛ تهذيب التهذيب ج١/ ٩٧.

(٣) ميزان الاعتدال ج١/ ١٢؛ تهذيب التهذيب ج١/ ٩٧.

(٤) ميزان الاعتدال ج١/ ١١ و١٥.

(٥) نفس المصدر.

(٦) نفس المصدر.

(٧) نفس المصدر.

(٨) نفس المصدر.

(٩) ميزان الاعتدال ج١/ ١٢.

ـ ابن عديّ، قال: أرجو أنه لا يتعمّد الكذب وعامّة ما أتى به من جهة الرواة عنه، وقال: هو بيّن الأمر في الضعف وأرجو أن لا يتعمّد الكذب إلاّ أنه يشبه عليه ويغلط[1].

ـ ابن سعد، حكى في طبقاته تضعيف أبان عن بعضهم[2].

ـ العقيلي، ذكره في كتابه «الضعفاء الكبير» وبالغ في تضعيفه، ومع ذلك نقل أنه كان طاووس القراء[3].

ـ الدارقطني قال: يحدّث عن أنس، متروك[4].

إشارة:

من خلال هذا العرض الموجز لكلمات علماء العامة في أبان بن أبي عيّاش، نعلم أن تضعيفهم له من أجل اعتقاده بإمامة الأئمة عليهم السلام ونشر أخبارهم، وإلا فما الموجب لتضعيفه عند العامة سوى ما ذكرنا؟

ويشهد لما قلنا التعبير الوارد عن الذهبي نقلاً عن أصحاب التراجم من أن الشرب من بول حمار أحبّ إليه من أن يروي شيئاً عن أبان بن أبي عيّاش وكذا ما ورد عن شعبة من أنه لولا الحياء من الناس ما صليت على أبان، وليس الكذب علةً في عدم الصلاة عليه وإنما العلة هي تشيّعه، وأبان ـ بنظر الذهبي وأمثاله ـ ليس أول جرة كُسرت في تراجمهم بل هناك رواة أجلّاء عند الإمامية نعتهم الذهبي (جرياً على سلفه) بالرفض والكذب، فها هو زرارة بن أعين الكوفي وأخوه حمران بن أعين اللذان أجمعت الطائفة على وثاقتهما وجلالة أمرهما ينعتهما بالرفض والكذب، وكذا كلّ من ترجم له من رواة الشيعة.

---

(١) ميزان الاعتدال ج١/ ١٤؛ تهذيب التهذيب ج١/ ٩٧.

(٢) الطبقات الكبرى ج٧/ ٢٥٤.

(٣) الضعفاء الكبير ج١/ ٣٨.

(٤) الضعفاء والمتروكين للدارقطني: رقم ١٠٣.

قال في ترجمة زرارة بن أعين: «كوفي، أخو حمران، يترفض»[1].

وقال في ترجمة حمران: «.. ليس بشيء.. وقال أبو داود: رافضي، وقال النسائي: ليس بثقة»[2].

ويظهر أن منشأ تضعيفه عند علماء الإمامية أمثال ابن الغضائري والطوسي عند تعرّضه لأصحاب الإمام الباقر عليه السلام، وتوقف العلاّمة الحلي فيه، هو تسرّع ابن الغضائري بالحكم عليه بالضعف، وتبعه الطوسي والحلي، لذا قال الحلي:

«والأقوى عندي التوقف فيما يرويه لشهادة ابن الغضائري عليه بالضعف»[3].

والعجب كيف صار تضعيف ابن الغضائري لأبان بن أبي عيّاش مناطاً لتضعيفه عند البعض، فلا معنى لتوقف العلاّمة الحلي أعلى الله مقامه لمجرد أن ابن الغضائري ضعّف أبان بن أبي عيّاش، وهل أن الحق يدور مع ابن الغضائري حيثما دار؟

قد يكون تضعيف ابن الغضائري سببه رواية أبان عن أنس بن مالك، لكنّ روايته عنه لا تعني عدم الوثاقة به، لا سيّما أن الروايات المنقولة عن أنس بن مالك بواسطة أبان لا تخلُّ بموازين العقيدة إلاّ رواية عرضها الذهبي[4] في الميزان، ولكن يظهر منها الدّس والتحريف على أبان، لا سيّما وأن الراوي عن أبان هو الفضل بن المختار وهو ليس بثقة على حد تعبير صاحب[5] ميزان الاعتدال فراجع. بالإضافة إلى أنه ليس الوحيد بتفرّده في نقل بعض الأخبار الشاذة، ومع هذا لم يحكم أحد بتضعيفهم أو القدح بهم. وقد تكون روايته عن أنس قبل تعرّفه على هذا

---

(١) ميزان الاعتدال ج٢/ ٦٩.

(٢) نفس المصدر ج١/ ٦٠٤.

(٣) خلاصة الأقوال ص٢٠٧.

(٤) ميزان الاعتدال ج١/ ١٣.

(٥) ميزان الاعتدال ج١/ ١٣.

الأمر، ويشهد له قصة[1] قدوم سليم إلى أبان وهروبه من الحجّاج.

إن منشأ القدح في أبان هو تشيّعه، ويشهد له قول أحمد بن حنبل «قيل إنه كان له هوى» أي أنه من اهل الأهواء والمراد به التشيّع. من هنا تفطّن ثلة من متأخري علماء الإمامية وحكموا بوثاقته والاعتماد عليه، ولم يكن ذلك إلاّ حصيلة الدراسة في كيفيّة مواجهة العامة معه وملاحظة حياة أبان والقرائن الكثيرة التي تحتّف بها.

قال السيّد الأمين في أعيان الشيعة: «الظاهر أن منشأ تضعيف الشيخ له قول ابن الغضائري، وصرّح العلاّمة بأن ذلك منشأ توقّفه فيه كما سمعت، وابن الغضائري حاله معلوم في أنه يضعّف بكلّ شيء ولم يسلم منه أحد فلا يعتمد على تضعيفه»[2].

وقال السيّد الصفائي الخوانساري في كشف الأستار: «وإنما ضعّفه (أي ضعّف الشيخ أبانا) في أصحاب الباقر عليه السلام ولم يعلم سببه، ولعلّه تضعيف المخالفين... وينبغي عدّه ـ أي تضعيف المخالفين لأبان ـ من مدائحه»[3].

وقال السيّد الموحّد الأبطحي في «تهذيب المقال» في بيان أنّ الشيخ أورد إسم أبان في ثلاثة موارد ولم يضعفه إلاّ في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، ولا يبعد كون قوله في أصحاب الباقر عليه السلام: «تابعي ضعيف» مصحّف «تابعي صغير» كما يظهر من العامة مدّعياً أنه ليس من كبار التابعين... ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال وقال: «تابعي صغير عن أنس وغيره..»[4].

وقال في موضع آخر: «إن ابن الغضائري بالإضافة إلى ضعف ما ذكره تفرّد

---

(١) كتاب سليم ص٥٩.

(٢) أعيان الشيعة ج٥/ ٥٠.

(٣) كشف الأستار ج٢/ ٣٠ ومقدمة كتاب سليم للخوئيني ج١/ ٢٢٢.

(٤) تهذيب المقال ج١/ ١٨٢.

في دعواه وأنكر عليه من تأخر عنه، وهذا أقوى دليل على أنّ كلامه غير مبني على أساس وإلاّ لالتفت إليه أحد ممن تأخر عنه»[1].

ـ قال المير داماد في الرواشح السماوية: «ثم إن أحمد بن الحسين بن الغضائري صاحب كتاب الرجال هذا.. في الأكثر مُسارع إلى التضعيف بأدنى سبب»[2].

ـ وقال المجلسي الأوّل: «وأنت خبير بأنّ ابن الغضائري لم يكن له معرفة بفحول أصحابنا وبجرحهم»[3].

وقال المجلسي الثاني: «الاعتماد على هذا الكتاب (أي كتاب ابن الغضائري) يوجب ردّ أكثر أخبار الكتب المشهورة»[4].

وقال الوحيد البهبهاني: «قلّ أن يسلم أحدٌ من جرحه أو ينجو ثقة من قدحه! وجَرَح أعاظم الثقات وأجلاّء الرواة الذين لا يناسبهم ذلك، وهذا يشير إلى عدم تحقيقه حال الرجال كما هو حقه أو كون أكثر ما يعتقده جرحاً ليس في الحقيقة جرحاً. وبالجملة لا شك في أن ملاحظة حاله توهن الوثوق بمقاله»[5].

ـ وقال السيّد محمّد صادق بحر العلوم: «.. الغضائري المعروف الذي لا عبرة بتضعيفاته كما نصّ على ذلك كل من ذكره من المؤلفين من ذوي الخبرة والتحقيق»[6].

بل هناك تحقيق حول نسبة كتاب الضعفاء لابن الغضائري الذي فيه شكّك في وثاقة أبان، فإن كتاب الضعفاء هو لأبي الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله

---

(١) نفس المصدر ج١/١٨٦.

(٢) الرواشح السماوية ص١١١، الراشحة ٣٥.

(٣) تنقيح المقال ج٢/٥٣.

(٤) تنقيح المقال ج١/٥٧ رقم ٣٢٧ ومقدمة كتاب سليم للخوئيني ج١/١٦٨.

(٥) مقدمة كتاب سليم ج١/١٦٨ نقلاً عن تعليقة البهبهاني على منهاج المقال.

(٦) الذريعة ج١٠/٨٩، مقدمة كتاب سليم طبع النجف ص١٥.

الغضائري وليس لأبيه الحسين أبي عبد الله شيخ الطائفة وهذا ليس عنده كتاب في علم الرجال، لذا قال المحقّق الداماد في الرواشح السماوية:

«ابن الغضائري مصنّف كتاب الرجال المعروف.. ليس هو الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري العالم الفقيه العارف بالرجال والأخبار، بل صاحب كتاب الرجال الدائر على الألسنة الشائع مع نقل التضعيف والتوثيق عنه هو سليل هذا الشيخ المعظّم أعني أبا الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري».

ثم نقل المير داماد عن السيّد ابن طاووس في آخر ما استطرفه من كتاب «التحرير الطاووسي» قوله: «أحمد بن الحسين على ما يظهر لي هو ابن الحسين بن عبيد الله الغضائري، فهذا الكتاب المعروف لأبي الحسين أحمد، وأما أبوه الحسين أبو عبد الله، شيخ الطائفة فتلميذاه النجاشي والشيخ ذكرا كتبه وتصانيفه ولم ينسبا إليه كتاباً في الرجال.. وبالجملة لم يبلغني إلى الآن من واحد من الأصحاب أن له في الرجال كتاباً»[1].

وبالجملة: فإن نسبة الكتاب المسمّى بالضعفاء إلى الحسين بن عبيد الله الغضائري شيخ الطائفة غير ثابتة، لذا قال العلّامة الطهراني في الذريعة: «إن نسبة كتاب الضعفاء هذا إليه ـ أي إلى الحسين بن عبيد الله الرجالي المعروف ـ مما لم نجد له أصلاً حتى أن ناشره قد تبرأ من عهدته بصحته، فيحق لنا أن ننزّه ساحة ابن الغضائري عن الإقدام في تأليف هذا الكتاب والاقتحام في هتك هؤلاء المشاهير بالعفاف والتقوى والصلاح المذكورين في الكتاب والمطعونين بأنواع الجراح، بل جملة من جراحاته سارية إلى المبرّئين من العيوب»[2].

وقال في موضع آخر: «إن نسبة كتاب الضعفاء هذا إلى ابن الغضائري المشهور.. إجحاف في حقه عظيم، وهو أجلّ من أن يقتحم في هتك أساطين

---

(١) الرواشح السماوية ص١١١ الراشحة ٣٥.
(٢) الذريعة ج٤/ ٢٩٠.

الدين حتى لا يفلت من جرحه أحد من هؤلاء المشاهير بالتقوى والعفاف والصلاح. فالظاهر أن المؤلف لهذا الكتاب كان من المعاندين لكبراء الشيعة وكان يريد الوقيعة فيهم بكل حيلة ووجه، فألّف هذا الكتاب وأدرج فيه بعض مقالات ابن الغضائري تمويهاً ليقبل عنه جميع ما أراد إثباته من الوقائع والقبائح»[1].

والمتحصل من ذلك «أن الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري لم يثبت بل جزم بعضهم بأنه موضوع، وضعه بعض المخالفين ونسبه إلى ابن الغضائري بل إن الاختلاف في النقل عن هذا الكتاب يؤيد عدم ثبوته بل توجد في عدة موارد ترجمة شخص في نسخة ولا توجد في نسخة أخرى إلى غير ذلك من المؤيدات»[2].

وزبدة المخض: إن تضعيف ابن الغضائري لأبان في الكتاب المنسوب إليه (أي إلى ابن الغضائري) لا قيمة لها وذلك لأن منشأها العامة ـ كما مرّ معك أخي القارىء ـ حيث إن أبان بن أبي عياش كان محسوباً على مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعدما كان من أنصار المدرسة الأخرى في أول حياته، وقد لعب سليم رضي الله تعالى عنه دوراً بارزاً في تشيّع[3] أبان وتطلّعه إلى الحقيقة وفحصه عنها، وقد انقلب أبانٌ على موروثاته البيئية والتي لم تصبو به إلى الأمان الروحي، وبعد اهتدائه بدأ الصراع العقيدي بينه وبين من كان منهم، فانقلب عليهم بحسب ظنهم، لأن كل من لم يكن من أتباع المدرسة البكرية (فهو بنظرهم) ضدهم، فحصلت بين أبان والمخالفين بعض ما كان يُرجى وقوعه، فأخذوا يرمونه بكل ما عندهم من التعرّض إلى شخصيته العلمية كرميه بسوء الحفظ[4] والنسيان ورواية المناكير، أو إلى شخصيته الاجتماعية بنسبة الكذب والاختلاط إليه، وقاموا بنشر ذلك في

---

(١) الذريعة ج١٠/ ٨٩.

(٢) معجم رجال الحديث للخوئي ج١/ ١٠٢.

(٣) فقد جاء عن أبان نفسه أنه لمّا قرأ كتاب سليم استعظم ما فيه ثم إن الإمام السجّاد عليه السلام وضّح له ما خفي عليه وبيّن له مباني التشيّع، فصار من أعاظم الرواة وثقاتهم. راجع الكتاب نفسه ص٥٩ ـ ٦٠ ط/ دار الإرشاد ومقدمة الخوئيني ج١/ ٢٢٧.

(٤) قد تقدّم عمّا ورد عن سفيان كيف أنه نعت أبان بالنسيان.

المجتمع، وكان في رأس هؤلاء المخالفين شعبة بن الحجاج الذي كان رأساً في النصب والعداء لأهل البيت النبوي عليهم السلام أيضاً.

ولا شك أن وسائل الدعاية والإعلام إذا كانت في أيدي أصحاب فكرة خاصة تكون الغلبة معهم في كثير من المجالات التي تتصل بحياة أفراد المجتمع، وخاصة الجانب العلمي وكلّ ما يرجع إلى الثقافة والتاريخ وغير ذلك، فلذلك بقي هذا التصوير غير الحقيقي عن أبان في التاريخ، ولم يبق للأجيال في صفحات التاريخ أي شيء آخر يُصوّر أبان على صورته الحقيقية، فكلّ من جاء بعد شعبة وتابعيه أخذ بكلامهم إمّا عمداً بقصد معارضة الشيعة، وإمّا غفلة عمّا اتخذه أعداء الشيعة مسلكاً لهم في الجرح والتعديل. وبما أن شخصية أبان كانت عظيمة في المجتمع آنذاك كبر على المخالفين ما كان يُعلن من مذهب أهل البيت عليهم السلام، فأوجب ذلك غيظهم وقاموا بإسقاطه عن أعين الناس وصدر عنهم كلمات يستحي الناقلون من نقلها، ولم يكن كل هذه التوهينات والتُّهم من عند العامة إلا لتشيّعه.

ويدل على ما ذكرنا أمور:

١ ـ أن كثيراً من العامة رووا عن أبان كثيراً من الأحاديث وحتّى شعبة نفسه، ثم أخذوا في الوقيعة فيه بعد ذلك، بل إنهم شكّكوا بكلّ من وثق بأبان واعتمد عليه، فها هو شعبة ينحت سَلْم العلوي الذي يروي عن أبان «بأنه يرى الهلال قبل الناس بليلتين» استهزاءاً به وتصغيراً لشأنه، كما أن قراءة سريعة لترجمة أبان في ميزان الاعتدال تعطيك انطباعاً واضحاً عن مدى الكراهية والبغض منهم لأبان ولمروياته، فواحد جمع مصحفاً من رواياته لكنه آخر الأمر لم يستحلّ أن يروي منها عنه حديثاً واحداً، ولئن يزني الرجل خير من أن يروي عن أبان، بل ذكر الذهبي عن سويد ابن سعيد قال: سمعت عليّ بن مُسْهر قال: كتبت أنا وحمزة الزيّات عن أبان ابن أبي عيّاش نحواً من خمسمائة حديث، فلقيتُ حمزة، فأخبرني أنه رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام؛ قال: فعرضتُها عليه، فما عرف منها إلاّ اليسير خمسة أو ستة أحاديث.

بل إن العقيلي ـ بحسب زعم الذهبي ـ رأى النبيّ ﷺ في المنام فقال له: يا رسول الله أترضى أبان بن أبي عيّاش؟ قال: لا[1].

٢ ـ أن ما ذكره شعبة وغيره من أنه يكذب على رسول الله، وأنه منكر الحديث وأنه لا يحلّ الكفّ عنه لأن الأمْرَ دِين، ليس كل ذلك إلاّ إشارة إلى ما كانوا يزعمون من أن الأحاديث الواردة في فضل أهل البيت عليهم السلام وولايتهم وكفر أعدائهم من المناكير وأنها كذب، وأن القيام تجاه نشر أمثال هذه الأحاديث واجب ديني!!

٣ ـ أن قول أحمد بن حنبل «كان له هوى» لا يريد به إلا هوى أهل البيت عليهم السلام والتشيّع.

ثم أنه يدل على تشيّع أبان عدة أمور أخرى:

١ ـ أن نقل أبان لهذا الكتاب واستبقائه وتحفّظه به ومناولته لمثل عمر بن أذينة شيخ الشيعة في البصرة أقوى دليل على تشيّعه إلى آخر عمره، وإلاّ لما تحفّظ بالكتاب بل أعدمه بالمرة.

٢ ـ إن ما قاله له الإمام الباقر عليه السلام في الحديث (١٠)[2] يدلُّ على أنه كان من المقربين عند الأئمة عليهم السلام، فإن ذا الحديث يخبر عن جميع ما جرى على أهل البيت عليهم السلام من الظلم وغصب الحقوق واختلاف الأحاديث الموضوعة ونحو ذلك.. مضافاً إلى ما ورد عنه من أنه التقى بالإمام السجّاد عليه السلام وسأله «عمّا يسعه جهله وعمّا لا يسعه جهله فأجابه بما أجابه» وهذا يدلّ على أوائل تشيّعه.

٣ ـ إن نفس مخالفة العامة له، ووقيعتهم فيه أقوى دليل على تشيّعه.

ويدل على وثاقة أبان عدة أمور:

---

(١) فليراجع: ميزان الاعتدال ج١/ ١٢ ترجمة أبان.

(٢) كتاب سليم ج٢/ ٦٢٩ وص٥٦١ وج١/ ٢٢٦.

(١) اعتماد العلماء على كتاب سليم الذي لم ينقله غير أبان، مما يدل على جلالة قدره وإليك بعضها:

ـ قال الشيخ النعماني في الغيبة: «ليس بين جميع الشيعة ممّن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول... وهو من الأصول التي ترجع إليها الشيعة..»[١].

ـ وقال العلاّمة الطهراني في الذريعة: «وهو من الأصول القليلة التي أشرنا إلى أنها أُلّفت قبل عصر الصادق عليه السلام»[٢].

وبياناً لمعنى «الأصل» وأهميته نقدّم ثلاثة نصوص:

قال الشيخ المفيد رحمه الله: «صنّفت الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عصر أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أربعمائة كتاب تسمّى الأصول، وهو معنى قولهم: «له أصل»[٣].

قال الشيخ البهائي في مشرق الشمسين: «وقد بلغنا عن مشايخنا قدّس سرّهم أنه كان من دأب أصحاب الأصول أنهم إذا سمعوا عن أحد من الأئمة عليهم السلام حديثاً بادروا إلى إثباته في أصولهم لئلا يعرض لهم نسيان لبعضه أو كلّه بتمادي الأيام»[٤]. وذكر مثل ذلك المير الداماد في الرواشح السماوية[٥].

قال العلاّمة الطهراني في الذريعة: «الأصل من كُتُب الحديث هو ما كان المكتوب فيه مسموعاً لمؤلّفه من المعصوم عليه السلام أو عمّن سمع منه لا منقولاً عن مكتوب... ومن الواضح أن احتمال الخطأ والغلط والسهو والنسيان وغيرها في

---

(١) الغيبة ص٦١.
(٢) الذريعة ج٢/ ١٥٢.
(٣) معالم العلماء لابن شهرآشوب ص٣.
(٤) الذريعة ج٢/ ١٢٨.
(٥) الرواشح السماوية، الراشحة ٢٩.

الأصل المسموع شفاهاً عن الإمام عليه السلام أو عمّن سمعه منه أقلّ... فوجود الحديث في الأصل المعتمد عليه بمجرده كان من موجبات الحكم بالصحّة عند القدماء..

هذه الميزة ترشّحت إلى الأصول من قِبَل مزيّة شخصية توجد في مؤلّفيها. تلك هي المثابرة الأكيدة على كيفية تأليفها والتحفّظ على ما لا يتحفّظ عليه غيرهم من المؤلّفين وبذلك صاروا ممدوحين من عند الأئمة عليهم السلام... ولذا نعدّ قول أئمة الرجال في ترجمة أحدهم «إن له أصلاً» من ألفاظ المدح له..

إنّ المزايا التي توجد في الأصول ومؤلّفيها دعت أصحابنا إلى الاهتمام التام بشأنها قراءةً وروايةً وحفظاً وتصحيحاً، والعناية الزائدة بها وتفضيلها على غيرها من المصنّفات. ويُرشدنا إلى ذلك تخصيصهم الأصول بتصنيف فهرس خاص لها وإفرادهم مؤلّفيها على سائر الرواة والمصنّفين بتدوين تراجمهم مستقلة»[1].

ـ قال رحمه الله في موضع آخر:

«روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء ولا يعلم من أسبابنا شيئاً، ووهو أبجد الشيعة، وهو سر من أسرار آل محمد صلى الله عليه وآله»[2].

ـ وقال أيضاً: «عن مختصر البصائر: أنه قرأ أبان بن أبي عيّاش كتاب سليم على سيّدنا عليّ بن الحسين عليه السلام، بحضور جماعة من أعيان أصحابه، منهم أبو الطفيل، فأقرّه عليه زين العابدين عليه السلام وقال: هذه أحاديثنا صحيحة»[3].

ـ وذكر الكشي عرض الحديث المذكور آنفاً على الإمام الباقر عليه السلام ـ بعد أبيه الإمام السجّاد عليه السلام ـ وأنه اغرورقت عيناه، وقال؛ صدق سليم، وقد أتى أبي

(١) الذريعة ج٢/ ١٢٥ ـ ١٢٨.
(٢) نفس المصدر ج٢/ ١٥٢.
(٣) نفس المصدر ج٢/ ١٥٢.

بعد قتل جدي الحسين، وأنا قاعد عنده فحدّثه بهذا الحديث بعينه فقال أبي: صدق، وقد حدّثني أبي وعمي الحسن بهذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

ـ ونقل عن كتاب سليم كثير من قدماء الأصحاب، مثل: ثقة الإسلام في الكافي، ورئيس المحدّثين الشيخ الصدوق في الخصال، وفرات في تفسيره، ومن لا يحضره الفقيه، وعيون المعجزات، والاحتجاج، وإثبات الرجعة، والاختصاص، وبصائر الدرجات، وتفسير ابن ماهيار، والدرّ النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم. فقد رووا عنه بأسانيد متعددة تنتهي أكثرها إلى أبان بن عيّاش، الذي أعطاه سليم كتابه مناولة، ويرويه أيضاً عن سليم بغير مناولة[2].

ـ وقد اعتبره النجاشي في جملة القلائل المتقدّمين في التصنيف من سلفنا الصالح[3]، وأشار إليه شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله[4]، وابن شهرآشوب المازندراني[5].

ـ أمّا المسعودي فقال: «والقطعية بالإمامة، الاثنا عشرية منهم، الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه»[6].

ـ وقال العلّامة السيّد ابن طاووس: «تضمّن الكتاب ما يشهد بشكره وصحّة كتابه»[7].

ـ وقال المولى محمّد تقي المجلسي: «إنّ الشّيخين الأعظمين حكما بصحّة كتابه، مع أنّ متن كتابه دالٌّ على صحّته»[8].

---

(١) نفس المصدر ج٢/ ١٥٣.
(٢) نفس المصدر ج٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥.
(٣) رجال النجاشي ص٦.
(٤) الفهرست ص١٦٢.
(٥) معالم العلماء ص٥٨.
(٦) التنبيه والاشراف ص١٩٨.
(٧) التحرير الطاووسي ص١٣٦.
(٨) روضة المتّقين ج١٤/ ٣٧٢.

وقال: «كفى باعتماد الصدوقين: «الكليني والصدوق ابن بابويه» عليه... وهذا الأصل عندي ومتنه دليل صحّته»[1].

ـ وقد اعتبره المحدّث المتبحر الشيخ الحرّ من الكتب المعتمدة التي شهد بصحتها مؤلوفها وغيرهم، وقامت القرائن على ثبوتها، وتواترت عن مؤلّفيها أو عُلِمَتْ صحّة نسبتها إليهم[2].

ـ وراجع ما نقله الفاضل المعاصر الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني في مقدمة كتاب سليم بن قيس[3] عن العلاّمة السيد مصطفى التفريشي، والعلاّمة السيد هاشم البحراني، والمدقّق الشيرواني، والفاضل المتبحر مير حامد حسين صاحب كتاب عبقات الأنوار والحر العاملي والسيد محمد باقر الخوانساري وغيرهم.

ـ وقال ابن أبي الحديد المتوفى عام ٦٥٦هـ: «سليم معروف المذهب، وكتابه المعروف بينهم المسمّى كتاب سليم»[4].

ـ وقال القاضي بدر الدين السبكي المتوفى عام ٧٦٩هـ: «إن أول كتاب صنّف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي»[5].

ـ وقال شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي: «سليم بن قيس الهلالي يكنّى أبا صادق، له كتاب أخبرنا به ابن أبي جيد..»[6].

ـ وقال النجاشي المتوفى عام ٤٥٠هـ: «سليم بن قيس الهلالي له كتاب يكنى

---

(١) تنقيح المقال ج٢/ ٥٣.
(٢) وسائل الشيعة ج٢٠/ ٣٦ و٤٢.
(٣) كتاب سليم/ الخوئيني ج١/ ١٠٩ ـ ١١٣.
(٤) شرح نهج البلاغة ج١٢/ ٢١٦ ومقدمة الخوئيني ج١/ ١٠٥.
(٥) الذريعة ج٢/ ١٥٣.
(٦) الفهرست للطوسي ص٨١ رقم ٣٣٦.

أبا صادق. .»[١].

- قال الحافظ الشهير محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني المتوفى عام ٥٨٨هـ: «سليم بن قيس الهلالي صاحب الأحاديث، له كتاب»[٢].

إذن، اعتماد العلماء قديماً وحديثاً على الكتاب يعتبر دليلاً على وثاقة أبان الذي لم ينقله عن سليم غيره.

(٢) إن نفس اعتماد سليم عليه وإعطائه الكتاب أقوى دليل على صدق أبان بن أبي عيّاش في نقل الكتاب عن سليم، والذي تشهد القرائن الكثيرة - وقد أشرنا إلى بعضها - على صحة نسبة الكتاب إلى سليم.

(٣) إقرار كثير ممن أوقع في أبان بأنه كان من العُبّاد ومعروفاً بالخير كقولهم «ما زال نعرفه بالخير مذ كان»[٣] وقولهم «كان أبان من العبّاد»[٤] وقولهم «إنه كان طاووس القراء»[٥] «وأرجو أن لا يتعمد الكذب»[٦].

ونِعم ما قال الفاضل الشيخ محمد باقر الأنصاري الخوئيني:

«إن أبان بن أبي عيّاش كان من كبار علماء الشيعة، وكان متصلاً بالأئمة المعصومين عليهم السلام وأصحابهم، وأنه كان ممن أصابه سهام التهمة والافتراء من الأعداء في سبيل إحياء مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو أوثق من أن يبحث عن ذلك فيه، وله علينا حقّ عظيم لسعيه الوافر في استبقاء هذا التراث القيّم - يقصد كتاب سليم - في تلك الظروف المملوءة بالغشم والإرهاب والاتّهام، جزاه الله عن أهل بيت نبيّه خير الجزاء»[٧].

---

(١) رجال النجاشي ج١/ ٦٩ تحقيق محمد جواد النائيني.
(٢) معالم العلماء ص٥٨ رقم ٣٩.
(٣) ميزان الاعتدال ج١/ ١٠.
(٤) ميزان الاعتدال ج١/ ١٠.
(٥) المقدمة للخوئيني ج١/ ٢٢٠ نقلاً عن الضعفاء الكبير ج١/ ٣٨.
(٦) ميزان الاعتدال ج١/ ١٤.
(٧) مقدمة سليم ج١/ ٢٣٠.

وعليه فما ذكرته الشبهة من تضعيف أبان أو نسبة وضع الكتاب إليه لا تلائم رواية أجلّاء الطائفة قبل ابن الغضائري لهذا الكتاب ولروايات سليم، وفيهم من صرّح كالنجاشي وغيره بكونه غير مطعون في حديثه ثقة في رواياته مسكوناً إليه في أحاديثه وغير ذلك مما ينافي روايتهم لكتاب موضوع، وهؤلاء مثل ابن أبي جيد شيخ النجاشي والشيخ الصدوق وابن الوليد وأحمد بن محمد بن عيسى والحسين بن سعيد وعبد الله بن جعفر الحميري ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب وهارون بن موسى التعلكبري ويعقوب بن يزيد وحماد بن عيسى ومحمد بن أبي عمير وغيرهم من أجلّاء الرواة. هذا مضافاً إلى أنه لا توجد أية إمارات تدل على الوضع، من هنا استنكر علماء الإمامية على نسبة الوضع والدّس.

قال المجلسي الأول: «إن متن كتابه دال على صحّته»[1].

وقال الفاضل التفريشي: «الصدق مبيّن في وجه أحاديث هذا الكتاب من أوله إلى آخره»[2].

وقال الميرزا الاستر آبادي: «وشيء من ذلك لا يقتضي الوضع»[3].

وقال الشيخ الحر: «ليس فيه شيء فاسد ولا ما استدل به على الوضع»[4].

وقال السيّد الخوئي: «لا وجه لدعوى وضع كتاب سليم أصلاً»[5].

وقال ابن طاووس في التحرير: «سليم بن قيس تضمن الكتاب ما يشهد بشكره وصحة كتابه..»[6].

---

(١) روضة المتقين ج١٤/ ٣٧٢.

(٢) نقد الرجال ص١٥٩.

(٣) منهج المقال ص١٧١.

(٤) وسائل الشيعة ج٢٠/ ٢١٠.

(٥) معجم رجال الحديث ج٨/ ٢٢٥.

(٦) تنقيح المقال ج٢/ ٥٢.

قال الشيخ الممقاني أعلى الله مقامه: «وأما ابن عيّاش فقد رجّحنا كونه إمامياً ممدوحاً وكون خبره حسناً والحسنة حجة على الأظهر، فظهر أن الرجل - أي سليم - مشكور وأن كتابه صحيح»[1].

الشبهة الرابعة:

استدل الأستاذ سهيل زكّار[2] السوري، بأن عمر بن الخطاب لم يعصر الصدّيقة الطاهرة فاطمة عليها السلام بين الحائط والباب، لأنه لم يكن لبيوت المدينة في عهد الرسول أبواب ذات مصاريع خشبية، بل كان هناك ستائر توضع على عتبات الأبواب. وقد نقل عنه هذا السيّد البيروتي متبنّياً - بحسب الظاهر - رأيه لقرائن تثبت ذلك، تقدم بعضٌ منها، والبعض الآخر مبثوث في مطاوي كلماته هنا وهناك في المجلات والجرائد والكتب والاذاعات، وآخر ما توصل إليه: أنه لا يثبت ولا ينفي، أو أنه يستبعد ما حصل عليها لأن محبة المسلمين للزهراء كانت أكثر من محبتهم لعليّ[3].. الخ.

يَرِدُ عليه:

أولاً: إن دعوى عدم وجود أبواب خشبية مجرد مزحة لا يكاد أحدٌ يصدّقها، بل مهزلة تُردُّ على صاحبها، فلسنا أمّعة نتلقّى كل ما يُلقى إلينا، لا سيّما من جامعيين تربُّوا في جحور الغرب وجامعاته إلاّ المتقون منهم وهم قليل، ويكفي لردّ هذه المهزلة أن نحيل صاحبها على مئات المصادر التاريخية - من عامة الأديان والفرق - فيرى الكثير من النصوص الدالة على وجود أبواب خشبية ذوات مصارع وحُلق ومسامير. فالتاريخ القديم يغص بذكر المدن والبيوت ذات الأبواب،

(١) تنقيح المقال ج٢/ ٥٢.

(٢) وهو مؤرخ علماني يعتمد على النصوص الآشورية أكثر من اعتماده على النصوص الإسلامية سوى ما يدخل في نطاق هدفه، له نظريات لا تتوافق مع أصول الإمامية، وقد أخذ مادة التاريخ من جامعات الغرب والحفريات الكلدانية والآشورية وغيرها.

(٣) الزهراء المعصومة ص٥٥ الطبعة الأولى ١٩٩٧ دار الملاك.

ويشهد لهذا ما ذكره القرآن المجيد من قصة النبيّ يوسف عليه السلام وزوجة العزيز ملك مصر آنئذٍ حيث أرادت إغوائه فامتنع، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

وقال تعالى حكاية عنهما: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾[2] والسيرة العقلائية تؤكد ما قلنا إذ لم يُعهد عندهم أنهم بنوا بيوتاً بلا أبواب ذات مصارع وحلق، بل كان وجود الأبواب الحجرية وغيرها متعارفاً لدى المجتمعات البدائية التي كانت الكهوف مسكناً لهم، حفاظاً على أنفسهم من السباع والضباع والأسود والأفاعي وغيرها، فإخراج المجتمع المدني من سيرة العقلاء يعدُّ فصلاً بلا دليل معتبر.

ثانياً: كان المجتمع المدني آنذاك خليطاً من الأفراد، فيهم الصالح والطالح، المؤمن والكافر والمنافق، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾[3].

وحيث إنّ المنافق يضمر الشرك والكفر، ويُظهر الإيمان، وجب حينئذٍ الحذر منه على الأموال والأنفس، وهل يتصور عاقل أن ينام الفرد في بيت لا مِصراع خشبي له، «وهو يعلم أن ضرراً ما سيلحقه من منافق أو كافر، بل وسبع أو حيوان، لا سيّما وأن يثرب كانت مسرحاً للحروب الداخلية والتجاذبات الحزبية والقبلية قبل الإسلام، بل لقد بُعث النبيّ صلى الله عليه وآله في وقت كان أهل المدينة فيه لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وللعربي حالاته ومفاهيمه تجاه قضايا الثأر والغزو والحروب والعداء والولاء، وأكبر شاهد على ما قلنا هو ما فعلوه بعترة نبيّه بعد وفاته حيث ينمُّ عِداؤهم لعترة رسول الله محمّد على إستحكام الحقد المستكنّ

---

(١) سورة يوسف: ٢٣.

(٢) سورة يوسف: ٢٥.

(٣) سورة التوبة: ١٠١.

في النفوس، فكيف يمكن حينئذٍ أن نتصور أن يعيش هكذا إنسان مع هذه المفاهيم حالةً من الرخاء والاسترخاء في مواجهة كل الاحتمالات المخيفة التي تحيط به، فيترك بيته من دون باب، مكتفياً بالمبيت بالسلاح الذي لن يكون قادراً على حمايته حين يكون مستغرقاً في نومه لا يشعر بما يحيط به، ولايلتفت إلى ما يجري حوله، خصوصاً إذا كان العداء بين قبيلتين أو فريقين يعيشان في بلدٍ واحد كالأوس والخزرج أو هما مع اليهود من بني النضير وقينقاع وقريظة».

وبالجملة: فإن فائدة وجود الباب الخشبي وما شابهه ليست من أجل دفع اللصوص فحسب، وإنما لدفع الحشرات والسباع والحيوانات، هذا مضافاً إلى أن أعظم فائدة مترتبة عليه هي ستر النساء عن أعين الرجال، ودفع حسيسهنّ عن آذان غير الأزواج، بل إن الخلوة بالزوجة للجماع يستلزم وجود أبواب ذوات مصارع حرصاً على اللوازم المترتبة على الجماع كما لا يخفى، مع الإشارة إلى أن لوجود الأبواب ذوات المصارع فائدة أيضاً في دفع الهواء الحار المختلط بالرمال الصحراوية.

إن تشكيك سهيل بن زكّار يستلزم نفي أمرين:

الأول: تنزيه عمر بن الخطاب عن تهمة قتل الصدّيقة فاطمة بنت رسول الله محمّد صلّى الله عليهما.

الثاني: نفي الفضيلة عن آل البيت عليهم السلام من خلال نفي ما ورد، أو التشكيك به على أقل تقدير من أن النبيّ بعد نزول آية التطهير بحق أهل بيته السادة الميامين: فاطمة وعليّ الحسن والحسين عليهم السلام بقي ثمانية أشهر يطرق باب سيّدة النساء فاطمة ويأخذ بعضادتي الباب ثم يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة رحمكم الله «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت..»[1].

ومهما حاول تيار التشكيك ـ سواء من العامة أم ممن يحسب نفسه من

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢/ ٥٢.

الخاصة - أن يحرف بقيمنا التاريخية والعقائدية ليثبت الحق لأهل الباطل، فلن يصل إلى بغيته، لأن الله تعالى أرصد للأمة من يحميها من ضربات اولئك المشكّكين المتغربين.

إن لم تعِ الأمة عقائدها الصحيحة عبر التلقين السليم فسوف يتسلّط عليها عفاريت الإنس والجن، وتلك خيانة للمبادىء والقيم التي أوصلها إلينا المتقدّمون وضحّوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس، فحريّ بنا أن ننهج منهجهم بعين الرضا لأهل البيت عليهم السلام، فنحبّ ما أحبّوا ونبغض ما كرهوا، فلا تغرينا الشعارات الإسلامية التي تصبغها على نفسها شخصيات ومنظمات وأحزاب، حتى لا نقع في المصيدة فيسهل أكلنا.

إن عالمنا الإسلامي تقوده حركات وأحزاب دينية، تُخفي في طياتها عقائد وتوجهات عامية تنصب العداء لأهل البيت عليهم السلام. شعارها محاربة الاستعمار، ومضمونها وواقعها محاربة عقيدة آل البيت عليهم السلام.

إن أي تنظيم - مهما كان لونه وشكله - إن لم يحمل توجهات صحيحة مستوحاة من مشكاة الولاية لن يكتب له النجاح طويلاً، بل سيرتدّ أفراده على قيادته وتنقلب الصورة ويتهشم البناء بتحطم الأساس.

الشُّبهة الخامسة:

سُئل[1] أحدهم: لماذا أصرت الزهراء عليها السلام على أن يبقى قبرها غير معروف مع أنها كانت قمة في التسامح؟

فأجابه: كانت المسألة احتجاجية وقد عرف قبرها بعد ذلك، ويقصد الحديث المشهور: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة[2].

---

(١) والمسؤول هو السيّد محمد حسين فضل الله.

(٢) مرآة العقول/ محمد باقر المجلسي ج٥/ ٣٤٩ هامش حديث ١٠: وقد تبنّى صاحبه الرأي القائل أن قبر الصدّيقة عليها السلام هناك.

والجواب:

(١) إن الاستدلال بهذا الحديث على موضع قبرها أول الكلام، إذ من أين عرف المستدل أن هذه الروضة هي للصدّيقة الزهراء عليها السلام، إذ قد تكون موضع جسد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ ما حل جسد المعصوم في مكان إلاّ وكان روضة من رياض الجنّة، والأظهر عندي أن الروضة هي موضع السقط محسن الشهيد عليه السلام ويشهد لما نقول ما رواه حسين بن حمدان عن محمّد بن المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقص عليه ما جرى على أمير المؤمنين والصدّيقة الطاهرة عليها السلام قال: قال أمير المؤمنين عليّ لعمر بن الخطاب:

«.. اخرج قبل أن أخرج سيفي[١] ذا الفقار، فأفني غابر الأمة، فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر وصاروا خارج الدار، فصاح أمير المؤمنين بفضة: إليكِ مولاتك فاقبلي منها مايقبل النساء وقد جاءها المخاض من الرفسة وردة [ورده] الباب فسقطت [فأسقطت] محسناً عليه [ظ: عليه السلام] قتيلاً وعرفت أمير المؤمنين إليه التسليم فقال لها: يا فضة لقد عرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله وعرّفني وعرّف فاطمة وعرّف الحسن وعرّف الحسين اليوم بهذا الفعل ونحن في نور الأظلة أنوار عن يمين العرش فواريه بقعر البيت فإنه لاحق بجده رسول الله..»[٢].

وما اعتمده من قال إنّها دُفنت في الروضة أو في بيتها جُلّه أخبار آحاد، معارضٌ لأخبار أخرى دلت على أنّها دُفنت صلوات الله عليها بالبقيع، والبقيع واسع لا ندري في أي مكان دفن جسدها الطاهر فيه!

وتترجح أخبار البقيع لكثرتها على غيرها من الأخبار التي دلت على أنه دفنها.

---

(١) هذه إشارة مهمة على أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لم يكن مأموراً بإشهار سيفه بوجه تلك العصابة الظالمة لحكمة هو أدرى بها.

(٢) الهداية الكبرى ص٤٠٨.

في بيتها، وما يدرينا لعلّ المراد من بيتها هو الذي اتخذه لها أمير المؤمنين عليه السلام في البقيع لتبكي على أبيها بعد أن منعها أبو بكر وعمر من ذلك، فبهذا يمكن الجمع بين الطائفة التي قالت: إنها ـ بنفس هي وأبي وأمي ـ دفنت في بيتها، وبين الطائفة التي دلت على أنها صلوات الله عليها دفنت في البقيع.

نعم هناك خبر يشير إلى أنها دفنت في بيتها الملصق بحجرة رسول الله فلمّا زادت بنو أمية في المسجد صارت في المسجد[1]. فقوله (لما زادت بنو أمية..) قرينة على أن البيت هو المتاخم لحجرة رسول الله، فتُصرف الروايات إليه.

لكنه غير كاف لضعفه، فنبقى مع الأخبار التي دلت على أن أمير المؤمنين عليه السلام «لمّا مضى شطر من الليل أخرجها ومعه ولداه الحسن والحسين وعمّار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذر وسلمان وبريدة... وسوّى قبرها مع الأرض مستوياً فمسح مسحاً سواء مع الأرض حتى لا يُعرف موضعه» وفي بعض النصوص حفر أربعين قبراً فأراد عمر أن ينبشها فقال له الإمام عليه السلام: والله لو رُمت ذلك يا ابن صهّاك لأرجعت إليك يمينك، ولئن سللت سيفي لا غمدته دون إزهاق نفسك، فانكسر عمر وسكت[2].

(٢) كيف نجمع بين قوله «إن الزهراء أصرت على إبقاء قبرها غير معروف؟ مع أنها كانت قمة في التسامح من أجل أن المسألة كانت احتجاجية» وبين قوله: «إنّ أبا بكر وعمر قد جاءا لاسترضائها قبل وفاتها فرضيت عنهما؟»[3].

الشُّبهة السادسة:

كيف ترك أمير المؤمنين عليّ عليه السلام زوجه الزهراء عليها السلام تواجه التحدي لوحدها، ألا يجدر به عليه السلام أن يردّ على عصابة الضلال بدلاً من الصدّيقة الطاهرة عليها السلام، أو أن تردّ فضة مثلاً على القوم؟

---

(١) أصول الكافي ج١/ ٤٦٠ ح٩.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣/ ١٩٣ وص١٩٩ وص٢١٢.

(٣) خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام ج٦/ ٢٢٦.

والجواب:

(١) إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يترك مولاتنا الصدّيقة الطاهرة تواجه الأمر لوحدها، بل كلّ ما في الأمر أنها روحي فداها كلّمتهم من وراء الباب، وأيّ نقيصة أن تكلّم المرأة رجلاً من خلف ستار؟ ولكنّ القوم دخلوا الدار عنوةً وبسرعة حيث إن الإمام عليه السلام كان منشغلاً مع بعض أصحابه في إحدى غرف داره، فلو خرج وكلّمهم هو وأصحابه لكان ذلك مبرّراً لعصابة النفاق فيشيعون بين الناس أن الإمام وأصحابه هجموا على أبي بكر، فيصبح بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ظالماً ـ بنظر أتباع عصابة النفاق ـ والطرف الآخر مظلوماً، فعدم خروج مولانا الإمام عليه السلام وردّه عليهم إنما كان من أجل دفع الفتنة المتوجهة إليه من قبل القوم، لأنه لو خرج إليهم لقالوا للناس إنه واجهنا بالعنف، ولم يكن أمامنا خيار إلاّ أنْ اعتقلناه درءاً للفتنة، وحفاظاً على الدين والأمة، ومن الذي يستطيع أن ينكر عليهم ما يدّعون ويرى الناس أنهم حكّام متسلطون، ولدى الحكام عادة السياط والسيوف إلى جانبها الأموال والمناصب، وبإمكانهم تلبية المطامح والمآرب، ويبقى إعلامهم هو الأعلى صوتاً، لأنه يضرب بسيوف المال والجاه والجبروت والأطماع، وهناك الحقد الظالم من الكثيرين على الإمام عليّ عليه السلام، وعلى كلّ من يلوذ به أو يُنْسَب إليه، وعليهم أن يستفيدوا من هذه الأحقاد لتثبيت أمرهم وتقوية سلطانهم، وحين إجابتهم مولاتنا فاطمة عليها السلام كان جوابها المفاجأة أو الصدمة التي ضيّعت عليهم الفرصة التي رأوها سانحة، كانوا يريدون قتل الإمام عليه السلام ـ حسبما أفصحت الأخبار عن ذلك ـ وقتل الصدّيقة فاطمة عليها السلام، من هنا تعمّد عمر رفسها على بطنها ولكزها بالسيف مضافاً إلى عصرها بين الحائط والباب، فواجهوها بتلك القسوة والفظاظة والغلظة لأنها حالت دون وصولهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكانت ـ فديتها بنفسي ـ شهيدة الحق، وقضى محسن عليه السلام شهيداً في سبيل مظلومية أمير المؤمنين وزوجه سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام.

وإصرار القوم بأخذ البيعة من الإمام عليّ عليه السلام لإرغامه على السكوت، إذ

بمبايعته لمن اغتصب حقه سيخفف من حدّة المعارضة لهم والاحتجاج عليهم، كما أنهم بهذا الجو الإرهابي يظهرون الإمام علياً عليه السلام على أنه متمرد على الشرعية، فكان موقف الصدّيقة الشهيدة مفاجئاً لهم، فقد أفقدهم القدرة على التصرف المناسب، وضيّع عليهم ما جاءوا لأجله، فتصرفوا معها برعونة وبإنفعال وحقد، وتسبّب هذا في فضح أمرهم وتعريتهم على واقعهم، فكان خطابها (روحي فداها) لهم من خلف الباب ضربة فاطمية موفّقة منها ـ (وكلُّ ما يصدر منها حكمةً وصواباً ونورا) ـ محقت كلّ كيدٍ وزيفٍ، وأبطلت كلّ تزوير أو تحوير للوقائع والحقائق.

(٢) أن الإمام علياً عليه السلام لم يتوان لحظة عن مولاتنا الصدّيقة فاطمة عليها السلام فها هي الأخبار الصحيحة تذكر كيف أخذ بتلابيب عمر بن الخطاب ووجأ أنفه ورقبته وهمّ بقتله لولا وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله بالكف عنهم ما دامت العدة ـ وهي أربعون رجلاً ـ لم تكتمل، لذا قال الإمام عليّ لابن الخطاب: «يا ابن صهّاك لولا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليّ رسول الله، لعلمت أنك لا تدخل بيتي»، من هنا قال ابن صهّاك عمر لمّا اعترضه جماعة ممن كان معه أأنت تدخل على عليّ بن أبي طالب داره؟ قال: نعم! إنّ الرجل لموصى.

وتصف لنا الأخبار الصحيحة المشهد البطولي لمولى الثقلين عليّ عليه السلام بالقول: «فأرسل ابن صهّاك يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار الإمام عليّ إلى سيفه فتكاثروا عليه وأخذوه فحالت بينهم وبينه مولاتنا فاطمة عليها السلام فضربها قنفذ «لعنه الله تعالى» بالسوط. أبعد هذا يقال إنه عليه السلام لم يواجه القوم؟!

(٣) إن تصدّي الصدّيقة الطاهرة عليها السلام للقوم كان تكليفاً من الله تعالى لها، ويشهد لما نقول: أن مولاتنا فاطمة عليها السلام محدَّثة كما دلت على ذلك النصوص المتواترة، ومعنى كونها محدَّثة أنّ الله تعالى محدِّثها والآمر لها أن تفعل كذا وكذا، هذا بالإضافة إلى كونها معصومة مطهّرة، فعلها وقولها وتقريرها حجةٌ من الله تعالى على الخلق، فالاعتراض بأنها لِمَ جابهت هي القوم في غير محله، لأنها لم تشهر سيفاً بوجه أحد أو تأمر بقتل أحد، وكل ما في الأمر أنها عليها السلام ردّت على القوم

. من خلف الباب فكان جزاؤها أن تُلصق أحشاؤها بين الحائط والباب.

(٤) أن فضة تكلّمت مع القوم حسبما تصف رواية الخُصيبي أعلى الله مقامه لكنّ عمر جابهها بالسبّ والشتم، قالت فضة: إن أمير المؤمنين عنكم مشغول والحق له لو أنصفتموه واتقيتم الله ورسوله، فسبها عمر، وجمع الحطب الجزل على الباب لإحراق أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم [ورقية][1] وفضة وإضرامهم النار على الباب، وخروج فاطمة عليها السلام وخطابها لهم من وراء الباب..»[2].

فدعوى أنه لِمَ لم يكلّمهم أحدٌ غير الصدّيقة مردودة على أصحابها لما تقدم آنفاً، فلا بدّ إذن من الحكم بأن خطاب الصدّيقة لهم كان حجةً على القوم وعلى عامة المسلمين الذين كانوا من الكثرة ما يمنع من الاعتداء على بضعة المصطفى فاطمة عليها السلام، لكنّهم تخاذلوا ووقفوا على بابها يتفرجون كيف يقتحم عمر بن الخطاب الباب على ابنة النبيّ محمّد، لا لجرم ارتكبته ـ وحاشاها ثم حاشاها ـ وإنما لأجل أحقادٍ تغلغلت في صدور قوم منافقين.

فالصدّيقة الشهيدة عليها السلام التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، حفظت بعملها الرائع الإسلامَ من مخالب الحاقدين، كما أنها حفظت الإمامة المطلقة من التجنّي والتزوير، ومكنّت الناس حتى غير المسلمين من اكتشاف الحقيقة، سواء من عاش منهم في ذلك العصر أو الذين جاءوا ويجيئون بعد ذلك، ومن هنا أوصت ألاّ يصلي الشيخان ـ أبو بكر وعمر ـ عليها وأن تدفن سراً ولا يُعرف قبرها ليكون ذلك علامة احتجاج صارخ مدى الدهر، وليبقى السؤال يتردّد على كلّ لسان: لماذا أوصت أن لا يصلّيا عليها ولا يشيّعا جنازتها، ولماذا دُفنت بضعة المصطفى وثمرةُ فؤاده سراً ولم يعرف أحدٌ من المسلمين قبرها إلى الآن؟

---

(١) ما بين المعقوفتين زايد من الصحّاف والله أعلم.

(٢) الهداية الكبرى/ أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي ص٤٠٧ والمذكور أحد أعلام القرن الثالث الهجري ولد عام ٢٥٨هـ وتوفي عام ٣٣٤هـ.

(٥) لعلّ السبب في عدم فتح أمير المؤمنين عليه السلام الباب هو كونه بعيداً عنه، أو لوجود مانع يشغله عن فتح الباب، والسيّدة الزهراء عليها السلام هي الأقرب منهم جميعاً لذا تولّت هي الإجابة دونهم بصورة طبيعية، وما المانع أن تردّ الصدّيقة من خلف الباب، وقد كان رسول الله يأمر بعض نسائه بإجابة الطارق حين لا تتهيأ له المبادرة للإجابة لأمر يشغله؟.

(٦) إن ردّها على القوم كان لإلقاء الحجة عليهم لعلّهم يرتدعون أو يخجلون من امرأة جليلة تكلّمهم، فكيف إذا ما كانت المتكلّمة فاطمة الزهراء، لكنّهم لم يعطوها اهتماماً بل تخطوا كل الحدود والقيود والآداب والدساتير، وقد كانت الصدّيقة عالمة[1] بكلّ ما سيجري عليها، من هنا كانت موطنةً نفسها على نزول البلاء، فلبست خمارها وجلبابها ولاذت وراء الباب فحصَلَ ما حَصَلَ.

ودعوى «أن عليّاً ومن معه ربما لا يكونون قد عرفوا بوجود أناس على الباب إلاّ بعد فوات الأوان، وبعد حصول ما حصل. »[2] غير سديدة وذلك لمنافاتها للعموميات القرآنية والأخبار النبوية الدالة على إحاطة العترة الطاهرة للموضوعات التي يترتب عليها حكم شرعي، إذ جهل المعصوم به يُعتبر تنزيلاً له عن مرتبته، فالعلم بالموضوعات المقررة من صلب مهامه ووظائفه.

فإن قيل: إذا كان ما زعمتم من أن الصدّيقة الشهيدة كانت عالمة بمصيرها فلماذا لم تلتجىء إلى دار غير دارها لتحافظ على حياتها؟

قلنا: ليس هناك داراً أخرى تلتجيء إليها مولاتنا الزهراء عليها السلام، ودعوى أن دور المسلمين ترحب بها غير صحيحة، وذلك لأن من تقاعس عن نصرتها كيف يمكن له أنْ يأويها، مضافاً إلى أنها ليست ملزمة بالخروج من دارها لمجرد علمها

---

(١) ومولاتنا فاطمة عليها السلام هي الولية لله تعالى وقد حباها سبحانه بالمعارف والعلوم، فقد ورد ما معناه في الصحيح: أن الله قسّم العلم إلى ثلاث وسبعين حرفاً، أعطى اثنين وسبعين للنبيّ محمّد وعترته الطاهرة، واستأثر لنفسه حرفاً واحداً.

(٢) خلفيات مأساة الزهراء ج٦/ ١٩٥.

بما سيجري عليها وإلا لتعدى هذا إلى بقية الأئمة عليهم السلام إذ كانوا يقدمون على مواقع الشهادة مع علمهم المسبق بها ترجيحاً للأهم على المهم[1]، فلم يُعهد منهم أنهم فروا من الموت، فإن لم يموتوا بالسيف، ماتوا بغيره، والموت بالسيف في سبيل الله أشرف وأعظم.

هذه أهم الشبهات التي طرأت على قضية الاعتداء على الصدّيقة الشهيدة، وما عداها دونه خرط القتاد.

وفي الختام نذكّر المسلمين: بأنّ بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله قد ظلمها أبو بكر وعمر بن الخطاب ولم يرعيا حرمتها كامرأة جليلة عظيمة مطهّرة، وابنة أعظم نبي، وصحابية من أعاظم الأصحاب، ونحن لا ننبش الماضي بذكر المآسي حباً له، بل لأننا نريد إثبات مظلومية أئمتنا وفي طليعتهم مولانا أمير المؤمنين وزوجه الطاهرة فاطمة عليهم السلام جميعاً، هذه المظلومية التي لو صبّت على الأيام لصرن ليالي على حدّ تعبير الشهيدة المظلومة. إن المسلمين اليوم مدعوون إلى الوقوف بجانب الحق الذي يدور مع فاطمة الشهيدة حيثما دارت، ويزداد تعجبي من بعض فرق المسلمين كيف يؤولون كلمات عائشة وأبيها وفاروقه، وينسبون إليهم الفضائل والمكرمات وينزهونهم عن المعايب والأخطاء، في حين ينسبونها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى البخاري عن محمد بن سعد عن أبيه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبي فدخل والنبي(ص) يضحك، فقال:

أضحك الله سنّك يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فقال:

عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب.

---

(١) شبهة إلقاء الأئمة أنفسهم إلى التهلكة والرد عليها، مخطوط للمؤلف.

فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله، ثم أقبل عليهنّ فقال:

يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله؟!

فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله[1].

وغيرها من الفظائع والفضائح التي يتنزه عنها المؤمن التقي، فكيف بسيد المؤمنين رسول الله محمّد ﷺ.

إن على علماء العامة أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم لعترة رسول الله محمّد ﷺ فهم سفن النجاة وباب الله الذي منه يؤتى وحبل الله المتين وصراطه المستقيم، كما عليهم أن يجلسوا على طاولة الحوار مع العلماء المتقين المخلصين من الشيعة لا الذين يدورون مع الساسة والسياسيين، والذين يدعون إلى الوحدة كذباً ونفاقاً لأجل مآرب سياسية ودنيوية، فهؤلاء ـ أعاذنا الله من شرورهم ـ مستعدون دائماً للتنازل عن عقيدة أهل البيت عليهم السلام (وهي في الواقع دين الله عزّ وجلّ) وتقديمها لقمةً سائغةً للعامة بحجة التآلف ولمّ الشعث ووحدة الكلمة، وكأن الله تعالى فوّضهم أمر دينه وأعطاهم الولاية عليه يتصرفون به كيفما تحلو لهم طبائعهم.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لخدمة دينه والتمهيد لوليّه الحجّة المنتظر عليه السلام والذود عنه وعن آبائه الميامين عليهم السلام.

* * * * *

---

(١) صحيح البخاري مشكول ج٤/ ٦٣ ـ ٦٤ باب التبسم والضحك. وشرح النهج لابن أبي الحديد ج١/ ٦٠ والرياض النضرة ج١/ ٢٩٩، وكتاب «من حياة الخليفة عمر بن الخطاب»/ عبد الرحمن البكري ص٨٤.

قال الملك للوزير: هل ما يذكره العلوي صحيح؟

قال الوزير: نعم إني رأيت في التواريخ ما يذكره العلوي!

قال العلوي: وهذا هو السبب لكراهية الشيعة لأبي بكر وعمر!

وأضاف العلوي قائلاً:

ويدلُّك على وقوع هذه الجريمة من أبي بكر وعمر أنّ المؤرخين ذكروا أنّ فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر وعمر وقد ذكر الرسول ﷺ في عدة أحاديث له:

«إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها»[1].

وأنت أيها الملك تعرف ما هو مصير من غضب الله عليه!؟

قال الملك (موجّهاً الخطاب للوزير): هل صحيح هذا الحديث؟ وهل صحيح أن فاطمة ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر؟

قال الوزير: نعم ذكر ذلك أهل الحديث والتاريخ[2].

قال العلوي: ويدلُّك أيُّها الملك على صدق مقالتي: أنّ فاطمة أوصت إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن لا يُشهد أبا بكر وعمر وسائر الذين ظلموها جنازتها، فلا يصلُّوا عليها، ولا يحضروا تشييعها، وأن

---

(١) راجع: ينابيع المودة ص٢٠٣، مستدرك الحاكم ج٣/١٥٣، أسد الغابة ج٥/٥٢٢، تهذيب التهذيب ج١٢/٤٤٢، كنز العمال ج٦/٢١٩، ذخائر العقبى ص٣٩.

(٢) لاحظ الإمامة والسياسة ط/ قم ص٣١، وقد تقدم ما قالت مولاتنا الزهراء عليها السلام ولاحظ أيضاً تاريخ ابن كثير ج٦/ ٣٣٣ والتاج الجامع للأصول ج٢/ ٢٩٣ وشرح النهج ج٤/ ٨٠ وتاريخ اليعقوبي ج٢/١٠٥.

يخفي عليٌّ قبرها حتى لا يحضروا قبرها، ونفّذ عليّ عليه السلام وصاياها!

قال الملك: هذا أمر غريب، فهل صدر هذا الشيء من فاطمة وعليّ؟

قال الوزير: هكذا ذكر المؤرخون!

قال العلوي: وقد آذى أبو بكر وعمر فاطمة عليها السلام أذية أخرى!

قال العبّاسي: وما هي تلك الأذية؟

قال العلوي: هي أنهما غصبا ملكها (فدك).

قال العبّاسي: وما هو الدليل على أنهما غصبا (فدك)؟

قال العلوي: التواريخ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى فدكاً لفاطمة عليها السلام، فكانت فدك في يدها ـ في أيام رسول الله ـ فلما قُبض النبيّ صلى الله عليه وآله أرسل أبو بكر وعمر من أخرج عمّال الصدّيقة فاطمة من فدك بالجبر والسيف والقوة، واحتجت فاطمة على أبي بكر وعمر، لكنّهما لم يسمعا كلامها، بل نهراها ومنعاها، ولذلك لم تكلّمهما حتى ماتت غاضبة عليها!

قال العبّاسي: لكنّ عمر بن عبد العزيز ردّ فدكاً على أولاد فاطمة أيام خلافته.

قال العلوي: وما الفائدة؟

فلو أن إنساناً غصب منك دارك وشرّدك ثم جاء إنسان آخر بعد أن متّ أنت، وردّ دارك على أولادك كان ذلك يمسح ذنب الغاصب الأول؟

قال الملك: يظهر من كلامكما أيها العبّاسي والعلوي أن الكل متفقون على غصب أبي بكر وعمر فدكاً!

قال العبّاسي: نعم ذكر ذلك التاريخ.

قال الملك: ولماذا فعلا ذلك؟

قال العلوي: لأنهما أرادا غصب الخلافة، وعلما بأنّ فدكاً لو بقيت بيد فاطمة لبذلت ووزّعت واردها الكثير (مائة وعشرين ألف دينار ذهباً على قول بعض التواريخ) في الناس، وبذلك يلتف الناس حول الإمام عليّ عليه السلام، وهذا ما كان يكرهه أبو بكر وعمر!

قال الملك: إذا صحت هذه الأقوال فعجيب أمر هؤلاء! وإذا بطلت خلافة هؤلاء الثلاثة، فمن يا ترى يكون خليفة الرسول صلى الله عليه وآله؟

قال العلويّ: لقد عيّن الرسول بنفسه ـ وبأمر من الله تعالى ـ خلفاءه من بعده، في الحديث الوارد في كتب الحديث حيث قال: «الخلفاء بعدي إثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل وكلّهم من قريش»[1].

قال الملك للوزير: هل صحيح أن الرسول قال ذلك؟

قال الوزير: نعم.

قال الملك: فمن هم اولئك الاثنا عشر؟

قال العبّاسي: أربعة منهم معروفون وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٠ ط/ قم.

قال الملك: فمن البقية؟

قال العبّاسي: خلاف في البقية بين العلماء.

قال الملك: عدّهم.

فسكت العبّاسي.

قال العلويّ: أيُّها الملك، الآن أذكرهم لك بأسمائهم حسب ما جاء في كتب علماء السُّنَّة وهم: عليّ، الحسن، الحسين، عليّ، محمّد، جعفر، موسى، عليّ، محمّد، عليّ، الحسن، المهديُّ عليهم الصلاة والسلام[1].

قال العبّاسي: اسمع أيُّها الملك، إن الشيعة يقولون بأن المهدي حيٌّ في دار الدنيا منذ سنة ٢٥٥هـ وهل هذا معقول؟

ويقولون: إنه سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ جوراً.

قال الملك (موجّهاً الخطاب إلى العلوي): هل صحيح أنكم تعتقدون بذلك؟

قال العلوي: نعم صحيح ذلك، لأن الرسول قال بذلك، ورواه الرواة من الشيعة والسنّة.

قال الملك: وكيف يمكن أن يبقى إنسانٌ هذه المدة الطويلة؟

---

(١) لقد ورد عشرون نصاً عن النبي ﷺ في التنصيص على أسماء الأئمة الاثني عشر من طرق العامة وكتبهم، منها: فرائد السمطين، تذكرة الخواص، ينابيع المودة، الأربعين للحافظ أبي محمّد بن أبي الفوارس، مقتل الحسين لأبي المؤيد، منهاج الفاضلين، ودرر السمطين.

قال العلوي: الآن لم يذهب من عمر الإمام المهدي عليه السلام مقدار ألف سنة، والله يقول في القرآن حول نوح النبيّ: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (العنكبوت: ١٤) فهل يعجز الله أن يبقي إنساناً هذه المدة؟

أليس الله بيده الموت والحياة وهو على كل شيء قدير؟

ثم إن الرسول قال ذلك وهو صادق مصدّق.

قال الملك (موجّهاً الخطاب إلى الوزير): هل صحيح أن الرسول أخبر عن المهدي [بالمهدي] على ما يقوله العلوي؟

قال الوزير: نعم[1].

---

(١) الإمام المهديّ روحي لتراب نعليه الفداء هو الحجّة القائم ابن الإمام الحسن العسكري بن الإمام الهادي بن الإمام الجواد بن الإمام الرضا بن الإمام الكاظم بن الإمام الصادق بن الإمام الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين، (عمه الإمام الحسن المجتبى) بن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليهم جميعاً آلاف التحية والسلام، ولد عليه السلام في ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة (٨٦٩م).

والإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف بهذا التسلسل النسبي هو ما نجمع عليه نحن الإمامية، بل هو من صلب عقيدتنا الدينية، والقطعيات التي لا تقبل التأويل والتحريف، وكل من نسب إلينا غير ذلك فهو مفترٍ على إمامنا ـ فديته بنفسي ـ وعلى عقديتنا الإسلامية. وليس هناك إمام غير هذا الإمام يأتي لينقذ المستضعفين بل هو أحد لا شريك له ولا نظير إلاّ آباؤه الميامين، ومن إدّعى أن

هناك إماماً اسم أبيه عبد الله فقد افترى على الشيعة الإمامية سددهم المولى، لأنه إمامنا ونحن أدرى به من غيرنا «وأهل مكة أدرى بشعابها»، ألسنا الذين اضُطهدنا لأننا نعتقد بما يقول ويقولون عليهم السلام؟!

أليس هو ابن الصدّيقة فاطمة الزهراء وابن عليّ المرتضى وابن الحسين الشهيد وهؤلاء أئمتنا؟! ولو قلنا للعامة إن أبا بكر ليس ابن أبي قحافة مثلاً، فكيف يكون موقف العامة من الشيعة؟ وهل يوافقونا على مدعانا أو أن الدنيا علينا تقوم ولا تقعد؟!

هذا هو حالنا مع مشهور العامة حيث ادّعوا بخبر واحد ـ وهو لا يوجب علماً ولا عملاً ـ أن اسم والد الإمام المهديّ هو عبد الله استناداً إلى ما نُسب إلى رسول الله أنه ـ كما في رواية أبي داود عن زائدة عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبيّ ﷺ ـ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[1]، بل إنّ السفاريني وهو أحد أكابر العامة وصف الاعتقاد بولادة الإمام المهديّ عام خمس وخمسين بعد المائتين إلى الآن بأنه ضرب من الجنون والهذيان[2].

يرد عليه:

١ ـ متى كان الاعتقاد بوجود مخلوق من مئات السنين ضرباً من الهذيان إلاّ عند ضعاف العقول والإيمان بالقدرة الإلهية المطلقة؟ ولِمَ لا يعتبر الاعتقاد بوجود عيسى ضرباً من الهذيان والجنون عند السفاريني وأمثاله من النواصب الألداء لأهل البيت عليهم السلام؟! وهل الاعتقاد بوجود إدريس والياس والخضر عليهم السلام بل الملائكة

---

(١) الإمام المهدي عند أهل السنّة/ مهدي الفقيه إيماني ج١/٨ نقلاً عن لوائح الأنوار البهية وعون المعبود في شرح أبي داود ج١١/ ٣٧٠ حديث ٤٢٦٢.

(٢) المصدر السابق.

الكرام والجن والشياطين ضرباً من الهذيان بنظر المهذي صاحب المقال مع أن القرآن ونبيّ الإسلام أخبرا بصحة ذلك من دون جدال؟!

٢ ـ المجمع عليه عند الإمامية هو أن والد الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف هو الإمام الحسن العسكري عليه السلام الحادي عشر من أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وما خالف إجماعنا المرتكز على الضرورة القطعية لا اعتداد به، ودونه خرط القتاد.

٣ ـ لا اعتناء بما ورد في رواية أبي داود لدلالة الأخبار الكثيرة المتواترة على أن الحسن إنما هو اسم أبيه عليه السلام، ونفسه أبو داود ذكر أحاديث أخرى خالية من ذكر «اسم أبيه» منها حديث سفيان: «لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي»[1].

ومنها ما ورد مثله عن عليّ وأبي سعيد وأمّ سلمة وأبي هريرة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح[2].

ومنها ما ورد[3] عن عاصم عن زر عن عبد الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يلي رجلٌ من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي. قال عاصم: وأنا أبو صالح عن أبي هريرة قال: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يلي..».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ويظهر أن الزيادة من الراوي المسمى زايدة (وهو اسم على مسمّى حيث زاد على أحاديث رسول الله). ويزيدك بياناً أن الكنجي ذكر في البيان أن الترمذي ذكر الحديث ولم يذكر قوله (واسم أبيه اسم أبي) وأن الإمام أحمد مع ضبطه وإتقانه روى هذا الحديث في مسندة في عدة مواضع «واسمه اسمي» وجمع الحافظ أبو

---

(١) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ج١١/ ٣٧١، وسنن أبي داود ج٤/ ١٠٧ ح ٤٢٨٢.
(٢) سنن الترمذي ج٤/ باب ٥٢ ح٢٢٣٠.
(٣) نفس المصدر ج٤/ باب ٥٢ ح٢٢٣١.

نعيم طرق هذا الحديث من الجم الغفير في مناقب المهديّ كلّهم عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله عن النبيّ، فمنهم سفيان بن عيينة وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم قطر بن خليفة وطرقه عنه بطرق شتى ومنهم الأعمش وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم أبو إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم حفص بن عمر ومنهم سفيان الثوري وطرقه بطرق شتى ومنهم شعبة وطرقه بطرق شتى، ومنهم واسط بن الحارث ومنهم يزيد بن معوية أبو شيبة له فيه طريقان، ومنهم سليمان بن قرم وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم جعفر الأحمر وقيس بن الربيع وسليمان بن قرم واسباط جمعهم سند واحد، ومنهم سلام أبو المنذر، ومنهم أبو شهاب محمد بن إبراهيم الكناني وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم عمرو بن عبيد التنافسي وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم أبو بكر بن عيّاش وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم أبو الحجاف داود بن أبي العوف وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم عثمان بن شبرمة وطرقه عنه بطرق شتى، ومنهم عبد الملك أبي عيينة، ومنهم محمد بن عياش عن عمرو العامري وطرقه بطرق شتى وذكر سنداً وقال فيه: حدّثنا أبو غسّان حدثنا قيس ولم ينسبه، ومنهم عمرو بن قيس الملائي ومنهم عمار بن زريق، ومنهم عبد الله بن حكيم بن جبير الأسدي، ومنهم عمرو بن عبد الله بن بشير، ومنهم الأحوص، ومنهم سعد بن حسن بن أخت ثعلبة، ومنهم معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن عاصم، ومنهم يوسف بن يونس، ومنهم غالب بن عثمان، ومنهم حمزة الزيات، ومنهم شيبان، ومنهم الحكم بن هشام، ورواه غير عاصم عن زر وهو عمر بن مرة عن زر، كل هؤلاء رووا (اسمه اسمي) إلاّ ما كان من عبيد الله بن موسى عن زايدة عن عاصم فإنه قال فيهم (واسم أبيه اسم أبي) ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها»[1].

---

(١) منتخب الأثر/ لطف الله الصافي ص٢٣٦، والبيان للكنجي الشافعي المطبوع بهامش إلزام الناصب ج٢/ ٨ ـ ٩ ط/ مؤسسة الأعلمي ١٩٧٧م.

وقال عليّ بن عيسى عفا الله عنه: أما أصحابناالشيعة فلا يصحّحون هذا الحديث لما ثبت عندهم من اسمه واسم أبيه عليه السلام وأما الجمهور فقد نقلوا أن زائدة (راوي الحديث) كان يزيد في الأحاديث فوجب المصير إلى أنه من زيادته ليكون جمعاً بين الأقوال والروايات[1].

وعليه فلا يبقى مجال للاعتماد على نقل زايدة ويسقط عن الاعتبار، بل تطمئن النفس بأن زائدة أو غيره من رواة الحديث زاد هذه الجملة فيه، ويحتمل أن تكون تلك الزيادة من صنعة أهل السياسة والرياسة، فإن ترويج الأحاديث المكذوبة على رسول الله كان لها شأناً عظيماً في نجاح السياسات، وتأسيس الحكومات في الصدر الأول، فكانوا يأمرون بوضع الأحاديث ويتوسلون بها إلى جلب قلوب العامة لحفظ حكومتهم، ويشهد لذلك أعمال معاوية على من يروي في فضل مولانا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حديثاً ومنقبة وإعطائه الجوائز والصلات لكلٍّ من وضع حديثاً في ذمّ الإمام عليّ وأهل البيت عليهم السلام أو مدح عثمان وغيره من بني أمية، فاستأجر أمثال أبي هريرة من أهل الدنيا وعبدة الدنانير والدراهم لجعل الأحاديث، وهكذا جرى الأمر في ابتداء خلافة بني العبّاس وتأسيس حكومتهم وثورتهم على الأمويين، واستمر الأمر فوضع الوضّاعون بأمرهم أو تقرباً إليهم أحاديثاً لتأييد مذاهبهم وآرائهم وسياستهم وتصحيح أعمالهم الباطلة، ومما أخذه العباسيون وسيلة لبناء حكومتهم على عقيدة دينية هذا البشائر الواردة في الإمام المهديّ عليه السلام؛ فإذاً لا يبعد في أن يكون الداعي إلى زيادة هذه الجملة تقوية حكومة محمّد بن عبد الله المنصور العبّاسي الملقب بالمهدي أو تأييد دعوة محمّد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية. ويؤكد هذا ما ذكره المؤرخ الصاحب الفخري في «الآداب السلطانية والدول الإسلامية» أن عبد الله المحض أثبت في نفوس طوائف من الناس أن ابنه محمّد هو المهدي الذي بُشّر به، وأنه يروي هذه الزيادة (اسم أبيه اسم أبي).

---

(١) بحار الأنوار ج٥١/ ٨٦ ط/ دار الوفاء.

وبالجملة: فلا اعتبار بهذه الزيادة لمعارضتها للأخبار المتواترة القطعية المذكورة في كتب أصحابنا، وما عداه شاذّ موضوع، واجب طرحه، لا سيّما أن الزيادة المذكورة في متن الحديث تفرّد بها رجل مجهول الحال لا يعرف خبره، ويروي المناكير عن المشاهير على حدّ تعبير رجل الجرح والتعديل ابن حبان.

٤ ـ يمكن الجمع بين هذه الزيادة والأخبار المذكورة بوجوه:

الوجه الأول: احتمال التصحيف[1]، وأن الصادر منه ﷺ (واسم أبيه اسم ابني) يعني الإمام الحسن عليه السلام، فإن تعبيره ﷺ عنه بإبني وعنه وعن أخيه الإمام الحسين بابناي في نهاية الكثرة، فتوهم فيه الراوي فصحف ابني بأبي، ويؤيد هذا الاحتمال ما جاء في البحار عن أمالي الشيخ بسند معنعن إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى في حديث عن أبيه قال: بعد ذكر بعض إمارات الظهور، وعند ذلك يظهر القائم فيهم، قال النبيّ ﷺ: اسمه كاسمي واسم أبيه كإسم ابني وهو من ولد ابنتي. (المراد من قوله «ابني» السبط الأكبر الإمام الحسن عليه السلام)[2].

الوجه الثاني[3]: ما ذكره كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: «لا بد قبل الشروع في تفصيل الجواب بيان أمرين يبنى عليهما الفرض:

الأول: أنه شائع في لسان العرب إطلاق لفظة الأب على الجد الأعلى، وقد

---

(١) وقد ورد تصحيف في رواية شعيب بن خالد عن أبي إسحاق قال: قال «الإمام» عليّ رضي الله عنه ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيّد كما سمّاه النبيّ ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق. راجع سنن أبي داود ج٤/١٠٨ حديث (٤٢٩٠) وهو تصحيف «حسين» للاتفاق على أن الإمام الحجّة المهدي عجّل الله فرجه من صلب الإمام الحسين لانحصار الإمامة في عقبه دون الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

(٢) منتخب الأثر ص٢٤١ نقلاً عن البحار.

(٣) ونقله عن الكنجي الشافعي العلاّمة محمد باقر المجلسي في البحار ج٥١/٨٦ وص١٠٣ ذكره عن ابن طلحة.

نطق القرآن بذلك فقال تعالى ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[1] وقال تعالى حكاية عن يوسف ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾[2] ونطق بذلك النبيّ في حديث الإسراء أنه قال: (قلت من هذا؟ قال: أبوك إبراهيم) فعلم أن لفظة الأب تطلق على الجد وإن علا فهذا أحد الأمرين:

الثاني: أن لفظة الاسم تطلق على الكنية وعلى الصفة، وقد استعملها الفصحاء ودارت بها ألسنتهم ووردت في الأحاديث حتى ذكرها الإمامان البخاري ومسلم كل منهما يرفعه إلى سهل بن سعد الساعدي أنه قال عن عليّ أن رسول الله سماه بأبي تراب ولم يكن له اسم أحب إليه منه، فأُطلق لفظ الاسم على الكنية ومثل ذلك قول الشاعر:

أجلُّ قدرك أن تُسمى مؤنبة ... ومن كنّاك فقد سمّاك للعرب

ويروى: (ومن يصفك) فأطلق التسمية على الكنية أو الصفة، وهذا شائع ذائع في لسان العرب، فإذا وضح ما ذكرناه من الأمرين، فاعلم أيدك الله بتوفيقه أن النبيّ كان له سبطان أبو محمّد الحسن وأبو عبد الله الحسين، ولما كان الحجّة الخلف الصالح محمّد من ولد أبي عبد الله الحسين ولم يكن من ولد أبي محمّد الحسن، وكانت كنية الحسين أبا عبد الله، فأطلق النبيّ على الكنية لفظ الاسم لأجل المقابلة بالإسم في حق أبيه وأطلق على الجد لفظة الأب فكأنه قال يواطىء اسمه اسمي فهو محمّد وأنا محمّد، وكنية جده اسم أبي إذ هو عبد الله وأبي عبد الله، لتكون تلك الألفاظ المختصرة جامعة لتعريف صفاته وإعلام أنه من ولد أبي عبد الله الحسين بطريق جامع موجز، وحينئذٍ تنتظم الصفات وتوجد بأسرها مجتمعة للحجّة الخلف الصالح محمّد عليه السلام، فهذا بيان شافٍ وكافٍ في إزالة ذلك الإشكال فافهمه) انتهى.

---

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة يوسف: ٣٨.

الوجه الثالث: نقله صاحب البحار عن بعض معاصريه وهو أن كنية الإمام الحسن العسكري عليه السلام هي أبو محمّد وعبد الله أبو النبيّ صلى الله عليه وآله أبو محمّد فتتوافق الكنيتان، والكنية داخلة تحت الاسم[1].

الوجه الرابع: أن يقال في الخبر هكذا: (اسمه اسمي واسم أبي) حيث ورد في الأخبار أن «عبد الله» من أسمائه، وهو اسم والد النبي صلى الله عليه وآله، وعليه يكون الاشتباه من الراوي حيث زاد قوله (واسم أبيه) لأنه لم يفهم معنى الخبر ولم يحتمل أن يكون للإمام المهدي عجّل الله فرجه اسمان، فأراد تصحيح الخبر من عنده فزاد هذه الجملة، وبهذا يظهر عدم منافاة الخبر لأخبارنا بوجه[2].

الوجه الخامس: ويحتمل أن يكون الخبر هكذا: (اسمه اسمي واسم ابنه اسم أبي) لما يظهر من جملة من الأخبار أن من أولاده عليه السلام عبد الله، لذا ورد أن «عبد الله» من كناه، فبُدّل اسم ابنه باسم أبيه.

الوجه السادس: من المقطوع به بالأدلة أن أهل البيت عليهم السلام عبيد الله تعالى، فصفة العبودية من لوازم ذواتهم صلوات الله عليهم، والصفة اسم تدل على الموصوف بها، فالإمام العسكري عليه السلام عبد الله حقيقة، فإسمه أي صفته كإسم والد النبيّ صلى الله عليه وآله عبد الله.

٥ ـ جاء في الصحاح «يواطيء اسمه اسمي» وليس فيه تلك الزيادة التي جاء بها زائدة بن أبي الرُّقاد، ولم ينقلها أحد من أئمة الحديث وحفاظه المعروفين بنقد الأخبار وتمييز رجالاته عند العامة، وإنما جاء بتلك الزيادة من ذكرنا آنفاً، وليس من الممكن المعقول أن يخطيء ثلاثون ثقة أو أكثر من حملة الحديث وثقاته عند العامة بتركهم لهذه الزيادة ـ على تقدير وجودها ـ ويصيب زائدة وحده، وينفرد بحفظها دون هؤلاء، مع أن الجميع قد نقلوا الحديث عن عاصم بن بهدلة عن

---

(١) بحار الأنوار ج٥١/١٠٣.

(٢) منتخب الأثر ص٢٤٠.

زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود.

فزائدة لا يعتمد على شيء من حديثه، قال الرجالي النقّاد المتعصب الذهبي عنه ما نصه: «زائدة بن أبي الرُّقاد أبو معاذ، عن زياد النميري، ضعيف، وقال البخاري: منكر الحديث، وهو بَصْري. وقال النسائي: لا أدري ما هو، وزياد النميري ـ الذي روى عنه زائدة ـ أيضاً ضعيف»[1].

وقال خاتمة حفّاظ أهل السنّة وأحد أئمة الجرح والتعديل في علم الرجال عندهم ابن حجر العسقلاني ما نصه:

«زائدة بن أبي الرُّقاد الباهلي البصري الصيرفي، روى عن عاصم وثابت البناني وزياد النميري، قال البخاري: منكر الحديث، وقال السجستاني: لست أعرف خبره، وقال النسائي: لست أدري من هو، وقال ابن حيان: يروي المناكير عن المشاهير»[2].

بعد هذا التقديم، أيُعقل أن يستند الباحث البصير والمثقف المتحلّل من قيود العصبية إلى حديث قد طعن في راويه أشدّ الطعن أئمة الجرح والتعديل عندهم حيث عليهم المعوّل والاعتماد في معرفة الثقات من غيرهم في رجال الإسناد عند أهل مذهبه، ويضرب الصفح عن نقل ما يخالفه وهم يزيدون على ثلاثين ثقة، وفيهم طائفة من أعاظم الحفّاظ وكبار رجالهم من أهل نحلته، وقد جاء الحافظ الكنجي على ذكرهم مفصلاً في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان عجّل الله فرجه فليراجع.

ثم إن الحافظ الترمذي، كغيره من حفّاظ العامة، أخرج الحديث في سننه عن جماعة كثيرة من الصحابة وحسّنه، ولم تكن فيه هذه الزيادة في حديث زائدة،

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج٢/ ٦٥ رقم ٢٨٢٤.

(٢) تهذيب التهذيب/ ابن حجر العسقلاني ج٣/ ٣٠٥ ط/ أولى سنة ١٣٢٥هـ.

نعم أخرج السجستاني[1] هذا الحديث بهذه الزيادة في سننه، إلاّ أنك قد عرفت طعنه في زائدة، وأنه ما عرف خبره، كما أنه أخرجه بغير هذه الزيادة.

٦ ـ اعتراف جم غفير من أكابر علماء العامة بولادة الإمام المهديّ عليه السلام عام ٢٥٥هـ وبقائه حيّاً إلى الآن حتى يأذن الله تعالى له في الظهور، ولا بأس هنا تتميماً للفائدة بذكر تصريحاتهم والتعرض لذكر أساميهم، فيسفر الصبح لذي عينين.

١ ـ منهم العلاّمة الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري الفقيه الشافعي (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) فإنه ذكر في كتابه «شعب الإيمان» وقال: «اختلف الناس في أمر المهديّ فوقف جماعة وأحالوا العلم إلى عالمه، واعتقدوا أنه واحد من أولاد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، يخلقه الله متى شاء، يبعثه، نصرة لدينه، وطائفة يقولون إنّ المهديّ الموعود وُلد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو الإمام الملقّب بالحجّة، القائم المنتظر، محمّد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السرداب بسرّ من رأى وهو مختفٍ عن أعين الناس، منتظر خروجه، ويظهر ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً. (ثم إنّ البيهقي أجاب القائلين بامتناع بقائه إلى هذا الحين لطول الزمان فقال:) ولا امتناع في طول عمره وامتداد أيامه كعيسى بن مريم والخضر عليهما السلام. وهؤلاء (القائلون ببقائه وطول عمره) هم الشيعة وخصوصاً الإمامية منهم (قال:) ووافقهم (في ما ادّعوه في المهدي عليه السلام) عليه جماعة من أهل الكشف...».

قال بعض علماء الإمامية أنّ المراد من الموافقين من أهل الكشف غير الشيخ محيي الدين والشعراني والشيخ حسن العراقي لأن البيهقي متقدّم على هؤلاء ولأن وفاته كانت سنة ٤٥٨هـ والشيخ محيي الدين والشعراني والشيخ حسن العراقي وجدوا بعده لأن وفاة محيي الدين كانت سنة ٦٣٨هـ كما صرّح به الشيخ حسن

(١) هو أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى عام ٢٧٥هـ، اشتُهر كتابه «السنن» باسمه «سنن أبي داود».

العراقي، وهكذا الشعراني كان في سنة ٩٥٥هـ والعراقي وغيره كانا معاصرين للشعراني. فمراد البيهقي من أهل الكشف الذين أخبر عنهم غير هؤلاء، هذا ويظهر من كلام البيهقي أنه موافق للإمامية في دعواهم ولولا اتفاقه معهم لأنكر عليهم ولم يقل: ولا امتناع في طول عمره كعمر الخضر، حيث لا شبهة في طول عمره بين جميع فرق المسلمين.

٢ ـ ومنهم العلامة أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن محمّد بن الخشاب (المتوفى سنة ٥٦٧هـ) فإنه أخرج في كتابه «تاريخ مواليد الأئمة ووفياتهم» بسنده عن أبي بكر أحمد بن نصر بن عبد الله بن الفتح الدراع النهرواني، قال: «حدّثنا صدقة بن موسى، حدثنا أبي عن الرضا عليه السلام قال: الخلف الصالح من وُلد أبي محمد الحسن بن علي، وهو صاحب الزمان، وهو المهديّ» ثم قال: «وحدّثني الجرّاح بن سفيان، قال: حدثني أبو القاسم طاهر بن هارون بن موسى العلوي عن أبيه هارون عن أبيه موسى، قال: قال سيدي جعفر بن محمّد عليه السلام: الخلف الصالح من ولدي وهو المهديّ اسمه م ح م د، وكنيه أبو القاسم، يخرج في آخر الزمان، يُقال لأمه صيقل».

وأخرج العلاّمة السيّد هاشم البحراني الحديث في «غاية المرام» نقلاً من تاريخ ابن الخشاب وقال بعد قوله: «يخرج في آخر الزمان يقال لأمه صيقل» قال أبو بكر الزراع (و) يقال لها «حكيمة». وفي رواية يقال لها «نرجس» وفي رواية يقال لها «سوسن». ويكنّى «أبا القاسم» وهو ذو الاسمين خلف ومحمّد، يظهر في آخر الزمان وعلى رأسه غمامة تظلّله عن الشمس تدور معه حيث ما دار تنادي بصوت فصيح: هذا المهدي.

٣ ـ ومنهم الشيخ كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الحلبي الشافعي القرشي (المتوفى سنة ٦٥٢ أو ٦٥٤هـ) فإنه ذكر في كتابه «مطالب السؤال»[١] وقال: «الباب الثاني عشر في أبي القاسم محمّد بن الحسن الخالص بن عليّ

---

(١) ص٨٨ ط/ إيران ١٢٨٧هـ.

المتوكل بن محمّد القانع بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ المرتضى أمير المؤمنين بن أبي طالب، المهديّ الحجّة الخلف الصالح المنتظر عليهم السلام ورحمته وبركاته» ثم ذكر هذه الأبيات:

«فهذا الخلف الحجّة قد أيده الله	هدانا منهج الحقّ وآتاه سجاياه
وأعلى في ذرى العلياء بالتأييد مرقاه	وآتاه حلى فضل عظيم فتحلاه
وقد قال رسول الله قولاً قد رويناه	وذوا العلم بما قال إذا أدرك معناه
يرى الأخبار في المهدي جاءت بمسماه	وقد أبداه بالنسبة والوصف وسمّاه
ويكفي قوله مني لإشراق محياه	ومن بضعته الزهراء مرساه ومسراه
ولن يبلغ ما أديت أمثال وأشباه	فإنْ قالوا هو المهدي ما مانوا بما فاهوا»

ثم قال أبو طلحة في مدحه عليه السلام: «قد رتع من النبوة أكناف عناصره ورضع من الرسالة أخلاف أواصره، وترع من القرابة بسجال معاصرها، وبرع في صفات الشرف فعقدت عليه بخناصرها، فاقتنى من الأنساب شرف نصابها، واعتلى عند الانتساب على شرف أحسابها، واجتنى جنى الهداية من معادنها وأسبابها، فهو من ولد الطّهر البتول المجزوم بكونها بضعة الرسول، فالرسالة أصلها وإنها لأشرف العناصر والأصول. فأما مولده فبسرّ من رأى في ثالث وعشرين من رمضان سنة ٢٥٨هـ وأما نسبه أباً وأماً فأبوه الحسن الخالص، وأما أمه أم ولد تسمى «صيقل» و«حكيمة» وقيل غير ذلك، وأما اسمه فـ«محمد»، وكنيته «أبو القاسم»، ولقبه «الحجّة» و«الخلف الصالح» وقيل «المنتظر».

٤ ـ ومنهم المؤرخ المشهور شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (وهو من الخوارج) الرومي البغدادي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ) فإنه أخرج في كتابه المعروف «معجم البلدان»[١] وقال: «عسكر سامراء ينسب إلى المعتصم وقد نسب

---

(١) ج٦/١٧٥ ط/ مصر ١٣٢٤هـ.

إليه (أي إلى هذا العسكر) قومٌ من الأجلاء، منهم: عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام يكنّى (أي علي بن محمد) بالحسن الهادي، ولد بالمدينة (المشرفة) ونقل إلى سامراء (جبراً) وابنه الحسن بن عليّ ولد بالمدينة أيضاً (وقيل في سامراء) ونقل إلى سامراء فسمّيا بالعسكريّين لذلك، فأما عليّ فمات في رجب سنة ٢٥٤ ومقامه بسامراء عشرين سنة. وأما الحسن فمات بسامراء أيضاً سنة ٢٦٠ ودفنا بسامراء وقبورهما مشهورة هناك» قال: «ولولدهما المنتظر هناك مشاهد معروفة».

٥ ـ ومنهم الشيخ العارف الشيخ فريد الدين العطّار (المتوفى سنة ٦٢٧هـ) فإنه أخرج في كتابه «مظهر الصفات» كما نقل عنه الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة»[1] قال: «ومن أشعاره الذي أنشدها في أهل البيت عليهم السلام وفيها ذكر مولد الإمام المهدي عليه السلام بالإشارة..».

ويظهر من أبياته الفارسية، التي أردها القندوزي الحنفي، أنه كان يعتقد ولادته عليه السلام وينتظر ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

٦ ـ ومنهم الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الحاتمي الطائي الأندلسي الشافعي (المتوفى سنة ٦٣٨هـ) والمدفون بصالحية الشام وقبره مزار: قال في الباب ٣٦٦ من كتاب «الفتوحات»: «اعلموا أنه لا بدّ من خروج المهدي، لكن لا يخرج حتى تمتلىء الأرض جوراً وظلماً، فيملأها قسطاً وعدلاً، ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة، وهو من عترة رسول الله من ولد فاطمة، جدّه الحسين بن عليّ بن أبي طالب ووالده الحسن العسكري إبن الإمام عليّ النقي إبن محمّد التقي إبن الإمام عليّ الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمّد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب يواطىء اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم، يبايعه المسلمون بين الركن

(١) ص ٤٧٣.

والمقام يشبه رسول الله في الخلق.. وهو أجلى الجبهة، أقنى الأنف، أسعد الناس به أهل الكوفة، يقسم المال بالسوية، ويعدل في الرعية، يأتيه الرجل فيقول: يا مهديّ أعطني وبين يديه المال فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله. (ثم نقل أوصافه وبعض أفعاله) وهذه الأمور ذكرها ابن الصبّان في إسعاف الراغبين باب٢ ص١٣١ ـ ١٣٣ بهامش نور الأبصار ص١٣١ ـ ١٣٣ ومن شعر الشيخ محيي الدين في أوصاف الإمام المهديّ عليه السلام وقد ذكره في الفتوحات باب ٣٦٦ أيضاً:

هو السيد المهدي من آل أحمد ... هو الصارم الهندي حين يبيّد

هو الشمس يجلو كل غمّ وظلمة ... هو الوابل الوسمي حين يجود

٧ ـ ومنهم الشيخ أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد القرشي الكنجي الشافعي المتوفى سنة (٦٥٨) فإنه أخرج في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان) ص٣٣٦ باب (٢٥) وقال: في الدلالة على جواز بقاء المهدي عليه السلام قال: إن المهدي ولد الحسن العسكري فهو حيّ موجود باقٍ منذ غيبته إلى الآن.

٨ ـ ومنهم الشيخ جلال الدين محمد العارف البلخي الرومي المعروف بالمولوي المتوفى سنة ٦٧٢ فإنه ذكر في ديوانه الكبير وذكر ذلك الشيخ سليمان في ينابيع المودة ص٤٧٣ قال: أنشد هذه الأبيات (في أحوال أهل البيت عليهم السلام ومنهم المهدي المنتظر عليه السلام).

اي سرور مردان علي مستان سلامت ميكنند

واى صفدر مردان علي مردان سلامت ميكنند

(إلى أن قال):

با قاتل كفار گو بادين وبا دين‌دار گو

باحيدر كرار گو مستان سلامت ميكنند

بادرج دو گوهر بگو بابرج دواختر بگو

باشبر وشبير بگو مستان سلامت ميكنند

بـازيـن ديـن عـابـد بگـو بـانـور ديـن بـاقـر بگـو
بـاجعفـر صـادق بگـو مستـان سـلامـت ميكننـد
بـامـوسـى كـاظـم بگـو بـاطـوس عـالـم بگـو
بـاتقـي قـائـم بگـو مستـان سـلامـت ميكننـد
بـاميـر ديـن هـادي بگـو بـاعسكـري مهـدي بگـو
بـا آن ولـي مهـدي بگـو مستـان سـلامـت ميكننـد

٩ ـ ومنهم الشيخ الكامل صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ فإنه قال في شرح الدائرة: إن المهديّ الموعود هو الإمام الثاني عشر من الأئمة أولهم سيدنا علي وآخرهم المهديّ رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

١٠ ـ ومنهم الشيخ جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن مهنا المتوفى سنة ٨٢٨هـ فإنه أخرج في كتابه عمدة الطالب ص١٨٦ ـ ١٨٨ طبع النجف الأشرف سنة (١٣٢٣هـ) قال: أما عليّ الهادي فيلقب بالعسكري لمقامه بسر من رأى وكانت تسمى العسكر وأمّه أم ولد وكان عليه السلام في غاية الفضل ونهاية النبل أشخصه المتوكل إلى سر من رأى فأقام بها إلى أن توفي (مسموماً) كان من الزهد والعلم على أمر عظيم وهو والد الإمام محمد المهدي (صلوات الله عليه) ثاني عشر الأئمة عند الإمامية، وهو القائم المنتظر عندهم من أم ولد اسمها نرجس.

١١ ـ ومنهم الشيخ أبو عبد الله أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي الشافعي المتوفى سنة ٧٦٨ فإنه أخرج في كتابه مرآة الجنان ج٢ ص١٠٧ وص١٧٢ طبع حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٨هـ قال: وفي سنة ٢٦٠ توفي الشريف العسكري أبو محمّد الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر الصادق، أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية وهو والد الإمام المنتظر صاحب السرداب ويعرف بالعسكري وأبوه أيضاً يعرف بهذه النسبة. توفي في يوم الجمعة سادس ربيع الأول وقيل ثامنه، وقيل غير ذلك من السنة المذكورة ودفن بجنب قبر أبيه بسرّ من رأى.

١٢ ـ ومنهم العلاّمة السيد علي بن شهاب الدين الهمداني الشافعي المتوفى سنة ٧٨٦ فإنه أخرج في كتابه المودة القربى في المودة العاشرة، أحاديث عديدة فيها إثبات وجود الإمام المهدي عليه السلام وإنه يظهر في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

١٣ ـ ومنهم الشيخ شهاب الدين الدولة أبادي المتوفى سنة ٨٤٩هـ وله مؤلفات عديدة في التفسير والمناقب وله كتاب سماه (هداية السعداء) وذكر فيه أسماء الأئمة الاثني عشر عند الإمامية وذكر أحاديث في أحوال الإمام الحجة المنتظر ابن الحسن العسكري. وذكر فيه أنه غائب عن الأبصار وله عمر طويل كما عمّر مثله من المؤمنين عيسى والياس والخضر، ومن الكافرين الدجال والشيطان والسامري.

١٤ ـ ومنهم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤، فإنه أخرج في كتابه دول الإسلام ج١ ص١٢٢ طبع حيدر آباد سنة ١٣٣٧هـ وقال: بأن الإمام المهدي عليه السلام من أولاد الإمام الحسن العسكري وهو باقٍ إلى أن يأذن الله له بالخروج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

١٥ ـ ومنهم الشيخ علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي لمعروف بابن الصباغ المتوفى سنة ٨٥٥هـ، فإنه أخرج في كتابه الفصول المهمة ص٢٧٣ وص٢٧٤ من الباب (١٢) أحوال الإمام المهدي عليه السلام . وذكر ولادته وتاريخها. وقال إن أمّه نرجس خير أمة، وقال: ولد أبو القاسم محمّد بن الحجّة بن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ، وأما نسبه أباً وأماً فهو أبو القاسم، محمّد الحجّة بن الحسن الخالص بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ (زين العابدين) بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، وأما أمّه فأم ولد، يقال لها نرجس، خير أمة، وقيل اسمها غير ذلك، وأما كنيته فأبو

القاسم، وأما لقبه، فالحجّة والمهديّ والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهديّ، صفته (عليه السلام): شاب مربوع القامة، حسن الوجه والبشرة يسيل شعره على منكبيه، أقنى الأنفق، أجلى الجبهة، بوّابه محمّد بن عثمان، معاصره المعتمد (العبّاسي).

١٦ ـ ومنهم الشيخ شمس الدين أو المظفر يوسف بن قزاغلي الحنفي بن عبد الله. وهو سبط ابن الجوزي المعروف المتوفى سنة ٦٥٤. وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في كتابه تذكرة خواص الأئمة ص٨٨، ط/ أول في إيران سنة ١٢٨٧هـ، فصل الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وأمه أم ولد اسمها سوسن، وكنيته أبو محمّد، ويقال له العسكري أيضاً. ولد عليه السلام سنة ٢٣١هـ بسرّ من رأى وتوفي بها سنة ٢٦٠هـ في خلافة المعتمد على الله (العباسي). وكان سنّه عند الوفاة تسعاً وعشرين سنة، ثم قال: وأولاده (أي أولاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام) منهم: محمّد الإمام. ثم قال: فصل هو محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى الرضا بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وكنيه أبو عبد الله، وأبو القاسم، وهو الخلف الحجّة، صاحب الزمان، القائم المنتظر، التالي، وهو آخر الأئمة. ثم قال: أنبأ عبد العزيز بن محمد بن البزار عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يخرج في آخر الزمان، رجل من ولدي اسمه كإسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، فذلك المهدي.

(ثم قال سبط ابن الجوزي) وهذا الحديث مشهور. وقد أخرج أبو داود، والزهري عن عليّ بمعناه. ثم قال: ويقال له ذو الأسمين محمّد وأبو القاسم قال: قالوا أمه أم ولد يقال لها صيقل.

١٧ ـ ومنهم شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي نزيل مكة المشرفة الشافعي المتوفى سنة ٩٩٣هـ، فإنه أخرج في الصواعق المحرقة له ص١٢٧ ط/ مصر سنة

١٣٠٨هـ، وقال عند ذكره الأئمة الاثني عشر (أبو محمّد الحسن الخالص) ولد سنة ٢٣٢هـ (ثم ذكر كرامة من كراماته المعروفة وقضية الاستسقاء في سامراء وقضية الراهب الذي كان يحمل في يده من عظام بعض الأنبياء، وإذا أخرجه كانت تمطر السماء وإذا ستره يقف المطر فعرف ذلك الإمام فأخذ منه العظم وكلما دعا لم تمطر، فخرج الناس من الاشتباه وعرفوا حيلة العالم النصراني. قال: وكان الإمام الحسن العسكري عزيزاً مكرماً إلى أن مات بسر من رأى ودفن عند أبيه (علي الهادي عليه السلام) وعمره ثمانية وعشرون سنة. (قال): ويقال إنه سُمَّ أيضاً (كما سمّوا آباءَه الكرام) قال: ولم يخلف غير ولده (أي القاسم محمّد الحجّة) وعمره عند وفاة أبيه (كان) خمس سنين آتاه الله الحكمة (قال): ويسمى القائم، المنتظر. قيل: لأنه ستر وغاب فلم يعرف أين (هو) ذهب وانتهى ما في الصواعق المحرقة لابن حجر مع الاختصار.

١٨ ـ ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي المتوفى بعد سنة ١١٥٤هـ، فإنه أخرج في كتابه الإتحاف بحب الأشراف ص١٧٨ طبع مصر سنة ١٣١٦هـ وقال: الحادي عشر من الأئمة الحسن الخالص ويُلقّب بالعسكري، ولد بالمدينة لثمانٍ خلون من ربيع الأول سنة (٢٣٢هـ) وتوفي عليه السلام يوم الجمعة لثمانٍ خلون من ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ) وله من العمر ثمان وعشرون سنة. قال: ويكفيه شرفاً أن الإمام المهديّ المنتظر من أولاده فللّه درّ هذا البيت الشريف، والنسب الخضم المنيف وناهيك به فخاراً، وحسبك فيه من علّوه مقداراً، فهم جميعاً، في كرم الأرومة، وطيب الجرثومة كأسنان المشط، متعادلون، ولسهام المجد مقتسمون، فيا له من بيت عالي الرتبة سامي المحلة فلقد طال السّماك عُلاً ونُبلاً وسما على الفرقدين منزلةً ومحلاً، واستغرقت صفات الكمال، فلا يستثنى فيه بغَيْرٍ ولا بإلاّ انتظم في المجد هؤلاء الأئمة، انتظام اللآلىء وتناسقوا في الشرف، فاستوى الأول والتالي، وكم اجتهد قوم في خفض منارهم، والله يرفعه، وركبوا الصعب والذلول، في تشتيت شملهم والله يجمعه وكم ضيّعوا من حقوقهم،

ما لا يهمله الله، ولا يضيّعه، أحيانا الله على حبهم، وأماتنا عليه، وأدخلنا في شفاعة من ينتمون في الشرف إليه ﷺ، وكانت وفاته (أي الحسن العسكري) بسرّ من رأى، ودفن بالدار التي دفن فيها أبوه، وخلف بعده ولده وهو الثاني عشر من الأئمة، أبو القاسم، محمّد الحجّة، الإمام ولد الإمام محمّد الحجّة، ابن الإمام الحسن الخالص، بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ قبل موت أبيه بخمس سنين، وكان أبوه قد أخفاه حين ولد، وستر أمره، لصعوبة الوقت، وخوفه من الخلفاء العبّاسيين فإنهم كانوا في ذلك الوقت يتطلبون الهاشميين ويقصدونهم بالحبس والقتل ويرون إعدامهم (وذلك لإعدامهم مَنْ يعدم) سلطنة الظالمين وهو الإمام المهدي عليه السلام كما عرفوا ذلك من الأحاديث التي وصلت إليهم من الرسول الأكرم ﷺ وأخبرتهم أن الإمام المهديّ الموعود المنتظر عليه السلام يقطع دابر الظالمين ويستولي على الدنيا ولا يترك أحداً منهم في الأرضين. (قال الشبراوي): وكان الإمام محمّد الحجّة يُلقب أيضاً بالمهديّ، والقائم، والمنتظر، والخلف الصالح، وصاحب الزمان، وأشهرها: المهديّ. (قال): ولذلك ذهبت الشيعة إلى أنه الذي صحّت الأخبار والأحاديث بأنه يظهر في آخر الزمان، وأنه موجود ولهم في ذلك تآليف كثيرة. ثم أخذ في الرد على الشيعة بالنسبة إلى ما ينسبه إليهم وهم منه برآء، ثم قال: وقد أشرق نور هذه السلسلة الهاشمية، والبيضة الطاهرة النبوية والعصابة العلوية وهم اثنا عشر إماماً، مناقبهم عليّة وصفاتهم سنيّة، ونفوسهم شريفة أبيّة، وأرومتهم كريمة محمّدية، وهم محمّد الحجّة بن الحسن الخالص بن عليّ الهادي بن محمد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ (زين العابدين) بن الإمام الحسين أخو الإمام الحسن ولَدَي الليث الغالب عليّ بن أبي طالب (رضي الله تعالى عنهم أجمعين).

١٩ ـ ومنهم الشيخ أبو المواهب الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني المتوفى سنة (٩٧٣هـ) أو سنة (٩٦٠هـ) فإنه قال في كتابه (اليواقيت والجواهر) ص١٤٥ طبع مصر سنة ١٣٠٧هـ. قال: البحث الخامس والستون، في

بيان أن جميع أشراط الساعة التي أخبر بها الشارع حقّ لا بدّ أن تقع كلها قبل يوم القيامة. وذلك، كخروج المهدي عليه السلام وقال: وهو من أولاد الإمام الحسن العسكري، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، وهو باقٍ إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام فيكون عمره إلى وقتنا هذا وهو سنة ٩٥٨هـ سبعمائة وست وستين سنة (٧٦٦)[١]. (ثم قال الشعراني): هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش المطلّ على بركة الرطل بمصر المحروسة عن الإمام الحجّة المهديّ حين اجتمعت به ووافقه على ذلك شيخنا سيّد علي الخوّاص.

٢٠ ـ ومنهم الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كرم الريش فإنه ذكر الإمام الحجّة عليه السلام واعترف بوجوده، وأنه اجتمع به، وذلك كما ذكره الشعراني في (لواقح الأنوار في طبقات الأخبار) ج٢ المطبوع بمصر سنة ١٣٠٥هـ وقال فيه: إن الشيخ حسن العراقي في ضمن سياحته اجتمع مع الإمام المهديّ الحجّة وسأله عن عمره فقال له: يا ولدي عمري الآن ٦٢٠ سنة. قال الشعراني: فقلت ذلك لسيّدي علي الخوّاص فوافق على عمر المهديّ (رضي الله عنهما).

٢١ ـ ومنهم الشيخ نور الدين عبد الرحمن بن أحمد بن قوام الدين المعروف بجامي الشافعي الشاعر المعروف. وقد ذكر في كتابه «شواهد النبوة» الإمام المهديّ الموعود المنتظر الحجّة بن الحسن الإمام الثاني. وذكر كثيراً من أحواله عليه السلام وكراماته، وقال: «هو الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً»، وذكر قضية ولادته عليه السلام نقلاً عن عمّته حكيمة عليها السلام وغيرها، وقال فيها: «إنه لمّا ولد جثى على ركبتيه ورفع سبابته إلى السماء وعطس فقال: الحمد لله رب العالمين»، وذكر بعض من رأى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه وهو من سأل الإمام الحسن

---

(١) لا يخفى وقوع الاشتباه في تحديد سنيّ عمر الإمام عليه السلام، ولعله اشتباه من النسّاخ، لأن ولادة الإمام عليه السلام كانت عام ٢٥٥هـ نطرحها من ٩٥٨هـ عام التقاء الشيخ العراقي به، فيكون الحاصل = ٧٠٣ سنين.

العسكري عليه السلام عن الخلف بعده، قال: «فدخل الإمام الدار ثم خرج وقد حمل طفلاً كأنه البدر في ليلة تمامه في سن ثلاث سنين، فقال الإمام للسائل: لولا كرامتك على الله لما أريتك هذا الولد الذي اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته كنيته، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً». وذكر خبر من دخل على الإمام الحسن العسكري عليه السلام ورأى بيتاً عليه ستر مسبل، فسأله عن الخلف بعده، فقال له: ارفع الستر، فرفع الستر، فرأى الإمام الحجّة المهدي المنتظر. وذكر أيضاً قضية الأشخاص الذين بعثهم المعتمد أو المعتضد ليتفتشوا دار الإمام ويأخذوا الإمام إن وجدوه، فلم يعثروا عليه في الدار، فدخلوا سرداباً محفوراً هناك فوجدوه في آخر السرداب. وكان السرداب مملوءاً بالماء والمهدي عليه السلام في آخره (على الماء) فكلما أرادوا الوصول إليه غرقوا في الماء ولم يتمكنوا من الوصول إليه فأخبروا بذلك الخليفة العباسي الذي أرسلهم إليه بما وقع، فأمرهم بكتمان ما رأوا وقال لهم: إنْ أظهرتم ذلك أمرت بقتلكم فكتموا ذلك في حياته. وتفصيل هذه الأخبار موجود في كتب الإمامية كالبحار ج٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ حيث جمع المجلسي جميع ما روي فيه (عجّل الله تعالى فرجه) من الأخبار حسب إمكانه نقلاً عن كتب علماء العامة، وكتب الإمامية عليهم الرحمة.

٢٢ ـ ومنهم المولوي علي أكبر أسد الله المؤذي الذي هو من علماء العامة في الهند، وله كتاب «المكاشفات» وهو من الحواشي على «نفحات الأنس» للمولى عبد الرحمان الجامي، وقد صرّح في البحث الحادي والثلاثين بإمامة الإمام الحجّة المهديّ بن الحسن العسكري وآبائه إلى الإمام عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، وقال: «إنه (أي الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه) غائب عن أعين العوام والخواص...».

٢٣ ـ ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد المطيري شهرة والمدني مسكناً والشافعي مذهباً فإنه ذكر في كتابه «الرياض الزاهرة في فضل آل بيت النبيّ وعترته الطاهرة» الأئمة الاثني عشر فعدّهم واحداً بعد واحد إلى أنْ وصل إلى الإمام

الحادي عشر، فقال: «إنّ ابنه الإمام الثاني عشر محمّد القائم المهدي». ثم قال: «وقد ورد النص عليه في الأحاديث من جده رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم ومن جده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن بقية آبائه الكرام أهل الشرف والمقام، وهو صاحب السيف القائم المنتظر كما ورد في الصحيح من الخبر». وقال: «وله قبل قيامه غيبتان..» ثم ذكر أحواله في غيبته وبعد ظهوره.

٢٤ ـ ومنهم الشيخ أبو المعالي محمد سراج الدين الرفاعي ثم المخزومي الشريف الكبير فإنه ذكر في كتابه «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» عند ترجمته الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام، قال: «وأما الإمام عليّ الهادي بن الإمام محمّد الجواد ولقبه النقي والعالم والفقيه والأمير والدليل والعسكري والنجيب، ولد في المدينة المنورة سنة ٢١٢هـ وتوفي شهيداً بالسمّ في خلافة المعتز العباسي يوم الاثنين لثلاث ليالٍ خلون من رجب سنة ٢٥٤هـ وكان له خمسة أولاد: الإمام الحسن العسكري والحسين ومحمّد وجعفر وعائشة. أما الإمام الحسن العسكري فأعقب صاحب السرداب الحجّة المنتظر وليّ الله الإمام المهديّ عليه السلام».

٢٥ ـ ومنهم الشيخ مير خواند المؤرّخ المشهور (محمد بن خاوند شاه بن محمود المتوفى سنة ٩٠٣هـ) فإنه ذكر في كتابه المعروف «روضة الصفا» ج٣، أحوال الإمام الثاني عشر من حيث والولادة وبعض أحواله وكراماته مفصّلاً.

٢٦ ـ ومنهم الشيخ المحقق بهلول بهجت أفندي مؤلّف كتاب «المحاكمة في تاريخ آل محمّد» والذي ذكر فيه إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام إلى أن ذكر ولادة الإمام المهدي الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه، وقال: «ولد في الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥هـ»، وذكر أن اسم أمّه نرجس، وإنّ له غيبتين: الأولى الصغرى والثانية الكبرى، وصرّح بطول عمره وبقائه عجّل الله تعالى فرجه، وأنه يظهر عندما يأذن الله له بالخروج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ ثم قال: «وإنّ ظهوره أمر اتفق عليه المسلمون فلا حاجة لذكر الدلائل له».

٢٧ ـ ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الزرندي فإنه ذكر في كتابه «معراج الوصول إلى فضيلة آل الرسول» الأئمة الاثنا عشر، وقال: «الإمام الثاني عشر هو صاحب الكرامات المشهورة الذي عظم قدره بالعلم واتباع الحق، القائم بالحقّ والداعي إلى منهج الحقّ، الإمام أبو القاسم محمد بن الحسن»، ثم ذكر تاريخ ولادته وبعض أحواله عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

٢٨ ـ ومنهم الشيخ حسين بن معين الدين الميبدي فإنه صرّح في ص١٢٣ من «شرح الديوان» بولادة الإمام المهدي وتاريخه وخصوصياته عليه السلام.

٢٩ ـ ومنهم الشيخ الحافظ محمد بن محمد بن محمود النجار المعروف بخواجه يارسا وهو من أعيان علماء الحنفية وكبار مشايخ النقشبندية وكانت وفاته عام ٨٢٢ على ما في كتاب «كشف الظنون»، وقد أورد في كتابه «فصل الخطاب» عند ذكره الأئمة عليهم السلام ما نصّه: «وأبو محمد الحسن العسكري ولده م ح م د معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله»، ثم ذكر حديث السيّدة حكيمة في ولادة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه، وذكر حكاية إرسال المعتضد جلاوزته إلى سامراء وأمره بأخذه أين وجدوه، وذكر قضية دخولهم دار الإمام ثم دخولهم السرداب وأنهم رأوه مملوءاً بالماء، وكلما أراد أحدٌ منهم أنْ يدخل الماء ويأخذ الإمام عليه السلام ـ الذي كان في آخر السرداب على حصير مفروش على الماء ـ غرق. ثم ذكر بعض علائم ظهوره وقال: «الأخبار في ذلك أكثر من أنْ تُحصى»، وقال: «وقد تظاهرت (أي الأخبار) على ظهوره وإشراق نوره» وأنه يجدّد الشريعة المحمّدية، ويجاهد في الله حقّ جهاده، ويطهّر من الأدناس أقطار بلاده؛ زمانه زمان المتقين، وأصحابه خلصوا من الريب، وسلموا من العيب، وأخذوا بهديه وطريقه، واهتدوا من الحق إلى تحقيقه، به ختمت الخلافة والإمامة، وهو الإمام من لدن إمام، مات أبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى يوم القيامة. وذكر أنّ عيسى عليه السلام يصلّي خلفه، ويصدقه على دعواه، ويدعوا إلى ملته التي هو فيها والتي صاحبها رسول الله صلى الله عليه وآله..

٣٠ ـ ومنهم الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، فإنه أفرد في كتابه «ينابيع المودة» ص٤٤٩ باباً خاصاً في ذكر ولادة القائم المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف (الباب التاسع والسبعون) ثم روى بسنده عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى الكاظم عليه السلام قال: حدّثتني حكيمة بنت الإمام محمد التقي الجواد (قالت): بعث إليّ الإمام أبو محمد الحسن العسكري فقال: يا عمة، اجعلي إفطارك عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى يظهر في هذه الليلة حجّته في أرضه. قالت (السيّدة حكيمة): فاستقمت ونمت، ثم قمت السحر (لصلاة الليل) وقرأت ألم السجدة وياسين، فاضطربت نرجس، فضُرب بيني وبينها ستر، فكشف الثوب عنها (بعد الولادة) فإذا بالمولود ساجداً، فنادى أبو محمّد (الإمام الحسن العسكري عليه السلام): هلمي إليّ ابني يا عمّة، فجئت به إليه، فوضع قدميه على صدره وأدخل لسانه في فيه وأمرّ يده على عينيه وأذنه ومفاصله ثم قال: تكلّم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة إلى أن صلّى على أبيه (العسكري عليه السلام) ثم قال أبو محمّد عليه السلام: يا عمّة، إذهبي به إلى أمّه يسلّم عليها وأتيني به. (قالت حكيمة): فذهبت به فسلّم على أمّه ثم رددته (إلي أبيه) فوضعته عنده، فقال: يا عمّة إذا كان يوم السابع ءأتينا. (قالت حكيمة): فلما كان يوم السابع جئت (إليه)، فقال لي أبو محمّد: يا عمّة، هلمي إليّ ابني فجئت به ففعل به كفعله الأول وقال: تكلّم يا بني، فشهد بالشهادتين وصلّى على آبائه واحداً بعد واحد، ثم تلى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

قالت حكيمة: جئت يوماً (إلى دار أبي محمّد الحسن العسكري) وكشفت الستر (من على الحجرة التي كان فيها الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه) فلم

(١) سورة القصص: ٥.

أره، فقلت (لأبيه عليه السلام): جعلت فداك، ما فعل سيدي؟ فقال: يا عمّة استودعناه الله الحفيظ القدير الذي استودعته أم موسى موسى عليه السلام.

ثم قال راوي الحديث موسى بن محمّد: فسألت عقيد الخادم (أي عن الأمر الذي حكته حكيمة) فقال: صدقت حكيمة رضي الله عنها.

وفي «الينابيع» ص٤٥٠ قال: روي عن محمد بن عبد الله المطهّري قال: سألت حكيمة عن ولادة القائم، فقالت: كانت لي جارية يقال لها نرجس، فزارني ابن أخي أبو محمّد الحسن وجعل يحدّ النظر إليها، فقلت له: أهويتها لأهبها لك؟ فقال: لا ولكن أتعجب منها أنه سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجل يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقلت: أرسلها إليك؟ فقال عليه السلام: استأذني أبي (وذلك لأن الجارية كانت للإمام الهادي وأن قضية شرائها من بغداد قضية معروفة) قالت (حكيمة): أتيت عند أخي علي النقي الهادي (وقبل أنْ نخبره بالقضية) قال عليه السلام: يا حكيمة هي نرجس لابني أبي محمّد الحسن، فقلت: يا سيدي، إلى هذا قصدتك وجئتك لأن أستأذن في ذلك، فقال: يا أختي يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحب أنْ يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً. قالت (حكيمة): فزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد، وجمعت بينه وبينها في بيت في داري، فأقام عندي أياماً ثم جاء بها عند والده علي النقي، وجلس أبو محمّد مكان والده بالإمامة (بعد استشهاد أبيه) وكنت أزوره، وقالت لي نرجس: يا مولاتي أنا أخلع خفّكِ وأخدمكِ، فقلت: بل أنتِ سيّدتي والله لا أدفع إليك خفّي لتخلعيه بل أخدمكِ على بصري. (قالت حكيمة): فقصدت الانصراف (إلى داري) فقال لي أبو محمّد: يا عمّة اجعلي إفطارك الليلة عندنا. ثم ذكرت حكيمة بواقي القصة نحو ما ذكرته لموسى بن محمّد (ابن قاسم بن حمرة بن موسى الكاظم).

٣١ ـ ومنهم الشيخ الجليل عبد الكريم اليماني (قدس سره) ووهب لنا فيوضه وعلومه قال في شعره كما في ينابيع المودة ص٤٦٦:

فــي يمــن أمــن يكــون لأهلهــا إلــى أن تــرى نــور الهــدايــة مقبــلا
بميــم مجيــد مــن ســلالــة حيــدر ومــن آل بيــت طــاهــريــن بمــن عــلا
يسمــى بمهــدي مــن الحــق ظــاهــر بسنــة خيــر الخلــق يحكــم أولاً

٣٢ ـ ومنهم الشيخ عبد الرحمان البسطامي مؤلف كتاب (درّة المعارف) قدس الله سره وأفاض علينا فتوحه وغوامض علومه كما في ينابيع المودة ص٤٦٦.

قال في الأبيات المنسوبة إليه:

ويظهــر ميــم المجــد مــن آل أحمــد ويُظهــر عــدل الله فــي النــاس أولا
كمــا قــد روينــا عــن علــيّ الــرضــا وفي كنز علم الحرف أضحى محصلا

ومن أبياته:

ويخــرج حــرف الميــم مــن بعــد شينــه بمكــة نحــو البيــت بــالنصــر قــد عــلا
فهــذا هــو المهــديّ بــالحــق ظــاهــر سيأتي من الرحمان للخلق مرسلا
ويمــلأ كــلّ الأرض بــالعــدل رحمــة ويمحــو ظــلام الشــرك والجــور أولا
ولايتــه بــالأمــر مــن عنــد ربّــه خليفة خير الرّسل من عالم العلا

٣٣ ـ ومنهم الشيخ المحدّث الفقيه محمد بن إبراهيم الجويني الحمويني الشافعي، فإنه قال في كتابه فرائد السمطين: برواية عن دعبل الخزاعي عن عليّ الرضا بن موسى الكاظم، قال: إن الإمام من بعدي ابني الجواد التقي، ثم الإمام من بعده ابنه الهادي والنقي ثم الإمام من بعده ابنه الحسن العسكري، ثم الإمام من بعده ابنه الحجّة المهديّ المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره كما في ينابيع المودة ص٤٧١ ـ ٤٧٢. (ثم قال أيضاً): وأما شيخ المشايخ العظام أعني حضرات: شيخ الإسلام أحمد الجامي النامقي، والشيخ عطار النيسابوري، والشيخ شمس الدين التبريزي، وجلال الدين مولانا الرومي، والسيد نعمة الله الولي، والسيد النسيمي، وغيرهم ذكروا في أشعارهم في مدائح الأئمة من أهل البيت الطيب (رضي الله عنهم) مدح المهدي في آخرهم مختص بهم فهذه أدلة (واضحة) على أنّ المهدي

ولد أولاً. قال: ومن تتبع آثار هؤلاء الكاملين العارفين يجد الأمر واضحاً عياناً.

٣٤ ـ ومنهم كما في ينابيع المودة ص٤٧٢ الشيخ أحمد الجامي النامقي.

ومن أشعاره بالفارسية:

من زمهر حيدرم هر لحظه اندر دل صفاست
ازپي حيدر حسن مارا إمام ورهنماست
همچو كلب افتاده ام براستان بو الحسن
خاك نعلين حسين برهرد وجشم تر تياست
عابدين تاج سرو باقر دو جشم روشنم
دين جعفر بسر حق أست مذهب موسى رواست
مُوالي وصف سلطان خراسان راشنو
ذرّه ئي از خاك قبرش درد مندان رادواست
بيشواي مؤمنان است اي مسلمانان تقي
كر نقي را دوست داري برهمه مذهب رواست
عسكري نور دوجشم عالمست وآدم است
همچو يك مهدي سبهسالار در عالم كجاست
قلعة خيبر كرفته آن شهنشاه عرب
زآنكه در بازوي حيدر نامه الآ فتاست
شاعران از بهر سيم زر وسُخنها كفته اند
أحمد جامي غلام خاص شاه اولياست.

٣٥ ـ ومنهم كما في ينابيع المودة ص٤٧٣ الشخ العطار المار ذكره في رقم (٣٤) وله أشعار في كتابه مظهر الصفات.

٣٦ ـ ومنهم الشيخ سعد الدين الحموي المحدّث كما قال الشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة ص٤٧٤ قال الشيخ عزيز بن محمد النسفي أن شيخ

الشيوخ سعد الدين الحموي (قدس سره) قال: لم يكن قبل نبيّنا في الأديان السابقة من يسمى ولياً وكان اسم النبيّ، وأن المقربين عند الله الذين كانوا صاحبين [ظ: مصاحبين] للشريعة كانوا يسمون بالأنبياء، ولم يكن في الأديان السابقة في كل شريعة إلا دين واحد. ففي عصر آدم عليه السلام كانوا أنبياء عديدة، غير أنهم كانوا يأمرون الناس بالعمل بشريعة آدم عليه السلام وليس لهم شريعة خاصة، وكذلك في عصر نوح عليه السلام كانت الشريعة شريعة واحدة وكان الأنبياء في عصره يأمرون الناس بالعمل بشريعة نوح عليه السلام لا غيره. وكذلك كان في زمان إبراهيم، وموسى وعيسى عليهم السلام كانوا أنبياء متعدّدين وفي كل عصر من أعصار الأنبياء كانوا يأمرون الناس بالعمل بدين ذلك النبيّ، ولما ظهر دين الإسلام دين محمد بن عبد الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى اختار اثني عشر رجلاً من أهل بيت نبيه محمّد ﷺ وأورثهم علمه وكانوا مقربين عنده وجعلهم نوابه وأوليائه والعلماء الذين ورد في حقهم (العلماء ورثة الأنبياء) هم هؤلاء لا غيرهم. وقوله ﷺ: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) هؤلاء الاثني عشر وهم المقصودين في الحديث والخبر. والولي الثاني عشر والنائب الثاني عشر كان يسمى المهدي صاحب الزمان. (ثم قال): قال الشيخ سعد الدين الحموي: إن الأولياء في العالم لم يزيدوا على الاثني عشر وأن الثاني عشر منهم هو خاتم الأولياء في الإسلام، وكان يسمى المهدي صاحب الزمان وسائر المقربين أو رجال الغيب لم يسموا بالأولياء بل كانوا يسمون بالأبدال). هذا ما ذكره الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص٤٧٤.

٣٧ ـ ومنهم كما في ينابيع المودة ص٥٦١ الشيخ صدر الدين القونوي قدس سره (فإنه قال) في شأن المهدي الموعود (عليه السلام) شعراً:

يقوم بأمر الله في الأرض ظاهراً ... على رغم شيطانين بمحق الكفر

يؤيد شرع المصطفى وهو ختمه ... ويمتد من ميم بأحكامها يدري

ومدته ميقات موسى وجنده ... خيار الورى في الوقت يخلو عن الحصر

على يده محق اللئام جميعهم ... بسيف قويّ المتن علّك أن تدري

حقيقة ذاك السيف والقائم الذي ... تعيّن للدين القويم على الأمر
لعمري هو الفرد الذي بان سرّه ... بكل زمان في مظاء له يسري
تسمّى بأسماء المراتب كلها ... خفاءً وإعلاناً كذاك الحشر
أليس هو النور الأتمّ حقيقة ... ونقطة ميم منه إمدادها يجري
يفيض على الأكوان ما قد أفاضه ... عليه إله العرش في أزل الدهر
فما تمّ إلاّ الميم لا شيء غيره ... وذو العين من نوابه مفرد العصر
هو الروح فأعلمه وخذ عهده إذا ... بلغت إلى مدّ مديد من العمر
كأنك بالمذكور تصعد راقياً ... إلى ذروة المجد الأثيل على القدر
وما قدره إلاّ ألوف بحكمة ... على حدّ مرسوم الشريعة بالأمر
بذا قال أهل الحلّ والعقد فاكتفى ... بنصّهم المثبوت في صحف الزبر
فإ تبغ ميقات الظهور فإنه ... يكون بدور جامع مطلع الفجر
بشمس تمدّ الكلّ من ضوء نورها ... وجمع دراری الأوج فيها مع البدر
وصلّ على المختار من آل هاشم ... محمد المبعوث بالنهي والأمر
عليه صلاة الله ما لاح بارق ... وما أشرقت شمس الغزالة في الظهر
وآل وأصحاب أولي الجود والتقى ... صلاة وتسليماً يدومان للحشر

٣٨ ـ ومنهم الشيخ حسين بن محمّد بن الحسن الدّيار بكري المالكي المتوفى سنة (٩٦٦هـ) فإنه ذكر في كتابه الخميس ج٢ ص٣٢١، قال: الحادي عشر (من الأئمة): الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر الصادق ويكنى أبا محمّد ويلقّب بالزكي والخالص والسراج وهو مثل أبيه مشهور بالعسكري. أمه أم ولد اسمها سوسن، وقيل غير ذلك. ولد بالمدينة سنة (٢٣٢هـ) وتوفي في سرّ من رأى في سنة (٢٦٠هـ) وقبره بجنب أبيه. (ثم قال): الثاني عشر (من الأئمة) محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا، يكنّى أبا القاسم ولقبه الإمامية بالحجّة، والقائم، والمهديّ، والمنتظر، وصاحب الزمان، وهو عندهم خاتم الاثني عشر إماماً، وأمه أم ولد اسمها صيقل وقيل سوسن، وقيل

نرجس وقيل غير ذلك. ولد في سر من رأى في الثالث[1] والعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين (٢٥٨هـ).

٣٩ ـ ومنهم الشيخ مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي الشافعي المتوفى سنة (١٢٩٨هـ) وله مؤلفات عديدة منها نور الإبصار تعرض فيه لبعض أحوال الخلفاء الأربعة عند أهل السنة. وذكر بعض أحوال الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) من الكرامات وخوارق العادات وغيرها إلى أن قال في ص١٥٠ ط/ مصر سنة (١٣٢٢هـ): الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهم). أمه أم ولد يقال لها حديثة وقيل سوسن وكنيته أبو محمد، وألقابه: الخالص السراج والعسكري. ولد أبو محمّد بالمدينة لثمان خلون من ربيع الآخر سنة (٢٣٢هـ) إلى أن قال في ص١٥٢: وكانت وفاة أبي محمّد الحسن بن عليّ في يوم الجمعة لثمانٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين (٢٦٠هـ) وخلف من الولد ابنه محمّد:

ثم أخذ في ذكر أوصاف الإمام الثاني عشر. وقال: فصل في ذكر مناقب محمّد بن الحسن الخالص بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، أمه أم ولد يقال لها نرجس وقيل صيقل وقيل سوسن، وكنتيه أبو القاسم ولقّبه الإمامية بالحجّة والمهديّ والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي[2].

٤٠ ـ الشيخ النسّابة أبو الفوز محمّد أمين البغدادي السويدي صاحب كتاب

---

(١) لا يخفى أن التاريخ المذكور أعلاه مخالف للإجماع والأخبار الدالين على أن ولادته في النصف من شعبان (عليه السلام) عام ٢٥٥هـ.

(٢) لاحظ: المهديّ الموعود المنتظر عند علماء السنّة والإمامية ج١/ ١٨٢ ـ ٢١٩، ومنتخب الأثر/ لطف الله الصافي ص٣٢٧.

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، فإنه ذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر وبعض فضائلهم ومناقبهم وذكر الإمام الحسن العسكري في ص٧٧ باب ٦، وقال في صفحة ٧٨: في خط الحسن العسكري (محمّد المهديّ وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين وكان مربوع القامة حسن الوجه والشعر، أقنى الأنف صبيح الجبهة).

وخلاصة القول: إن الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف هو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالضرورة القطعية للروايات التي تفوق التواتر عشرات المرات والتي أفادت أنه من أهل البيت ومن ولد الصدّيقة فاطمة وإمام من أئمة العترة الطاهرة وهو الثاني عشر المتولد من أبيه الإمام الحسن العسكري وأمه مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وهي من ذرية شمعون وصي عيسى المسيح عليه السلام وقصة زواجها من الإمام العسكري معروفة ومدوّنة في كتبنا التاريخية[1].

هذا مضافاً إلى الإجماع على ولادته عليه السلام عام ٢٥٥هـ واتصال الشيعة آنذاك به، ومن قبله بأبيه وإرشادهم إليه، وظهور المعجزات على يديه، وتعيينه للسفراء في الغيبة الصغرى، وقضائه للحوائج وإغاثته للملهوف المتوسل به وغيرذلك، كلها قرائن وشواهد نقطع بها على وجوده، وفي المقابل نقطع بعدم صحة الرواية التي تقول: (واسم أبيه اسم أبي) مما يوجب عدم الاعتناء بها إلاّ لمعاند أو متعصب يحطّ من قيمة العلم ويخدش بشهادة التاريخ القطعية بما له من جرأة على إنكار ما ثبت بالأدلة العلمية والشرعية المعتبرة.

وبما تقدم يندفع أيضاً ما ورد من أن الإمام المهديّ من أولاد الصدّيقة فاطمة عليها السلام لكنه من نسل ولدها الإمام الحسن المجتبى السبط الشهيد، مستدلين على ذلك برواية أبي داود عن أبي إسحاق قال: علي عليٌّ رضي الله عنه ونظر إلى ابنه الحسن فقال: «إن ابني هذا سيّد كما سمّاه النبي وسيخرج من صلبه رجل

(١) لاحظ: كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق ص٤١٧ باب ٤١.

يسمّى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلق، يملأ الأرض عدلاً»[1].

ويؤكد عدم صحتها أيضاً ـ مضافاً لما تقدّم ـ وجود روايات من العامة تصرّح بأن الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف من أبناء الإمام الحسين، وعليه تسقط رواية أبي داود من الاعتبار نهائياً، ومن هذه الروايات ما أورده محب الدين الطبري في ذخائر العقبى عن حذيفة أن النبيّ ﷺ قال: لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه كإسمي، فقال سلمان من أي ولدك يا رسول الله؟ قال من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين عليه السلام[2].

وما ورد عن أبي وائل قال: نظر أمير المؤمنين عليّ إلى الحسين فقال: «إن ابني هذا سيّد كما سمّاه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يشبهه في الخُلق والخَلق يخرج على حين غفلة من الناس، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[3].

● نبذة من الأخبار في إمامة الأئمة الأطهار وأسمائهم عليهم السلام:

١ ـ روى أبو الحسن عليّ بن الحسين، قال: حدّثنا أبو محمّد هارون بن موسى التلعكبري رضي الله عنه، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ بن زكريا العدوي النصري، عن محمّد بن إبراهيم بن المنذر المكي، عن الحسين بن سعيد الهيثم، قال: حدّثني الأجلح الكندي، قال: حدّثني أفلح بن سعيد، عن محمّد بن كعب، عن طاووس اليماني، عن عبد الله بن العبّاس، قال: دخلت على النبيّ ﷺ والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبّلهما ويقول: «اللّهم والِ من والاهما وعادِ من عاداهما»، ثم قال: يا ابن عبّاس، كأني به وقد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب ويستنصر فلا يُنصر.

---

(١) سنن أبي داود ج٤/ ١٠٨ ح٤٢٩٠.

(٢) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى/ محب الدين الطبري ص١٣٦ مكتبة القدسي بدرب سعادة ـ القاهرة، ورواه الحموئي الخراساني في فرائد السمطين ج٢/ ٣٢٥ حديث ٥٧٥.

(٣) أسنى المطالب/ الجزري ص١٣٠.

قلت: من يفعل ذلك يا رسول الله؟

قال: شرار أمّتي، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتي. ثم قال: يا ابن عبّاس، مَنْ زاره عارفاً بحقّه كتب له ثواب ألف حجّة وألف عمرة، ألا ومن زاره فكأنما زارني، ومن زارني فكأنما زار الله، وحقّ الزائر على الله أنْ لا يعذّبه بالنار، ألا وأنّ الإجابة تحت قبّته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده.

قلت: يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟

قال: بعدد حواري عيسى وأسباط موسى ونقباء بني إسرائيل.

قلت: يا رسول الله فكم كانوا؟

قال: كانوا اثني عشر، والأئمة بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، فإذا انقضى الحسين فابنه عليّ، فإذا انقضى عليّ فابنه محمّد، فإذا انقضى محمّد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه عليّ، فإذا انقضى عليّ فابنه محمّد، فإذا انقضى محمّد فابنه عليّ، فإذا انقضى عليّ فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجّة.

قال ابن عبّاس: قلت يا رسول الله أسامي لم أسمع بهنّ قط.

قال لي: يا ابن عبّاس، هم الأئمة بعدي وإن نُهروا [في نسخة: قُهروا]، أمناءٌ معصومون نجباء أخيار. يا ابن عبّاس، مَنْ أتى يوم القيامة عارفاً بحقّهم أخذت بيده فأدخلته الجنة. يا ابن عبّاس، من أنكرهم أو ردّ واحداً منهم فكأنما قد أنكرني وردّني، ومن أنكرني وردّني فكأنما أنكر الله وردّه. يا ابن عبّاس، سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً، فإذا كان كذلك فاتّبع عليّاً وحزبه، فإنه مع الحقّ والحق معه، ولا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض. يا ابن عباس، ولايتهم ولايتي، وولايتي ولاية الله، وحربهم حربي، وحربي حرب الله، وسلمهم سلمي، وسلمي سلم الله.

ثم قال عليه السلام: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١).

٢ ـ القاضي أبو الفرج المعافا بن زكريا البغدادي، قال: حدّثني محمّد بن همام بن سهيل الكاتب، قال: حدثني محمّد بن معافا السلماسي عن محمّد بن عامر، قال: حدّثنا عبد الله بن زاهر عن عبد العدوس [القدوس] عن الأعمش عن حبش [حنش] بن المعتمر قال:

قال أبو ذر الغفاري رحمة الله عليه: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي توفي فيه، فقال: يا أبا ذر آتني بإبنتي فاطمة.

قال: فقمت ودخلت عليها وقلت: يا سيدة النسوان أجيبي أباك، قال: فلبست جلبابها وخرجت حتى دخلت على رسول الله، فلما رأت رسول الله انكبت عليه وبكت وبكى رسول الله لبكائها وضمها إليه، ثم قال: يا فاطمة لا تبكين فداك أبوك، فأنت أول من تلحقين بي مظلومة مغصوبة، وسوف يظهر بعدي حسيكة النفاق ويسمل جلباب الدين، وأنت أول من يرد عليّ الحوض.

قالت: يا ابه أين ألقاك؟ قال: تلقيني عند الحوض وأنا أسقي شيعتك ومحبيك وأطرد أعداءك ومبغضيك، قالت: يا رسول الله فإن لم ألقك عند الحوض؟ قال: تلقيني عند الميزان، قالت: يا ابه وإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: تلقيني عند الصراط وأنا أقول: سلّم سلّم شيعة عليّ.

قال أبو ذر: فسكن قلبها، ثم التفت إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا أبا ذر إنها بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني، ألا إنها سيّدة نساء العالمين، وبعلها سيّد الوصيين، وابنيها الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأنهما إمامان إن قاما

---

(١) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر لأبي القاسم القمي الرازي ص١٦ ـ ١٩ ط/ مطبعة الخيام ـ قم ١٤٠١هـ، والآية من سورة التوبة: ٣٢.

أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهديّ هذه الأمة.

قال: قلت يا رسول الله فكم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بني إسرائيل[1].

٣ ـ محمّد بن عبد الله بن المطلب وأبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عبد الله بن الحسن بن عباس الجوهري جميعاً قالا: حدّثنا محمّد بن لاحق اليماني، عن إدريس بن زياد قال: حدثنا إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ فقال: معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً، وإياكم والبدع فإن كل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار، معاشر الناس من افتقد الشمس فليتمسك بالقمر، ومن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسّكوا بالنجوم الزاهرة بعدي، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: فلما نزل عن المنبر ﷺ تبعته حتى دخل بيت عائشة، فدخلت إليه وقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله سمعتك تقول: «إذا افتقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر، وإذا افتقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين، وإذا افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة» فما الشمس وما القمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة؟

فقال: أنا الشمس وعليّ القمر والحسن والحسين الفرقدان، فإذا افتقدتموني فتمسكوا بعليّ بعدي، وإذا افتقدتموه فتمسكوا بالحسن والحسين، وأما النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين، تاسعهم مهديهم.

ثم قال عليه السلام: إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي، أئمة أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى، قلت: فسمهم لي يا رسول الله؟

---

(١) كفاية الأثر ص٣٧.

قال: أولهم عليّ بن أبي طالب، وبعده سبطاي، وبعدهما عليّ زين العابدين، وبعده محمّد بن عليّ الباقر علم النبيين، والصادق جعفر بن محمّد وابنه الكاظم سمي موسى بن عمران، والذي يقتل بأرض الغربة ابنه عليّ، ثم ابنه محمّد، والصادقان عليّ والحسن، والحجّة القائم المنتظر في غيبته، فإنهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي وحكمهم حكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي[1].

٣ ـ سعيد بن عبد الله قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد عن حماد بن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبان بن خلف عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله وإذا بالحسين على فخذه وهو يقبّل جبينه ويلثم فاه ويقول: أنت سيّد ابن السيّد، أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة، أنت حجّة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم[2].

٤ ـ عن أبي القاسم جعفر بن محمّد، عن محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن ابن محبوب عن أبي الجارود عن أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبين يديها لوحٌ فيه أسماء الأوصياء والأئمة من ولدها، فعدّدت اثني عشر اسماً آخرهم القائم من ولد فاطمة، ثلاثة منهم محمّد، وأربعة منهم عليٌّ[3].

٥ ـ وعن أبي القاسم، عن محمّد بن يعقوب، عن أبي علي الأشعري عن الحسن بن عبيد الله عن الحسن بن موسى الخشاب، عن عليّ بن سماعة، عن عليّ بن الحسن بن رباط عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: سمعت أبا

(١) كفاية الأثر ص٤١.
(٢) كفاية الأثر ص٤٦.
(٣) الإرشاد للمفيد ج٢/٣٤٦.

جعفر عليه السلام يقول: الاثنا عشر الأئمة من آل محمّد كلُّهم محدَثٌ، عليٌّ بن أبي طالب وأحد عشر من ولده، ورسول الله وعليٌّ هما الوالدان، صلّى الله عليهما[1].

٦ ـ وعن محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن عليّ بن بلال قال: خرج إليّ أمرُ أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إليّ من قبل مضيّه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده[2].

٧ ـ عن محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن إسحاق عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام: جلالتُك تمنعني عن مسألتك فتأذن لي أن أسألك؟

فقال: «سل» قلت: يا سيّدي، هل لك ولدٌ؟ قال) «نعم» قلت: إن حدَثَ حدثٌ فأيت أسأل عنه؟ قال: «بالمدينة»[3].

٨ ـ وعن حمدان القلانسي عن العمري قال: مضى أبو محمّد عليه السلام وخلّف ولداً له[4].

٩ ـ وعن الحسين بن محمد، عن معلّى بن محمد، عن أحمد بن محمد بن عبد الله قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قُتل الزبيري لعنه الله: «هذا جزاءُ من اجترأ على الله تعالى في أوليائه، زعم أنه يقتلني وليس لي عقبٌ، فكيف رأى قدرة الله فيه» قال محمّد بن عبد الله: ووُلد له ولدٌ؟[5].

وقد تظافرت النصوص على ولادة القائم صاحب الزمان حجّة الله ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن

---

(١) الإرشاد للمفيد ج٢/ ٣٤٧.

(٢) نفس المصدر ج٢/ ٣٤٨.

(٣) نفس المصدر ج٢/ ٣٤٨.

(٤) نفس المصدر ج٢/ ٣٤٨.

(٥) الإرشاد للمفيد ج٢/ ٣٤٩. وأصول الكافي ج١/ ٥١٤ ح١.

الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، منها ما رواه الشيخ الصدوق عليه الرحمة:

١ ـ عن محمّد بن الحسن بن الوليد عن محمّد بن يحيى العطّار عن أبي عبد الله الحسين بن رزق الله عن موسى بن محمّد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام قال: حدثتني حكيمة بنت محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قالت: بعث إليّ أبو محمّد الحسن بن علي عليه السلام فقال: يا عمّة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان، فإن الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجّة وهو حجته في أرضه، قالت: فقلت له: ومَن أمّه؟ قال لي: نرجس، قلت له: جعلني الله فداك ما بها أثر؟ فقال: هو ما أقول لك، قالت: فجئت، فلما سلّمت وجلست جاءت تنزع خفي وقالت لي: يا سيّدتي [وسيدة أهلي] كيف أمسيت؟ فقلت: بل أنت سيّدتي وسيدة أهلي، قالت: فأنكرت قولي وقالت: ما هذا عمّة؟ قالت: فقلت لها: يا بنيّة إن الله تعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيّداً في الدنيا والآخرة، قالت: فخجلت واستحيت.

فلمّا أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعي فرقدت، فلمّا أن كان في جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتي وهي نائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة، ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلّت ونامت.

قالت حكيمة: وخرجت أتفقّد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذنب السرحان وهي نائمة فدخلني الشكوك، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام من المجلس فقال: لا تعجلي يا عمّة فهاك الأمر قد قرب، قالت: فجلست وقرأت ألم السجدة وياسين، فبينما أنا كذلك إذ انتبهت فزعة فوثبت إليها فقلت: اسم الله عليك، ثم قلت لها: أتحسّين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة، فقلت لها: اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك، قالت: فأخذتني فترة وأخذتها فترة، فانتبهت بحسّ سيدي فكشفت

الثوب عنه فإذا أنا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده، فضممته إليّ فإذا أنا به نظيفٌ متنظفٌ فصاح بي أبو محمد عليه السلام: هلمّي إليّ ابني يا عمة، فجئت به إليه فوضع يديه تحت إليتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ثم أدلى لسانه في فيه وأمرَّ يده على عينيه وسمعه ومفاصله، ثم قال: تكلّم يا بني، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم صلّى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة عليهم السلام إلى أنْ وقف على أبيه ثم أحجم.

ثم قال أبو محمّد عليه السلام: يا عمّة اذهبي به إلى أمّه ليسلّم عليها وائتني به، فذهبت به فسلّم عليها ورددته فوضعته في المجلس ثم قال: يا عمّة إذا كان يوم السابع فائتينا. قالت حكيمة: فلما أصبحت جئت لأسلّم على أبي محمّد عليه السلام وكشفت الستر لأتفقّد سيّدي عليه السلام فلم أره، فقلت: جعلت فداك ما فعل سيّدي؟ قال: يا عمّة استودعناه الذي استودعته أمّ موسى عليه السلام.

قالت حكيمة: فلمّا كان في اليوم السابع جئت فسلّمت وجلست فقال: هلمّي إليّ ابني، فجئت بسيّدي عليه السلام وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الأولى، ثم أدلى لسانه في فيه كأنه يغذّيه لبناً أو عسلاً، ثم قال: تكلّم يا بنيّ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وثنّى بالصلاة على محمّد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه عليه السلام، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[1]. قال موسى: فسألت عقبة الخادم عن هذه، فقال: صدقت حكيمة[2].

٢ ـ عن محمّد بن عبد الله الطهوي قال: قصدت حكيمة بنت محمّد عليه السلام بعد مضي أبي محمّد عليه السلام أسألها عن الحجّة وما قد اختلف فيه الناس من الحيرة التي هم فيها، فقالت لي: اجلس فجلست، ثم قالت: يا محمّد إن الله تبارك

(١) سورة القصص: ٥ ـ ٦.

(٢) كمال الدين للشيخ الصدوق ج٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٦ ح١ ط/ دار الكتب الإسلامية إيران.

وتعالى لا يخلّي الأرض من حجّة ناطقة أو صامتة، ولم يجعلها في أخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام تفضيلاً للحسن والحسين وتنزيهاً لهما أن يكون في الأرض عديلهما إلاّ أن الله تبارك وتعالى خصّ ولد الحسين بالفضل على ولد الحسن عليه السلام كما خصّ ولد هارون على ولد موسى عليه السلام وإن كان موسى حجةً على هارون، والفضل لولده إلى يوم القيامة، ولا بدّ للأمة من حيرة يرتاب فيها المبطلون ويخلص فيها المحقّون، كيلا يكون للخلق على الله حجّة، وأن الحيرة لا بدّ واقعة بعد مضي أبي محمّد الحسن عليه السلام، فقلت: يا مولاتي هل كان للحسن عليه السلام ولد؟ فتبسمت ثم قالت: إذا لم يكن للحسن عليه السلام عقب فمن الحجّة من بعده وقد أخبرتك أنه لا إمامة لأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام، فقلت: يا سيّدتي حدثيني بولادة مولاي وغيبته عليه السلام قالت: نعم كانت لي جارية يقال لها: نرجس، فزارني ابن أخي فأقبل يحدّق النظرَ إليها، فقلت له: لعلّك هويتها فأُرسلها لك؟ فقال لها: لا يا عمّة ولكني أتعجب منها، فقلت: وما أعجبك منها؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عزّ وجلّ الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: فأُرسلها إليك يا سيّدي؟ فقال: استأذني في ذلك أبي عليه السلام قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام فسلّمت عليه وجلست فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة ابعثي نرجس إلى ابني أبي محمّد، قالت: فقلت يا سيّدي، على هذا قصدتك على أن أستأذنك في ذلك، فقال لي: يا مباركة إن الله تبارك وتعالى أحبَّ أنْ يشركك في الأجر ويجعل لك في الخير نصيباً. قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزيّنتها ووهبتها لأبي محمّد عليه السلام، وجمعت بينه وبينها في منزلي، فأقام عندي أياماً ثم مضى إلى والده عليه السلام ووجّهت بها معه.

قالت حكيمة: فمضى أبو الحسن عليه السلام وجلس أبو محمّد عليه السلام مكان والده، وكنت أزوره كما كنت أزور والده، فجاءتني نرجس يوماً تخلع خفّي فقالت: يا مولاتي ناوليني خفّكِ، فقلت: بل أنتِ سيّدتي ومولاتي والله لا أدفع

إليك خفّي لتخلعيه ولا لتخدميني بل أخدمكِ على بصري. فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك فقال: جزاك الله يا عمّة خيراً، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لأنصرف، فقال عليه السلام: لا يا عمّة بيتي الليلة عندنا فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ الذي يحيي الله عزّ وجلّ به الأرض بعد موتها، فقلت: ممّن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟ فقال: من نرجس لا من غيرها، قالت: فوثبت إليها فقلبتها ظهراً لبطن فلم أرَ لها أثر حبل، فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت فتبسّم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لأن مثلها مثل أمّ موسى عليه السلام لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام وهذا نظير موسى.

قالت حكيمة: فعدت إليها فأخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت: يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا، قالت حكيمة: فلم أزل أرقبها إلى وقت طلوع الفجر. وهي نائمة بين يدي لا تقلب جنباً إلى جنب حتى إذا كان آخر الليل وقت طلوع الفجر وثبت فزعة، فضممتها إلى صدري وسمّيت عليها فصاح [إليّ] أبو محمّد وقال: اقرئي عليها ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فأقبلت أقرأ عليها وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلّم عليّ.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح بي أبو محمّد عليه السلام: لا تعجبي من أمر الله عزّ وجلّ، إنّ الله تبارك وتعالى ينطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجّة في أرضه كباراً فلم يستتم الكلام حتى غيبت عنّي نرجس فلم أرها كأنه ضرب بين وبينها حجاب فعدوت نحو أبي محمّد عليه السلام وأنا صارخة، فقال لي: ارجعي يا عمّة فإنّك ستجديها في مكانها.

قالت: فرجعت فلم ألبث أن كشف الغطاء الذي كان بيني وبينها وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري وإذا أنا بالصبيّ عليه السلام ساجداً لوجهه [على

وجهه]، جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبّابتيه، وهو يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ جدّي محمّداً رسول الله وأنّ أبي أمير المؤمنين» ثم عدّ إماماً إماماً إلى أنْ بلغ إلى نفسه، ثم قال: «اللّهم أنجز لي ما وعدتني وأتمم لي أمري وثبّت وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً».

فصاح بي أبو محمّد عليه السلام فقال: يا عمّة تناوليه وهاتيه، فتناولته وأتيت به نحوه، فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي سلّم على أبيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه وناوله لسانه فشرب منه، ثم قال: امضي به إلى أمّه لترضعه وردّيه إليّ، قالت: فتناولته أمه فأرضعته، فرددته إلى أبي محمّد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له: احمله واحفظه وردّه إلينا في كل أربعين يوماً، فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء واتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمّد عليه السلام يقول: «أستودعك الله الذي أودعته أمّ موسى موسى» فبكت نرجس فقال لها: اسكتي فإنّ الرضاع محرّم عليه إلاّ من ثديك وسيعاد إليك كما رُدّ موسى إلى أمّه وذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[1].

قالت حكيمة: فقلت: وما هذا الطير؟ قال: هذا روح القدس الموكّل بالأئمة عليهم السلام يوفّقهم ويسدّدهم ويربّيهم [يزينهم] بالعلم. قالت حكيمة: فلمّا كان بعد أربعين يوماً ردّ الغلام ووجّه إليّ ابن أخي عليه السلام فدعاني، فدخلت عليه فإذا أنا بالصبيّ متحرّك يمشي بين يديه، فقلت: يا سيدي هذا ابن سنتين؟! فتبسّم عليه السلام ثم قال: إنّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشؤ غيرهم، وإنّ الصبيّ منا إذا كان أتى عليه شهرٌ كان كمن أتى عليه سنة، وإنّ الصبيّ منّا ليتكلم في بطن أمّه ويقرأ القرآن ويعبد ربّه عزّ وجلّ وعند الرّضاع تطيعه الملائكة وتنزل عليه صباحاً ومساءاً.

(١) سورة القصص: ١٣.

قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبيّ في كلّ أربعين يوماً إلى أنْ رأيته زَجِلاً[1] قبل مضي أبي محمّد عليه السلام بأيام قلائل فلم أعرفه، فقلت لابن أخي عليه السلام: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال لي: هذا ابن نرجس، وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي.

قالت حكيمة: فمضى أبو محمّد عليه السلام بعد ذلك بأيام قلائل، وافترق الناس كما ترى ووالله إني لأراه صباحاً ومساءً وإنه لينبئني عمّا تسألون عنه فأخبركم، ووالله إني لأريد أن أسأله عن الشيء فيبدأني به وأنه ليرد عليّ الأمر فيخرج إليّ منه جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليّ وأمرني أن أخبركَ بالحق..»[2].

٣ ـ عن إبراهيم بن محمّد بن عبد الله بن موسى بن جعفر عليه السلام، عن السيّاري قال: حدّثتني نسيم ومارية قالتا: إنه لمّا سقط صاحب الزمان عليه السلام من بطن أمه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبّابتيه إلى السماء، ثم عطس فقال: الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله، زعمت الظّلمة أنّ حجّة الله داحضة، لو أذن لنا في الكلام لزال الشكُّ.

قال إبراهيم بن محمّد بن عبد الله: وحدّثتني نسيم خادمة أبي محمّد عليه السلام قالت: قال لي صاحب الزمان عليه السلام وقد دخلت عليه بعد مولده بليلة، فعطست عنده فقال لي: يرحمك الله، قالت: ففرحت بذلك، فقال لي عليه السلام: ألا أبشّرك في العطاس، فقلت: بلى يا مولاي، فقال؛ هو أمان من الموت ثلاثة أيام[3].

٤ ـ عن أبي عليّ الخيزراني عن جارية له كان أهداها لأبي محمّد عليه السلام فلمّا

---

(١) الزَّجِل من الشَّعر: ما بين الجعودة والاسترسال أي كان شعره زَجِلاً، وليس المراد منه أنه كان كبير السن قبل مضي أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام حسبما توهم أحد المعلقين على كتاب كمال الدين وتمام النعمة، ثم استبعاده له.

(٢) كمال الدين ج٢/ ٤٢٦ ـ ٤٢٩ ح٢.

(٣) نفس المصدر والجزء ص٤٣٠ ح٥.

أغار جعفر الكذّاب على الدار جاءته فارّةً من جعفر فتزوّج بها. قال أبو عليّ: فحدّثتني أنها حضرت ولادة السيّد عليه السلام وأنّ اسم أمّ السيّد صقيل، وأنّ أبا محمّد عليه السلام حدّثها بما يجري على عياله، فسألته أنْ يدعو الله عزّ وجلّ لها أنْ يجعل منيّتها قبله، فماتت في حياة أبي محمّد عليه السلام وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أمّ محمّد. قال أبو عليّ: وسمعت هذه الجارية تذكر أنه لمّا ولد السيّد عليه السلام رأت لها نوراً ساطعاً قد ظهر منه وبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم تطير، فأخبرنا أبا محمّد عليه السلام بذلك فضحك، ثم قال: تلك ملائكة نزلت للتبرّك بهذا المولود وهي أنصاره إذا خرج[1].

٥ ـ وعن محمّد بن أحمد العلويّ، عن أبي غانم الخادم قال: وُلد لأبي محمّد عليه السلام ولدٌ فسمّاه محمّداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتدُّ إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً[2].

٦ ـ وعن أبي عبد الله محمّد بن خليلان قال: حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن غياث بن أسيد قال: ولد الخلف المهديُّ عليه السلام يوم الجمعة، وأمُّه ريحانة، ويقال لها: نرجس، ويقال: صقيل[3]، ويقال: سوسن إلاّ أنه قيل: لسبب الحمل صقيل، وكان مولده عليه السلام لثمان ليال خلون من شعبان سنة ستّ وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلمّا مات عثمان أوصى ابنه أبي جعفر محمّد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد السمريّ رضي الله عنهم، قال: فلمّا حضرت

---

(١) نفس المصدر والجزء ص٤٣١ ح٧.

(٢) نفس المصدر والجزء ح٨.

(٣) الصقيل: الشيء الأملس، وسميت صقيلاً لما اعتراها عليها السلام من النور بسبب الحمل المنوّر، أما الصَّيقل: فهو مبالغة صاقل أي شحّاذ السيوف وجلاّؤها.

السمريّ الوفاة، سُئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السمريّ رضي الله عنه[1].

وهكذا رآه بعض أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حياة أبيه.

هذا طرف يسير مما جاء في النصوص على ميلاد الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، والروايات في ذلك كثيرة قد دوّنها أصحاب الحديث من هذه العصابة المرحومة وأثبتوها في كتبهم[2] فتراجع، وهكذا النصوص التي دلت على من شاهد القائم المهديّ عليه السلام ورآه وكلّمه، يجدها مبثوثة في كتبنا بكثرة تفوق التواتر بعشرات المرات[3]. وأما كتب المخالفين فليس فيها شيء مما ذكرته مصادرنا بخصوص ولادة مولانا الحجّة المنتظر عليه السلام سوى ما ذكره بعض علمائهم وقد تقدّمت أسماؤهم، وسوى ما رواه ثلة منهم أمثال الحمويني الشافعي وابن الصبّاغ المالكي والقندوزي الحنفي.

● فقد روى الحمويني بسنده عن عبد الله بن عبّاس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي لإثنا عشر، أوّلهم أخي وآخرهم ولدي. قيل: يا رسول الله ومن أخوك؟ قال: عليّ بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهديّ الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً.

والذي بعثني بالحق بشيراً لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهديّ، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب[4].

---

(١) كمال الدين ص٤٣٢ ح١٢.

(٢) كمال الدين والغيبة للنعماني، وأصول الكافي، وغيبة الطوسي.

(٣) مضافاً للمصادر المتقدّمة، فليراجع: مدينة المعاجز للبحراني، وجنّة المأوى للطبرسي والبحار للمجلسي وإلزام الناصب للحائري.

(٤) فرائد السمطين ج٢/ ٢٠٢ حديث ٥٦٢ باب ٦١.

وروي بسند آخر متصل بعبد الله بن عبّاس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون[1].

وعن ابن عبّاس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيّد المرسلين، وعليّ بن أبي طالب سيّد الوصيين، وأن أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم عليّ بن أبي طالب، وآخرهم القائم[2].

● وروى ابن الصبّاغ المالكي عن زرارة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: الأئمة الاثنا عشر كلّهم من آل محمّد: عليّ بن أبي طالب وأحد عشر من ولده ثم قال: «وأما النص على إمامته من جهة أبيه فروى محمّد بن عليّ بن بلال قال: خرج إليّ أمر أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري قبل مضيّه بسنين يخبرني بالخلف من بعده ثم خرج إليّ قبل مضيّه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف بأنه ابنه من بعده.

وعن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي محمّد الحسن بن عليّ جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل، فقلت: يا سيّدي هل لك ولدٌ؟ قال: نعم، قلت: فإن حدث حادث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة.

ثم أضاف: وُلد أبو القاسم محمّد الحجّة ابن الحسن الخالص بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة، وأما نسبه أباً وأماً فهو أبو القاسم محمّد الحجّة بن الحسن الخالص بن عليّ الهادي بن محمّد الجواد بن عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمّد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين، وأما أمّه فأمّ ولد يقال لها نرجس خير أمة..»[3].

---

(١) فرائد السمطين ج٢/ ٢٠٣ حديث ٥٦٣.

(٢) فرائد السمطين ج٢/ ٢٠٣ حديث ٥٦٤.

(٣) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة/ ابن الصباغ المالكي ص٢٨٢.

● وروى القندوزي الحنفي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وهو آخر من مات من الصحابة بالاتفاق عن عليّ رضي الله عنه قال:

قال رسول الله: يا عليّ أنت وصيّي حربك حربي وسلمك سلمي وأنت الإمام وأبو الأئمة الأحد عشر الذين هم المطهّرون المعصومون ومنهم المهديّ الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فويل لمبغضهم، يا عليّ لو أن رجلاً أحبّك وأولادك في الله لحشره الله معك ومع أولادك وأنتم معي في الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنّة والنار، تدخل محبيك الجنّة ومبغضيك النار[1].

وروى القندوزي أيضاً عن الحمويني في فرائد السمطين بسنده عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: قدم يهودي يقال له نعثل، فقال: يا محمّد أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك؟ قال: سل يا أبا عمارة فقال: يا محمّد صف لي ربّك؟ فقال ﷺ: لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي تعجز العقول أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تجده والأبصار أن تحيط به جلّ وعلا عمّا يصفه الواصفون نائي في قربه وقريب في نأيه هو كيّف الكيف وأيّن الأين، فلا يقال أين هو، منقطع الكيفية والأينونية فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: صدقت يا محمّد فاخبرني عن قولك أنه واحد لا شبيه له إليس الإله واحد والإنسان واحد، فقال ﷺ: عزّ وعلا واحد حقيقي أحديّ المعنى أي لا جزء ولا تركيب له والإنسان واحد ثنائي مركب من روح وبدن! قال: صدقت، فأخبرني عن وصيّك من هو؟ فما من نبيّ إلا وله وصيّ وأن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، فقال: إن وصيي عليّ بن أبي طالب وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين، قال: يا محمّد فسمّهم لي، قال: إذا مضى الحسين فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه

---

(١) ينابيع المودة ص٥٨ ط/ اسلامبول.

محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه محمّد، فإذا مضى محمّد فابنه عليّ، فإذا مضى عليّ فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجّة محمّد المهديّ، فهؤلاء إثنا عشر...»[1].

والروايات بهذا المعنى من طرق العامة كثيرة تدل على أن الأئمة اثنا عشر وأنهم خلفاؤه، وأنه ﷺ لم يرد بذكره الاثني عشر خليفة إلاّ الأئمة من ذرية ابنته الصدّيقة سيّدة النساء فاطمة روحي فداها. وإليك أخي القارىء قسماً منها:

١ ـ ما رواه البخاري في الجزء الرابع من كتاب الأحكام في باب جعله قبل باب إخراج الخصوم وأهل الريب، قال: حدّثني محمد بن المثنى، حدّثنا غندر، حدّثنا شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: يكون إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال كلّهم من قريش[2].

٢ ـ روى الترمذي في صحيحه: باب ما جاء في الخلفاء. قال: حدّثنا أبو كريب عن عمر بن عبيد عن سمّاك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله: يكون من بعدي اثنا عشر أميراً ثم تكلّم بشيء لم أفهمه، فسألت الذي يليني فقال: قال: كلّهم من قريش. (قال الترمذي): هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن جابر بن سمرة.. الخ وذكر نفس الحديث[3].

٣ ـ وروى مسلم في كتاب الإمارة من الصحيح، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، عن قتيبة بن سعيد، حدّثنا جرير عن حصين عن جابر بن سمرة قال: قال سمعت النبيّ يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا

---

(١) ينابيع المودة ص٤٤٠ ومنتخب الأثر ص١٠٢.

(٢) صحيح البخاري ج٤/ ١٧٥ ط/ مصر سنة ١٣٥٥هـ ومتخب الأثر ص١٥.

(٣) صحيح الترمذي ج٢/ ٤٥ ط/ دهلي سنة ١٣٤٢هـ.

عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفى عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلّهم من قريش[1].

٤ ـ وروى مسلم أيضاً في كتاب الامارة عن ابن أبي عمر قال: حدّثنا عن سفيان بن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليّهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلّم النبيّ بكلمة خفيت عليّ، فسألتِ أبي ماذا قال رسول الله؟ فقال: كلّهم من قريش[2].

٥ ـ وعنه أيضاً عن هداب بن خالد الأزدي عن حمّاد بن مسلمة عن سمّاك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمرة يقول: سمعت رسول الله يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي ما قال؟ فقال: كلّهم من قريش[3].

٦ ـ وروى أحمد بن حنبل عن عبد الله عن أبيه ثنا (ثنا: أي حدّثنا) مؤمل بن إسماعيل ثنا حمّاد بن سلمة ثنا داود بن هند عن الشعبي عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: يكون لهذه الأمة إثنا عشر خليفة[4].

٧ ـ وروى أحمد أيضاً في المسند عن الشعبي عن مسروق قال: كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمان هل سألتم رسول الله كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله

---

(١) صحيح مسلم ج٢/ ١٩١ ط/ مصر سنة ١٣٤٨هـ.

(٢) صحيح مسلم ج٢/ ١٩١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) مسند أحمد ج٥/ ١٠٦ ط/ مصر سنة ١٣١٣هـ، ورواه عن جابر من ٣٤ طريقاً في ص٨٦ ج٥، كما أخرجه عن جابر بن سمرة صاحب المستدرك على الصحيحين ج٣/ ٦١٨، وتيسير الوصول إلى جامع الأصول ج٢/ ٣٤، ومنتخب كنز العمال المطبوع بهامش مسند أحمد ج٥/ ٣١٢، وتاريخ بغداد ج١٤/ ٣٥٣ رقم ٧٦٧٣، وتاريخ الخلفاء ص٧ وينابيع المودة ص٤٤٥.

فقال: اثنى عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل[1].

٨ ـ وروى أبو داود في السنن عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله يقول: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلُّهم تجتمع عليه الأمة، فسمعت كلاماً من النبيّ لم أفهمه، قلت لأبي ما يقول؟ قال: كلّهم من قريش[2].

٩ ـ روى القندوزي عن جابر بن سمرة ثم ساق الحديث إلى أن قال: كلهم من بني هاشم[3].

والأخبار بهذا المعنى في مصادرنا فوق حد التواتر فلتراجع[4].

وبهذا الحديث المتقدّم بضميمة القرائن من الآيات ـ كآية التطهير والإطاعة والبلاغ والإكمال والولاية ونظائرها ـ والراويات (كحديث الثّقلين المشهور المقطوع الصدور وحديث السفينة وغيرهما) نقطع بأن هذ الأحاديث لا تنطبق إلاّ على دين الإمامية فإن بعضها يدل على أن الإسلام لا ينقرض ولا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، وبعضها يدل على أن عزة الإسلام إنما تكون إلى اثني عشر خليفة، وبعضها يدل على بقاء الدين إلى أن تقوم الساعة، وأن وجود الأئمة مستمر إلى آخر الدهر، وبعضها يدل على أن الاثني عشر كلّهم من قريش، وفي بعضها كلّهم من بني هاشم.

وظاهرها جميعاً حصر الخلفاء في الاثني عشر وتواليهم، ومعلوم أن تلك الخصوصيات لم توجد إلاّ في الأئمة الاثني عشر المعروفين عند الفريقين، ولا

(١) مسند أحمد ج١/ ٣٩٨.
(٢) سنن أبي داود ج٤/ ١٠٦ حديث ٤٢٧٩ و٤٢٨٠.
(٣) ينابيع المودة ص٤٤٥.
(٤) منتخب الأثر ص١٩ ـ ٥٠ والغيبة للنعماني/ باب أن الأئمة اثنا عشر، والغيبة للطوسي ص٨٧ ـ ٨٩.

توافق مذهباً من مذاهب فرق المسلمين إلاّ مذهب الإمامية، وينبغي أن يعدّ ذلك من جملة معاجز النبيّ وأخباره عن المغيبات.

ذكر القندوزي في ينابيع المودة نقلاً عن بعض المحقّقين قوله:

«إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أن مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلاّ عمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بني هاشم لأن النبيّ ﷺ قال: كلّهم من بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجح هذه الرواية لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم ولا يمكن أن يحمله على الملوك العبّاسية لزيادتهم على العدد المذكور ولقلة رعايتهم، الآية ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ وحديث الكساء فلا بدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متصلاً بجدهم ﷺ وبالوراثة واللدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق، ويؤيد هذا المعنى أي أن مراد النبيّ ﷺ الأئمة الاثني عشر من أهل بيته ويشهده ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكررة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها، وأما قوله ﷺ: كلّهم يجتمع عليه الأمة، في رواية عن جابر بن سمرة فمراده ﷺ أن الأمة تجتمع على الإقرار بإمامة كلهم وقت ظهور قائمهم المهديّ رضي الله عنهم»[1].

وفي نهج البلاغة من خطبة الإمام علي «كرّم الله وجهه»: (أينَ الذين زعموا

---

(١) ينابيع المودة ص٥٣٥.

أنّهم الراسخون في العلم دونَنا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرَمَهم وأدخلنا وأخرجهم، بنا يُستعطى الهُدى وبنا يُستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم) (وأنه سيأتي عليكم مِنْ بعدي زمانٌ ليس فيه شيءٌ أخفى من الحقّ ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند أهل ذلك الزمان سِلعةٌ أبور من الكتاب إذا تُلي حقّ تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرِّفَ عن مواضعه ولا في البلاد شيءٌ أنكر من المعروف ولا أعرف من المنكر) (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرّشد حتى تعرفوا الذي تركه، ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسّكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيشُ العلم وموتُ الجهل، هم الذين يُخبركم حكمُهم عن علمهم وصمتُهم عن منطقهم وظاهرُهم عن باطنهم، لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صدق وصامت ناطق)[1].

وبما تقدّم يندفع ما قيل من المراد من الاثني عشر الوارد في الحديث هو حكم خلفاء بني أميّة وبني العبّاس بعد حكم بعض الصحابة. من هنا التجأ أناسٌ من أهل التعصب والعناد من الذين يعدّون أنفسهم في زمرة العلماء إلى ارتكاب تأويلات باردة وإبداء احتمالات ضعيفة كي يصرفوا هذه الأحاديث عن ظواهرها الواضحة المؤيّدة بغيرها من النصوص المتواترة، وإليك بعضاً منها:

التأويل الأول:

أن قوله ﷺ اثنا عشر إشارة إلى ما بعد الصحابة من خلفاء بني أميّة وليس على المدح بل على استقامة السلطنة.

جوابه:

---

(١) ينابيع المودة ص٥٣٥ وقد اقتبس القندوزي المقاطع الثلاثة من خطبة ١٤٤ ص٢٠١ وخطبة ١٤٧ ص٢٠٤ من خطب نهج البلاغة/ شرح صبحي الصالح.

إذا كان هذا مراده فأية فائدة في الإخبار عن ذلك، ومن أين علم صاحب التأويل المتقدّم بأن مرادة ﷺ الإخبار بإمارة اثني عشر من بني أميّة وبني العبّاس، ومن أين علم أيضاً أنه إشارة إلى من بعد الصحابة؟ فلِمَ لم يقل (يكون بعد الصحابة)؟ وقال (يكون بعدي) وإذا وصل الأمر إلى اقتراح مثل هذا الاحتمال لصرف الكلام عن ظاهره حذراً عن إثبات مذهب أهل الحق فلا اختصاص حينئذٍ لكثرة الاحتمالات الطارئة، فيحتمل أن يكون إشارة إلى من بعد عبد الملك وكان مراده (من بعدي) بعد عبد الملك ويحتمل أن يكون إشارة إلى من بعد هشام، ويحتمل أن يكون ستة منهم من بعد يزيد بن عبد الملك وستة منهم من بني العبّاس، ويحتمل أن يكون المراد بعد بني أميّة، كما يحتمل أن يكون إشارة إلى من بعد السفّاح أو المنصور أو غيرهما من بين العبّاس، ويكون بعضهم من الأمويين الذين ملكوا الأندلس، وبعضهم من الفاطميين الذين حكموا مصر، إذ لا مرجّح للاحتمال الأول على واحد من هذه الاحتمالات. هذا مضافاً إلى أنه كيف يكون الحديث صادراً على غير سبيل المدح مع ما في بعض طرقه من العبارات الصريحة في المدح، وكيف يصح تنزيل هؤلاء الجبابرة الفجرة منزلة نقباء بني إسرائيل وحواري عيس في هذه الروايات الكثيرة، مع دلالة هذه الروايات على انحصار الخلفاء في الاثني عشر.

التأويل الثاني:

المراد من الاثني عشر خليفة هم الذين يأتون بعد وفاة الحجّة المهديّ المنتظر عليه السلام.

يرد عليه:

(١) إنّ هذا مخالف لبعض هذه الأحاديث مثل قوله (بعدي اثنا عشر خليفة) وقوله (لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، ولا يزال أمر الناس ماضياً) مما يدل على اتصال زمانهم بزمان النبيّ ﷺ واستمرار وجودهم إلى آخر الدهر وانحصار

الخلفاء فيهم كما صرّح به في رواية ابن مسعود المتقدّمة.

(٢) إن القرائن المنفصلة والمتصلة ـ من داخل وخارج هذا الحديث ـ لدلالة قاطعة على أن المراد بالاثني عشر خليفة هو الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهو المشهور بين فرق المسلمين، فإثبات الخلافة لما بعد وفاة الإمام الحجّة المهديّ «روحي لتراب نعله الفداء» دون ما قبل وفاته دعوى بلا برهان. هذا مضافاً إلى أن هذا التأويل مخالف لخصوص هذه الأحاديث وما فيها من انحصار الخلفاء في الاثني عشر واستمرار واتصال زمانهم بزمان النبيّ صلى الله عليه وآله. وأما الاستناد لصحة حمل هذه الأحاديث على هذا التأويل بخبر «يلي بعد المهدي اثنا عشر رجلاً: ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم»[١]. ففيه مضافاً إلى مخالفتها للأحاديث الكثيرة عن طريق الفريقين من أن خروج الإمام المهديّ عليه السلام في آخر الزمان الذي يأتم به عيسى بن مريم عليهما وعلى نبينا وآله السلام. هذا مع ما في سنده من الضعف والوهن حسبما صرّح ابن حجر في الصواعق، ولمخالفته لخبر الطبراني: «سيكون من بعدي خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ثم من بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

التأويل الثالث:

ما حكي عن القاضي عيّاض وهو أن المراد أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أميّة ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد. وقال ابن حجر في فتح الباري: كلام القاضي عيّاض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة (كلهم يجتمع عليه الناس) ثم ذكر أسماء من وقع الاجتماع على خلافتهم وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ «أمير المؤمنين

---

(١) الصواعق المحرقة ص١٦٦.

وقائد الغر المحجلين» ومعاوية ويزيد وعبد الملك وأولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام وعمر بن عبد العزيز..

يرد عليه:

(١) إن هذا الوجه أردأ ما قيل في الحديث وأهونه، «ونحن نترك الكلام في نسب بني أميّة وعدم صحة انتسابهم إلى قريش مع أن هذه الأحاديث مصرّحة بكون الأئمة الاثني عشر من قريش، مضافاً إلى أنه كيف يصح حمل هذه البشائر التي صدرت على سبيل المدح وإطلاق الخليفة على معاوية الذي حارب أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه سيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله «حربك حربي» وأعلن معاوية بسبّه على المنابر، ودسَّ السم إلى الإمام الحسن عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة؟ كما كيف يصح حملها على مثل يزيد بن معاوية الفاسق المعلن بالمنكرات والكفر قاتل الإمام الحسين عليه السلام، وهو الذي أباح بأمره مسلم بن عقبة أهل المدينة ثلاثاً فقتل خلقاً من الصحابة ونُهبت المدينة وافتض في هذه الواقعة الف عذراء حتى أن الرجل من المدينة بعد ذلك إذا زوّج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلّها قد افتضت في واقعة الحرة، وقيل تولد من النساء أربعة آلاف ولد من تلك الواقعة، وقد قال رسوال الله فيما رواه مسلم «من أخاف أهل المدينة أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

وحكي عن الواقدي أن عبد الله بن حنظلة[1] غسيل الملائكة قال: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء أنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة» وهو الذي أمر بغزو الكعبة، وقد ذكر السيوطي أن نوفل بن أبي الفرات قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فذكر رجل يزيد بن معاوية فقال: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال: تقول أمير المؤمنين وأمر به فضرب عشرين سوطاً. إلى ما هنالك من

---

(١) روي أن حنظلة بن أبي عامر خرج يوم أُحد وهو جنب ليقاتل المشركين فلمّا قُتل غسّلته الملائكة. راجع أسد الغابة ج٢/٨٦.

مخازي ارتكبها بنو أميّة، وعليه كيف يصح حمل هذه الأحاديث وإطلاق الخليفة على عبد الملك الغادر الناهي عن الأمر بالمعروف؟ قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلاّ الحجّاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يخفى فضلاً عن غيرهم وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً يريد بذلك ذلهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه». وكيف يطلق الخليفة على الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الشارب للخمر والمتهتك لحرمات الله تعالى وهو الذي أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة فمقته الناس لفسقه، وهو الذي فتح المصحف فخرج (فاستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فألقاه ورماه بالسهام وقال:

تهـــددنـــي بجبـــار عنيـــد فهـــا أنـــا ذاك جبـــار عنيـــد

إذا مـــا جئـــت ربـــك يـــوم حشـــرٍ فقـــل يـــا رب مـــزّقنـــي الـــوليـــد

فما يلبث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى قُتل، ونقل صاحب تاريخ الخميس «أن من كفرياته أنه دخل يوماً فوجد ابنته جالسة مع دادتها[1] فبرك عليها وأزال بكارتها فقالت له الدادة هذا دين المجوس، فأنشد قائلاً:

مـــن راقـــب النـــاس مـــات غمـــاً وفـــاز بـــاللـــذة الجســـور

أهذا معنى عزة الإسلام وخليفة رسول الله؟!! فالصواب تسمية هؤلاء بالفراعنة لا الخلفاء، وتشبيههم بالملاحدة والكفرة لا بحواري عيسى ونقباء بني إسرائيل. والأعجب من ذلك كيف رضي القاضي عيّاض أن يجعل هؤلاء الجبابرة من خلفاء رسول الله الذين بشّر بهم وأخبر بأنهم يعملون بالهدى وإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها وفي نفس الوقت أخرج من الحديث الإمام الحسن المجتبى مع أنه خليفة بنص جده رسول الله حسبما أفادت الأخبار القطعية، ثم أدخل يزيد بن معاوية وبني العاص الذين لعنهم رسول الله بمحكم النصوص من الفريقين.

---

(١) كلمة تركية مستعربة وهي: المربيّة.

(٢) إن التمسك بقوله (كلّهم يجتمع عليه الأمة) ضعيف وذلك لأن تمسُّك الأمة برجل لا يصلح دليلاً على شرعية حكمه، لا سيّما وأن الأكثرية ميّالة إلى الدعة والهوى وحبّ الدنيا، مضافاً إلى أن الظاهر من نسبة فعل إلى أحد صدوره منه بالإختيار دون الجبر والإكراه، فالمراد بقوله (يجتمع) لو سلّمنا صدوره عنه ﷺ اجتماعهم بالقصد والاختيار إلاّ أنه لا يصح لأحد أن يخبر عن وقوع اجتماع أهل مكة والمدينة وعظماء الفقهاء ووجوه المحدثين وبقية الصحابة وكبار التابعين على خلافة يزيد وأنهم اجتمعوا عليه واختاروه للخلافة، أو اجتماع المسلمين على خلافة الوليد بن يزيد.

ولو بنينا على ذلك يلزم خروج أمير المؤمنين عليّ والإمام الحسن عليهما السلام من الخلفاء لعدم اجتماع أهل الشام عليهما مع قيام الإجماع والاتفاق على خلافتهما.

(٣) إن هذا التأويل لم يذكر في ضمنه الإمام الحجّة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف مع نصّ الرسول ﷺ عليه بالخلافة، فإنْ عدّ في قبال الاثني عشر حينئذٍ يزداد عدد الخلفاء، وظاهر تمام النصوص السابقة حصر العدد فيها وإلاّ يلزم دخوله فيبطل ما عيّنوه بالوهم، وقد قال النبي ﷺ: يكون في آخر الزمان خليفة يقسّم المال ولا يعدّه، وفي تعبير آخر: يحثي المال حثياً ولا يعدّه.

(٤) ظاهر جملة من الأخبار وصريح بعضها أن بإنقضاء الثاني عشر منهم ينقضي أمر الدين وتظهر علامات الساعة وتقوم أشراط القيامة والتي منها رجعة النبيّ محمّد وآله الطاهرين كما هو مفاد النصوص التي فاقت حدّ التواتر بعشرات المرات، فرجعتهم عليهم السلام متمّمة ومكمّلة لسابق عدله، ثم بعد ذلك تقوم أشراط الساعة بظهور الهرج والفساد، فتقوم الساعة على شرار خلقه، وما ألطف تعبير رسول الله ﷺ إذ قال:

«لا يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش فإذا مضوا ساخت الأرض بأهلها».

وعليه فلو فُرض خلو زمانه بعد النبي ﷺ إلى زمان ظهوره «عجّل الله فرجه المبارك» من خليفة منهم، لزم عدم قيام الدين وذلته واضطراب الأرض وظهور الفتن والهرج قبل انقضاء حكم الثاني عشر ورجعة آبائه وأجداده بعده.

إن الأرجاف في حياة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه المبارك من قبل العامة لا يضعّف من إيمان أتباعه والمعتقدين به كرسول وحجّة من الله تعالى على خلقه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، بل يزيدنا إصراراً على التمسّك بأذياله المقدّسة والذّب عنه بكلّ ما أوتينا من قوة، لاعتقادنا أن الدفاع عنه هو دفاع عن الله تعالى ورسالاته.

ولم يقتصر المرجفون في حياة الإمام المهديّ روحي لتراب نعليه الفداء على التشكيك بوجوده المقدّس بل زادوا في شبهاتهم للحدّ من الاعتقاد به كضرورة إلهية لا بدّ للعباد أن يتمسّكوا بها، وما رفض هؤلاء لحياته سوى لصرف الناس البسطاء عن الإيمان بالأئمة الاثني عشر، لأنهم لو اعتقدوا بجواز وجوده الآن لثبت حينئذٍ صحة الأحاديث الدالة على أنّ الإمامة حق شرعي لعليٍّ المرتضى وأولاده الأحد عشر.

ونحن سنذكر شبهاتهم الواهية ونردّ عليها بإذن الله تعالى ليسفر الصبح لذي عينين.

الشبهة الأولى:

إذا كان الإمام المهديّ الحجة ابن الحسن عليه السلام قد ولد عام ٢٥٥هـ فلماذا ستره أبوه الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن الناس؟

والجواب:

(١) إن استتار الإمام المهدي عليه السلام عن عامة الشيعة إلاّ الخواص منهم آنذاك واستمرار استتاره عنهم إلى الآن حرصاً عليه من القتل، لأن بني العبّاس كانوا يتربصون بالإمام المهديّ الدوائر لعلمهم عن طريق الرواة أن الإمام المهدي عليه السلام

سوف يستأصل أهل العناد والتضليل، فكانوا يخافون على أنفسهم وعلى انهيار حكمهم منه، لذا كانوا يقتفون أثره عن طريق الحوامل، فكل حبلى أولدت ذكراً قتلوه، هذا مضافاً إلى ملاحقته بالبحث عنه ليقتلوه، وعليه فكيف لا يختبأ من هؤلاء دفعاً للضرر المتوجه إليه من الأعداء؟

(٢) إن استتاره عنهم ليس بخارج عن العرف والعقلاء، ولا مخالفاً لحكم العادات، بل الاستتار كان سيرة الملوك والعظماء في أولادهم بل كان هذا عند البسطاء أو السُّوقة من الناس، لأسباب تقتضي ذلك لا شبهة فيها على العقلاء منها: أن يكون للإنسان ولد من جارية قد استتر تملّكها من زوجته وأهله، فتحمل منه فيخفي ذلك عن كلّ من يشفق منه أن يذكره، ويستره عمّن لا يأمن إذاعة الخبر به، لئلا يفسد الأمر عليه مع زوجته بأهلها وأنصارها، ثم إذا زال الخوف من الإخبار عنه، أو حان وقت وفاته، يُعلن عنه ويعرّف به تحرّجاً من تضييع نسبه، وإيثاراً لوصوله إلى مستحقه من ميراثه.

وقد يولد للملك ولد ولا يؤذن به حتى يترعرع، فإن رآه على الصورة التي تعجبه يخعلن عنه وإلاّ فلا، وقد ذكر الناس عن جماعة من ملوك الفرس والروم والهند، فسطروا أخبارهم في ذلك، وأثبتوا قصة كيخسرو بن سياوخش بن كيقاوس ملك الفرس الذي جمع ملك بابل والمشرق وما كان من ستر أمّه حملها وإخفاء ولادتها لكيخسرو، والخبر بأمره مشهور وسبب ستره وإخفاء شخصه معروف، قد ذكره علماء الفرس وأثبته محمد بن جرير الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك[1].

وقد اشتهر عن بعض الملوك إخفاءهم بعض أولادهم لضرب من التدبير في إقامة خلفاء لهم، وامتحان جندهم بذلك في طاعتهم، وغير ذلك مما يكثر تعداده من أسباب ستر الأولاد وإظهار موتهم واستتار الملوك أنفسهم، والإرجاف

(١) فليراجع: تاريخ الطبري ج١/ ٣٥٧.

بوفاتهم، وامتحان رعاياهم بذلك، وأغراض له معروفة قد جرت من المسلمين بالعمل عليها العادات.

وكم ظهر أولاد بعد موت آبائهم بدهر طويل، ولم يكن أحد من الخلق يعرفهم قبل ذلك حتى شهد لهم بذلك عدول من المؤمنين، وذلك لداعٍ دعا الأب إلى ستر ولادته عن كل أحد من قريب وبعيد إلاّ من شهد به من بعد عليه بإقراره على الستر لذلك والوصيّة بكتمانه، أو بالفراش الموجب لحكم الشريعة إلحاق الولد بوالده.

(٣) لقد أجمع علماء الملل على ما كان من ستر ولادة إبراهيم الخليل عليه السلام وتدبير أمّه في إخفاء أمره عن ملك زمانه لخوفها عليه منه. وكذا اتفاقهم على ستر ولادة موسى بن عمران عليه السلام، وبمجيء القرآن بشرح ذلك على البيان، والخبر بأن أمّه ألقته في اليمّ على ثقةٍ منها بسلامته وعوده إليها، وكان ذلك منها بالوحي إليها به بتدبير الله جلّ وعلا لمصالح العباد.

فما الذي ينكره خصوم الإمامية من قولهم في ستر الإمام الحسن العسكري ولادة ابنه الإمام المهديّ عليه السلام عن أهله وبني عمّه وغيرهم من الناس، وأسباب ذلك أظهر من أسباب ستر من عددناه وسمّيناه، بل إن الله عزّ وجلّ هو الذي ستر ولادة إبراهيم وموسى حينما أخفى على الناس حمل أمّ إبراهيم وأمّ موسى فلم يَبُن عليهنّ أثر الحمل حفاظاً منه تعالى على المولودين الكريمين.

والخبر بصحة ولادة الإمام الحجّة المهدي عليه السلام قد ثبتت بأوكد ما ثبُت به أنساب الجمهور من الناس، إذ كان النسب يثبت: بقول القابلة، ومثلها من النساء اللاتي جرت عادتهنّ بحضور ولادة النساء وتولّي معونتهم عليه، وباعتراف صاحب الفراش وحده بذلك دون من سواه، وبشهادة رجلين من المسلمين على إقرار الأب بنسب الابن منه.

وقد ثَبَتَتْ أخبارٌ عن جماعة من أهل الديانة والفضل والورع والزهد والعبادة

والفقه عن الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام: أنه اعترف بولده الإمام المهديّ عليه السلام، وآذنهم بوجوده، ونصّ لهم على إمامته من بعده، وبمشاهدة بعضهم له طفلاً، وبعضهم له يافعاً وشاباً كاملاً، وإخراجهم إلى شيعته بعد أبيه الأوامر والنواهي والأجوبة عن المسائل، وتسليمهم له حقوق الأئمة من أصحابه، وذلك موجود في كتبنا[1].

الشبهة الثانية:

إن جعفر بن عليّ «عم الإمام المهديّ عليه السلام» قد أنكر شهادة الشيعة بوجود ولد لأخيه أبي الحسن بن عليّ، ولد في حياته، وحاز تركة أخيه مدّعياً استحقاقه بميراثه له، وتظاهر بتكذيب كلّ من ادّعى لأخيه ولداً في حياته وبعد وفاته، حتى رفع أمر المدّعين ذلك إلى السلطان العبّاسي في عصره، وحمله على حبس جواري الإمام الحسن العسكري عليه السلام وإيذائهنّ باستبراء حالهنّ من الحمل ليتأكد نفيه لإبن أخيه، وإباحته دماء شيعة الإمام الحسن عليه السلام بإدعائهم وجود خلف من بعده هو أحق بمقامه من غيره، لا سيّما أنه لم يظهر لواحدة منهنّ حمل بعد ذلك الاستبراء، فكل ذلك يكفي في بطلان قول الشيعة ودعواهم وجود ولد للإمام الحسن العسكري ولا أقلّ أنها شبهة تبطل دعواهم إبطالاً[2].

والجواب:

(١) إن اعتماد صاحب الشبهة على إنكار جعفر لولادة الإمام المهديّ عليه السلام يصادم النصوص المتواترة الدالة على ولادته وغيبته عليه السلام، وليس لمسلم عرف الله ورسوله أن يجعل تلك النصوص خلف ظهره ويأخذ بقول جعفر المعلوم لدى العامة والخاصة عدم صدقه، ولثبوت فسقه بدعوى الإمامة لنفسه بعد أخيه عليه السلام،

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج٢/ ٣٥١، والنجم الثاقب في أحوال الإمام الحجّة الغائب للنوري عليه الرحمة.

(٢) ذكرها ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة ص١٦٨ والسفاريني في لوائح الأنوار ج٢/ ٧١، وبذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود/ عبد الله الجميلي ج١/ ٢٥٤.

فلا يجوز الأخذ بقوله لأن الله تعالى قد أمر بالتبيّن في أخبار الفاسق، حيث قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾[1] فكيف يجوز الأخذ بقوله وقد خالف النصوص القطعية والنقول الثابتة وضرب بها عرض الجدار؟ ومن هذا الذي له دين يصغي إلى مقالته ويعتني بشأنه؟ اللّهم إلاّ من يريد أن يعاند الحق بعد وضوحه، فلا يحسن حينئذٍ الكلام معه.

(٢) إن دعوى جعفر ابن الإمام الهادي عليه السلام وعمّ الإمام المهديّ عليه السلام ليست بحجّة لعدم عصمته بإتفاق الأمة، فإذا لم يكن معصوماً بحيث يمتنع عليه لذلك إنكار الحق ـ وهو نفيه لإبن أخيه الإمام الحسن العسكري ـ فكيف يمكن تصديقه مع مخالفته لإجماع الطائفة على وجود ولد للإمام العسكري، هذا مضافاً إلى أنه كان من جملة الرعيّة فكيف جاز تصديقه لوحده وتكذيب بقية الأفراد القائلين بوجود ولد للإمام العسكري؟! فهل جميع الأمة كاذبة وهو لوحده الصادق المصدّق؟ إنّ جعفر الذي أخذ بقوله من كان على شاكلته في الكذب هم من جملة الرعية التي يجوز عليها الزلل، ويعتريها السهو ويقع منها الغلط، ولا يؤمن منها تعمد الباطل، ويتوقّع منها الضلال، وقد نطق القرآن بما كان من أسباط يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام في ظلم أخيهم يوسف عليه السلام، وإلقائهم له في غيابة الجبّ، وتغريرهم بدمه بذلك، وبيعهم إياه بالثمن البخس، ونقضهم عهده في حراسته، وتعمّدهم معصيته في ذلك وعقوقه، وإدخال الهمّ عليه بما صنعوه بأحبّ ولده إليه وأوصلوه إلى قلبه من الغم بذلك، وتمويههم على دعواهم على الذئب أنه أكله بما جاءوا به على قميصه من الدم، ويمينهم بالله العظيم على براءتهم مما اقترفوه من الإثم، وهم لما أنكروه متحقّقون، وببطلان ما ادّعوه في أمر يوسف عليه السلام عارفون، وهؤلاء من أقرب الخلق نسباً بنبيّ الله وخليله إبراهيم، فما الذي يُنكر ممن هو دونهم في الدنيا

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

والدين أن اعتمد باطلاً يُعلم خطؤه فيه على اليقين، ويدفع حقاً قد قامت عليه الحجج الواضحة والبراهين.

(٣) إن دواعي جعفر لإنكار ابن أخيه الحجّة المنتَظَر عليه السلام من الأمور المعلومة، فإنه بذلك يحوز تركة أخيه دونه، مع جلالتها وكثرتها وعظم خطرها، لتعجّل المنافع بها، والنهضة بمآربه عند تملّكها، وبلوغ شهواته من الدنيا بحيازتها، وادعائه مقام الإمامة محل أخيه الإمام الحسن العسكري وهو عليه السلام في جلالة القدر عند جميع الناس بمكان لا ينكر، وأنه المستحق له دون غيره، هذا مضافاً إلى طمعه في جمع المال والزكوات التي كان يأتي بها الشيعة من أقطار الأرض إلى الإمام عليه السلام ليوزّعها على الفقراء والمستحقين، هذا وإضعافه دعاه إلى ارتكاب الضلال في إنكار ابن أخيه، ودفعه له عن حقه، ومَثَل من تشبّث بإنكار جعفر لابن أخيه كمثل من تشبّث من الكفار والمشركين بدعوى أبي لهب عمّ النبيّ ببطلان نبوة النبيّ محمّد وجحودها، مع مشاركة أكثر بني هاشم وبني أميّة لأبي لهب واجتماعهم على عداوة النبيّ، وتجريدهم السيف في حربه، واجتهادهم في استئصاله ومتبعيه على ملته، هذا مع ظهور حجته ووضوح برهانه في نبوته، وضيق الأفق في معرفة ولادة الحجّة بن الحسن على جعفر وأمثاله من البعداء عن العلم بحقيقته لا يستلزم إنكار شخصيته عجّل الله فرجه الشريف، ومن صار في إنكار شيء أو إثباته أو صحته وفساده إلى مثل التعلق بجعفر بن عليّ في جحد وجود خلف لأخيه، وما كان من أبي جهل وشركائه من أقارب النبي صلى الله عليه وآله وجيرانه وأهل بلده والناشئين معه في زمانه في دفع نبوته وإنكار صدقه في دعوته، سقط كلامه عند العلماء ولم يعد في جملة الفقهاء، وكان في أعداد ذوي الجهل والسفهاء.

ونزيد على ما ذكرنا من الأسباب الداعية إلى إنكار جعفر لإبن أخيه ودفعه له عن حقه أدلةً واضحةً على بطلان قوله، ما رواه الثقاة عن أحوال جعفر بن عليّ في حياة أخيه أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام، وأسباب إنكاره خلفاً له من بعده

وجحد ابن أخيه، وحمل السلطان على ما سار به في مخلّفيه وشيعته، من هذه الأخبار:

● ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمّد بن عثمان العمري رحمه الله أن يوصل إليه ـ للحجّة المنتَظَر عليه السلام ـ سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبّتك الله من أمر المنكرين من أهل بيتنا وبني عمّنا، فاعلم أنه ليس بين الله عزّ وجلّ وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام[1].

● وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: سألت عليّ بن الحسين صلوات الله عليه: مَن الحجّة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمّد، واسمه في التوراة الباقر يبقر العلم بقراً هو الحجّة والإمام بعدي، ومن بعد محمّد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق. فقلت له: يا سيّدي كيف صار اسمه الصادق وكلكم صادقون؟ فقال: حدّثني أبي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب فسمّوه الصادق فإن الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذّاب المفتري على الله، المدّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه ذلك الذي يكشف سرّ الله عند غيبة وليّ الله.

ثم بكى عليُّ بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً ثم قال: كأني بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله، والمغيّب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقه[2].

---

(١) بحار الأنوار ج٥٠/ ٢٢٧ ح١.
(٢) بحار الأنوار ج٣٦/ ٣٨٦ ح١ وج٥٠/ ٢٢٧ ح٢.

● وعن سعد بن عبد الله الأشعري عن الشيخ الصدوق أحمد بن أسحاق بن سعد الأشعري رحمة الله عليه أنه جاءه بعض أصحابنا يعلمه بأن جعفر بن عليّ كتب إليه كتاباً يعرّفه نفسه، ويعلمه أنه القيّم بعد أخيه، وأن عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه وغير ذلك من العلوم كلّها.

قال أحمد بن إسحاق: فلما قرأت الكتاب، كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام وصيّرت كتاب جعفر في درجه فخرج إليّ الجواب في ذلك:

«... وقد ادّعى هذا المبطل ـ يقصد جعفر عمّه ـ المدّعي على الله الكذب بما إدّعاه، فلا أدري بأية حالة هي له رجاء أن يتم دعواه أبفقه في دين الله، فوالله ما يعرف حلالاً من حرام ولا يفرّق بين خطأ وصواب، أم بعلم فما يعلم حقاً من باطل، ولا محكماً من متشابه ولا يعرف حدّ الصلاة ووقتها، أم بورع فالله شهيد على تركه لصلاة الفرض أربعين يوماً يزعم ذلك لطلب الشعبذة، ولعلّ خبره تأدّى إليكم، وهاتيك ظروف مسكره منصوبة، وآثار عصيانه لله عزّ وجلّ مشهودة قائمة، أم بآية فليأت بها أم بحجّةٍ فليقمها أم بدلالة فليذكرها... فالتمس تولّى الله توفيقك من هذا الظالم ما ذكرت لك، وامتحنه واسأله آية من كتاب الله يفسّرها أو صلاة يبيّن حدودها، وما يجب فيها لتعلم حاله ومقداره ويظهر لك عواره ونقصانه والله حسيبه..»[1].

● وعن سعد عن جعفر بن محمّد بن الحسن بن الفرات عن صالح بن محمّد بن عبد الله بن محمّد بن زياد، عن أمّه فاطمة بنت محمّد بن الهيثم المعروف بابن سبانة قالت: كنت في دار أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام في الوقت الذي ولد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سرُّوا به، فصرت إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أره مسروراً بذلك، فقلت له: يا سيّدي ما لي أراك غير مسرور بهذا المولود؟

---

(١) بحار الأنوار ج٥٠/٢٣٩ ح٣.

فقال عليه السلام: يهون عليك أمره، فإنه سيضلُّ خلقاً كثيراً[1].

وبالجملة: فإنّ جعفر بن عليّ قد ادّعى الإمامة لنفسه وكان يجبر الناس على إطاعته والقول بإمامته بل سأل وزير الخليفة العبّاسي آنذاك أن يعرفه بأنه وارث أخيه الإمام الحسن عليه السلام، ليثبت له عند الناس العوام إمامته، فزبره الوزير عن ذلك واستخف به حسبما جاء في خبر أحمد بن عبيد الله الخاقان فليراجع[2].

الشبهة الثالثة:

ورد في خبر[3] أحمد بن عبيد الله بن خاقان أن الإمام أبا محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام قد أوصى في مرضه الذي توفي فيه إلى والدته المكناة بأمّ الحسن رضي الله عنها بوقوفه وصدقاته، وإسناد النظر في ذلك إليها دون غيرها.

«فقد دلت هذه الرواية على بطلان ولادة المهديّ المزعوم، ولا يستطيع الرافضة أن ينكروا هذه الرواية أو الطعن فيها وذلك لورودها في أكثر من مصدر من مصادرهم الموثقة والمعتمدة عندهم، وقد رواها عدة من كبار رجالات الرافضة في الحديث والتفسير والتاريخ أمثال: الكليني في الكافي، والمفيد في الإرشاد والطبرسي في أعلام الورى، والاربلي في كشف الغمة، والمجلسي في جلاء العيون وابن الصبّاغ في الفصول المهمة والقمي في منتهى الآمال»[4].

والجواب:

(١) إن عبارة [وتوقفوا عن قسمة ميراثه... فلما بطل الحمل عنهنّ قُسّم ميراثه بين أمّه وأخيه جعفر وادّعت أمُّه وصيته وثبت ذلك عند القاضي..] غير

---

(١) نفس المصدر ح٥.

(٢) بحار الأنوار ج٥٠/ ٣٢٥ ح١ باب شهادة الإمام العسكري عليه السلام ح١، وأصول الكافي ج١/ ٥٠٣ ح١.

(٣) أصول الكافي ج١/ ٥٠٣ ح١.

(٤) راجع: بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود/ للزنديق الناصبي عبد الله الجميلي ج١/ ٢٦٨.

موجودة في الإرشاد ولا في أعلام الورى والفصول المهمة، وهذه الكتب من المصادر الموثوقة عندنا نحن الشيعة، فكيف يدّعي الجميلي وجود الرواية بتمامها في مصادرنا؟! وعلى فرض وجودها في بقية الكتب والمصادر فإن أصحابها رووها عن الكليني في الكافي، وليس كلُّ ما في الكافي يعتبر صحيحاً وموثقاً، فهناك الأسانيد الضعاف والمراسيل، فلم يدّع أحدٌ من علماء الشيعة صحة كل ما في الكتاب المذكور، نعم جلُّ ما فيه موافق للأصول عندنا، والشاذّ إن أمكن تأويله أخذنا به وإلاّ فيُضرب به عرض الجدار.

(٢) لقد عُرف أحمد بن عبيد الله بن خاقان بالنصب والعداوة لآل البيت عليهم السلام وقد ذكر الكليني والمفيد في كتابيهما[١] الكافي والإرشاد أن الرجل كان شديد النصب كما لم يوثّقه أحد على الاطلاق، فالرجل لا شك أنه من الضعاف كما نص على ذلك أيضاً علماء الرجال منهم صاحب الوجيزة والحاوي فلاحظ[٢].

وعليه فلمّا كان الرجل ناصبيّاً ولا أحد من الإمامية يأخذ بقوله، فكيف حينئذٍ ينسب عبدُ الله الجميلي الناصبيّ ومن كان على شاكلته الحديثَ إلى ثقاة الإمامية في مصادرهم المعتبرة؟!!

(٣) وعلى فرض صحة ما في الخبر فإن فيه شيئاً من التقية والمصلحة حفاظاً على المولود المبارك وصوناً لنقض الغرض، «ولو ذكر في وصيّته ولداً له وأسندها إليه، لناقض ذلك الغرض منه، ونافى مقصده في تدبير أمره له، وعدل عن النظر بولده وأهله ونسبه، لا سيّما مع اضطراره كان إلى شهادة خواصّ الدولة العبّاسية

---

(١) قال الكليني في الكافي ج١/٥٠٣ في صدر الحديث الأول: باب مولد أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم، فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب. وقال المفيد في الإرشاد ج٢/٣٢١: «.. وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام.

(٢) تنقيح المقال للممقاني ج١/٦٧.

عليه في الوصيّة وثبوت خطوطهم فيها ـ كالمعروف بتدبر مولى الواثق وعسكر الخادم مولى محمّد بن المأمون والفتح بن عبد ربّه وغيرهم من شهود قضاة سلطان الوقت وحكّامه ـ لما قصد بذلك من حراسة قومه، وحفظ صدقاته، وثبوت وصيته عند قاضي الزمان، وإرادته مع ذلك الستر على ولده وإهمال ذكره، والحراسة لمهجته بترك التنبيه على وجوده، والكفّ لأعدائه بذلك عن الجدّ والاجتهاد في طلبه، والتنزيه عن شيعته لما يُشنّع به عليهم من اعتقاد وجوده وإمامته.

ومن اشتبه عليه الأمر فيما ذكرناه، حتى ظن أنه دليلٌ على بطلان مقال الإمامية في وجود ولدٍ للحسن عليه السلام مستور عن جمهور الأنام، كان بعيداً عن الفهم والفطنة، بائناً عن الذكاء والمعرفة، عاجزاً بالجهل عن التصوّر أحوال العقلاء وتدبيرهم في المصالح وما يعتمدونه في ذلك من صواب الرأي ويشاهد الحال، ودليله من العرف والعادات.

وقد تظاهر الخبر فيما كان عن تدبير أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام وحراسته ابنه موسى بن جعفر عليه السلام بعد وفاته من ضرر يلحقه بوصيته إليه، وأشاع الخبر عن الشيعة إذ ذاك باعتقاد إمامته من بعده، والاعتماد في حجّتهم لذلك على إقراره بوصيته مع نصّه عليه بنقل خواصه، فعدل عن إقراره بالوصية عند وفاته، وجعلها إلى خمسة نفر: أولهم المنصور وقدّمه على جماعتهم إذ هو سلطان الوقت ومدبّر أهله، ثم صاحبه الربيع من بعده، ثم قاضي وقته، ثم جاريته وأمّ ولده حميدة البربرية، وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر عليه السلام، يستر أمره ويحرس بذلك نفسه، ولم يذكر مع ولده موسى أحداً من أولاده، لعلمه بأنّ منهم من يدّعي مقامه من بعده، ويتعلق بإدخاله في وصيته. ولو لم يكن موسى عليه السلام ظاهراً مشهوراً في أولاده، معروف المكان منه وصحة نسبه واشتهار فضله وعلمه وحكمته وامتثاله وكماله، بل كان مثل ستر الحسن عليه السلام ولده، لما ذكره في وصيته، ولاقتصر على ذكر غيره ممن سمّينا، لكنه ختمهم في الذكر به كما بيناه.

وهذا شاهد لما وصفناه من غرض أبي محمّد عليه السلام في وصيته إلى والدته

دون غيرها، وإهمال ذكر ولدٍ له، ونظر له في معناه على ما بيّناه»[1].

الشبهة الرابعة:

لقد عاش أئمة أهل البيت عليهم السلام الاضطهاد والتقية من ملوك بني أميّة وبني العبّاس لعنهم الله تعالى ومع هذا لم يغب أحد منهم ولا خفيت ولادته ولا ستر وجوده من أحد من الناس، هذا مع التأكيد على أن الأئمة عليهم السلام عاشوا في عصور حالكة، كانت التقية فيها أشدّ من عصر الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولم يحدث منهم أنهم ستروا أولادهم خوفاً من اولئك الطغاة اللئام، وعليه فما الداعي إلى أن يستر الإمام العسكري عليه السلام ابنه الإمام المهديّ عليه السلام عن الناس ويخفي أمره؟!

وبعبارة أخرى: أن الشبهة تستبعد على الإمام الحسن العسكري عليه السلام إلى ستر ولده، وتدبير الأمر في إخفاء شخصه، ونهيه عليه السلام لشيعته عن تسميته وذكره، مع كثرة الشيعة في زمانه وانتشارهم في البلاد وثرائهم وحسن حالهم، وقد صعب الزمان فيما سلف على آبائه عليهم السلام واعتقاد ملوكه فيهم، وشدة غلظتهم على المعتقدين بإمامتهم، واستحلالهم الدماء والأموال، ولم يدعهم ذلك إلى ستر ولدهم ولا مؤهّل الأمر من بعدهم!

والجواب:

١ ـ إن علة عدم تعرّض ملوك بني أميّة وبني العبّاس لأولاد أئمتنا عليهم السلام هي عدم خروج الأئمة وأولادهم بالسيف على ولاة أزمانهم، فكان الطواغيت في مأمنٍ من ذلك، هذا مضافاً إلى أن الأئمة عليهم السلام أنفسهم كانوا يعملون بالتقية ويحرّمون الخروج بالسيف عليهم لعدم التكافيء بينهم وبين أعدائهم من حيث القوة والعدّة والعدد، ومع هذا لم يسلم أحد منهم من طغاة زمانهم، فكان لكلّ واحدٍ منهم عليهم السلام من يطارده ويؤذيه، فسُجن منهم من سُجن حتى لم يخرج أحد من الدنيا إلاّ مقتولاً أو مسموماً. فكان سكون الأئمة وعملهم بالتقية هم وأصحابهم

(١) الفصول العشرة في الغيبة/ الشيخ المفيد ص٦٩ ـ ٧٢.

وشيعتهم للأمر الذي ذكرنا، وتأكيدهم على شيعتهم أن يلزموا السكون إلى أنْ يُسمَعَ النداء من السماء بإسم الإمام المهديّ ويُخسف بالبيداء بجيش السفياني، فيخرج إمام الحق بالسيف ليزيل دولة الباطل.

٢ ـ إن ملوكَ الزمان إذ ذاك كانوا يعرفون الخصوصية التي يمتاز بها الإمام المهديّ روحي فداه عن بقية الأئمة عليهم السلام من حيث ورود الأخبار الكثيرة بشأنه من الرسول الأكرم جدِّه محمّد صلى الله عليه وآله وأنّ الله عزّ وجلّ يطهّر به الأرض من الجور والظلم، ويبيد العتاة والمردة من الحكام والظالمين والفسقة والكافرين، وكل هذا بدوره عاملاً قوياً يساعد في ملاحقة السلطات الظالمة للإمام المهديّ الموعود وتتبع حركاته ونشاطه، وبالأخير إلى القبض عليه وقتله إن سنحت لهم الظروف بذلك، ونظير هذا ما وقع لنبيّ الله موسى بن عمران عليه السلام مع طاغية زمانه فرعون، فإنه كان يذبح أبناءهم بغية العثور على موسى عليه السلام لئلا يكون زوال ملكه وسلطانه على يده، هذا مضافاً إلى أن الله عزّ وجلّ غيّب وليّه الأعظم حفاظاً عليه من القتل لقلة أنصاره، ولأن الحاجة إليه ستكون مستمرة ليس لبضع سنين كما حصل لآبائه الميامين، بل تتعداها إلى مئات أو آلاف السنين، لكونه في حكمة الله عزّ وجلّ الثاني عشر الذي ختمت به الإمامة والولاية فلا إمام بعده على ما نطقت به أحاديث الفريقين كما ختمت النبوة بجدِّه رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله فلا نبيّ بعده، حتى عيسى فقد بطلت نبوته التشريعية وبقيت التسديدية. وقد أشرنا إلى بعض الأخبار الدالة على ذلك منها الحديث المتواتر: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش». وهو صريح في أن الأئمة اثنا عشر لا يزيدون واحداً ولا ينقصون وإلاّ لزم الكذب في أخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وهو باطل إجماعاً، وأنه لا بدّ من رجل من أهل البيت عليهم السلام في كل زمان هو بحكم القرآن في وجوب التمسك به، كما نص عليه حديث الثقلين المتواتر نقله عن نيفٍ وعشرين صحابياً أو أكثر كما في سنن الترمذي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إني مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن تمسّكتم بهما لن تضلوا، ولن يفترقا حتى يردا عليّ

الحوض» وهو نصٌّ في وجود الإمام الثاني عشر الذي لا يفارق القرآن، ولا القرآن يفارقه ما دامت الدنيا، وإلا لو لم يكن هناك إمام ثاني عشر لخلت أزماننا من الإمام وهو خُلْفُ ما جاء في الحديث المتواتر أعلاه، وُخلْف حديث «الأئمة اثنا عشر كلهم من قريش».

الشبهة الخامسة:

١ ـ إن الإمام المهديّ عليه السلام إلى وقتنا الحاضر مستتر لا يعرف أحدٌ مكانه ولا يعلم مستقره، ولا يأتي واحد بخبره، وغيبته خارجة عن العادة والعرف، إذ لم تجر العادة لأحدٍ من الناس بذلك، إذ كان كلّ من اتفق له الاستتار عن ظالم لخوف منه على نفسه ولغير ذلك من الأغراض، تكون مدة استتاره مرتّبة بمدة زمنية محدودة، وعليه فإنّ دعوى الإمامية في غيبة إمامهم منذ وُلِد إلى الآن خارجة عن العادة لدى العقلاء يلزم منها بطلان ما ذهبوا إليه من قيام الحجّة المنتظر عليه السلام.

يورد عليها:

إن توهم الخصم كون الشيعة الإمامية لا يعلمون مكانه ومحل استقراره، ولا يعرفون أثره أو لا يمكن الوقوف على خبره دعوى لا تستند على حجة أو دليل، لا سيّما إطلاق القول على كافة الشيعة بعدم الوقوف على خبره أو أثره، ومَن هذا مِنَ الشيعة الذي قال إنه لا يعرف لإمامه أثراً ولا يقف على شخصه الميمون خبراً، ومَن الذي ادّعى من الشيعة أن الإمام المهدي لم يُعرف مكانه يومَ ولد؟ وفي أيّ كتابٍ هو مسطور؟! ليكون دليلاً على صدق دعواه، أجل! اللهُ يعلم، والشيعة العارفون المخلصون يعلمون أن الإمام ولد في سامراء وأن جماعة من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد شاهدوا الإمام المنتظر عجّل الله فرجه الشريف، مضافاً إلى أن السفراء والوسائط بين الإمام المهديّ وبين شيعته دهراً طويلاً في استتاره، ينقلون إلى الشيعة من الإمام عليه السلام معالم دينهم، ويخرجون إليهم أجوبةً عن مسائلهم فيه، ويقبضون منهم حقوقهم لديهم.

ومن رآه جماعة كان الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام وثّقهم وعدّلهم في حياته، واختصهم أمناء له في وقته، وجعل إليهم النظر في أملاكه والقيام بمآربه، معرفون بأسمائهم وأنسابهم وأمثالهم: كأبي عمرو عثمان بن سعيد السمّان وابنه أبي جعفر محمّد بن عثمان وبني الرحبا من نصيبين وبني سعيد، وبني مهزيار بالأهواز وبني الركولي بالكوفة وبني نوبخت ببغداد، وجماعة من أهل قزوين وقم وغيرها من الجبال، مشهورون بذلك عند الإمامية والزيدية، معروفون بالإشارة إليه به عند كثير من العامة، وكانوا أهل عقلٍ وأمانة وثقة ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكان السلطان يعظم أقدارهم بجلالة محلّهم في الدنيا، ويكرمهم لظاهر أمانتهم واشتهار عدالتهم، حتى أنه كان يدفع عنهم ما يضيفه إليهم خصومهم من أمرهم ظناً منه بحسن سريرتهم واعتقاده ببطلان ما ينسب إليهم، وذلك لأنهم كانوا مستترين في حالهم واعتقادهم إلى الغاية، ومتكتمين لجودة آرائهم وصواب تدبيرهم إلى النهاية، فما كان يظهر منهم ما يوجب إهانتهم والاستخفاف بحقوقهم، أما بعد موت هؤلاء الأخيار والأمناء الأبرار فقد تواترت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بأنه لا بدّ للإمام المنتظر عليه السلام من غيبتين: إحداهما أطول من الأخرى، يعرف خبره الخواص من شيعته في الغيبة الصغرى، ولا يعرف أحد من العامة له مستقراً في الغيبة الكبرى إلاّ من قام بخدمته من ثقاة أوليائه، ولم ينقطع عنه إلى الاشتغال بغيره.

والأخبار بذلك مستفيضة في مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد الإمام المهدي وأبيه وجدّه عليهم السلام، وظهر حقها عند مضي الوكلاء والسفراء الذين سميناهم رحمهم الله، وظهر صدق رواتها بالغيبة الكبرى، فكان ذلك من الآيات الباهرات في صحة ما ذهبت إليه الإمامية ودانت به في معناه، وقد أثبت العلاّمة النوري «أعلى الله مقامه» في كتابه القيّم «جنّة المأوى» العديد من الأفراد الممحصين الذين تشرفوا بلقاء الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام فليراجع.

٢ ـ إنّ خروج جماعة من الناس عن حكم العادة في استتارهم مئات السنين

هو بتدبير الله تعالى في ذلك لمصالح خلْقه لا يعلمها إلاّ هو، وامتحان لهم بذلك في عبادته، مع أنّا لم نُحط علماً بأنّ كلّ غائب عن الخلق مستتراً بأمر دينه يقصده عنهم، يعرفُ جماعةٌ من الناس مكانه ويخبرون عن مستقره. وكم وليّ لله تعالى يقطع الأرض بعبادة ربّه تعالى والتفرّد من الظالمين بعمله، ونأى بذلك عن دار المجرمين، وفر بدينه عن محل الفاسقين، لا يعرفُ أحدٌ من الخلق له مكاناً ولا يدّعي إنسان له لقاءً ولا معه اجتماعاً، نظير هذا هو الخضر عليه السلام موجود قبل زمان موسى عليه السلام إلى يومنا هذا، بإجماع أهل النقل واتفاق أصحاب السير والأخبار، سائحاً في الأرض، لا يعرف له أحدٌ مستقراً ولا يدّعي له اصطحاباً، إلاّ ما جاء في القرآن به من قصته مع موسى عليه السلام، وما يذكره بعض الناس على أنه يظهر أحياناً ولا يعرف، ويظن بعض من رآه أنه بعض الزّهاد، فإذا فارق مكانه توهّمه المسمّى بالخضر، وإن لم يكن يُعْرَف بعينه في تلك الحال. وقد كان من غيبة موسى عليه السلام عن وطنه وفراره عن رهطه ما قصّ خبره القرآن، ولم يظهر عليه أحدٌ مدة غيبته عنهم فيعرف له مكاناً، حتى ناجاه الله عزّ وجلّ وبعثه نبيّاً، فدعا إلى توحيد الله وطاعته، وعَرفَهُ أولياؤه وأعداؤه.

وكان من قصة يوسف بن يعقوب عليه السلام ما جاءت به سورة كاملة بمعناه وتضمنت ذكر استتار خبره عن أبيه، وهو نبيّ الله تعالى يأتيه الوحي منه سبحانه صباحاً ومساءً، وأمره مطويٌّ عنه وعن إخوته، وهم يعاملونه ويبايعونه ويبتاعون منه ويلقونه ويشاهدونه فيعرفهم ولا يعرفونه، حتى مضت على ذلك السنون وانقضت فيه الأزمان، وبلغ من حزن أبيه عليه السلام لفقده، ويأسه من لقائه ما أوجب انحناء ظهره وأنهك به جسمه، وذهب لبكائه عليه بصره، وليس في زماننا الآن مثل ذلك، ولا سمعنا بنظير له في سواه.

وكان أيضاً من أمر يونس نبيّ الله عليه السلام مع قومه وفراره عنهم عند تطاول المدة في خلافهم عليه واستخفافهم بحقوقه، وغيبته عنهم لذلك عن كلّ أحد من الناس حتى لم يعلم أحدٌ مكانه إلاّ الله تعالى وحده إذ كان المتولّي لحبسه في جوف

حوت في قرار بحرٍ، وقد أمسك عليه رمقه حتى بقي حيّاً، ثم أخرجه من ذلك إلى تحت شجرة من يقطين.

وهذا أيضاً خارج عن عادتنا وبعيد من تعارفنا، وقد نطق به القرآن المجيد، وأجمع عليه أهل الإسلام وغيرهم من أهل الملل والأديان.

ونظير ما ذكرنا قصة أصحاب الكهف، وقد نزل القرآن بخبرهم وشرح أمرهم في فرارهم بدينهم من قومهم والتجائهم إلى كهفٍ ناءٍ عن بلدهم، فأماتهم الله فيه وبقي كلبهم باسطاً ذراعيه بالوصيد، ودبّر أمرهم في بقاء أجسامهم على حال لا يلحقها تغيّرٌ، فكان يقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال كالحي الذي يتقلّب في منامه بالطبع والاختيار، ويقيهم حرّ الشمس التي تغيّر الألوان، والرياح التي تمزّق الأجساد فبقوا على ذلك ثلاث مائة سنة وتسع سنين على ما جاء به الذكر الحكيم، ثم أحياهم فعادوا إلى معاملة قومهم ومبايعتهم، وأنفذوا إليهم بورقهم إلى آخر قصتهم، مع استتار أمرهم عن قومهم وطول غيبتهم وخفاء أمرهم عليهم.

وليس في عادتنا مثل ذلك ولا عرفناه، ولولا أن القرآن جاء بذكر هؤلاء القوم وخبرهم وما ذكرناه من حالهم لتسرّعت الناصبة إلى إنكار ذلك كما يتسرّع إلى إنكاره الملحدون والزنادقة والدهريون ويحيلون صحة الخبر به إلى غير المقدور. كما أن القرآن ذكر صاحب الحمار الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها فاستبعد عمارتها وعودها إلى ما كانت عليه ورجوع الموتى منها بعد هلاكهم بالوفاة فـ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[1] وبقي طعامه وشرابه بحاله لم يغيّره تغيير طبائع الزمان، فلمّا تبيّن له ذلك من خلال ما أراه الله عزّ وجلّ من الآيات الأُخر بقوله ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وهذا منصوص عليه في القرآن مشروح في الذكر والبيان لا يختلف فيه

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

المسلمون وأهل الكتاب، وهو خارج عن عادتنا وبعيد من تعارفنا، منكر عند الملحدين ومستحيل على مذهب الدهريين والمنجمين وأصحاب الطبائع من الكفار والزنادقة والمتفلسفين. وهل يمكن للمسلمين المنكرين لحياة الحجّة المنتظر «عجّل الله فرجه الشريف» أن يتركوا كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه الكريم ﷺ لأن الزنادقة والملحدين حكموا باستحالته؟! على أن ما تعتقده الشيعة الإمامية في تمام استتار مولاهم الإمام المهدي روحي له الفداء وغيبته ومقامه على ذلك أقرب في العادات والعقول مما أوردناه من أخبار المذكورين في القرآن، فأيّ طريق للمقرّ بالإسلام إلى إنكار مذهبنا في ذلك لولا أنه بعيد عن شريعة سيد المرسلين، تتحكم به الأهواء والشياطين.

على أن المنكر لو تصفّح كتب التأريخ وسير الآثار لوقف على غيبات كثيرين من ملوك الفرس عن رعاياهم دهراً طويلاً لضروب من التدبيرات، لم يعرف أحدٌ لهم فيها مستقراً ولا عثر لهم على موضع ولا مكان، ثم ظهروا بعد ذلك وعادوا إلى ملكهم بأحسن حال، وكذلك جماعة من حكماء الروم والهند وملوكهم، وكم كانت لهم غيباتٌ وأخبارٌ بأحوالٍ تخرج عن العادات، جاء على ذكرها المؤرخون لم نتعرّض لذكرها، لعلمنا بتسرّع الخصوم إلى إنكاره تعصّباً وعناداً منهم تارةً، ودفعاً لصحة الأخبار به تارةً أخرى، وتعويلهم في إبطاله على بُعده من عاداتهم وذلك لضعف عقولهم وإيمانهم بقدرة الله تعالى، وحسداً وبغضاً لأهل بيت النبوة عليهم السلام، وقد اعتمدنا القرآن فيما يحتاج إليه منه، وإجماع أهل الإسلام لإقرار الخصم بصحة ذلك وأنه من عند الله تعالى، لعدم قدرتهم على تكذيب ما ورد من الذكر الحكيم بشأن من ذكرنا، هذا مضافاً إلى اعترافهم بحجة الإجماع، وإن كان كثير منهم لا ينزل على حكم الكتاب والإقرار به، بل يتأوّلون الآيات ويحرّفون الكلم حباً للعناد واللجاج، قال تعالى: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾[1].

---

(١) سورة طه: ١٦.

الشبهة السادسة:

اقتضت العادة فساد قول الإمامية في دعواها بطول عمر الإمام المهديّ عليه السلام وبقائه حيّاً إلى يومنا هذا وإلى وقت ظهوره مع تكامل قواه البدنية مع بقاء صفته وما له عليه السلام من وفور العقل والقوة والشباب والمعارف بأحوال الدين والدنيا، كل هذا بخلاف حكم العادات في أحوال البشر وما يعتريه من الشيب والضعف والشيخوخة، وما يوجب قطع حبل حياته، يدلُّ على فساد معتقدهم فيه.

يرد عليها:

إنْ خرج عمّا نعهده نحن الآن من أحوال البشر، فليس بخارج عن عادات سلفت لشركائه في البشرية وأمثاله في الإنسانية. وما جرت به العادة في بعض العصور الخالية لم يمتنع وجوده في غيرها، وكان حكم مستقبلها كحكم ماضيها على البيان، ولو لم تجر العادة بذلك جملةً، لكانت الأدلّة على أن الله تعالى قادرٌ على فعل ذلك تُبطل توهّم المخالفين للحق فساد القول به وتكذيبهم في دعواهم.

وقد أطبق العلماء من أهل الملل وغيرهم أنّ آدم أبا البشر عليه السلام عمَّر نحو الألف لم يتغيّر له خلقٌ ولا انتقل من قوة إلى ضعف، ولا من علم إلى جهل ولا من شباب إلى شيخوخة، فلم يزل على صورة واحدة حتى قبضه الله تعالى إليه. هذا مع الأعجوبة في حدوثه من غير نكاح، وخلقه من التراب، وانتقاله من طين لازب إلى طبيعة الإنسانية، ولا واسطة في صنعته باتفاق أهل الكتب السماوية، والقرآن مع ذلك ناطق ببقاء نوح نبيّ الله عليه السلام في قومه تسعمائة سنة وخمسين للإنذار لهم خاصة، وقبل ذلك ما كان له من العمر الطويل إلى أن بُعث نبيّاً من غير ضعف كان به ولا هرم ولا عجزٍ ولا جهلٍ، مع امتداد بقائه وتطاول عمره في الدنيا وسلامة حواسه.

وأن الشيب أيضاً لم يحدث في البشر قبل حدوثه في إبراهيم الخليل عليه السلام بإجماع من سميناه من أهل العلم من المسلمين خاصة. وهذا ما لا يدفعه إلاّ

الملاحدة من المنجمين وشركاؤهم في الزندقة من الدهريين، فأما أهل الملل كلّها فعلى اتفاق منهم على ما وصفناه.

والأخبار متناصرة بامتداد أيام المعمّرين من العرب والعجم والهند، وأصناف البشر وأحوالهم التي كانوا عليها مع ذلك، والمحفوظ من حكمهم مع تطاول أعمارهم، ونقلوا من أشعارهم الشيء الكثير مما لا يختلف في صحته إثنان من حملة الآثار ونقلة الأخبار، وقد صنّف المؤرخ العامي الشيخ السجستاني كتاباً سماه: «المعمرون» سجّل فيه جماعة تنوف أعمارهم على مئات السنين، عدا عمّا ذكره مصنفون أجلّاء من علماء الإمامية فليراجع[1].

فمن هؤلاء المعمّرين:

ـ لقمان بن عاد الكبير؛ وكان أطول الناس عمراً بعد الخضر عليه السلام، وذلك أنه عاش على رواية العلماء بالأخبار ثلاثة آلاف سنة وخمسمائة سنة، وقيل أنه عاش عمر سبعة أنسر، وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في الجبل فيعيش النسر منها ما عاش، فإذا مات أخذ آخر فرباه، حتى كان آخرها لَبَد، وكان أطولها عمراً، فقيل: طال الأمد على لبد.

وفيه يقول الأعشى:

لنفسك إذْ تختار سبعة أنسر	إذا ما مضى نسر خلدت إلى نسرِ
فعمَّر حتى خال أنَّ نسوره	خلودٌ وهل تبقى النفوس على الدهرِ
وقال لأدناهنّ إذ حلّ ريشه	هلكت وأهلكت ابن عادٍ وما تدري

ـ ومنهم رُبَيْع بن ضُبَيْع بن وهب بن بغيض بن مالك بن سعد بن عدِيّ بن فزارة. عاش ثلاثمائة سنة وأربعين سنة، وأدرك النبي صلى الله عليه وآله ولم يسلم. وهو الذي يقول وقد طعن في ثلاثمائة سنة:

(١) الغيبة للطوسي ص١١٣ ـ ٣٢٣ وكمال الدين ج٢/ ٥٢٣ ب٤٦، البحار ج٥١/ ٢٢٥ ـ ٣٩٣ ب١٤، تقريب المعارف ص٢٠٧ ـ ٢١٤، كنز الفوائد ج٢/ ١١٤ ـ ١٣٤.

صبح منّي الشباب قد حَسَرا ... إنْ ينأ عنّي فقد ترى عُصُرا

والأبيات معروفة..

وهو الذي يقول[1] أيضاً منه:

إذا كان الشتاء فأدفئوني ... فإنّ الشيخ يهدمه الشتاءُ

وأما حين يذهب كلّ قرّ ... فسربال خفيفٌ أو رداءُ

إذا عاش الفتى مِأتين[2] عاماً ... فقد أودى المسرّة والفتاءُ

- ومنهم: المستوغر بن ربيعة بن كعب. عاش ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين سنة وهو الذي يقول:

ولقد سئمتُ من الحياة وطولها ... وعَمِرتُ من عدد السنين مِئينا

مائةٌ حَدَتْها بعدها مائتان لي ... وعَمِرتُ من عدد الشهور سنينا

- ومنهم: أكثم بن صيفي الأسدي. عاش ثلاثمائة وثمانين سنة، وكان ممّن أدرك النبيّ ﷺ وآمن به ومات قبل أن يلقاه، وله أحاديث كثيرة وحكَم وبلاغات وأمثال. وهو القائل:

وإنّ امرءاً قد عاش تسعين حجّةً ... إلى مِأةٍ لم يسأم العيشَ جاهلُ

خلت مائتان بعد عشر وفائها ... وذلك من عَدًى ليالٍ قلائلُ

وكان والده صيفي بن رياح بن أكثم إيضاً من المعمّرين. عاش مائتين وستة وسبعين سنة، ولا ينكر من عقله شيء، وهو المعروف بذي الحلم الذي قال فيه المتلمّس اليشكري:

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا ... وما علّم الإنسان إلاّ ليعلما

---

(١) المسائل العشرة ص٩٦ وكمال الدين ج٢/ ٥٥٠.

(٢) ظ: مائتي عامٍ.

ـ ومنهم: ضُبَيْرة بن سُعيْد بن سعد بن سَهَم بن عمرو. عاش مائتي وعشرين سنة فلم يشب قطّ، وأدرك الإسلام ولم يسلم.

وروى أبو حاتم والرياشي عن العتبي عن أبيه أنه قال: مات ضُبيرة السهمي وله مائتا سنة وعشرون سنة، وكان أسود الشعر صحيح الأسنان.

ورثاه ابن عمّه قيس بن عدي فقال:

مَـــنْ يـــأمـــن الحَـــدَثـــان بعـــ ـــد ضُبيـــرة السَّهمـــيّ مـــاتـــا
سَبَقَـــــــتْ منيَّتُـــــــه المشيـــ ـــبَ وكـــان ميتتـــهُ افتـــلاتـــا
فتـــــــزوّدوا لا تَهْلِكـــــــوا مـــن دون أهلكُـــمُ خُفـــاتـــا

ـ ومنهم: دُريد بن الصمَّة الجُشَمي. عاش مائتي سنة وأدرك الإسلام فلم يسلم، وكان قوّاد المشركين يوم حنين ومقدّمهم، حضر حرب النبي ﷺ فقتل يومئذٍ.

ـ ومنهم: محصّن بن عتبان بن ظالم الزبيدي. عاش مائتي وخمسة وخمسين سنة.

ـ ومنهم: عمرو بن حممة الدوسي. عاش أربعمائة سنة، وهو الذي يقول:

كبـرتُ وطـال العمـر حتـى كـأنني سليـمُ أفـاعٍ ليلـه غيـر مـودعِ
فمـا المـوتُ أفنـاني ولكـن تتابعـت علـيَّ سنـون مـن مصيـف ومـربـعِ
ثـلاث مئـات قـد مـررن كـوامـلا وهـا أنـا هـذا أرتجـي نيـل أربـعِ

ـ ومنهم: الحرث بن مضاض الجرهميّ. عاش أربعمائة سنة، وهو القائل:

كأنْ لم يكن بين الحَجُونِ إلى الصفا أنيـسٌ ولـم يسمـر بمكـة سـامـرُ
بلـى نحـنُ كنّـا أهلهـا فـأبـادنـا صـروف الليـالـي والجـدودُ العـواثـرُ

والفرس تزعم أن قدماء ملوكها جماعات طالت أعمارهم وامتدت وزادت في الطول على أعمار من أثبتنا اسمه من العرب، ويذكرون أنّ من جملتهم الملك

الذي استحدث المهرجان، عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة.

فلو لم يكن من جملة المعمّرين إلاّ من التنازع في طول عمره مرتفع، وهو سلمان الفارسي رحمة الله عليه، وأكثر أهل العلم يقولون بأنه رأى المسيح، وأدرك النبي صلوات الله عليه وآله، وعاش بعده، وكانت وفاته في وسط أيام عمر بن الخطاب، وهو يومئذٍ القاضي بين المسلمين في المدائن، ويقال: إنه كان عاملها وجابي خراجها، وهذا أصح[1].

وزبدة المخض: أن القول بطول عمر الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام واقع تحت قدرة الله تعالى، وليس الإمام عليه السلام الوحيد من بين مخلوقات الله ممن خصّه الله بذلك، ولا يعتبر القول بطول العمر من الموبقات حتى يعيَّر به الشيعة أو يُنسب قائله إلى الهذيان والجنون[2]، وعليه فإن كل من دان بما تدين به الشيعة فهو مجنون على حدّ تعبير السفاريني الحنبلي، وفي مقابل هذا الضال المضلّ، نطق الحقّ على لسان العلاّمة محمّد بن طلحة النصيبي الشافعي إذ قال:

«وأما عمره فإنه ولد في أيام المعتمد على الله، خاف فاختفى وإلى الآن فلم يمكن ذكر ذلك إذ من غاب وإنْ انقطع خبره لا يمكن الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته وقدرة الله واسعة وحكمه وألطافه بعباده عظيمة عامة، ولوزام عظماء العلماء أن يدركوا حقائق مقدوراته وكنه قدرته لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً... وليس ببدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين ولا امتداد عمره إلى حين فقده مدّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر، وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم حتى جاز كلّ واحد منهم ألف سنة أو قاربها كنوح عليه السلام وغيره، وأما من الأعداء المطرودين فإبليس والدّجال، ومن غيرهم كعاد الأولى كان فيهم

---

(١) المسائل العشرة/ الشيخ المفيد ص١٠٣ والغيبة/ الشيخ الطوسي ص٢٧٩، تقريب المعارف ص٢٠٧.

(٢) لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني الحنبلي ج٢/ باب المهدي اسمه ونسبه.

من عمره ما يقارب الألف، وكذلك لقمان صاحب اليد، وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخَلَف الناصح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به».

ثم قال مادحاً عترة المصطفى بقوله: «وحيث وصل الكلام إلى هذا المقام وانتهى جريان القلم بما خطه من هذه الأقسام.. فلنختمه بالحمد لله ربّ العالمين فإنها كلمة مباركة جعلها الله آخر دعوى أهل جنانه، وخصّ بها من اجتباه من خليقته فكساه ملابس مرضاته، فهذا آخر ما حرّره القلم من مناقبهم السنية وسطّره من صفاتهم الزكية ونثره من مزاياهم العلمية وذلك وإن كثر قليل في جنب شرفهم الشامخ ويسير فيما أتاهم من فضله الراسخ، وأنا أرجو من كرم الله أن يشملني ببركتهم ويدخلني في زمرتهم ويجعل هذا المؤلف مسطوراً في صحيفة حسناتي المعدودة من حسنتهم، فقد بذلت جهدي في جمع مزاياهم بذل المجدّ الطالب ولم آلُ جهداً في تأليفها وجمعها قضاءاً لحقهم اللازب اللازم، ولسان الحال يقرع باب الأسماع لإسماع الشاهد والغائب وسأقول:

رويدك إن أحببت نيل المطالب ... فلا تعد عن ترتيل أي المناقب
مناقب آل المصطفى المهتدى بهم ... إلى نعم التقوى ورغبى الرغائب
مناقب آل المصطفى قدوة الورى ... بهم يبتغى مطلوبه كل طالب
مناقب تجلى سافرات وجوهها ... ويجلو سناها مدلهم الغياهب
عليك بها سراً وجهراً فإنها ... تحلك عند الله أعلى المراتب
وخذ عندما يتلو لسانك أيها ... بدعوة قلب حاضر غير غائب
لمن قام في تأليفها واعتنى به ... لتقضى من مفروضها كل واجب
عسى دعوة يزكو بها حسناته ... فيحظى من الحسنى بأسنى المواهب
فمن سئل الله الكريم أجابه ... وجاوره الإقبال من كل جانب

انتهى»[1].

---

(١) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول/ النصيبي الشافعي ج١/ الباب ١٢ في أبي القاسم.

الشبهة السابعة:

إن استمرار غيبة الإمام المهديّ على الوجه الذي تزعمه الشيعة الإمامية من حيث عدم ظهوره للناس، ولا يتولّى إقامة الحدود ولا ينفذ الأحكام ولا تظهر له دعوة إلى حقّ، ولا يهدي ضالاً ولا يجاهد كافراً، فمنع انتفاء هذه الفوائد عنه بطلت الحاجة إليه في حفظ الشرع والملّة، وكان وجوده في العالم كعدمه.

يرد عليها:

(١) إنّ الأمر بخلاف ما ذكرته الشبهة وذلك لأن غيبة الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه الشريف لا تضرّ في الحاجة إليه في حفظ الشريعة وقوام الملّة، وإن كان يتراءى ذلك ذي بدء إلاّ أن الواقع يخالفه ويناهضه، ألا ترى أن الدعوة إلى إمام الزمان ـ التي هي في الواقع دعوة إلى دين الله عزّ وجلّ لأنه ـ روحي فداه ـ يمثّل التوحيد بشتى أقسامه ـ إنما يتولاّها شيعته من العارفين به والمخلصين لشخصه الكريم فتقوم الحجّة حينئذٍ بهم في ذلك، ولا يحتاج هو إلى تولّي ذلك بنفسه، وله في ذلك أسوة بمن تقدّمه من المرسلين والأنبياء والأوصياء عليهم السلام حيث كانت دعواتهم تنتشر بواسطة نوابهم ووكلائهم لا سيّما رسول الله إذ كان له وكلاء في الأمصار والأقطار ينوبون عنه في تبليغ الأحكام والمهام، ولا يحتاجون إلى قطع المسافات لذلك بأنفسهم، فكانت الحجة تصل إلى الناس بأتباع الأنبياء والمقرّبين بنبوتهم عليهم السلام، وهكذا كانت الدعوة إليهم تقوم بأولئك التابعين لهم عليهم السلام بعد وفاتهم، وتثبت الحجّة لهم في نبوّتهم، وكذلك إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام ودرء الفساد، فقد كان المتولّي لها أمراء الأئمة عليهم السلام وعمّالهم المنصوبون من قبلهم دون أشخاصهم وأعيانهم، كما كان يتولّى ذلك أمراء الأنبياء عليهم السلام وولاتهم ولا يحوجونهم إلى تولّي ذلك بأنفسهم، وكذلك القول في الجهاد، ألا ترى أنه يقوم به الولاة من قبل الأنبياء والأئمة دونهم، ويستغنون بذلك عن تولّيه بأنفسهم.

فعُلم بما ذكرنا آنفاً أن الذي أحوج إلى وجود الإمام عليه السلام ومنع من عدمه ما اختُصّ به من حفظ الشرع ومراعاة حدوده، الأمر الذي لا يجوز أن يؤتمن عليه سواه من أفراد الرعية، كما أن على الرعية حفظ ما كُلّفوا بأدائه، فمتى وجد منهم قائماً بذلك فهو في سعة من الاستتار والصمت، ومتى وجدهم قد أطبقوا على تركه وضلّوا عن الطريق الحقّ فيما كلّفوه من نقله وحمله، ولو بإنضمامه إليهم من حيث لا يعرفونه، ظهر لتولّي ذلك بنفسه، ولا يسعه حينئذٍ إهمال القيام به، فلذلك وجب في حكم العقل وجوده وعدم جواز موته، الأمر الذي يمنعه من رعاية الدين وحفظه وتفقّده لأحوال من تمسّك به أو فارقه، وهذه هي الميزة التي يفترق بها الإمام عمّن سواه من رعيته، وهذا بيّنٌ لمن تدبره.

(٢) إذا غاب الإمام عليه السلام ـ روحي فداه ـ للخوف على نفسه من القوم الظالمين، فضاعت لذلك الحدود وأهملت الأحكام وتعطلت الحدود، ووقع بسبب الغيبة الفساد في الأرض، كان المسؤول عن ذلك كلّه فعل الظالمين دون الله عزّ وجلّ، وكانوا هم المجرمين المؤاخذين به دون الإمام عليه السلام، نعم لو أماته الله تعالى فوقع لذلك الفساد وارتفع لأجله الصلاح في البلاد، كان سببه فعل الله دون العباد ولا يجوز نسبة سبب الفساد إلى الله تعالى أو ما يوجب رفعه رفع الصلاح.

من خلال ما ذكرنا يتضح الفرق بين موت الإمام عليه السلام وغيبته واستتاره وثبوته.

الشبهة الثامنة:

إن غيبة الإمام المنتظر عليه السلام تستلزم سقوط الحدود عن الجُناة وهو عين القول بنسخ الشريعة، ولو قلنا بعدم نسخها فمن يقيمها حال غيبته؟

والجواب:

الحدود المستحقة ثابتة في حقّ الجناة والعصاة، فإن ظهر الإمام، وكان المستحق لهذه الحدود باقياً، أقامها عليه الإمام المهديّ عليه السلام حال ظهوره، فإن فات ذلك بموته كان الإثم في تفويت إقامتها على من أخاف الإمام وألجأه إلى

الغيبة، وليس هذا بنسخ لإقامة الحدود، لأن الحدّ إنما يجب إقامته مع التمكن وزوال الموانع، ويسقط مع الحيلولة، وإنما يكون مع ذلك نسخاً لو سقط فرض إقامة الحدّ مع التمكن وزوال الأسباب المانعة. ثم يقلب هذا على العامة أصحاب الشُّبهة، فيقال لهم: كيف قولكم في الحدود التي تستحقها الجناة في الأحوال التي لا يتمكن فيها أهل الحل والعقد من اختيار الإمام ونصبه؟ فأي شيء قالوه في ذلك قلنا مثله.

هذا مضافاً إلى أننا نسأل أصحاب الشبهة: كيف لا تقيمون الأحكام والحدود في وقتنا الحاضر مع أنكم لا تعتقدون بوجود الإمام عليه السلام، فهل غيابه واستتاره هو المانع لكم من ذلك مع عدم اعتقادكم بوجوده، أم أن المانع هو جهات خارجية اقتضت عدم القدرة على إقامة ما ذكرتم؟ فلا شك أن المانع عندكم هو الثاني، وعليه فيتحقق مطلوبنا وهو أن المانع ليس غيابه وإنّما تصرفات العباد القبيحة فلا ملازمة حينئذٍ بين غيابه وسقوط الحدود عن الجناة.

الشبهة التاسعة:

إن الشيعة الإمامية يناقضون أنفسهم من حيث اعتقادهم بوجوب الإمامة وقولهم بشمول المصلحة للأنام بوجود الإمام وظهوره وأمره ونهيه وتدبيره، واستشهادهم على ذلك بحكم العادات في عموم المصالح بنظر السلطان العادل وتمكُّنه من البلاد والعباد، وفي نفس الوقت يقول الشيعة إن الله تعالى قد أباح للإمام الغيبة عن الخلق، وسوّغ له الاستتار عنهم، وأن ذلك هو المصلحة وصواب التدبير للعباد، وهل هذا إلا التناقض الواضح الذي لا يقرّه العقل والدين؟.

والجواب:

إن الشبهة المذكورة انطلت على المخالف واستولت عليه لبعده عن سبيل الاعتبار ووجود الصلاح وأسباب الفساد، وذلك أن المصالح تختلف باختلاف الأحوال، ولا تتفق مع تضادّها، بل يتغير تدبير الحكماء في حسن النظر

والاستصلاح بتغيّر آراء المستصلحين وأفعالهم وأغراضهم في الأعمال، ألا ترى أن الحكيم من البشر يدبّر ولده وأحبّته وأهله وعبيده وحشمه بما يكسبهم المعرفة والآداب، ويبعثهم على الأعمال الصالحة ليستحقوا بذلك الذكر الجميل وحسن الثناء والمديح، فيكونوا بذلك موضع ثقتهم واعتمادهم في الأمور كافّة إلى تجارة أو وكالة، فيمكنوهم من الأموال، فيحصل لهم السرور المتواصل، وينالوا بما يحصل لهم من الأرباح الملذات، وذلك هو الأصلح لهم، ومتى واصلوا الجدّ في العمل وأخلصوا فيه بأقوالهم، بما يوجب استمرار نشاطهم، سهّلوا عليهم السبل الموصلة إليه، وكان ذلك هو الصلاح العام، وما أخذوا بتدبيرهم إليه وأحبّوه منهم وأبرّوه لهم، وإن عدلوا عن ذلك إلى السفه والظلم، وسوء الأدب والبطالة، واللهو واللعب، كانت المصلحة لهم قطع موارد السعة عنهم في الأموال والاستخفاف بهم والإهانة والعقاب، وليس في ذلك تناقض بين أغراض العاقل، ولا تضادّ في صواب التدبير والصلاح.

وعلى هذا الوجه الذي حقّقناه كان تدبير الله تعالى لخلقه، وإرادته عمومهم بالصلاح، ألا ترى أنه خلقهم فأكمل عقولهم وكلّفهم الأعمال الصالحات ليكسبهم بذلك حالاً في العاجلة، ومدحاً وثناءً حسناً وإكراماً وإعظاماً وثواباً في الآجل، ويدوم نعيمهم في دار المقام، فإن تمسّكوا بأوامر الله ونواهيه وجب في الحكم إمدادهم بما يزدادون به منه، وسهّل عليهم سبيله، ويسّره لهم، وإن خالفوا ذلك وعصوه تعالى وارتكبوا نواهيه، تغيّرت الحال فيما يكون فيه صلاحهم، وصواب التدبير لهم لوجب قطع موادّ التوفيق عنهم، وحسُنَ منه ذمّهم وحربهم، وكان ذلك هو الأصلح لهم والأصوب في تدبيرهم مما كان يجب في الحكمة لو أحسنوا ولزموا السداد، فليس ذلك تناقضاً في العقل ولا تضاداً في قول أهل العدل، بل هو ملتئم على المناسب والاتفاق.

ألا ترى أنّ الله تعالى دعا الخلق إلى الإقرار به وإظهار التوحيد والإيمان برسله عليهم السلام لمصلحتهم، وأنه لا شيء أصوب في تدبيرهم من ذلك، فمتى

اضطرّوا إلى إظهار كلمة الكفر للخوف على دمائهم كان الأصلح لهم والأصوب في تدبيرهم ترك الإقرار بالله والعدول عن إظهار التوحيد والمظاهرة بالكفر بالرسل، وإنما تغيّرت المصلحة بتغيّر الأحوال، وكان في تغيير التدبير الذي دبّرهم الله به فيما خلقهم له مصلحة للمتّقين، وإنْ كان ما اقتضاه من فعل الظالمين قبيحاً منهم ومفسدة يستحقّون به العقاب الأليم.

وقد فرض الله تعالى الحجّ والجهاد وجعلهما صلاحاً للعباد، فإذا تمكّنوا منه عمّت به المصلحة، وإذا منعوا منه بإفساد المجرمين كانت المصلحة لهم تركه والكفّ عنه، وكانوا في ذلك معذورين وكان المجرمون به ملومين.

فهذا نظيرٌ لمصلحة الخلق بظهور الأئمة عليهم السلام وتدبيرهم إياهم متى أطاعوهم وانطووا على النصرة لهم والمعونة، وإنْ عصوهم وسعوا في سفك دمائهم تغيّرت الحال فيما يكون به تدبير مصالحهم، وصارت المصلحة له ولهم غيبته وتغييبه واستتاره، ولم يكن عليه في ذلك لوم، وكان الملوم هو المسبّب له بإفساده وسوء اعتقاده.

ولم يمنع كون الصلاح باستتاره وجوب وجوده وظهوره، مع العلم ببقائه وسلامته وكون ذلك هو الأصلح والأولى في التدبير، وأنه الأصل الذي أجرى بخلق العباد إليه وكلّفوا من أجله حسبما ذكرناه.

الشبهة العاشرة:

يدّعي الشيعة أنّ إمامهم المهديّ غائب منذ ولد وإلى أن يظهر، فليس للخلق طريق إلى معرفته بمشاهدة شخصه ولا التفرقة بينه وبين غيره بدعوته فلا بدّ حينئذٍ من أن يظهر الله تعالى الأعلام والمعجزات على يده ليدل بها على أنه الإمام المنتظر، وهذا مقام منحصر بالأنبياء والمرسلين، فإثبات المعجزة للإمام عليه السلام عند قيامه، يعتبر خروجاً عن قول الأمة كلّها «أنه لا نبيّ بعد نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله».

والجواب:

(١) إن الأخبار قد جاءت عن أئمة الهدى من آباء الإمام المنتظر عليه السلام بعلامات تدل عليه قبل ظهوره وتؤذن بقيامه بالسيف قبل سنته: منها خروج السفياني وظهور الدّجال وقتل رجلٍ من ولد الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام يخرج بالمدينة داعياً إلى إمام الزمان فيذبحونه في مكة بين الركن والمقام، وخسف بالبيداء بأصحاب السفياني وقد شاركت العامةُ الخاصةَ في الحديث عن رسول الله بأكثر هذه العلامات، وأنها كائنة لا محالة على القطع بذلك والثبات، وهذا بعينه معجزٌ يظهر على يده، ويبرهن به عن صحة نسبه ودعواه.

(٢) إن ظهور الآيات على أيدي الأئمة عليهم السلام لا توجب لهم الحكم بالنبوة، لأنها ليست بأدلة تختص بدعوة الأنبياء من حيث دعوا إلى نبوّتهم، لكنّها أدلة على صدق الداعي إلى ما دعا إلى تصديقه فيه، فإن دعا إلى اعتقاد نبوته كانت دليلاً على صدقه في دعواه، وإن دعا الإمام إلى اعتقاد إمامته كانت برهاناً له على صدقه في ذلك، وإن دعا المؤمن الصالح إلى تصديق دعوته إلى نبوة نبيّ أو إمامة إمام أو حكم سمعه من نبيّ أو إمام كان المعجز على صحة دعواه.

وليس يختص ذلك بدعوة النبوة دون ما ذكرناه، وإن كان مختصاً بذوي العصمة من الضلال وارتكاب الموبقات والآثام، وذلك مما يصحّ اشتراك الأئمة مع الأنبياء في صحيح النظر والاعتبار، وقد أجرى الله تعالى آية إلى مريم ابنة عمران حيث رزقها فاكهة من السماء وهو خرق للعادة وعلمٌ باهرٌ من أعلام النبوة، فقال عزّ وجلّ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1].

ولم يكن لمريم عليها السلام نبوّة ولا رسالة، لكنّها كانت من عباد الله الصالحين المعصومين من الزلات، وأخبر سبحانه أنه أوحى إلى أمّ موسى ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا

---

(١) سورة آل عمران: ٣٧ ـ ٣٨.

خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[1].

والوحي معجز من جملة معجزات الأنبياء ﷺ، ولم تكن أمّ موسى عليه السلام نبيّة ولا رسولة، بل كانت من عباد الله البررة الأتقياء، فما الذي ينكر من إظهار علم يدل على عين الإمام ليتميّز به عمّن سواه، لولا أن مخالفينا يعتمدون في حجاجهم لخصومهم الشبهات المضمحلات.

الشبهة الحادية عشرة:

قال ابن حجر الهيثمي المكي: «ثم المقرّر في الشريعة المطهّرة أن الصغير لا تصح ولايته، فيكف يساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبياً، ولقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالخيل على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب، ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه[2] بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلّثتم العنقاء والغيلانا[3]

● يؤسفنا أن ينعتنا بالحمقى والغفلة من يدّعي لنفسه الحجى والفكر والعلم، ويعتبره العامة عَلَماً من أعلامهم الذين يُشار إليهم بالبَنَان، فشرّع لأُناس أتوا من بعده السباب والتكفير للشيعة لاعتقادهم بغيبة الإمام المهديّ عليه السلام، فلم يقف هو أتباعه على روح الشريعة، ولم يعرفوا شيئاً من أصولها وفروعها سوى ما قرره لهم ابن تيمية وابن حجر والقصيمي وغيرهم من إرهابيي الفكر وحملة السيوف للفتك بكلّ شيعي لا يعتقد بإمامة الشيخين لا سيّما السلفية في زماننا هذا

---

(١) سورة القصص: ٧.

(٢) في نسخة: «غيبتموه بجهلكم».

(٣) الصواعق المحرقة ص١٦٨ ط/ القاهرة.

حيث ترجع في جذورها إلى ابن تيمية الحنبلي الذي استغرق هو وأتباعه في سفك دماء الشيعة، ومثاله ما جرى على الشيعة في أفغانستان عام ١٩٩٨م من جرّاء ما جناه الطالبان وابن لادن على شيعة آل البيت عليهم السلام، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. ويكفي في بطلان ما افتراه ابن حجر وابن تيمية على إمامنا المهديّ عجّل الله فرجه الشريف ما ذكره ثلة من محققي العامة وأكابرهم على حياة الإمام الثاني عشر عليه السلام، مضافاً إلى قيام إجماعنا على ثبوت تولّده وغيبته، وهذا بدوره حجّةً دامغةً على من أنكر، وبرهاناً ساطعاً يستأصل شأفة شبهاتهم من جذورها.

ويرد عليه:

١ ـ إذا كان اعتقادنا ـ نحن الشيعة ـ بإمامة من عمره خمس سنين يلحقنا بالحمقى المغفلين ـ حسبما زعم ابن حجر الهيثمي ـ لزمه أن يلصق الحماقة والغفلة بالله تعالى ـ عزّ اسمه ـ لا بالشيعة الإمامية، وذلك لأن الله تعالى آتى يحيى بن زكريا عليه السلام الحكم صبياً وجعله نبيّاً ووليّاً حيث قال تعالى عنه ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1] وقد قرّرت شريعة محمّد صلى الله عليه وآله هذا الحكم ولم تنسخه بآية ورواية متواترة عن رسول الله، ونفي ابن حجر الصحة عن ولاية الصغير في شريعة الإسلام لم يعتمد فيه على دليل، وإلاّ كان عليه أن يذكره لنا سواء كان آية أم رواية متفقاً عليها تدل على نفي ولاية الصغير في الشريعة المطهّرة، فإن الحكم القطعي لا ينسخه إلاّ حكم قطعي مثله، وحيث إن ابن حجر لم يأت بدليل على نفيه، علمنا أن الشريعة المقدّسة قد قررت ولايته ولم تنفها أبداً، وكيف لا تصح ولاية الصغير في الشريعة المطهّرة، والنصوص المتواترة دلت على ولايته وإمامته بعد أبيه؟ وهل هذا من الهيثمي إلا اجتهاداً في مقابل النص المحجوج به؟!

ولإشتهار تلك النصوص النبوية وثبوت صحتها ترى الحافظ الكبير عند العامة وهو «الجامي» الذي يعتبر أقدم من الهيثمي بمئات السنين، وغيره من عظمائهم، يقول بعد ذكر تولّد الإمام المهديّ في كتابه شواهد النبوة:

---

(١) سورة مريم: ١٢.

[أما ألقابه: فالمهديّ والحجّة، والقائم والمنتظر وصاحب الزمان إلى غير ذلك.. وكان عمره وقت وفاة أبيه الحسن العسكري خمس سنين، فصار إماماً بعده مثل ما جعل الله يحيى بن زكريا نبيّاً وهو صبي، وعيسى بن مريم عليه السلام، وظهر من صاحب الزمان من الخارق للعادة الكثير». ثم أنه بيّن حاله عن طريق حفّاظ العامة، والرجل من معاريف أهل العلم من الشافعية، وليس هو من علماء الشيعة ولا متّهماً بالرفض حتى لا يقبل قوله.

والحمد لله أنه لم يسلم من العثرة فيما قاله، وقد بلغ إنكاره إلى حدّ التناقض، فها هو يسخر من الشيعة بقوله (ولقد صاروا بذلك ضحكة لأولي الألباب) وفي نفس الوتت وفي آخر الفصل الثالث في الأحاديث الواردة في أهل البيت ص٢٠٨ من صواعقه يقول: «ولم يخلف ـ أبو محمّد الخالص ـ غير ولده أبي القاسم محمّد الحجّة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، وسمّي القائم المنتظر».

ولو لم يكن إلاّ هذا التناقض لكفى دليلاً على بطلان قوله.

وأما فريته على الشيعة «بأنهم يقفون بخيلهم على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم فصاروا بذلك ضحكة لأولي الألباب» فيقال فيه:

أليس من المؤسف أن يتحامل الهيثمي هذه الحملات على طائفة ما برحت مؤمنة بالله وبرسوله وبكل ما جاء به من عند الله، ولم تشرك به طرفة عين أبداً، ويحكم عليهم بشيء يكذّبه العيان، ويشهد بفريته الوجدان؟

وليت ابن حجر يدلنا على المستند الذي اعتمده بفريته على الشيعة، ومن الذي قاله؟ وفي أي زمان وقع؟ ومن هم شهوده؟ وفي أي كتاب هو مسطور؟ ليكون ذلك تبريراً له عمّا رمى به الشيعة من البهتان، وحيث إنه أهمل ذلك كله واكتفى بالدعوى المجردة، علمنا أن ذلك كذب لا أصل له، وها هم الشيعة يزورون السرداب كما يزور العامة الأماكن المقدّسة يلتمسون فيها البركة وإجابة

الدعاء، مضافاً إلى أن الشيعة «سدّدهم المولى» حينما يزورون السرداب يتوسلون برسول الله وعترته الطاهرة ومنهم الإمام الثاني عشر المهديّ روحي فداه ليقضوا حوائجهم، ومعلوم أن التوسل بالأولياء أمر مشروع عقلاً ونقلاً وجميع المسلمين يقرون بذلك سوى ابن تيمية والحنابلة، فما الضير إذن أن يتوسل الشيعة بإمام زمانهم المهديّ عليه السلام وقد قضى حوائج الكثيرين ممن توسّل به.

(٢) إن الإمامة عند الشيعة الإمامية كالنبوّة لا تحصلان باختيار الناس، وإنما هما منصبان إلهيان، أمر تفويضهما إلى الله تعالى واختياره لمن يكن أهلاً لهما، ولهذا لا يستبعد أن يقع اختياره عزّ وجلّ على من كان في المهد صبيّاً كعيسى عليه السلام حيث جعله الله تعالى نبياً وقد كلّم قومه وعمره ساعات بقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[١] كما لا يستبعد أن يقع اختياره أيضاً على يحيى بن زكريا حال كونه صغيراً حيث قال عنه: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٢]، وعليه فما المانع أن يقع اختياره عزّ وجلّ على الإمام المهديّ فيجعله إماماً في سنّ الرابعة أو الخامسة من عمره؟ وهل في ذلك استحالة عقلية تستلزم أن يستنكر علينا ويستهزأ بنا ابن حجر وأمثاله؟! لقد احتج الله تعالى على المنكرين، فأبدع حيث وهب في وقتنا الحاضر الطفل الافريقي «شريفو»[٣] معارف القرآن الكريم وهو بعدُ لم يتجاوز الخامسة من عمره، كما أنه سبحانه أفاض على الطفل الإيراني النابغة السيّد محمّد حسين الطباطبائي من مواليد قم المقدّسة حيث رُزق حفظ القرآن وفهم معانيه وأسراره ولم يتجاوز الرابعة من عمره، ويجلس تحت منبره العلماء والمفكرون، وقد نال درجة الدكتوراه بامتياز من إحدى جامعات بريطانيا، كما أن المطّلعين لم يخف عليهم أمر الطفل الياباني الذي لم يتجاوز سن السابعة من عمره، عندما قطع المرحلة

---

(١) سورة مريم: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) سورة مريم: ١٢.

(٣) جاء ذلك في مجلة «المجلة» عدد(١٠٠٧) الصادرة عن الشركة السعودية للأبحاث.

الجامعية بتفوق، أبعد هذا يقال: «كيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبياً»؟!

(٣) إن حالة الرشد العقلي ليس لها سنّ معين، فربّ فرد يكون راشداً وهو ابن خمس سنين في حالات خاصة ومواصفات معينة، شاءت القدرة الإلهية ذلك لمقتضيات ذاتية عند صاحبها، وعلى العكس من ذلك قد لا يكون الفرد راشداً نتيجة نقصٍ ذاتي عنده حتى ولو كان ابن خمسين سنة.

فما المانع ـ إذن ـ لو أنه سبحانه وتعالى جعل سنّ الرشد عند الإمام عليه السلام في سنّ الخامسة، وهل في ذلك استحالة عقلية أو أنه من الممكنات الواقعة تحت قدرته تعالى؟

فإذا كان إتيان النبوّة وتعليم الكتاب لصبيّ في المهد وأعطاء الحكم ـ وهو فصل النزاعات ومعرفة الأشياء على حقائقها ـ ليحيى حال صباه ممكناً، فلا يمتنع ذلك عليه تعالى أن يجعل الإمامة للحجّة المهديّ عليه السلام وهو صبي إكراماً لجدّه رسول الله وله صلّى الله عليه وعلى آبائه الميامين، وليكون دليلاً على بقاء هذا الدين واستمراره، ولئلا يخلو الزمان من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله لقول جدّهم في حديث الثّقلين «إني تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

الشبهة الثانية عشرة:

إنّ وجود الإمام إنّما يكون لطفاً فيما إذا كان ظاهراً زاجراً قاهراً، أما في حال غيبته فلا لطف في ذلك.

يرد عليها:

١ ـ إنّ ما تصوّره أصحاب الشبهة لم يتفوه به أحدٌ من العقلاء فضلاً عن المتدينين لأن جلَّ الأنبياء كانوا مقهورين مشردين بل مقتولين على أيدي الظالمين السفّاكين، وعليه فيلزم على القول بهذه الشبهة أن وجود الأنبياء لا لطف فيه لما

ذكرنا آنفاً، فتنتفي حينئذٍ الفائدة من بعثهم إلى الناس مما يستلزم العبث في أفعال المولى عزّ وجلّ وهو قبيح عقلاً يتنزّه عنه عزّ اسمه، فلا بدّ من الالتزام بعدم الملازمة بين اللطف وبين كونهم ظاهرين قاهرين، فلا يلزم أن لا يكون الظاهر لطفاً مقرّباً للعباد إلى الطاعة ومبعّداً عن المعصية، لأن اللطف لا ينحصر في الظاهر فحسب، فإن من له مدخلية في طاعة العباد سواءٌ أكان ظاهراً أم غائباً عن الأبصار كجبرائيل وسائر الملائكة كان وجودهم لطفاً بمعنى أنهم لو لم يكونوا لم تقع أكثر الطاعات لكونهم حافظين مسددين مؤيدين مبلّغين للأنبياء والأولياء الوحي، فاللطف غير منحصر في الظاهر، بل وجوده في الغائبات أكثر منه في الظواهر.

من هنا يتضح الجواب على ما قد يُقال بأن وجود الإمام المهديّ روحي فداه وعدمه سيّان ما دام الناس لا ينتفعون به لكونه غائباً عنهم.

٢ ـ إن الغيبة لا تلازم عدم التصرف في الأمور، فهو يتصرّف بالكائنات على حسب ما تقتضيه المصلحة الربانية من دون أن تشعر بوجوده تماماً كخرق الخضر عليه السلام للسفينة دون علم أصحابها، وإلاّ لكانوا منعوه من خرقها، فخرقه للسفينة لمصلحةٍ كانت خافية على أصحاب السفينة، كذلك قتل الغلام وإقامة الجدار كان خافياً على النبيّ موسى عليه السلام بحسب الظاهر، فأي مانع من أن يكون للإمام الغائب (عجّل الله فرجه الشريف) في كل يوم وليلة تصرّف كهذا النمط من التصرفات، ويؤيده ما ورد من أنه عليه السلام يحضر الموسم في أشهر الحج ويلتقي بأنصاره وأعوانه، ويصاحب الناس إلى غير ذلك، ومع هذا فالناس لا يعرفونه.

وزبدة المخض: أن مولانا وسيّدنا الإمام المهديّ فديته بنفسي ليس غائباً عن كل العباد بل يظهر لبعض خواص مواليه الذين لهم الشرف بلقائه والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأمة بواسطتهم، ويؤيد ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لجابر الأنصاري حينما سأله عن الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف في آخر الزمان، قال: ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبةً لا يثبت فيها على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟

قال رسول الله ﷺ: أي والذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كإنتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب[1].

وورد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام قال:

لم تخل الأرض منذ خلق آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟

قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب[2].

وكذا ما ورد عن مولانا وسيّدنا الإمام المهديّ روحي لتراب نعليه الفداء في توقيعه لإسحاق بن يعقوب على يد السفير الثاني في الغيبة الصغرى محمّد بن عثمان، قال عليه السلام:

«وأمّا علة ما وقع من الغيبة فإن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[3] إنّه لم يكن أحد من آبائي إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالإنتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كفتيم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهدى[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٥٢/ ٩٣.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢/ ٩٢.

(٣) سورة المائدة: ١٠١.

(٤) بحار الأنوار ج٥٢/ ٩٢.

إشارات عرفانية:

والتشبيه بالشمس المجلّلة بالسحاب ترمز إلى أمور:

الأول: أن نور الوجود والعلم والهداية، يصل إلى الخلق بتوسطه عليه السلام إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لم يصل نور الوجود إلى غيرهم، وببركتهم والاستشفاع بهم، والتوسّل إليهم تظهر العلوم والمعارف على الخلق، وتُكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحق الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1] ولقد تفضّل علينا الله تعالى بالإنعام وتفريج الكرب عند انعلاق الأمور وإعضال المسائل ـ كما تفضّل على العلاّمة المجلسي أعلى الله مقامه[2] ـ لمّا توسّلنا بهم واستشفعنا بحقهم، فهذا حاصل لكلّ عبد أناب إلى ربّه وتوجّه إلى وجهه، وهم عليهم السلام وجهه الذي لا بدّ للعباد أن يعرجوا إليه من خلالهم، إذ بقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم، تنكشف تلك الأمور الصعبة، وتنجلي الكُرب والبلوى.

الثاني: كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ينتظرون في كل آنٍ انكشاف السحاب عنها وظهورها، ليكون انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيام غيبته عليه السلام ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره في كل وقت وزمان ولا ييأسون منه.

الثالث: أن منكر وجوده عليه السلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيّبها السحاب عن الأبصار.

الرابع: أن الشمس قد يكون غيابها في السحاب أصلح للعباد من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته عليه السلام أصلح لهم في تلك الأزمان، فلذا غاب عنهم.

---

(١) سورة الأنفال: ٣٣.

(٢) قد أفاد العلاّمة المجلسي عليه الرحمة هذا الأمر في بحاره ج٥٢/ ٩٣.

الخامس: أن الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربما عمي النظر إليها لضعف الباصرة عن الإحاطة بها، فكذلك شمس ذاته المقدّسة ربما يكون ظهوره أضرّ لبصائرهم، ويكون سبباً لعماهم عن الحق، وتحتمل بصائرهم الإيمان به في غيبته، كما ينظر الإنسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرر بذلك.

السادس: أن الشمس قد تخرج من السحاب وينظر إليها واحد دون آخر فكذلك يمكن أن يظهر عليه السلام في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

السابع: أنهم عليهم السلام كالشمس في عموم النفع، وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى كما فسّر به في الأخبار قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[١].

الثامن: أن الشمس كما أن شعاعها يدخل البيوت، بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسّهم ومشاعرهم التي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانية، والعلائق الجسمانية، وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية إلى أن ينتهي الأمر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب[٢].

تساؤل:

قلتم إن الإمام المهديّ عليه السلام موجود، ووجوده لطف، فلِمَ لا يظهر فيعم لطفه العالمين؟

قلنا: صحيح أن وجوده لطف، وتصرّفه ظاهراً لطف آخر، لكنّه لا يظهر لأنه يخاف على شيعته وعلى نفسه القتل، بمعنى لو ظهر قبل تحقق أوان الظهور لكان

---

(١) سورة الإسراء: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار ج٥٢/ ٩٣ ـ ٩٤.

عجّل على نفسه وهذا لا يرتضيه الله سبحانه، ولو كان عدم ظهوره غير ما ذكرنا لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء إنما تعظم لتحمُّلهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى.

فإن قيل: هلا منع الله عزّ وجل من قتله بما يحول بينه وبين من يريد قتله؟

قلنا: إن الحيلولة بالمعجزة بين الإمام وبين من يريد قتله ينافي التكليف وينقض الغرض، لأن الغرض من التكليف استحقاق الثواب، والحيلولة ينافي ذلك، وربما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق فلا يحسن من الله فعلها، فالمنع بهذا المعنى ينافي التكليف كما قلنا، وأما المنع الذي لا ينافي التكليف فهو النهي عن خلافه والأمر بوجوب اتباعه ونصرته وإلزام العباد بالانقياد إليه، وكل ذلك قد فعله الله وأمر به عباده، وهو صحيح لا غبار عليه، فالعقل يقره والعقلاء يمضونه.

فإن قيل: أليس آباؤه كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟

قلنا: إن حاله يختلف عن حال آبائه الميامين، حيث إنهم كانوا مأمورين بعدم الخروج على سلاطين زمانهم لعدم توفر الأسباب والظروف لذلك، بل كانوا يعملون بالتقية حرصاً على ما تبقّى من المؤمنين، وانتظاراً منهم للإمام المهديّ الذي سيبيد العتاة والمردة بسيفه ولا يعمل بالتقية، فآباؤه إنما ظهروا للناس لعلمهم بأنهم لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامهم من أولادهم، وليس كذلك صاحب الزمان عليه السلام لعدم وجود من يقوم مقامه بعده قبل حضور وقت قيامه بالسيف فلذلك وجب استتاره وغيبته، ففارق حاله حال آبائه وهذا واضح بعون الله تعالى.

الشبهة الثالثة عشرة:

«إذا لم يمكن الوصول إلى إمام الزمان المهديّ المنتظر عليه السلام ولا أخذ

المسائل الدينية عنه، فأي ثمرة تترتب على مجرد معرفته حتى يكون من مات وليس عارفاً به فقد مات ميتةً جاهلية حسبما ورد في المتواتر والمشهور[1]، ويشهد له إجماع أهل الآثار ويقوّي معناه صريح القرآن بقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[2]، وقوله تعالى ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[3].

وعليه فكيف تجمعون بين هذا الخبر الصحيح وبين غيبة إمامكم عليه السلام واستتاره عن الكل، وعدم علمهم بمكانه والوصول إليه؟

والجواب:

١ ـ لا تنحصر الثمرة في مشاهدته وأخذ المسائل عنه، فإن كثيراً من المؤمنين بالله وبرسوله كانوا يأخذون الأحكام بالواسطة ومن دون أن يروا رسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا في عصور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، لكنّ الفرق بين عصر النَّصّ وعصر غياب الإمام المهديّ واضح من حيث العمل بالأحكام الواقعية في العصر الأول دون الثاني حيث يغلب فيه العمل بالأحكام الظاهرية فقد تصيب الواقع وقد تخالفه، ومع هذا فإنّ الثمرة في كلا الموردين أعم من المشاهدة كما قلنا إذ إن نفس التصديق بوجوده الشريف وأنه خليفة الله في الأرض والسماء أمر مطلوب لذاته، وركنٌ من أركان الإيمان، تماماً كتصديق من كان في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله بوجوده ونبوته، ويشهد لما قلنا حديث جابر المتقدّم.

---

(١) ورد عن الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله أنه قال: «من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» رواه الفريقان بتفاوت ببعض الألفاظ، انظر: الكافي ج١/ ٣٧٧، المحاسن ص١٥٣ وعيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ج٢/ ٥٨ وكمال الدين ص٤١٣، عقاب الأعمال ص٢٤٤، غيبة النعماني ص١٣٠، رجال الكشي ج٢/ ٧٢٤، الاختصاص ص٢٦٩. ومن مصادر العامة: مسند أبي داود الطيالسي ص٢٥٩/ ١٩١٣، حلية الأولياء ج٣/ ٢٢٤. هامش مستدرك الحاكم للذهبي ج١/ ٧٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩/ ١٥٥، ينابيع المودة ص١١٧، المعجم الكبير للطبراني ج١٠/ ٣٥٠/ ١٠٦٨٧، مجمع الزوائد ج٥/ ٢٢٤.

(٢) سورة الإسراء: ٧١.

(٣) سورة النساء: ٤١.

٢ ـ لا مضادة بن المعرفة بالإمام وبين جميع ما ذُكر من أحواله، لأن العلم بوجوده في العالم لا يفتقر إلى العلم بمشاهدته، لمعرفتنا ما لا يصح إدراكه من الحواس، فضلاً عمّن يجوز إدراكه وإحاطة العلم بما لا مكان له أو عمّن يخفى مكانه والظفر بمعرفة المعدوم والماضي والمنتظر، وقد بشّر الله تعالى الأنبياء المتقدّمين بنبيّنا أبي القاسم محمّد ﷺ قبل وجوده في العالم فقال سبحانه ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾[٢].

فكان نبيّنا عليه وآله السلام مكتوباً مذكوراً في كتب الله الأولى، وقد أوجب على الأمم الماضية معرفته والإقرار به وانتظاره، وهو عليه السلام وديعة في صلب آبائه لم يخرج إلى الوجود، ونحن اليوم عارفون بالقيامة والبعث والحساب وهو ـ أي البعث أو الحساب ـ معدوم وغير موجود، وقد عرفنا آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ولم نشاهدهم، ولا شاهدنا من أخبر عن مشاهدتهم، ونعرف جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام ولسنا نعرف لهم شخصاً ولا نعرف لهم مكاناً، فقد فرض الله عزّ وجلّ علينا معرفتهم والإقرار بهم وإن كنا لا نجد إلى الوصول إليهم سبيلاً.

هذا مضافاً إلى أن معرفتنا بوجوده وإمامته وعصمته وكماله نفع لنا في اكتساب الثواب، وانتظارنا لظهوره عبادة نستدفع بها عظيم العقاب، ونؤدي بها فرضاً أوجبه علينا ربنا المالك للرقاب، فكما أن معرفة الأمم الماضية لنبيّنا محمّد

---

(١) سورة آل عمران: ٨١.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

قبل وجوده من أوكد فرائضهم يومذاك لأجل منافعهم، كذا معرفة الباري جلّ اسمه أصل الفرائض كلّها وهو أعظم من أن يُدْرك بشيء من الحواس، فإن معرفة إمام الزمان من أوكد الفرائض أيضاً مع عدم اشتراط العلم بمكانه أو الوصول إليه، وإن كان هذان الأمران من شرائط كمال الإيمان.

الشبهة الرابعة عشرة:

إذا كان الإمام عندكم ـ أيُّها الشيعة ـ غائباً، ومكانه مجهولاً، فكيف يصنع المسترشد؟ وعلى ماذا يعتمد الممتحن فيما لو نزل به حادث لا يعرف له حكماً؟ وإلى من يرجع المتنازعون لا سيّما والإمام إنما نُصّب لما وصفناه؟

والجواب:

لم يُنَصَّب الإمام عليه السلام لأجل هذين الأمرين فحسب ـ أعني الفصل بين المتخاصمين وبيان الحكم للجاهلين ـ بل مهامه أوسع منهما بحيث تشمل عامة مصالح الدنيا والدين، غير أنه إنما يجب عليه القيام فيما نصّب له مع التمكّن من ذلك والاختيار، وليس يجب عليه شيء لا يستطيعه، ولا يلزمه فعل الإيثار مع الاضطرار، ولم يؤت الإمام في التقية من قبل الله عزّ وجلّ ولا من جهة نفسه وأوليائه المؤمنين، وإنما أوتي ذلك من قبل الظالمين الذين أباحوا دمه ودفعوا نسبه وأنكروا حقّه وحملوا الجمهور على عداوته ومناصبة القائلين بإمامته، وكانت البلية فيما يضيع من الأحكام ويتعطل من الحدود، ويفوت من الصلاح متعلقة بالظالمين، وإمام الأنام بريءٌ منها وجميع المؤمنين، فأما الممتحن بحادث يحتاج إلى علم الحكم فيه فقد وجب عليه أن يرجع في ذلك إلى العلماء المخلصين من شيعة الإمام وليعلم ذلك من جهتهم بما استودعوه من أئمة الهدى المتقدمين، وإن عُدم ذلك، ولم يكن فيه حكم منصوص على حال فيعلم أنه على حكم العقل، لأنه لو أراد الله أن يتعبّد فيه بحكم سمعي لفعل ذلك، ولو فعله لسهّل السبيل إليه. وهكذا القول في المتنازعين، يجب عليهما ردّ ما اختلفا فيه إلى الكتاب والسنّة عن رسول الله وآله الطاهرين ويستعينوا في معرفة ذلك بعلماء الشيعة وفقهائهم.

وهذا الذي وصفناه إنما وجب على المكلّف الاعتماد عليه والرجوع إليه عند الضرورة بفقد الإمام المرشد، ولو كان الإمام ظاهراً ما وسعه غير الردّ إليه، والعمل بقوله، وهذا كقول خصومنا: إن على الناس في نوازلهم بعد النبي ﷺ أن يجتهدوا فيها عند فقدهم النصّ عليها، ولا يجوز لهم الاجتهاد واستعمال الرأي بحضرة النبيّ محمّد ﷺ.

إن قيل: إذا كانت عبادتكم تتم بما وصفتموه مع غيبة الإمام فقد استغنيتم عن الإمام عليه السلام؟

قلنا: ليس الأمر كذلك، لأن الحاجة إلى الشيء قد تكون قائمة مع فقد ما يسدها، ولولا ذلك ما كان الفقير محتاجاً إلى المال مع فقده، ولا المريض محتاجاً إلى الدواء وإنْ بعُدَ وجوده، ولا الجاهل محتاجاً إلى العلم وإن عَدُم الطريق إليه، فغيبته عنا لا تستلزم عدم الحاجة إليه، ولو لزمنا ما أفادته الشبهة المذكورة للزم على جميع المسلمين أن يقولوا إن الناس كانوا في حال غيبة النبيّ ﷺ للهجرة وفي الغار أغنياء عنه، وكذلك لكانت حالهم في وقت استتاره بشعب سيّدنا أبي طالب عليه السلام، ولكان قوم موسى عليه السلام أغنياء عنه في حال غيبته عنهم لميقات ربه، وكذلك أصحاب يونس عليه السلام أغنياء عنه لمّا ذهب مغضباً والتقمه الحوت وهو مليم، وهذا مما لا يذهب إليه مسلم ولا ملّي.

الشبهة الخامسة عشرة:

إن الإمام المهديّ عليه السلام هو عيسى عيسى بن مريم عليه السلام حسبما أفاد ذلك حديث محمّد بن خالد الجندي تفرّد به عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبيّ نسبوا إليه أنه قال: لا يزداد هذا الأمر إلاّ شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلاّ شحاً ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس، ولا المهديّ إلاّ عيسى بن مريم[1].

---

(١) العطر الوردي بشرح القطر الشهدي/ محمد البلبيسي الشافعي ص٤١ عن ابن ماجة والبيان في أخبار صاحب الزمان للكنجي الشافعي ص٢٨. =

يرد عليها:

إن محمّد بن خالد الجندي كان يتساهل في الحديث على حدّ تعبير الكنجي الشافعي في كتابه «البيان»، وقال الذهبي: [محمّد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، روى عنه الشافعي، وقال الأزدي: منكر الحديث، وقال عبد الله الحاكم: مجهول، قلت: حديثه «لا مهديّ إلا عيسى ابن مريم» وهو خبر منكر أخرجه ابن ماجة..][1].

ولمّا كان الخبر ضعيفاً لا يمكن تقديمه ـ وحتى لو كان صحيحاً ـ على الأخبار المتواترة حيث استفاضت بكثرة رواتها في الإمام المهديّ عليه السلام وأنه من عترة نبيّنا محمّد من ولد الصدّيقة فاطمة عليها السلام وأنه يخرج في زمنه عيسى بن مريم فيصلّي خلفه ويساعده على قتل الدجال بباب لدّ بأرض فلسطين، هذا مضافاً إلى تواتر الأخبار بأن اسمه محمّد، فلا يصح حينئذٍ تقديم الخبر الواحد الثقة ـ عدا عن الضِعف ـ على الأخبار المتواترة.

الشبهة السادسة عشرة:

إن الإمام المهديّ عليه السلام فكرة ابتدعها الشيعة، ومبتدع هذه الشُبهة هو المستشرق دوايت رونلدسن في كتابه «عقيدة الشيعة» ص٢٣١ حيث أوعز فكرة المهدويّة إلى فشل الشيعة واضطهاد الأعداء لهم فقال: «من المحتمل جداً أن الفشل الظاهر الذي أصاب المملكة الإسلامية في توطيد أركان العدل والتساوي على زمن دولة الأمويين عام ٤١ ـ ١٣٢هـ كان من الأسباب لظهور فكرة المهديّ آخر الزمان».

والجواب:

نحن لا نستغرب من كلام هذا المستشرق الحاقد على الإمامية، فقد سبقه

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج٣/ ٥٣٥.

إلى ذلك ابن خلدون[1]، وقلدهما أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام متنكراً من القضية المهدوية ومدعياً أن لها أسباباً سياسية واجتماعية ودينية، وأنها انبثقت من الشيعة بعد خروج الخلافة من أيديهم، فأحمد أمين وابن خلدون وأمثالهما لا يمثّلون الشيعة والأشاعرة، بل هم أناسٌ انعزاليون بحاجة إلى رعاية فكرية.

ونحن نسأل أحمد أمين وأمثاله من النواصب: إذا كان الشيعة هم المخترعون لهذه الفكرة، فماذا يفعل بمئات الأحاديث التي رواها علماؤه وأساتذته في مصر وغيرها من الديار في مصادرهم وبطرقهم وأسانيدهم؟! ولماذا لم يكلّف أحمد أمين نفسه مناقشة هذه الأحاديث في إسنادها ومتونها، مكتفياً بشبطحة قلم تطيح بمئات الأحاديث بل الألوف، فهل يا ترى كل هذه الأخبار من صنع الشيعة الإمامية، وإذا كانت من صنعهم، فلماذا أخذ بها كبار علماء العامة ودافعوا عنها بكلّ قوة؟! فلا يخلو الأمر حينئذٍ من شيئين:

إما تواطؤ علماء العامة مع الشيعة، وإما جهلهم بطرق الحديث ومتونه؛ وكلاهما لا يقرّ بهما أحمد أمين وأمثاله، فيثبت أنّ ما إدّعاه الشيعة ليس من مبتدعاتهم وإنما هي من وحي السماء نزل على سيّد المرسلين محمّد (ﷺ) الذي أخبر عن حفيده الإمام المهديّ ابن الحسن العسكري عليه السلام فنحن نؤمن بما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين رغماً لأنفيّ ابن خلدون وأحمد أمين.

وأما ابن خلدون الذي طعن في تواتر الأحاديث الواردة بشأن الإمام المهديّ عليه السلام وأنكر إفادتها لظهوره عليه السلام، فقد ردّ عليه أحد أكابر علماء العامة ومن أعاظم المحقّقين عندهم في كتابه «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون أو المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي» وصاحبه أحمد بن محمّد بن الصديق أبو الفيض الغماري الحسني الأزهري الشافعي المغربي (المتوفى عام ١٣٨٠هـ) قال في مقدّمة ردّه على ابن خلدون:

---

(١) لقد طعن ابن خلدون في الأحاديث الدالة على الإمام المهدي عليه السلام وضعّفها كما هو ملحوظ في كتابه «المقدمة» ص٣١١ فصل ٥٢ في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس.

«وقد كثر في الناس اليوم ممن يخفى عليه هذا التواتر ويجهله ويبعده عن صراط العلم جهله ويضلّه من ينكر ظهور المهدي وينفيه ويقطع بضعف الأحاديث الواردة فيه مع جهله بأسباب التضعيف وعدم إدراكه معنى الحديث الضعيف وتصوّره مبادىء هذا العلم الشريف وفراغ جرابه من أحاديث المهدي الغنيّة بتواترها عن البيان لحالها والتعريف، وإنّما استناده في إنكاره مجرد ما ذكره ابن خلدون في بعض أحاديثه من العلل المزوّرة المكذوبة ولمز به ثقات رواتها من التجريحات الملفّقة المقلوبة مع أنّ ابن خلدون ليس له في هذه الرحاب الواسعة مكان، ولا ضرب له بنصيب ولا سهم في هذا الشأن، ولا استوفى منه بمكيال ولا ميزان فكيف يعتمد فيه عليه ويرجع في تحقيق مسائله إليه. فالواجب دخول البيت من بابه، والحقّ الرجوع في كلّ فنّ إلى أربابه فلا يقبل تصحيح أو تضعيف إلاّ من حفّاظ الحديث ونقّاده:

فاعن به ولا تخض بالظنّ ولا تقلّد غير أهل الفنّ

ولمّا لم أرَ أحداً تصدّى للرد عليه فيما علمت ولا بلغني ذلك عن أحد فيما رويت وسمعت بعثني باعث الغيرة الدينية الأثرية، وحثّني فضل الانتصار والذّب عن السنّة النبويّة على أن أدحض حججه الباطلة وأردّ شبهه الفاسدة العاطلة، فكتبت على ضعف في الاستعداد وقلّة من الموادّ هذه الرسالة[1]، واختطفت من بين أنياب العوائق هذه العجالة بعد أنْ فهمت مراميه وتدبّرت كلامه، فإذا هو مموّه بشبهٍ واهية يعارض بعضها بعضاً؛ مركّب من مقدمات وهميّة موهمة تناقض نتائجها نقضاً؛ مؤلف من مغالطات يُخيَّل للناظر أنها حجج قوية ترفض النزاع رفضاً؛ محشوّ بتعسفات تغض من صاحبها غضاً، ومجازفات تحط من قدره وتنقص منه طولاً وعرضاً..».

---

(١) ويقصد بها كتابه المسمّى «إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» أو «المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي» فليراجع ص٤٤٣.

وقال في موضع آخر: [فإن الساعة آتية لا ريب فيها قريبة مقبلة بما فيها وأن لأتيانها أعلاماً ولقيامها أشراطاً، ألا وإن من أعلامها الصريحة وأشراطها الثابتة الصحيحة ظهور الخليفة الأكبر والإمام العادل الأشهر الذي يحيي الله به ما درس من آثار السنّة النبوية واندثر ويميت به ما شاع من ضلالات أهل البدع وذاع وانتشر ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت بظلم من جار وفجر ويحثو المال حثياً ولا يعدّه عدّاً لكلّ مَن صَلُحَ وبر إمام العترة الطاهرة المصطفوية محمّد بن عبد الله المنتظر، فقد تواترت بكون ظهوره من أعلام الساعة وأشراطها الأخبار وصحّت عن رسول الله ﷺ في ذلك الآثار وشاع ذكره وانتشر خبره من الكافة من أهل الإسلام على ممرّ الدهر والأعصار، فالإيمان بخروجه واجب واعتقاد ظهوره تصديقاً لخبر الرسول محتم لازب كما هو مدوّن في عقائد أهل السنّة والجماعة من سائر المذاهب ومقرّر في دفاتر علماء الأمة على إختلاف طبقاتها والمراتب.

ففي «التذكرة» للإمام القرطبي و«فتح الباري» لأمير الحفّاظ العسقلاني نقلاً عن الحافظ أبي الحسين الآبري أنه قال ردّاً لحديث ابن ماجة الموضوع الآتي فيه أنه «لا مهدي إلا عيسى» ما نصّه: «قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ في المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام يخرج فيساعده على قتل الدّجال، وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى خلفه في طول من قصته وأمره..». وممن نصّ على تواتر أحاديث المهدي أيضاً الحافظ شمس الدين السخاوي في «فتح المغيث» والحافظ جلال الدين السيوطي في «الفوائد المتكاثرة في الأحاديث المتواترة» واختصاره «الأزهار المتناثرة» وغيرهما من كتبه، والعلاّمة ابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة» وغيره من مصنّفاته، والمحدّث الزرقاني في شرحه لـ«المواهب اللدنّية» وجمّ غفير من الحفاظ النقّاد والمحدّثين المتقنين لفنون الأثر. وذكر القنوجي في «الإذاعة لما كان وما يكون بين يديّ الساعة» أنّ القاضي أبا عبد الله محمّد بن عليّ الشوكاني ألّف في إثبات تواتر أخباره كتاباً أسماه: «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر

والدجال والمسيح» ونقل عنه أنه قال فيه: «والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثاً فيها الحسن والصحيح والضعيف المنجبر وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحرّرة في الأصول؛ وأما الآثار عن الصحابة المصرّحة بالمهدي فهي كثيرة لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك».

وقال القنوجي في كتابه المذكور: «والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جداً تبلغ حدّ التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد. وقد اضجع القول فيها ابن خلدون في مقدمة تاريخه حيث قال: يحتجون في الباب بأحاديث خرّجها الأئمة وتكلّم فيها المنكرون وربّما عارضوها ببعض الأخبار إلى آخر ما قال وليس كما ينبغي فإنّ الحق الأحق بالإتباع والقول المحقق عند المحدثين المميزين بين الدار والقاع أنّ المعتبر في الرواة رجال الحديث أمران لا ثالث لهما وهما: الضبط والصدق دون ما اعتبره أهل الأصول من العدالة وغيرها فلا يتطرق الوهن إلى صحة الحديث بغير ذلك، كيف؟! ومثل ذلك يتطرق إلى رجال الصحيحَيْن وأحاديث المهدي عند الترمذي وأبي داود وابن ماجة والحاكم والطبراني وأبي يعلى الموصلي وأسندوها إلى جماعة من الصحابة؛ فتعرُّض المنكرين لها ليس كما ينبغي، والأحاديث يشدّ بعضها بعضاً ويتقوّى أمرها بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهدي بعضها صحيح وبعضها ضعيف وأمره مشهور بين الكافّة من أهل الإسلام على ممر الأعصار».

وقال السفاريني في «الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضيّة»:

وما أتى في النص ما أشراط فكلّه حق بلا شطاط

منها الإمام الخاتم الفصيح محمّد المهديّ والمسيح

وقال في شرحه المسمى بـ«لوائح الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثرية»:

«قد كثرت الأقوال في المهدي حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحق أنّ المهدي غير عيسى وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حدّ التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنّة حتى عُدَّ من معتقداتهم» ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه من طريق جماعة من الصحابة وقال بعدها: «وقد رُوي عمّن ذكر من الصحاب وغير من ذكر منهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم مما يفيد مجموعه العلم القطعيّ فالإيمان بخروج المهديّ واجب كما هو مقرّر عند أهل العلم ومدوّن في عقائد أهل السنّة والجماعة».

وفي «المراصد»:

وما من الأشراط قد صحّ الخبر ... به عن النبي حق ينتظر
وخبر المهدي أيضاً وردا ... ذا كثرة في نقله فاعتضدا

قال شارحه في «مبهج المقاصد»: «هذا أيضاً مما تكاثرت الأخبار به وهو المهدي المبعوث في آخر الزمان ورد في أحاديث السخاوي أنها وصلت إلى حدّ التواتر]»[1].

وأما ما إدّعاه رونلدسن فجوابنا عليه:

(١) إذا كانت فكرة المهدويّة نتيجة فشل الشيعة واضطهادهم، فهل أن اعتقاد أكابر علماء العامة وروايته لأحاديث المهديّ حيث بلغت فوق الاربعمائة خبر بطرق متعددة كان نتيجة فشلهم واضطهاد الآخرين لهم؟ ومن أين علم رونلدسن ذلك؟

(٢) لقد قام الإجماع بين المسلمين وتصافقت عليه الأخبار المتواترة والتي بلغت المئات، كلها دلت على أن خروج المهديّ عليه السلام من المحتوم الذي لا يتخلّف وأنه عليه السلام يصلّي عيسى بن مريم خلفه ويبسط العدل ويرفع الظلم، وليس الشيعة وحدهم الذين رووا هذه الأخبار، مضافاً إلى أن تاريخ صدور هذه الأخبار

---

(١) إبراز الوهم المكنون ص٤٣٣ ـ ٤٣٦.

كان قبل نشوء الدولة الأموية عام ٤١هـ وسقوطها عام ١٣٢هـ، وعليه فما ادّعاه ذاك المستشرق الخبيث ما هو إلا افتراءً على الشيعة الإمامية وإمامهم المغيّب عن دول الكافرين، والمستتر عن أعين الظالمين.

الشبهة السابعة عشرة:

إنّ عدم التفات الإمام المهديّ عليه السلام إلى أنصاره بعدم رفع الظلم عنهم دليل عدم وجوده وذلك لأن الإمام المهدي لو كان موجوداً لرفع الظلم المتوجه إلى شيعته وأنصاره، لكونه شخصاً ـ على فرض صحة ما يقول الشيعة ـ يشعر بالمسؤولية والعطف تجاه أصحابه تماماً كما كان أجداده، فهو لا محالة رافع للظلم عنهم أو مشاركتهم في العمل ضده، مع أنه لم يعمل ذلك، بالرغم من أن المظالم في التاريخ كثيرة وشديدة، إذن فهو غير موجود. وقد تبنى هذه الشبهة رونلدسن أيضاً في كتابه حيث قال:

«وفي القرن التالي لغيبة الإمام استلم البويهيون زمام السلطة الزمنية، فبذلوا جهوداً كبيرة لتوحيد الطائفة الشيعية وتقويتها، كبناء مشاهدها وجمع أحاديثها وتشجيع علمائها ومجتهديها، ومع ذلك فلم يظهر الإمام المنتظر في هذا القرن الذي كانت الطائفة الشيعية تتمتع فيه بحسن الحال ومر قرن آخر دالت فيه دولة حماة الشيعة من البويهيين، ولكنّ الإمام بقي في غيبته الكبرى، ومرّ قرن ثالث يمتاز بالظلم والثورات وتحكم المماليك، ولكنّ الإمام الذي كانوا يرتجون ظهوره لم يظهر، وجاء دور الحروب الصليبية التي اشترك فيها (آل البيت) دون أن يكون لهم إمام، فمن الجانب الإسلامي كانت السلطة لإعلان الجهاد تنحصر بيد بني العبّاس والفاطميين المارقين في مقاومة الجيوش الغازية للشعوب المسيحية بالاسم في أوروبا، ولكن الإمام أخّر ظهوره، وبعد مرور أربعة قرون على وفاة آخر الوكلاء في القرن الثالث عشر اجتاح الغزاة المغول بلاد إيران يقتلون ويهدمون بقساوة لا مثيل لها، وبالرغم من التخريب والآلام فإن «صاحب الزمان» المنتظر بفارغ الصبر لم يظهر، وحتى في ابتداء القرن السادس على زمن شيوخ آذربيجان

والدولة الصفوية لم يتصل الإمام الغائب بشيعته إلا بالطيف، فكان يظهر لهؤلاء الملوك كما يدّعون!!»[1].

يورد عليه:

أولاً: يجب أن لا نتوقع من الإمام المهديّ عليه السلام الظهور الكامل، تحت أي ظرف من الظروف، باعتباره مذخوراً لنشر العدل الكامل في العالم كله، لا لرفع المظالم الوقتية، ولا بدّ أن لا يغيب عن بالنا أيضاً أن الإسراع بالظهور قبل أوانه يوجب جزماً فشل التخطيط الإلهي لليوم الموعود، لأن نجاحه منوط بشروط معيّنة وظروف خاصة لا تتوفر قبل اليوم الموعود جزماً، كما أن كل ما أعاق عن نجاحه لا يمكن وجوده بحسب إرادة الله تعالى وإرادة الإمام المهدي عليه السلام نفسه، مهما كان الظرف مهماً وصعباً.

ثانياً: نحتمل ـ على أقل تقدير ـ أن الإمام المهديّ عليه السلام يرى أن بعض الظلم الذي كان ساري المفعول خلال التاريخ، كالحروب الصليبية مثلاً غير قابلة للإزالة من قبله حال الغيبة بحال، ولا ينفع التخطيط السري أو العمل الاعتيادي، بصفته فرداً عادياً في إزالتها لقوة تأثيرها وضراوة اندفاعها، ومعه يصبح الإمام المهدي عليه السلام حال غيبته غير مكلّف من قبله عزّ وجلّ برفع هذا الظلم، فيكون معذوراً عن عدم التصدّي لرفعه طبقاً للقواعد الإسلامية ولوظيفته الواعية الصحيحة.

ثالثاً: إن جملة من موارد الظلم الساري في المجتمع لا يمكن للإمام المهديّ عليه السلام رفعه بالسبل العادية إلا إذا تحقق شرطان يضمنان ذلك:

الأول: أن لا يؤدي به عمله إلى انكشاف أمره وانتفاء غيبته، وهو ما لا يريده الله تعالى أن يكون، فالإمام المهديّ روحي فداه لا بدّ أن يقتصر على الحدود التي لا تؤدي إلى انكشاف أمره، فيدقّق في ذلك ويخطّط له، وهو الخبير الألمعي الذي

(١) عقيدة الشيعة/ دوايت م. رونلدسن ص٣٤٨.

يحسب لكلّ عمل حسابه، وأي عمل علم أن التدخل فيه يوجب الانكشاف انسحب منه، مهما ترتبت عليه من نتائج، لأن حفظ سره وذخره لليوم الموعود، أهم من جميع ما يتركه من أعمال. لكن هذا لا ينافي تأثيره في الأعمال الإسلامية الخيّرة التي نراها سائدة في المجتمع، وذلك لإمكان أن يكون هو المؤثّر في تأسيسها حال صغرها وضآلة شأنها، وقد أودعها إلى المخلصين الذين يأخذون بها ويذكون أوارها بدون أن يلتفتوا أو يلتفت إلى حقيقة عمله، بقليل ولا بكثير.

الثاني: أن لا يؤدي عمله إلى التخلّف والقصور في تربية الأمة، أو اختلال شرائط يوم الظهور الموعود لو خرج قبل الوقت المقرّر.

بيان ذلك. أن ليوم الظهور الموعود شرائط، ولكل شرط من تلك الشروط أسبابه وعلله، تلك الأسباب التي تتولد وتنشأ في عصر ما قبل الظهور، حتى ما إذا آتت أكلها وأثرت تأثيرها بتحقيق تلك الشروط وإنجازها، كان يوم الظهور قد آن أوانه وتحققت أركانه.

والإمام المهديّ عليه السلام حيث يعلم الشرائط والأسباب، مكلّف ـ على الأقل ـ بحماية تلك الأسباب عن التخلّف أو الانحراف، لئلا يتأخر تأثيرها أو ينخفض عما هو المطلوب أنتاجها، إنْ لم يكن مكلّفاً بإذكاء أوارها والسير الحثيث في تقدّم تأثيرها.

ومن أهم شرائط اليوم الموعود: أن تكون الأمة ساعة الظهور على مستوى عالٍ من الشعور بالمسؤولية الإسلامية، والاستعداد للتضحية في سبيل الله عزّ وجلّ، أو على الأقل أن يكون فيها العدد الكافي ممن يحمل هذا الشعور ليكون هو الجندي الصالح الذي يضرب بين يدي الإمام المهديّ عليه السلام ضد الكفر والانحراف، ويبني بساعده الغد الإسلامي المشرق، ويكون الجيش المكوّن من مثل هذا الشخص هو الجيش الرائد الواعي الذي يملأ الأرض بقيادة الإمام المهديّ قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وإذا كان ذلك من الشرائط، فلا بدّ من توفر أسبابه في زمن ما قبل الظهور في عصر الغيبة الكبرى، والمحافظة على هذه الأسباب.

وأن السبب الرئيسي الكبير لتولد الوعي والشعور بالمسؤولية الإسلامية والإقدام على التضحية لدى الأمة، هو مرورها بعدد مهم من التجارب القاسية والظروف الصعبة، وإحساسها بالظلم والتعسف ردحاً كبيراً من الزمن، حتى تستطيع أن تفهم نفسها وأن تشخّص واقعها وتشعر بمسؤوليتها، فإن هذه الصعوبات كالمبرد الذي يجلو الذهب ويجعل السكّين نافذاً، فإن الأمة ـ في مثل ذلك ـ لا تخلد إلى الهدوء والسكون، بل تضطر إلى التفكير بأمرها وبلورة فكرتها وتشخيص آلامها وآمالها وتشعر بنحوٍ وجدانيٍ عميقٍ بسهولة التضحية في سبيل الأهداف الكبيرة ووجوبها إذا لزم الأمر ونادى منادي الجهاد.

وتلك الأمة الواعية هي التي تستطيع أن تضرب قدماً بين يدي الإمام المهديّ عليه السلام وأن تؤسس العدل المنتظر في اليوم الموعود، دون الأمة المنحرفة المتداعية، أو الأمة المنعزلة المتحنثة.

فإذا كان مرور الأمة بظروف الظلم والتعسف ضرورياً لتحقيق شرط اليوم الموعود، ومثل هذا الشرط يجب رعايته والمحافظة عليه، فالإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف بالرغم من أنه يحس بالأسى لمرور شعبه وقواعده الموالية بمثل هذه الظروف القاسية، إلاّ أنه لا يتصدى لإزالتها ولا يعمل على تغييرها، تقديماً لمصلحة اليوم الموعود على أهل هذا اليوم الموجود.

وأما ما لا يكون من الظلم دخيلاً في تحقيق ذلك الشرط، وكان الشرط الأول لعمل الإمام المهديّ عليه السلام متوفراً فيه أيضاً، فإن الإمام ـ فديته بنفسي ـ يتدخل لإزالته ويعمل على رفعه، بموجب تكليفه الشرعي المتوجه إليه.

ونحن الذين لا نعيش نظر الإمام المهديّ عليه السلام وأهدافه نكاد نكون في جهل مطبق من حيث تشخيص أن هذا الظلم هل له دخل في تحقيق شرط الظهور أو لا،

ما عدا بعض الموارد التي نظن دخالتها في ذلك، ولكنّ معرفتها تحتاج إلى نظر بعيد يمتد خلال السنين إلى يوم الظهور، وهذا النظر منعدم لدى أي فرد في العالم ما عدا الإمام المهديّ عليه السلام نفسه، فيعود تشخيص ذلك إليه، بما وهبه الله تعالى من ملكات وقابليات على تشخيص الداء ووصف الدواء.

رابعاً: إن بعض موارد الظلم لا يتوفر فيه الشرط الثاني من الشرطين السابقين، باعتبار أن وجوده سبب لإنتشار الوعي في الأمة وشعورها بالمسؤولية الذي هو أحد الشروط الكبرى ليوم الظهور، وعلى الأمة أن تكافح لإزالته، إلا أن الإمام المهديّ لا يتسبب لرفعه، لأن في رفعه إزالة للشرط الأساسي لليوم الموعود، وهو ما لا يمكن تحققه في نظر الإمام عليه السلام.

إذن فسائر أنحاء الظلم الساري المفعول في التاريخ لا محالة مندرج تحت أحد هذه الأقسام، فإذا كان الإمام المنتظر عليه السلام قد عمل لإزالتها فقد خالف وظيفته ومسؤوليته الحقيقية تجاه اليوم الموعود والحفاظ عليه.

فليس هناك أي تلازم بين وجود الإمام المهديّ وبين وقوفه ضد هذه الأنحاء من الظلم والشرور، حتى يمكن لرونلدسن أن يستنتج من عدم وقوفه ضد الظلم عدم وجوده. أما بقية الأنحاء الأخرى من الظلم، فإن تكليف الإمام عليه السلام ووظيفته الشرعية يقتضيان وقوفه ضده وحيلولته دونه بصفته فرداً من أفراد المجتمع الإسلامي، فهو يقف ضد الظلم في حدود الشروط الخاصة الإسلامية، كيف وهو على طول الخط يمثّل المعارضة الصامدة ضد الظلم والطغيان.

الشبهة الثامنة عشرة:

أخرج الشيخ الطوسي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي «الشيخ الصدوق» عن أبي محمّد أحمد بن الحسن المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمّد السمري رضي الله عنه «السفير الرابع» فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً من الإمام المهديّ عليه السلام هو نسخته:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«يا عليّ بن محمّد السمري أعظم الله أجر اخوانك فيك فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام فأجمع أمرك ولا توص إلى أحدٍ فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس، عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال: «لله أمر هو بالغه» وقضى، بهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه»[1].

فالنص واضح في مدلوله من حيث عدم إمكان مشاهدة الإمام المهديّ عليه السلام قبل الصيحة وخروج السفياني، فالإمام عليه السلام قبل تحقق هاتين العلامتين في احتجاب تام عن قواعده الشعبية المؤمنة به، ومن الواجب ـ بحسب مقتضاه تكذيب كلّ من ادّعى رؤية الإمام المهديّ روحي فداه قبل تحقق ذلك، وهو بظاهره ينافي الأخبار القطعية المتواترة التي وردتنا عن مقابلة الكثيرين للإمام المهديّ عليه السلام خلال غيبته الكبرى على نحو لا يمكن الطعن في التوقيع، ومقتضى هذه الأخبار لزوم تصديق المخبرين في الجملة، مع أن هذا التوقيع يوجب علينا تكذيبه، فكيف نوفّق بينه وبين تلك الأخبار؟

والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: طعن الأصحاب في سند التوقيع من حيث كونه خبراً واحداً مرسلاً ضعيفاً، لم يعمل به ناقله وهو الشيخ الطوسي في كتابه المذكور، وأعرض الأصحاب عنه، فلا يعارض حينئذٍ تلك الوقائع والقصص التي يحصل القطع عن

---

(١) غيبة الشيخ الطوسي ص٢٤٢ وبحار الأنوار ج٥٢/ ١٥١ وج٥٣/ ٣١٨ ومنتخب الأثر ص٤٠٥ وفي نسخة البحار (وسيأتي من شيعتي من يدّعي) وفي نسخة: (وسيأتي في شيعتي).

مجموعها بل من بعضه المتضمّن لكرامات ومفاخر لا يمكن صدورها عن غيره عليه السلام[1].

ـ هذا الوجه لا يخلو من مناقشة:

أولاً: «أما كونه خبر واحد، فهو ليس نقصاً فيه، لما ثبت في علم أصول الفقه من حجية خبر الواحد الثقة، وأما القول بعدم حجيته فهو شاذ لا يقول به إلاّ القليل النادر من العلماء»[2].

ولكن يرد عليه:

إن محل النزاع إنّما هو في الخبر الضعيف لا الثقة، فما أفاده الشهيد العلاّمة الصدر أعلى الله مقامه الشريف مصادرة على المطلوب، وراوي الحديث هو أبو محمّد أحمد بن الحسن المكتب مجهول إذ ليس له ذكر في تراجم الرجال، إلاّ إذا قلنا بالملازمة بمعنى إن الثقة لا يروي إلا عن الثقة، فبما أن الصدوق عليه الرحمة ثقة وقد روى عنه فيكون المذكور ثقة.

لكنّ الملازمة مخدوشة إذ قد يشتبه الثقة بالتشخيص، لكنّه مردود أيضاً لجلالة الشيخ الصدوق لكونه من البعيد جداً أن ينقل عن الكذّابين ولأن ذلك منفيٌّ بالأصل، هذا مضافاً إلى عدم وجود ملازمة بين وثاقة الشيخ الصدوق وبكل ما رواه عن الغير، فقد اعتمد في كتابه «الفقيه» على المراسيل وبعض المجاهيل وعذره أنها صحيحة بنظره: إما لوجود قرائن حافة بالخبر تفيد القطع أو الاطمئنان بصدور الخبر عن المعصوم، وذلك لأن الصحيح عند القدماء ـ حسبما أفاد المحقق البهائي في كتابه مشرق الشمسين وتعليقة البهبهاني ص٢٧ ـ هو عبارة عمّا اعتضد بما يقتضي الوثوق به والركون إليه وأسبابه مختلفة. وإما لأن أحمد بن الحسن المكتب ثقة بنظره، وجهالته عند أصحاب التراجم لا تستلزم عدم وثاقته،

---

(١) منتخب الأثر ص٤٠٥.

(٢) الغيبة الصغرى/ الحجّة السيّد محمد الصدر ص٦٤١.

فلا يمنع الأخذ بما رواه عنه لا بعنوان كونه مروياً عن أحمد بن الحسن وإنّما لعمل الطائفة بمضمونه من حيث تكذيبهم لكلّ من إدّعى السفارة بعد موت السمري.

ثانياً: على فرض كونه ضعيفاً، فيكفي للإثبات التاريخي، لحصول الاطمئنان بصدوره ـ أو على أقل تقدير عدم رفضه ـ لقرائن أو اعتبارات عقلية يمكن من خلالها تأويل التوقيع بما يتناسب والأخبار القطعية الدالة على وقوع المشاهدة أو اللقاء مع الإمام عليه السلام. وإعراض الشيخ الطوسي والأصحاب عن العمل به قد يكون ناتجاً عن إثباتهم رؤية الإمام المهديّ في غيبته الكبرى، وهذا مما لا شك فيه، «إلاّ أنه إنما يصلح دليلاً على إعراضهم لو كانت هناك معارضة ومنافات بين الوقيع وإثبات الرؤية، وأما مع عدم المعارضة فيمكن أن يكون الأصحاب قد التزموا بكلا الناحيتين من دون تكاذب بينهما، ومعه لا دليل على هذا الإعراض منهم»[1].

لكن يظهر أن الأصحاب لم يلتزموا بكلا الناحيتين كما أفاد قدّس سره، وإلاّ لما وسعهم الإعراض عن التوقيع الشريف، نعم على مسلك غير المشهور من الأصوليين فإن إعراضهم عن الخبر الصحيح ـ لو سلّمنا بكون سند التوقيع صحيحاً ـ لا يوجب وهن الحديث ولا يسقط عن الحجية، وعليه فتبقى المعارضة بين التوقيع والنقولات الصحيحة باقية، وأما على مسلك مشهور الأصوليين القائلين بأن إعراض المشهور عن الخبر الصحيح أو الموثق يوجب وهنه وسقوطه عن الحجية، فلا معارضة حينئذٍ بين التوقيع والنقولات القطعية وذلك لأرجحية تقديم النقولات على التوقيع من دون حاجة إلى تأويله.

الوجه الثاني:

عدم جواز الطعن في أسانيد الأخبار الناقلة لمشاهدة الإمام المهديّ عليه السلام في غيبته الكبرى، والشطب عليها جملة وتفصيلاً، وذلك لكونها طائفة ضخمة من

---

(١) الغيبة الصغرى ص٦٤١.

الأخبار يصل عددها إلى المئات، وبعضها مروي بطرق معتبرة وقريبة الإسناد فلا يمكن رفضها بحالٍ، وهذا كلُّه واضح لمن استقرأ تلك الأخبار وعاش أجواءها.

ودعوى حمل هذه الأخبار على الوهم، وأن هؤلاء الذين زعموا أنهم رأوا وسمعوا.. لم يرووا ولم يسمعوا، وإنما كان كلامهم كذباً متعمّداً أو أضغاث أحلام وما شابه ذلك، مردودة من أساسها لأن كثرتها مانعة عن كلا الأمرين: الكذب والوهم، أمّا تعمد الكذب فهو منفي بالتواتر، فضلاً عما زاد عن ذلك بكثير، مضافاً إلى وثاقة وتقوى عدد مهم من الناقلين وعدم احتمال تعمدهم للكذب أساساً، هذا مضافاً إلى أن أخبار هؤلاء الثقاة الناقلين مورداً لقيام السيرة على الأخذ بأخبار الثقة، وكونهم مشمولين لإطلاق الأدلة اللفظية الدالة على حجية أخبار الثقاة.

وأمّا كونها من قبيل الأوهام والأحلام، فهو مما ينفيه تكاثر النقل أيضاً، بل يجعل الاعتراف به في عداد المستحيل، ويمكن أن تجد أثر ذلك في نفسك، فيما لو أخبرك واحد بحادثة ما لكان احتمال الوهم موجوداً وإن كان موهوناً، إلاّ أنه لو أخبرك ثلاثة أو أربعة عن تلك الحادثة لحصل لك الاطمئنان أو العلم بصدق الخبر وحصول الحادثة، فضلاً عما إذا أخبرك بها عشرة، فكيف إذا أخبرك بها مئات، وهل تستطيع أن تحملهم كلهم على الوهم أو على أضغاث أحلام، إلا إذا كنت تعيش الوهم أو الأضغاث؟

فإن قيل: إن الناقلين للمشاهدة وإن كانوا صادقين في إخباراتهم، إلاّ أنهم في الحقيقة لم يشاهدوا الإمام المهديّ عليه السلام بل شاهدوا غيره، وتوهّموا أنه على غير الواقع.

قلنا: هذا غير صحيح وذلك لأمرين:

الأول: أنه مما ينفيه التواتر، فضلاً عما زاد عليه من أعداد الروايات والنقول بحيث يحصل القطع من مجموعها بأن الناقلين على كثرتهم لم يكونوا مغفلين إلى

هذه الدرجة، فإن جلّهم إن لم يكن كلهم يقطعون بأنهم قد شاهدوا الإمام المهديّ عليه السلام نفسه.

الثاني: أنه مما تنفيه الدلائل الواضحة والبراهين اللائحة التي أقامها ـ ويقيمها ـ الإمام المهديّ روحي فداه أثناء المقابلة، وينقلها هؤلاء الناقلون، مما لا يمكن صدورها من أحد سواه، فيتعين أن يكون هو الإمام المهديّ عليه السلام دون غيره.

الوجه الثالث:

أن نعترف بصدق هذه النقولات ومطابقتها للواقع، لكن يُلتزم بوجوب تكذيبها تعبُّداً، إطاعة للأمر الوارد في التوقيع.

يرد عليه:

أنه مما لا يكاد يصح، فإنه خلاف ظاهر الحديث بل صريحه، حيث يقول: «فهو كذّاب مفتر» الدال على عدم مطابقة قوله للواقع، ولم يقل: «فكذّبوه» ليكون من قبيل الأمر الصادر من الإمام ليطاع تعبُّداً، على أنه لا يمكن للإمام المهديّ عليه السلام أن يأمر بالتكذيب مع علمه بوقوع المشاهدة الثابتة عندنا بالتواتر.

الوجه الرابع:

يحمل التوقيع الوارد عنه عليه السلام على دعوى المشاهدة مع إدّعاء الوكالة أو السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام وإيصال الأخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السفراء في الغيبة الصغرى، وهذا أقرب الوجوه، وقد أخذ به مشهور المتأخرين، منهم المجلسي أعلى الله مقامه الشريف[1]. وأما المتقدّمون فقد أجمعوا على جواز لقاء الخلّص من الشيعة بالإمام المهديّ عليه السلام وهذا يعني إلتقاء المتأخرين بهم،

(١) بحار الأنوار ج٥٢/ ١٥١ والنوري في جنة المأوى مطبوع في آخر البحار ج٥٣/ ٣١٩، والصافي في منتخب الأثر ص٤٠٥. =

مما يستتبع القول بوجود اتفاق بين الجميع على هذا الوجه[1].

وبالجملة فإن معناه كما هو الراجح: إدّعاء النيابة الخاصة والسفارة بقرينة أن التوقيع صدر قرب وفاة السمري حيث ورد في أوله تعزية الإمام المهديّ عليه السلام للمؤمنين بموت سفيره الرابع السمري ما بينه وبين ستة أيام، ثم أمره عليه السلام السمري بعدم الوصاية إلى أحد يقوم مقامه بعد وفاته، إذ قد وقعت الغيبة التامة وأنه لا ظهور حتى يأذن الله تعالى ذكره، ويشهد له براءة المؤمنين المعاصرين للغيبة الصغرى أمثال ابن قولويه القمي المتوفى سنة ٣٦٨هـ حيث قال: «إن عندنا أن كل من أدّعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضال مضل»[2]. فالمشاهدة أُخذ فيها الشهود والحضور، بمعنى أن النائب أو السفير كان دائم الحضور والمشاهدة للإمام المهديّ عليه السلام أو على أقل تقدير كان أكثر أوقاته قائماً في خدمة الإمام المهديّ عليه السلام متشرفاً بالحضور بين يديه، وقد استفدنا ذلك من الاطلاق الموجود في كلمة «المشاهدة» حيث هي اسم اتصلت به لام الجنس التي تفيد الاطلاق والشيوع في متعلقها، ولو أراد الإمام عليه السلام غير النيابة والوكالة لكان قال: «ومن ادّعى مشاهدتي... فهو كذاب مفتر» لذا كرّر روحي فداه كلمة «المشاهدة» في التوقيع مرتين، تأكيداً لما قلنا، وعليه: فإن مفهوم المشاهدة قد أُخذ فيها تكرار الرؤية والحضور وهذا غير حاصل لمن رآه مرة أو مرتين لقضاء حاجة أو نجاة من ظالم، وإلاّ لكان عليه أن يعبّر عن هذا بما قلنا آنفاً، أو بقوله: «من ادّعى المشاهدة البصرية» إلا أن الإمام المهديّ عليه السلام لم يقل ذلك، ومقتضاه تكذيب من ادّعى السفارة والوكالة الخاصة التي هي القدر المتيقن من دلالة النص، وما عداه مشكوك به فيبقى ضمن أصالة الجواز أو الإباحة.

● **رأي العلاّمة الصدر «قدس سره»:**

---

(١) بحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٠ـ٣٢٣.

(٢) غيبة الطوسي ص٢٥٥.

نفى الشهيد السعيد محمد صادق الصدر أعلى الله مقامه أن تكون «المشاهدة» بمعنى إدّعاء السفارة فقط بل عمّمه إلى كل من إدّعى الرؤية، فقال:

«حمل التوقيع الشريف على دعوى المشاهدة مع إدّعاء الوكالة أو السفارة عنه عليه السلام، وإن استقربه بعض، إلا أنه في الواقع بعيد جداً، بمعنى أنه خلاف الظاهر من عبارة الإمام المهديّ عليه السلام في بيانه، فإنه يحتاج إلى ضم قيد أو لفظ إلى عبارته لم تقم قرينة على وجودها.. كما لو كان قد قال: ألا فمن إدّعى المشاهدة مع الوكالة فهو كذاب مفترٍ، إلا أن الإمام المهدي عليه السلام لم يقل ذلك كما هو واضح، ومقتضاه عموم التكذيب لمن ادعى السفارة وغيره»[1].

والجواب:

(١) يورد عليه ما ذكرناه آنفاً، مضافاً إلى أن التوقيع لو كان مقتضاه عموم التكذيب لمن ادّعى السفارة وغيره لكان الأجدر أن يحذف لام الجنس من كلمة «المشاهدة» مضيفاً إليها ياء النسبة، كما لو كان قد قال: «ألا فمن ادعى مشاهدتي» من دون ضم قيد آخر إليها حسبما ذكر قدس سره.

(٢) مع وجود قرينة مقامية وعرفية في البين لا حاجة لنصب قرينة لفظية للدلالة على المطلوب، هذا مع أن القرينة قد قامت على نفي السفارة والوكالة كما أفدتُ آنفاً، فدعوى أن التوقيع بحاجة إلى ضم قيد أو لفظ إلى عبارته لم تقم قرينة على وجودها غير تامة لأن التقييد بالوكالة أو السفارة موجود في نفس لفظ «المشاهدة» والذي كما قلنا يفيد استمرار عملية الاتصال بالإمام المهديّ عليه السلام.

هذا مضافاً إلى أن ما أفاده أعلى الله مقامه آنفاً يتعارض مع ما ذكره في موضع آخر من كتابه حيث استظهر هناك «من قوله [إدّعى المشاهدة] بما إذا إدّعى المتكلم رأساً أنه رأى الإمام المهديّ عليه السلام وتعهد بذلك للسامع، فهو المنفي بلسان التوقيع، وأما إذا لم يخبر بذلك صراحة وإنما أوكل الجزم بذلك إلى وجدان

---

(١) الغيبة الصغرى/ السيّد محمد صادق الصدر ص٦٤٤.

السامع فهو مما لا ينفيه التوقيع الشريف»[1] فتخصيصه المشاهدة بهذا التعليل خلاف الاطلاق الذي إدّعاه فيما سبق، هذا مع اعتقاده عليه الرحمة إمكان رؤية الإمام المهديّ عليه السلام في حال كون الرائي قاطعاً[2] بأن ما رآه هو الإمام عليه السلام.

(٣) شمول «المشاهدة» لمن ادّعى السفارة وغيره حسبما أفاد العلّامة الصدر يتعارض مع الأخبار المستفيضة منها: موثقة إسحاق بن عمّار عن الإمام الصادق عليه السلام قال: للقائم غيبتان: إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه[3]. مضافاً إلى ما ورد في الأسانيد المعتبرة منها موثقة أبي بصير عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة ولا بدّ له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة[4].

ومن المعلوم أن من يراه من خاصة مواليه في الغيبة الكبرى ليسوا سفراء أو وكلاء للإمام المهديّ عليه السلام، ومع هذا فقد أثبت الخبر المتقدّم صحة مشاهدتهم لإمامهم المهدي عليه السلام، وكذا الذين يلازمونه من الثلاثين الأبدال في كل عصر حيث قبل أن يتشرفوا باللقاء كانوا محجوبين عن المشاهدة، ودليلنا على ذلك أيضاً ما ورد في خبر عليّ بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي قال:

خرجت في بعض السنين حاجّاً إذ دخلت المدينة وأقمت بها أياماً أسأل وأبحث عن صاحب الزمان فما عرفت له خبراً ولا وقعتْ لي عليه عين فاغتممت غمّاً شديداً وخشيت أن يفوتني ما أملّته من صلب صاحب الزمان، فخرجت حتى أتيت مكة فقضيت حجتي واعتمرت بها أسبوعاً، كل ذلك أطلب، فبينما أنا أفكر إذ انكشف لي باب الكعبة، فإذا أنا بإنسان كأنه غصن بان، متزر ببرده متشح بأخرى

---

(١) نفس المصدر ص٦٤٩.

(٢) نفس المصدر ص٦٥٠.

(٣) غيبة النعماني ص١١٣ وأصول الكافي ج١/ ٣٤٠ ح١٩ وبحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٤.

(٤) أصول الكافي ج١/ ٣٤٠ ح١٦ وبحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٠ وغيبة النعماني ص١٢٥.

قد كشف عطف بردته على عاتقه فارتاح قلبي وبادرت لقصده فأثنى إليّ وقال: من أين الرجل؟ قلت: من العراق، قال من أي العراق؟ قلت من الأهواز، فقال: أتعرف الحضيني؟ قلت: نعم، قال: رحمه الله فما كان أطول ليله وأكثر نيله وأغزر دمعته! قال: فإبن المهزيار؟ قلت: أنا هو، قال: حيّاك الله بالسلام أبا الحسن ثم صافحني وعانقني، وقال: يا أبا الحسن، ما فعلت بالعلامة التي بينك وبين الماضي أبي محمّد نضّر الله وجهه؟ قلت: معي، وأدخلت يدي إلى جنبي (جيبي) وأخرجت خاتماً عليه: محمّد وعليّ، فلما قرأه استعبر حتى بلّ طمره الذي كان عليه وقال: يرحمك الله أبا محمّد فإنك زين الأمة، شرّفك الله بالإمامة وتوجّك بتاج العلم والمعرفة فإنّا إليكم صائرون ثم صافحني وعانقني ثم قال: **ما الذي تريد يا أبا الحسن؟ قلت: الإمام المحجوب عن العالم، قال: ما هو محجوب عنكم ولكن حجبه سوء أعمالكم**، قم سر إلى رحلك وكن على أهبة من لقائه إذا انحطت الجوزاء وأزهرت نجوم السماء، فها أنا لك بين الركن والصفا[1]، فطابت نفسي وتيقنت أن الله فضلني، فما زلت أرقب الوقت حتى حان، وخرجت إلى مطيتي واستويت على رحلي فإذا أنا بصاحبي ينادي يا أبا الحسن، فخرجت فلحقت به فحياني بالسلام وقال: سر بنا يا أخ، فما زال يهبط وادياً ويرقى ذروة جبل إلى أن علقنا على الطائف، فقال: يا أبا الحسن انزل بنا نصلّي باقي صلاة الليل.. إلى أن قال: وركب وأمرني بالركوب وسار وسرت معه حتى أشرفنا على وادي عظيم، فقال: هل ترى شيئاً؟ قلت: نعم أرى كثيب رمل عليه بيت شعر، يتوقد البيت نوراً، فلما رأيته طابت نفسي، فقال لي: **هناك الأمل والرجاء**، ثم قال: سر بنا يا أخ، فسار وسرت بمسيره إلى أن انحدر من الذروة وسار في أسفله، فقال: **انزل فههنا يذلُّ كلُّ صعب، ويخضع كلُّ جبار**، ثم قال: خلِّ عن زمام الناقة، قلت: فعلى من أخلّفها؟ فقال: حرم القائم عليه السلام، لا يدخله إلاّ مؤمن ولا يخرج منه إلا

(١) في نسخة بحار الأنوار ج٥٢/ ١٠: «حتى إذا لبس الليل جلبابه.. صر إلى شعب بني عامر فإنك ستلقاني هناك».

مؤمن، فخلّيت عن زمام راحلتي وسار وسرت معه إلى أن دنا من باب الخباء فسبقني بالدخول وأمرني أن أقف حتى يخرج إليّ ثم قال لي: ادخل هنأك السلامة، فدخلت فإذا أنا به جالس قد اتّشح ببردة واتزر بأخرى، وقد كسر بردته على عاتقه وهو كأُقحوانة أُرجوان قد تكاثف عليها الندى وأصابها ألم الهوى وإذا هو كغصن بان[1] أو قضيب ريحان سمحٌ سخيّ تقي نفي ليس بالطويل الشامخ ولا بالقصير اللازق، بل مربوع القامة مدوّر الهامة صلت الجبين أزجُّ الحاجبين أقنى الأنف سهل الخدّين، على خده الأيمن خال كأنه فتات مسك على رضراضة عنبر.

فلمّا أن رأيته بدرته بالسلام فردّ عليّ أحسن ما سلّمت عليه، قال لي: **يا أبا الحسن قد كنّا نتوقعك ليلاً ونهاراً فما الذي أبطأ بك علينا؟** قلت: **يا سيّدي لم أجد من يدلني إلى الآن،** قال لي: **ألم تجد أحداً يدلك؟! ثم نكت بأصبعه في الأرض، ثم قال: ولكنكم كثّرتم الأموال وتجبرتم على ضعفاء المؤمنين وقطعتم الرحم الذي بينكم فأي عذر لكم؟**

فقلت: التوبة التوبة الإقالة الإقالة، ثم قال: يا ابن المهزيار: لولا استغفار بعضكم لبعض لهلك من عليها إلاّ خواص الشيعة الذين تشبه أقوالهم أفعالهم، ثم قال: يا ابن المهزيار ومدّ يده: ألا أنبئك الخبر إذا قعد الصبي وتحرك المغربي وسار العماني وبويع السفياني يؤذن لوليّ الله فأخرج بين الصفا والمروة في ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً فأجيء إلى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بنائه الأول وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام وأجيء إلى يثرب فأهدم الحجرة وأخرج من بهما وهما طريان[2] فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتهما فيفتتن الناس بهما أشدّ من الفتنة الأولى، فينادي مناد من السماء: يا سماء أبيدي ويا أرض خذي، فيومئذٍ لا يبقى على وجه الأرض

---

(١) البان: شجر سبط القوام لينٌ وورقه كورق الصفصاف.

(٢) أي يحييهما الإمام المهدي عليه السلام ليحاسبهما في الدنيا أمام أعين محبيهما ليكونا عبرةً لغيرهما وفتنة لمن اتبعهما.

إلاّ مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان..»[1].

والعبرة التي نستخلصها من هذا الحديث الشريف هي أمور:

الأول: أن سوء الأعمال تحجب عن رؤية الإمام عليه السلام، إذ كيف يلتقي الظلامُ بالنور. فبما أن ابن مهزيار وصل إلى مرحلة الإخلاص تشرف باللقاء، ومنه نفهم أن الإمام يحتجب عمّن يخاف منه على الإمام عليه السلام، وأفلح عندما قال السيّد المرتضى أعلى الله مقامه:

«إذا كانت العلة في استتار الإمام خوفه من الظالمين، واتقائه من المعاندين، فهذه العلة زائلة في أوليائه وشيعته، فيجب أن يكون ظاهراً لهم، وغير ممتنع أن يكون الإمام يظهر لبعض أوليائه ممن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف، وأن هذا مما لا يمكن القطع على ارتفاعه وامتناعه، وإنما يعلم كلُّ واحد من شيعته حال نفسه، ولا سبيل له إلى العلم بحال غيره»[2].

وقال شيخ الطائفة الطوسي أعلى الله مقامه:

«والذي ينبغي أن يقال: إنّا أولاً لا نقطع على استتاره عن جميع أوليائه بل يجوز أن يبرز لأكثرهم ولا يعلم كل إنسان إلاّ حال نفسه، فإن كان ظاهراً له فعلّته مُزاحة، وإن لم يكن ظاهراً علم أنه إنما لم يظهر له لأمر يرجع إليه وإن لم يعلمه مفصّلاً لتقصير من جهته..»[3].

وقال جمال العارفين ابن طاووس أعلى الله مقامه:

«الإمام عليه السلام حاضر مع الله جلّ جلاله على اليقين، وإنما غاب من لم يلقه عنهم، لغيبته عن حضرة المتابعة له ولربّ العالمين..»[4].

---

(١) دلائل الإمامة للطبري ص٢٩١ ـ ٢٩٢ وبحار الأنوار ج٥٢/ ٩ ـ ١٢.

(٢) بحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٣ نقلاً عن السيد المرتضى.

(٣) بحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٣ نقلاً عن السيد الطوسي.

(٤) بحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٣ نقلاً عن السيد ابن طاووس.

الثاني: أن الإمام المهدي روحي فداه يتوقع دائماً أن يكون الشيعة على درجة من الإخلاص تخوّلهم لنصرة الحق، فهو عليه السلام لا يحب أن يبطأوا عن جنابه المقدّس وهذا ما قاله لابن مهزيار: «كنا نتوقعك ليلاً ونهاراً فما الذي أبطأ بك علينا».

الثالث: استغراب الإمام عليه السلام من ابن مهزيار لمّا قال للإمام: لم أجد من يدلني للوصول إليك، وذلك لأن طريق الوصول واضح ومعالمه لائحة لكنّ السائرين تاهوا عنه لانغمارهم بملذات الدنيا وزخارفها.

الرابع: إن موانع الوصول ثلاثة: (١) كنز الأموال وعدم إنفاقها في سبيل الله، وسبيله عزّ وجل هم أئمة أهل البيت. (٢) التجبر على ضعفاء المؤمنين، بظلمهم وسلب حقوقهم والاعتداء عليهم وإخافتهم وإبعادهم عن نشر تعاليم الأئمة عليهم السلام. (٣) قطع الرحم التي لا بدّ أن توصل، وفي طليعتها صلة الأئمة لكونهم الآباء الحقيقيين للمؤمنين للحديث: «أنا وعليّ أبوا هذه الأمة» وصلة الأتقياء المحبين للأئمة عليهم السلام، مع التأكيد على الإحسان إلى الوالدين والأقارب.

الخامس: أن الإمام المهديّ عليه السلام هو الرجاء والأمل، فمن ابتغى غير وجهه خاب وذلّ، لكونه فديته بأبي وأمي ونفسي وولدي وأهلي الكعبة الكبرى التي يتوجه إليها الأولياء ورد في دعاء الندبة: (أين وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء).

فعلى العبد السالك إلى الله تعالى أن يتوجه إليه عبر السمت والجهة التي أمر الله من خلالها أن يتوجه قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1] وبالتوجه إليه يذلُّ كل صعب ويخضع كل جبار.

الوجه الخامس:

أن يكون المراد من إدّعاء المشاهدة رؤية مكانه عليه السلام ومستقره الذي يقيم

---

(١) سورة البقرة: ١١٥.

فيه، فلا يصل إليه أحد، أما مشاهدته في الأماكن والمقامات المقدّسة وظهوره لإغاثة المضطر فلا ينافي التوقيع المذكور. ذكر هذا الوجه النوري أعلى الله مقامه في جنّة المأوى[1]، واستشهد عليه بما ورد في النص المتقدم من «أن للإمام غيبتين: إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، فالأولى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة شيعته، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة مواليه». وبما ورد أيضاً: «من أنه لا يطلّع على موضعه أحد من ولده، ولا غيره إلا الذي يلي أمره».

يرد عليه:

١ - حمل المشاهدة على مكان إقامته عليه السلام خلاف المتبادر من لفظ المشاهدة فحينما تقول: «شاهدت فلاناً» تقصد رأيته في مكان معين، وهذا المكان أعم من أن يكون مستقره أو مكانه الذي يقيم فيه، ولو أردت المعنى الخاص عليك أن تنصب قرينة على قصدك فتقول مثلاً: شاهدته في داره أو محل إقامته وسكناه. وموردنا من هذا القبيل، فلا يمكن حمل إدّعاء المشاهدة على محل إقامته لعدم وجود قرينة تثبت هذا الفهم.

٢ - إن التعبير الوارد في الرواية الثانية «لا يطلّع على موضعه أحد من ولده ولا غيره إلاّ الذي يلي أمره» يتعارض مع الخبر الوارد عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام من أنه قال: لا بدّ لصاحب هذا الأمر من عزلة، ولا بدّ في عزلته من قوة، وما بثلاثين من وحشة، ونعم المنزل طيبة» حيث يثبت أن جماعة من الناس في كل جيلٍ يعرفون الإمام المهدي ويتصلون به ويرفعون عنه الوحشة، وهذا ما ينفيه الخبر الدال على أنه لا يستطيع أحد التعرف على موضعه حتى ولده، إلاّ المولى الذي يلي أمره.

إن قيل: إنّ التعبير عمّن يلي أمره بصيغة المفرد بقوله: «إلاّ المولى» يراد منه الثلاثون الذين يأتون في كلّ عصر هم ممن يلي أمره، فلا تنافيَ حينئذٍ بين الخبرين!

---

(١) بحار الأنوار ج٥٣/ ٣٢٤.

قلنا: إن التلفظ بالمفرد، مع قصد إرادة الجمع خطأ لا يُصار إليه ما دام قادراً على التعبير بلفظ الجمع، فكان بإمكانه أن يقول: لا يطلّع عليه أحد إلا الذين يلون أمره، وحتى لو قلنا بجواز القصد المزبور فلا يمكن حمل «المشاهدة» على محل إقامته وسكناه لخلو الحديث من كشف الشيعة ومعرفتهم لسكنى وإقامة الإمام المهديّ عليه السلام بعد الصيحة والسفياني.

الشبهة التاسعة عشرة:

قد اشتهر واستفاض من خروج كتاب ورد من الناحية المقدّسة على يد الشيخ المفيد رحمه الله، فكيف يتفق مع ما تسالمت عليه الطائفة من انقطاع السفارة وأن من ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفترٍ، أليس ما ورد على يد المفيد (قدّس سرّه) ادّعاءاً للمشاهدة؟

والجواب:

أولاً: من الصعب الجزم بصدور هذا الكتاب من الناحية المقدّسة للشيخ المفيد «قدّس سره» وذلك لأن أول من ادّعى وجود كتاب من الحجّة المنتَظَر عليه السلام إلى الشيخ المفيد هو الشيخ الطبرسي عليه الرحمة في كتابه الاحتجاج ولم يذكر طريقه وسنده إلى الشيخ المفيد، فالطبرَسي متفرد بذكر الرسالة مع أن الشيخ الطوسي وهو تلميذ المفيد ومن خواصه المقربين إليه لم يذكر ذلك في كتبه بشكل عام لا سيّما عند ترجمة شيخه المفيد، مع أنه أثنى عليه بأبلغ الثناء والمدح، ولو كان هذا الكتاب صادراً من الناحية المقدّسة لناسب ذكره في الترجمة لأنه أبلغ شيء في التعريف بمكانة شيخه، وكذلك الشيخ أبو العبّاس أحمد بن عليّ النجاشي والسيّدين الرضي والمرتضى، كلٌّ هؤلاء لم يذكروا تلك الرسالة المنسوبة لشيخهم المفيد، لا سيّما عند تعرُّضهم لترجمة حياته المباركة مع أنهم أطروا عليه بأحسن الثناء، وكذا غيرهم ممن تأخر عنهم كأمثال ابن إدريس الحلي وأبي الفتح الكراجكي وهو تلميذ المفيد أيضاً لم يتعرض لفحوى الرسالة، وعلى أي حالٍ

سواء أكانت الرسالة منسوبة أم صادرة من مولانا الحجّة المهديّ المنتظر «عجّل الله فرجه الشريف» فلا يشملها ما ورد في التوقيع الصادر عن السفير الرابع السمري رضي الله عنه وأرضاه وذلك لوجود فرق بين السفير وبين مثل المكاتبة التي تشرّف بها المفيد أعلى الله مقامه على فرض صحة ذلك، وحاصل الفرق: هو أن السفراء ـ كالنواب الأربعة في الغيبة الصغرى ـ منصوبون من قبل الإمام الحجّة المنتظر روحي فداه بنحو دائم كحلقة وصلٍ بين الشيعة والإمام عليه السلام بحيث يكون على اتصال مستمر من وإلى الحجّة عليه السلام يسلّمه ويستلم منه الرسائل المتضمنة للفتاوى والأحكام، وتظهر الخوارق على يديه من قبل مولانا الحجّة المنتظر «فديته بنفسي» مع إظهار السفير سفارته لأجلّاء الطائفة حرسها المولى، وأين هذا من مثل المكاتبة المذكورة؟! فالمراد من البابية المحرّمة في عصر الغيبة الكبرى هي أن يكون الوسيط باباً في استلام وإظهار الفتاوى والأحكام على يده، وشيء من هذا لم يدّعيه الشيخ المفيد لنفسه، بل صرّح عليه الرحمة بالعكس من ذلك حيث ذكر في كتابه «الرسائل الخمسة في الغيبة» انقطاع السفارة بموت السفير الرابع في الغيبة الصغرى، وذكر ذلك في كتاب الإرشاد في الفصل الذي عقده للإمام الثاني عشر عليه السلام، كما أنه عليه الرحمة ذكر عن شيخه أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه: «إن عندنا أن كل من ادّعى الأمر بعد السمري فهو كافر منمس ضال مضل»، هذا مع أن الشيخ المفيد كُتب إليه من الحجّة عليه السلام لا أنه أرسل كتاباً ثم أتاه الجواب.

ثانياً: أنّ موصل التوقيع إلى الشيخ المفيد مجهول، وهب أن الشيخ المفيد جزم بقرائن أنّ التوقيع صدر من الناحية المقدّسة، ولكن كيف يمكننا الجزم بصدوره من تلك الناحية، على أن رواية الاحتجاج لهذا التوقيع مرسلة، والواسطة بين الطبرسي والشيخ المفيد مجهول[1].

• وعلى تقدير ثبوت الكتاب فإن التكذيب لا يشمله لخروجه عن مفهوم

---

(١) معجم رجال الحديث/ الخوئي ج١٧/ ٢٠٩.

المشاهدة لكونه صدر ابتداءاً من الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام إلى الشيخ المفيد من دون دعوى المشاهدة، وعليه فلا يكون مشمولاً للعن ولا التكذيب، لأن كل ما يصدر ابتداءاً من الإمام عليه السلام كتوجيه نداء أو رسالة عبر بعض الرائين لا يكون مورداً للتكذيب كما قلنا، لأن ناقل النداء أو الرسالة لا يدّعي لنفسه البابية أو السفارة كما كانت وظيفة السفراء الأربعة، فتأمّل.

الشهبة العشرون:

«إن الأئمة عليهم السلام ما كانوا بإخباراتهم تلك ـ عن علائم الظهور ـ يريدون ربط الناس بما سيقع من أجل أن يستغرقوا فيه، أو ليكون ذلك عذراً ومبرراً للوقوف على هامش الساحة في موقع المتفرج.. نعم إنهم ما كانوا يريدون ربط الناس بما سيقع، وإنما بما وقع، أي أنهم يريدون للناس أن يستفيدوا مما وقع ومضى لينعش بهم الأمل، ويشحذ الهمم ويهب لهم الارتباط العاطفي والشعوري بقائد المسيرة ورائدها، فالمطلوب إذن هو أن يسهم ما وقع في بعث الأمل ورفع درجة الإحساس والشعور والارتباط بالقائد والقيادة على مستوى أعلى وأكثر حيوية وفاعليّة ويعمق في الإنسان المسلم المزيد من الشعور بالمسؤولية..»[1].

وقال في موضع آخر: «ولا يصح صرف الجهد في التعرف على ما سيحدث، ومحاولات من هذا القبيل لن يكون لها الأثر المطلوب ما دام لم يعد ثمة مجال للاستفادة من الأخبار صحيحها وسقيمها إلا بعد وقوع الحدث»[2].

يرد عليه:

١ ـ إن حصره لدور العلامات بما وقع فقط دون ما سيقع يؤدي إلى نسف المفهوم الشرعي للانتظار والذي أكدت عليه النصوص المتواترة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ويطيح بأهم ركائزه المتمثلة بالعلامات قبل تحققها.

---

(١) دراسة في علامات الظهور/ السيد جعفر مرتضى ص٥٤ ط أولى.

(٢) نفس المصدر ص٥٦.

والمتأمل في نصوص أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم يتحدثون عن دور العلامات قبل وقوعها يجزم بخطأ ما ذهب إليه صاحب الشبهة، لكونها ـ أي العلامات ـ جرس إنذار للمترفين، وهداية للمطيعين، فهي ترشدنا وتنبهنا إلى أحداث مهمة ستقع في المستقبل، وتحذّرنا من التورط بفتنها وانحرافاتها ومشاكلها المترتبة على وقوعها، لذا لا ينجو من تلك الانحرافات إلا من سمع بها وعرفها قبل ذلك معتقداً بصحة صدورها، فعن حذيفة بن اليمان قال: «هذه فتنٌ قد أطلت كجباه البقر، يهلك فيها أكثر الناس إلاّ من كان يعرفها قبل ذلك»[1].

وعن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: هما صيحتان، صيحة في أول الليل وصيحة في آخر الليلة الثانية، قال: فقلت: كيف ذلك؟ قال: واحدة من السماء وواحدة من إبليس، فقلت: كيف تُعرف هذه من هذه؟ قال: يعرفها من كان سمع بها من قبل أن تكون»[2].

وعن زرارة بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ينادي منادٍ من السماء أن فلاناً هو الأمير وينادي منادٍ أن علياً وشيعته هم الفائزون، قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: رجل من بني أمية، وأن الشيطان ينادي أن فلاناً وشيعته هم الفائزون، قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا ويقولون إنه يكون قبل أن يكون، ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون[3].

وفي سؤال المدائني للإمام الصادق عليه السلام عن الإمام المهديّ عليه السلام قال: قلت: فهل هل علامات قبل ذلك؟ فأجابه الإمام عليه السلام: نعم علامات شتى، قلت: ماذا؟ قال: خروج راية من المشرق وراية من المغرب[4].

---

(١) كتاب الفتن/ ابن حمّاد ص١٤ دار الفكر، وعقد الدرر ص٣٣٣.

(٢) الغيبة للنعماني ص١٧٧.

(٣) نفس المصدر ص١٧٧.

(٤) فلاح السائل ص١٧٠.

وهكذا نلاحظ العلامات دائماً تأخذ بأيدينا وأبصارنا وعقولنا إلى ما سيقع لا إلى ما وقع.

٢ ـ إن دعوى عدم وجود فائدة من دراسة العلامات قبل وقوعها، والتأكيد على عدم جدوى التحقيق في موضوعاتها والاطلاع عليها، والاهتمام بها قبل وقوعها، يساهم في تجهيل القواعد الشعبية المؤمنة بقيام الحجّة المنتظر والمعتقدة بوجوب نصرته والذبّ عنه، تجهيليها بكل ما يدور من حولها من مخططات عدوانية لضرب الدين بإسم الدين، ولولا دور العلامات من خلال ما جاءت به النصوص عنهم ودراستها وترقب حدوثها لكان انحرف كثيرون من الناس بواسطة دعاة المهدوية المزيفة التي تطلُّ على المسلمين بين الحين والآخر، بل ولم ينجح هؤلاء في تضليل بعض المسلمين على امتداد التاريخ إلاّ بسبب جهل هذا البعض بالعلامات الحقيقية عن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وعدم اطلاعهم عليها واهتمامهم بها قبل تحققها. فقد حذّرت رواياتنا من جماعة يستغلون الدين وشعاراته ليحرفوا الأمة عن مسارها، من هذه الروايات ما جاء عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يعرف أي من أي»[١].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «لا يخرج القائم حتى يخرج اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو إلى نفسه»[٢].

وفي حديث عن الإمام الباقر عليه السلام مع بريد عن علامات الظهور القريبة قال: يا بريد اتق جمع الأصهب، قلت: وما الأصهب؟ قال: الأبقع، قلت: وما الأبقع؟ قال: الأبرص، واتق السفياني واتق الشريدين من ولد فلان، يأتيان مكة يقسمان بها الأموال، يتشبهان بالقائم، واتق الشذاذ من ولد آل محمّد[٣].

---

(١) غيبة النعماني ص١٥١.

(٢) غيبة الطوسي ص٢٦٧.

(٣) بحار الأنوار ج٥٢/٢٦٩ ح١٦٠.

وعليه فكيف يمكن أن نتقي جمع الأصهب والسفياني والشذاذ من آل محمّد وهم الذين يظهرون للناس تارة بإسم السيّد الحسني أو الخراساني، وأخرى بإسم شعيب بن صالح وثالثة بإسم اليماني ويغير ذلك من علامات الظهور الأخرى المقدّسة؟ وهل يمكن النجاة من السقوط في تيار رايات الضلال في آخر الزمان، من دون معرفة مسبقة بعلاماتها وأوصافها والظروف التاريخية لظهورها كما تحدثنا أخبار العلامات[1]؟

وكيف يمكن أن نتقي من الاثني عشر راية ضلال متسترة بالدين ونفرّق بينها وبين راية الإمام المهدي عليه السلام من دون أن نتعرّف على جميع علاماته قبل ظهوره؟ وكيف نميز رايات الضلال من رايات الهدى التي تخرج قبل ظهوره إذا لم نستوعب أوصافها ودلائلها المذكورة في أخبار العلامات قبل تحققها؟

٣ ـ إن وجود صحيح وسقيم في أخبار الظهور لا يلغي دور العلامات ودراسة مضامينها طبقاً للموازين العلمية، مما يضفي على المدقق فيها والمتتبع لها رونقاً فكرياً سليماً يجعله يعيش حالة الانتظار لإمام زمانه عليه السلام بكل كيانه ووجوده، مستغرقاً في الاستطلاع على خصوصيات أفعال إمامه وما يتعلق به وبحركة ظهوره مما يستلزم أن يكون مشاركاً ومساهماً بالعلم والعمل في بناء الهيكلية العقائدية الصحيحة تمهيداً ليوم الظهور المبارك.

فإطلاق الدعوى بعدم جدوى البحث في علامات الظهور ما دام لم يعد ثمة مجال للاستفادة من الأخبار إلاّ بعد وقوع الحدث، ينسف ما تستهدفه تلك الأخبار من وجوب إقامة الحجّة على المجتمع البشري وإنذاره بقرب يوم الخلاص العالمي، بالإضافة إلى ما تستهدفه تلك الأخبار من إيقاظ الأمة من سباتها العميق وغفوتها الطويلة، لإعدادها فكرياً وروحياً وسياسياً لاستقبال قائدها المرتقب لتشارك بقيادته في صنع مستقبل البشرية الزاهر في ظل رسالة العدل الإلهي.

---

(١) مبادىء الثقافة المهدوية ص١٤٢.

كما أن عدم جدوى البحث في العلامات ـ حسبما جاء في الشبهة ـ يلغي دور العلامات المحتومة التي لا يقع فيها التغيير، كا هو صريح الأخبار المتواترة، ومن خلالها يمكن رسم خارطة سياسية تحدّد للإمة الإسلامية معالم حركة الظهور، وأما غير المحتوم من العلامات فلا يمكن أن تحدّد لنا أهداف الإسلام المتوخاة من خلال ترقبها سوى ما يتعلق بتكوين الشخصية المتزنة والمتصفة بالصبر والانتظار، وهذا بدوره عنصر مهم في بلورة الواقع المؤمن وتهذيبه من الشوائب النفسية والدخيلة على جوهره وكيانه.

«إن إمكانية استطلاع المستقبل المجهول للإنسانية، ومحاولة التعرف على أبرز معالمه الفكرية، وخصائصه الاجتماعية، وصراعاته السياسية، ومكوناته الحضارية بدقة متناهة، أمر تفردت به رسالة الإسلام وحدها ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وإن وضع الدين القيّم والمهيمن على الأديان كلها في ساحة الجهل بأحداث المستقبل، وعدم القدرة على استطلاعها والتعرف عليها قبل تحققها، بحجة أن أهل البيت يريدون لأتباع هذا الدين الارتباط بما وقع دون الالتفات إلى ما سيقع، هو لون من التصورات الاجتهادية الخاطئة لعدم انسجامها مع قيمومة الإسلام على الأديان كلها، وعدم تطابقها مع طريقته في إلقاء الحجّة على أعدائه، قبل أن ينتهي بهم الكفر والانحراف عن مبادئه إلى الطريق المسدود، فحينئذٍ يصبح دين (نوستردامس) في تنبؤاته عن مستقبل الحضارة البشرية في صراعاتها السياسية، ومعاركها الجوية والبحرية هو الدين القيم المهيمن على الأديان كلها في طريق إلقاء الحجّة على المجتمع البشري، وهدايته إلى الموقف الحق لإنقاذه من الخطر المحدق به، وليس الإسلام الموصوف في كتاب الله تعالى بأنه دين الهداية والبشرى للمسلمين[2] بقوله تعالى ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) مبادىء الثقافة المهدوية/ للشيخ مهدي الفتلاوي ص١٤٩.

وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام أوصوا شيعتهم المنتظرين بضرورة الانفتاح على دلائل الظهور وعلاماته، لرصد حركة الواقع بوعي ودقة، محذّرين من الانزلاق وراء رايات الضلال التي تخرج قبل اليوم الموعود، فالدعوة إلى التطلع إلى الحاضر دون المستقبل تعني التخلي عن الانفتاح على علامات الظهور التي من خلالها نتطلع إلى قائدنا المغيّب المهدي المنتظر عليه السلام، وهي دعوة صريحة لرفض توجيهات أهل البيت في مسألة الانتظار والتمرد عليها وإن تظاهرت بإسم الدين ولبست مسوح البحث العلمي.

وللعلامات دور بارز في تنشيط الحركة الثقافية المهدوية لدى القواعد الشعبية العاشقة لإمام الزمان روحي فداه، بحيث تجعل المؤمن المنتظر يعيش حالة التربُّص واليقظة الدائمة ليكون حارساً أميناً على المحافظة على مبادىء إمام زمانه، كما أنها تحوّل العقيدة بالإمام المهديّ عليه السلام من قضية إيمانية ذاتية تجريدية إلى قضية سياسية كبرى في الأمة، تقود المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم في ساحة الصراع مع أعداء إمامهم المغيّب (عجّل الله فرجه الشريف) بآمالها الكبيرة التي تشعها في النفوس، فتبدد بنورها وهداها ظلام اليأس والقنوط، عند اشتداد ضغوط الظلم والجور، وتكالب قوى الكفر والطاغوت في ساحة الصراع عليهم.

إن ترقب وقوع علامات الظهور والتعامل مع أحداثها السياسية التي تتحقق على الأرض يزيد من التزام المؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة، في حياته الفردية والاجتماعية، نتيجة لشعوره بقرب تحقق اليوم الموعود، واستعداداً لاستقبال وليّ الله الأعظم، حيث لا مجال لمهادنة المشركين والكافرين والنواصب والمنحرفين في دولته المباركة، فمن لم يكن مستعداً بكل قواه الروحية والفكرية والنفسية لاستقبال بقية الله قبل ظهوره، لا يملك المقدمات الذاتية والسلوكية التي تؤهله

(١) سورة النحل: ٨٩.

للالتحاق برايته المقدّسة. . اللّهم اجعلنا من العارفين به والذابين عنه والدالين عليه والمستشهدين بين يديه، اللّهم أرنا الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة وأكحل نواظرنا بنظرة منه إلينا وعجّل فرجه وسهّل مخرجه والعن أعداءه بحق الحق والدال على الصدق محمّد وآله الميامين العظام.

هذا ما أحببت إيراده من الشبهات حول مولانا الإمام الحجّة المنتظر عليه السلام مع الإجابة عليها بعون الله عزّ وجلّ، مقتصراً عليها دون غيرها من البحوث المتعلقة بشخصه الكريم، تاركاً هذا الأمر لوقت آخر إنْ منّ الله تعالى علينا بالتوفيق والحياة.

ولنرجع إلى متن مؤتمر علماء بغداد.



قال الملك للعبّاسي:

فلماذا أنت تنكر الحقائق الواردة عندنا نحن السُّنّة؟

قال العبّاسي: خوفاً على عقيدة العوام أن تتزلزل وتميل قلوبهم نحو الشيعة!

قال العلوي: إذن أنت أيُّها العبّاسي مصداق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩).

فشملتك اللعنة من الله تعالى.. ثم قال العلوي:

أيُّها الملك، اسأل العبّاسي هل يجب على العالم المحافظة على كتاب الله وأقوال رسول الله أم يجب المحافظة على عقيدة العوام المنحرفة عن الكتاب والسُّنّة؟

قال العبّاسي:

إني أحافظ على عقيدة العوام حتى لا تميل قلوبهم إلى الشيعة لأن الشيعة أهل بدعة(*)!.

(*) عرّف اللغويون «البدعة» بأنها «الحدث وما ابتُدعَ من الدين بعد الإكمال، وقال ابن السكيت: كلُّ مُحْدَثة»[1].

وعرّفها آخر: بأنها ما أحدث على غير مثالٍ سابق[2].

---

(١) لسان العرب ج٨/ ٦.

(٢) المنجد الأبجدي ص١٩٥ ومجمع البحرين ج٤/ ٢٩٨.

وقال ثالث: «البدعة» الحالة المخالفة، وهي اسم من الابتداع، ثم غلّب استعمالها على ما هو نقص في الدين، أو زيادة، وكل محدثة»[1].

وأجود ما قيل: «إن البدعة بالكسر فالسكون الحديث في الدين، وما ليس له أصل في كتاب ولا سنّة، وإنما سميت بدعةً لأن قائلها ابتدعها هو نفسه»[2].

والبدعة اصطلاحاً: إسناد حكم إلى الشريعة المقدّسة دون أن يكون عليه دليل شرعي. أو بتعبير آخر: هي إقحام شيء في الدين أو إخراجه من دون دليل شرعي.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة بشأنها وذم فاعلها:

(١) فعن رسول الله ﷺ قال: شر الأمور محدثاتها ألا وكل بدعة ضلالة، ألا وكل ضلالة في النار[3].

(٢) وعنه ﷺ قال: إياك أن تسنّ سنّة بدعة فإن العبد إذا سنّ سنّة سيئة لحقه وزرها ووزر من عمل بها[4].

(٣) وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

ما أُحدثت بدعة إلا تُرك بها سنّة، فاتقوا البدع والزموا المهيع، إن عوازم الأمور أفضلها وأن محدثاتها شرارها.

(٤) وعنه أيضاً قال:

أما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله ولكتابه ورسوله، العاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا[5].

---

(١) معجم متن اللغة ج١/ ٢٥٥.

(٢) مجمع البحرين ج٤/ ٢٩٨.

(٣) أمالي المفيد ١٨٨/ ١٤.

(٤) ميزان الحكمة ج١/ ٢٣٦ نقلاً عن بحار الأنوار.

(٥) نفس المصدر السابق.

(٥) وعن رسول الله قال: إذا رأيتم صاحب بدعة فاكفهرّوا في وجهه.

وعنه أيضاً قال: من تبسّم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه.

وعنه ﷺ قال: من أتى ذا بدعة فوقّره فقد سعى في هدم الإسلام.

وعنه أيضاً قال:

أهل البدع كلاب أهل النار.

وعنه قال:

أهل البدع شر الخلق والخليقة.

وعنه ﷺ قال: عملٌ قليل في سُنّة خير من عمل كثير في بدعة[١].

● وورد في مصادر العامة:

ـ عن النبيّ ﷺ أنه قال:

من مشى إلى صاحب بدعة ليوقّره فقد أعان على هدم الإسلام[٢].

ـ وأخرج المتقي الهندي عن حذيفة عن النبيّ ﷺ قال:

لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا حجّاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين[٣].

ـ وعن نافع عن ابن عمر قال:

قال رسول الله ﷺ: من قال في ديننا برأيه فاقتلوه[٤].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) كنز العمال ج١/ ٢٢٢ حديث رقم ١١٢٣ ط/ بيروت.

(٣) نفس المصدر حديث رقم ١١٠٨.

(٤) تاريخ بغداد ج٩/ ٢٢٩ ط/ مصر عام ١٣٤٩هـ.

قال العلوي:

إن الكتب المعتبرة تحدّثنا أن إمامكم عمر بن الخطّاب هو أول من أدخل في الإسلام، وصرّح هو بنفسه حين قال:

(نعمت البدعة هذه) وذلك في قصة صلاة التراويح لمّا أمر الناس أن يصلوا النافلة جماعة مع العلم أن الله والرسول حرّما النافلة جماعة، فكانت بدعة[1] عمر مخالفة صريحة لله والرسول.

---

(١) أخرج البخاري في كتاب التراويح من الصّحيح عن عبد الرحمان بن عبد القاري قال: خرجت مع عمر ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرّقون.. إلى أنْ قال: فقال عمر: إنّي أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أمثل، ثمّ عزم فجمعهم على أبيّ بن كعب (قال:) ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعمت البدعة هذه..

قال العلاّمة القسطلاني في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من «إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري» عند بلوغه إلى قول عمر في هذا الحديث: «نعمت البدعة هذه»؛ ما هذا لفظه: سمّاها بدعة لأنّ رسول الله لم يسنّ لهم، ولا كانت في زمن الصدّيق، ولا أوّل الليل ولا هذا العدد.. الخ. وفي «تحفة الباري» وغيره من شرح البخاري مثله فراجع.

وقال العلاّمة أبو الوليد محمّد بن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه «روضة المناظر»: هو أوّل من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز، وأول من جمع الناس من [ظ: على] إمام يصلّي بهم التراويح.. الخ.

ولما ذكر السيوطي في كتابه «تاريخ الخلفاء» أوليات عمر نقلاً عن العسكري

قال: هو أول من سمّي أمير المؤمنين، وأول من سنّ قيام شهر رمضان ـ بالتراويح ـ، وأوّل من حرّم المتعة، وأوّل من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات.. الخ.

وقال محمّد بن سعد ـ حيث ترجم عمر في الجزء الثالث من «الطبقات» ـ: وهو أوّل من سنّ قيام شهر رمضان ـ بالتراويح ـ وجمع الناس على ذلك، وكتب به إلى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة، وجعل للناس بالمدينة قارئين: قارئاً يصلي التراويح بالرجال وقارئاً يصلّي بالنساء.. الخ. وقال ابن عبد البر في ترجمة عمر من «الاستيعاب»: وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الإشفاع فيه[1].

وقال العلاّمة المجاهد السيّد عبد الحسين شرف الدين أعلى الله مقامه:

«إنّ صلاة التراويح ما جاء بها رسول الله صلّى الله عليه وآله ولا كانت على عهده بل لم تكن على عهد أبي بكر، ولا شرّع الله الاجتماع لأداء نافلة من السنن غير صلاة الاستسقاء. وإنّما شرّعه في الصلوات الواجبة كالفرائض الخمس اليومية وصلاة الطواف والعيدين والآيات وعلى الجنائز.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقيم ليالي رمضان بأداء سننها في غير جماعة، وكان يحض على قيامها فكان الناس يقيمونها على نحو ما رأوه صلى الله عليه وآله يقيمها.

وهكذا كان الأمر على عهد أبي بكر حتّى مضى لسبيله سنة ثلاث عشرة للهجرة وقام بالأمر بعده عمر بن الخطاب فصام شهر رمضان من تلك السنة لا يغيّر من قيام الشهر شيئاً، فلمّا كان شهر رمضان سنة أربع عشرة أتى المسجد ومعه بعض أصحابه، فرأى الناس يقيمون النوافل وهم ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد وقارىء ومسبّح ومحرم بالتكبير ومُحلّ بالتسليم في مظهر لم يرقه، ورأى من واجبه

---

(١) النص والاجتهاد ص٢٣٢ نقلاً عن البخاري.

إصلاحه فسنَّ لهم التراويح أوائل الليل من الشهر وجمع الناس عليها حكماً مبرماً، وكتب بذلك إلى البلدان ونصب للناس في المدينة إمامين يصلّيان بهم التراويح: إماماً للرجال وإماماً للنساء. وهذا كلّه أخبار متواترة.

وحسبك منها ما أخرجه الشيخان في صحيحهما من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ قام رمضان ـ أي بأداء سننه ـ إيماناً واحتساباً غفر الله من تقدّم من ذنبه»؛ وأنّه صلى الله عليه وآله توفّي والأمر كذلك ـ أي وأمر القيام في شهر رمضان لم يتغيّر عمّا كان عليه قبل وفاته صلى الله عليه وآله ـ ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر[1].



(١) النص والاجتهاد/ السيد عبد الحسين شرف الدين ص٢٣١.

ثم ألم يبدع عمر في الآذان بإسقاط «حيَّ على خير العمل»[1] وزيادة (الصلاة خير من النوم).

---

(١) إن هذا الفصل (حيّ على خير العمل) كان على عهد رسول الله جزءاً من الآذان ومن الإقامة، لكنّ عمر بن الخطّاب في آخر عهده حرّمها حينما صعد المنبر مهدّداً بقوله: ثلاث كُنّ على عهد رسول الله وأنا أنهى عنهنّ وأحرمهنّ وأعاقب عليهنّ: متعة النساء، ومتعة الحج، وحيّ على خير العمل[1].

وما أفاده العامة من أن عمر بن الخطاب قد حذفها حرصاً منه على ألا يترك المسلمون الصلاة اعتماداً منهم على الجهاد ليس هو العلة في حذفها، وإلاّ لما استمر العامة عليها إلى زماننا هذا لسقوط الجهاد في بعض العصور إن لم يكن جلّها، وقد كشفت أخبار أئمة أهل البيت عليهم السلام عن العلة الحقيقية التي أدت إلى إسقاط القوم لهذا الفصل، فقد روى الصدوق في كتاب العلل عن ابن أبي عمير أنه سأل أبا الحسن عليه السلام عن «حيّ على خير العمل» لم تركت من الآذان؟ فقال: تريد العلة الظاهرة[2] أو الباطنة؟ قلت أريدهما جميعاً؟ فقال: أمّا العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد اتكالاً على الصلاة، وأما الباطنة فإن خير العمل الولاية، فأراد مَنْ أمر بترك حيّ على خير العمل من الآذان أن لا يقع حثٌّ عليها ودعاء إليها[3].

وفي معاني الأخبار بسنده عن محمّد بن مروان عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتدري ما تفسير (حيّ على خير العمل)؟ قال: قلت لا، قال: دعاك إلى البرّ، أتدري برّ من؟ قلت لا، قال: إلى برّ فاطمة وولدها عليهم السلام [4].

---

(١) نص عليه القوشجي في أواخر مبحث الإمامة من شرح التجريد وقد أثبتنا سابقاً مصادره.

(٢) أي الظاهر والمشهور عند الناس، وإلاّ فما بالخفاء لا يعلمه إلا الأوحدون وهم آل البيت عليهم السلام.

(٣) وسائل الشيعة ج٤/ ٦٤٧ ح١٦ والحدائق ج٧/ ٤٣٨.

(٤) الحدائق ج٧/ ٤٣٨ وبحار الأنوار ج١٨/ ١٧٠ ومعاني الأخبار ص٤١.

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام سئل عن معنى «حيّ على خير العمل» فقال: خير العمل الولاية. قال الشيخ الصدوق: وفي خبر آخر «العمل» برُّ فاطمة وولدها عليهم السلام[1].

وما روي في كتاب العلل لمحمّد بن علي بن ابراهيم بن هاشم قال: علة الآذان أن تكبّر الله وتعظّمه وتقرّ بتوحيد الله وبالنبوّة والرسالة وتدعو إلى الصلاة وتحث على الزكاة.. ومعنى «حيّ على الصلاة» أي حُثّ على الصلاة، ومعنى «حيّ على الفلاح» أي حُثّ على الزكاة، وقوله «حيّ على خير العمل» أي حُثّ على الولاية، وعلة أنها خير العمل أن الأعمال كلها بها تقبل[2].

إذن ليس صحيحاً ما ورد من التعليل الذي إدّعاه العامة وورد في بعض مصادرنا كخبر ابن أبي عمير وخبر عكرمة قال: قلت لابن عبّاس أخبرني لأيّ شيء حذف من الآذان «حيّ على خير العمل»؟ قال: أراد عمر بذلك أن لا يتكل الناس على الصلاة ويدعو الجهاد فلذلك حذفها من الآذان»[3] وذلك:

أولاً: إن فصول الآذان والإقامة من الأمور التوقيفية التعبُّدية فلا يجوز حذف بعضها مهما كان المبرّر الذي يدّعون، لكون الحذف بدعةً محرّمة نهى الشارع المقدّس عنها.

ثانياً: منافاة الحذف للإجماع وسيرة المسلمين المتصلة بعمل المعصوم عليه السلام وكل من خالف المأثور الثابت عن المعصوم فقد شط عن الإسلام.

ثالثاً: تعليلهم[4] العليل نظير ما نقله أولياء عمر عنه أيضاً في تحريمه لمتعة

---

(١) معاني الأخبار ص٤١.
(٢) الحدائق ج٧/ ٤٤٠.
(٣) الحدائق ج٧/ ٤٣٨.
(٤) الحدائق ج٧/ ٤٣٩.

الحج بقوله: «كرهت أن يخرجوا إلى الحج ورؤوسهم تقطر من نسائهم» وقوله: «كرهت أن يكونوا معرّسين تحت الأراك ثم يخرجون إلى الحج ورؤوسهم تقطر من نسائهم» أرأيت أن الله عزّ وجلّ الذي أمر بهذين الحكمين لا يعلم بهذا الأمر الذي علّل هذا المرتد به في كلٍّ من الموضعين، فذهب ذلك عن علم الله سبحانه وإنما اهتدى إليه هو؟ ولقد صدق عليه قوله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

ولم يكتفِ عمر بن الخطّاب بالحذف من فصول الآذان حتى زاد فيه «الصلاة خير من النوم» في صلاة الصبح، فقد روى مالك في موطأه تحت عنوان ما جاء في النداء للصلاة قال: بلغني أن المؤذن جاء عمر بن الخطّاب مؤذّنه لصلاة الصبح فوجده نائماً، فقال: الصلاة خير من النوم، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح.

وعن الزرقاني عند وصوله إلى هذا الحديث من شرح الموطأ قال: (هذا البلاغ أخرجه الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر).

ومثله ما في كنز العمال عن الدارقطني وابن ماجة والبيهقي عن ابن عمر: «إن عمر قال لمؤذّنه إذا بلغت (حيّ على الفلاح) في الفجر فقل الصلاة خير من النوم الصلاة خير من النوم مرتين.

ومثله أيضاً عن ابن أبي شيبة من حديث هشام بن عروة.

وفي الكنز عن عبد الرزّاق عن ابن جريج قال: أخبرني حسن بن مسلم: أن رجلاً سأل طاوساً متى قيل (الصلاة خير من النوم)؟ فقال: أما إنها لم تقل على عهد رسول الله.

ولا ينبغي التأمل في أن لفظ (الصلاة خير من النوم) من البدع وذلك:

---

(١) سورة محمّد: ٩.

(١) لغلو أكثر الأخبار المبيّنة لفصول الآذان عن هذه الزيادة، فيدل على أنها بدعة.

(٢) لمناهضة الزيادة لسيرة المسلمين كما قلنا، ويشهد له اعتراف عمر نفسه بهذا كما أشرنا في الأخبار المتقدّمة، ولما رواه الترمذي في باب ما جاء في التثويب في الفجر عن مجاهد، قال: دخلت مع عبد الله بن عمر مسجداً وقد أذن فيه ونحن نريد أن نصلّي فيه فثوّب المؤذن فخرج عبد الله بن عمر من المسجد وقال: أخرج بنا من عند هذا المبدع ولم يصلّ فيه.

وورد مثله في كتاب الصلاة من كنز العمال نقلاً عن عبد الرزاق والضياء في المختارة.



ألم يبدع بإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم خلافاً للرسول(*).

ألم يبدع في إلغاء متعة الحج خلافاً للرسول؟

ألم يبدع في إلغاء متعة النكاح خلافاً للرسول؟

(*) قال الأستاذ خالد محمّد خالد: لقد ترك عمر بن الخطّاب النصوص الدينية المقدّسة من القرآن والسنّة عندما دعته إلى ذلك المصلحة فلبّاها فبينما يقسّم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظاً من الزكاة ويؤديه الرسول، ويلتزمه أبو بكر يأتي عمر فيقول: إنّا لا نعطي على الإسلام شيئاً، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[1].

يرد عليه:

هل أن عمر أدرى بمصلحة الرعيّة من رسول الله؟ وهل كانت شريعة رسول الله محمّد ناقصة حتى جاء عمر ليتمّمها، أم أن التشريع كان زائداً عن حاجة المكلّفين، فأراد عمر أن يقوّمه ويرفعه عنهم حرصاً منه عليهم من الله ورسوله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] وقال في آية أخرى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[3].

---

(١) الديمقراطية أبداً ص١٥٥ ط/٣ سنة ١٣٥٨هـ المطبعة العمومية بدمشق.

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة المائدة: ٤٤.

ألم يبدع في إلغاء إجراء الحدّ على خالد بن الوليد خلافاً لأمر الرسول بحدّ الجاني(*)....

إلى غير ذلك من بدعكم أيّها السُنّة التابعون، فهل أنتم أهل بدعة أم نحن الشيعة؟

قال الملك للوزير: هل صحيح ما ذكره العلويّ من بدع عمر في الدين؟

قال الوزير: ذكر ذلك جماعة من العلماء في كتبهم.

قال الملك: إذن كيف نتّبع إنساناً يُبدع في الدين؟

قال العلوي: نعم يحرم اتّباع هكذا إنسان، لأن رسول الله ﷺ قال: «كل بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار[1]»، فالذين يتّبعون عمر في بدعه ـ وهم عالمون بالأمر ـ فهم من أهل النار.

(*) الثابت أن أبا بكر هو الذي ألغى إجراء الحدّ على خالد بن الوليد الجاني، وليس عمر، وقد ذكرنا سابقاً أن عمر بن الخطّاب طلب من أبي بكر أن يقيم الحدّ على خالد لما قتل مالك بن نويرة وزنى له بزوجته، وقد توعّده عمر بالقتل ولكنه لم يفعل، فما أفاده مقاتل بن عطية في المتن هو الصحيح ولا تناقض في البين كما قد يتصور بعضٌ.

---

(١) راجع أصول الكافي ج١/ ٥٦ ح١٢، وبحار الأنوار ج٢/ ٣٠٣ ح٤٢ وص٣٠٨ ح٦١ والفصول المهمة/ الحر العاملي ص٢٠٣ ط/ قم.

قال العبّاسي: لكن أئمة المذاهب أقرُّوا عمر في ما عمل!

قال العلوي: وهذه بدعة أخرى أيُّها الملك!

قال الملك: وكيف ذلك؟

قال العلوي: لأن أصحاب هذه المذاهب وهم: أبو حنيفة[1].

ومالك بن أنس[2].

---

(١) يُنسب المذهب الحنفي إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى وهو من أهل كابل أو من أهل نسا، وكان اسمه عتيك بن زوطرة، وكان أبوه عبداً مملوكاً لرجل من ربيعة من بني تيم الله ابن ثعلبة من فخذ وهؤلاء يُقال لهم: بني قفل. ولد سنة ٨٠هـ في نسا، ومات ببغداد عام ١٥٠هـ.

(٢) يُنسب المذهب المالكي إلى مالك بن أنس بن مالك بن مالك بن أبي عامر الأصبحي. وُلد سنة ٩٣هجـ بالمدينة، وحملت به أمّه سنتين وقيل أكثر، ومات عام ١٧٩هجـ على قول، قال ابن سعد في الطبقة السادسة من تابعي أهل المدينة: أخبرنا الواقدي قال: سمعت مالك بن أنس يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين، وقد حُمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه.

وقال ابن عبد البر: «وقد ذكر غير الواقدي أن أمّ مالك حملت به ثلاث سنين[1]». وهذه القضية الغريبة العجيبة ـ وهي مدة الحمل الطويلة ـ التي نسجها له محبوه ومقلّدوه، وصلت إلى مرحلة الإعجاز التكويني في مالك فكانت منقبة اقترنت بميلاده كما كانت حياته كلها مناقب حسبما يدّعي هؤلاء، وليس من البعيد أن يتقبّل المعجب بشيء كلّ ما له علاقة فيه وإنْ خالف الحقّ ولم يؤيده العلم وشذّ عن العقل ومجرى العادة، على أن مثل هذا لا يرتفع به مقام مالك إلى فوق مستوى البشر، ولست أدري إذا كان مالكاً قد تفوّق بعبقريته على الأنبياء والمرسلين

والأولياء عليهم السلام حتى إدّعوا له هذه المنقبة التي لم يسبقه إليها سابق ولن يلحقه لاحق، ويكفي في بطلانها: أنّه تقرّر عند الأطباء قديماً وحديثاً أن الحمل لا يمكن أن يمكث في بطن أمه أكثر من سنة، مضافاً إلى أن الاستقراء مع المراقبة الدقيقة يجعلنا نؤمن بأن الحمل لا يمكن أن يمكث في بطن أمه أكثر من تسعة أشهر؛ فهذه الدعوى من شذوذ الطبيعة لم يقم الدليل على صحتها وتحقُّقها خارجاً في عالم التكوين، وعدّها أتباعه من كرامات مالك ومناقبه وكذا بقية المذاهب لم يتعرضوا لها بسوء من قريب أو بعيد، كلٌّ ذلك لأن صاحبها مالك بن أنس، ولكن لمّا تصل النوبة إلى عصمة آل البيت عليهم السلام - التي يعتقدها الإمامية لأئمتهم الميامين - يستنفر علماء العامة عن بكرة أبيهم على الشيعة بنعتهم بكلّ ما يستقبح جريه على اللسان، جرمنا وذنبنا أننا لسنا مالكيين أو شافعيين أو حنبليين أو حنفيين!



والشافعي[١]. وأحمد بن حنبل[٢].

[فهؤلاء] لم يكونوا في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله، بل جاؤوا بعده بمائتي سنة ـ تقريباً ـ؛ فهل المسلمون الذين كانوا بين عصر الرسول وبين عصر هؤلاء كانوا على باطل وضلال؟! وما هو المبرّر في حصر المذاهب في هؤلاء الأربعة وعدم اتباع سائر الفقهاء؟! وهل أوصى الرسول بذلك؟!!

قال الملك: ما تقول يا عبّاسي؟

قال العباسي: كان هؤلاء أعلم من غيرهم!

قال الوزير: نعم ذكر ذلك جماعة من العلماء في كتبهم.

قال الملك: فهل أنّ علم العلماء جفّ دون هؤلاء؟!

قال العبّاسي: ولكنّ الشيعة أيضاً يتّبعون مذهب جعفر الصادق!

قال العلويّ: إنما نحن نتّبع مذهب جعفر لأنّ مذهبه مذهب رسول

---

(١) يُنسب المذهب الشافعي إلى محمّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطّلب. وقيل أنّ شافعاً كان مولىً لأبي لهب فطلب من عمر أنْ يجعله من موالي قريش، فامتنع عمر عن ذلك؛ ثم أنّه طلب من عثمان ذلك ففعل. ولد سنة ١٥٠هجـ، ومات عام ١٩٨هجـ.

(٢) يُنسب المذهب الحنبلي إلى أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن ذهل بن شيبان. ولد سنة ١٦٤هجـ في بغداد، ومات سنة ٢٤١هجـ فيها[١].

---

(١) من أراد المزيد في معرفة حال هؤلاء فليراجع: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج١/ ١٦٠ـ١٦٩.

الله لأنه من أهل البيت الذين قال الله عنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣) وإلاّ فنحن نتّبع كلّ الأئمة الإثني عشر لكن حيث إنّ الإمام الصادق عليه السلام تمكّن أنْ ينشر العلم والتفسير والأحاديث الشريفة أكثر من غيره من الأئمة حتى كان يحضر مجلسه أربعة آلاف تلميذٍ، وحتى استطاع الإمام الصادق عليه السلام أنْ يجدّد معالم الإسلام بعدما حاول الأمويّون والعباسيّون القضاء عليه، ولهذا سُمّي الشيعة بـ «الجعفريّة» نسبة إلى مجدّد المذهب وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

قال الملك: ما جوابك يا عبّاسي؟

قال العبّاسي: تقليد أئمة المذاهب الأربعة عادة اتّخذناها نحن السنّة.

قال العلويّ: بل أجبركم على ذلك بعض الأمراء، وأنتم اتّبعتم أولئك متابعة عمياء لا حجّة لكم فيها ولا برهان!!

فسكت العبّاسيّ!!

قال العلويّ: أيها الملك أنّى أشهد أنّ العباسي من أهل النار إذا مات على هذه الحالة.

قال الملك: ومن أين علمت أنّه من أهل النار؟!

قال العلوي: لأنّه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» فاسأل أيُّها الملك: من هو إمام زمان العبّاسيّ؟

قال العبّاسي: لم يرد هذا الحديث عن رسول الله!

قال الملك للوزير: هل ورد هذا الحديث عن رسول الله؟

قال الوزير: نعم ورد[1]!

قال الملك مغضباً: كنت أظنّ أنّك أيّها العبّاسي ثقة والآن تبيّن لي كذبك!!

قال العبّاسي: إنّي أعرف إمام زماني!

قال العلويّ: فمن هو؟

قال العبّاسي: الملك!

قال العلوي: اعلم أيّها الملك أنّه يكذب، ولايقول ذلك إلاتملّقاً لك!

قال الملك: نعم إني أعلم أنّه يكذب، وإنّي أعرفُ نفسي بأنّي لا أصلح أن أكون إمام زمان الناس لأنّي لا أعلم شيئاً، وأقضي غالب أوقاتي بالصيد وبالشؤون الإداريّة.

ثم قال الملك: أيها العلويّ فمن هو إمام الزمان في رأيك؟

قال العلويّ: إمام الزمان في نظري وعقيدتي هو الإمام المهديّ عليه السلام كما تقدَّم الحديث حوله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فمن عرفه مات ميتة المسلمين وهو من أهل الجنّة، ومن لم يعرفه مات ميتة جاهليّة وهو في النار مع أهل الجاهلية!

---

(١) راجع صحيح النيسابوري ج٨/١٠٧، وينابيع المودة ص١١٧، ونفحات اللاهوت ص٣، وصحيح مسلم ومسند أحمد ج٤/٩٦. وهذا الحديث معتضد بألفاظ متعددة من طرق شتى. أخرجه الأميني (قده) في غديره نقلاً عن المصادر العامية فلاحظ ج١٠/٣٥٩؛ وأصول الكافي ج١/٣٧٦، و المحاسن ص١٥٤.

وهنا تهلَّلَ وجه الملك شاه، وظهرت آثار الفرح والسرور في وجهه والتفت إلى الحاضرين قائلاً:

اعلموا أيتها الجماعة أنّي قد اطمأننتُ ووثقتُ من هذه المحاورة[1] [وكانت قد دامت ثلاثة أيام] وعرفتُ وتيقّنتُ أنّ الحقّ مع الشيعة في كلّ ما يقولون ويعتقدون، وأنّ أهل السنّة باطلٌ مذهبهم، منحرفة عقيدتهم، وإنّي أكون ممّن إذا رأى الحقّ أذعن له واعترف به، ولا أكون من أهل الباطل في الدنيا وأهل النار في الآخرة ولذلك فإنّني أعلن تشيُّعي أمامكم، ومن أحبّ أنْ يكون معي فليتشيَّع على بركة الله ورضوانه ويُخرج نفسه من ظلمات الباطل إلى نور الحقّ!

فقال الوزير نظام الملك: وأنا كنت أعلم ذلك، وأنّ التشيّع حق، وأنّ المذهب الصحيح فقط هو مذهب الشيعة منذ أيام دراستي ولذا أعلن أنا أيضاً تشيُّعي!

وهكذا دخل أغلب العلماء، والوزراء، والقوّاد الحاضرين في المجلس ـ وكان عددهم ما يقارب السبعين ـ في مذهب الشيعة، وانتشر خبر تشيّع الملك، ونظام الملك، والوزراء، والقوّاد في كافة أقطار البلاد، فدخل في التشيّع عدد كبير من الناس، وأمر نظام الملك ـ وهو والد زوجتي أن يدرّس الأساتذة[2] مذهب الشيعة في المدارس النظامية في بغداد، لكن بقي بعض علماء السُّنَّة الذين أصرّوا على الباطل وبقوا

(١) هذا تأكيد لما قلنا ردّاً على من أشكل على تسمية هذا الكتاب بـ«مؤتمر علماء بغداد» وجعل التسمية إحدى القرائن على أن الكتاب فرضيّة لا حقيقة خارجية، فتدبّر.

(٢) في نسخة أخرى: أن يدرس المؤرخون.

على مذهبهم السابق، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ (البقرة: ٧٤) (*).

وأخذوا يكيدون للملك، ولنظام الملك حيث حمَّلوه تبعة هذا الأمر إذ كان هو العقل المدبّر للملك، وللمملكة حتى امتدت إليه يد أثيمة بتحريك من هؤلاء المتعصبين من السُّنَّة، فاغتالوه في يزدجرد في سفره إلى بغداد في ١٢ رمضان سنة ٤٨٥هـ، وبعد ذلك اغتالوا الملك شاه السلجوقي.

(*) ومن القرائن على تشيُّع الملك شاه ووزيره أمور:

الأول: ما أفاده مقاتل بن عطية في هذه المحاورة من إقرار الملك شاه ونظام الملك بالتشيّع وإعلانهما التشيّع ديناً لهما ولأهل المملكة.

الثاني: زيارتهما لمشهد الإمام الرضا عليه السلام في طوس ـ حسبما نقل ابن الأثير ـ «من أن الملك السلجوقي قال لوزيره نظام الملك: بأيّ شيءٍ دعوت؟ قال: دعوتُ الله أن ينصرك..»[1].

ولو لم يعتقد بإمامة مولانا عليّ الرضا عليه السلام لما حَسُنَ منه زيارته والدعاء تحت قبته الشريفة.

الثالث: نظم مقاتل بن عطية لتلك الأبيات التي أبرز فيها تشيُّع نظام الملك، وتصريحه عن سبب قتله وهو الحقد الدفين عند النواصب.

ـ ويذكر ابن الأثير قصة وفاة نظام الملك فيقول:

«في هذه السنة، عاشر رمضان، قُتل نظام الملك أبو علي الحسن بن عليّ ابن إسحاق الوزير بالقرب من نهاوند، وكان هو والسلطان في أصبهان، وقد عاد

---

(١) الكامل في التاريخ ج١٠/ ٢١١ حوادث سنة ٤٨٥هـ.

إلى بغداد، فلما كان بهذا المكان، بعد أن فرغ من إفطاره، وخرج في ملحفته إلى خيمة حُرمه، أتاه صبي ديلمي من الباطنية، في صورة مستميح أو مستغيث، فضربه بسكين كانت معه، فقضى عليه وهرب، فعثر بطنب خيمة، فأدركوه فقتلوه، وركب السلطان إلى خيمه فسكن عسكره وأصحابه. وكان مولده سنة ثمان وأربعمائة»[1].

ويذكر ابن الأثير[2] أن المدبّر لقتل نظام الملك هو السلطان ملكشاه الذي لم يبق بعد نظام الملك أكثر من خمسة وثلاثين[3] يوماً وبعدها انحلت الدولة ووقع السيف، كما أنه يذكر أن سبب[4] موته أنه أكل لحم صيد فحُمّ وافتصد ولم يستوف إخراج الدم فثقل مرضه، وكانت حمى محرقة فتوفى ليلة الجمعة النصف من شوال.

لنا هنا ملاحظة وهي:

إن ما رواه ابن الأثير من كون السلطان ملكشاه هو المدبّر لقتل نظام الملك يتعارض مع ما رواه مقاتل ابن عطية، فإما أن يتساقطا وإما أن يترجح أحدهما على الآخر، أما الأول فلا يصح لإمكان تقديم قول ابن عطية على قول ابن الأثير، لتقديم شهادة الإمامي على غيره، فيتعين الثاني وهو المطلوب.

وأما ما إدّعاه من أن موت السلطان كان سببه حمى، فأيضاً يتعارض مع قول ابن عطية الذي دل على أن النواصب دبّروا قتله كما دبروا قتل نظام الملك، وقوله في كل الحالات يترجح على قول ابن الأثير، لشهادة الثاني[5] بأن ابن عطية صرّح في أبياته أن الأيام عزّت فلم تعرف قيمة نظام الملك.

---

(١) نفس المصدر ص٢٠٤.

(٢) نفس المصدر ص٢٠٦ وص٢١٠.

(٣) نفس المصدر ص٢٠٦.

(٤) نفس المصدر ص٢١٠.

(٥) ذكر ابن الأثير بيتين من تلك الأبيات التي يمدح فيها ابن عطية تشيع نظام الملك فليراجع الكامل ج١٠/٢٠٦.

قال مقاتل بن عطيّة:

وقد نظمتُ قصيدة رثاء للشيخ العظيم نظام الملك ومنها هذه الأبيات:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤةً	نفيسة[1] صاغها الرحمان من شرفِ
عزّتْ فلم تعرف الأيام قيمتها	فردّها غَيرةً منه إلى الصّدَفِ
إختار مذهب حقٍ في محاورةٍ	تبدي الحقيقة في برهان منكشفِ
دين التشيّع حق لا مراء له	وما سواه سراب خادع السجفِ
لكنّ حقداً دفيناً حرّكوه له	فبات بدر الدجى في ظل منخسفِ
عليه ألف سلام الله تالية	تترى على روحه في الخلد والغرف

هذا وقد كنت أنا حاضراً لمجلس المحاورة، وسجّلت كل ما دار في المجلس حول الموضوع، ولكني حذفت الزوائد، واختصرتُ المجلس في هذه الرسالة.

والحمد لله وحده، والصلاة على محمّد وآله الأطياب وأصحابه الأنجاب.

كتبه في بغداد ـ في المدرسة النظامية ـ مقاتل بن عطيّة أبو الهيجاء شبل الدولة.

(١) نسخة الكامل (يتيمةً).

كلمة ختامية

ليعذرني القارىء الكريم إذا وجد ما لا يبعث على الرضا والقبول، وليعلم أن الحق ثقيل على النفوس التي أخلدت إلى الأرض فاتَّبعت الشهوات والنزوات والأغراض الشخصية، لكنّ القلوب الطيّبة لا تأنس إلاّ بالحق، فهو عندها أحلى من الشَّهْد.

كما أود أن يعفو عن هفوات ـ إن كان ثمة هفوات فيه ـ ويتقبّلها بعين الرضا وحُسْبَةً إلى المولى عزّ وجلّ، وعذري أنني لم أتقصّدها بل غايتي رضا الله تعالى ورسوله ومواليّ الميامين عليهم السلام والذَّوْد عنهم أداءاً لحقهم وشكرهم حينما رأيت تكالب الناس على نبذ فضائلهم ومآثرهم والتقرب إلى أعدائهم وممالأتهم.

ثم إنّ ما حفل به هذا الشرح من براهين وأدلة لم يكن الهدف منه الجمود والاقتصار عليها، بمقدار ما كان مجرد اختزالٍ لها وإجمالٍ لتفاصيلها، حرصاً على أن لا يملّ القارىء، مضافاً إلى حرصنا على عدم تضخيم حجم الكتاب، لذا أجملت البحوث قدر المستطاع، وأدمجت بعضها ببعض تتميماً للفائدة وتذكيراً وتنبيهاً لروّاد الحقيقة، ومن ثمّ لم أُعلّق على كثير من مفاهيم العقيدة والتاريخ والفقه للنكتة المتقدّمة، لكنّ الشرح ـ والحمد لله ـ جاء وافياً شافياً وقاطعاً للعذر وبوار الدعوى التي تمسّك بها المشكّكون والمرجفون والمائلون المتلونون، نسأل الله العليّ القدير أن يسدّدنا ويعصمنا عن الوقوع في الزلات، ويبعد عنّا مضلات الفتن، ويلبسنا العافية في الدين والدنيا، ونعوذ بالله تعالى من همزات الشياطين ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا أنه مجيب كريم وبعباده رؤوف رحيم.

ـ تمّ الفراغ من شرح هذا السفر الجليل في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب الأصبّ عام اثنين وعشرين بعد الألف والأربعمائة للهجرة، على مهاجرها السلام، هذا مع كثرة الأشغال وتوارد الهموم والغموم الصارفة، وكتبه أقلُّ العباد

محمّد بن جميل بن عبد الحسين بن يوسف حمُّود سائلاً المولى تعالى ذكره أنْ يتطلف بنا ويزيدنا إيماناً وتثبيتاً وتوفيقاً، وأن يختم لنا بخيرٍ وعافية، ويجعل جهدي المتواضع تقرّباً لمواليّ الأئمة الأطهار عليهم السلام عسى أن ينظروا إليّ ولوالديّ ولشيعتهم المخلصين بعين الرحمة واللطف، لا سيّما ساقي الحوض وقسيم الجنّة والنار سيّدي ومولاي أمير المؤمنين عليّ المرتضى عليه أفضل التحية والسلام، وأن يكون لي المسدّد والناصر والمعين على قوم تجرّعنا منهم الغصّات في الفترة الأخيرة، فإليك يا سيدي يا عليّ أشكو حالي وأنت ـ وحدك ـ الذي تأخذ لي بثاري يا حبيب قلبي ويا سندي وعمري ويا نور عينيّ ومهجة كبدي يا عليّ يا عليّ يا عليّ.

وسيعلم الذين ظلموا ـ آل بيت محمّد ـ أي منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتقين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

٢٩ رجب/ ١٤٢٢هـ

بيروت ـ الضاحية الجنوبية

﴿وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد﴾ (الكهف/ ١٨)

محمّد جميل حمّود

المصادر والمراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

ألف

٢ ـ **الإحتجاج**: أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي؛ ط. مطبعة النعمان ـ النجف ـ ١٣٨٦هـ.

٣ ـ **أنيس الأعلام**: خير الدين الزركلي؛ ط. بيروت.

٤ ـ **أوائل المقالات**: أبو عبد الله العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ.

٥ ـ **إكمال الدين وتمام النعمة**: أبو جعفر محمّد بن بابويه القمّي الصَّدوق؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ إيران ـ ١٣٩٥هـ.

٦ ـ **الإفصاح في الإمامة**: أبو عبد الله العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ.

٧ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد الكناني العسقلاني؛ ط. مكتبة المثنى ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٢٨هـ.

٨ ـ **أُسْد الغابة**: ابن الأثير أبو الحسن عليّ بن محمّد الجزري؛ ط. دار الكتب العلميّة ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٥هـ.

٩ ـ **إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل**: القاضي الشهيد نور الدين المرعشي التستري؛ توزيع دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت، لبنان ـ بدون تاريخ.

١٠ ـ **الإمامة والسياسة**: الشهير بـ «المعارف» أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري؛ ط. مطبعة أمير ـ قم ـ ١٤١٣هـ.

١١ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين عبد الرحمان السيوطي؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٥هـ.
١٢ ـ **الأحكام السلطانية**: أبو الحسن علي بن محمد البصري الماوردي؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٥.
١٣ ـ **أصول الدين**: عبد القاهر البغدادي؛ طبعة أولى ـ استانبول ـ ١٣٤٦هـ.
١٤ ـ **الإستغاثة في بدع الثلاثة**: أبو القاسم علي بن أحمد الكوفي؛ ط. ـ باكستان ـ بدون تاريخ.
١٥ ـ **الإختصاص**: أبو عبد الله العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ.
١٦ ـ **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**: ناصر مكارم الشيرازي؛ ط. مؤسسة البعثة ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٣هـ.
١٧ ـ **الإستبصار فيما اختلف من الأخبار**: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران، إيران ـ ١٣٩٠هـ.
١٨ ـ **آلاء الرحمان في تفسير القرآن**: محمد جواد البلاغي؛ ط. دار إحياء التراث ـ بيروت ـ بدون تاريخ.
١٩ ـ **الأصول العامة للفقه المقارن**: محمد تقي الحكيم؛ ط. مؤسسة آل البيت ـ النجف، العراق ـ ١٩٧٩م.
٢٠ ـ **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري؛ ط. ليدن.
٢١ ـ **الأنوار القدسيّة (شعر)**: محمّد حسين الأصفهاني؛ ط. النجف.
٢٢ ـ **أضواء على السنّة المحمديّة**: محمود أبو ريّة؛ نشر البطحاء، ط. خامسة ـ بدون تاريخ.
٢٣ ـ **أسباب النزول**: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي؛ ط. دار ابن كثير ـ دمشق ـ ١٤٠٨هـ.
٢٤ ـ **الأمالي**: أبو جعفر الصدوق؛ ط. دار الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٠هـ.

٢٥ ـ الإرشاد: أبو عبد الله العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ١٤١٤هـ.
٢٦ ـ أصول السرخسي: أحمد بن أبي سهل السرخسي؛ نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية ـ الهند ـ بدون تاريخ.
٢٧ ـ أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن عبد الله بن محمّد؛ ط. أوفست ـ لاهور بباكستان ـ.
٢٨ ـ الإنجيل (العهد الجديد): ط. دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، وطبعة أخرى أصدرتها جمعية الكتاب المقدّس في الشرق الأدنى ١٩٧١م.
٢٩ ـ الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري؛ ط. مكتبة دار البيان ـ دمشق ـ ١٤٠١هـ.
٣٠ ـ أهل السنّة شعب الله المختار: صالح الورداني؛ ط. كنّوتة ـ مصر ـ ١٤١٧هـ.
٣١ ـ أسرار على القرآن: جرجس سال؛ ط. بيروت ـ بدون تاريخ.
٣٢ ـ إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ بدون تاريخ، وطبعة أخرى بدار الثقافة الإسلامية ـ مصر ـ ١٣٥٦هـ.
٣٣ ـ الإعتقادات: أبو جعفر الصدوق؛ ط. دار المفيد، بيروت ـ لبنان ١٤١٤هـ.
٣٤ ـ إثبات الوصيّة: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي الهذلي؛ ط. دار الأضواء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٩هـ.
٣٥ ـ الأمالي: أبو عبد الله العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ١٤١٤هـ.
٣٦ ـ إرشاد القلوب: أبو محمّد الحسن بن محمد الديلمي؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٣هـ.
٣٧ ـ إقبال الأعمال: رضي الدين علي بن موسى آل طاووس؛ طبع إيران.
٣٨ ـ الأسرار الفاطميّة: محمّد فاضل المسعودي؛ ط. مطبعة أمير ـ قم ـ ١٤٢٠هـ.

٣٩ ـ اعلموا أنّي فاطمة: عبد الحميد المهاجر؛ ط. دار الكتاب والعترة ـ لبنان ـ ١٤١٣هـ.

٤٠ ـ الإمام المهدي عند أهل السنّة: مهدي الفقيه إيماني؛ ط. دار التعارف ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٢هـ.

٤١ ـ إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون: أحمد بن محمد بن الصديق؛ ط. مطبعة الترقي ـ دمشق ـ ١٣٤٧هـ.

٤٢ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي؛ ط. دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ ١٣٩٩هـ.

٤٣ ـ أصول الكافي: أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ١٣٨٨هـ.

٤٤ ـ الإستيعاب في أسماء الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي؛ ط. مكتبة المثنى ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٢٨هـ بهامش كتاب «الإصابة في تمييز الصحابة» للعسقلاني.

٤٥ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ «تفسير البيضاوي»: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله الشيرازي البيضاوي؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٨هـ.

٤٦ ـ الإمام جعفر الصادق عليه السلام: عبد الحليم الجندي؛ ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٣٩٧هـ.

٤٧ ـ الإجتهاد في مقابل النصّ المعروف بـ «النص والإجتهاد»: عبد الحسين شرف الدين؛ ط. مؤسسة الوفاء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٣هـ.

بـــاء

٤٨ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمّد باقر المجلسي؛ ط. مؤسسة الوفاء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٣هـ.

٤٩ ـ **البرهان في تفسير القرآن**: السيّد هاشم البحراني؛ ط. دار الهادي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٢هـ.

٥٠ ـ **بداية المجتهد**: ابن رشد الأندلسي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت، لبنان ـ.

٥١ ـ **البيان في تفسير القرآن**: أبو القاسم الخوئي؛ ط. دار الزهراء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٢هـ.

٥٢ ـ **بنات النبيّ أمْ ربائبه**: جعفر مرتضى؛ ط. مركز الجواد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٣هـ.

٥٣ ـ **البيان في أخبار صاحب الزمان**: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي؛ مطبوع في آخر الجزء الثاني من «إلزام الناصب» للشيخ اليزدي الحائري، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٩٧هـ.

٥٤ ـ **بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود**: عبد الله الجميلي؛ ط. مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنوّرة ـ ١٤١٤هـ.

٥٥ ـ **البداية والنهاية**: أبو الفداء ابن كثير الدمشقي؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٥هـ.

تـــاء

٥٦ ـ **توراة العهد القديم**؛ ط. جمعيّة الكتاب المقدَّس في الشرق الأدنى ١٩٧١م.

٥٧ ـ **التبيان في تفسير القرآن**: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي؛ ط. مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران ـ ١٤٠٩هـ.

٥٨ ـ **تنقيح المقال في علم الرجال**: عبد الله المامقاني؛ ط. المطبعة المرتضوية ـ النجف الأشرف ـ ١٣٥٢هـ.

٥٩ ـ **تاريخ الخلفاء**: جلال الدين السيوطي؛ نشر الشريف الرضي ـ قم ـ (مطبعة أمير) ١٤١١هـ.

٦٠ ـ **التمهيد في علوم القرآن**: محمد هادي معرفة؛ ط. مطبعة مهر ـ قم ـ ١٤٠٨هـ.

٦١ ـ **تلخيص الشافي**: أبو جعفر الطوسي؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ قم ـ ١٣٩٤هـ.

٦٢ ـ **تاريخ اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر؛ ط. دار صادر ـ بيروت، لبنان ـ.

٦٣ ـ **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة**: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي؛ ط. دار الأضواء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٣هـ.

٦٤ ـ **التوحيد**: أبو جعفر ابن بابويه القمّي الصَّدوق؛ ط. قم (منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة) ـ بدون تاريخ.

٦٥ ـ **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح**: الزبيري؛ ط. مصر.

٦٦ ـ **تنزيه الأنبياء**: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي؛ منشورات الشريف الرضي ـ إيران ـ بدون تاريخ.

٦٧ ـ **تاريخ بغداد**: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي؛ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان ـ.

٦٨ ـ **التراتيب الإدارية**: عبد الحي الكتاني؛ نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان ـ من دون تاريخ.

٦٩ ـ **تذكرة الخواص**: يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي الحنفي الشهير بـ «سبط ابن الجوزي»؛ ط. المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ ١٣٨٣هـ.

٧٠ ـ **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**: حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري؛ ط. مصر ١٣٨٣هـ.

٧١ ـ **التحرير الطاووسي**: حسن بن زيد الدين العاملي المعروف بـ «الشهيد الثاني»؛ ط. دار الذخائر ـ قم ـ ١٤٠٨هـ.

٧٢ ـ **تجلّي الإمامة يوم الغدير**: محمّد جميل حمّود؛ ط. بيروت ـ لبنان ١٤١٥هـ.

٧٣ ـ **تاريخ الأمم والملوك المعروف بـ «تاريخ الطبري»**: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

جيــــم

٧٤ ـ **جامع الرواة وإزاحة الإشتباهات عن الطرق والإسناد**: محمد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري؛ منشورات مكتبة المرعشي النجفي ـ قم ـ ١٤٠٣هـ.

٧٥ ـ **الجامع الصغير**: جلال الدين السيوطي؛ ط. مصر.

٧٦ ـ **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام**: محمد حسن النجفي؛ ط. العربي ـ لبنان ـ الطبعة السابعة، من دون تاريخ.

٧٧ ـ **جنّة المأوى**: محمّد حسين كاشف الغطاء؛ ط. مطبعة شفق ـ تبريز ـ ١٣٩٧هـ.

٧٨ ـ **تفسير الجلالين**: جلال الدين محمّد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت، لبنان ـ.

٧٩ ـ **الجامع لأحكام القرآن المعروف بـ «تفسير القرطبي»**: محمّد بن أحمد القرطبي الأنصاري؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

حـــــاء

٨٠ ـ **حلية الأولياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني؛ ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٨٧هـ.

٨١ ـ **الحوزة تُدين الإنحراف**: محمد علي الهاشمي المشهدي؛ طبع قم ١٤١٨هـ.

٨٢ ـ **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**: يوسف البحراني؛ ط. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة ١٣٦٣ش.

خـــــاء

٨٣ ـ **الخصال**: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصَّدوق؛ ط. مركز المنشورات الإسلامية ـ قم ـ ١٤٠٣هـ.

٨٤ ـ **خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام** : الحافظ أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي؛ طبع النجف الأشرف ١٤٠٣هـ.

٨٥ ـ **الخرائج والجرائح**: قطب الدّين الراوندي؛ ط. مؤسسة النور ـ لبنان ـ ١٤١١هـ.

٨٦ ـ **خلفيات كتاب مأساة الزهراء**: جعفر مرتضى؛ ط. دار السيرة ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٢٢هـ.

دال

٨٧ ـ **الدرّ المنثور في التفسير المأثور**: «مختصر تفسير ترجمان القرآن»: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي؛ ط. دار الكتب العلميّة ـ لبنان ـ ١٤١١هـ.

٨٨ ـ **دلائل الصّدق في الجواب على «إبطال الباطل»**: محمد حسن المظفّر؛ منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم ـ ١٣٩٥هـ.

٨٩ ـ **دلائل الإمامة**: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٨هـ.

٩٠ ـ **دلائل النبوة**: أحمد بن الحسين البيهقي؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٥هـ.

٩١ ـ **الديمقراطية أبداً**: محمّد خالد؛ طبعة ثالثة بالمطبعة العمومية ـ دمشق ـ.

٩٢ ـ **الدليل على موضوعات نهج البلاغة**: علي أنصاريان؛ إنتشارات المفيد ـ طهران ـ ١٣٩٨هـ.

٩٣ ـ **ديوان حافظ ابراهيم**: حافظ ابراهيم؛ ط. دار الكتب المصرية ـ مصر ـ.

٩٤ ـ **ديوان محض الولاء**: يحيى شامي؛ ط. مطابع يوسف بيضون ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٢٠هـ.

ذال

٩٥ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: آقا بزرك الطهراني؛ ط. مطبعة إسماعيليان ـ قم ـ.

٩٦ ـ **ذخائر العقبى**: أحمد بن عبد الله الطبري؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت، لبنان ـ ١٩٧٤م.

راء

٩٧ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني**: أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي؛ ط. دار الفكر ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٧هـ.

٩٨ ـ **رسالة في بناء الإسلام على الشهور القمرية**: محمد حسين الحسيني الطهراني؛ ط. دار المحجّة البيضاء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٧هـ.

٩٩ ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة**: أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان ـ.

١٠٠ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار**: محمود بن عمر الزمخشري؛ ط. مطبعة العاني ـ بغداد ـ وطبعة أخرى من منشورات الشريف الرضي ـ قم ـ ١٤١٠هـ.

١٠١ ـ **روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه**: محمّد تقي المجلسي؛ ط. المطبعة العلمية ـ إيران ـ.

١٠٢ ـ **رجال النجاشي «أحد الأصول الرّجاليّة»**: أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي الكوفي؛ ط. دار الأضواء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٨هـ.

١٠٣ ـ **الرواشح السماويّة**: محمّد باقر بن محمّد الحسيني الاسترابادي الشهير بـ «الميرداماد»؛ ط. قم، إيران.

١٠٤ ـ **رجال الطوسي**: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي؛ ط. المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٣٨٠هـ.

زَيْن

١٠٥ ـ الزهراء المعصومة «أنموذج المرأة العالميّة»: محمد حسين فضل الله؛ ط. دار الملاك ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٨هـ.

١٠٦ ـ زاد المعاد: شمس الدين أبي عبد الله بن قيّم الجوزيّة؛ ط. دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ.

سين

١٠٧ ـ السقيفة: محمّد رضا المظفَّر؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ لبنان ـ ١٣٩٢هـ.

١٠٨ ـ السيرة الحلبيّة: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٠هـ.

١٠٩ ـ السقيفة المعروف بـ«كتاب سليم بن قيس الهلالي الكوفي»؛ ط. دار الإرشاد الإسلامي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ. ونسخة أخرى للشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني ـ محقَّقة ـ؛ ط. مطبعة الهادي ـ إيران، قم ـ ١٤١٦هـ.

١١٠ ـ سنن النسائي: أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي؛ ط. دار إحياء التراث ـ بيروت ـ.

١١١ ـ السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البهقي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ.

١١٢ ـ سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزويني؛ ط. دار الفكر ـ بيروت ـ ١٣٧٣هـ.

١١٣ ـ سنن أبي داوود: أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١١٤ ـ السيرة النبوية: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري؛ ط. مطبعة مهر ـ قم، إيران ـ ١٣٦٨ش.

١١٥ ـ سيّد المرسلين: جعفر السبحاني؛ ط. مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، إيران ـ ١٤١٢هـ.

١١٦ ـ السقيفة والخلافة: عبد الفتاح عبد المقصود؛ ط. دار غريب ـ القاهرة ـ من دون تاريخ.

١١٧ ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار: عباس القمّي؛ ط. دار المرتضى ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

١١٨ ـ سيرة الأئمة الإثني عشر: هاشم معروف الحسني؛ ط. مطبعة أمير ـ قم ـ ١٤٠٩هـ.

١١٩ ـ سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ ط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ.

شين

١٢٠ ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: عبيد الله بن عبد الله المعروف بـ «الحاكم الحسكاني»؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٩٣هـ.

١٢١ ـ شرح نهج البلاغة: عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بـ «ابن أبي الحديد المعتزلي»؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٥هـ.

١٢٢ ـ شرح نهج البلاغة: صبحي الصالح؛ ط. مطبعة بهمن ـ إيران ـ من دون تاريخ.

١٢٣ ـ شرح نهج البلاغة: محمّد عبده؛ ط. مطبعة الإستقامة ـ مصر ـ من دون تاريخ.

١٢٤ ـ شرح التجريد: علاء الدين علي بن محمّد القوشجي؛ منشورات رضا بيدار عزيزي ـ إيران ـ من دون تاريخ.

١٢٥ ـ شرح تجريد الإعتقاد المعروف بـ «كشف المراد»: جمال الدين الحسن بن يوسف الحلّي، ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ.

١٢٦ ـ **شيخ المضيرة**: محمود أبو ريّة؛ ط. دار المعارف ـ مصر ـ.

١٢٧ ـ **الشيعة هم أهل السنّة**: محمّد التيجاني السّماوي؛ ط. شمس المشرق ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ.

١٢٨ ـ **الشافي في الإمامة**: الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي؛ ط. مؤسسة الصادق ـ قم، إيران ـ ١٤١٠هـ.

١٢٩ ـ **شرح المواقف**: علي بن محمّد الجرجاني؛ ط. مطبعة أمير ـ قم، إيران ـ ١٤١٥هـ.

١٣٠ ـ **شرح المقاصد**: مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بـ «سعد الدين التفتازاني»؛ ط. عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

صاد

١٣١ ـ **صحيح البخاري**: أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ.

١٣٢ ـ **صحيح مسلم**: أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ، وبهامشه شرح النووي: يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي.

١٣٣ ـ **الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة**: أحمد بن حجر الهيثمي المكي؛ ط. شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة ـ ١٣٨٥هـ.

١٣٤ ـ **الصحيح من السّيرة**: جعفر مرتضى العاملي؛ ط. دار الهادي ـ دار السيرة ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ.

١٣٥ ـ **صيانة القرآن من التحريف**: محمّد هادي معرفة؛ ط. دار القرآن الكريم ـ قم ـ ١٤١٠هـ.

١٣٦ ـ **الصحيفة العلويّة المباركة**: عبد الله بن صالح السماهيجي؛ ط. دار التعارف ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة، من دون تاريخ.

١٣٧ ـ تفسير الصافي: محمّد محسن بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود المعروف بـ «الفيض الكاشاني»؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

طـــاء

١٣٨ ـ الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمّد بن سعد بن منيع القمّي الصّدوق؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

عيـــن

١٣٩ ـ علل الشرائع: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصّدوق؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ.

١٤٠ ـ علم اليقين: الفيض الكاشاني، محمّد محسن؛ انتشارات بيدار ـ قم، إيران ـ ١٤٠٠هـ.

١٤١ ـ العيون والمحاسن: محمد بن محمد بن النعمان العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ.

١٤٢ ـ عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: أبو جعفر الصّدوق؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٤هـ.

١٤٣ ـ عقائد السنّة وعقائد الشيعة: صالح الورداني؛ ط. الغدير ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٩هـ.

١٤٤ ـ عقيدة الشيعة: دوايت م. رونلدسن؛ ط. مؤسسة المفيد ـ بيروت ـ ١٤١٠هـ.

١٤٥ ـ تفسير العيّاشي: أبو النصر محمّد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤١١هـ.

غيـــن

١٤٦ ـ الغَيْبة: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسي؛ ط. مكتبة نينوى ـ طهران ـ ١٤٨٥هـ.

١٤٧ ـ الغَيْبَة: محمد بن ابراهيم النعماني؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٤٨ ـ الغدير في الكتاب والسنّة: عبد الحسين أحمد الأميني؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ١٣٦٦هـ.

١٤٩ ـ الغارات: أبو إسحاق ابراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي؛ انتشارات آثار انجمن ملي ـ إيران ـ.

١٥٠ ـ غرائب وأسرار: بديع الزين؛ ط. دار الفكر العربي ـ بيروت ـ ١٩٩٤م.

١٥١ ـ الغيبة الصغرى: محمّد صادق الصّدر؛ ط. دار التعارف ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ.

١٥٢ ـ الغيبة الكبرى: محمّد صادق الصّدر؛ طبع أصفهان (مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامّة) ـ بدون تاريخ.

فــاء

١٥٣ ـ فروع الكافي: محمد بن يعقوب الكليني؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ ١٣٩١هـ.

١٥٤ ـ فضائل الخمسة من الصّحاح الستّة: مرتضى الحسيني الفيروزآبادي؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ قم، إيران ـ ١٤١٣هـ.

١٥٥ ـ الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة: علي بن محمّد بن أحمد المالكي المكّي الشهير بـ «ابن الصبّاغ»، ط. دار الأضواء ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

١٥٦ ـ فدك في التاريخ: محمّد باقر الصّدر؛ ط. دار التعارف ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ.

١٥٧ ـ فرائد السّمطين: ابراهيم بن محمد بن المؤيّد بن عبد الله الجويني؛ ط. مؤسسة المحمودي ـ بيروت ـ.

١٥٨ ـ الفَرْق بين الفِرَق: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ.

١٥٩ ـ **الفصول المائة في حياة أبي الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام**: أصغر ناظم زاده القمّي؛ ط. مطبعة مهر ـ قم، إيران ـ ١٤١١هـ.

١٦٠ ـ **فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى من مهدها إلى لحدها**: أحمد الرحماني الهمداني؛ ط. مؤسّسة النعمان ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ.

١٦١ ـ **الفصول المختارة من العيون والمحاسن**: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ.

١٦٢ ـ **فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد**: محمّد كاظم القزويني؛ ط. مؤسسة النور ـ بيروت ـ.

١٦٣ ـ **فتوح البلدان**: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري؛ ط. لجنة البيان العربي.

١٦٤ ـ **الفهرست**: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي؛ ط. المكتبة الرضوية ـ النجف ـ من دون تاريخ.

١٦٥ ـ **الفوائد البهيّة في شرح عقائد الإمامية**: محمّد جميل حمّود؛ طبعة ثانية، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٢١هـ.

١٦٦ ـ **فلاح السائل**: رضي الدين علي بن موسى آل طاووس؛ ط. دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

١٦٧ ـ **الفتنة الكبرى**: طه حسين؛ ط. دار المعارف ـ مصر ـ من دون تاريخ.

١٦٨ ـ **فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام**: محمّد جواد مغنية؛ ط. دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٧٨م.

١٦٩ ـ تفسير فرات الكوفي: أبو القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي؛ ط. مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ إيران ـ ١٤١٠هـ.

١٧٠ ـ تفسير فتح القدير: محمّد بن علي بن عبد الله الشوكاني؛ ط. مطبعة مصطفى الحلبي البابي ـ القاهرة، مصر ـ ١٣٤٩هـ.

١٧١ ـ **فهرس الكتاب المقدّس**: جورج بوست؛ ط. دار الثقافة ـ القاهرة، مصر ـ ١٩٩٤م.

قـــاف

١٧٢ ـ **قرب الإسناد**: أبو العباس عبد الله بن جعفر الحِمْيَري؛ ط. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ بيروت ـ ١٤١٣هـ.

١٧٣ ـ **القرآن في الإسلام**: محمد حسين الطباطبائي؛ ط. دار الإسلام ١٤٢٠هـ.

١٧٤ ـ **قاموس الرجال**: محمّد تقي التستري؛ ط. مطبعة المصطفوي ـ طهران، إيران ـ ١٣٧٩هـ.

١٧٥ ـ **القاموس المحيط**: محمّد بن يعقوب الفيروزآباي الشيرازي؛ ط. المطبعة الحسينية ـ مصر ـ ١٣٤٤هـ.

كـــاف

١٧٦ ـ **كامل الزيارات**: أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّي؛ ط. دار السرور ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٨هـ.

١٧٧ ـ **الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمّد الزمخشري؛ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤١٥هـ.

١٧٨ ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**: علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي؛ ط. مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ.

١٧٩ ـ **كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الإثني عشر**: أبو القاسم علي بن محمّد بن عليّ الخزّاز القمّي الرّازي؛ ط. مطبعة الخيام ـ قم، إيران ـ ١٤٠١هـ.

١٨٠ ـ **الكامل في التاريخ**: عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن أبي الكرم محمّد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بـ«ابن الأثير»؛ ط. دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٨٥هـ.

١٨١ ـ **كنز العرفان في فقه القرآن**: جمال الدين المقداد بن عبد الله السيّوري؛ ط. المكتبة المرتضوية ـ طهران، إيران ـ ١٣٨٤هـ.

١٨٢ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: أبو أحمد بن عدي الجرجاني؛ ط. دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

١٨٣ ـ **كنز الفوائد**: أبو الفتح محمّد بن علي الكراجكي؛ ط. دار الأضواء ـ بيروت.

١٨٤ ـ **الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبي الأطهر**: محمّد باقر الموسوي؛ ط. مطبعة نكين ـ قم، إيران ـ ١٤٢٠هـ.

١٨٥ ـ **الكنى والألقاب**: عباس القمّي؛ ط. حيدري ـ إيران ـ ونشر مكتبة الصدر ١٣٦٨ش.

١٨٦ ـ **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب** عليه السلام: محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي؛ ط. المطبعة الحيدرية ـ النجف ـ ١٣٩٠هـ.

لام

١٨٧ ـ **لقد شيّعني الحسين**: إدريس الحسيني؛ ط. مطبعة مهر ـ قم، إيران ـ ١٤١٥هـ.

١٨٨ ـ **لسان العرب**: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري؛ ط. دار صادر ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ.

١٨٩ ـ **لسان الميزان**: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد الكناني العسقلاني المعروف بـ «ابن حجر»؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ.

١٩٠ ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بـ** «تفسير الخازن»: علاء الدين أبو الحسن علي بن محمّد بن إبراهيم الشّيحي البغدادي؛ ط. مطبعة الإستقامة ـ القاهرة ـ ١٣٧٤هـ.

ميـــم

١٩١ ـ **تفسير المراغي**: أحمد مصطفى المراغي؛ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ من دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٩٢ ـ **المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنّة والإمامية**: نجم الدين جعفر بن محمّد العسكري؛ ط. مؤسسة الإمام المهدي ـ إيران ـ ١٤٠٢هـ.

١٩٣ ـ **معالم المدرسَتين**: «بحوث المدرستين في الصَّحابة والإمامة»: مرتضى العسكري؛ ط. مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ـ إيران ـ ١٤١٢هـ.

١٩٤ ـ **المنار في تفسير القرآن**: محمَّد رشيد رضا ومحمّد عبده؛ ط. دار المنار ـ القاهرة، مصر ـ ١٣٤٦هـ.

١٩٥ ـ **معارج الأصول**: نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الشهير بـ«المحقّق الحلّي»؛ ط. مطبعة سيد الشهداء ـ قم، إيران ـ ١٤٠٣هـ.

١٩٦ ـ **المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي**: توفيق الفكيكي؛ ط. دار الأضواء ـ بيروت ـ ١٤١٨هـ.

١٩٧ ـ **مَنْ لا يحضره الفقيه**: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصَّدوق؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران، إيران ـ ١٣٩٠هـ.

١٩٨ ـ **معاني الأخبار**: أبو جعفر الصَّدوق؛ ط. مؤسسة النشر الإسلامي ـ إيران ـ ١٣٧٩هـ.

١٩٩ ـ **مفاتيح الغيب الموسوم بـ«التفسير الكبير»**: محمّد بن عمر بن الحسين الرازي؛ الطبعة الثالثة ـ إيران ـ من دون ذكر لأي تاريخ أو لإسم الناشر.

٢٠٠ ـ **معجم رجال الحديث**: أبو القاسم الموسوي الخوئي، ط. مطبعة الصدر ـ قم، إيران ـ ١٤١٠هـ.

٢٠١ ـ **ميزان الإعتدال في نقد الرجال**: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

٢٠٢ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي؛ ط. دار الكتب العلميّة ـ بيروت ـ ١٤١٨هـ.

٢٠٣ ـ **منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر**: لطف الله الصافي الگلبايگاني؛ ط. مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

٢٠٤ ـ **المحاسن**: أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي؛ تعليق: جلال الدين الحسني، توزيع دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

٢٠٥ ـ **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول**: محمّد باقر المجلسي؛ ط. دار الكتب الإسلامية ـ طهران، إيران ـ ١٤٠٥هـ.

٢٠٦ ـ **المقنعة**: أبو عبد الله العكبري المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ.

٢٠٧ ـ **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية**: محمد الخضري بك؛ ط. مطبعة الإستقامة ـ القاهرة، مصر ـ ١٣٧٦هـ.

٢٠٨ ـ **المراجعات**: عبد الحسين شرف الدين؛ تحقيق: محمّد جميل حمّود، ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤١٦هـ، ونسخة أخرى غير محقّقة ط. دار علاء الدين ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

٢٠٩ ـ **المنتخب في جمع المراثي والخطب المشتهر بـ «الفخري»**: فخر الدين الطريحي النّجفي؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ من دون تاريخ.

٢١٠ ـ **المقدّمة الشهير بـ «مقدّمة ابن خلدون» وهو الجزء الأول من كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر»**: عبد الرحمان ابن خلدون المغربي؛ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة، من دون تاريخ.

٢١١ ـ **محاسن التأويل المعروف بـ«تفسير القاسمي»**: جمال الدين محمّد بن محمّد القاسمي؛ ط. دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، مصر ـ ١٣٧٦هـ.

٢١٢ ـ **معرفة الإمام** محمد حسين الطهراني؛ ط. دار المحجّة البيضاء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٩هـ.

٢١٣ ـ **المنجد الأبجدي**؛ صادر عن دار المشرق (المطبعة الكاثوليكيّة) ـ بيروت، لبنان ـ ١٩٦٧م (الطبعة الثانية).

٢١٤ ـ **مصباح الأصول**: تقرير بحث السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي وتأليف محمد سرور الواعظ الحسيني البهسودي؛ ط. مطبعة النجف ـ النجف، العراق ـ ١٣٨٦هـ.

٢١٥ ـ **ميزان الحكمة**: محمّد الرَّيشهري؛ ط. دار الحديث ـ قم، إيران ـ ١٤١٦هـ.

٢١٦ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: علي بن أبي بكر الهيثمي؛ ط. دار الكتاب ـ بيروت، لبنان ـ ١٩٦٧م، وطبعة أخرى في القاهرة.

٢١٧ ـ **معجم البلدان**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي؛ ط. دار صادر ـ بيروت، لبنان ـ من دون تاريخ.

٢١٨ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: علي بن الحسين بن علي المسعودي؛ ط. دار الأندلس ـ القاهرة، مصر ـ ١٣٨٥هـ.

٢١٩ ـ **مطالب السؤل في مناقب الرسول**: محمّد بن طلحة الشافعي؛ طبع النجف الأشرف ـ من دون تاريخ.

٢٢٠ ـ **مناقب آل أبي طالب**: أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن علي بن شهرآشوب السَّرَوي المازندراني؛ ط. المطبعة العلمية ـ قم، إيران ـ من دون تاريخ.

٢٢١ ـ **معالم العلماء**: ابن شهرآشوب؛ ط. المكتبة الحيدرية ـ النجف، العراق ـ ١٣٨٠هـ.

٢٢٢ ـ **من حياة الخليفة عمر بن الخطاب**: عبد الرحمان أحمد البكري؛ ط. دار الإرشاد ـ بيروت ولندن ـ الطبعة السادسة، بدون تاريخ.

٢٢٣ ـ **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**: أحمد بن عبد الله القلقشندي؛ ط. وزارة الإرشاد ـ الكويت ـ ١٩٦٤م، وطبعة أخرى بدار عالم الكتب ـ بيروت ـ.

٢٢٤ ـ **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**: محمّد الشّربيني؛ ط. دار الفكر ـ بيروت، لبنان ـ من دون تاريخ.

٢٢٥ ـ **مقاتل الطالبيين**: علي بن الحسين الشهير بـ «أبو الفرج الأصبهاني»؛ ط. المكتبة الحيدرية ـ النجف، العراق ـ ونشر مؤسسة دار الكتاب ـ قم، إيران ـ ١٣٨٥هـ.

٢٢٦ ـ **منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدريّة**: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بـ «ابن تيميّة الحراني الدمشقي الحنبلي»؛ ط. دار الكتب العلميّة ـ بيروت، لبنان ـ من دون تاريخ.

٢٢٧ ـ **مبادىء الثقافة المهدويّة**: مهدي الفتلاوي؛ ط. دار الكرام ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٦هـ.

٢٢٨ ـ **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني المعروف بـ «الراغب»؛ ط. المكتبة المرتضوية ـ طهران، إيران ـ ١٣٦٢هـ.

٢٢٩ ـ **مجمع البحرين**: فخر الدِّين الطّريحي؛ منشورات المكتبة المرتضوية ـ طهران ـ، بدون تاريخ.

٢٣٠ ـ **الملل والنِّحل**: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني؛ ط. دار المعرفة ـ بيروت، لبنان ـ بدون تاريخ.

٢٣١ ـ **الملل والنِّحَل**: جعفر السبحاني؛ ط. مطبعة الخيام ـ قم، إيران ـ ١٤٠٨هـ.

٢٣٢ ـ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**: حبيب الله الهاشمي الخوئي؛ ط. مؤسسة الوفاء ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠٣هـ.

٢٣٣ ـ **مسند أحمد بن حنبل**: أحمد بن حنبل؛ ط. دار صادر ـ بيروت، لبنان ـ.

٢٣٤ ـ **ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار**: محمّد باقر المجلسي؛ ط. مطبعة الخيام ـ قم، إيران ـ ١٤٠٦هـ.

٢٣٥ ـ **المسائل العكبريّة**: محمّد بن محمّد بن النعمان ابن المعلّم أبي عبد الله العكبري البغدادي المفيد؛ ط. دار المفيد ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٤هـ.

٢٣٦ ـ **مقتل الحسين**: أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي المعروف بـ «الخوارزمي»؛ ط. مكتبة المفيد ـ قم، إيران ـ من دون تاريخ.

٢٣٧ ـ **مجلّة المنطلق**: (لبنانيّة)؛ العدد ١١٣ عام ١٩٩٥م.

٢٣٨ ـ **المستدرك على الصحيحَيْن**: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري؛ طبع الهند ١٣٣٤هـ.

٢٣٩ ـ **المحلّى**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم؛ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، لبنان.

٢٤٠ ـ **المنقذ من الضّلال**: محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي؛ ط. دار العلم للجميع ـ لبنان ـ من دون تاريخ.

٢٤١ ـ **منتخب كنز العمّال**: علي بن حسام الدين الشهير بـ «المتقي الهندي»؛ ط. دار صادر ـ بيروت، لبنان ـ وهو بهامش مسند أحمد بن حنبل، وطبعة أخرى بالمطبعة الميمنية ـ مصر.

٢٤٢ ـ **مناقب وفضائل الإمام عليّ عليه السلام**: أبو الفضل شاذان بن جبرائيل القمّي؛ ط. دار العالم الإسلامي ـ بيروت، لبنان ـ ١٤٠١هـ.

٢٤٣ ـ **الميزان في تفسير القرآن**: محمّد حسين الطباطبائي؛ ط. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٩٤هـ.

٢٤٤ ـ **محاورة حول الإمامة والخلافة الشهير بـ «مؤتمر علماء بغداد»**: مقاتل بن عطية «شبل الدولة»؛ تحقيق: مرتضى الرضوي، ط. مؤسسة البلاغ ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٠هـ.

٢٤٥ ـ **مأساة الزهراء** عليها السلام: جعفر مرتضى؛ ط. دار السيرة ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١٧هـ.

نـــون

٢٤٦ ـ **نهج الحقّ وكشف الصّدق**: الحسن بن يوسف الحلّي؛ ط. مؤسسة دار الهجرة ـ قم، إيران ـ ١٤٠٧هـ.

٢٤٧ ـ **الندوة**: محمّد حسين فضل الله؛ دار الملاك/ الطبعة الثالثة، بيروت ـ لبنان ١٤١٨هـ.

٢٤٨ ـ **نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت**: علي بن عبد العال الشهير بـ «المحقّق الكركي»؛ مخطوط، ونسخة أخرى إصدار مكتبة نينوى ـ طهران، إيران ـ.

٢٤٩ ـ **نهج البلاغة**: جَمْع الشريف الرضي، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي؛ ط. مطبعة الإستقامة ـ مصر ـ شرح محمّد عبده.

٢٥٠ ـ **النجم الثاقب**: حسين الطبرسي النوري؛ ط. مطبعة مهر ـ قم، إيران ـ ١٤١٥هـ.

٢٥١ ـ **نور الأبصار في مناقب آل النبيّ المختار**: مؤمن بن حسن الشلبنجي الشافعي؛ ط. المطبعة اليوسفيّة ـ مصر، القاهرة ـ.

٢٥٢ ـ **نخبة البيان في تفضيل سيدة النسوان**: عبد الرسول الشريعتمداري الجهرمي؛ ط. مطبعة الهادي ـ قم، إيران ـ ١٤٠٧هـ.

هـــاء

٢٥٣ ـ **الهداية الكبرى**: أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي؛ ط. مؤسسة البلاغ ـ بيروت، لبنان ـ ١٤١١هـ.

واو

٢٥٤ ـ **وفاة الصدّيقة الزهراء عليها السلام**: عبد الرزّاق الموسوي المقرّم؛ ط. المطبعة الحيدريّة ـ النجف، العراق ـ ١٣٧٠هـ.

٢٥٥ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**: محمّد بن الحسن الحرّ العاملي؛ ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٩١هـ.

٢٥٦ ـ **وفيّات الأعيان**: أحمد بن محمّد بن أبي بكر بن خلّكان؛ ط. دار صادر ـ بيروت، لبنان ـ ١٣٩٨هـ.

يـــاء

٢٥٧ ـ **ينابيع المودة**: سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي؛ ط. المطبعة الحيدريّة ـ النجف، العراق ـ ١٣٨٤هـ.

المحتويات

تمهيد:

* * * * *

*****

*****

*****

*****

* * * * *

* * * * *

* * * * *

* * * * *

*****

*****

* * * * *

* * * * *

* * * * *

* * * * *